

كَلِمَاتُ سَيِّدِ النُّورِ

٨

صَيْقُلُ الْأَسْفَلِ

تَأَلَّفَ

بَدِيعُ الزَّمَانِ سَعِيدُ النُّورِ

دَارُ سُوْزَنَ لِلنَّشْرِ

Sözler
PUBLICATIONS

ترجمة و تحقيق

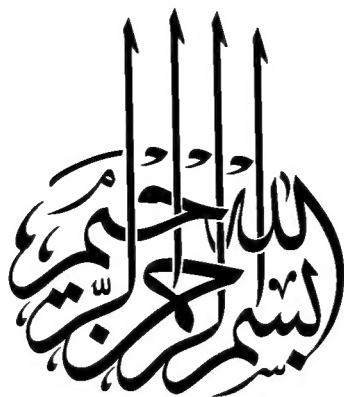
إحسان قاسم الصالحی

صَيْقُلُ الْإِسْلَامِ

عنوان الكتاب : صيقل الإسلام	TITLE : SAYKAL-UL İSLAM
تأليف : بديع الزمان سعيد النورسي	AUTHOR : BEDIUZZAMAN SAID NURSI
ترجمة وتحقيق : إحسان قاسم الصالحي	TRANSLATION AND TAHQIQ : IHSAN KASIM SALIHI
الترقيم الدولي : X-11-5323-977-9	ISBN : 977-5323-11-X
رقم الإيداع : ١١٣٥٤ / ١٩٩٥	ARCHIVE NO : 1995 / 11354
الطبعة : السادسة (٢٠١١)	EDITION : SIXTH (2011)
حقوق الطبع محفوظة للنشر	ALL RIGHTS RESERVED
الناشر : شركة سوزلر للنشر	PUBLISHER : SÖZLER PUBLICATIONS
العنوان : ٣٠ شارع جعفر الصادق الحي السابع - مدينة نصر - القاهرة جمهورية مصر العربية تليفاكس : ٢٢٦٠٢٩٣٨ (٢٠٢) +	ADDRESS : 30 Gafar El-Sadek St. 7 th Nasr City Cairo Egypt Tel&Fax: +(202) 22602938

www.sozler.com.tr

e-mail: darsozler@gmail.com



هذه المجموعة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاہ.

بعد أن أكرمنا المولى الكريم بعميم فضله وجميل توفيقه على إكمال ترجمة «كليات رسائل النور» ونشرها في سبعة مجلدات، أثرت أن أعرج على مؤلفات الأستاذ النورسي القديمة التي ألفها في عهد «سعيد القديم» أي قبل شروعه بتأليف رسائل النور سنة ١٩٢٧. وذلك لأن هذه الرسائل «القديمة» أهميتها التاريخية من جهة، وقيمتها الفكرية من جهة أخرى، مثلما نبه إليها الأستاذ المؤلف نفسه في مواضع كثيرة من مكاتيبه التي أرسلها إلى طلاب النور. حتى إنه أدمج قسماً من هذه الرسائل ضمن موضوعات وفصول «تاريخ حياته»، بل أشار إلى طلابه القيام بنشر قسم منها على صورة كتيبات مستقلة وذلك بعد إعادة النظر فيها وقراءتها بإنعام في ضوء موازين رسائل النور وقواعدها وأسسها، فأجرى تصحيحات دقيقة في الرسائل التي تمس الحياة الاجتماعية والسياسية، مستخرجاً منها فقرات ومُقرأً أخرى، ومضيفاً إليها جُملاً وحاذفاً أخرى، علاوة على وضع هوامش في كثير من المواضع لتوضيح ما غمض واستيجلاء ما استتر من المعاني. بمعنى أنه نقّح هذه الرسائل تنقيحاً دقيقاً وشدّبها تشديباً كاملاً حتى جعلها جاهزة للنشر يستفيد منها العلماء وعامة الناس أيضاً.

ونحن بدورنا جعلنا تلك النسخ المصحّحة المنقّحة هي المعوّل عليها في أثناء ترجمة التركية منها إلى العربية، أو في تحقيق العربية منها.

فلله الحمد والمنة أولاً وآخرًا.

وتضم هذه المجموعة الرسائل الآتية:

١ - محاكمات عقلية في التفسير والبلاغة والعقيدة:

وهي المسماة بـ«صيقل الإسلام» أو «رجّة العلماء».

٢- قزل إيجاز:

وهي حاشية الأستاذ النورسي على «السلم المُتَوَرِّق» المنظوم لشيخ الإسلام عبد الرحمن الأخصري^(*) في علم المنطق، مع شرح الملا عبد المجيد^(*).

٣- تعليقات على برهان الكلنبوي:

وهي رسالة في علم المنطق أيضاً عبارة عن تعليقاتٍ وتقريرات الأستاذ النورسي على كتاب «البرهان» للعالم المحقق إسماعيل بن مصطفى الكلنبوي^(*).

وهاتان الرسالتان - في علم المنطق - أَلَفَّهما الأستاذ النورسي باللغة العربية. ولم أُجِرَ فيهما غيرَ التنسيق والتنظيم على أمل أن يهَيِّى المولى القدير مَنْ يتناولهما بالشرح والتوضيح ليعمَّ النفع. والرسائل الثلاث رسائل علمية تخاطب العلماء وربما الخواص منهم.

أما بقية الرسائل فالطابعُ الغالب عليها أنها رسائل تسلِّط الأضواء على الأوضاع الاجتماعية والسياسية في فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى، أي إنها أُلِّفت والدولة العثمانية تعاني ما تعاني في أيامها الأخيرة، وقد دَبَّت فيها أمراضٌ شتى وعللٌ متنوعة، لذا فهي تُداوي تلك الأمراض وتقدم الحلول الوافية والعلاجات الشافية لها، وفي الوقت نفسه تضمّد الجروح الغائرة التي أصيبت بها الأمة الإسلامية جمعاء وتضع البلسم الشافي عليها بأسلم وسيلة.

بمعنى أن هذه الرسائل ليست رسائل قديمة قد عفا عليها الزمن، بل تنطوي على دروس اجتماعية وموازن سياسية تنبض بالجدّة وتتدفق طراوةً ونداوةً حيث إنها حقائق ثابتة.

والرسائل هي:

٤- السانحات.

٥- المناظرات.

٦- المحكمة العسكرية العرفية: وهي دفاع الأستاذ النورسي أمام المحكمة العسكرية العرفية في عهد الاتحاديين، والمسماة بـ«شهادة مَدْرَسَتِي المصيبة» إذ عندما طالب الأستاذ إصلاح التعليم وتأسيس جامعةٍ في شرقي الأناضول باسم مدرسة الزهراء أُلقي في مستشفى

المجاذيب، وبعده اقتيد إلى المحكمة العسكرية بتهمة مطالبته بعودة الشريعة. حيث قال له رئيس المحكمة خورشيد باشا وهو يشير إلى الجثث المعلقة على أعواد المشانق:

«وأنت أيضاً تطالب بالشرعة!»

وهكذا يعدّ الأستاذ النورسي مستشفى المجاذيب مدرسة مصيبة أولى والسجن مدرسة مصيبة ثانية.

٧- الخطبة الشامية.

٨- الخطوات الست.

وقد قدّمتُ لعملي في الترجمة والتحقيق مقدمة في مستهل كل رسالة من الرسائل الثمان لهذه المجموعة مع بيان أهمية الرسالة وسبب تأليفها.

ثم إن هذه المجموعة لا تضم مؤلفات سعيد القديم جميعها، بل هناك رسائل أخرى نُشرت وقت تأليفها، إلّا أن المؤلف لم ينشرها في عهد سعيد الجديد، أو لم يرَ داعياً إلى نشرها، ربما لاندراج كثيرٍ من مفاهيمها ضمن رسائل أخرى وهي: «طلوعات، إشارات، نطق، رموز...» علماً أن قسماً آخر من مؤلفات سعيد القديم قد نُشر مستقلاً مثل: «إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز» و«المتنوي العربي النوري» وكذا «اللوامع» التي نشرت ملحقةً بمجموعة «الكلمات». وقد ارتأينا أن نستعيّر اسم إحدى رسائل هذه المجموعة وهو «صيقل الإسلام» عنواناً لكامل هذه المجموعة.

والله نسأل أن يوفقنا إلى حُسن القصد وصحة الفهم وصواب القول وسداد العمل.

وصلّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

إحسان قاسم الصالحي

محاضرات عقائدية

في التفسير والبلاغة والعقيدة

أو

صيقل الإسلام «رجلة العلماء»

وصفة طبية: لعصر مريض، وعنصر عليل، وعضو سقيم

تأليف

بديع الزمان سعيد النورسي

ترجمة وتحقيق

إحسان قاسم الصالح



تقديم

العالم الفاضل الأستاذ الدكتور
عبد الملك السعدي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرشدين،
وعلى آله وأصحابه الهداة المهديين.

وبعد، فالإمام النورسي أشهر من أن يُعرَف به؛ إذ قد تجسّد في ذاته جميع ما أُطلق عليه
من ألقاب، فهو سعيدٌ اسماً ومعنى، وبديعُ زمانه جهاداً وتضحية، ونورٌ شاع في ظروف تركية
إسلامياً هي بأمس الحاجة إلى أنوار عقلية الجبارة وتوجيهاته السديدة.

فقد عرفتُ النورسي من خلال ثروته العلمية عالماً نابغاً، ومرشداً مبصراً، وواعظاً
مؤثراً، ومجاهداً مثابراً، وصابراً على المكارِه جليداً، ومؤلفاً بارعاً.

كيف لا.. وهو الذي أفنى حياته بين سجن وإبعاد، وأيامه بين ضغط واضطهاد.

وهو الذي زَيّن خزانات العلم بمؤلفاته ورسائله؟!!

لقد ظهر النورسي في ظروف وكأنها تنتظره لإصلاح ما فسد بها وإعلاء ما انخفض
فيها.

وما هو وجهاده إلا لمحّة من لمحات ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾
(الحجر: ٩) ونبأ من أنباء خلود الرسالة المحمدية في أرض الله.

فقد ظهر في عصرٍ رفع الكفر رأسه فيه، واشربَت أعناق التضليل لتطل بنظراتها
المسمومة على دولة لها عراقُتها في الحضارة الإسلامية ولها دورها الفعال في تدعيم ركائز
العقيدة في بلاد الأناضول.

فقد وقف وقفة الشجاع الصامد، والهزبر الجسور أمام أئمة العلمانية ودعاتها فألّقم

بحججه وكتابته ومناظراته حَجراً للأفواه التتة المتمشدة بالطعن بالإسلام ولغة القرآن واهتمها بالرجعية والتخلف.

فالإمام سنّ في تركيا المسلمة سنةً حسنة له أجرها وأجر مَنْ عمل بها إلى يوم القيامة؛ إذ قابل الشرَّ بالخير، وعالج الفكر بالفكر، فدعوته كانت وما زالت بعده تغرس العقيدة في نفس الشعب التركي وتحفّز همته وتوقد جذوة الإيمان في قلبه كلما أراد أهل الشر إطفاءها.

ولم تكن حركة هذا الإمام مقصورةً على الشعب التركي المسلم فحسب بل انتشرت إلى العالم وذاع صيتها وخرجت إلى أرجاء العالم تحمل بين يديها الأمل والبشرى للمؤمنين وأيقنوا أن شعباً تخلد فيه حركة كحركة النورسي حريّ به أن يحقق أهدافه في مواصلة الدرب الذي وضعهم الإمام عليه.

فقد حصل لهذا الرائد الكبير والمصلح الملهم أتباعٌ يحملون ذلك المشعل الذي أوقده بأيديهم داخل تركيا وخارجها ليواصلوا المسيرة حتى يرفعوا راية الإسلام على ربوع بلاد الفاتح.

وقد قيّض الله لنشر مؤلفاته وترجمتها رجالاً مخلصين لربهم ولدينهم ولعقيدتهم، ومن بين هؤلاء الرجال الأخ الماجد الأستاذ إحسان قاسم الصالحي؛ إذ قد ترجم له العديد من مؤلفاته إلى العربية وملأ بها أسواق العراق وخزانات العلماء، فجزاه الله خيراً عن المؤلف وعن المسلمين وبارك له في جهوده.

والأستاذ الصالحي هو الذي عرض عليّ أن أُشرفَ ناظري في كتابٍ من كتب هذا الداعية الكبير، وأُكحلَ أجفاني بما انطوى عليه من حكمٍ جمّة ومعرفة واسعة وعلم غزير. ذلك الكتاب هو «محاكمات عقلية».

وبعد أن تصفحتُ صفحاته وقلبت طرف الطّرف في سطورهِ وجنابته وأطلعت على كنوز ذخائره وخزائنه، وجدته كتاباً قد احتوى على معلومات لها وزنها لدى أهل العلم والمعرفة ولها قيمتها عند أهل الفضل والعرفان. إلّا أني وجدت الشيخ رحمه الله قد تأثر في أسلوبه ببلاغة بلغاء كالسكاكي والفتازاني والجرجاني وغيرهم حيث كانت ظاهرة الغموض تصفو على أسلوبه. وعلامات التعقيد تظهر على عباراته، مع أنه قد اتجه اتجاهها روحياً دقيقاً

متحدياً كثيراً من أعداء العقيدة، مقرناً تحدياته بالتوجيه والنصح والتحذير مما قد ينأى بعيداً بالقارئ عن عنوان الموضوع.

لذا فإن حُكمي على الكتاب بأنه كتابٌ علمي رصين وليس كتاباً ثقافياً يسهل تناول ما فيه لكل مَنْ له خلفية إسلامية، بل يستفيد منه أهل التخصص بهذا الشأن وليس للعامة فيه نصيب.

ومع هذا فإن المكتبة الإسلامية العربية بحاجة إلى إخراجها من حيِّز العدم إلى حيِّز الوجود ليتبوأ مكانته مع أخواته مصنفات المؤلف نفسها والمصنفات الأخرى التي أملت لها قرائح فطاحل هذه الأمة وأفذاذها من رجال الفكر والتأليف.

فلأخوة القائمين بنشر تراث هذا الرجل العظيم مني كل إجلال وتقدير مع دعائي لهم بالتوفيق من العلي القدير.

ولهذا الحبر من أبناء أمة محمد ﷺ الرحمة والرضوان من الرحمن الرحيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

د. عبد الملك عبد الرحمن السعدي

العراق - الرمادي - الجامع الكبير

تحريراً في ٢٦/٧/١٤١٠ هـ

٢٣/٣/١٩٩٠ م

كلمة للقارئ الكريم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه، وبعد:

لقد سمي الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي مؤلفه هذا بـ«رجة العلماء» أي الوصفة الطبية للعلماء، وذلك لما كان يشعر به ويلمسه من حاجة العلماء ولاسيما علماء عصره، إلى تناول مثل هذه العلاجات التي يضمها الكتاب.

فكتب مؤلفه هذا باللغة التركية ثم ترجمه إلى لغة العلم السائدة لدى أهل العلم وهي اللغة العربية. إلا أنه أجمل فيه ما فصل هناك. حتى غدا النص العربي غامضاً مغلقاً -إلا للعلماء- مما اضطر إلى كتابة «تنبيه» في مستهل الترجمة العربية في طبعها الأولى وكما يأتي:

«وجب عليك أن لا تتعجل في مطالعتها وأن تسأل أهل الذكر إن كنت لا تعلم، وعليك برفقتها التركية فإنها شرحت مُعَمَّياتها وقربتها إلى أفواه أفهام العوام».

وفي ختام التنبيه كرر قوله:

«واسترفق رقيقة تركية القد تفصل ما أجمل... فعليك بالصحبة معها».

ونرى أيضاً أن الأستاذ النورسي عندما ضُمَّ إلى عضوية دار الحكمة الإسلامية التابعة للمشيخة الإسلامية للدولة العثمانية، سجّل هذا الكتاب ضمن كتبه التركية في سجل الدار المذكورة.

بمعنى أن الكتاب قد أُلِّف أصلاً باللغة التركية ثم لخصه المؤلف نفسه في عبارات مجملة جداً باللغة العربية.

أخلص من هذا أن السبب الذي دعاني إلى ترجمة الكتاب وتحقيقه وعدم الاكتفاء بترجمة المؤلف العربية هو الغموض الشديد في النص العربي إلى حد استعصاء الفهم -إلا للعلماء- بينما المؤلف التركي يستفيد منه العلماء وكثير من المهتمين والمثقفين.

والسبب الآخر والأهم الذي دعاني إلى القيام بالترجمة والتحقيق هو أنني لما أكرمني المولى القدير بتحقيق آثار الأستاذ النورسي العربية: «المنثوي العربي النوري» ثم «إشارات الإعجاز» و«الخطبة الشامية» رأيت أنه من الواجب عليّ تقديم هذا الكتاب للقارئ الكريم بأسلوب مفهوم حيث المؤلف عدّه مقدمةً لتفسيره الجليل «إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز». فله الحمد والمنة على توفيقه الكريم وله الفضل أولاً وآخرًا.

والكتاب بحد ذاته يحوز أهمية بالغة للمهتمين بالفكر الإسلامي والعلوم الإسلامية، إذ يُبرز ما كان يدور في أذهان العلماء وكتب التفاسير المتداولة في ذلك العصر - أواخر الدولة العثمانية - فضلاً عن أن الموازين والقواعد التي وضعها المؤلف لتقويم المفاهيم الغربية والدخيلة في كتب متداولة لدى العلماء، ما تزال تحفظ تلك الموازين بجذتها وحيويتها وحقيقتها... ولعل هذا هو السبب الذي أدّى إلى تسمية الكتاب بـ«محاكمات عقلية» أو «صقل الإسلام» أملاً من المؤلف أن يشحّذ به سيف الإسلام ويُجَلِّيه من أدران وصدأ.

كان نهجي في الترجمة والتحقيق الآتي:

أولاً: ترجمة النص التركي المطبوع في دار سوزلر للنشر بإسطنبول سنة ١٩٧٧ م مع الاعتماد على نسخة من الطبعة الأولى (مطبوعة سنة ١٣٢٧-١٩١١ م بمطبعة «أبو الضياء» بإسطنبول) وعلى هذه النسخة تصحيحات المؤلف نفسه. تفضّل بها عليّ الإخوة العاملون في دار سوزلر، جزاهم الله خيراً.

ثانياً: مقابلة الترجمة بعد الانتهاء منها بترجمة المؤلف الموجزة بطبعها الأولى المنشورة تحت اسم «رجة العلماء». وبطبعها الثانية المنشورة ضمن كتاب «الصقل الإسلامي» بمطبعة النور بأنقرة سنة ١٩٥٨ م.

ثالثاً: اقتباس بعض عبارات المؤلف العربية من ترجمته.

رابعاً: ضبط الآيات الكريمة وبيان مواضعها من السور.

خامساً: تخرج الأحاديث الشريفة بمعاونة إخوة لهم باع طويل في علم الحديث.

سادساً: كتابة هوامش لشرح بعض الاصطلاحات العلمية الواردة في الكتاب.

سابعاً: وضع تراجم مختصرة لعدد من الأعلام التي وردت في الكتاب ولمؤلفاتهم ممن لم ينالوا حظاً من الشهرة عند القارئ، مع إغفال المشاهير المعروفين عندهم.

وبعد أن تم العمل بفضل الله وددت أن لو قام أحد العلماء الأفاضل بمراجعة ما قمتُ به من تحقيق وترجمة. علّه يرشدني إلى ما فيه الأُصوب. فشاء الله أن يكون ذلك العالم هو الشيخ الجليل والعالم المبجل والأستاذ القدير الدكتور عبد الملك السعدي، فما إن عرضت عليه الفكرة حتى رَحَّبَ بها وقبلها بتواضع جم، فقرأ الكتاب قراءةً عالم مدقق ونَبَّهني على نقاط قد غفلت عنها، ووَضَعَ هوامش ذيلُتها باسمه، ثم كلَّل جهدي بمقدمة قيِّمة نافعة بإذن الله فجزاه الله عنا خير جزاء.

والله نسأل أن يوفقنا إلى حسن القصد وصحة الفهم وصواب القول وسداد العمل.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

إحسان قاسم الصالحي

مَحَاكِبُ عَقْلِيَّةٌ

في التفسير والبلاغة والعقيدة

أو

صيقل الإسلام «رجلة العلماء»

وصفةٌ طبية: لعصر مريض، وعنصر عليل، وعضو سقيم

تأليف

بديع الزمان سعيد النورسي

ترجمة وتحقيق

إحسان قاسم الصالح



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين وبالله التوفيق...

التحياتُ للحاكم الحكيم الرحمن الذي لم يزل.. الذي فضّلنا بالإسلام، وهدانا إلى الصراط المستقيم بشريعته الغراء، تلك التي صدّق العقل والنقلُ معاً حقائقها الثابتة، الراسخة في أرض الحقيقة أصولها، المنتشرة في سماء الكمالات فروعها، الحاملة بسعادة الدارين ثمارها. والذي أرشدنا إلى الحق المبين، بقرآنه المعجز البيان الذي بيّن بقواعده -من كتاب العالم- قوانينَ الله العميقة الجارية بيدِ القدر، المسطرة بقلم الحكمة على صفحة الوجود، فيحقق بأحكامه العادلة رقيّ البشرية وسموّ نظامها ودقّة اتزانها، فأصبح حقاً مرشداً وهادياً إلى سواء السبيل.

والصلاة الدائمة على سيد الكونين وفخرِ العالمين الذي يشهد لرسالته ويدلّ على معجزاته ويدعو إلى ما أتى به من خزينة الغيب من كنز عظيم العالم بأنواعه وأجناسه، حتى لكان كلّ نوع يرحّب بمقدّمه بلسانه الخاص، كما يستنطق سلطان الأزل أوتار الأرض والسموات، فينشد كلّ وترٍ بلسانِ نغماتٍ معجزاته، فيرنُّ ذلك الصدى الجميل إلى الأبد ما دامت هذه القبة الزرقاء.

فالسماءُ تبارك رسالته بالسنّة معراجها وملائكتها وقمرها.

والأرضُ تفخر بمعجزاته بالسنّة حَجَرها وشجرها وحيوانها.

وجوُّ الفضاء يبشّر بنبوته بجنّه، ويظللها ويحميها بسحابه.

والماضي يبشر بالفجر الصادق لذلك السراج المنير، بتصديق الأنبياء وتلويحات الكتب ورموز الكهان.

والحالُ الحاضرة -أعنى خير القرون، قرن السعادة النبوية- تشهد على ثبوت نبوّته بلسان الحال، بالانقلاب العظيم الذي أحدثته في طبائع العرب، وتحويلهم دفعةً من البداوة الصرفة إلى المدنية المحضة.

والمستقبلُ يشكر بلسان الحكمة إرشاداته ويستقبل موكبهُ الميمون بأحداثه وبتحقيقاته.
والبشريةُ قاطبةٌ بعلمائها ومحققها تشهد أنه مرسل من عنده تعالى، ولا سيما المستمعون
إلى محمد ﷺ بلسانه الفصيح وبكلامه البليغ، والذي هو كالشمس يضيء نفسه كما يضيء غيره.
والله سبحانه وتعالى بلسان قرآنه الحكيم يعلن رسالته ويستقرئها.

جملة شيران جهان بستۀ این سلسله اند
روبه از حيله جه سان بكسلد این سلسله را^(١)

أما بعد،

فإن هذا الفقير، الغريب، النورسي، الذي يستحق أن يُطلق عليه اسم بدعة الزمان إلا
أنه اشتهر -دون رضاه- بـ«بديع الزمان»... فهذا المسكين يستغيث ألماً من حرقه فؤاده على
تدني الأمة ويقول: آه... آه... وآسفى..!

لقد انخدعنا فتركنا جوهر الإسلام ولبابه، وحصرنا النظر في قشره وظاهره.

وأسأنا الفهم، فأسأنا الأدب معه، وعجزنا عن أن نوفيه حقه حق الإيفاء وما
يستحقه من الاحترام، حتى رغب عتاً، ونَقَر مَنّاً، وتستر بسحاب الأوهام والخيالات.
والحق معه، إذ نزلنا الإسرائيليات منزلةً أصوله، وأدخلنا الحكايات في عقائده، ومزجنا
مجازاته بحقائقه. فَبَخَسْنَا حَقَّهُ، فجازانا بالإذلال والسفالة في الدنيا.. ولا خلاص لنا إلا
باللواذ برحمته.

أيها الإخوة المسلمون! هيا لنعتذر إليه، ونطلب رضاه فنمدّ إليه معاً متفقين يدَ
الصدّاقة نبايعه ونعتصم بحبله المتين.

أُعلنُ بلا حرج ولا تردد: أن الذي دفعني وشجعني إلى مبارزة أفكار العصور
الحوالي، والتصدي للخيالات والأوهام التي تقوّت واحتشدت منذ مئات السنين.. إنها هو
اعتقادي ويقيني بأن الحقَّ سينمو نموّ البذرة النابتة، وإن تشرت تحت التراب... وأن أهله

(١) بيت شعر باللغة الفارسية «ملا جامي» ورد في «مكتوبات الإمام الرباني» بالفارسية رقم ٢٧ و ٥٨ من الجزء الأول.
وفي الترجمة العربية، المکتوب السابع والعشرون:

هل يقطع الثعلب المحتال سلسلةً قِيَدَتْ بها أَسَدُ الدنيا بأسرهمُ.

سيتصرون وإن كانوا قلةً وضعفاءً بظلم الأحوال. واعتقادي أن حقيقة الإسلام هي التي ستسود قارات العالم وتستولي عليها.

نعم، إن الإسلام هو الذي سيعتلي عرش الحقائق والمعارف، فلا يكشفها ولا يفتحها إلا الإسلام... الأمارات تبدو هكذا..

ذلك لأن الذي حال دون استيلاء الشريعة الغراء استيلاءً تاماً في الماضي، في تلك الصحراء الموحشة والجهل المطبق الذي تربّع على عرشه التعصبُ الذميم، وضرب فيه التقليدُ أطنابه، في بلاد الجهل المخيم بالسفساف والاستبداد المقيت... أقول إن الذي حال دون هيمنة الشريعة في الماضي هيمنة تامة هي أمور ثمانية، وقد مُحِقت -وكذلك الآن تُمحَق- ثلاث حقائق.

هذه الموانع هي التي أدت إلى كسوف شمس الإسلام.

أما الموانع التي في الأجانب فهي: التقليد، والجهل، وتعصبهم، وسيطرة القسوس عليهم.

أما الموانع التي عندنا فهي: الاستبداد المتنوع، وسوء الخلق، واليأس الذي تنجم منه العطالة، والأحوال المضطربة.

أما المانع الثامن، وهو أهم الموانع والبلاء النازل، فهو توهُمنا -نحن والأجانب- بخيال باطل؛ وجود تناقض وتصادم بين بعض ظواهر الإسلام وبعض مسائل العلوم. فمَرَحَى لجهود المعرفة الفياضة وانتشارها، وبخٍ بخٍ لعناء العلوم الغيورة، اللتين أمدّتا تحري الحقائق وشكّتا الإنسانية، وغرستا ميل الإنصاف في البشرية، فجَهَزتا تلك الحقائق بالأعتدة لدفع الموانع، ففُضّت وستقضي عليها قضاءً تاماً.

نعم، إن أعظم سبب سلب منا الراحة في الدنيا، وحرّم الأجانب من سعادة الآخرة، وحجب شمس الإسلام وكشفها هو سوء الفهم وتوهُم مناقضة الإسلام ومخالفته لحقائق العلوم.

فيا للعجب! كيف يكون العبدُ عدوّ سيده، والخادمُ خصمَ رئيسه، وكيف يعارض الابنُ والده!! فالإسلام سيّد العلوم ومرشدها ورئيسُ العلوم الحقّة ووالدها.

ولكن، يا للأسف.. هذا الفهم الخطأ، هذا الفهم الباطل، قد أجرى حكمه إلى الوقت الحاضر، فألقى بشبهاته في النفوس، وأوصد أبواب المدنية والمعرفة في وجه الأكراد وأمثالهم... فذعروا من توهم المنافاة بين ظواهر من الدين لمسائل من العلوم. فكروية الأرض -مثلاً- وهي أولى مرتبة من مراتب الجغرافية التي هي أول منزل من منازل العلوم، هذه المسألة البديهية توهموها منافاةً للمسائل الست التي سنذكرها، ولم يتحرّجوا من المكابرة فيها والإصرار عليها.

فيا من يُمعن النظر في كتابي هذا!

اعلم أن ما أريد أن أسديه بهذا الكتاب من خدمة هو: ردُّ شبهات أعداء الدين الذين يبخسون الإسلام حقّه، بإظهار الطريق المستقيم الذي عليه الإسلام.. ودفع أوهام أهل الإفراط والغلو المغرّمين بظاهر الإسلام دون حقيقته والذين يستحقون لقب «الصدّيق الأحمق»، ببيان الجانب الآخر من ذلك الطريق السوي.. وإمداد علماء الإسلام الأوفياء الصادقين العقلاء وهم المرشدون الحقيقيون الأصلاء الذين يسعون في إظهار هذا الصراط القويم، يحذوهم الأمل الكامل في النصر، ويمهدون السبيل إلى مستقبل عالم الإسلام الزاهر.

زبدة الكلام:

إن ما أقصده بهذا الكتاب: صقل ذلك السيف الألماسي وشحذه.

فإن سألت: لِمَ هذا الاضطراب والقلق، وما جدوى سرد البراهين على ما صار كالعلوم المتعارفة؟ إذ المسائل التي تمخضت عن تلاحق الأفكار^(١) وكشفيات التجارب صارت واضحة وضوح البديهة. فإيراد البراهين عليها من قبيل الإعلام بالمعلوم؟!

أقول جواباً: إن معاصريّ -مع الأسف- وإن كانوا أبناء القرن الثالث عشر الهجري إلّا أنهم تذكّارُ القرون الوسطى من حيث الفكر والرقى. وكأنهم فهرسٌ ونموذجٌ وأخلاقٌ ممزجة لعصور خلت -من القرن الثالث إلى الثالث عشر الهجري- حتى غدا كثيرٌ من بدييات هذا الزمان مبّهمة لديهم.

(١) تلاحق الأفكار: أي تعاقبها وترتب بعضها على بعض.

المقدمة

هذا الكتاب مبنيٌّ على ثلاث مقالات وثلاثة كتب:

المقالة الأولى: تبحث في عنصر الحقيقة أو في صقل الإسلام بمقدمات ومساءل.

المقالة الثانية: تكشف عن عنصر البلاغة.

المقالة الثالثة: تبين عنصر العقيدة والأجوبة اليابانية.^(١)

أما الكتب: فهي تحقيق علمي ونوع تفسير لما أشار إليه القرآن من علم السماء وعلم الأرض وعلم البشر.^(٢)

(١) حضر القائد العام الياباني الجنرال (Nogi Maresuke) إسطنبول سنة ١٩٠٧م. أي أواخر حكم السلطان عبد الحميد الثاني، ووجه جملة من الأسئلة حول العقيدة وعلامات الساعة إلى المشيخة الإسلامية، فوجه العلماء بدورهم تلك الأسئلة مع أسئلة أخرى إلى الأستاذ النورسي، أورد قسماً من أجوبته التي تخص العقيدة في المقالة الثالثة في مؤلفه «المحاكمات»، وفصله في رسالة «نقطة من معرفة الله جل جلاله»، وخصّ «الشعاع الخامس» للأجوبة التي تخص أشرار الساعة والدجال.

(٢) لم يتيسر للمؤلف تأليف هذه الكتب الثلاثة، إذ باشر بتأليف تفسيره «إشارات الإعجاز» في خضم معارك الحرب العالمية الأولى، ولم يتمه أيضاً حيث صرفه المولى القدير إلى تأليف رسائل النور إنقاذاً للإيمان.

المقالة الأولى

عنصر الحقيقة

مقدمات ومساءل

إن من دساتير أهل العلم المحققين الاستناد إلى مقدمات، بلوغاً إلى الهدف والقصد. لذا نصب سُلماً ذا اثني عشرة مرتبة:

المقدمة الأولى

من الأصول المقررة: أنه إذا تعارض العقل والنقل، يعدّ العقل أصلاً ويؤوّل النقل، ولكن ينبغي لذلك العقل أن يكون عقلاً حقاً.^(١)

ثم قد تحقق أيضاً: أن مقاصد القرآن الأساسية وعناصره الأصلية المنبثة في كل جهاته أربعة: إثبات الصانع الواحد، والنبوة، والحشر الجسماني، والعدل.

أي إن القرآن هو وحده الكفيل بالإجابة عن الأسئلة التي تسألها الحكمة من الكائنات: من أين؟ وبأمر من تاتون؟ من سلطانكم ودليلكم وخطيكم؟ ما تصنعون؟ وإلى أين تصيرون؟

ولهذا فذكر الكائنات في القرآن الكريم -مما سوى المقاصد- إنما هو ذكرٌ استطرادي لبيان طريق الاستدلال على الصانع الجليل بانتظام الصنعة.

نعم، الانتظام يشاهد، بل يظهر نفسه بكل وضوح. فالصنعة المنتظمة تشهد على وجود الصانع وعلى قصده وإرادته شهادة صادقة قاطعة، إذ تراءى في كل جهة من جهات الكون وتتلأ من كل جانب.. وتعرض جمال الخلق إلى أنظار الحكمة، حتى لكأن كل مصنوع لسانٌ يسبح بحكمة صانعه، كل نوع يشهد مشيراً بإصبعه إلى حكمة الصانع.

فإمام المقصد هو هذا، وما دمنّا نتعلم من كتاب الكائنات الرموز والإشارات الدالة على الانتظام، وأن النتيجة الحاصلة واحدة، فكيفما كان تشكّل الكائنات في ذاتها، فلا علينا، إذ لا تتعلق بنا.

ولكن كلّ فرد من أفراد الكائنات، الذي دخل ذلك المجلس القرآني الرفيع موظفٌ بأربع وظائف:

الأولى: إعلان عظمة الخالق الجليل بانتظامه واتفاقه مع غيره.

(١) وذلك إذا كان العقل قطعي الدلالة والنقل ظني الدلالة، فيؤوّل الظني ليوافق القطعي. أما إذا كانا قطعيين فلا تعارض أصلاً. وأما إذا كانا ظنيين فالنظر الشرعي أولى بالاتباع حتى يثبت العقلي أو ينهار. (المحقق)

الثانية: إظهاره أن الإسلام زبدُ العلوم الحقيقية، حيث إن كلاً من الأفراد موضوعٌ وخلاصةٌ لعلم من العلوم الحقيقية .

الثالثة: إثبات تطابق الإسلام مع القوانين والنواميس الإلهية الجارية في العالم، وانطباقه عليها، لينمو الإسلام ويتعرع بإمداد تلك النواميس الفطرية، حيث إن كل فرد من الكائنات نموذجٌ لنوع.

نعم، إن الإسلام، الدينَ المبين، يتميز بهذه الخاصية عن سائر الأديان المترددة بين الهوى والهوسات، لفقدانها الجذور العريقة الممدة لها؛ فتارة تضيء وأخرى تنطفئ، وتتغير بسرعة.

الرابعة: توجيه الأفكار إلى حقائق الأشياء والحثُّ عليها والتنبيه إليها، من حيث إن كل فرد منها نموذجٌ لحقيقة من الحقائق.

فمثلاً: إن القَسَمَ بالأجرام العلوية والسفلية في القرآن الكريم، إنما هو لتنبيه الغافلين دوماً وحثهم على التفكير. فالقَسَمَ القرآني قرعُ العصا لمن غطَّ في نوم الغفلة.

فالذي تَحَقَّق الآن هو الآتي:

إن القرآن الكريم الذي هو معجز، وفي أسمى بلاغة وأرفعها، يسلك بلا رب أوضح طرق الاستدلال وأصوبها وأقصرها وأوفقها لأساليب اللغة العربية، أي إنه يراعي حسبيات العوام لأجل إفهامهم وإرشادهم، أي يذكر الدليل -وهو انتظام الكون- بوجه يكون معروفاً لديهم وتأنس به عقولهم.. وبخلافه يكون الدليل أخفى من المدعى عما ينافي طريق الإرشاد ومنهج البلاغة ومذهب الإعجاز.

فمثلاً: لو قال القرآن: أيها الناس! انظروا إلى الكرة الأرضية الطائرة في انجذاب ونشوة والسايرة في جو الفضاء، وتأملوا في الشمس المستقرة مع حركتها والأجرام العلوية المرتبط بعضها ببعض بالجاذبة العامة، وتدبروا في العناصر الكثيرة المرتبط بعضها ببعض بأواصر كيميائية في شجرة الخلقة المنتشرة فروعها في الفضاء غير المحدود.. لتصوروا عظمة الصانع!! أو انظروا بمجهر عقولكم إلى قطرة ماء، التي تستوعب عالماً من الحيوانات، بأن الله على كل شيء قدير!!

فلو قال القرآن هذا، أما كان الدليل أخفى وأغمض من المدعى وأحوج إلى التوضيح؟ أما كان ذلك تنويراً للحقيقة بشيء مظلم بالنسبة لهم! أو تكليةً بهم بأمرٍ غير معقول هو مغالطة أنفسهم تجاه بداهة حسهم!

إن إعجاز القرآن أجل وأطهر من أن يقع على ذيله الصافي اللامع غبارٌ إخلال الأفهام. ولقد لَوَّح القرآن الكريم إلى المقصد الحقيقي في معاطف الآيات البينات وتلافيها، كما جعل قسماً من ظواهر الآيات مناراً ومرشداً إلى المقصد، كالكناية عليه.

ومن الأصول المقررة أيضاً: أن الصدق والكذب، أو التصديق والتكذيب في الكنايات وأمثالها لا يرجعان إلى صورة المعنى، أي إلى «المعاني الأولى» كما يعبر عنها فنُ البيان، بل يتوجهان إلى المقصد والغرض، أي إلى «المعاني الثانوية». فكما إذا قيل: «طويلُ النجاد» فالحكم صحيح والكلام صدق إن كان الشخص طويلاً القامة وإن لم يكن له سيف. وكما تكون الكلمة الواحدة في كلام قرينة المجاز^(١) للاستعارة، فإن طائفة من الآيات الكريمة، كأنها كلمة واحدة لكلام الله، تكون قرائن لحقائق وجواهر سائر أخواتها، وترجمان وأدلاء على ما في ضمائر جاراتها من أسرار.

حاصل الكلام: من لم يضع هذه الحقيقة نصبَ العين، وعجزَ عن موازنة الآيات، ولم يتمكن من الحكم بينها حكماً عادلاً، يكون كالبكتاشي الذي قال لتسويق تركه الصلاة: إن القرآن يقول: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾ .. أما ما بعده فلستُ حافظاً للآية! ألا يكون هذا موضع هزء في نظر الحقيقة؟!

المقدمة الثانية

قد يكون بديهياً ما هو نظري^(٢) في الماضي. هكذا تحقق... ففي العالم ميلٌ للاستكمال وبه يتبع العالم قانونُ التكامل. ولأن الإنسان من ثمرات العالم وأجزائه فيه كذلك ميلُ الترقى المستمد من الميل للاستكمال. وميلُ الترقى هذا ينمو ويتعرع مستمداً من تلاحق الأفكار الذي ينسبط بتكتمل المبادئ واكتمال الوسائل، وتكتمل المبادئ يلقي - من صلب

(١) أي الإشارة التي تخص المجاز، أي التي تجعل الكلمة مجازاً حتماً وهي القيد الذي يحول الكلمة عن معناها الحقيقي.

(٢) البديهي ما لا يحتاج إلى نظر واستدلال، والنظري هو ما يحتاج إلى نظر واستدلال.

الخلقة- بذور علوم الأكوان ملقحاً رحم الزمان التي تُربّي تلك البذور وتنبتّها، فتستوي بالتجارب المتعاقبة التدريجية.

وبناءً على هذا، فإن مسائل كثيرة في هذا الزمان قد أصبحت في عداد البدييات والعلوم المعتادة، بينما كانت في السابق أموراً نظرية، شديدة الخفاء والغموض، ومحتاجة إلى سرد البراهين؛ إذ نرى كثيراً من مسائل الجغرافية والفلك والكيمياء والهندسة العملية؛ يعرفها حتى صبيان هذا الزمان، بل يلعبون بها لِعِبَهُم بالملاعب، وذلك بتكُمُل المبادئ وبرقيّ الوسائط وبكشفيات تلاحق الأفكار، علماً أنها كانت نظرية وخفية على «ابن سينا» وأمثاله من الفلاسفة. مع أنه لو وزن «أبو الفلسفة» بمئات من فلاسفة هذا الزمان لرجحهم في الذكاء وقوة الفكر وكمال الحكمة وسعة القريحة. فالتقصُّ إذن ليس في «ابن سينا»، فهو ابن الزمان، بل في أبيه الزمان.

أليس بديهاً أنه لو لم تُكتشف الدنيا الجديدة (أمريكا) - واشتهر به كولومبس - لاقتدر على اكتشافها وإلحاقها بهذه الدنيا القديمة أبسط الملاحين؟ إذ بدلاً من تبجّر فكر المكتشف الأول واقتحامه المهالك تكفي الآن سفينة صغيرة وبوصلة.

ومع هذا يلزم أخذ الحقيقة الآتية بنظر الاعتبار وهي أن المسائل قسمان:

قسم: يؤثر فيه تلاحق الأفكار، بل يتوقف عليه، كالتعاون في الماديات لرفع صخرة كبيرة.

والقسم الثاني: لا تأثير للتعاون وتلاحق الأفكار فيه من حيث الأساس؛ فالواحد والألف سواء. كالقفز في الخارج من مرتفع إلى آخر، أو المرور من موضع ضيق. فكلُّ فرد والكلُّ سواء، ولا يجدي التعاون.

فبناءً على هذا القياس: فإن قسماً من العلوم هو كرفع الصخر، بحاجة إلى التعاون وتلاحق الأفكار. وأغلب هذا القسم هو من العلوم المادية.

أما القسم الثاني، وهو الشبيه بالمثال الثاني، فتكُمُله دفعي، أو شبيه الدفعي. وأغلب هذا القسم هو من المعنويات ومن العلوم الإلهية.

ولكن على الرغم من أن تلاحق الأفكار لا يغير ماهية هذا القسم الثاني ولا يكمله ولا يزيده، إلا أنه يفيض وضوحاً وظهوراً وقوة في مسالك براهينه.

ويجب ملاحظة ما يأتي:

إن من توغل كثيراً في شيء، أدى به في الغالب إلى التغابي في غيره.

فبناء على هذا: من توغل في الماديات تبلّد في المعنويات وظل سطحياً فيها.

فنظراً إلى هذه النقطة لا يكون حكمُ الحاذق في الماديات حجةً في المعنويات بل غالباً لا يستحق سماعه.

نعم، إذا ما راجع مريض مهندساً بدلاً من طبيب، ظناً منه أن الطب كالمهندسة، وأخذ بوصفة المهندس، فقد أخذ لنفسه تقريراً بنقله إلى مستشفى مقبرة الفناء، وعزّى أقرباءه.

وكذلك مراجعة أحكام الماديين في المعنويات التي هي الحقائق المحضة والمجردات الصرفة، واستشارة آرائهم وأفكارهم، تعني الإعلان عن سكتة القلب الذي هو اللطيفة الربانية، وعن سكرات العقل الذي هو الجوهر النوراني.

نعم، إن الذين يبحثون عن كل شيء في الماديات عقولهم في عيونهم، والعين عاجزة عن رؤية المعنويات.

المقدمة الثالثة

إن دخول طائفة من الإسرائيليات وقسم من الفلسفة اليونانية ضمن دائرة الإسلام وظهورها بزي الدين الجميل، شوّشت الأفكار.

وذلك: أن أولئك القوم، العرب النجباء، كانوا أمة أميّة في الجاهلية. ولكن لما تجلّى الحقّ فيهم وتيقظ استعداد حسياتهم بمشاهدة الدين المبين، وجّهوا رغباتهم وميولهم كلّها في معرفة الدين وحده. ولم يك نظرهم المتوجّه إلى الكون من نوع التفصيل الفلسفي بل نظر استطرادٍ للاستدلال ليس إلّا. وما كان يُلهم ذوقهم المرفه الطبيعي إلا محيطهم الواسع الرفيع المنسجم مع فطرتهم... والقرآن الكريم هو وحده المربي لفطرتهم الأصيلة النقية ومعلّمها.

ولكن الأمة العربية -بعد ذلك- أخذت تحتضن الأقوام الأخرى، فدخلت معلوماً سائر الملل وعلومها أيضاً حظيرة الإسلام، ثم وجدت الإسرائيليات المحرّفة منفذاً إلى خزائن خيال العرب، فأسلّت مجرىً إلى تلك الخزائن بإسلام عدد من علماء أهل الكتاب ك«وهب وكعب» فامتزجت الإسرائيليات بالأفكار الصافية. فضلاً عن ذلك وجدت الاحترام والتقدير، لأن الذين اهتموا من علماء أهل الكتاب قد تكاملوا بشرف الإسلام ونالوا به مكانةً فائقة... لذا غدت معلوماً تُهم الملفقة كأنها مقبولةٌ ومسلّمٌ بها، فلم تُردّ، بل وجدت أذاناً صاغية لها من دون تنقيد، وذلك لعدم مصادمتها بأصول الإسلام ولأنها كانت تُروى كحكايات لا أهمية لها.. ولكن يا للأسف! قُبِلت تلك الحكايات بعد فترة من الزمن كأنها حقائقٌ وأصبحت سبباً لكثير من الشبهات والشكوك.

إذ إن هذه الإسرائيليات قد تكون مرجعاً لبعض إيهات الكتاب والسنة، ومصدراً لبعض مفاهيمها -بوجود علاقة- إلا أنها لا تكون معنىً للآيات الكريمة والأحاديث الشريفة. بل لو صحّت ربها تكون أفراداً من معاني ما يصدّق عليه مفهوم الآية والحديث. ولكن المفتونين بالظاهر^(١) الذين لم يجدوا -بسوء اختيارهم- مصدراً غيره، ولم يتحرّوا عنه، فسروا قسماً من الآيات والأحاديث بتطبيق الإسرائيليات عليهما. والحال أن الذي يفسّر القرآن ليس إلا القرآن والحديث الصحيح، وإلا فلا يُفسّر القرآن بالإنجيل والتوراة المنسوخة أحكامهما والمحرّفة قصصهما.

نعم، إن المعنى شيءٌ وما يصدّق عليه المعنى شيءٌ آخر. غير أنه أقيم ما يمكن أن يكون مصداقاً لشيءٍ مقام المعنى، فاختلط كثيرٌ من الإمكانيات والاحتمالات مع الوقائع.

ثم لما تُرجمت الفلسفة اليونانية في عصر المأمون، لضمّت إلى الفكر الإسلامي، تلك الفلسفة الناشئة من منبع كثير من الأساطير والخرافات، حملت معها شيئاً من العفونات، وتداخلت في أفكار العرب الصافية، فشوّشت الأفكار إلى حدٍّ ما، وفتحت طريقاً من التحقيق إلى التقليد، كما أنها صرفتهم عن الاستنباط -بقرائهم الفطرية من معدن ماء حياة الإسلام- إلى الافتقار بالتلمذ على تلك الفلسفة المانعة للكمال.

(١) ترد في ثنايا الكتاب اصطلاحات مشابهة لهذا، فتارة: الظاهريون، وأخرى: أهل الظاهر، وأخرى: المغرمون بالظاهر.. الخ. والمقصود: أولئك الذين يولون أهمية لظاهر الشيء دون حقيقته، ولا يمكنهم درك حقيقة الشيء، أو لا يعرفونها معرفة جيدة، أو يتوقفون في ظاهر الشيء أو النص دون تأويله وتوجيهه.

نعم، فكما أن العلماء المحققين دَوَّنوا قواعدَ علوم العربية، عندما فسدت - باختلاط الأعاجم - حفاظاً على سلامة ملكة الكلام المُضْرى؛ كذلك حاول قسمٌ من علماء الإسلام الناقدين فرَزَ الفلسفة وتمييزَ الإسرائيليات لَمَّا دخلتا دائرة الإسلام.

ولكن يا للأسف! لم يوفَّقوا كلياً، فلم يبق الأمر عند حدّه، إذ لما صُرفت الهمة إلى تفسير القرآن الكريم، طُبِقَ عددٌ من الظاهريين منقولَه على بعض الإسرائيليات، ووفَّقوا بين قسم من معقوله والفلسفة المذكورة، لِمَا رَأَوْا من شموله على المنقول والمعقول. وكذا الحديث النبوي، فبدلاً من أن تُستخرج المقاصد من عين الكتاب والسنة استنبط طائفةً مطابقةً وعلاقةً بين بعض نقلياتها الصادقة وبعض الإسرائيليات المحرّفة، وبين عقلياتها الحقيقية وهذه الفلسفة الموهومة المموَّهة، ظناً منهم أن هذه المطابقة والمشابهة تفسيرٌ لمعاني الكتاب والسنة وبيانٌ لمقاصدهما!

كلا.. ثم كلا! لأن مصداق الكتاب المبين إعجازُهُ. والقرآن يفسر بعضه بعضاً، ومعناه فيه، وصدفه دُرٌّ مثله لا قشر. وحتى لو فرض أن القصد من إظهار هذه المطابقة هو تركية ذلك الشاهد الصادق، فهو عبثٌ أيضاً، إذ القرآن المبين أسمى وأغنى من أن يفتقر إلى تركية العقل والنقل اللذين ألقيا إليه المقاليد، لأنه إن لم يركبهما فشهادتهما لا تُسمع.

نعم، يجب البحث عن الثريا في السماء لا في الأرض. فابحث عن معاني القرآن في أصدافه، لا في جيبيك الحاوي على أخلاط، فإنك لن تجدَ شيئاً، وحتى لو وجدتَ فالقرآن يرفضه، إذ لا يحمل طغراءَ البلاغة.

ومن المقرر: أن المعنى هو ما صبَّه الألفاظُ في الصماخ نافذاً في الذهن، منتشراً منه إلى الوجدان، مفتحاً منه أزاهيرُ الأفكار. وإلا فليس هو ما تسرَّب في خيالك من احتمالاتٍ لكثرة توغل أمور أخرى، أو ما سرَّقته وملأتَ جيبيك من أباطيل الفلسفة وأساطير الحكايات، ثم أخفيتَه في معاطف الآيات والأحاديث ثم أظهرته ممسكاً به في يدك تبرزه وتنادي: «هذا هو المعنى، هلموا لأخذه» فيأتيك الجواب: يا هذا! إن المعنى الذي استخرجته مزيف، عليه علامةُ التقليد، يرُدُّه نقاد الحقيقة، وسلطانُ الإعجاز يطرد من ضرب سكتته، وحكيم البلاغة يسجن وهمك في خيالك بشكوى الآية عليك، لِمَا تعرضتَ إلى نظامها ونظام الحديث. وطالبُ

الحقيقة لا يقبله منك حتماً، إذ يقول لك: إن معنى الآية درّ وهذا مدرّ ومفهوم الحديث مُهَج^(١) وهذا هَمَج.

مثّل للتوضيح: من أمثال الأكراد الأدبية أن رجلاً اسمه «علو» كان يسرق العسل، فأشير عليه بأن ستظهر سرقتك وينكشف أمرُك. فجمع الزنابير في كواره، لأجل الخداع والتمويه، فكان يسرق العسل ويدّخره في الكواره، وإذا ما سأله أحد يقول: هذا العسل صنعته نحلي، مهندسُ العسل. ثم يحدث الزنابير بلغة مشتركة بينهما «فِرْزِرْ وَهْ هِنُكِفِينْ رِ مِنْ» أي عليكم الدوي والطين ومني العسل!

فيا أيها المؤول بالتشهي والهوى، لا تتسلّ بهذا التشبيه، فهذا ضربٌ للمثل. إذ المعنى الذي أوردته ليس عسلاً بل سَمّاً، فإن تلك الألفاظ -القرآنية والنبوية- ليست نحلاً بل كالملائكة توحى أرواح الحقائق إلى القلب والوجدان لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد.. إن الحديث النبوي معدن الحياة، ومُلهم الحقائق.

نحصل مما سبق: أن الإفراط والتفريط كلاهما مضران، وربما التفريط أكثر ضرراً إلا أن الإفراط أكثر ذنباً، لأنه يسبب التفريط.

نعم، لقد فُتح بابُ السماح بالإفراط، فاختلطت الأشياءُ المزيفة بتلك الحقائق الرفيعة. ولما شاهد أهل التفريط والنقد غير المنصفين هذه المزيفات بين تلك الحقائق التي لا تقدّر بثمن، ذعروا واشمأزوا، وظنوها كلّها مزيفة تافهة ملوثة، ظلماً وإجحافاً.. كلا وحاش لله...

تُرى لو وجدت نقودَ مزيفة في كنز، أدخلت إليه من الخارج، أو لو شوهد تفاعٌ فاسد سقط إلى بستان من غيره، أمِن الحق والإنصاف عدُّ الكنز كلّهُ مزيفاً، أو البستان كلّهُ فاسداً، ومن ثم تركهما لأنهما ملوثان معيوبان مشوبان؟!!

خاتمة:

أقصد من هذه المقدمة: أن الأفكار العامة تريد تفسيراً للقرآن الكريم.

نعم، إن لكل زمان حكمه، والزمان كذلك مفسّر. أما الأحوال والأحداث فهي كشافة. وإن الذي يستطيع أن يكون أستاذاً على الأفكار العامة هو الأفكار العلمية العامة أيضاً.

(١) مهج: دم القلب، الروح.

فبناءً على هذا واستناداً إليه أُريد تشكيل مجلس شورى علمي، منتخِب من العلماء المحققين، كل منهم متخصص في علم، ليقوموا بتأليف تفسير للقرآن الكريم بالشورى بينهم، تحت رياسة الزمان الذي هو مفسرٌ عظيم، ويجمعوا المحاسن المتفرقة في التفسير، ويهذبوها ويذهبوها.

وهذا الأمر مشروط بأن تكون الشورى مهيمنة في كل شيء، والأفكار العامة مراقبة، وحجية الإجماع حجة عليه.

المقدمة الرابعة

الشهرة تملِّك الإنسان ما لا يملك.

إن من سجايا البشر إسناد الشيء الغريب أو الثمين إلى من اشتهر بجنسه، لإظهاره أصيلاً، أي لأجل أن يروِّج كلامه ويزينه أو لئلا يكذب أو لأغراض أخرى يُحيل نتائج أفكار أمة أو محاسن أطوارها إلى شخص ما - ظلماً وعدواناً - ويشاهد صدورها عنه! بينما ذلك الشخص نفسه من شأنه رد تلك الهدية المهداة له ظلماً وتعسفاً؛ إذ لو عُرض على شهير - في صنعة جميلة أو خصلة راقية - أمرٌ، وقيل له - بغير حق - : «إن هذا من صنع يدك» - مثلاً - فإنه يردّه حتماً ويتبرأ منه ويشمئز، قائلاً حاش لله؛ ذلك لأن نظره النافذ في ما وراء الحُسن الظاهر يبصر إخلال ذلك الأمر بجمال تلك الصنعة الناشئ من تناسقها وانتظامها.

فبناءً على هذه السجية، واستناداً إلى القاعدة المشهورة: «إذا ثبت الشيء ثبت بلوازمه» يضطر الناس إلى إسناد قوة عظيمة وعظمة فائقة وذكاء خارق.. وأمثالها من لوازم خوارق العادات إلى ذلك الشخص الشهير، ليوائِم ما في خيالهم، وليمكن له أن يكون مرجعاً ومصدراً لجميع ما ينسب إليه من أمور خارقة. فيتجسم ذلك الشخص في أذهانهم أعجوبة من أعاجيب الخلق.

فإن شئت فانظر إلى صورة «رستم بن زال» المعنوية، الذي نما في خيال العجم، ترى العجب العجائب. فإنه لما اشتهر بالشجاعة اغتصبَ مفاخر الإيرانيين وأغار عليها بقوة الشهرة، وبحكم الاستبداد الذي لم يتخلص منه الإيرانيون قط. وهكذا ضُخِّمت تلك الشخصية واستُعظمت في الخيالات.

ولما كان الكذب يردفه كذبٌ ويسوق إليه، استلزمت هذه الشجاعةُ الخارقة للعادة، عمراً خارقاً، وقامة خارقة، وما يكتنفهما من لوازمهما!.. حتى تجسم ذلك الخيال في الذهن وهو بصرخ: «أنا نوع منحصر في شخص»، لا من أبناء البشر بل ككائن خرافي يدور في حكايات الناس ويتقدم الخرافات فاتحاً الطريق إلى أمثاله.

يا من يريد رؤية الحقيقة مجردة! أنعم النظر في هذه المقدمة؛ لأن باب الخرافات يفتح من هذا الموضوع، وباب التحقيق «العلمي» ينسدّ به، زد على ذلك ففي هذه الأرض القاحلة الجرداء يضيع على الإنسان أخذُ العبرة من القصة، ويفوته البناء على أسس المتقدمين كما يمليه الترقّي، ولا يتجرأ على التصرف في ميراث الأسلاف ولا الزيادة عليه.

فإن شئت فقل للخواجة نصر الدين(*) الشهير بـ«جحا الرومي»: «أهذه الأقوال الغريبة كلّها لك؟ فيسكون جوابه: «هذه الأقوال تملأ المجلدات، وتحتاج إلى عمر مديد.. وأقوال كلّها ليست من نوادر الكلام، فأنا عالم من العلماء تسعني زكاة ما نسبوا إليّ من أقوال. أما الباقي فأرفضه وأردّه لأنها تقلب ظرافتي إلى التصنع».

فيا هذا! من هذا العرق تنبت الخرافات والموضوعات، ومنه تتفرع، وهو الذي يزيل قوة الصدق.

خاتمة

إن إحساناً يزيد على الإحسان الإلهي ليس بإحسان.

إن حبة من حقيقة تفضل بيدراً من الخيالات.

الاطمئنان والقناعة بالإحسان الإلهي في التوصيف فرض.

يجب ألا يخل بنظام المجتمع من كان داخلاً فيه.

أصل الشيء تبيّنه ثمّرتة. شرف الشيء في ذاته لا في نسله.

إذا اختلطت في بضاعة بضاعة أخرى، فإنها تنقص من قيمة الأولى وإن كانت الثانية قيمة ونفيسة، بل تسبب حجزها.

والآن، بناءً على هذه النقاط، أقول:

إن إسناده قسم من الأحاديث الموضوعة إلى «ابن عباس» رضي الله عنه وأمثاله من الصحابة الكرام، لأجل الترويج أو الترهيب، إثارة للعوام وحضاً لهم، إنها هو جهل عظيم. نعم، إن الحق مستغنٍ عن هذا، والحقيقة غنية عنه؛ فنورُهما كافيان لإنارة القلوب. تسعنا الأحاديث الصحيحة المفسرة الحقيقية للقرآن الكريم، ونثق بها ونطمئن إلى التواريخ الصحيحة الموزونة بميزان المنطق.

المقدمة الخامسة

إذا وقع المجاز من يد العلم إلى يد الجهل ينقلب إلى حقيقة، ويفتح الباب للخرافات. (١)
فالمجازات والتشبيهات إذا ما اقتطعتها يسأُرُ الجهل المظلم من يمين العلم المنور، أو استمرتا وطال عمرُهما، انقلبتا إلى «حقيقة» مستفرغة من الطراوة والندوة، فتصير سراباً خادعاً بعدما كانت سراباً زللاً، وتصبح عجوزاً شمطاء بعدما كانت فاتنة حسناء.

نعم، إن شعلة الحقيقة إنما تتلمع من المجاز بشفافيته. ولكن بتحوّله إلى حقيقة يُصبح كثيفاً قاتماً يحجب الحقيقة الأصلية. فهذا التحول قانون فطري، فإن أردت شاهداً عليه فراجع أسرار تجدد اللغات وتغيراتها، والاشتراك والترادف في الأمور. أنصت إليها جيداً تسمع حتماً أن كثيراً من الكلمات أو الحكايات أو الخيالات أو المعاني التي كان السلف يتذوقونها، لم توافق الرغبات الشابة لدى الخلف، لأنها غدت عجوزاً لا زينة لها. لذا أصبحت سبباً لدفعهم إلى ميل التجدد والرغبة في الإيجاد، والجرأة على التغيير.

هذه القاعدة جارية في اللغات مثلما هي جارية في الخيالات والمعاني والحكايات. ولهذا لا ينبغي الحكم على أي شيء بظاهره؛ إذ من شأن المحقق:

سبر غور الموضوع.. والتجرد من المؤثرات الزمانية.. والغوص في أعماق الماضي.. ووزن الأمور بموازين المنطق.. ووجدان منبع كل شيء ومصدره.

ومما أطلعني على هذه الحقيقة ودلّني عليها هو حدوث خسوف القمر زمن صباي، إذ

(١) فصلت هذه المسألة في اللمعة الرابعة عشرة.

سألتُ والدتي عنه، فأجابت: لقد ابتلع الثعبانُ القمرَ. فقلت: فلم يشاهد القمر؟ قالت: إن ثعابين السماء شبه شفافة.

فانظر كيف تحول التشبيه إلى حقيقة! فحجبت حقيقة الحال، إذ شبه أهل الفلك تقاطع مائل القمر بمنطقة البروج في الرأس والذنب بثعبانين أو تينين؛ حيث إن القمر أو الشمس إذا أتى أحدهما إلى الرأس والآخر إلى الذنب وتوسطتهما الأرض، يخسف القمر.

يا من لا يسأم من كلامي المختلط هذا! أنعم النظر أيضاً في هذه المقدمة وانظر إليها بدقة متناهية، فكثيرٌ جداً من الخرافات والخلافات، إنما تنشأ من هذا الأصل. فينبغي الاسترشاد بالمنطق والبلاغة.

خاتمة:

يجب أن يكون للمعنى الحقيقي ختمٌ خاص وعلامة واضحة متميزة، والمشخص لتلك العلامة هو الحُسن المجرد الناشئ من موازنة مقاصد الشريعة.

أما جواز المجاز فيجب أن يكون على وفق شروط البلاغة وقواعدها، وإلا فروية المجاز حقيقةً والحقيقة مجازاً، أو إراءتهما هكذا، إمدادٌ لسيطرة الجهل ليس إلّا.

إن ميل التفريط من شأنه حمل كل شيء على الظاهر.. حتى لينتهي الأمرُ تدريجياً إلى نشوء مذهب الظاهرية مع الأسف. وإن حبَّ الإفراط من شأنه النظرُ إلى كل شيء بنظر المجاز، حتى لينتهي الأمرُ تدريجياً إلى نشوء مذهب الباطنية الباطل. فكما أن الأول مضر فالثاني أكثر ضرراً منه بدرجات.

والذي يبين الحدّ الأوسط ويحدّ من الإفراط والتفريط إنما هو فلسفة الشريعة مع البلاغة، والحكمة مع المنطق.

نعم، أقول: الحكمة (الفلسفة) لأنها خير كثير مع تضمناها الشر، إلا أنه شرٌّ جزئي. ومن الأصول المسلّمة أنه يلزم اختيار أهون الشرين، إذ ترك ما فيه خيرٌ كثير لأجل شرٍّ جزئي فيه يعني القيامَ بشر كثير.

نعم، إن الحكمة القديمة (الفلسفة القديمة) خيرها قليل، خرافاتها كثيرة، حتى نهي

السلف - إلى حد ما - عنها، حيث الأذهانُ كانت غير مستعدة، والأفكار مقيدة بالتقليد، والجهل مستول على العوام. بينما الفلسفة الحاضرة فخيرُها كثير - من جهة المادة - بالنسبة للقديمة، وكذبها وباطلها قليل. والأفكار حرة في الوقت الحاضر، والمعرفة مسيطرة على الجميع. وفي الحقيقة، لا بد أن يكون لكل زمان حكمه.

المقدمة السادسة

إن كل ما يردُّ في التفسير - مثلاً - لا يلزم أن يكون منه، فالعلم يمدّ بعضه بعضاً. فما ينبغي التحكُّم (في الرأي)؛ إذ من المسلّمات: أن الماهر في مهنة الهندسة، ربما يكون عامياً وطفيلياً في مهنة أخرى كالطب، ودخيلاً فيها... ومن القواعد الأصولية: أنه لا يعدّ من الفقهاء مَنْ لم يكن فقيهاً، وإن كان مجتهداً في أصول الفقه، لأنه عامي بالنسبة إليهم... وكذلك من الحقائق التاريخية: أن الشخص الواحد لا يستطيع أن يتخصص في علوم كثيرة؛ إلا من كان فذاً، فيستطيع أن يتخصص في أربعة أو خمسة من العلوم، ويكون صاحب ملكة فيها.

فمن ادعى الكلّ فاته الكل؛ لأن لكل علم صورةً حقيقية، وبالتخصص تتمثل صورته الحقيقية؛ إذ المتخصص في علم إن لم يجعل سائر معلوماته متممة وممدّة له، تمثلت من معلوماته الهزيلة صورة عجيبة.

لطفية افتراضية للتوضيح: لو افترض مجيء مصوّر إلى هذه الأرض من عالم آخر لم يكن قد شاهد صورة كاملة للإنسان ولا غير إنسان من الأحياء، وربما رأى عضواً من أعضاء كل منها... فإذا أراد هذا المصور تصوير إنسان، مما شاهد منه من يد ورجل وعين وأذن ونصف الوجه وأنف وعمامة وأمثالها، أو أراد تصوير حيوان مما صادف نظره من ذيل حصان وعنق جمل ورأس أسد، فالمشاهدون يتهمون المصور في عمله لأن عدم وجود تناسق وانسجام وامتزاج بين الأعضاء يحول دون وجود كائن حي كهذا وسيقولون: إن شروط الحياة لا تسمح لمثل هذه الأعاجيب.

فهذه القاعدة نفسها تجري في العلوم.. والعلاج هو اتخاذ المرء أحد العلوم أساساً وأصلاً، وجعل سائر معلوماته حوضاً تخزن فيه.

ومن العادات المستمرة أن علوماً كثيرة تتزاحم في كتاب واحد، فبسبب تعانقها وتجاوبها بإمداد بعضها بعضاً وإنتاج بعضها بعضاً، يحصل تشابك إلى حد كبير، بحيث لا تكون نسبة مسائل العلم الذي أُلّف الكتاب فيه إلّا زكاة محتواه. فالغفلة عن هذا السرّ تؤدي بالظاهري أو الغوغائي المغالط إلى أن يقول محتجاً به: «الشرعة هي هذه، وهذا هو التفسير!» إذا ما يرى مسألة ذُكرت استطراداً في تفسير أو كتاب فقه. وإن كان صديقاً يقول: «مَنْ لم يقبل بهذا فليس بمسلم!» وإن كان عدواً يقول محتجاً به: «الشرعة أو التفسير خطأ» حاش لله.

أيها المُفَرِّطون والمفَرِّطون! إن التفسير والشرعة شيءٌ وما أُلّف فيهما من كتب شيءٌ آخر، فالكتاب يسعُ الكثير. ففي حانوت الكتاب أشياء تافهة غير الجواهر النادرة.

فإن استطعت أن تفهم هذا، تنجّ من التردد. فانتبه! فكما لا تُشترى لوازم البيت المتنوعة من صناع واحد فقط، بل يجب مراجعة المختص في صنعة كل حاجة من الحاجات؛ كذلك لا بد من توفيق الأعمال والحركات مع ذلك القانون الشامخ بالكمالات (قانون الفطرة). ألا يُشاهد أنّ من انكسرت ساعته، إذا راجع خياطاً لحياطتها فلا يقابل إلّا بالهزء والاستخفاف؟

إشارة: إن أساس هذه المقدمة هو: أن الامتثال والطاعة لقانون التكامل والراقي للصانع الجليل -الجارى في الكون على وفق تقسيم الأعمال- فرضٌ وواجب، إلّا أن الطاعة لإشارته ورضاه سبحانه الكامنين في ذلك القانون لم يوفَّ حقَّهما. علماً أن يد عناية الحكمة الإلهية -التي تقتضي قاعدة تقسيم الأعمال- قد أودعت في ماهية البشر استعدادات وميولاً، لأداء العلوم والصناعات التي هي في حكم فرض الكفاية لشرعية الخَلقة (السنن الكونية).

فمع وجود هذا الأمر المعنوي لأدائهما، أضَعْنَا بسوء تصرفنا الشوق -الممدد للميل، المنبعث من ذلك الاستعداد- وأطفأنا جذوته بهذا الحرص الكاذب، وبهذه الرغبة في التفوق التي هي رأسُ الرياء! فلا شك أنّ جزاء العصي جهنم، فعُدَّ بئنا بجهنم الجهل، لأننا لم نمثّل أوامر الشرعة الفطرية التي هي قانونُ الخَلقة.. وما ينجمنا من هذا العذاب إلّا العمل على وفق قانون «تقسيم الأعمال»؛ فقد دخل أسلافنا جنان العلوم بالعمل على وفق تقسيم الأعمال.

خاتمة:

كما لا يكفي مجرد دخول غير المسلم المسجدَ لاعتناقه الإسلام، كذلك دخول مسألة من مسائل الفلسفة أو الجغرافية أو التاريخ وأمثالها في كتب التفسير أو الفقه، لا يجعل تلك المسألة من التفسير أو الشريعة قطعاً.

ثم إن حُكَمَ مفسّر أو فقيه - بشرط التخصص - يُعدّ حجة في التفسير فقط أو في الفقه فحسب. وإلاّ فهو ليس بحجة في الأمور التي دخلت خِلسةً في كتب التفسير أو الفقه، لأنه يمكن أن يكون دخيلاً في تلك الأمور. ولا عتاب على الناقل. ومن كان حجةً في علم وناقلاً في علوم أخرى، فاتخاذ قوله فيها حجة أو التمسك بقوله فيها من قبيل الدعوى ما هو إلاّ إعراض عن القانون الإلهي المستند إلى تقسيم المحاسن وتوزيع المساعي.

ثم إنه مسلّم منطقيّاً: أن الحكم يقتضي تصور «الموضوع» و«المحمول»^(١) بوجهٍ ما فقط، أما سائر التفاصيل والشروح فليس من ذلك العلم، وإنما من مسائل علم آخر.

ومن المقرر أنه: لا يدل «العام» على «الخاص» بأيّ من الدلالات الثلاث الخاصة.^(٢)

فمثلاً: إن أعظم مجافاة للمنطق النظر إلى تأويل الآية الكريمة ﴿بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ (الكهف: ٩٦) في تفسير البيضاوي، نظراً جازمة أنه: بين جبال أرمينيا وأذربيجان. إذ هو -أساساً- ناقل. فضلاً عن أن تعيينه ليس مدلول القرآن، فلا يعدّ من التفسير. لأن ذلك التأويل تشريحٌ مستند إلى علم آخر لقيد واحد من قيود الآية الكريمة. وكذلك ظلم وإجحاف بحق ذلك المفسر الجليل وبرسوخ قدمه في العلم في تفسيره المذكور اتخاذ أمثال هذه النقاط الضعيفة فيه ذريعةً لبث الشبهات حوله. فحقائق التفسير الأصلية والشريعة واضحة جلية، وهي تتلأأ كالنجوم. فما الذي يدفع عاجزاً مثلي على الجرأة غير ما في تلك الحقائق من وضوح وقوة.

فادّعي وأقول: إذا دُفّق النظر في كل حقيقة من الحقائق الأساسية في التفسير والفقه،

(١) مثال: الإنسان ناطق. فالإنسان هنا موضوع والناطق محمول. فوصف الناطق قد حمل على الإنسان.

(٢) وهي دلالة المطابقة والتضمن والالتزام، لأن اللفظ الدال بالوضع يدل على تمام ما وضع له بالمطابقة، وعلى جزئه بالتضمن، وعلى ما يلزمه في الذهن بالالتزام؛ كالإنسان، فإنه يدل على تمام الحيوان الناطق بالمطابقة، وعلى جزئه بالتضمن، وعلى قابل العلم بالالتزام. (التعريفات).

يشاهد أنها نابعة من الحقيقة، موزونة بميزان الحكمة، وتمضى إلى الحق وهي حقٌّ. فالشبهات الواردة -مهما كانت- ناشئة من أذهان مهذارٍ ثم اختلطت بتلك الحقائق. فمن كانت لديه شبهة حول حقائق التفسير الأصلية، فهذا ميدان التحدي، فليبرز إلى الميدان.

المقدمة السابعة

المبالغة تشوش الأمور وتبلبلها.

لأن من سجايا البشر مزج الخيال بالحقيقة بميل إلى الاستزادة في الكلام فيما التذّبه، والرغبة في إطلاق الكلام جزافاً فيما يصف، والانجذاب إلى المبالغة فيما يحكى. وبهذه السجية السيئة يكون الإحسان كالإفساد، ومن حيث لا يعلم يتولد النقصان من حيث يزيد، وينجم الفساد من حيث يصلح، وينشأ الدم من حيث يمدح، ويتولد القبح من حيث يحسن.. وذلك لإخلاله -من حيث لا يشعر- بالحُسن الناشئ من الانسجام والموازنة (في المقاصد).

فكما أن الاستزادة من دواء شاف قلباً له إلى داء؛ كذلك المبالغون في الترهيب، والتهريب، المستغني عنها الحق؛ كجعل الغيبة كالقتل، أو إظهار التبول وقوفاً بدرجة الزنا، أو التصديق بدرهم مكافئاً لحجّة... وأمثالها من الكلمات غير الموزونة التي يُطلقها المبالغون... إنما يستخفون بالزنا والقتل ويهوّنون شأن الحج.

فبناءً على هذا لا بد أن يكون الواعظ حكيماً، وذا دراية بالمحاكمات العقلية.

نعم، إن الوعاظ الذين لا يملكون موازين، ويطلقون كلامهم جزافاً، قد سببوا حجب كثير من حقائق الدين النيرة.

فمثلاً: الزيادة التي زيدت في معجزة انشقاق القمر الباهرة بالمبالغة في الكلام، وهي أن القمر قد نزل من السماء ودخل تحت إبط الرسول ﷺ ثم رجع إلى السماء... هذه الزيادة، جعلت تلك المعجزة الباهرة كالشمس، مخفية كنجم السهوى، وجعلت ذلك البرهان للنبوة الذي هو كالقمر مخسوفاً، وفتحت أبواب حجج تافهة للمنكرين.

حاصل الكلام: يجب على كل محبٍ للدين وعاشق للحقيقة: الاطمئنان بقيمة كل شيء وعدم إطلاق الكلام جزافاً وعدم التجاوز؛ إذ المبالغة افتراء على القدرة الإلهية، وهي

فقدان الثقة بالكمال والحسن في العالم واستخفاف بها والذين ألجأ الإمام الغزالي إلى القول: «ليس في الإمكان أبدع مما كان»^(١).

أيها السيد المخاطب! قد يؤدي التمثيل أيضاً ما يؤديه البرهان من عمل؛

فكما أن لكل من الألماس والذهب والفضة والرصاص والحديد قيمتها الخاصة، وخاصيتها الخاصة بها، وهذه الخواص تختلف، والقيم تتفاوت... كذلك مقاصد الدين تتفاوت من حيث القيمة والأدلة. فإن كان موضع أحدها الخيال، فموضع الآخر الوجدان والآخر في سر الأسرار. إن من يعطي جوهرة أو ليرة ذهبية في موضع فلس أو عشر بارات، يُحجّر عليه لسفّهه، ويمنع من التصرف في أمواله. وإذا انعكست القضية فلا يُسمع إلا كلمات الاستهزاء والاستخفاف؛ إذ بدلاً من أن يكون تاجراً صار محتالاً يُسخر منه. كذلك الأمر في من لا يميز الحقائق الدينية ولا يعطي لكل منها ما يستحقه من حق واعتبار، ولا يعرف سكة الشريعة وعلامتها في كل حكم. كل حكم شبيهٌ بجزء من ترس يدور على محوره لمعمل عظيم. فالذين لا يميزون يعرقلون تلك الحركة، مثلهم في هذا كمثل جاهل شاهد ترساً صغيراً لطيفاً في مائدة جسيمة، وحاول الإصلاح وتغيير ذلك الوضع المتناسق. ولكن لعدم رؤيته الانسجام الحاصل بين حركة الترس الصغير والمائدة الكبيرة وجهله بعلم المكائن، فضلاً عن غرور النفس الذي يغريه ويخدعه بنظره السطحي؛ تراه يخلّ بنظام العمل من حيث لا يشعر ويكون وبالاً على نفسه.

زبدة الكلام: إن الشارع سبحانه وتعالى قد وضع سكوته وختمه المعتمد على كل حكم من أحكام الشرع. ولا بد من قراءة تلك السكة والختم. فذلك الحكم مستغن عن كل شيء سوى قيمته وسكوته. فهو في غنى عن تزيين وتصرف الذين يلهثون وراء المبالغين والمغالين والمنمقين للفظ. وليعلم هؤلاء الذين يطلقون الكلام جزافاً، كم يكونون ممقوتين في نظر الحقيقة في نصيحهم الآخرين. فمثلاً: لم يكتف أحدهم بالزجر الشرعي لتنفير الناس عن المسكرات فقال كلاماً أمام جمع غفير من الناس أخجل من كتابته، وقد شطبته بعد كتابته.

فيا هذا! إنك بكلامك هذا تعادي الشريعة! وحتى إن كنت صديقاً فلا تكون إلا صديقاً أحمق، وأضرّ على الدين من عدوه.

(١) انظر: الغزالي، إحياء علوم الدين ٢٥٨/٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء ٣٣٧/١٩؛ الشعراني، الطبقات الكبرى ١٠٥/٢؛ المناوي، فيض القدير ٢/٢٢٤، ٤/٤٩٥.

خاتمة:

أيها الظالمون الذين يحاولون جرح الإسلام ونقده من بعيد، من الخارج! زنوا الأمور بالمحاكمة العقلية. ولا تنخدعوا ولا تكتفوا بالنظر السطحي؛ فهؤلاء الذين أصبحوا سبباً لأعدائكم الواهية - في نقد الإسلام - يسمّون بلسان الشريعة «علماء السوء». فانظروا إلى ما وراء الحجاب الذي ولّده عدم موازنتهم الأمور، وتعلّقهم الشديد بالظاهر، سترون أن كل حقيقة من حقائق الإسلام برهان نير كالنجم الساطع، يتلأأ عليه نقش الأزل والأبد.

نعم، إن الذي نزل من الكلام الأزلي يمضي إلى الأبد والخلود. ولكن -يا للأسف- يلقي أحدهم ذنوبه على الآخرين ليبرئ نفسه، وما ذلك إلا من حبه لها وانحيازها إليها ومن عجزه وأنانيته وغروره. وهكذا يُسند كلامه الذي يحتمل الخطأ أو فعله القابل للخطأ إلى شخص معروف، أو إلى كتاب موثوق، بل حتى أحياناً إلى الدين، وغالباً إلى الحديث الشريف، وفي نهاية المطاف إلى القدر الإلهي، وما يريد بهذا إلا تبرئة نفسه.

حاش لله ثم حاش لله! فلا يردّ الظلام من النور. وحتى لو ستر النجوم المشاهدة في مرآته لا يستطيع ستر نجوم السماء، بل هو العاجز عن الرؤية والإبصار.

أيها السيد المعارض! إنه ظلم فاضح جعل الشبهات الناشئة من سوء فهم الإسلام، والأحوال المضطربة الناشئة من مخالفة الشريعة، ذريعة لتلويث الإسلام... وما هذا إلا كالعُدو الذي يتذرّع لأي سبب كان للانتقام والثأر، أو مثل الطفل الذي يروم البكاء لأتفه سبب. إذ إن كل صفة من صفات المسلم لا يلزم أن تكون ناشئة من الإسلام.

المقدمة الثامنة

تمهيد:

لا تَمَلَّ من هذه المقدمة الطويلة الآتية، لأن ختامها في منتهى الأهمية، فضلاً عن أنها تزيل اليأس -المُبيد لكل كمال- وتبعث الحياة في الأمل -الذي هو جوهر كل سعادة وخيرتها- وتبشّر بأن المستقبل سيكون لنا والماضي لغيرنا.. رضينا بالقسمة، وها هو ذا موضوعها:

عقد موازنة بين أبناء الماضي والمستقبل، فالمدارس العليا لا تُقرأ فيها الألقاب، ومهما عظمت ماهية العلم فإن صورةً تدريسها غيرُ ماهيتها.^(١)

نعم، إن الماضي مدرسةُ الأحاسيس والمشاعر المادية، بينما المستقبلُ هو مدرسة الأفكار... فهما ليسا على طراز واحد.

وأقصد من أبناء الماضي أولاً: القرون الأولى والوسطى لما قبل القرن العاشر لغير المسلمين. أما الأمة الإسلامية فهي خير أمة في القرون الثلاث الأولى، وأمةٌ فاضلة عامةً إلى القرن الخامس، وما بعده حتى القرن الثاني عشر أعبر عنه بالماضي. أما المستقبل فأعده ما بعد القرن الثاني عشر.

وبعد هذا فمن المعلوم أن الغالب على تدبير شؤون الإنسان، إما العقل أو البصر، وتعبير آخر: إما الأفكار أو الأحاسيس المادية. أو إما الحق أو القوة. أو إما الحكمة أو الحكومة. أو إما الميول القلبية أو التمايلات العقلية. أو إما الهوى أو الهدى.

وعلى هذا نشاهد أن أخلاق أبناء الماضي الحاملة شيئاً من الصفاء، وأحاسيسهم الخالصة إلى درجة، قد استخدمت أفكارهم غير المنورة وسيطرت عليها، فبرزت الشخصيات وسادت الاختلافات... بينما أفكارُ أبناء المستقبل المنورة - إلى حد - قد تغلبت على أحاسيسهم المظلمة بالهوى والشهوة وسخرتها لأمرها، فتحققت أن السيادة تكون للحقوق العامة، فتجلّت الإنسانية إلى حد ما. وهذا يبشر بأن الإسلام الذي هو الإنسانية الكبرى سيسطع كالشمس في رابعة النهار في سماء المستقبل وعلى جنان آسيا.

ولما كانت الأحاسيسُ المادية والميول والرغبات والقوة التي أنشأت الأغراضَ النفسانية والخصوماتِ وميلَ التفوق على الآخرين مسيطرةً على أودية الماضي كان الإقناع الخطابي كافياً لإرشاد أهل ذلك الزمان، لأن تصوير المدعى وتزيينه وتهويله وتأنيسه إلى الخيال يداعب الأحاسيس ويؤثر في الميول والرغبات، فكان هذا يسدّ مسدّ البرهان. بيد أن قياس أنفسنا عليهم يعني التحرك إلى الخلف وإقحاماً لنا في زوايا ذلك الزمان؛ إذ لكل زمان حكمه... نحن نطلب الدليل، ولا نتخذه بتصوير المدعى وتزيينه.

(١) لعل المقصود أن طريقة تقديم العلم تختلف باختلاف الأزمان، فما يتعلمه المبتدئون غير ما يتعلمه الواصلون إلى المراحل العليا، وما عرفه أبناء الماضي غير ما ينبغي أن يعرفه أبناء الحاضر والمستقبل.

ولما كان مصدرُ تبخّر حقائق الحكمة في صحراء الوقت الحاضر والباعث بالسحاب المطر إلى جبال المستقبل، هو الأفكار والعقل والحق والحكمة والتي ولدت حديثاً ميلَ التحري عن الحقيقة، وعشق الحق، وترجيح المنفعة العامة على الخاصة، وظهور رغبات إنسانية؛ لذا لا يثبت المدعى بغير البراهين القاطعة... فنحن أبناء الحال الحاضرة والمرشحين للمستقبل لا يشبع أذهاننا تصويرُ المدعى وتزيينه بل نطلب البرهان.

فلنذكر قليلاً من حسنات وسيئات الماضي والمستقبل اللذين هما في حكم سلطانيين.

ففي ديار الماضي كان السائد في الأغلب هو: القوة، والهوى، والطباع، والميول، والأحاسيس... لذا فإن إحدى سيئاته أنه كان هناك في كل أمر من أموره -ولو بصورة عامة- تحكّم واستبداد وظهورُ محبة شخص على حساب خصومة آخر.. وغلبة خصومة مسلّك الآخرين على محبة مسلكه.. ومداخلة الالتزام والتعصب.. والانحياز المانع عن كشف الحقيقة. حاصل الكلام: لما كانت الميول متفاوتة فإن تدخل الشعور بالانحياز في كل شيء، ونشوء التبليل بالاختلافات جعل الحقيقة تهرب وتختفي.

ثم إن من سيئات استبداد الأحاسيس، تأسيس المسالك والمذاهب غالباً على التعصب وتضليل الآخرين، أو على السفسطة.. بينما هذه الثلاثة مذمومة في نظر الشرع، منافية للأخوة الإسلامية، مفرقة للانتساب الجنسي (الإنساني)، مخالفة للتعاون الفطري لدرجة أن أحد هؤلاء يضطر في النهاية إلى تبديل مذهبه ومسلكه دفعةً، مصداقاً لإجماع الناس وتواترهم تاركاً التعصب والسفسطة. بينما إذا ما عمل ابتداءً بالحق بدلاً من التعصب، وبالبرهان بدلاً من السفسطة، وبالتوفيق والتطبيق بدلاً من تضليل الآخرين، وطبق الشورى، فلا يمكن أن يبدل مذهبه ومسلكه الحق ولو بجزء منها حتى لو اتفقت الدنيا عليه.

ولما كان المهيمن هو الحق والبرهان والعقل والشورى في خير القرون وعصور السلف الصالح، لم يكُ للشكوك والشبهات موضع. كذلك نرى أنه بفضل انتشار العلوم في الوقت الحاضر وهيمتها بصورة عامة -وفي المستقبل هيمنة تامة إن شاء الله- سيكون المهيمن هو الحق بدلاً من القوة، والبرهان بدلاً من التعصب والسفسطة، والحمية بدلاً من الأحاسيس المادية، والعقل بدلاً من الطبع، والهدى بدلاً من الهوى، كما كان الحال في

القرون الأولى والثانية والثالثة وحتى إلى القرن الخامس عامة. أما بعد القرن الخامس إلى الآن فقد غلبت القوة الحق.

ومن محاسن سلطان الأفكار أن تخلصت شمس الإسلام مما كان يحجبها من غيوم الأوهام والخيالات، بل أخذت كل حقيقة منها بنشر نورها، حتى المتعنفون في مستنقع الإلحاد أخذوا يستفيدون من ذلك النور.

ومن محاسن مشاورة الأفكار تأسس المعتقدات والمسالك على البراهين القاطعة، وربط الحقائق بالحق الثابت الممدد للكمالات كلها، مما يؤدي إلى عدم تمويه الأفكار وخداعها بلباس الباطل لباس الحق!

أيها الإخوة المسلمون!

إن الوضع الحاضر يشيرنا بلسان الحال أن مضمون: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ (الإسراء: ٨١) قد أشرأب بعنقه ويشير بيده إلى المستقبل منادياً بأعلى صوته:

إن الحاكم على الدهر وعلى طبائع البشر إلى يوم القيامة هو «حقيقة الإسلام» التي هي تجلي العدالة الأزلية في عالم الكون، والتي هي الإنسانية الكبرى. وما محاسن المدنية التي هي الإنسانية الصغرى إلا مقدمتها! ألا يشاهد أنه قد خفف تلاحق الأفكار وتنورها عن كاهل حقائق الإسلام طبقات تراب الأوهام والخيالات. وهذا يبين أن ستنكشف تماماً تلك الحقائق التي هي نجوم سماء الهداية وستلأ وتسطع على رغم أنوف الأعداء.

وإذا شئت فاذهب إلى المستقبل وادخل فيه وشاهد كيف يهذر وينهزم في ميدان الحقائق -التي تحكمها وترعاها الحكمة- من يتحرى التوحيد في الثلاث فيما لو بارز المتمسكين بالعقيدة الحق، المتقلدين سيف البرهان، تلك العقيدة التي يرضاها التوحيد الخالص، والاعتقاد الكامل، والعقل السليم.

أقسم بالقرآن العظيم ذي الأسلوب الحكيم، أنه ما ألقى النصارى وأمثالهم في وديان الضلالة نافخاً فيهم الهوى إلا عزل العقل وطرده البرهان وتقليد الرهبان..

وما جعل الإسلام يتجلى دوماً، وتتكشف حقائقه وتنسبط بنسبة انبساط أفكار البشر

إلّا تأسّسه على الحقيقة وتقلّده البرهان ومشاورته العقل واعتلاؤه عرش الحقيقة ومطابقته دساتير الحكمة المتسلسلة من الأزل إلى الأبد ومحاكاته لها.

ألا يشاهد كيف يحيل القرآن الكريم في فواتح أكثر الآيات وخواتمها البشر إلى مراجعة الوجدان واستشارة العقل بقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ ﴾ و ﴿ فَأَنْظُرُوا ﴾ و ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ ﴾ و ﴿ نَنْفَكُرُوا ﴾ و ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ و ﴿ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ و ﴿ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ و ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَأْتُولِي الْآبْصَرِ ﴾ (الحشر: ٢).

وأنا أقول أيضاً: فاعتبروا يا أولى الألباب.

خاتمة:

فيا أولى الألباب! انفذوا من الظاهر إلى الحقيقة فهي تنتظركم، وإذا ما شاهدتموها فلا تؤذوها. هكذا ينبغي، وهذا هو الألزم.

المقدمة التاسعة

لقد تحققت لدى العقول السليمة:

أن الخير هو الأصل في العالم، أما الشر فهو تبعي، فالخير كلي والشر جزئي.

إذ يشاهد أنه قد تكوّن -وما زال يتكوّن- علم خاص لكل نوع من أنواع العالم؛ والعلم عبارة عن قواعد كلية. فإذا كانت الكلية قاعدة، فهي إذن كشافة عن حسن الانتظام في ذلك النوع. أي إن كل علم من العلوم شاهد صادق على حسن الانتظام.

نعم، الكلية دليل على الانتظام، لأن ما لا انتظام فيه لا كلية لحكمه، بل يكون هزلاً لكثرة استثناءاته. والذي يزكي هذا الشهود الاستقراء التام^(١) بنظر الحكمة. إلّا أنه أحياناً لا يُرى الانتظام، لسعة دائرته عن أفق النظر، فلا يمكن الإحاطة به ولا تصوّره، وعندئذ يصعب أن يبين النظام نفسه.

وبناءً على ما سبق: فقد ثبت بشهادة العلوم جميعها، وبتصديق الاستقراء التام الناشئ من نظر الحكمة: أن الحسن والخير والحق والكمال، هو المقصود بالذات والغالب المطلق في

(١) الاستقراء التام: الحكم على الكلي بما يوجد في جزئياته جميعها أو في بعض أجزائه. (التعريفات).

خلق العالم. أما الشر والقبح والباطل، فهي أمور تبعية ومغلوبة ومغمورة، وحتى لو كانت لها الصولة فهي صولة موقته.

وقد ثبت أيضاً: أن أكرم الخلق بنو آدم؛ تشهد له استعداداته ومهاراته...

وأن أشرف بني آدم هم المسلمون الصادقون، وهم أهل الحق والحقيقة، تشهد لهم حقائق الإسلام، كما ستصدقهم وقائع المستقبل.

وثبت أيضاً: أن أكمل الكل هو محمد ﷺ، تشهد له معجزاته وأخلاقه السامية، كما يصدقها علماء البشر المحققون، بل يسلم له أعداؤه، وعليهم أن يسلموا.

فإذ هذه الثلاثة هكذا، أيقدر نوع البشر بشقاوته على جرح شهادة تلك العلوم، ونقض الاستقراء التام، والتمرد على مشيئة ربه؟.. كلا.. لا يقدر ولن يقدر.

أقسم باسم الرحمن الرحيم العادل الحكيم، أن البشرية لن تستطيع أن تهضم بسهولة وسلامة، الشرَّ والقبح والباطل، ولن تسمح لها الحكمة الإلهية. لأن من يتعدى على حقوق الكائنات العامة لا يُعفى عنه، ولا يُسمح بعدم إنزال العقاب عليه.

نعم، إن تغلب الشر طوال ألوف السنين، لا يؤدي إلا إلى مغلووية مطلقة لألف سنة في الأقل، محصورة في الدنيا... أما في الآخرة فسيحكم الخير على الشر بالإعدام الأبدي! وإلا - لو لم يكن الأمر هكذا - فإن سائر الأنواع والأجناس المنظمة المكملة المنقادة للأوامر الإلهية المنتظمة، لا يقبلون بين ظهرائهم هذا الإنسان الشقي الكنود، بل يُسقطون حقَّ وجوده بينهم، وينفونه إلى مأوى العدم والظلمات، ويطردونه من وظيفة الخلق الفطرية. لأن غلبة الشر على الخير تستلزم عبثة القابليات والميول المودعة في استعدادات البشر ليسود العالم وينال السعادة الأبدية في الآخرة، والحال أن العبتَ مناقض للاستقراء التام، كما أنه منافٍ لحكمة الصانع الحكيم، ومخالف لحكم النبي الصادق الأمين ﷺ.

وسيُصفي المستقبلُ قسماً من هذه الدعاوى، أما تصفيئها النهائية فستشاهد في الآخرة، ذلك لأن المستقبل هو ميدان تغلب الحسنِ والحقِ النوعي والعمومي، بغض النظر عن الأشخاص. فإن متنا، فأمتنا باقية.. لا نرضى بالظهور والنصر لأربعين سنة بل نريد ألفاً من السنين في الأقل.

أما ميدانُ تغلبِ الحسنِ والحقِّ والخيرِ والكمالِ الشخصيِّ والعامِ، والجزئيِّ والكليِّ، ومحكمتهُ الكبرى التي تجازى فيها البشر -كسائر إخوانه من الكائنات المنقادة- ويُكافأ بها يوافق وينسجم مع استعداداته، فهو الدار الآخرة؛ إذ يتجلى فيها الحق والعدالة المحضة.

نعم، إن هذه الدنيا الضيقة لا تسع ولا تلائم نموَّ وتزاهُر ما أُودع في جوهر البشر من استعدادات غير محدودة وميول ورغبات مخلوقة للأبد. لذا يُبعث إلى عالم آخر كي تُربى وتكمل تلك الميول والاستعدادات.

إن جوهرَ الإنسان جليل، وماهيته رقيقة، وجناته كذلك عظيمة، وطاعته وانقياده مهمة. فهو لا يشبه سائر الكائنات، لذا لا يمكن أن لا ينتظم مع الكائنات ولا ينقاد للأوامر. نعم، إن المرشَّح للأبد عظيم، لن يُترك سدى، ولا يكون عبثاً، ولا يُحكم عليه بالفناء المطلق، ولا يهرب إلى العدم الصرف.. بل جهنمُ فاعرةٌ فاهاً، والجنة قد فتحت ذراعيها اللطيفتين لاحتضانه.

خاتمة:

إن مستقبل الإسلام وآسيا باهرٌ وفي غاية السطوع واللمعان، كما يترأى من بعيد. لأن هناك أربعاً أو خمساً من القوى، تتفق -بها لا يمكن مقاومتها- على سيادة الإسلام المهيمن أولاً وآخرأً على آسيا:

القوة الأولى: قوة الإسلام الحقيقية المدعومة بالمعرفة والمدنية.

القوة الثانية: الحاجة المجهزة بتوافر الوسائل وتكمل المبادئ والأسباب.

القوة الثالثة: المنافسة والغلبة والغيظ المضمّر، هي أمور تهيج الصحوّة العامة الناشئة من رؤية آسيا في منتهى السفالة وغيرها في منتهى الرفاه.

القوة الرابعة: استعداد الفطرة المجهّز بتوحيد الكلمة، الذي هو دستور الموحّدين.. وبدمائه الخلق والاعتدال، الذي هو خاصة الوضع الحاضر.. وبتنوير الأذهان، الذي هو ضياء الزمان.. وبتلاحق الأفكار، الذي هو قانون المدنية.. وبسلامة الفطرة، التي هي لازمة البداوة.. وبالخفة والإقدام، وهما ثمرة الضرورة.

القوة الخامسة: الرغبة في التحضر والتمدن والنزوع إلى التجدد والتقدم المادي -الذي يتوقف عليه إعلاء كلمة الله في هذا الوقت- التي يأمر بها الإسلام، ويدفع إليها الزمان، ويلجئ إليها الفقر الشديد، والأمل الباعث للحياة بموت اليأس القاتل لكل رغبة.

والذي يدعم هذه القوى ويمدّها: تغلب مساوي المدنية على محاسنها، تلك المساوي التي بثت الفوضى في الأجانب وأرهقت الحضارات وشيبتها.. ثم عدم كفاية السعي للسفاهة (أي عدم سدّه لمتطلباته)، ولهذا سببان:

الأول: فسح المجال للسفاهة وتلبية شهوات النفس، بعدم جعل الدين والفضيلة دستوراً للمدينة.

الثاني: التباين الاجتماعي الرهيب في الحياة المعاشية، الناشئ من فقدان التراحم الناجم من حب الشهوات ومجافة الدين.

نعم، إن هذا الإلحاد ومجافة الدين قد سبب فوضى في المدنية الأوروبية، وقلّبتها رأساً على عقب، بحيث ولّد كثيراً من المنظمات الفوضوية وهيئات الإفساد والإضلال. فلو لم يلجأ إلى حقيقة الشريعة الغراء، ولم يتحصّن بذلك الحبل المتين ولم يوضع سدّ تجاه هذه المنظمات الفوضوية كسد ذي القرنين، فستدّمر تلك المنظمات عالم مدنيّتهم وتقضي عليها، كما يهددونها حالياً.

تُرى لو صارت الزكاة التي هي مسألة واحدة من ألف من مسائل حقيقة الإسلام، دستور المدينة وأساس التعاون فيها، ألا تكون دواء ناجعاً وتريقاً شافياً للتباين الفظيع في الحياة المعاشية، الذي هو جُحر الحيات والسمّ الزعاف والبلاء المدمر؟

بلى! سيكون الدواء الناجع الساري المفعول أبداً.

وإذا قيل: لِمَ لا يكون السبب الذي أدّى إلى تغلب أوروبا إلى الآن سبباً لاستمراره؟

فالجواب: طالِعْ مقدمة هذا الكتاب، ثم أَدِمِ النظر في هذا:

كان سبب رقيّها هو: التآني في أخذ كل شيء أو تركه.. والصلابة في الأمر، التي هي من شأن برودة بلادهم.. ونمو الفكر والمعرفة والتوجه إلى الصناعة لكثرة السكان وضيق

المكان والمساكن.. والتعاون والتتبع الحاصلان من وجود الوسائط المساعدة كالبجر والمعادن وأمثالها..

أما الآن فقد تطورت وسائل النقل إلى درجة كبيرة بحيث أصبح العالم كالمدينة الواحدة، وغدا أهله في مداولتهم الأمور كأنهم في مجلس واحد، بحكم التقدم في وسائل المخابرات والمطبوعات.

نحصل من هذا: أننا سنلحق بهم، بل نسبقهم، إن حالفنا التوفيق الإلهي، لأن حملهم ثقل وحملنا خفيف.

خاتمة الخاتمة: إن ما يفتح حظ آسيا وسعد الإسلام هو الشورى والحرية، المشروطتان بترية الشريعة الغراء.^(١)

تنبيه: إن الأمور التي تسمى بمحاسن المدنية ما هي إلا مسائل شرعية حُوِّلت إلى شكل آخر.

المقدمة العاشرة

لا يؤاخذ المتكلم فيما يتكلم من كلام، بكل ما يرد إلى ذهن السامع؛ لأن المفاهيم والمعاني -سوى ما سبق له الكلام- هي في عهد المتكلم بالإرادة، فإن لم يُردّها لا يعاتب، إلا أنه ضامن حتماً بالغرض والقصد.

وقد تقرر في علم البيان: أن الصدق والكذب يعُقبان قصد المتكلم وغرضه، فالتبعة والمؤاخذة في المقصود وفيما سبق له الكلام على المتكلم. أما الذنب والخلل في مستتبعات الكلام -أي في تلويحاته وتلميحاته- وفي وسائله وأسلوب عرضه -أي في صور المعاني وطرز الإفادة والمعاني الأولى- فليس على المتكلم، بل على العرف والعادة والقبول العام؛ إذ يُحترم العرف والقبول العام لأجل التفهيم. ثم إذا كان الكلام حكاية، فالخلل والخطأ يعودان إلى المحكي عنه.

(١) يا إخوة النور! إن حزب القرآن الذين خاطبهم الأستاذ الحبيب في ذلك الوقت هم الآن طلاب النور. فانتبهوا! إن ما في هذه الصفحات يخاطبنا نحن بالذات، فاجعلوا وسائل العلم والمدنية في خدمة الإسلام، وأعلنوا حضارة الإسلام للعالم أجمع. (مصطفى صغور)

نعم، لا يؤاخذ المتكلم في الصور والمستبعات؛ إذ تناولهما ليس ليجني الثمرات وإنما للتسلق منهما إلى أغصانٍ مقاصدٍ أعلى. فإن شئت فتأمل في الكنايات؛ فمثلاً: عندما يقال: طويل النجاد كثيرُ الرمد، فالكلام صادق إن كان الشخص طويل القامة سخي الطبع ولو لم يكن له سيف ولا رمد.

وإن شئت فأمد النظر في المثال والأمثال الافتراضية ترى أن تلك الأمثال لها -بالشهرة في مداولة الأفكار والعقول- قيمة وقوة، حتى إنها تستعد للقيام بمهمة السفارة بينها. بل إن أصدق مؤلف وأعلم حكيم كصاحب المثنوي جلال الدين الرومي (*) وسعدي الشيرازي (**) يستخدمان ذلك المثل الافتراضي، ولم يريا مشاحةً وبأساً في استعماله.

فإذا تنور لك هذا السر، فاقبس منه واذهب إلى زوايا القصص والحكايات، وقس فإن ما يجري في الجزء قد يجري في الكل أيضاً.

تنبيه: سترد قاعدة في «المقالة الثالثة» حول المشكلات القرآنية ومتشابهاته، ولكن لاقتضاء المقام نذكر هنا نبذة منها:

إن المقصود الأهم من الكتاب الحكيم هو إرشاد الجمهور الذين يمثلون أكثرية الناس، لأن خواص الناس يمكنهم أن يستفيدوا من مسلك العوام، بينما العوام لا يستطيعون فهم ما يخاطب به الخواص حقَّ الفهم، علماً أن معظم الجمهور هم عوام الناس، والعوام لا يقتدرون على مشاهدة الحقائق المحضة وإدراك المجردات الصرفة متجردين عن مألوفاتهم ومتخيلاتهم. فالذي يضمن رؤيتهم ويحقق إدراكهم، إلباس المجردات وإكساءها زي مألوفاتهم، تأنيساً لأذهانهم، كي يروا المجردات ويعرفوها بمشاهدتها خلف صور خيالية.

ولما كان الأمر هكذا، تلبس الحقيقة المحضة مألوفاتهم. ولكن يجب ألا يقصر النظر في الصورة ولا ينحصر فيها. وبناءً على هذا:

فإن ما في أساليب اللغة العربية من مراعاة الأفهام ومماشة الأذهان، قد جرت في القرآن الحكيم المعجز البيان، والتي تُعبّر عنها بـ «التنزيلات الإلهية إلى عقول البشر». فمثلاً: قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ (الأعراف: ٥٤) و ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الفتح: ١٠) و ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ (الفجر: ٢٢) وأمثالها من الآيات الكريمة.

وأيضاً ﴿وَجَدَهَا تَعْرُبُ فِي عَيْرٍ حِمَّةٍ﴾ (الكهف: ٨٦) و﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ (يس: ٣٨) ونظائرها من الآيات... كلها روافد لهذا الأسلوب.. ﴿ذَلِكَ أَلْكُتَبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ (البقرة: ٢)

خاتمة:

إن إغلاق الكلام المعقّد وإشكاله ينشأ إما من ركة اللفظ وضعف الأسلوب، فهذا لا يدنو من القرآن المبين.. أو من دقة المعنى، وعمقه، وجودته، وعدم مألوفيته، وندرته، حتى لكان المعنى يتدلّل على الفهم ويُبهم تجاهه، ليشير الشوق، طالباً للاهتمام والمكانة... فمشكلات القرآن من هذا القبيل.

تنبيه: إن لكل آية ظهراً وبطناً، ولكل منها حدّ ومطلّع، ولكل منها شجون وغصون. كما ورد حديث شريف بهذا المعنى^(١) والشاهد الصادق عليه: العلوم الإسلامية.

فلكلّ مرتبة من هذه المراتب درجتها وقيمتها ومقامها، لا تتزاحم هذه المراتب، وإنما تشبك فينشأ الاشتباه، ولا بد من التمييز، إذ كما لو مُزجت دائرة الأسباب بدائرة الاعتقاد تتولد البطالة والكسل تحت اسم التوكل، أو ينتج مذهب الاعتزال باسم مراعاة الأسباب، فإن المراتب والدوائر هذه إن لم تُفرز تنتج مثل هذه النتائج.

المقدمة الحادية عشرة

قد يتضمن الكلام الواحد أحكاماً عدة، فربما يحوي الصدَف الواحد كثيراً من الدرر. والمقرّر لدى أرباب العقول: أن القضية الواحدة تتضمن قضايا عدة؛ كل يثمر ثمراً مبيناً للآخر، كما نبغ ونشأ من أصل مختلف.. فالعاجز عن التمييز يُجانب الحق ويغترّب عنه.

(١) «أنزل القرآن على سبعة أحرف» رواه أحمد والترمذي عن أبي رضي الله عنه وأحمد عن حذيفة، وهو عند الطبراني من حديث ابن مسعود بزيادة.. وفي رواية أخرى عنده: لكل حرف منها ظهر وبطن ولكل حرف حدّ ولكل حدّ مطلع. (باختصار عن كشف الحفاء للعجلوني ٢٠٩/١).

ولكل حدّ مطلع، أي: لكل حدّ مصعد يصعد إليه من معرفة علمه. وفي المثل «الحديث ذو شجون» أي فنون وأغراض، وقيل: أي يدخل بعضه في بعض، أي: ذو شعب وامتسك بعضه ببعض.. وأصل الشجعة بالكسر والضم شعبة من غصن من غصون الشجرة. (لسان العرب باختصار).

مثال ذلك: ورد في الحديث الشريف: «بعثتُ أنا والساعة كهاتين»^(١) أي لا نبيَّ بعدي إلى قيام الساعة.. فأياً كان المقصود من الحديث فهو حق.

فهذا الحديث الشريف يتضمن ثلاث قضايا:

أولاهـا: أن هذا الكلام هو كلام النبي ﷺ..

هذه القضية هي نتيجة التواتر إن كان (أي إن كان الحديث متواتراً).

ثانيـتها: أن المعنى المراد من هذا الكلام حقٌ وصدق..

هذه القضية هي نتيجة للبرهان المستند إلى معجزاته ﷺ فلا يصدر عنه غير الصدق. فينبغي الاتفاق في هاتين القضيتين، لأن من ينكر الأولى فهو كاذب مكابر، أما الذي ينكر الثانية فهو ضال قد هوى في الظلمات.

القضية الثالثة: أن المراد من هذا الكلام هو هذا (أي الذي أسوقه).. فهذا هو الدرّ الموجود في هذا الصدف.

هذه القضية هي نتيجة الاجتهاد، لا التشهي؛ إذ من المعلوم أن المجتهد ليس مكلفاً بتقليد غيره من المجتهدين.

هذه القضية الثالثة هي منبع الاختلافات. وأصدق شاهد على ذلك هو ما نراه من الأقوال المتضاربة (في مسألة واحدة).

فالذي ينكر هذه القضية لا يكون مكابراً ولا ضالاً، ولا ينساق إلى الكفر، إن كان إنكاره نابعاً من الاجتهاد؛ إذ العام لا يتفتي بانتفاء الخاص، وكم من قطعي المتن ظني الدلالة.. فلا بد من الدخول إلى البيوت من أبوابها، فإن لكل باباً، ولكل قفل مفتاحاً.

خاتمة:

هذه القضايا الثلاث تجري في الآية جريانها في الحديث الشريف، حيث إنها قضايا عامة. إلا أن الأولى منها فيها فرق دقيق.

(١) البخاري، تفسير سورة النازعات ١، الطلاق ٢٥، الرقاق ٣٩؛ مسلم، الفتن ١٣٢؛ الترمذي، الفتن ٣٩.

وهكذا يتضمن الكلام أحكاماً كثيرة، إلا أنها أحكام خاصة، كل منها يختلف عن الآخر في الأصل مثلما يثمر ثمرة مبينة للآخر.

تنبيه: قد يجد من يريد أن يغالط في مثل هذه المقامات ذرائع تافهة وحججاً واهية ناجمة من حب النفس:

كالترام الطرف المخالف..

والتعصب الذميم..

وحب الظهور..

والشعور بالانحياز إلى جهة..

وتسويغ الأوهام والخيالات بإسنادها إلى أصل..

ورؤية الأمور الواهية قوية، لموافقتها رغباته الشخصية.

وإظهار كماله بتنقيص الآخرين والتهوين من شأنهم..

وإبراز كونه صادقاً بتكذيب الآخرين..

وبيان استقامته بإضلالهم..

وغيرها من الأمور السافلة المنحطة!

وإلى الله المشتكى.

المقدمة الثانية عشرة

مَنْ لم يجد اللب ينهمك في القشر^(١).. ومن لم يعرف الحقيقة يزَلْ إلى الخيالات، ومن لم يرَ الصراط المستقيم يقع في الإفراط والتفريط، ومن لا يملك ميزاناً ولا موازنةً له يخدع وينخدع كثيراً.

إن سبباً خادعاً للظاهريين هو: التباس علاقة القصة بالعبرة المرادة منها، واقتران المقدمة بالمقصود في الذهن، والاقتران الحاصل في الوجود الخارجي.

(١) «كل عمل لا إخلاص فيه فهو قشر لا لب فيه..» (الفتح الرباني للشيخ الكيلاني، المجلس ٢٤).

لاحظ هذه النقطة فإنك تحتاج إليها فيما بعد.

ثم إن أحد الأسباب المولدة للفوضى والموقعة في الاختلافات والموجدة للخرافات والمنتجة للمبالغات - بل أهم سبب لها - هو عدم القناعة والاطمئنان بما خُلق في العالم من حسن وعظمة وسمو. والذي يعني الاستخفاف بالنظام بذوق فاسد. حاش لله.

إن حسن الانتظام والعظمة والعلو المودعة في حقائق العالم، التي كلُّ منها أبهرُ معجزة من معجزات القدرة الإلهية في نظر العقل والحكمة، قد أبدعتها يدُ الحكمة الإلهية إبداعاً في غاية الروعة بحيث لو قورن بها ما يمرّ في خيال عشاق الخيال والمبالغين من حسن وكمال خارقين، لبقيت تلك الخيالات الخارقة اعتيادية جداً، ولبدت تلك السننُ الإلهية خارقة حقاً، في غاية الحسن ومنتهى الكمال والعظمة. إلّا أن الألفة - التي هي أخت الجهل المركب وأم النظر السطحي - هي التي عصبت عيون المبالغين.

ولا يفتح تلك العيون المعصوبة إلّا أمرُ القرآن الكريم بالتدبّر والتأمل في الآفاق والأنفس المألوفتين.

نعم، إن نجوم القرآن الثاقبة هي التي تفتح الأبصار وترفع ظلام الجهل وظلمات النظرة العابرة. إذ تمزق الآياتُ البينات بيدها البيضاء حجاب الألفة والنظر السطحي وأستار التشبث بالظاهر المحسوس، فتوجه العقول وترشدّها إلى حقائق الآفاق والأنفس.

ثم إن مما يولد الرغبة في المبالغة، حاجة الإنسان الفطرية إلى إخراج ميله من طور القوة إلى طور الفعل.^(١) إذ من ميوله: رؤية العجائب المحيرة وإراءتها، والرغبة في التجدد والإيجاد.

بناءً على هذا: لما عجز الإنسان بنظره السطحي أن يتذوق ما في جفان الكائنات وصحونها من غذاء روحي مغطى بغطاء الألفة، سئم من لعق الجفان ولحس الغطاء، ولم يُفده سوى عدم القناعة، والتلهّف إلى خوارق العادات والرغبة في الخيالات، مما ولّد لديه الرغبة في المبالغة للتجدد أو الترويج.. تلك المبالغة شبيهة بكرة الثلج المتدرجة من أعلى قمة الجبل، كلما تدرجت كبرت... فالكلام المتدرج أيضاً من ذروة الخيال إلى اللسان ومنه إلى لسان ولسان، تُشتت حقيقته الذاتية، إلّا أنه يجمع حوله خيالات من كل لسان بميل المبالغة،

(١) طور القوة أي الكامن المستتر في الشيء. أما طور الفعل فهو الوضع المشاهد للظاهر.

فيكبر ويكبر حتى لا يسعه القلبُ بل الصباخُ بل حتى الخيال، ثم يجيء النظر بالحق فيجرّده من توابعه، ويُرجعه عارياً مجرداً إلى أصله، فيظهر سرُّ ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ . (الإسراء: ٨١)

حكاية جرت في هذه الأيام تكون مثلاً على هذا:

إن أساس مسلّكي منذ أيام صباي -ولا فخر- إزالة الشبهات التي تلوث حقائق الإسلام سواء بالإفراط أم بالتفريط، وصقل تلك الحقائق الألباسية. والشاهد على هذا تاريخ حياتي في كثير من حوادثه.

ففي هذه الأيام ذكرت مسألة بديهية كـ «كروية الأرض»، وطابقتُ عليها ما يوافقها ويتعلق بها من مسائل دينية، دفعاً لاعتراضات الأعداء وإزالةً لشبهات المحبين للدين. كما سيأتي مفصلاً في «المسائل».

ثم ظهر المغرّمون بالظاهر المعتادون على الخيالات المهولة، وكأن عقولهم لا تقبل هذه المسألة، إلّا أن السبب الأساس غيرُ هذا بلا شك، فتصرفوا تصرفات جنونية، كمن يريد أن يجعل النهارَ ليلاً بإغماض العين، أو يطفئ الشمسَ بالنفخ! وفي ظنهم كأن الذي يحكم بكروية الأرض يخالف كثيراً مسائل الدين. فتذرعوا بهذا وافترؤا فرية كبيرة، ولم يبق الأمر في هذا الحد بل تجاوز إلى تضخيم الفرية حيث وجدوا لها جواً ملائماً في الأذهان المرتابة، بل ضخموها إلى حد كبير كَوّوا بها كبد أهل الدين. وأيسوا أهل الحمية في رقي الإسلام.

ولكن كان هذا درساً عظيماً لي، إذ أيقظني إلى أن الصديق الجاهل يمكنه أن يضرّ الدين بمثل ما يضرّ به العدو، ولهذا فلقد كنتُ منذ بداية الكتاب أتوجّه إلى حيث يكون العدو، أقطع بالسيف الألباسي الذي في اليد بخسهم حقَّ الإسلام.. أما الآن فلأجل تربية أمثال هؤلاء الأصدقاء، أضطر إلى أن لا أمس -بذلك السيف- إلّا قليلاً من خيالاتهم المفرطة التي يتلفها لها العوام.

وعلى الرغم من أن أموراً شخصية كهذه لا تستوجب مثل هذه المباحث، فإن الأمر لم يعد أمراً شخصياً، بل أصبحت مسألة عامة تتعلق بحياة المدارس الدينية.

ألا فليعلم أولئك الظاهريون أنهم عبثاً يحاولون.. فلقد تركونا حتى الآن في غيابة الجهل بهذرهم وسفستهم هذه التي يغرم بها العوام ويريدون أن يدعونا جاهلين، ليستغلوا جهلنا. هيئات! لا.. ولن يكون هذا.. ستُبعث الحياة في المدارس الدينية! والسلام.

ثم إنه مما يشوش أفكار الظاهريين، ويخلّ بخيالاتهم، اعتقادهم أن دلائل صدق الأنبياء عليهم السلام محصورة ضمن خوارق العادات، واعتبارهم أن جميع أحوال رسولنا الكريم ﷺ وحركاته -أو معظمها- لا بد أن تكون خارقة. وهذا ما لا يسمح به الواقع، لذا لا يستقيم ولا يصلح لهم ما يتخيلون؛ إذ إن اعتقاداً كهذا غفلة عظيمة عن سر الحكمة الإلهية في الوجود، وعن تسليم الأنبياء عليهم السلام مقاليد الانقياد إلى قوانين الله الجارية في العالم. نعم، إن كلّ حال من أحواله ﷺ وكلّ حركة من حركاته دليل على صدقه، وتشهد على تمسكه بالحق، مع أنه يتبع السنن الإلهية وينقاد إليها (سينبّه إلى هذا في المقالة الثالثة).

ثم إن إظهار الخوارق ما هو إلّا لتصديق النبوة، والتصديق يحصل على أكمل وجه بمعجزاته الظاهرة، فإذا زادت عن الحاجة، فإما أن تكون عبثاً، أو منافية لسر التكليف -الذي هو امتحان في الأمور النظرية دون البدييات أو ما يقرب منها حيث يتساوى الأدنى مع الأعلى- أو تكون مخالفة للتسليم والانقياد لجران الحكمة. بينما الأنبياء عليهم السلام مكلفون بالعبودية والتسليم أكثر من أي أحد.

فيا طالب الحق، الناظر إلى كلماتي المشتتة!

إن الميول المزروعة في ماهيتك ستتمو وتفتح الأزاهير بشمس الحقيقة التي تجري وهي ساكنة في المقدمات الاثنتي عشرة المذكورة.

خاتمة:

مَنْ يدّعي أنه سيّد (من أهل البيت) وهو ليس منهم، ومَنْ ينكر انتسابه إليهم وهو سيد، كلاهما مُذنب. فالدخول في السادة والخروج منهم كما أنه حرام، كذلك النقصان والزيادة في القرآن الكريم والحديث الشريف ممنوع، بل الزيادة أضُرُّ لإفسادها النظامَ وفتحها أبواباً

لمرور الأوهام؛ لأن الجهل ربما يكون عذراً للنقصان، بينما الزيادة لا تكون إلّا بالعلم، والعالم لا يُعَدَّر، فكما أن هذا هكذا، فالوصل والفصل في الدين لا يجوز أيضاً، بل إن إدخال زيف الحكايات وخبث الإسرائيليات وأباطيل التشبيهاً في ألماس العقيدة وجوهر الشريعة ودُرر الأحكام إنما هو حطٌ لقيمتها وتنفيرٌ لطالبيها من متحرّي الحقيقة، ودفعهم للندامة.

خاتمة الخاتمة: إن ترك المستعد لها هو أهل للقيام به، وتشبّه بما ليس أهلاً له، عصيانٌ كبير وخرق فاضح لطاعة الشريعة الكونية (شريعة الخَلقة)؛ إذ من شأن هذه الشريعة انتشارُ استعداد الإنسان ونفوذُ قابليته في الصنعة، واحترامُ مقاييس الصنعة ومحبتها، وامتنالُ نواميسها والتمثل بها. وخلاصة الكلام: إن شأن هذه الشريعة الفناء في الصنعة.

وإذ وظيفة الخلقة هذه، فإن الإنسان بمخالفته هذه الشريعة يغيّر الصورة اللائقة بالصنعة ويخل بنواميسها، ويشوّه صورة الصنعة غير الطبيعية - التي تشبّت بالقيام بها - بميله الكامن للصنعة الأخرى لعدم الامتزاج بين الميل والصنعة، فيختلط الحابل بالنابل.

وبناءً على هذا، فإن كثيراً جداً من الناس يمضي بميل السيادة والأمرية والتفوق على الآخرين، فيجعل العلم المشوّق المرشد الناصح اللطيف وسيلةً قسراً وإكراه لاستبداده وتفوقه، فبدلاً من أن يخدم العلم يستخدمه. وعلى هذا فقد دخلت الوظائف بيد من ليسوا لها أهلاً، ولا سيما الوظائف في المدارس الدينية، فألّت إلى الانداس نتيجة هذا الأمر.

والعلاج الوحيد لهذا: تنظيم المدرّسين الذين هم في حكم العاملين في دائرة واحدة، في دوائر كثيرة كما هو الحال في الجامعة، كلٌّ في مجال اختصاصه، ليذهب كلٌّ واحدٍ بسوق إنسانيته، ويتوجه نحو حقه، يتفدّ قاعدة تقسيم الأعمال بميله الفطري امتثالاً للأمر المعنوي للحكمة الأزلية.

تنبيه: إن السبب المهم الذي أدّى إلى تدنّي علوم المدارس الدينية، وصرّفها عن مجراها الطبيعي هو أن العلوم الآلية^(١) لما أدرجت في عداد العلوم المقصودة، أصاب الإهمال العلوم العالية، فسيطر على الأذهان حلُّ العبارة العربية التي لباسها (لفظها) في حكم معناها، وظلَّ

(١) العلوم الآلية: كالنحو والصرف والمنطق وأمثالها من العلوم التي تكون وسيلة لفهم العلوم العالية التي هي كالتفسير والحديث والفقه وأمثالها من العلوم.

العلم الذي هو أصل القصد تبعياً. زد على ذلك، أن الكتب التي أصبحت في سلسلة التحصيل العلمي رسمية، وعباراتها متداولة إلى حد ما. هذه الكتب حصرت الأوقات والأفكار في نفسها ولم تُفسح المجال للخروج منها.

يا أخا الوجدان!

كأنني بك قد اشتقت إلى رؤية ماهية الكتب الثلاثة التي سترتب على هذه المقدمات... صبراً! سأذكر لك موضوعاً يمثل مُجمل ما فيه، أو بتعبير آخر يمثل صورتها المصغرة أو خريطتها المختصرة. ولكنني سأبادر بتقديم تسع مسائل مما في تلك الكتب، على أمل أن أفصل الموضوع تفصيلاً عقب المقالة الثالثة إن شاء الله وَوَفَّقَ الرَّبُّ الْكَرِيمُ. فهذا هو ذا الموضوع!

سأخرج إلى علوم السماوات بسير روحاني، بالوسائل التي يريها القرآن الكريم وبقوة الفلسفة الصائبة، لأنظر من هناك ونشاهد:

أن الكرة الأرضية عبارة عن كرة ضخمة تديرها يد القدرة للصانع الحكيم، ونرى بعين الحكمة أنه يقذفها كحجر المقلاع، إلى أن يشتتها، ليبدلها إلى أفضل منها. ثم تتدلى وتندرج من جو السماء حتى تنزل إلى مهدنا، الأرض التي بسطها وهياها الخالق الرحمن لراحتنا.. ثم ننظر بإنعام إلى الإنسان، كيف أنه يرمي بمهده بعد تجاوزه مرحلة الطفولة، فإنه يُرسل إلى قصور السعادة الأبدية كذلك بتخريب الأرض.

وبعد أن نُديم التأمل في هذا، ندخل ميدان الماضي بالسير الروحاني الذي لا يقيد زماً ولا مكاناً ونحاور أبناء جنسنا، أبناء الماضي بأموج البرقيات التاريخية، ونتعلم العبر والأحداث التي وقعت في تلك الزوايا الآفلة، ونصنع منها قطاراً للأفكار. ثم نرجع عائدين ونزور أبناء جنسنا ونتوجه إلى مشرق المستقبل لنرى - ونري الآخرين - فجر سعادته الصادق الذي يتراءى من بعيد. ثم نركب قطار «الرقى والتقدم» وسفينة «السعي» المسماة بالتوفيق، حاملين في أيدينا مصباح البرهان وندخل معه «الزمان» الذي يبدو مُظلم البداية، إلّا أن وراءه سطوعاً، لكي نصافح أبناء المستقبل ونهتئهم بسعادتهم التي يرفلون فيها.

وهكذا ففي هذه الصورة الفوطوغرافية المصغرة تندرج صورةٌ جميلة، ستظهر لك محرراً.

والآن.. في هذه الأرض تنبت أشجارُ الكتب المذكورة وتُسقى بجداول المقالات الثلاث.

أيها الأخ! قبل أن آخذ بيدك وأوصلك إلى خزينة الحقائق، أبادر إلى سرد بضع مسائل وعدتُك إياها، لأدفع بها غشاوة الخيالات عن بصر بصيرتك، تلك الخيالات التي صارت كالغول تضع أيديها على عينك فتُغمضها، وتدفع صدرك وتخوفك.. وإن أرتك شيئاً فالنور نازٌّ والدرّ مدّرٌ. فاحذرها.

واعلم أن أعظم منشأ يولد شبهاتك، مسائل تتعلق:

بكروية الأرض.. ثم الثور والحوث.. وجبل قاف.. وسد ذي القرنين.. وأوتادية الجبال.. ووجود جهنم تحت الأرض.. والآيات الكريمة: ﴿دَحَنَاهَا﴾ و﴿سُطِحَتْ﴾ و﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ و﴿وَيُنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَن جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾ (النور: ٤٣) وأمثالها من المسائل. سأبين لك حقيقتها كي تسدّ عيون الأعداء وتفتح أبصار الأصدقاء.

وها أنذا أستهل بـ:

المسألة الأولى

من المعلوم لذهنكم المنصف: أن علماء الإسلام متفقون على كروية الأرض، ولو اتفاقاً سكوتياً. فإن كان لديك ريب فاذهب إلى «المقاصد»^(١) و«المواقف»^(٢) تقف على المقصد وتطلع عليه، وترى أن «سعداً»^(*) و«سيدا»^(*) قد تناولا الكرة الأرضية، تناولوا الكرة الاعتيادية، ينظرون بمتعة إلى كل جانب منها. وإن استعصى لك ذلك الباب على الفتح، فادخل التفسير الواسع للإمام الرازي^(*) الموسوم بـ«مفاتيح الغيب»^(٣) واجلس في حلقة تدريس ذلك الإمام الداهية وأنصت إلى درسه، فإن لم تطمئن بهذا ولم تتمكن من أن تستوعب كروية الأرض

(١) انظر: التفتازاني، شرح المقاصد ٣/ ١٧٧-١٨٩.

(٢) انظر: الجرجاني، شرح المواقف ٧/ ١٤٥-١٤٧.

(٣) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب ٣١/ ٤٨.

فاتبع «إبراهيم حقي» (*) وذهب إلى حجة الإسلام الإمام الغزالي واستفتته قائلاً: هل في كروية الأرض مشاحة؟ فسيقول لك حتماً: «المشاحة إن لم تقبل بها» إذ قد بعث فتواه منذ عصره أنه من أنكر أمراً ثابتاً بالبرهان القطعي ككروية الأرض بحجة الحفاظ على الدين، فقد جنى على الدين جنايةً عظيمةً؛ فهذا ليس وفاءً للإسلام بل خيانة له.

وإن كنت أُمياً لا تجيد قراءة الفتوى، فاستمع إلى مُعاصرنا وأخينا في الفكر، السيد حسين الجسر (*) إنه يعتف منكر الكروية ويقول بقوة الحق ودون تردد: «من كان ينكر كروية الأرض مستنداً إلى الدين في سبيل حمايته، فهو صديقٌ أحمق، أضُرَّ على الدين من العدو الألد».

فإن لم يُفَقْ فكركُ الباحث عن الحقيقة من رقدته، بهذا الصوت القوي ولم تستطع عينك الانفتاح، فخذ بيد ابن همام (*) وفخر الإسلام (*) وأمثالهم واذهب إلى الإمام الشافعي (*)، واستفته في مسألة في الفقه: تؤدّي الفرائض الخمس في وقت واحد وهناك قوم لا وقت عشاء لهم أحياناً، كيف يصلون العشاء؟ وهناك قوم لا تغرب عليهم الشمسُ أياماً أو لا تطلع ليالي، كيف يصومون؟ واستفسره: كيف ينطبق تعريف الشرط الشرعي وهو ما يقارن كل ما سواه من الأركان، على شرطية استقبال القبلة في الصلاة؟ علماً أن المقارنة هي في القيام وحده وفي نصف القعود؟ فاطمئن أنه -أي الإمام الشافعي- يجيبك عن المسألة الأولى بكروية الدائرة المارة من الشرق والغرب، وعن المسألة الثانية والثالثة بتقوُّس الدائرة الممتدة من الجنوب إلى الشمال. أي يفتيك بما أعطاك البرهان العقلي. ويقول عن مسألة القبلة: «ما القبلة إلا عمودٌ نوراني قد نظم السماوات إلى العرش ونقّب طبقات كرة الأرض إلى الفرش»^(١).

فلو كُشف الغطاء لأصاح شعاع عينك القبلة نفسها في كل حركة من حركات صلواتك. أيها الأخ..! لا قيمة لأوهامك العجيبة كي تدخل في القلب، لأنك لم تجد لها موضعاً سوى عالم الخيال، فضلاً عن أنك لا تصدّقه، بل لا تتمكن حتى من إقناع نفسك بها.. بيد أنك زغت.. فإن كان قلبك المفتوح للخيالات والمقل تجاه الحقيقة، لا يسع الكرة الأرضية التي هي أصغر بكثير مما تتخيلها، فوسّع أفق نظرك ليتوسع ذهنك، ثم شاهد سكان الأرض كمجلس واحد وأسألهم، فإن صاحب البيت أدرى بما فيه. فإنهم يجيبونك بالمشاهدة والتواتر بلسان واحد:

(١) انظر: النووي، المجموع ٤٩/٣.

«يا هذا إن كرتنا الأرضية التي هي مهدنا وقطارنا في فضاء العالم، ليست مجنونة فتشذّر عن القاعدة الجارية والقانون الإلهي في الأجرام العلوية». ويبرزون لك الخرائط دلائل مجسمة مفروشة أمامك.

إن شريعة الفطرة الإلهية المسماة بنظام خلق العالم، فرضت على الأرض التي تسير سير المريد المولوي العاشق^(١) أن لا تشذ عن صف النجوم المقتدية بالشمس. إذ قالت الأرض مع قرينتها السماء ﴿أَلَيْسَ طَائِعِينَ﴾ (فصلت: ١١)، والطاعة في الجماعة أفضل وأحسن.

نحصل مما سبق: أن الله سبحانه وتعالى خلق الأرض كما يشاء واقتضتها حكمته، ولم يخلقها كما تشتهي خيالاتكم يا أهل الخيال، ولم يجعل عقولكم مهندسة الكائنات.

تنبيه: من الأمور المشيرة إلى ضعف العقيدة أو إلى الميل إلى مذهب السوفسطائي أو إلى طالب الإسلام حديثاً ولما يملكه.. هو الكلمة الحمقاء: «هذه الحقيقة منافية للدين!» لأن الذي يجد احتمالاً لمنافاة ما هو ثابت بالبرهان القاطع مع الدين -الذي هو الحق والحقيقة- ويخاف من هذه المنافاة لا يخلو من، إما أنه قد اختفى في دماغه سوفسطائي يشوش له الأمور، أو استتر في قلبه موسوس يثير الشغب والفوضى، أو أصبح طالباً للدين مجدداً يريد أن يملكه بالتنقيد.

المسألة الثانية

لا يخفى أن «مسألة الثور والحوت» المشهورة دخيلة في الإسلام وطفيلية عليه، أسلمت مع راويها. فإن شئت فراجع «المقدمة الثالثة» لترى من أي باب دخلت. أما نسبتها إلى ابن عباس رضي الله عنهما، فانظر إلى مرآة «المقدمة الرابعة» ترى سرّ إلحاقها به.

وبعد هذا فإن كون «الأرض على الثور والحوت» يروى فيه حديث:^(٢)

أولاً: لا نسلم أنه حديث، لأن عليه علامة الإسرائيليات.

(١) تشبيه لطيف بالمريد المنتسب إلى المولوية، الطريقة الصوفية المعروفة في تركيا، الذي يدور حول نفسه وفي حلقة الذكر بنشوة الذكر وجذبة التفكير انسجاماً مع حركة الموجودات.

(٢) انظر: الطبري، جامع البيان ١/ ١٥٣، ١٩٤، ٧٢/ ٢١؛ الحاكم، المستدرک ٤/ ٦٣٦؛ ابن عبد البر، التمهيد ٤/ ٩؛ الهيثمي مجمع الزوائد ٨/ ١٣١ (نقلا عن البزار). وقد فصلت «اللمعة الرابعة عشرة» هذه المسألة.

ثانياً: ولو سلمنا أنه حديث، فإنه آحادي، يفيد الظن لضعف الاتصال، فلا يدخل في العقيدة، إذ اليقين شرطٌ فيها.

ثالثاً: حتى لو كان متواتراً وقطعيّ المتن، فليس بقطعيّ الدلالة. فراجع المقدمة الحادية عشرة، وتأمل في المقدمة الخامسة لترى كيف استهوت الظاهريين الخيالاتُ حتى حرفوا هذا الحديث عن محامله الصحيحة ووجوهه الصائبة.

فالجوه الصحيحة له ثلاثة:

الوجه الأول:

فكما أن حَمَلَةَ العرش المسماة بـ: «الثور، النسر، الإنسان» وغيرهم ملائكة،^(١) كذلك هذا الثور والحوث ملكان اثنان حاملان للأرض. وإلا فإن تحميل العرش العظيم على الملائكة، بينما الأرض على ثور عاجز - كالأرض - مناف لنظام العالم! ويرد في لسان الشريعة: أن لكل نوع ملكاً موكلاً خاصاً به يلائمه، وقد سمي ذلك الملك باسم ذلك النوع، بناءً على هذه العلاقة، وربما يتمثل بصورته في عالم الملائكة. وقد روي حديث بهذا المعنى، أن الشمس تغرب في كل مساء تحت العرش وتسجد عنده ثم تستأذن وتعود.^(٢)

نعم، إن الملك الموكل على الشمس اسمه الشمس ومثاله الشمس، وهو الذي يذهب ويؤوب.

ولدى الفلاسفة الإلهيين: أن لكل نوع ماهيةً مجردةً حية ناطقة تمد الأفراد. ويعبر عنهم الشرع: مَلَكَ الجبال ومَلَكَ البحار وملك الأمطار، إلا أنه لا تأثير لهم تأثيراً حقيقياً إذ لا مؤثر في الكون إلا الله.

أما الحكمة في وضع الأسباب الظاهرية، فهي في إظهار العزة والعظمة لئلا يرى النظر المتوجه إلى «دائرة الأسباب» مباشرة يد القدرة لأمر خسيصة ظاهرة من دون حجاب. أما في الملكوتية وفي حقيقة الأمر وهي «دائرة العقيدة»، فإن مباشرة يد القدرة بدون حجاب لكل شيء، يلائم العزة؛ إذ كل شيء في هذه الجهة سام وعالٍ... ذلك تقدير العزيز العليم.

(١) انظر: الطبري، التفسير ٣/٤٣؛ السيوطي، الدر المنثور ٥/٤٨٦؛ تفسير الخازن، ٦/١٥٣.

(٢) انظر: البخاري، بدء الخلق ٤؛ مسلم، الإبان ٢٥٠؛ الترمذي، الفتن ٢٢.

الوجه الثاني:

إن الثور هو المثير للحرث وأهم واسطة لزراعة الأرض وعماريتها. أما الحوت (السّمك) فهو مصدر عيش أهل السواحل، بل كثير من الناس.

فإذا سأل أحد: بِمَ تقوم الدولة؟

فالجواب: على السيف والقلم.

أو إذا سأل: بِمَ تقوم المدنية؟

فالجواب: على المعرفة والصناعة والتجارة.

أو إذا سأل: بِمَ تدوم البشرية وتبقى؟

فالجواب: بالعلم والعمل.

كذلك أجاب سيد الكونين وفخر العالمين ﷺ -والله أعلم- بناء على ما سبق ذلك السائل الذي لم يستعد ذهنه لدرك الحقائق -بدلالة المقدمة الثانية- وسأل عن شيء خارج نطاق وظيفته: الأرض على أي شيء؟ فأجابه رسولنا الكريم ﷺ بما يلزمه أصلاً: الأرض على الثور. أي إن عمارة الأرض لنوع البشر ومنيع الحياة لأهل القرى منهم، على الزراعة، والزراعة محمولة على كاهل الثور. وإن معظم معيشة القسم الآخر من البشر، ومعظم مصادر تجارة أهل المدنية، في جوف السمك وعلى الحوت. حتى يصدق عليهم المثل السائر: كل الصيد في جوف الفراء^(١)

فهذا جواب لطيف حق، حتى لو كان مزاحاً فإنه ﷺ لا يقول إلا حقاً. ولو سُلم أن السائل سأل عن كيفية الخلقة. فقد [تلقى السامع بغير المترقب]^(٢) كما هو القاعدة في علم البيان، إذ تُلقى الإجابة عن الضروري والمطلوب بأسلوب حكيم. ولم يجاوبه على وفق شهية

(١) من أمثال العرب، ضربه النبي ﷺ مثلاً لأبي سفيان حين قال له: أنت يا أبا سفيان! كما قيل: كل الصيد في جوف الفراء. والمثل يضرب في الواحد الذي يقوم مقام الكثير لعظمه (المستقصى من أمثال العرب، للزنجشري ٢/ ٢٢٤).

وفي النهاية لابن الأثير ٣/ ٤٢٢ الفراء مهموز مقصور: حمار الوحش، وجمعه فراء. قال له ذلك بتأليفه على الإسلام، يعني: أنت في الصيد كحمار الوحش، كل الصيد دونه.

(٢) هذه العبارة وأمثالها من الحمل والفقرات المحصورة بين قوسين مركنين [...] جاءت في النص التركي باللغة العربية.

السائل المريض الكاذبة. والآية الكريمة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ ۚ﴾ (البقرة: ١٨٩) براءة الاستهلال لهذه الحقيقة.

الوجه الثالث:

إن الثور والحوت برجان مقدّران في مدار الأرض السنوي. فتلك البروج وإن كانت افتراضية موهومة، إلا أن السنن الإلهية الجارية في العالم والتي تنظّم وتربط الأجرام السماوية والمسماة لفظاً واصطلاحاً بالجاذبية العامة، قد تركزت في تلك البروج، لذا فالتعبير الفلكي: «الأرض على البروج» جائز.

هذا الوجه هو في نظر علم الفلك الحديث، لأن القديم قد افترض البروج في السماء، بينما الحديث افترضها في مدار الأرض، لذا يحوز هذا التأويل أهمية في نظر الفلك الحديث. ثم إنه قد روي أن السؤال تعدّد، فمرة أجاب: «على الحوت» وأخرى -بعد شهر- أجاب: «على الثور». بمعنى أن خيوط القانون المذكور وأشعتها المنتشرة في كل جهة من جهات الفضاء الواسع غير المحدود، قد تجمعت وتمركزت في برج الحوت، لذا انطلقت الكرة الأرضية من برج الدلو ومسكت بالقانون المتدلي من برج الحوت، وتعلقت ثمرةً يانعة على غصن من شجرة الخلقة... أو إنها -أي الأرض- كالطير جئمت على برج الثور وبنّت عشها فيه.

وبعد ما عرفت هذا دقّ النظر منصفاً:

إنه حسب مضمون «المقدمة الخامسة» ترى كيف تؤوّل تلك المسألة العجيبة المشهورة التي تدور بين أهل الخيال المولعين باختراع الغرائب بغير إسناد العبثية إلى الحكمة الأزلية، وبغير إحالة الإسراف إلى الصنعة الربانية، وبغير إخلال النظام البديع الذي هو برهان الصانع الجليل؟

ألا تبتاً وسُحقاً وبعداً للجهل!!

المسألة الثالثة

جبل قاف

اعلم أن العلم بوجود شيء غير العلم بنوعيته وماهيته. فلا بد من التمييز بين هاتين النقطتين. فكم من يقين الأصل تصرّف فيه الوهم حتى أخرجه من الإمكان إلى الامتناع... فشاوّر فيه «المقدمة السابعة» تُجَبِّك بلسان فصيح.

نعم، وكم من قطعي المتن تزاومت الظنون في دلالته، بل تحيرت الأفهام بالإجابة عن السؤال: ما المراد؟. فشقق صَدَف «المقدمة الحادية عشرة» تجد هذه الجوهرة.

تنبيه: ولما كان هذا الأمر هكذا.. فلا يشير من قطعي المتن إلى «قاف» إلّا ﴿قَءَ وَأَلْقَرُءَ إِنَّمَا مَجِيدٌ﴾. بينما يجوز أن يكون ﴿قَءَ﴾ كـ ﴿صَءَ﴾، فليس هو في شرق الدنيا بل في غرب الفم. فيسقط الدليل من اليقين بهذا الاحتمال.

ثم إن دليلاً آخر بعدم وجود قطعي الدلالة غير هذا، قول أحد مجتهدي الشريعة وهو القرافي(*) : «لا أصل له».^(١)

أما نسبة كفيته المشهورة إلى ابن عباس رضي الله عنه،^(٢) فانظر في مرآة «المقدمة الرابعة» ليمثل لك وجه نسبتها. علماً أن كلّ ما قاله ابن عباس كما لا يلزم أن يكون حديثاً، كذلك لا يلزم قبوله لكل ما نقله، لأن ابن عباس قد التفت قليلاً أيام شبابه إلى الإسرائيليات عن طريق الحكايات إظهاراً لبعض الحقائق.

وإذا قلت: إن لعلماء الصوفية تصورات كثيرة حول «قاف».^(٣)

أقول جواباً: إن عالم المثال المشهور هو ميدان جولانهم، فكما نتجرد من ملابسنا، فهم يتجردون من أجسادهم ويشاهدون ذلك المعرض الحاوي للعجائب والغرائب بالسير الروحاني، فـ«قاف» متمثل في ذلك العالم كما يعرفونه. إذ كما تتمثل السموات والنجوم في مرآة صغيرة، يتمثل أصغر الأشياء من عالم الشهادة -كالبذرة- شجرة ضخمة في عالم المثال بتأثير

(١) انظر: ابن حجر الهيتمي، تحفة المحتاج ١/ ٤٢٧؛ الآلوسي، روح البيان ٢٦/ ١٧١، ١٧٢.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن ٤/ ٢٢٢؛ السيوطي، الدرر المنتثرة ٧/ ٥٨٩؛ الشوكاني، فتح القدير ٥/ ٧٣.

(٣) انظر: ابن عربي، الفتوحات المكية، ٥/ ١٠٩.

من تجسم المعاني. ولا يُخلط أحكام هذين العالمين قط. والمطلّع على لبّ كلام محي الدين بن عربي (*) يصدّق هذا.

أما ما اشتهر بين العوام ومَن هم مثلهم أن «قاف» جبل محيط بالأرض متعدد، ما بين كل اثنين منه مسافة خمسمائة سنة، ذروته تمس السماء.. إلى آخر خيالاتهم، فاقْتَبَسَ من «المقدمة الثالثة» لتقويم هذه الخيالات، ثم ادخل في هذه الظلمات لعلك تجد زلال بلاغتها.

وإن أردت أن تعرف عقيدتي في هذه المسألة، فاعلم أنني أجزم بوجود «قاف» ولكن أحيل كلفيته إلى ثبوت حديث صحيح متواتر؛ فإن ثبت الحديث في بيان كلفيته أو من به على ما أراد النبي ﷺ الذي هو صدق وصحيح وحق، لا على ما تخيله الناس، لأنه قد يكون المفهوم غير المراد. وأما ما فهمناه من هذه المسألة فنعطيكه:

أولاً: إن جبل «قاف» هو سلسلة هيمالايا التي هي أم أعظم جبال «جامولار» التي هي سلسلة أحاطت بمعظم الشرق، والتي كانت حاجزة بين البدويين والمدنيين سابقاً، ويقال: إنه قد تشعب من عرق هذه السلسلة أكثر جبال الدنيا، ومن هذا الأصل نشأ الفكر المشهور بإحاطة «قاف» للدنيا.

ثانياً: إن عالم المثال برزخ بين عالمي الشهادة وعالم الغيب، فهو يشبه الأول صورةً والآخر معنىً، هذا المفهوم يحل ذلك المعنى واللغز.

فمن شاء أن يطلع قليلاً على هذا العالم (عالم المثال) فله أن ينظر إليه بنافذة الكشف الصادق، أو بمنفذ الرؤيا الصادقة، أو بمنظار المواد الشفافة، أو على الأقل بشاشة الخيال الخلفية؛ فهناك دلائل كثيرة جداً على وجود هذا العالم، عالم المثال وتجسّم المعاني فيه.

وبناء على هذا يمكن أن يكون «قاف» الموجود في هذه الكرة الأرضية بذرة «قاف» ذي عجائب موجود في عالم المثال.

ثالثاً: إن مُلك الله واسع لا ينحصر في هذه الكرة الفقيرة. وفضاء الله أوسع ودنيا الله أعظم من أن يضيق بـ«قاف» ذي عجائب. وليس خارجاً من الإمكان العقلي. إنه يناطح

برأسه كتف السماء - التي هي موج مكفوف^(١) - رغم بُعده خمسمائة سنة من أيام الله عن كرتنا الأرضية، إذ يجوز أن يكون «قاف» شفافاً وغير مرئي كالسما.

رابعا: لِمَ لا يجوز أن يكون «قاف» سلسلة عظيمة تجلت في دائرة الأفق، مثلما أن اسم الأفق يكون مصدراً لـ «قاف» لأنه أينما نظر المرء تراءى له دائرة من سلاسل جبلية كالدوائر المتداخلة، وهكذا بالتدريج والتعاقب يُثبت النظر ويبقى، مسلماً أمره إلى الخيال، حتى يتخيل الخيال دائرة من سلاسل جبلية محيطة بالأرض تمس أطراف السماء. فتشاهد متصلة بها بدلالة الكروية حتى لو كان البُعد خمسمائة سنة.

المسألة الرابعة

سد ذي القرنين

كما علمت أن العلم بوجود شيء غير العلم بماهيته وكيفيته.

وأن القضية الواحدة تتضمن أحكاماً كثيرة، منها ضرورية، ومنها نظرية مختلف فيها. وأن المقلد المعاند إذا سأل أحداً عما رآه في كتاب - وإن كان محرفاً - على وجه الامتحان والتجربة وأجابه حتى عن معلومه الغائب عنه. فالجواب صحيح من جهتين:

إما أنه صحيح مباشرة، يطابق الواقع. أو بما يطابق معلوم السائل المعانيد بالذات، أو بالتأويل. فكلا الوجهين صحيح.

فالجواب الواحد إذن يُرضي الواقع، لأنه حق، ويُقنع السائل لأنه يقدر على تطبيقه على معلومه، وإن لم يكن مراداً. وفي الوقت نفسه لا يجرح شأن المقام، لأن فيه - أي في الجواب - عقدة الحياة التي تستمد منها مقاصد الكلام بواعث حياتها.

وهكذا جواب القرآن.

سنميز بعد الآن الضروري من غير الضروري؛

ومن الأحكام الضرورية المفهومة في الجواب القرآني والتي لا تقبل الإنكار:

(١) الترمذي، تفسير سورة الحديد ١؛ أحمد بن حنبل، المسند ٢/ ٣٧٠؛ الطبراني، المعجم الأوسط ٦/ ١٥.

«ذو القرنين»^(١) وهو شخص مؤيد من عند الله، بنى سداً بين جبلين بإرشاده وتديره، دفعاً لفساد الظالمين والبدويين.. وأجوج ومأجوج قبيلتان مفسدتان، وإن السد سيُدْمَرُ حالما يأتي أمرُ الله.. الخ.

وعلى هذا القياس؛ فما دلّ عليه القرآن من أحكام، هو من ضروريات القرآن، أي إنه قطعيّ الدلالة، ولا يمكن إنكارُ حرف منه، ولكن تفصيلات تلك المواضع وكيفياتها ووجوهها وحدود ماهاياتها ليست قطعية الدلالة في القرآن، بل ثبت أنه لا يدل عليها حسب قاعدة: «لا يدل العام على الخاص بأيّ من الدلالات الثلاث»، وحسب دستور علم المنطق: «يكفي للحكم تصوّر وجه ما بين الموضوع والمحمول»، ولكن يمكن أن يقبلها القرآن. أي إن تلك التفصيلات هي من الأحكام النظرية محوَّلةٌ إلى دلائل أخرى، فهي مظنة الاجتهاد، وفيها مجال للتأويل. والدليل على نظريتها (ظنيّتها) اختلاف العلماء.

ولكن يا للأسف، فإنه بتخيل لزوم مطابقة الجواب لتام السؤال، ومن دون اهتمام بخلل السؤال، أخذوا الأحكام الضرورية والنظرية للجواب بأجمعها من مصدر السائل ومنبت السؤال وأصبحوا مفسرين له، لا بل مؤولين لما يجوز أن يدلّ عليه الجواب، لا بل أظهروا أفراد المعنى معنى له، لا بل أولوا ما يجوز أن يصدّق عليه مع شيء من الإمكان مدلولاً مفهوماً له... فتلقاه الظاهريون بالقبول، والعلماء بالإصغاء دون تنقيد لعدم أهميته كالحكايات كما وضح في «المقدمة الثالثة». ولكن لو قبل بتلك التفصيلات كما ورد في التوراة والإنجيل المحرّفين فإنها تخالف عصمة الأنبياء التي يعتقد بها أهل السنة والجماعة... الشاهد على هذا قصة لوط وداود عليهما السلام.

ولكن لما كان في الكيفية مجالاً للاجتهاد والتأويل، فأنا أقول وبالله التوفيق:

الاعتقاد الجازم بما أراد الله تعالى ورسوله ﷺ واجب قطعاً، لأنه من ضروريات الدين، أما المراد ما هو؟ فاختلّف في تعيينه:

فذو القرنين - لا أقول إسكندر، لأن الاسم لا يسمح بذلك - قال بعض المفسرين في حقه: إنه ملك، وقيل: ملك، وقيل: نبي، وقيل: ولي.. إلى آخر ما قيل.

(١) فصلت اللعة السادسة عشرة هذه المسألة.

وعلى كلّ فهو مؤيّدٌ من عند الله ومرشد لبناء سد الصين.

أما السدّ، فقال بعضهم: إنه سد الصين، وقيل: غيره تحوّل جبلاً، وقيل: سد مخفي لا يطلّع عليه، سترته انقلاباتُ أحوال العالم.. وقيل.. وقيل..

وعلى كل فهو ردم عظيم وجدار جسيم بُني لدفع شر المفسدين.

أما يأجوج ومأجوج، فقول: قبيلتان من ولد يافث، وقيل: المغول والمانجور، وقيل: أقوام شرقية شمالية، وقيل: طائفة من جماعة عظيمة من بني آدم يشيعون الفتنة والفوضى في الدنيا والمدنية. وقيل: مخلوقات لله تعالى آدميون أو غيرهم في ظهر الأرض أو في بطنها، يسببون فساد العالم عند قيام الساعة. أما جهة الاتفاق والأمر القاطع: فهما طائفتان من مخلوقات الله كانتا أهل غارة وفساد على الحضارة والمدنية كأجل القضاء عليها.

أما خرابُ السد؛ فقول: عند القيامة، وقيل: قريب منها، وقيل: يخرب بحيث يعدّ أمارتها وإن كان بعيداً، وقيل: وقع الخراب ولكن لم يدك. وقيل، وقيل...

وعلى كلّ؛ فانهدامه علامة على كهولة الأرض وشيب البشر.

فإن وازنتَ بين ما ذكر آنفاً وقارنته يمكنك أن تجوّز أن السدّ المذكور في القرآن هو سدّ الصين، الطويل بفراسخ، ومن عجائب الدنيا السبعة المشهورة، قد بُني بإرشاد مؤيّدٍ من عند الله لصدّ شرور أهل البداوة عن أهل المدنية في ذلك الزمان.

نعم، فمن أولئك الهمج قبيلة «الهون» الذين دمّروا أوروبا، و«المغول» الذين خربوا آسيا.

ثم إن خرابَ السد من علامات الساعة، ولا سيما دكّه غير خرابه. وإذا ما قال النبي ﷺ إنه من أشراط الساعة: «أنا والساعة كهاتين»^(١) كيف يُستغرب كون خراب السد من علامات القيامة بعد خير القرون؟ ثم إن انهدام السد بالنسبة لعمر الأرض هو انقباض وجه الأرض لشيئها، بل كنسبة وقت الاصفرار إلى تمام النهار، حتى لو كانت القيامة بعيدةً بألوف من السنين.

(١) البخاري، تفسير سورة النازعات ١، الطلاق ٢٥، الرقاق ٣٩؛ مسلم، الفتن ١٣٢؛ الترمذي، الفتن ٣٩.

كذلك فإن الفوضى والاضطراب الذي يولده يأجوج ومأجوج هو في حكم حمى تصيب البشرية لهرمها.

وبعد هذا يفتح لك بابٌ لتأويل آخر من فاتحة «المقدمة الثانية عشرة» وهو: أن القرآن يقص القصص لأخذ العبر منها، وينتقي منها النقاط التي هي كالعقد الحياتية التي تناسب مقصداً من مقاصد القرآن ويربطها به.. فهما -أي القصة والعبرة- تتعانقان في الذهن والأسلوب وإن لم تتراء نارهما أو نوراهما معاً ولم يحصلوا في الخارج سوية. ولما كانت القصة للعبرة فلا يلزمك تفصيلاتها ولا عليك كيف كانت. خذ حظك منها وامض إلى شأنك.. واستظهر من «المقدمة العاشرة» ترى أن المجاز يفتح باباً للمجاز ف ﴿تَقَرَّبْ فِي عَيْتٍ حَمِيَّةٍ﴾ (الكهف: ٨٦) تنعي على الظاهريين وتطردهم.

واعلم أن مفتاح حجة الله المتجلية في أساليب العرب هو البلاغة التي هي أصل الإعجاز والمؤسّسة على الاستعارة والمجاز، لا ما يلتقط من خرز -بالحدس الكاذب- من المشهورات وتحتبئ في أصداف الآيات دون رضاها. فاستنشق خاتمة «المقدمة العاشرة» فإنها مسكٌ ودُقفا فيها غسل.

ويموز أن يكون السد وهو مجهول الكيفية في موضع آخر مجهول مستور عنا كسائر علامات الساعة، ويبقى إلى القيامة مجهولاً ببعض انقلاباته، وسينهدم في القيامة.
إشارة:

معلوم أن المسكن يدوم أزيد من ساكنيه، وعمر القلعة أطول من عمر المتحصنين بها. فالسكنى والتحصن علة وجودها لا علة بقائها ودوامها. وحتى إن كانا كذلك فلا يقتضيان استمرارها ولا عدم خلوها. فليس من ضروريات دوام الشيء دوام الغرض المترتب عليه.. فكم من بناء يبنى للسكنى أو للتحصن وهو خاوٍ وخالٍ.
ومن عدم فهم هذا السر فُتح الطريق للأوهام.

تنبيه: إن القصد من هذا التفصيل فتحُ طريقٍ لتمييز وفرز التفسير عن التأويل.. والقطعي عن الظني.. والوجود عن الكيفية.. والحكم عن التفصيلات الجانبية.. والمعنى عن أفراد المعنى.. والوقوع عن الإمكان.

المسألة الخامسة

إن ما اشتهر من أن «جهنم تحت الأرض»^(١) فنحن معاشر أهل السنة والجماعة لا نعيّن موضعها على القطع واليقين، ولكن «التحتية» هي الظاهرة.^(٢)

وبناءً على هذا أقول وبالله التوفيق:

أولاً: إن كرتنا الأرضية ثمرةً من ثمرات شجرة العالم العظيمة، عظمة شجرة طوبى، كما أثمرت سائر نجومها. فما تحت الثمرة يشمل تحت جميع أغصان تلك الشجرة. وبناءً على هذا فـ«جهنم» تحت الأرض بين تلك الأغصان، فملك الله تعالى واسع، وشجرة الخليقة منتشرة، أينما كانت جهنم فلها موضع بينها ولا تقتضي مسافة التحتية طويلاً ولا اتصالاً بالأرض.

وفي نظر الحكمة الجديدة، أن النار مستولية على أكثر ما في الكون، وهذا يشفّ عن أن أصل هذه النار وأساسها جهنم، ترافق الإنسان إلى الخلود وفي طريقه إلى الأبد، وستمزق يوماً ما الستار، وتبرز إلى الميدان قائلة: تهبأوا!

وأودّ أن ألفت نظركم إلى هذه النقطة:

ثانياً: إن تحت الكرة وأسفلها هو مركزها وجوفها، فعلى هذا فإن الأرض حبل يذر شجرة زقوم جهنم، ستلدها يوماً ما. بل الأرض الطائرة في الفضاء ستيض شيئاً كهذا، حتى إن لم تكن جهنم بتمامها في تلك البيضة فإن رأسها أو أي عضو منها مطوية فيها بحيث تتحد مع الدركات وسائر الأعضاء منها يوم القيامة وتبرز على أهل العصيان جهنم مهولةٌ عجيبةٌ.

فيا هذا! الحساب والهندسة يمكنهما أن يأخذاك إلى موضع جهنم وإن لم تذهب أنت إليها؛ وذلك أن درجة الحرارة تتزايد درجة واحدة تقريباً في الأرض بكل ثلاثة وثلاثين متراً في باطن الأرض، بمعنى أن درجة الحرارة تكون في المركز ما يقرب من مئتي ألف درجة -في الأغلب- فنسبة هذه النار المركزية إلى درجة حرارتنا البالغة ألف درجة هي مئتا مرة.

(١) انظر: أحمد بن حنبل، المسند ٢/ ٣٧٠، ٤/ ٢٨٧؛ ابن أبي شيبة، المصنف ٣/ ٥٥؛ البيهقي، شعب الإبان ١/ ٣٣١، ١/ ٣٥٧، ٤/ ٣٣٤؛ الحاكم، المستدرک ٤/ ٦١٢.

(٢) هذه المسألة فصلها السؤال الثالث من المکتوب الأول.

وهذه تُثبت نفس ما ورد في الحديث المشهور - ما معناه - من أن نار جهنم أشد من نارنا بمئتي مرة.^(١)

ثم إن قسماً من جهنم «زمهير»^(٢) والزمهير يحرق ببرودته؛ إذ قد ثبت في العلم الطبيعي أن الحرارة تصل إلى درجة تجعل الماء ثلجاً، وتحرق بالبرودة، حيث تمص الحرارة مصاً. أي إن النار التي تشمل جميع المراتب قسم منها «زمهير».

تنبيه: إن العالم الأخروي الأبدي لا يُقاس بمقياس هذه الدنيا الفانية، ولا بسعتها، فاستعد سيتجلى لك شيء من الآخرة في ختام «المقالة الثالثة».

إشارة: من السعادة الأخروية، من تلك الجنة الوارفة الظلال، تنفتح أمام نظر العقل ثمانية أبواب ونافذتان وذلك:

بشهادة الانتظام في جميع العلوم..

وبإرشاد الاستقراء التام للحكمة..

وبرمز جوهر الإنسانية..

وبإيماء عدم تناهي ميول البشر..

وبتلميح القيامة النوعية المكررة في كثير من الأنواع، كالليل والنهار..

وبدلالة عدم العبيثية..

وبتلويح الحكمة الأزلية..

وبإرشاد الرحمة الإلهية المطلقة..

وبلسان النبي الصادق الفصيح..

وبهداية القرآن المعجز البيان..

(١) انظر: البخاري، بدء الخلق ١٠؛ مسلم، المساجد ١٨٠-١٨٧؛ الترمذي، الصلاة ٥؛ أبو داود، الصلاة ٥.

(٢) انظر: البخاري، المواقيت ٩، بدء الخلق ١٠؛ مسلم ١٨٥؛ الترمذي، جهنم ٩؛ ابن ماجه، الزهد ٣٨؛ الدارمي، الرقاق ١١٩؛ أحمد بن حنبل، المسند ٢/٢٧٦، ٣٩٤، ٥٠٣.

المسألة السادسة

إن الخاصية المميزة للتنزيل الإعجاز، والإعجاز يتولد من ذروة البلاغة، والبلاغة مؤسسة على مزايا وخصائص، لاسيما الاستعارة والمجاز. فمن لم ينظر بمنظارهما لا يفُز بمزاياهما.. فكم في التنزيل من «تنزلات إلهية إلى عقول البشر» تُسِيل ينابيع العلوم في أساليب العرب تأنيساً للأذهان، والتي تعبّر عن مراعاة الأفهام واحترام الحسيات ومماشاة الأذهان.

ولما كان الأمر هكذا، فلا بد لأهل التفسير ألا يبخسوا حقّ القرآن بتأويله بما لم تشهد به البلاغة.

ولقد تحقق أجلى من أية حقيقة كانت أن معاني القرآن الكريم حق، كما أن صور إفادته للمعاني بليغة ورفيعة. فمن لا يرجع الجزئيات إلى ذلك المعدن ولا يُلحَقها بذلك النبع يكن من المبخسين حقّه. وسنبين مثلاً يلفت النظر:

﴿وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا﴾ (النبا:٧) يلوّح بمجاز بديع -الله أعلم بمراده- إذ يجوز أن يكون المجاز المشار إليه يومئ إلى تصوّر كهذا:

أولاً: إن الكرة الأرضية الشبيهة بالسفينة والغواصة العائمة في بحر الفضاء الواسع قد حافظت على توازنها، وأرسيّت أثناء اشتباكها بالهواء في جوف المحيط الهوائي، بجبالها الشبيهة بالأعمدة والأوتاد. بمعنى أن الجبال في حكم الأعمدة والسارية لتلك السفينة.

ثانياً: إن الاهتزازات الناجمة من انقلابات الأرض الداخلية تهدأ وتسكن بالجبال؛ إذ هي كالمسامات للأرض. فمتى ما حصل فورانٌ وغضب في الجوف تتنفس الأرضُ بمنافذِ جبالها، فيسكن غضبها وتهدأ حدتها، أي إن استقرار الأرض وهدوءها بجبالها.

ثالثاً: إن عمودَ عمارة الأرض الإنسان، وحياة الإنسان متوقفة على محافظة منابعها من ماء وتراب وهواء، مع ضمان الاستفادة منها. والجبال هي التي تحقق ذلك بتضمينها لمخازن الماء وتصفيتها الهواء وتلطيفها الحرارة والبرودة، وهي سبب في تنقية الهواء، ومنبع تراكم الغازات المضرة الداخلة فيه. وفي الوقت نفسه تترحم على التراب فتحفظه من التوحد والتعفن وتقيه من استيلاء البحر.

رابعاً: إن وجه المشابهة والمناسبة من حيث البلاغة هو:

لو فرضنا شخصاً ركب منطاد الخيال، فصعد إلى السماء بعيداً عن الأرض؛ فإذا نظر إلى سلسلة الجبال من هناك وتخيّل الطبقة الترايبية خيام البدو المفروشة على الأوتاد، والجبال المنفردة خيمة منصوبة على عماد.. أترأه قد خالف طبيعة الخيال؟ ولو تصوّرت وصوّرت لبديويّ تلك السلاسل الجبلية - مع المستقلة بذاتها - خيام قبائل الأعراب ضُربت في صحراء الأرض مع تخللها خياماً مفردة، لم تبعد عن أساليب العرب الخيالية.. أو لو تصوّرت أنك قد تجردت من هذا العالم المشيد، وبدأت تتأمل في الأرض التي هي مهد البشرية بمنظار الحكمة وفي السماء التي هي السقف المرفوع، وتخيّلت بعد ذلك أن السماء المحددة بدائرة الأفق المماسّة معها، كالفسطاط المضروب على الأرض، المرتبط بأوتاد الجبال، فإنك لا تُتهم في خيالك هذا. سيرد مثال أو مثالان لهذا الأمر في ختام المسألة الثامنة.

المسألة السابعة

﴿ دَحَنَهَا ﴾ و ﴿ سَطَحَتْ ﴾ و ﴿ فَرَشْنَهَا ﴾ و ﴿ تَغَرَّبُ فِي عَيْنِ حَمَّةٍ ﴾ وما شابهها من الآيات المذكورة في القرآن الكريم، يتشبّث بها أهل الظاهر إرباكاً للأذهان، ونحن لسنا بحاجة إلى الدفاع، لأن المفسرين العظام قد كشفوا سرائر ما في ضمائر هذه الآيات، ما فيه الكفاية، فلم تبق لنا حاجة. وقد أعطوا درساً للعبرة، وسطروا السطر الأساس لنحذو حذوهم.

ولكن بكوا قبلي فهتجوا لي البكاء و هيهاات ذور حميرق لبكائي

إن إعلام المعلوم، لاسيما إن كان مشاهداً عبثاً، كما هو معلوم. أي لا بد من وجود نقطة غرابة تُخرجه من العبثية.

فلو قيل: انظروا إلى الأرض كيف جعلناها مسطحة ومهداً مع كرويتها، وقد نجت من تسلط البحار.. أو إذا قيل: انظروا كيف تجري الشمس لتنظيم معيشتكم مع استقرارها... أو مثل: انظروا كيف تغرب الشمس في عين حمئة وهي بعيدة عنا ألوف السنين.. عند ذلك تخرج معاني الآيات من الكناية إلى الصراحة.

نعم، إن نقاط الغرابة هذه هي نكات بلاغية.

المسألة الثامنة

إن مما ورّط الظاهريين، بل السبب الأول الذي دفعهم إلى القلق والتردد، هو: التباس
الإمكانات بالوقوعات،^(١) والخلط بينهما.

فيقولون مثلاً: إذا كان الشيء هكذا، فهو ممكن في القدرة الإلهية، وهو أدلّ على عظمته
تعالى في عقولنا، فهو إذن واقع!...

هيهات! أيها المسكين! أين عقولكم من أن تكون مهندسة الكون؟ فأنتم عاجزون عن
أن تحيطوا بالحسن الكلي بعقلكم الجزئي هذا! لو كان أنف بطول ذراع من ذهب ربما يستحسنه
من حصر فيه النظر!

ثم إن الذي حيرهم، هو توهمهم منافاة الإمكان الذاتي لليقين العلمي، فيتقربون إلى
مذهب «اللاأدرية»^(٢) بتردهم وتشككهم في العلوم العادية اليقينية، بل لا ينجلون، إذ يلزم
مسلكهم هذا أن يتشكك الإنسان في أمور بديهية كوجود بحيرة «وَانْ» وجبل «سبحان»، لأن
هذا ممكن في مسلكهم، أي أن تتقلب بحيرة «وَانْ» إلى دبس، ويتقلب جبل «سبحان» إلى عسل
مغطى بالسكر! أو أنها يذهبان إلى بحر العدم - كقسم من أصدقائنا الذين لم يرضوا بكروية
الأرض فسافروا فلزّت أقدامهم - بمعنى: يلزم عدم التصديق بالحال السابقة للبحيرة والجبل!
أيها المحرومون من المنطق! أين أنتم؟ تأملوا! فقد تقرر في علم المنطق: أن الوهميات
التي في المحسوسات، من البديهيات.^(٣) فإن أنكرتم هذه البداة، فليس لي إلا أن أقدم لكم
التعازي بدل النصائح بموت العلوم العادية، بينما السفسطة قد بعثت لديكم.

البلاء الرابع: الذي شوّش أهل الظاهر هو: التباس الإمكان الوهمي بالإمكان العقلي.^(٤)

(١) الوقوعات: حصول الشيء ووجوده بعد أن كان معدوماً، ولا يلزم من إمكان وجود الشيء وجوده فعلاً، فشمس ثانية
يمكن وجودها ولكنها غير موجودة.

(٢) هو فرقة من السوفسطائيين يقولون: إن حقائق الأشياء لا تدرى هل أنها موجودة أو معدومة، ونحن لا ندرى هل
ندري أو لا ندرى.

(٣) يعني بهذا أن من البديهي أن لا يحصل الوهم في المحسوسات لأن ما يُدرك بها يسمى علماً لا وهماً، وهذه هي
عقيدة أهل السنة والجماعة، أما السوفسطائيون فإنهم يجوّزون الوهم في المحسوسات ويقولون: إن حبة العنب إذا
وضعت في ماء داخل قارورة زجاجية فإنها تُرى كبيرة أكبر منها إذا كانت خارجها، فهذا وهمٌ حصل بالمصرات.
فيجابون بأن الحبة لم تتغير إنما عرض عليها الماء داخل القارورة فأصبحت تُرى هكذا، وإلا فهي لم تتغير. (د.عبد الملك).

(٤) الفرق بينها هو أن الإمكان الوهمي قد يوجد وقد لا يوجد، بينما الإمكان العقلي لا يتخلف. (د.عبد الملك).

علماً أن الإمكان الوهمي متولد من عرق التقليد، لا من أساس. وهو الذي يولد السفسطة، وحيث لا دليل له، يفتح في البديهيات طريقاً إلى الشك والاحتمال والظن، هذا الإمكان الوهمي غالباً ما ينتج من عدم المحاكمة العقلية، ومن ضعف عصبي قلبي، ومن مرض عصبي عقلي، ومن عدم تصور الموضوع والمحمول. بينما الإمكان العقلي هو تردد في أمر لا يظفر بدليل قطعي على وجوده وعدمه ما لم يكن واجباً ولا ممتنعاً. فإن كان الإمكان ناشئاً عن دليل فهو مقبول وإلا فلا اعتبار له.

ومن أحكام الإمكان الوهمي هذا أن قسماً من المتشككين يقولون: ربما لا يكون الأمر على ما أظهره البرهان، لأن العقل لا يستطيع أن يدرك كل شيء. وعقلنا يعطي لنا هذا الاحتمال. نعم... لا.. بل الذي يعطيكم هذا الاحتمال هو شككم ووهمكم. لأن العقل من شأنه المضي على برهان.

صحيح أن العقل لا يتمكن أن يدرك ويوازن كل شيء، ولكن مثل هذه الماديات ولا سيما ما لا يفلت من البصر مهما كان صغيراً فإنه يزنه ويدركه. ولو لم تتمكن من دركه نكون في تلك المسألة غير مكلفين، كالأطفال..

تنبيه: إن مخاطبي الفكري الذي أخاطبه بالظاهري وذو النظر السطحي والذي أفضحه وأعنفه وأوبّخه هو في غالب الأحوال عدو الدين ممن يبخس حقه ولا يرى جمال الإسلام وينظر إليه من بعيد بنظر سطحي عابر.. ولكن أحياناً هو من أهل الإفراط والغلو ممن يفسد الدين من حيث يريد الإصلاح، وهم أصدقاء الدين الجاهلون.

البلاء الخامس: هو تحري الحقيقة في كل موضع من كل مجاز، مما أخذ بيد أهل التفريط والإفراط إلى الظلمات.. نعم، لابد من وجود حبة من حقيقة لينمو وينشأ منها المجاز ويتسنبل، أو إن الحقيقة هي الفتيلة التي تعطي الضوء، أما المجاز فهو زجاجها الذي يزيد ضياءه. نعم، المحبة في القلب، والعقل في الدماغ، وطلبهما في اليد والرجل عبث.

البلاء السادس: هو قصر النظر على الظاهر، مما طمس على النظر، وسرّ البلاغة، فلا يتجاوزون إلى المجاز، مادامت الحقيقة ممكنة في العقل. وحتى لو صاروا إلى المجاز يمسكون عن معناه.

وبناء على هذا فإن تفسير أو ترجمة الآيات والأحاديث لا يبينان حسن بلاغتهما. وكأن لديهم أن قرينة المجاز امتناع الحقيقة عقلاً.. بينما القرينة المانعة كما يمكن أن تكون عقلاً يمكن أن تكون حساً وعادةً ومقاماً وبأشياء أخرى.

فإن شئت فادخل من الباب الواحد والعشرين بعد المئتين من «دلائل الإعجاز» تلك الجنة الفردوس، تر أن ذلك الداهية عبد القاهر الجرجاني^(*) قد أخذ إلى جانبه أمثال هؤلاء المتعسفين يوبّخهم ويعنفهم.

البلاء السابع: هو حصرهم العَرَض^(١) كالحركة على الذاتي،^(٢) والأينية^(٣) مما نكّر المعرّف ولزم إنكار الوصف الجاري على غير مَنْ هو له. وبهذا حادت شمس الحقيقة عن جريانها. أما نظر هؤلاء إلى أساليب العرب، كيف يقولون: صادفتنا الجبال، ثم فارقتنا.. تراءت لنا وبعُدت عنا.. والبحر أيضاً ابتلع الشمس... الخ. وكم يقلبون الخيال لأسرار بيانية كما في المفتاح للسكاكي،^(*) وهذا لطافة بيانية مؤسسة على مغالطة وهمية، بسر الدوران.^(٤)

وسأبين هنا مثالين مهمين لينسج على منوالهما: ﴿وَيَزُلُّ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرٍّ﴾ (النور: ٤٣) ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ (يس: ٣٨).

هاتان الآيتان الكريمتان جديرتان بالملاحظة والتدبر؛ لأن الجمود على الظاهر جحود بحق البلاغة، إذ الاستعارة البديعة في الآية الأولى تتوقد بحيث تذيب الجمود المتجمد، وتشق كالبرق ستار سحب الظاهر. أما البلاغة في الآية الثانية فهي مستقرة وقوية ولا معة بحيث تقف الشمس لمشاهدتها.

فالآية الأولى نظيرتها: ﴿قَوَارِيرٌ مِنْ فِضَّةٍ﴾ (الإنسان: ١٦) التي تضمنت استعارةً بديعة مثلها، وذلك: كما أن أواني الجنة ليست زجاجاً فهي ليست فضة كذلك، بل مباينة الزجاج للفضة قرينة الاستعارة البديعة. أي إن الزجاج بشفافيته والفضة ببياضها ولمعانها كأنهما

(١) العرض: هو الذي لا يبقى زمانين أو ما له تحيز تابع لمحل، كالحركة والسكون والحمرة والصفرة في وجه الإنسان مثلاً.

(٢) الذاتي: يراد به هنا ما له تحيز مستقل بنفسه، أي يأخذ قدراً من الفراغ بنفسه.

(٣) الأينية: يراد بها المكان والمحل، لأنه يُسأل عنه بـ«أين».

(٤) لعله الدوران عند علماء الأصول، وهو: توقف المعلول على علته وجوداً وعدمًا، أي كلما وجدت العلة وجد المعلول وكلما انعدمت انعدم، والله أعلم. (د. عبد الملك).

نموذجان لتصوير أقداح الجنة، أرسلهما الرحمن إلى هذا العالم ليهيّا الرغبة لدى المشتاقين إلى الجنة ممن يبذلون أنفسهم وأموالهم في طلبها.

ومثل هذا تماماً، تنقطر استعارةٌ بدیعة من الآية الكريمة: ﴿مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَرٍ﴾

أن موضع هذه الاستعارة مبنيٌّ على تصوّر التسابق والمحاكاة بين الأرض والسماء بحكم الخيال وهي كآلاتي:

كما أن الأرض تزین بجبالها المتمزّلة بحلل الثلج والبرد أو تتعمم بها، وتبرج ببساتينها، فالسماء كذلك تقابلها وتحاكيها فتجمل متبرقةً بالسحاب المتقطع جبلاً وأطوفاً وأودية وتتلون بألوان مختلفة مصورة لبساتين الأرض.

فلا خطأ إذن في التشبيه إن قيل أن تلك السحب المتقطعة شبيهة بالجبال أو بالسفن أو بقافلة الإبل أو بالبساتين والوديان، إذ يخيل - في نظر البلاغة - أن قطعات السحاب سيارة وسباحة في الجو كأن الرعد راعيها وحاديها، كلما هزّ عصا برقه على رؤوسهم في البحر المحيط الهوائي اهتزت تلك القطعات وارتجت وتراءت جبلاً كالعهن المنفوش، وكأن السماء تدعو ذرات بخار الماء بالرعد لتسلم السلاح والجنديّة ثم بأمر الاستراحة يذهب كلّ إلى مكانه ويختفي.

وكثيراً ما لبس السحابُ زيّ الجبال ويتشكّل بهيكله ويتلون ببياض البرد والثلج ويتكيف بالرطوبة والبرودة. ولهذا فين الجبال والسحب مجاورة وصادقة، فاستحق - في نظر البلاغة - أن يتبادلا ويستعيرا لوازماهما، فيعبّر عن السحاب بالجبل مع تناسي التشبيه.

وفي مواضع من القرآن تظهر هذه الأخوة والتبادل؛ إذ قد يظهر هذا في زيّ ذاك وذاك في زيّ ذلك وفي بريقه.. ومن منازل التنزيل مصافحة الجبال والسحب، مثلما هناك معانقة ومصافحة مشهودة على صحيفة كتاب العالم، إذ نرى السحاب موضوعاً على جبل وكأن الجبل مرسى لسفن السحاب.

الآية الثانية: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾

نعم، إن كلمة تجري تشير إلى أسلوب بيانيٍّ كما أن كلمة ﴿لِمُسْتَقَرٍّ﴾ تلوح إلى حقيقة. بمعنى أنه يجوز أن يكون الأسلوب البياني المشار إليه بـ ﴿تَجْرِي﴾ هو الآتي:

إن الشمس كسفينة مدرّعة مصنوعة من ذوب الذهب تجري وتسيح في بحر السماء الأثيري - المعبر عنه بموج مكفوف^(١) - وهي وإن أُرسيّت في مستقرها إلّا أن ذلك الذهب الذائب يجري في ذلك البحر العظيم، بحر السماء. ولكن ذلك الجريان إنما هو بالنظر الحسي الذي يُراعى لأجل التفهيم، فهو جريان تبغي وعرضي. إلّا أن للشمس جريانين حقيقيين؛ ولا بد أن يكون لها جريان، لأن المقصد - من الآية - بيان الانتظام... وحسب أساليب العرب وفي نظر النظام إن كان الجريان ذاتياً أو تبعياً فالأمر سواء.

ثانياً: إن الشمس في مستقرها وعلى محورها متحركة، لذا فإن أجزاءها التي هي من ذوب الذهب تجري أيضاً، هذه الحركة الحقيقية هي حبة من تلك الحركة المجازية المذكورة بل هي محرّكها.

ثالثاً: إنه من مقتضى الحكمة أن جريان الشمس وجنودها التي هي سياراتها في فضاء العالم في جريان مشاهد، لأن القدرة الإلهية قد جعلت كل شيء حياً ومتحركاً ولم تجعل شيئاً محكوماً عليه بالسكون المطلق، ولم تسمح الرحمة الإلهية أن يتقيد أي شيء كان بالعطالة المطلقة التي هي أخت الموت وابنة عم العدم. لذا فالشمس أيضاً طليقة بشرط إطاعتها للقانون الإلهي، فلها الحرية في الجريان، ولكن بشرط ألا تتدخل في حرية غيرها. إن الشمس سلطان الفضاء وهي المتمثلة للأمر الإلهي، والمنفذة للمشيئة الإلهية في كل حركاتها.

نعم، إن جريان الشمس كما يكون على سبيل الحقيقة يمكن أن يكون على سبيل المجاز أيضاً، وكما أن جريان الشمس حقيقي وذاتي يمكن أن يكون عرضياً وحسياً أيضاً. والمنار على المجاز كلمة ﴿تَجْرِي﴾ والملوح للعقدة الحياتية لفظ ﴿لُمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾.

نحصل مما سبق: أن المقصد الإلهي في هذه الآية الكريمة إبراز النظام والانتظام، فالنظام ساطع كالشمس، وبناء على قاعدة: «كُلِّ العسل ولا تسل» فإن الحركة المُنتجة للنظام سواء كانت من الشمس أو من دوران الأرض، أيما كانت، فلسنا مضطرين إلى تحري السبب الأصلي لأنه لا يخلّ بالمقصد الأساس في ذكر الآية. شبيه ذلك: الألف مثلاً في «قال»، تحصل بها الخفة، فأياً كان أصل الألف، فالخفة حاصلة والألف ألف، حتى لو كان أصلها قافاً بدل الواو..

(١) انظر: الترمذي، تفسير سورة الحديد ١؛ أحمد بن حنبل، المسند ٢/ ٣٧٠؛ الطبراني، المعجم الأوسط ٦/ ١٥.

إشارة: فمع هذه التصويرات فإن الجمود البارد والتعصب على الظاهر يتنافى حرارة البلاغة ولطافتها كما أنه يجرح ويخالف استحسان العقل الشاهد على الحكمة الإلهية التي هي أساس نظام العالم الشاهد على الصانع.

وذلك: إذا استقبلت مثلاً جبل «سبحان» من بُعد فراسخ، وأردت أن يتبدل وضعه بالنسبة لجهاتك الأربع، أو تشاهده في كل جهة من جهاتك. فبدلاً من أن تتخطى خطوات يسيرة نحوه، تُكَلِّف جبلاً ضخماً ذلك الجرم العظيم أن يأتي إليك من جهاتك الأربع وقطعه دائرة عظيمة تحار في تصوورها. فهذا المثال العجيب للإسراف والعشبة واختيار الطريق الأطول وترك الأقصر، أعدّه جنائياً على نظام العالم.

والآن انظر بنظر الحقيقة المنصفة إلى هذا التعصب البارد، كيف يعارض حقيقة باهرة ثابتة بشهادة الاستقراء التام. تلك الحقيقة هي:

لا إسراف ولا عبث في الخلقة، والحكمة الأزلية لا تترك الطريق القصير المستقيم، ولا تختار الطريق الطويل المتعسف، لذا فلم لا يجوز أن يكون الاستقراء التام قرينة المجاز؟ وما المانع الذي يُتصور؟

تنبيه: إن شئت فادخل المقدمات، واجعل المقدمة الأولى هي الصغرى والمقدمة الثالثة هي الكبرى لتنتج لك: أن الذي يشوش أذهان الظاهريين، انجذابهم إلى الفلسفة اليونانية، حتى نظروا إليها نظر المسلمات في فهم الآيات.. ومما يضحك الثكلى: أن بعضاً فهموا من كلام من هو أجل من أن لا يميز جوهر الحقيقة عن زخارف الفلسفة، قوله بالكردية «عناصر جهان رِ وان ملّك» أي: أن الملائكة أجسام نورانية مخلوقة من عناصر، لا كما يزعمه الفلاسفة من أنهم مجردون عن المادة. فهموا من هذا الكلام ومن هذا التصريح أن العناصر أربعة وهي من الإسلام!

فيا للعجب! إن كونها أربعة، وكونها بسيطة هي من اصطلاحات الفلاسفة، ومن أسس العلوم الطبيعية الملوثة، ولا علاقة لها أصلاً بأصول الإسلام. بل هي قضية يُحكم عليها بظاهر المشاهدة.

نعم، إن كل ما يمسّ الدين لا يلزم أن يكون من الدين، فإن قبول كل مادة تمتزج مع

الإسلام أنها من عناصر الإسلام يعني الجهل بخواص عنصر الإسلام نفسه، لأن العناصر الأربعة الأساسية للإسلام، وهي الكتاب والسنة والإجماع والقياس، لا تولد مثل هذه المواد ولا تركبها.

حاصل الكلام: أن تلك العناصر.. هي عناصر، وهي بسيطة، وهي أربعة، وهي من مستنقع الفلسفة، وليست من معدن الشريعة الخالص، ولكن لدخول أخطاء الفلسفة في لسان سلفنا، وجدوا محملاً صحيحاً لها. لأن السلف عندما قالوا أربعة فهي ظاهراً أربعة، أو هي حقيقة أربعة، وهي التي تولد الأجسام العضوية: مولد الماء والحموضة والأزوت والكربون. وإن كنت حراً في تفكيرك فانظر إلى شر هذه الفلسفة، كيف ألفت الأذهان إلى السفالة والأسر. فمرحى للفلسفة الجديدة المتحررة التي قضت على تلك الفلسفة اليونانية المستبدة قضاءً مبرماً. تحقّق إذن مما سبق: أن مفتاح دلائل إعجاز الآيات وكشاف أسرار البلاغة، هو في معدن البلاغة العربية، وليس في مصنع الفلسفة اليونانية.

أيها الأخ! لما كان الاهتمام واللهفة في كشف الأسرار أبلغنا هذا المقام. وجعلناك تصحبنا وننقل فكرك، ونشعر بما تعانيه من أتعاب... فالآن نطوّف بك في ميادين عنصر البلاغة ومفتاح الإعجاز في المقالة الثانية.

وإياك أن ينفرك إغلاق أسلوبها، وظاهر مسائلها المهلهل؛ لأن دقة معانيها هي التي أغلقتها، وجمال معانيها بذاتها هو الذي جعلها مستغنية عن الزينة الظاهرية.

نعم، إن صداق المستغنية المتغنية، إنعام النظر، ومنازلها سويداء القلب. فما خلعت عليها من ملابس يخالف طراز هذا العصر، ذلك لأنني قد ترعرعت في الجبال، وهي مدرسة شرقي الأناضول فلم أتعلّم الخياطة الحديثة!

ثم إن أسلوب بيان الشخص يمثل شخصيته. وأنا كما ترون وتسمعون: معمّي، مُشكِـل الحل.

تم... تم...

المقالة الثانية

عنصر البلاغة

هذه المقالة تبيّن بضع مسائل تتعلق بروح البلاغة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الطيبات لله والصلوات على نبيه

المسألة الأولى

نخبرنا التاريخ بأسفٍ بالغ أنه لما انجذب الأعاجم بجاذبة سلطنة العرب فسَدَ بالاختلاط ملكةُ الكلام المَصْري، التي هي أساسُ بلاغة القرآن؛ إذ لما تعاطى الأعاجم والدُخلاء صنعةَ البلاغة العربية حوّلوا الذوقَ البلاغي من مجراه الطبيعي للفكر، وهو نظمُ المعاني، إلى صنعة اللفظ.

وذلك أن المجرى الطبيعي لأنهار الأفكار والمشاعر والأحاسيس إنما هو نظم المعاني.. ونظمُ المعاني هو الذي يشيّد بقوانين المنطق.. وأسلوبُ المنطق متوجّه إلى الحقائق المتسلسلة.. والفكرُ الواصل إلى الحقائق هو الذي ينفذ في دقائق الماهيات ونسبها.. ودقائق الماهيات ونسبها هي الروابط للنظام الأكمل في العالم.. والنظامُ الأكمل هو المندمج فيه الحسنُ المجرد الذي هو منبع كل حسن.. والحسن المجرد هو روضةُ أزاهير البلاغة التي تسمى لطائفَ ومزايا.. وتلك الجنةُ المزهرة ودقائق الماهيات ونسبها هي التي تجول فيها بلابلُ عاشقةٌ للأزاهير المسماة بالشعراء والبلغاء وعشاقِ الفطرة.. ونغماتُ تلك البلابل يمدّها صدىٌ روحاني هو نظم المعاني.

ولكن لما حاول الدُخلاء والأعاجم الدخولَ في صفوف الأدباء، فلتَ الأمرُ. لأن مزاج الأمة مثلاً أنه منشأ أحاسيسها ومشاعرها، فإن لسانها القومي يعبر عن تلك المشاعر ويعكس تلك الأحاسيس. وحيث إن أمزجه الأمة مختلفةٌ، فاستعداد البلاغة في ألسنتها متفاوت أيضاً، ولا سيما اللغة العربية الفصحى المبنية على قواعد النحو.

وبناء على هذا فإنّ نظمَ اللفظ -الذي هو أرض قاحلة جرداء لا تصلح لأن تكون مَسبلاً لجريان الأفكار ومَنبئاً لأزاهير البلاغة- اعترض مجرى البلاغة الطبيعي، وهو نظمُ المعنى فسوّش البلاغة.

وحيث إن المبتدئين ومن لا مهارة لهم أحوج من غيرهم إلى ترتيب اللفظ وتحسينه وتحصيل المعاني اللغوية - بسوء اختيارهم أو بسوق الحاجة - فقد صرفوا جلَّ اهتمامهم إلى اللفظ ورغبوا فيها هو أسهل مجرى وأظهر للنظر العابر وأنس للعوام وأولى بأن ينجذبوا إليه وينفعوا به ويحتمعوا حوله، لذا انجذبوا إلى تنميق الألفاظ صارفين أذهانهم عن تنسيق المعاني والتغلغل فيها، تلك المعاني التي كلما قطعت بها مفازة تراءت صحارى شاسعة باهرة منها.. وهكذا سار الأمر بهم حتى افترقت أذهانهم فداروا حيث دار اللفظ بعد تصور المعاني، بل حتى غلب اللفظ المعنى وسخره لنفسه، فاتسعت المسافة بين طبيعة البلاغة - وهي كون اللفظ خادماً للمعنى - وصنعة العاشقين للفظ.

فإن شئت فادخل في «مقامات الحريري» فإنه مع جلالته قدره في الأدب، فقد استهواه حبُّ اللفظ وبذلك أخلَّ بأدبه الرفيع، فأصبح قدوة للمغمَّرين باللفظ، حتى خصص الجرجاني - ذلك العملاق - ثلث كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة دواءً لعلاج هذا الداء.

نعم، إن حب اللفظ داء، ولكن لا يعرف أنه داء!

تنبيه: كما أن حب اللفظ مرض، كذلك حب التصوير (الفني)، وحب الأسلوب، وحب التشبيه، وحب الخيال، وحب القافية مرض مثله. بل ستكون هذه الأمراض بالإفراط أمراضاً مزمنة في المستقبل، كما تبدو البوادر من الآن. حتى يُضحَى بالمعنى في سبيل ذلك الحب، بل بدأ كثير من الأدباء بإساءة الأدب والأخلاق لأجل نادرة ظريفة، أو لإتمام قافية رنانة.

نعم، اللفظ يُزَيِّن ولكن إذا اقتضته طبيعة المعنى وحاجته..

وصورة المعنى تُعْظَم وتعطى لها مهابة ولكن إذا أذن بها المعنى...

والأسلوب يُنَوِّر ويلبِّع ولكن إذا ساعده استعداد المقصود...

والتشبيه يلطِّف ويجمِّل ولكن إذا تأسس على علاقة المقصود وارتضى به المطلوب...

والخيال يُنشط ويسِّح ولكن إذا لم يؤلِّم الحقيقة، ولم يثقل عليها، وأن يكون مثلاً للحقيقة متسبلاً عليها.

المسألة الثانية

إن حياة الكلام ونموه: بتجسّم المعاني وبنفخ الروح في الجمادات. وذلك بإلقاء الحوار فيما بينها بالسحر البياني الحاصل بقوة الخيال؛ المبنية على المغالطة الوهمية، المؤسسة على الدوران -أي ظن أحد الشئيين علّة للآخر في الوجود والعدم كما هو الاعتقاد العرفي-... فالسحر البياني إذا تجلّى في الكلام بَعَثَ الحياة في الجمادات كالساحر، ويوقع بينها محاورة قد تنجرّ إلى المحبة أو المخاصمة، فيجسّم المعاني ويحييها ويدرج فيها الحرارة الغريزية.

فإذا شئت فادخل في البيت الصاحب:

يناجيني الإخلافُ من تحت مَظِلِّهِ فتختصم الآمالُ واليأسُ في صدري^(١)

أي: إن خلف الوعد يحاورني من تحت ستار الماطلة في الحق، ويقول: لا تنخدع. فتتخاصم الآمال واليأس ويهدّان منزل صدري المترلزل.

فترى كيف مثل الشاعر الساحر المحاربة والمخاصمة بتجسيمه الأمل واليأس وبعثه الحياة فيها، وجعلهما في صراع مع مثير الفتن: إخلاف الوعد، حتّى جعل البيت كأنه مشهد سينمائي يترأى أمام عقلك. نعم، إن هذا السحر البياني نوع من التنويم.

أو استمع إلى شكوى الأرض وعشقها إلى المطر في هذا البيت:

تشكى الأرض غَيْبَتَهُ إِلَيْهِ وترشّف ماءه رشف الرضاب^(٢)

يضع أمام خيالك حالة قيس وليلى، فالأرض قيس ومعشوقها السحاب ليلى!

تنبيه: إن الذي جمّل هذا الشعر هو مشابهة ما فيه من الخيال إلى حد ما بالحققة؛ إذ الأرض تُحدث صوتاً وأزيزاً إذا تأخر عنها المطر فتمص ماءه مصاً. والذي يشاهد عنها هذه الحالة ينتقل خياله إلى تأخر المطر وشدة حاجة الأرض إليه، وبسر الدوران المعلوم ويتصرف الوهم يُفرغ الخيال نفسه في صورة عشق وحوار بينهما.

إشارة: لا بد في كل خيال من نواة من حقيقة، مثل هذه النوية.

(١) لابن المعتز (دلائل الإعجاز ٦١) وفي ديوان ابن المعتز: تُجاذبني الأطراف بالوصل والقلبي ص ٢٢٦.

(٢) لأبي الطيب المتنبي في ديوانه ١/ ٢٦٣.

المسألة الثالثة

إن حلل الكلام أو جماله وصورته: بأسلوبه، أي بقالب الكلام؛ إذ الأسلوب يتنور ويتشرب ويتشكل باتخاذ تلاحق قطعات الاستعارة التمثيلية، المتركية من الصور، الحاصلة بخصوصيات من تمايلات الخيال، المتولدة بسبب تلقيح الصنعة (البينانية) أو المباشرة أو التوغل أو دقة الملاحظة. فالأسلوب بهذا قالب الكلام كما هو معدن جماله ومصنع حلله الفاخرة. فكأن المتكلم ينادي بإرادته -التي تنبه العقل- فيوظ المعاني الراقدة في زوايا القلب المظلمة، فتخرج حفاة عراء وتدخل الخيال الذي هو محل الصور، فتلبس (المعاني) ما تجده من صور في خزانة الخيال تلك، فتخرج بعلامة مهما قلت، حتى قد تلف على رأسها منديلاً أو تخرج لابسة نعلاً، أو تخرج بأزرار أو بكلمة تدل على أنها تربت هناك.

فإذا أنعمت النظر في أسلوب الكلام -الكلام الطبيعي الفطري- ترى المتكلم في مرآة الأسلوب، حتى كأن نفسه في أنفاسه ونبراته، وماهيته في نفثاته، وصنعتة ومزاجه ممزجان في كلامه، فلو تخيلت الأمر هكذا لما عوتبت في مذهب الخياليين.

فإن كان في خيالك مرض من الشك في هذا، فزُر مستشفى قصيدة «بردة المديح»، وانظر كيف كتب الحكيم البوصيري^(*) وصفته الطبية باستفراغ الدمع وحمية الندم:

وَاسْتَفْرَغَ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قَدْ امْتَلَأَتْ مِنَ الْمَحَارِمِ وَالزَّمَجِيَةِ النَّدَمِ

وإن انتهيت شرب زلال المعنى من زجاج الحقيقة -أي الأسلوب- وترى امتزاجهما فاذهب إلى الخمار واسأله:

ما الكلام البليغ؟ فسيقول لك بدافع من صنعتة: الكلام البليغ ما طبخته مراحل العلم وبقي في دنان الحكمة وصفته مصفاة الفهم، فدار به الساقون الظرفاء، فشربته الأفكار، وتمشى فيه الأسرار، فاهتزت به الأحاسيس.

وإن لم يرق لك كلام هؤلاء السكارى، فاستمع إلى مهندس الماء، هدهد سليمان عليه السلام، في النبأ الذي أتى به من سبأ، كيف وصف الذي علم القرآن وأبدع السماوات والأرض، إذ يقول الهدهد: إني رأيت قوماً لا يسجدون لله: ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْحَبَّاءَ فِي السَّمَكِ وَالْأَرْضِ﴾ (النمل: ٢٥) فانظر، كيف اختار من بين الأوصاف الكمالية ما يشير إلى هندسة الهدهد.

إشارة: مرادي بالأسلوب: قالب الكلام وصورته، وآخرون يقولون غير هذا.

وفائده البلاغية: التحام تفاريق القصة وقطعها المشتتة، لتهتز القصة كلها بتحريك جزء منها حسب القاعدة: «إذا ثبت الشيء ثبت بلوازمه»؛ إذ لو وضع المتكلم بيد السامع طرفاً من الأسلوب فالمخاطب يمكن أن يرى تمامه بنفسه ولو مع شيء من الظلمة. فانظر أينما كان لفظ «بارز» فانه كالنافذة تريك ميدان الحرب.

نعم، هناك كثير من أمثال هذه الكلمات لو قيل إنها مشاهد سينما الخيال فلا حرج.

تنبيه: إن مراتب الأسلوب متفاوتة جداً؛ بعضها أرق من النسيم إذا سرى في السحر، وبعضها أخفى من دسائس دهاة الحرب في هذا الزمان، لا يشمه إلا ذوو الدهاء، كاستشمام الزمخشري(*) من الآية الكريمة ﴿مَنْ يُحْيِ الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (يس: ٧٨) أسلوب من يبرز إلى الميدان!

نعم، إن العاصي لله إنما يبارز خالقه ويحاربه معنى.

المسألة الرابعة

إن قوة الكلام وقدرته: أن تتجاوب قيوده، وتتعاون كفياته، ويمد كل بقدره مشيراً إلى الغرض الأصلي ويضع إصبعه على المقصد. فيكون مثلاً ومصدراً لدستور:

عِبَارَاتُنَا شَتَّى وَحُسْنُكَ وَاحِدٌ وَكُلُّ إِلَى ذَاكَ الْجَمَالِ يُشِيرُ^(١)

وكان القيود مسيل ووديان، والمقاصد حوض في وسطها يستمد منها.

حاصل الكلام: يلزم التجاوب والتعاون والاستمداد، لثلا تتشوش صورة الغرض المرتسمة على شبكة الذهن والملتقطة بنظر العقل.

إشارة: ينشأ التناسب ويتولد الحسن ويلمع الجمال بنشوء الانتظام من هذه النقطة.

فتأمل في كلام رب العزة ﴿وَلَكِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾^(٢) (الأنبياء: ٤٦)

المسوقة للتهويل، وتخويف الإنسان، وتعريفه بعجزه وضعفه. فبناءً على القاعدة البيانية:

(١) لم ينسب إلى قائله: انظر تفسير الألوسي ٤١٧/٨؛ البحر المديد لابن عجيبة ٤/١١٣؛ البرهان للزركشي ٢/١٦٠.

(٢) ﴿وَلَكِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ يَقُولُ: نَوَيْلًا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٤٦)

«ينعكس الضد من الضد» ترى الآية الكريمة تُبين تأثير القليل من العذاب بقصد التهويل والتخويف، فكل طَرَف من الكلام يُمدّد المقصد -وهو التقليل- عن جهته وذلك بـ:

التشكيك والتخفيف في لفظ «إن».

والمسّ وحده دون الإصابة في «مست».

والتقليل والتحقير في مادة «نفحة» وصيغتها وتنكيرها.

والتبعض في «من».

والتهوين في «عذاب» بدلاً من نكال.

وإيحاء الرحمة في «ربك».

كل ذلك يهول العذاب ويعظمه بإراءة القليل، إذ إن كان قليله هكذا فكيف بعظيمه.. نسأل الله العافية!

تنبيه: هذا نموذج نسوقه لك، إن قدرت فقس عليه؛ فإن جميع الآيات القرآنية يتلأأ عليها هذا الانتظام والتناسب والحسن. ولكن قد تتداخل المقاصد وتتسلسل، وتصبح توابع، كل منها مقارنة مع الأخرى دون اختلاط. فلا بد من الحذر والانتباه، لأن النظرة العابرة كثيراً ما تَزَلّ في هذه المواضع.

المسألة الخامسة

إن أصل الكلام وصورة تركيبه يفيد المقصد نفسه، كما أن غناه وثروته وسعته هو في بيان لوازم الغرض وتوابعه وهزّه بتلميحات مستتبعاته وبإشارات الأساليب؛ إذ التلميح أو الإشارة أساس مهم يهزّ عطف الخيالات الساكنة ويستنطق جوانبها الساكنة، فيهيّج الاستحسان في أقصى زوايا القلب.

نعم، إن التلميح أو الإشارة إنما هو لمشاهدة أطراف الطريق ومطالعتها، وليس للقصد والطلب والتصرف، بمعنى أن المتكلم لا يكون مسؤولاً فيه.

فإن أحببت فادخل في هذه الأبيات لترى ما يستحق المشاهدة:

فانظر إلى شعرات لحية الشيخ الذي اعتلى فرسه وأراد أن يعرض فتوته تجاه حسناء، تجد فيها مفاتيح بلاغة كثيرة..

فدونك الأبواب افتحها:

قالت كبرت وشبت قلت لها هذا غبارُ وقائع الدهر^(١)

وأيضاً:

ولا يروّعك إيماض القتير به فإن ذاك ابتسام الرأي والأدب^(٢)

أي لا يخوّفك ابيضاض شعرات فإن نور العقل والأدب قد سالا من الدماغ إلى اللحية.

وأيضاً:

وعينك قد نامت بليلٍ شبيبةٍ فلم تنتبه إلا أصبح مشيب

وأيضاً:

وكانما لطم الصباح جبينه فاقصّ منه وخاض في أحشائه^(٣)

يصف الشاعر فرسه فيريد: أن غرته إنما هي أثر من لطف الصباح على جبينه، وتحجّله إنما هو من خوض قوائمه الأربع في أحشاء الصباح.

وأيضاً:

كأن قلبي وشاحها إذا خطرث وقلّبتها قلبها في الصمت والخرس^(٤)

أي يتحرك قلب الشاعر كوشاح في خصر المعشوق، بينما قلبها في سكون وصمت كسوارها. فلئن اشتاق قلبي إلى ذلك الزند القوي والخصر النحيف فإن قلبها مستغن عني... فالشاعر جمع في البيت الواحد الحسن والعشق والاستغناء والاشتياق.

(١) قول ابن المعتز (أسرار البلاغة ٣٢٢).

(٢) وفي رواية الديوان: فلا يؤرقك إيماض القتير... والقتير: الشيب. والبيت للطائي الكبير يمدح الحسن بن سهل.

(٣) قاله ابن نباتة السعدي في وصف فرس أهده إياه سيف الدولة. (انظر الديوان ٢٧٣/١ وأسرار البلاغة ٣٢٥).

(٤) للشاعر صريع الغواني (ت ٢٠٨هـ/ ٨٢٣م) مسلم بن الوليد الأنصاري؛ انظر: العاملي، الكشكول، ١٥٩. وأسامة بن منقذ، البديع في نقد الشعر ٤٥/١.

وأيضاً:

وألقى بصحراء الغبيط بعاه نزول اليماني ذي العياب المحمل^(١)

أي إن السيل القادم من المطر، ألقى بضاعته كالتاجر اليماني في صحراء الغبيط، فأخذت الأزاهير تتلون بتلك الأخلاط التجارية المزوجة بالأصباغ والألوان وتلبس الحلل الزاهية حتى تحمر رؤوسها، مثلما لو نزل تاجر في قرية مساءً واشترى منه أهلها بضاعته المتلونة المتنوعة، يخرج في الصباح كل من بيته في زينة وجمال وحتى راعي القوم يعصب رأسه بعصابة حمراء.

وأيضاً:

غَارَ الوفاءُ وفاض الغدرُ وانفرجتْ مسافةُ الخلف بين القول والعمل^(٢)

فإن شئت فالتفتْ إلى ما قبل هذه المقالة، تجد أمثلة كثيرة حول هذه المسألة.

منها: «إن مفتاح دلائل إعجاز الآيات وكشاف أسرار بلاغتها، البلاغة العربية لا الفلسفة اليونانية».

أو راجع الإشارة التي هي في خاتمة المسألة الأولى من المقالة الأولى، فإن فيها: «إن شريعة الخليفة أو الشريعة الفطرية قد فرضت على الأرض المجذوبة السائحة ألا تشذ عن صف النجوم المقتدية بالشمس».

نعم، إن الأرض مع قرينتها ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (فصلت: ١١) والطاعة في الجماعة أفضل.

فتأمل الآن في هذه الأمثلة، فإن كل مثال يُريك من أمامه ومن خلفه مقاماتٍ، بحيث تبرز مقامات أخرى خلفها.

(١) صحراء الغبيط: الحزن، وهي أرض بني يربوع. بعاه: ثقله، وما معه من متاع. والمعنى: أرسل السحاب ماءه وثقله كهذا التاجر اليماني حين ألقى متاعه في الأرض ونشر ثيابه، فكان بعضها أحمر وبعضها أصفر وبعضها أخضر، كذلك ما أخرج المطر من النبات والزهر فألوانه مختلفة كاختلاف ألوان الثياب اليمانية (شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الأنباري. تحقيق: عبد السلام هارون - دار المعارف ص ١٠٨)

(٢) في ديوان الطغرائي: غاض الوفاء... الخ (الغيث المسجم في شرح لامية العجم ٣/٢٣٤٣ شرح صلاح الصفدي، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٥).

المسألة السادسة

إن ثمرات الكلام هي: المعاني المتولدة في صور متعددة والمتفجرة في طبقات متفاوتة. فكما هو معلوم لدى الكيمائيين: إن الذهب عند استحصاله، يمرر في أنابيبٍ معامل متعددة ويرسب ترسبات مختلفة في طبقات متفاوتة ويشكل بأشكال متنوعة. وفي الختام يحصل على قسم من الذهب. كذلك الكلام الذي هو خريطة مختصرة أخذت من صورة المعاني المتفاوتة، فالمفاهيم المتفاوتة تتشكل صورها كالآتي:

إنه باهتزاز قسم من أحاسيس القلب بتأثيرات خارجية تتولد الميول، وتكون معانٍ هوائية منها وتعلقها بنظر العقل توجه العقل إلى نفسها.. ثم بتكاثف قسم من ذلك المعنى البخاري يبقى قسم من الميول والتصورات معلقة.. ثم بتقطر قسم آخر يرغب فيه العقل.. ثم القسم المائع يتحصل منه ويصلب، فيضمه العقل ضمن الكلام.. ثم ذلك المتصلب لأنه يتجلى ويتمثل برسم خاص به، يُظهره العقل بكلام خاص حسب قامته المخصوصة.

بمعنى أن المتشخص من المعنى يأخذ العقل ضمن صورة خاصة للكلام. وما لم يصلب يسلمه ليد الفحوى، وما لم يتحصل يحمله على إشارات الكلام وكيفياته، وما لم يتقطر يحيله إلى مستتبعات الكلام، وما لم يتبخر يربطه باهتزازات الأسلوب وأطوار المتكلم التي ترافق الكلام.

ومن هذا النبع ينفجر مستمى «الاسم»، ومعنى «الفعل»، ومدلول «الحرف» ومظروف «النظم»، ومفهوم «الهيئة»، ومرموز «الكيفية»، ومشار «المستتبعات» ومحرك «الأطوار المشايعة للخطاب» ومقصود «الدال بالعبارة» ومدلول «الدال بالاشارة» والمفهوم القياسي لـ «لدال بالفحوى» والمعنى الضروري لـ «لدال بالاقتضاء» وأمثالها من المفاهيم كل منها ينعقد في طبقة من طبقات هذه السلسلة.

فإن اشتقت فتطلع في وجدانك تشاهد هذه المراتب، وذلك إذا ما ألقى محبوبك شعاع حسنه وبريقه من نافذة العين إلى الوجدان؛ فذلك العشق المسمى بالنار الموقدة، يحرق مباشرة الحسيات ويلهبها، فتتهيج الآمال والميول، فتثقب تلك الآمال مباشرة سقف ذلك الخيال الذي في الطبقة العليا، ويستغيث فتسعى إلى تلك الآمال الخيالات المسكة بيدها محاسن

المحجوب أو المشبعة بمحاسن غيرها، فتهاجم معاً وتنطلق من تلك الخيالات إلى اللسان وتستردف ميل زلال الوصال، وتضع على يمينها آلام الفراق، وتضع في يسارها التعظيم والتأدب والاشتياق، وتضع أمامها محاسن المحجوب المقتضي للعطف والترحم، فتتشر تحية ثنائها، وتنظم قلائد مدحها، المتجلية من الكل بوصف الفضائل المستجلب لزلال الوصال، المطفئ للنار الموقدة على الأفئدة. فانظر كم من المعاني ترفع رأسها من غير الطبقات التي تعرفها.

فإن لم تحف فانظر إلى وجدان كل من ابن الفارض وأبي الطيب المنبر أكثر من عيونهما، وتأمل في ترجمان الوجدان في:

غرسْتُ باللحظ ورداً فوق وجتها حقٌ لطرفي أن يجني الذي غرسا^(١)
وأيضاً:

فللعين والأحشاء أول هل أتى تلا عائدي الآسي وثالث تبت^(٢)
وأيضاً:

صدَّحى ظمئى لُماك لماذا وهواك قلبي صار منه جذاذاً^(٣)
وأيضاً:

حشاي على جمر ذكي من الغضا وعيناي في روضٍ من الحسن ترتع^(٤)
فشاهد واستمع كيف أن عيونهم تتجول في جنة وسعيرُ وجدانهم تُعذَّب.

ولقد بين الشعراء خيالات رقيقة جداً بالإشارة إلى محاسن المحجوب، وبالرمز إلى استغناؤه، وبالإيحاء إلى التألم من فراقه، وبالتصریح بالشوق إليه، وبالتلويح بطلب الوصال، وبالنص على الحسن الجالب للعطف.. مع ما يحرك الحسيات من أطوار.

(١) وفي رواية ديوان لابن الفارض: غرسْتُ باللحظ ورداً فوق وجته... ص ١٧٧ دار صادر، بيروت.
(٢) أول هل أتى: أراد به سورة من القرآن الكريم أولها (هل أتى...) تلا: من التلاوة، والقراءة. وثالث تبت: أراد بها ثالث لفظة من سورة (تبت يدا أبي لهب...) وهي: أبو لهب. يريد الشاعر: أنه أصبح كأنه لم يكن شيئاً مذكوراً، وصارت أحشاؤه تكنى بأبي لهب، لشدة اشتعالها بنار الوجد (ص ٤٢ من الديوان).
(٣) الصد: الإعراض. حمى: منع. لُماك: سمرة شفتيك. وهواك: أي قسماً بهواك. منه: أي من صدك. جذاذاً: قطعاً.

(٤) وفي رواية ديوان المتنبي: حشاي على جمر ذكي من الهوى...

إشارة: كما يلزم في نظام أية دولة كانت، أن يكون أجر الموظف حسب وظيفته وبمقدار خدماته وعلى وفق قابليته واستعداده، كذلك يلزم تقسيم العناية وتوزيع الاهتمام توزيعاً عادلاً، بحيث تأخذ كل معنى من المعاني المتزاحمة في مثل هذه المراتب المتفاوتة نصيبه وحظه بنسبة قربه من مركز الغرض الكلي الذي سيق له الكلام، وبنسبة خدمته للمقصود الأساس، وذلك ليحصل بتلك المعادلة: الانتظام، ومن الانتظام: التناسب، ومن التناسب: حسن الوفاق، ومن حسن الوفاق: حُسْنُ المعاشرة، ومن حسن المعاشرة: ميزان التعديل لكمال الكلام. وبخلاف هذا فإن مَنْ هو خادم وظيفه وصبي طبعاً إذا دخل في مراتب كبيرة يتكبر فيفسد التناسب ويشوش المعاشرة. أي يلزم أخذ استعداد قيود الكلام بنظر الاعتبار.

نعم، يجب أن يرفع مقام كل شيء بقدر استعداده؛ إذ العين والأنف وما شابههما من الأعضاء مهما كانت جميلة فإنها تشوه إذا جاوزت الحد ولو كانت ذهباً.

تنبيه: قد يذهب جندي بسيط إلى مواضع من العدو لاستكشاف ما لا يقدر عليه المشير، أو يؤدي تلميذ صغير من العمل ما لا يؤديه عالم كبير، إذ الكبير لا يلزم أن يكون كبيراً في كل أمر، بل كلٌّ كبيرٌ في صناعته.

وكذلك قد يترأس معنى صغيرٌ بين تلك المعاني المتزاحمة، فيأخذ قيمةً أعلى، لأن وظيفته ذات أهمية كما سنبينها.

والذي يشير إلى تلك المعاني المتزاحمة، والمنارُ على قيمتها عدم صلاحية صريح الحكم المنصوص ولازمه القريب لسفارة الكلام وسَوَقِ الخطاب وإرسالِ اللفظ لأجله؛ إما لكونه بديهياً معلوماً مشهوداً.. أو خفيفاً وضعيفاً لا يُهْتَمُّ به في الغرض الأساس.. أو لفقدان من يتقبله و يستمع إليه.. أو لا يوافق حال المتكلم ولا يفِي بداعي الرغبة في التكلم.. أو لا يمتزج ولا يقبل الامتزاج مع شرف المخاطب ومنزلته.. أو يبدو غريباً في مقام الكلام وتوابع المستتبعات.. أو ليس له استعداد للحفاظ على الغرض وتميئة لوازمه.

بمعنى: أن كل مقام يستمع إلى سبب واحد من بين هذه الأسباب. ولكن لو اتحدت عموماً ترفع الكلام إلى أعلى طبقة.

خاتمة:

هناك معان معلقة، ليس لها شكل مخصوص ولا وطن معين. فهي كالمفتش الذي يمكنه الدخول إلى أية دائرة كانت، وبعضها يقلّد لفظاً خاصاً بها. هذه المعاني المعلقة قسم منها معان حرفية هوائية، قد تستر في كلمة، أو يتشربها كلام أو تتداخل في جملة أو قصة، فإن عصرت تقطر ذلك المعنى كالروح فيها كما في معاني «التحسر» و«الاشتياق» و«التمدح» و«التأسف» وغير ذلك.

المسألة السابعة

إن العقدة الحياتية للبلاغة، أو بتعبير آخر «فلسفة البيان» أو «حكمة الشعر» هي التمثيل بنواميس الحقائق الخارجية ومقاييسها. أي تمكين قوانين الحقائق الخارجية في المعنويات والأحوال الشاعرة من حيث القياس التمثيلي وبطريق الدوران وبتصرف الوهم. أي أن البليغ يتمثل أشعة الحقائق المنعكسة من الخارج كالمرآة وكأنه يقلّد الخلقة ويحاكي الطبيعة بصنعة الخيالية وينقش كلامه.

نعم، لو لم تكن في الكلام حقيقة، ففي الأقل لا بد فيه من شبيه للحقيقة وما يستمد من نظامها والتسنبل على نواتها. ولكن لكل حبة سنبلها الخاص فلا تتسنبل الحنطة شجرة.

فإن لم تؤخذ فلسفة البيان بنظر الاعتبار، فالبلاغة تكون كالخرافة لا تغني السامع غير الحيرة.

إشارة: إن للنحو فلسفته كما للبيان فلسفته. هذه الفلسفة تبين حكمة الواضع وهي مؤسسة على المناسبات المشهودة المشحونة بها كتب النحو؛ فمثلاً: لا يدخل عاملان على معمول واحد. وإن لفظ «هل» ما إن يرى الفعل إلّا ويطلب الوصال بلا صبر، وإن الفاعل قوي، والقوي يضم الضمة لنفسه. فهذه وأمثالها نظائر القوانين الجارية في الكائنات وفي الخارج.

تنبيه: إن هذه المناسبات النحوية والصرفية - التي هي حكمة الواضع - وإن كانت لا تبلغ درجة فلسفة البيان إلّا أن لها قيمة رفيعة جداً. فمثلاً: تتحول العلوم العقلية الثابتة بالاستقراء إلى صور العلوم العقلية.

المسألة الثامنة

إن تلقيح المعاني البيانية وتبادل مواضعها وانقلاباتها، إنها هو: بتشرب معنى الكلمة الحقيقي بغرض الكلام أو جذبه بمعنى من المعاني المعلقة إلى جوفه، وحالماً يدخل فيه يرجع المعنى إلى الحقيقة والأساس التي هي صاحب البيت. أما المعنى الذي هو صاحب اللفظ الأصلي فيرجع إلى صورة حياتية تمده، وتستمد من المستبعات. هذا هو السر في وجود معان عدة لكلمة واحدة ومنه ينبع التلقيح والتبادل والانقلاب.

فمن لم يفهم هذه النقطة فاتته بلاغة عظيمة.

إشارة: وكم من شيء يُرَكَّب عليه فيستحق لفظ «على»، ولكن ما إن يكون ظرفاً، فإنه يستدعي لفظ «في» ك: «تجري في البحر».. أو آله فتستلزم لفظ «باء» ك: «صعدت السطح بالسلم»، ولكن لكونها مكاناً أو مركوباً تقتضي أيضاً «في» و«على».. أو يكون غاية فيطلب «إلى» و«حتى» ولكن لكونه علة وظرفاً يناسبه «اللام» و«في» ك ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ . فقس.

تنبيه: قدّم ضمن هذه المعاني المتداخلة وصرّح ما كان أمس غرضك وأقرب رُحماً إلى القصد، وشيّع الباقي وضّمته. وإلا كان المعنى عرياناً عاطلاً من حلة البيان.

المسألة التاسعة

إن أعلى مراتب الكلام وكماله الذي يُعجز الإرادة الجزئية والتصور البسيط للإنسان هو: تضمن الكلام واستعداده بتعدد المقاصد المتداخلة المتسلسلة، ويتسلسل المطالب المرتبطة المتناسلة، وباجتماع الأصول المولدة لنتيجة واحدة، وباستنباط الفروع الكثيرة المولدة لثمرات متباينة.

وذلك: أن الذي يعطي الكلام عظمة وسعة هو: أن المقاصد القادمة من أبعد هدف وأعلاه -وهو مقصد المقاصد- يرتبط بعضها ببعض، ويكمل أحدها نقصان الآخر، ويؤدي الواحد منها حق جاره، حتى كأن وُضِعَ هذا في موضعه يمكن الآخر في مكانه، ويقرّ الآخر في مستقره.. وهكذا كلٌّ يأخذ محله الملائم له؛ فتتصب تلك المقاصد في قُصَر الكلام المشيد

بملاحظة نَسَبِ يمين هذا وشماله وكل جهاته، وكأن المتكلم استعار عقولاً إلى عقله للتعاون، وغدا كلُّ مقصد من تلك المقاصد جزءاً تشترك فيه التصاویر المتداخلة، بمثل ما إذا وُضع رسام نقطة سوداء في صور متداخلة، فإنها تكون عين هذا ومنخر ذاك وفم هذا وشامة ذلك.. وهكذا ففي الكلام الرفيع نقاط أمثال هذه ..

النقطة الثانية:

إن المطالب تتسلسل وتتناسل بسر القياس المركب المتشعب حتى كأن المتكلم يشير إلى شجرة النسب لبقاء المطالب وتناسلها.

فمثلاً: العالم جميل، فصانعه إذاً حكيم، لا يخلق عبثاً، ولا يسرف في شيء، ولا يهمل الاستعدادات والقابليات، أي سيكمل الانتظام دوماً. أي لا يسلط على الإنسان الهجران الأبدي والعدم الذي يمحي الكمالات ويقتل الأمل.. فلا بد إذاً من سعادة أبدية.

وأفضل مثال لهذا: الجهة الثالثة من الفرق بين الإنسان والحيوان من مباحث النبوة في مقدمة الشهادة الثانية من المقالة الثالثة.

النقطة الثالثة:

إن الذي يجعل النتيجة الواحدة تولد نتائج متعاقبة هو: جمع الأصول المتعددة وذكرها، لأن لكل أصل من الأصول، إن لم يكن له ارتباط بالذات وقصدٌ بالنتيجة الرفيعة، ففي الأقل يهزها ويكشفها إلى حد ما. فكأن الكلام يشير بتباين الأصول -التي هي مظاهر ومرايا- وبوحدة النتيجة والتمتجلي، إلى تجرد المقصد وسموه، واتصال قوته الحياتية بحقيقة الحياة الكلية، حياة العالم المسماة بالدوران العمومي.

فالمقصد الأول من المقاصد الثلاثة التي في ختام المقالة الثالثة مثال لهذا؛ وكذلك الإشارة والإرشاد والتنبيه ومسلك المحاكمة العقلية التي في المسألة الرابعة من المقالة الثالثة مثال جيد لهذا أيضاً..

[فانظر إلى كلام الرحمن الذي علم القرآن. فبأي آيات ربك لا تتجلى هذه الحقيقة؟ فويل حينئذٍ للظاهرين الذين يحملون ما لا يفهمون على التكرار].

النقطة الرابعة:

هي إفراغ الكلام إفراغاً تاماً، ومنحه استعداداً كاملاً، بحيث يتضمن بدور كثير من الفروع، ويكون مصدر كثير من الأحكام، ويصبح دليلاً على وجوه عديدة ومعاني مختلفة. وكأن الكلام بتضمنه هذا الاستعداد يلوح إلى ما فيه من قوة للنمو، ويبين كثرة غلته ومحصوله. إذ يجمع في المسألة تلك الفروع والوجوه ليوافق بين مزاياه ومحاسنها، ويسوق كل فرع إلى غرض، ويعين كل وجه في وظيفة: [فانظر إلى قصة موسى فإنها أجدى من تفريق العصا،^(١) أخذها القرآن بيده البيضاء، فخرت سحره البيان ساجدين لبلاغته].

أيها الأخ!

إن الخيال البلاغي الموجود في هذه المسألة يرسم لك -بمثل هذه الأساليب- شجرة حقيقة عظيمة، عروفتها الجسيمة متشابكة، وعقدها الطويلة متناسقة، وأغصانها المتشعبة متعانقة، وثمراتها وفواكهها متنوعة. فتأمل في المسألة السادسة فهي مثال لهذه المسألة وإن كانت مشوشة.

تنبيه واعتذار: أيها الأخ!

اعلم يقيناً أن هذه المقالة تبدو لك غامضةً مغلقةً، ولكن ما الحيلة فإن شأن المقدمة الإجمال والإيجاز. وسيتجلى لك الأمر في الكتب الثلاثة.

المسألة العاشرة

إن سلاسة الكلام، بعدم التشابك، وعدم الطفر من حس إلى آخر، مع تقليد الطبيعة وتمثل الخارجيات، والسداد إلى مسيل الغرض، وتمييز المقصد والمستقر، كالآتي:

إن الوثوب من حس إلى آخر قبل أن يتم الأول، ومن بعد ذلك مزجه مع الآخر يخل بالسلاسة ويغيرها، فيلزم التدرج في المعاني المتسلسلة والحذر من الاشتباك العشوائي بدون نظام.

(١) «إنك خير من تفريق العصا»، مثل يُضرب فيمن نفه أعظم من نفع غيره (مجمع الأمثال للميداني).

وينبغي أيضاً مساوقة الطبيعة والتلمذ عليها بصنعة المتكلم الخيالية، كي تنعكس قوانينها في صنعة.

وكذا يجب محاكاة تصوراته مع الخارجيات ومشاكلتها معها، بحيث إذا تجسّمت تصورات المتكلم في الخارج - هاربة من الدماغ - فلا يرده الخارج ولا يستلحقها إلى المتكلم، ولا ينكر نسبها إليه. بل يقول: هي أنا، أو كأنها أنا أو هي من صليبي.

وكذا يجب السداد وعدم التمايل يميناً وشمالاً، للحيلولة دون التفرق في مسيل الغرض والتشتت في مجرى القصد، وذلك لثلاثهون الجوانب من الغرض بتشرب قوته، بل تمده الجوانب - كالحوض - بما تتضمنه من الطراوة واللطافة.

ويلزم أيضاً - لسلامة السلاسة - تميز مستقر القصد، وتعين ملتقى الغرض.

المسألة الحادية عشرة

إن سلامة البيان وصحته: إثبات الحكم بلوازمه ومبادئه وبآلات دفاعه، كالآتي:

يجب عدم الإخلال بلوازم الحكم، وعدم إفساد راحته، مع رعايته، والرجوع إلى مبادئه لاستمداد الحياة.. وذلك بالتقيد بقيود الإجابة عن كل سؤال مقدر في ردّ الأوهام ودفع الشبهات..

أي إن الكلام شجرة مثمرة نضدت فيها أشواكها لحمايتها من اجتناء ثمراتها والتجني عليها. فكأن الكلام نتيجة لكثير من المناظرات والمناقشات وزبدة كثير من المحاكمات العقلية. فلا يسترق منه السمع شياطين الأوهام ولا يسعهم النظر إليه نظرة سوء، لأن المتكلم قد أحاط بجهات كلامه الست وشيد حوله سوراً، أي جهزه بتقييد الموضوع أو المحمول أو بالتوصيف أو بجهة أخرى دفاعاً عن كل سؤال مقدر ووضعها في نقاط يتوقع هجوم الأوهام منها.

وإن شئت مثلاً لهذا، فهذا الكتاب كله مثال طويل له، ولا سيما المقالة الثالثة فهي مثال الساطع.

المسألة الثانية عشرة

إن سلامة الكلام وملاسته واعتدال مزاجه: بتقسيم العناية وتوزيع خلع الأساليب حسب ما يستحقه كل قيد، فإن كان الكلام حكاية، فيجب على المتكلم فرض نفسه في موضع المحكي عنه، إذ لا بد من الحلول في المحكي عنه والتزول ضيقاً إلى قلبه والتكلم بلسانه لدى تصوير أفكاره وحسياته. وإذا تصرف في ماله فيجب العدالة في تقسيم الرعاية والاهتمام -الدالين على القيمة والمكانة- بأخذ كل قيد للكلام واستعداده ورتبته بنظر الاعتبار، وإلباس الأساليب على قامة استعداد كل قيد، حتى يتحلى المقصد بما يناسبه من أسلوب، إذ أسس الأساليب ثلاثة:

الأول: الأسلوب المجرد، كالأسلوب السلس للسيد الشريف الجرجاني^(*) ونصير الدين الطوسي^(*).

الثاني: الأسلوب المزين، كالأسلوب الباهر الساطع لعبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة.

الثالث: الأسلوب العالي، كبعض الكلام المهيب للسكاكي والزخشري وابن سينا^(*) أو بعض الفقرات العربية لهذا الكتاب، ولا سيما في المقالة الثالثة، فهي تبدو مشوشة إلا أنها تحوي فقرات رصينة، ذلك لأن علو الموضوع قد أفرغ هذا الكتاب في أسلوب عالٍ. وما صنعتي أنا إلا جزئية فيه.

الخلاصة: إن كنت في بحث الإلهيات وتصوير الأصول، فعليك بالأسلوب العالي، ففيه الشدة والقوة والهيبة، بل عليك ألا تغادر هذا الأسلوب.

وإن كنت في بحث الخطاب والإقناع، فعليك بالأسلوب المزين ذي الحلّي والحلل والترغيب والترهيب؛ لا تدع هذا الأسلوب ما استطعت، بشرط ألا يداخله التصنع والتظاهر، وما يثير العوام.

وإن كنت في المعاملات والمحاورات وفي العلوم الآلية، فعليك بالأسلوب المجرد وحده فهو الذي يحقق وفاء الموضوع واختصار البحث وسلامة القصد ويجري على وفق السليقة، حتى إنه يبين جماله الذاتي بسلاسته.

خاتمة هذه المسألة:

اعلم أن قناعة الكلام واستغناء وعصبيته، أن لا تمدّ عينيك إلى أسلوب خارج المقصد؛ فإذا أردت أن تفصل أسلوباً على قامة معنى من المعاني، فالمعنى نفسه والمقام والصنعة والقصة والصفة يعينك بتفاريق لوازمها وتوابعها، فتخطيط من تلك التفاريق لباس أسلوبك. فلا تمدّ نظرك إلى الخارج الآ مضطراً.

أو بتعبير آخر قاطعُ أموال الأجنب، فهو أساس مهم للحيلولة دون تبعثر ثروة البلاد. فمقاطعة الأجنب تزيد قوة الكلام، أي إن المعنى والمقام والصنعة يفيد الكلام بدلالته الوضعية، إذ كما يُظهر الكلام المعنى بدلالته الوضعية، فمثل هذا الأسلوب يشير بطبيعته إلى المعنى.

وإن شئت مثلاً فانظر في المسألة التاسعة إلى:

[فانظر إلى كلام الرحمن الذي علّم القرآن، فبأي آيات ربك لا تتجلى هذه الحقيقة؟ فويل حينئذ للظاهرين الذين يحملون ما لا يفهمون على التكرار] وفيها أيضاً: [فانظر إلى قصة موسى، فإنها أجدى من تفاريق العصا، أخذها القرآن بيده البيضاء فخرت سحرة البيان ساجدين لبلاغته].

وإن شئت فانظر إلى ديباجة كتب العلوم الآلية، فإن ما فيها من براعة الاستهلال - وإن لم يكن بلاغتها دقيقة ولطيفة - براعة استهلال لهذه الحقيقة.

وأيضاً ففي ديباجة هذا الكتاب أمثلة: إذ أظهر النبي الكريم معجزة لنبوته.. وفي ديباجة المقالة الثالثة: قد بُيّنت جملتنا كلمة الشهادة، كل منها شاهدة على الأخرى.. وكذا قيل في المقدمة السابعة لأولئك الذين قالوا بنزول القمر إلى الأرض بعد انشقاقه: لقد أصبحتم سبباً لحسف معجزة القمر الظاهر كالشمس الساطعة برهاناً على النبوة وجعلتم تلك المعجزة الظاهرة مخفية كنجم السهى!

وقياساً على هذا تجد أمثلة كثيرة لهذه الحقيقة، لأن مسلك هذا الكتاب مقاطعة أموال الخارج، وعدم الأخذ منها إلّا للضرورة كما هو حالى أنا. بل مقاطعتها في المسائل والأمثلة

والأساليب، لكن ربما يرد توافق في الخواطر. إذ الحقيقة واحدة، فمن أي باب دخلت عليها تجدها تجاهك.

خاتمة:

لقد قيل: انظر إلى القول دون القائل! ولكنني أقول: انظر إلى مَنْ قال؟ ولمن قال؟ وفيمْ قال؟ ولم قال؟ إذ يلزم مراعاة هذه الأمور كمراعاة القول نفسه في نظر البلاغة بل هذا هو الألزم.

إشارة: اعلم أن شرطاً مهماً لمزايا علم المعاني وفن البيان -من حيث البلاغة- هو: القصد والعمد، بنصب الأمارات والإشارات الدالة على جهة الغرض، فلا تقام للعفوية وزنٌ. أما شرط علم البديع والمحسنات اللفظية فهو عدم القصد، والعفوية، أو القرب من طبيعة المعنى الشبيهة بالعفوية.

تلويح: لا يخفى أن شأن الآلات التي تثقب السطح نافذة إلى الحقيقة، وتدل على الطبيعة والحقيقة الخارجية، وتربط الحكم الذهني بالقانون الخارجي، بل أنفذ تلك الآلات هي «إن» التحقيقية. نعم، إن «إن» بناءً على خاصيته هذه استعملت كثيراً في القرآن الكريم.

أيها الأخ!

إن القوانين اللطيفة التي تضمها هذه المقالة لا تورطك في مغالطة، لتبرئها ونفورها عن هذه الأساليب الخسنة الواهية! فلا يذهب بك الظن إلى القول: لو كانت هذه القوانين صالحة وصائبة لكانت تلقن واضعها درساً قوياً في البلاغة فكانت تلبس أساليب جميلة، بينما الذي وضعها أمي وأساليبه متهرئة..

دع عنك هذا الظن، لأنه لا يلزم لكل علم أن يكون كل عالم ماهراً فيه. فضلاً عن أن القوة المركزية الجاذبة أقوى من القوة الدافعة، ولأن للأذن قرابة مع الدماغ وصلةً رحم مع العقل، بينما القلب الذي هو منبع الكلام ومعدنه بعيد عن اللسان وغريب عنه. وكثيراً ما لا يفهم اللسانُ فهماً تاماً لغة القلب، وبخاصة إن كان القلب يئن في غور المسائل وفي أعماق بعيدة كغيابة الحب فلا يسمعه اللسان، وكيف يترجمه؟

وحاصل الكلام: الفهم أسهل من الإفهام والسلام

اعتذار:

أيها الأخ الصابر الجلد! ويا من يرافقني في هذه المسالك الضيقة المظلمة! لا أحسبك إلا متفرجاً حائراً في هذه المقالة الثانية، ولم تك مستمعاً لأنك لم تفهمها، ولك الحق في ذلك؛ إذ المسائل عميقة جداً، وجداولها طويلة جداً. بينما العبارات غامضة مختصرة. ولغتي التركية مشوشة وقاصرة ووقتي ضيق، وأنا أكتب باستعجال، وصحتي معتلة؛ فأنا مصاب بالزكام. ففي مثل هذه الأحوال لا يصدر إلا مثل هذه الـورقات..

[والعذر عند كرام الناس مقبول].

أيها الأخ!

امزج عنصر الحقيقة (القوة الكبرى) وعنصر البلاغة (القوة الصغرى) وأمر في المزيج الحذر الصادق الذي هو كشعاع الكهرباء، لينتج لك عنصر العقيدة المضيئة، وليمنح ذهناك استعداداً لفهمها.

سنبحث عن عنصر العقيدة في المقالة الثالثة.

فأشرع وأقول: نخو^(١)

(١) كلمة كردية باللهجة الكرمانجية الشمالية، تعني: إذن.

المقالة الثالثة

عنصر العقيدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله

هذه الكلمة السامية أساس الإسلام.. وأنورُ راياته وأعلاها التي ترفرف على الكائنات طراً.

نعم، إن الإيمان الذي هو عهدنا بالميثاق الأزلي قد اندرج في هذا الكلام المقدس.
وإن الإسلام الذي هو الماء الباعث على الحياة، قد نبع من عين حياة هذه الكلمة.
فهذه الكلمة ميثاق أزلي، سُلِّمَ بيد المبشرين بالفوز بالسعادة الأبدية والمعنيين بها، من بين البشرية المرشحة للخلود.

نعم، إن هذه الكلمة منهاج رباني.. وترجمانٌ بليغ لأوامره تعالى، تنور به اللطيفة الربانية الموضوععة على نافذة قلب الإنسان المطل على عوالم الغيوب.

هذه الكلمة منهاج أزلي، ينطق به اللسان، المبلغ الأمين عن الإيمان بالله الحكيم..
وخطاب فصيح ينشده الوجدان المليء بالأسرار تجاه الكائنات.

إن كلمتي الشهادة كل منها شاهد صادق على الأخرى؛ فالألوهية برهان «لَمِّي» للنبوة
ومحمد ﷺ بذاته وبلسانه برهان «إِنِّي» للألوهية.^(١)

إن حقائق العقائد الإسلامية بجميع تفرعاتها صريحة ومبرهنة في مظانها من الكتب،
وهي في متناول اليد. ولكن لما كان إيضاح الظاهر يومي إلى تجهيل المخاطب أو خفاء الظاهر،
فلا أبين من عناصر العقيدة سوى ثلاثة أو أربعة منها، وأحيل بقيتها إلى كتب فحول العلماء،
فقد أوفوها حقها.

(١) البرهان الإنبي واللّمِّي: فالإتي -بتشديد النون- مصدر صناعي مأخوذ من «إن» المشبهة بالفعل التي تدل على الثبوت والوجود. أما اللّمِّي، فهو مصدر صناعي مأخوذ من كلمة «لِمَ» للعلية. وفي (التعريفات للجرجاني): الاستدلال من العلة إلى المعلول برهان لَمِّي، ومن المعلول إلى العلة برهان إِنِّي.

مقدمة المقصد الأول

من المعلوم لدى المدققين أن مقاصد القرآن أربعة: إثبات الصانع الواحد، النبوة، الحشر الجسائي، العدل.

فالمقصد الأول يخص الدلائل على الصانع الجليل، ومحمد ﷺ أحد براهينه.

هذا، وإن وجود الصانع ووحدانيته أجل وأظهر وأغنى من أن يحتاج إلى إثبات، ولا سيما لدى مخاطبة المسلمين، لذا وجهت كلامي هذا إلى الأجانب، وبخاصة اليابانيين؛ إذ قد سألوا في السابق مجموعة من الأسئلة، فأجبتهم عنها في حينه، وأدرج هنا قسماً من تلك الأجوبة.

منها: [ما الدليل الواضح على وجود الإله، الذي تدعوننا إليه؟ والخلق من أي شيء؟ أمن العدم أو المادة أو ذاته؟ إلى آخر أسئلتهم المرددة].

أرجو المَعذرة عن الغموض الذي يكتنف كلامي، إذ لا يمكن حصر معرفة الله التي لا حدود لها في مثل هذا الكلام المحدد.

إن القصد من الكلام الآتي: انجلاء الحقيقة في المجموع، بإظهار طريق المحاكمة العقلية وعقد الموازنات، لأن تحرّي النتيجة بتمامها في كل جزء من أجزاء المجموع سترٌ للحقيقة بالأوهام والشكوك، بسبب من جزئية الذهن وسيطرة قوة الوهم.

إن الذي يحجب ظهور الحقيقة الرغبة في المعارضة.. والتزام جانب المعارض.. وإعذار المرء نفسه بالتزامه لها.. وإرجاع أوهامه إلى أصل موثوق.. وتتبع الهفوات والعيوب.. والتعجُّج بحجج واهية صيبانية.. وأمثالها من الأمور.

فإن استطعت أن تجرد نفسك منها، فقد وفيت بشرطي، فاستمع إذن بقلب شهيد:

المقصد الأول

إن كل ذرة من ذرات الكائنات، بينها هي مترددة في إمكانات واحتمالات غير محدودة، بذاتها وصفاتها وسائر وجوهها، إذا بها تسلك مسلكاً معيناً، وتتجه وجهةً مخصصة، فتنتج مصالح وفوائد تتحير منها الأبواب، مما تدل على وجوب وجوده سبحانه، وتشهد شهادة صادقة عليه، وفي الوقت نفسه تزيد سطوع الإيمان المودع في اللطيفة الربانية للإنسان الممثلة لنموذج عوالم الغيب.

نعم، كما أن كل ذرة من ذرات الكون تدل على الخالق الكريم بذاتها وبوجودها المنفرد، وبصفاتها، وخواصها؛ فإنها تدل عليه دلالات أكثر: بمحافظتها على موازنة القوانين العامة الجارية في الكون، إذ تنتج في كل نسبة مصالح متباينة، وفي كل مقام منه فوائد جليلة، لكونها جزءاً من مركبات متداخلة متصاعدة في أجزاء الكون الواسع؛ وذلك من حيث الإمكانات والاحتمالات التي تسلكها في كل مرتبة، حتى إنها تستقرئ دلائل الوجود فيها.. لذا غدت الدلائل على وجوده سبحانه أكثر بكثير من الذرات نفسها.

فإذا قلت: لم إذن لا يراه كل فرد بعقله؟

الجواب: لكمال ظهوره جلّ وعلا.

نعم، إن هناك أجراماً مادية لا تُرى من شدة ظهورها - كالشمس - فكيف بالصانع الجليل المتزّه عن المادة!

تَأْمَلْ سُطُورَ الْكَاتِبَاتِ فَإِنَّهَا مِنْ الْمَلَأِ الْأَعْلَى إِلَيْكَ رَسَائِلُ^(١)

تأمل في صحائف العالم بعين الحكمة، فانظر كيف سطر الباري المصور في تلك الأبعاد الشاسعة سلسلة الحوادث، وأنعم النظر في تلك الرسائل الآتية من الملأ الأعلى كي ترفعك إلى أعلى عليي اليقين.

إن وجدان الإنسان لا ينسى الله قط، لما غرز فيه من «نقطتي الاستمداد والاستناد»

(١) لرجل نحوي مشهور يُعرف بركن الدين بن القوّنع (ت ٧٣٨ هـ) - (قول على قول ١١/ ١٥٧ للكرمي).

بل حتى لو عَطَّلَ الدماغُ أعماله، فالوجدانُ لا يَنسى؛ لأنه منهُمكَ بتلك الوظائفِ المهمتين؛ كالآتي:

إن قلب الإنسان مثلما يَنشر الحياةَ إلى أرجاء الجسد، فالعقدة الحياتية في الوجدان -وهي معرفة الله- تنشر الحياةَ إلى آمال الإنسان وميوله المتشعبة في مواهبه واستعداداته غير المحدودة، كُلُّ بها يلائمه، فتَقَطَّرَ فيها اللذة والنشوة، وتزيدُها قيمةً وترفعُها شأنًا، بل تبسطُها وتصقلُها. هذه هي نقطة الاستمداد.

ثم إن معرفة الله نقطة استناد وحيدة للإنسان، تجاه تقلبات الحياة ودَوَّاماتها، وتَزاحُمِ المصائب وتَوَالِي النكبات؛ إذ لو لم يعتقد الإنسان بالخالق الحكيم الذي أَمَرُهُ كُلُّه حكمةً ونظام، وأسند الأمورَ والحوادث إلى المصادفات العمياء، وركنَ إليها وإلى ما يملكه من قوة هزيلة لا تقاوم شيئاً، فسيتأبه الفزعُ والرعب وينهار من هَوْلِ ما يحيط به من بلايا، وسيشعر بحالات أليمة تُذكر بعذاب جهنم.. وهذا ما لا يتفق وكمال روح الإنسان المكرَّم، إذ يستلزم سقوطه إلى هاوية الذلِّ والمهانة، مما ينافي روح النظام المتقن القائم في الكون كله... وهذه هي نقطة الاستناد..

نعم، لا ملجأ إلا بمعرفة الله!

إذن فالوجدان يطلُّ على الحقائق بذاتها من هاتين النافذتين، فيرى هيمنة النظام على العالم كله، والخالقُ الكريم ينشر نور معرفته ويبيها في وجدان كل إنسان من هاتين النافذتين.. فمهما أطبق العقلُ جفنه، ومهما أغمض عينه، فالفطرة تراه وعيونُ الوجدان مفتحة دائماً، والقلب نافذة مفتوحة.

تنبيه: إن أصول العروج إلى عرش الكمالات -وهو معرفة الله جلَّ جلاله- أربعة:

أولها: منهاج علماء الصوفية، المؤسَّس على تركية النفس والسلوك الإشرافي.

ثانيها: طريق علماء الكلام المبني على الحدوث والإمكان.

هذان الأصلان وإن تشعبا من القرآن الكريم، إلا أن فكرَ البشر قد أفرغهما في صور أخرى فأصبحتا طويلة وذات مشاكل.

ثالثها: مسلك الفلاسفة.

هذه الثلاثة ليست مصونةً من الشبهات والأوهام.

رابعها: المعراج القرآني الذي يعلنه ببلاغته المعجزة، فلا يوازيه طريق في الاستقامة والشمول، فهو أقصر طريق وأوضحه وأقربه إلى الله وأشمله لبنى الإنسان.

ونحن قد اخترنا هذا الطريق. وهو نوعان:

الأول: دليل العناية

إن جميع الآيات الكريمة التي تعدد منافع الأشياء، تومئ إلى هذا الدليل وتنظم هذا البرهان.

وزبدة هذا الدليل: رعاية المصالح والحكم في نظام العالم الأكمل، مما يُثبت قصد الصانع وحكمته وينفي وهم المصادفة.

مقدمة

على الرغم من أن كل إنسان لا يستطيع أن يستقري استقراءً تاماً رعاية المصالح والانتظام في العالم ولا يمكنه أن يحيط بها، فقد تشكل -بتلاحق الأفكار في البشرية عامة- علمٌ يخص كل نوع من أنواع الكائنات، ذلك العلم ناشئ من القواعد الكلية المطردة في الكون، وما زالت العقول تكشف عن علوم أخرى.. وحيث إن الحكم لا يجري بكليته في ما لا نظام فيه، فكلية القاعدة إذن دليل على حسن انتظام النوع.. فبناء على كلية القاعدة هذه غدا كل علم من علوم الأكوان برهاناً على النظام الأكمل في العالم بالاستقراء التام.

نعم، إن إظهار المصالح المتعلقة بسلسلة الموجودات بوساطة العلوم، وبيان فوائد الثمرات المتدلية منها، وإبراز الحكم والفوائد المنتشرة ضمن تلافيف انقلابات الأحوال.. يشهد شهادة صادقة على قصد الصانع الحكيم، ويشير إليه، ويطرد شياطين الأوهام كالنجم الثاقب.

إشارة: إذا جردت نفسك من حجاب الألفة التي هي سبب الجهل المركب، والتي تنشئ لدى الإنسان النظر السطحي العابر.. وأفرغت نفسك من محاولة إلزام الخصم، بعدم

الانصياع إلى الحق ليس إلّا، تلك المحاولة التي تلقّح الأوهام والشكوك وتسد الطريق إلى العقل.. ونظرت إلى حيوان صغير لا يرى إلّا بالمجهر، ورأيت ما تشف تلك الماكنة الصغيرة الدقيقة، الماكنة الإلهية البديعة، عن وجودٍ منتظم متناسق فيه، فلا تستطيع أن تُقنع نفسك وتطمئنّها، بأن هذه الآلات الدقيقة ناشئة من مَصنع الأسباب الطبيعية الجامدة التي لا شعور لها ولا حدّ لمجالها ولا أولوية لإمكاناتها، إلّا إذا استطعت رفع المحالات الناشئة من اجتماع الضدين، أي وجود القوة الجاذبة والدافعة في تلك الذرة التي لا تتجزأ.

فإن كانت نفسك تجد احتمالاً في هذه المحالات، فسيُرفع اسمك من سجل الإنسانية!.

ولكن يجوز أن يكون الجذب والدفع والحركة التي هي أساس كل شيء - كما يظنون - أسماء وعناوينَ قوانينِ الله الجارية في الكون. ولكن بشرط آلا تتحول القوانين إلى طبيعة فاعلة، وآلا تخرج من كونها أمراً ذهنياً إلى أمر خارجي مُشاهد، وآلا تتحول من كونها شيئاً اعتبارياً إلى حقيقة ملموسة، ولا من كونها آلة تتأثر إلى مؤثر حقيقي.

﴿ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴾ (الملك: ٣) كلا! فالمُبصر لا يرى نقصاً، إلّا إن كان أعمى البصر والبصيرة، أو مصاباً بقصر النظر!

فإن شئت فراجع القرآن الكريم، تجد دليل العناية بأكمل وجهٍ في وجوه الممكنات، لأن القرآن الكريم الذي يأمر بالتفكر في الكون، يعدّد أيضاً الفوائد ويذكر بالنعيم الإلهية.. فتلك الآيات الجليلة مَظَاهِرُ لهذا البرهان، برهان العناية.

استمِسْكْ بما ذكرناه، فإنه إجمالٌ، أما التفصيل فنفسره في الكتب الثلاثة التي عقدنا العزم على كتابتها لبحث علم السماء والأرض والإنسان، كمنهج تفسير في الآفاق والأنفس، إن شاء الله ووفق. وعندها تجد هذا البرهان بوضوح تام.

الدليل القرآني الثاني: دليل الاختراع

وخلاصته: أن الله تعالى قد أعطى كلّ فرد، وكل نوع، وجوداً خاصاً، هو منشأ آثاره المخصوصة، ومنع كماله اللاتئقة. فلا نوع يتسلسل إلى الأزل، لأنه من الممكنات. فضلاً عن أن حدوث قسم منها مشاهد، وقسم آخر يراه العقل بنظر الحكمة.

إن انقلاب الحقائق محال، وسلسلة النوع المتوسط لا تدوم، أما تحوّل الأصناف فهو غير انقلاب الحقائق.

ولما كان لكل نوع آدم وجدّ أكبر، فالوهم الباطل الناشئ من التناسل في سلسلة كل نوع لا يسري إلى أولئك الأدميين والأجداد الأوائل؛ إذ إن الفلسفة وعلم الجيولوجيا وعلم الحيوان والنبات، تشهد أن الأنواع التي يزيد عددها على مئتي ألف نوع، كلّ منها له مبدأ وأصل معين، وجدّ أكبر، بمثابة آدم لذلك النوع، وكل مبدأ منها قد حدث حدوداً مستقلاً عن غيره. وكل فرد من هذه الأنواع الوفيرة كأنه مكنة بديعة عجيبة تبهر الأفهام، فلا يمكن أن تكون القوانين الموهومة الاعتبارية والأسباب الطبيعية العمياء الجاهلة، موجدة لهذه السلاسل العجيبة من الأفراد والأنواع، بل هي عاجزة عاجزاً تاماً عن إيجادها.. أي إن كل فرد، وكل نوع، يعلن بذاته أنه صادر صدوراً مستقلاً عن يد القدرة الإلهية الحكيمة.

نعم، إن الصانع الجليل قد ختم في جبهة كل شيء ختم الحدوث والإمكان.

إن قبول احتمال تشكّل الأنواع من أزلية المادة وحركة الذرات العشوائية وغيرها من الأمور الباطلة، إنما هو لمجرد إقناع النفس بشيء آخر غير الإيمان بالله، ولا ينشأ هذا الاحتمال إلا من عدم الإدراك، ومن فساد الفكر، بالنظر السطحي العابر. ولكن ما إن قصد الإنسان وتوجّه بالذات إلى إقناع نفسه، فإنه سيقف على محالية الفكرة وبُعدها عن المنطق والعقل. ولو اعتقدها فلا يعتقدها إلا اضطراباً بالتغافل عن الخالق سبحانه.

إن الإنسان -المكرم من حيث جوهر إنسانيته- يبحث دوماً عن الحق، ويتحرّى الحقيقة دائماً، وينشد السعادة على الدوام. ولكن أثناء بحثه عن الحق يعثر على الباطل والضلال دون أن يشعر، وأثناء تنقيبه عن الحقيقة يقع الباطل على رأسه بلا اختيار منه، أي كلما خاب في الحصول على الحق ويثس من وجدان الحقيقة قبل -مضطرباً- أمراً محالاً وغير معقول، يقبله بالنظر السطحي والتبعي، مع أنه يعرف يقيناً بفطرته الأصلية ووجدانه وفكره أنه محال.

خذ هذه الحقيقة بنظر الاعتبار وضعها نصب العين:

إن ما يتوهمونه من أزلية المادة والحركة، من جراء تغافلهم عن نظام العالم.. وما يتخيلونه

من مصادفةٍ عشواءٍ في الصنعة البديعة التي تبهر العقول.. وما يعتقدونه من تأثير حقيقي للأسباب الجامدة، رغم شهادة جميع الحكَم على عدم تأثيرها.. وما يغالطون به أنفسهم ويتسلّون به من إسناد كل شيء إلى الطبيعة الموهومة المتخيلة المتجسمة، بسبب استمرار إغواء الوهم.. ترده فطرتهم وترفض هذه المحالات والأوهام.

ولكن متى ما توجه الإنسان إلى الحق يقصده، تعرض له على جانبي الطريق هذه الأوهام، من دون دعوة منه ولا طلب. فمن سدّد النظر إلى غرضه ونَصَب هدفه أمام عينه، نظر إلى الأوهام الباطلة نظرَ العابر السطحي، من دون أن ينفذ إلى باطنها المليء باللوثات؛ وإذا ما توجّه إليها شارباً لها يراها لا تستحق حتى الالتفات إليها فكيف بالشراء! بل يشمئز وجدائه منها ويستحيلها عقله ويمجّها قلبه، إلّا أن يشاغب، وتستفزّه السفسطة؛ فيقبل في كل ذرة عقل الحكماء وسياسة الحكام! كي تتشاور كل ذرة وتتجاوز مع أخواتها على الاتفاق والانتظام. فهذا المسلك -وهذا شأنه- لا يقبله حتى الحيوان! ولكن ما الحيلة فإن لازم البيئة من المسلك نفسه، وهذا المسلك لا يصوّر إلّا بهذه الصورة.

نعم، إن شأن الباطل هو أنه إذا نظر إليه الإنسان نظرَ التبعية العابر يُعطى له صحة الاحتمال، بينما إذا أنعم النظر فيه يُرفع ذلك الاحتمال ويُدفع.

إن ما يسمونه بالمادة لا تتجرد عن الصورة المتغيرة ولا عن الحركة الحادثة الزائلة، أي إن حدوثها محقق. فإما ترى إن من يضيق عقله عن إدراك أزلية الله سبحانه -وهي صفة لازمة ضرورية للذات الجليلة- كيف يتسع عقله لأزلية المادة التي تنافي الأزلية منافاة مطلقة.. حقاً إن هذا شيء عُجاب. حتى يندم الإنسان على إنسانيته كلما فكر في هؤلاء الذين يحيلون هذه المصنوعات البديعة إلى المصادفة العمياء وحركة الذرات ويستغربون صدورَها عن الصانع الجليل المتصف بجميع الصفات الكمالية.

إن القوى والصور الحاصلة من حركة الذرات -كما يدّعون- لا تشكّل المباشرة الجوهرية للأنواع، بسبب عَرَضِيَّتِها، فالعَرَض لا يكون جوهرًا قط. بمعنى أن فصول هذه الأنواع والخواص المميزة لعموم الأعراض إنما هي مختَرَعٌ من العدم الصّرف. والتناسل في التسلسل إنما هو الشرائط الاعتيادية.

فهذا إجمال دليل الاختراع وإن شئت تفصيله بوضوح فادخل جنان القرآن الكريم، فإنه مامن رطب ولا يابسٍ إلّا وتفتح في كتاب مبین زهرة زاهية أو برعماً لطيفاً.

فإن شاء الله تعالى، ووفقني، وسمح الأجل، سأعرض الدلائل التي تزین هذا البرهان مستخرجاً إياها من أصداف ألفاظ القرآن.

إذا قلت: ما هذه الطبيعة والقوانين والقوى التي يُسلُون بها أنفسهم؟

فالجواب: أن الطبيعة هي شريعة إلهية فطرية، أوقعت نظاماً دقيقاً بين أفعال وعناصر وأعضاء جسد الخليقة المسمى بعالم الشهادة، هذه الشريعة الفطرية هي التي تُسمى بالطبيعة والمطبعة الإلهية.

نعم، إن الطبيعة هي محصلة وخلاصة مجموع القوانين الاعتبارية الجارية في الكون. أما ما يسمونه بـ«القوى» فكلُّ منها حُكم من أحكام هذه الشريعة. أما القوانين فكل منها عبارة عن مسألة من مسائلها، ولكن لاستمرار أحكام هذه الشريعة وإطراد مسائلها، وتهيؤ النفوس التي ترى الخيال حقيقةً وتُربها هكذا، تَسَلِّطُ الخيالَ وضيقُ الفهم، فتجسمت الطبيعة حتى أصبحت موجوداً خارجياً وتنزلت من الخيال إلى المثال. وكم للوهم من حيل تروّج.

لا يقنع العقل ولا ينجذب الفكر ولا يأنس نظراً الحقيقة إلى كون آثار القدرة -التي تتحير منها العقول- صادرةً من صنعة هذه الطبيعة الشبيهة بالمطبعة، أو من أمور يسمونها قوى عامة. علماً أنها تفتقر إلى قابلية لتكون مصدراً أو علّة لوجود هذه الكائنات. فليس إذن إلّا التغافل عن الله الحكيم وإلّا الاضطراب المتولد من إلقاءات الانتظام الجاري في الكون فيتخللون الطبيعة مصدراً، وهي ليست إلّا مسطراً، وما محاولة إنتاج الملزوم الأخص من اللازم الأعم إلّا قياسٌ عقيم. وهذا القياس العقيم فتَح الطرق الكثيرة إلى أودية الضلالة والخيرة.

إن الشريعة -والقانون- هي نظام الأفعال الاختيارية، فمع كثرة المخالفات والخروقات، يتصور كثير من الجهلة كأن الشريعة حاكم روحاني، ويتصورون النظام كأنه سلطان معنوي، فيتخيلون أن لها تأثيراً.

فالبدوي الذي لم ير الحضارة، إذا ما شاهد حركات الجنود في طابور، حركة مطردة

وأطواراً منسقة وأحوالاً مرتبطة، ظن أن هؤلاء الأفراد العديدين أو الهيئة العسكرية مرتبط بعضهم ببعض بحبل معنوي!

أو أن شخصاً عامياً أو ذا طبع شاعري، تراه يتصور النظام الذي يربط الناس بعضهم ببعض موجوداً معنوياً، أو يتصور أن الشريعة خليفة روحانية، وهكذا يُغالي مَنْ يتصور الشريعة الفطرية الإلهية المتعلقة بأحوال الكائنات، أنها الطبيعية، تلك الشريعة التي لم تخرق إلا تكريماً للأنبياء وتصديقاً للأولياء إذ هي مستمرة دائمة. فكيف لا تتجسم الأوهام على هذا النمط من التصورات؟

كما أن استماع الإنسان وتكلمه وملاحظته وتفكره جزئية تتعلق بشيء فشيء على سبيل التعاقب، كذلك همته جزئية لا تشغل بالأشياء إلا على سبيل التناوب؛ فبوساطة التعاقب يتعلق بشيء فحسب وينشغل به.

ثم إن قيمة الإنسان بنسبة ماهيته، وماهيته بدرجة همته، وهمته بمقدار أهمية المقصد الذي يشغل به.

ثم إن الإنسان إلى أي شيء تَوَجَّهَ يقنى فيه، وينحس عليه، وكأنه يكون مصداق: «الفناء في المقصد» فبناء على هذه النقطة ترى الناس - في عرفهم - لا يُسندون شيئاً خسيئاً وأمرأً جزئياً إلى شخص عظيم، بل إلى الوسائل، ظناً منهم أن الاشتغال بالأمر الخسيس لا يناسب وقاره، وهو يربأ بنفسه عنه، ولا يسع الأمرُ الحقير همته العظيمة، ولا يوازن الأمر الخفيف مع همته العظيمة.

ثم إن من شأن الإنسان إذا تفكر في شيء، أن يتحرى مقاييسه وأساسه في نفسه، وإن لم يجدها ففيمًا حوله وفي أبناء جنسه، حتى إنه إذا تفكر في واجب الوجود المنزه عن الشبه بالممكنات، تلجئه قوته الواهمة إلى أن يجعل هذا الوهم السيئ المذكور دستوراً، والقياس الخادع منظاراً، مع أن الصانع جلّ جلاله لا يُنظر إليه من هذه النقطة، إذ لا انحصار لقدرته، لأن قدرته وعلمه وإرادته جلّ جلاله كضياء الشمس - ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ - شاملة لكل شيء، وعامة لكل أمر؛ فكما تتعلق بأعظم شيء تتعلق بأصغره وأخسّه. فمقياسُ عظمته تعالى وميزانُ كماله سبحانه مجموع آثاره، لا كل جزء منه، إذ لا يصلح أن يكون مقياساً.

وهكذا فقياس واجب الوجود بالممكنات قياسٌ مع الفارق، ومن الخطأ المحض المحاكمة العقلية بالوهم الباطل المذكور.

فبناءً على هذا الخطأ المشين للأدب، وتسَلَّط الوهم الباطل، اعتقدَ الطبيعيون تأثير الأسباب تأثيراً حقيقياً، وادَّعى المعتزلة أن الحيوان خالقٌ لأفعاله الاختيارية، ونفى الفلاسفة علمَ الله بالجزئيات، وقال المجوس: إن للشّر خالقاً غيرَه تعالى؛ إذ ظنوا وتوهموا أن الله تعالى بعظمته وكبريائه وتنزُّهه، كيف ينتزل إلى الاشتغال بمثل هذه الأمور الجزئية الخسيسة. فتباً لعقولهم التي حبست نفسها أسيرة في هذا الوهم الباطل.

أيها الأخ! إن هذا الوهم إن لم يرد من جهة الاعتقاد، فقد يستحوذ على المؤمنين من حيث الوسوسة.

فإن قلت: إن دليل الاختراع هو إعطاء الوجود، وإعطاء الوجود يصاحب إعدام الموجود، بينما عقولنا لا تستوعب ظهور الوجود من العدم الصّرف، وانقلاب الوجود المحض إلى العدم المحض.

فالجواب: يا هذا! إن ما تستصعبونه وتستغربونه في تصوركم هذه المسألة، هو النتيجة الوخيمة لقياس خادع مضلّ، إذ تقيسون الإيجاد والإبداع الإلهي بكسب العبد وصنّعته، والعبد عاجز عن إماتة ذرة وإحيائها، وليس له إلّا الصنعة والكسب في الأمور الاعتبارية والتركيبة.

نعم، إن هذا القياس خداع لا ينجو الإنسان منه.

وحاصل الكلام: لما لم ير الإنسان في الكائنات قدرةً وقوةً تملكها الممكنات إلى درجة تتمكن بها الإيجاد من العدم المحض، وبُنِيَ حُكمه على مشاهداته وأنشأه منها، إذ نظر إلى الآثار الإلهية من جهة الممكنات، بينما عليه أن ينظر إليها من جهة القدرة الإلهية الثابتة بآثارها المحيرة للألباب... فقرأه يفرض الصانع الجليل في قوة وقدرة العباد الذين لا تأثير لهم إلّا في الأمور الاعتبارية. أي في قوة موهومة. فينظر إلى المسألة من هذه الزاوية، مع أنه يجب عليه أن ينظر إليها من جانب القدرة التامة للواجب الوجود.

إشارة: إذا أخذت آثارُ أحد من الناس بنظر الاعتبار في محاكمة عقلية، يجب أخذ خاصته أيضاً. ولكن لأنه لم تؤخذ هذه القاعدة في هذه المسألة، فقد نُظر إليها من خلال عجز العبد تحت ستار القياس التمثيلي لقدرة الممكنات. بينما نرى في تكوين العالم أن الله سبحانه وتعالى يخلق قسماً من الممكنات بالإبداع - أي بدون مادة - وقسماً آخر بالاختراع - أي ينشئه من المادة - وهكذا بث في الوجود هذه الآثار المعجزة الباهرة، وأظهر قدرته المطلقة بجلاء.

فالإنسان إذا صرف نظره عن هذا، ورأى الغائب بصورة الشاهد بقياس خادع أو وَّضَعَ أبناء جنسه في المحاكمة العقلية، أي لو نظر إلى واجب الوجود من هذه الزاوية المحددة، تَوَهَّم أن كثيراً من الأمور المعقولة التي يستصوبها العقل السليم غير معقولة.

فلو صرفنا النظر عن المخترعات، فإن القوانين العجيبة للضوء - وهو نور عين العالم وأنور المصنوعات - ونواميسه البديعة المصغرة في بصر الإنسان في ترسياتها على شبكيته التي أعيا العقول حلُّها.. أقول: إذا قيسَت هذه التي تُعدّ بعيدة عن العقل بكمال القدرة الإلهية لرأها الإنسان مأنوسة مألوفة وبين أهذاب عين العقل وبصره.

وكما أن النظريات تُستنتج من الضروريات، كذلك ضروريات آثار الله وصنعتة دليل - وأي دليل - على مخفيات صنعتة. وكلاهما معاً يثبت هذه المسألة.

فهل يمكن أن يتصور العقل أدقّ وأعجب وأغرب من صنعة الله في نظام العالم، وأبعد من جنس الممكنات وقدرتها؟ لا شك لا يتصور، لأن الحكيم والفوائد التي بينتها العلوم تشهد بالضرورة على قصد الصانع وصنعتِه وحكمته، حتى اضطرت العقول إلى قبولها. وإلا فالعقل بمفرده لا يقبل أصغر حقيقة من هذه البديهيّات.

نعم، إن الذي حمل الأرض ورفع السماوات بغير عمد وسخر الأجرام وأدخل الموجودات تحت نظام فلا يعصونه في أمره. كيف يُستغرب منه أن يحمل ما هو أخف وأسهل بدرجات لا تقدّر.

نعم، إن الشك في قدرة من يرفع الجبل عن أن يرفع صخرة ليس إلا سفسطة.

الحاصل: كما أن القرآن يفسر بعضه بعضاً، كذلك سطور كتاب العالم يفسّر ما وراءه من إتقان وحكمة.

إذا قلت: يظهر من كلام قسم من المتصوفة معنى الاتصال والاتحاد والحلول؛ فيُتوهم من كلامهم وجودُ علاقة مع مذهب وحدة الوجود الذي يتبناه قسمٌ من الماديين.

الجواب: إن شطحات محققي الصوفية، التي هي من قبيل التشابهات، لم يفهمها هؤلاء، إذ إن مسلكهم المبني على الاستغراق وحصر النظر في الذات الإلهية والتجرد من الممكنات قد ساقهم إلى أن يكونَ مطمحُ نظرهم رؤيةَ النتيجة ضمن الدليل، أي سلكوا مسلك رؤية الصانع الجليل من خلال العالم! فعبّروا عن جريان التجليات الإلهية في جداول الأكوان، وسرّيان الفيوضات الإلهية في ملكوتية الأشياء، ورؤية تجلي أسمائه وصفاته سبحانه في مرايا الموجودات... عبّروا عن هذه الحقائق -لضيق الألفاظ- بالألوهية السارية والحياة السارية. هذه الحقائق لم يفهمها أولئك، إذ طبقوا شطحات المحققين الصوفيين على أوهام واهية ناشئة من سوء الفهم وفقر الاستعداد.. فسُحقاً وبعداً لعقولهم.

إن الأفكار المجردة للعلماء المحققين التي هي بسمو الثريا أبعد بكثير من أفكار سافلة للمقلدين الماديين التي هي في دركات الثرى.

نعم، إن محاولة تطبيق هذين الفكرين، في هذا العصر، عصر الرقي، دليلٌ على إصابة العقل البشري بسكتة دماغية. وتنظر الإنسانية إلى هذا الأمر نظراً الأسف والأسى وتضطرب إلى أن تقول بلسان مواهبها وقابلياتها للرقي والتحقيق العلمي: [كلا.. والله.. أين الثرى من الثريا، وأين الضياء من الظلمة الدامسة].

إشارة: إن هؤلاء هم أصحاب «وحدة الشهود»، ولكن قد يعبر عنهم مجازاً بأهل «وحدة الوجود»؛ حيث إن وحدة الوجود -على حقيقته- مسلكٌ باطل لقسم من الفلاسفة القدماء.

تنبيه: لقد قال رئيس هؤلاء المتصوفة وكبيرهم: «من ادّعى الاتصال أو الاتحاد أو الحلول، لم يشم من معرفة الله شيئاً... كيف يتصل أو يتحد الممكن بالواجب؟ بل أي قيمة للممكن حتى يحل فيه الواجب، تعالى الله وتقدّس عما توهم المتوهمون».

نعم، يتجلى فيضٌ من فيوضات الله في الممكن. فمسلك هؤلاء لا علاقة له ولا مناسبة فيه مع أولئك، ولا تماس بينهما قطعاً، لأن مسلك الماديين حصرُ النظر في المادة والاستغراقُ

فيها، حتى تجردت أفكارهم وتعرّت أذهانهم عن فهم الألوهية وابتعدوا عنه، بل أعطوا المادة قيمةً وأهمية عظيمة حتى رأوا فيها كل شيء، بل ولجّ قسمٌ منهم في مسلك دنيء حيث مزجوا الألوهية بالمادة.

أما أهل «وحدة الشهود» - وهم المحققون الصوفيون - فقد حصروا نظرهم في واجب الوجود حتى لم يروا للممكنات قيمة، فقالوا: «هو الموجود».

الإنصاف الإنصاف أيها الناس! فالبُعد بين المذهبين بُعدُ الثرى عن الثريا. أقسم بالله الذي خلق المادة بأنواعها وأشكالها، لا أرى في الدنيا أبشع وأخسّ وأنعى على صاحبه بانحراف مزاج عقله من الرأى الأحق الذي ينتج التماس بين هذين المسلكين.

تنوير:

لو افترض - مثلاً - أن الكرة الأرضية قد تشكلت من قطع زجاجية صغيرة جداً ومختلفة الألوان، فلا شك أن كل قطعة ستستفيض من نور الشمس حسب تركيبها وجرمها ولونها وشكلها.

فهذا الفيض الخيالي ليس الشمس بذاتها ولا ضياءها بعينه.

فلو نطق ألوان الأزهار الزاهية المتجددة والتي هي تجليات ضياء الشمس وانعكاسات ألوانه السبعة، لقال كل لون منها: إنَّ الشمس مثلي، أو إنَّ الشمس تخصني أنا.

أَنْ خَيَّالَاتِي كِه دَامِ أَوْلِيَا سَتْ عَكْسِ مَهْرُويَانِ بُوَسْتَانِ خُدَا سَتْ^(١)

ولكن مشرب أهل وحدة الشهود هو: الصحو والتمييز والانتباه، بينما مشرب أهل وحدة الوجود هو: الفناء والسكر. والمشرب الصافي هو مشرب الصحو والتمييز.

«تَفَكَّرُوا فِي آلَاءِ اللَّهِ وَلَا تَفَكَّرُوا فِي ذَاتِهِ فَإِنَّكُمْ لَنْ تَقْدَرُوا»^(٢)

حَقِيقَةُ الْمَرْءِ لَيْسَ الْمَرْءُ يَدْرِكُهَا فَكَيْفَ كَيْفِيَّةُ الْجَبَّارِ ذِي الْقَدَمِ
هُوَ الَّذِي أَبْدَعَ الْأَشْيَاءَ وَأَنْشَأَهَا فَكَيْفَ يَدْرِكُهُ مُسْتَحْدَثُ النَّسَمِ^(٣)

(١) أي «إن الخيالات التي هي شركاء الأولياء إنها هي مرآة عاكسة تعكس الوجوه النيرة في حديقة الله». والبيت لجلال الدين الرومي في مثنويه ج ٣ / ١.

(٢) الطبراني، المعجم الأوسط ٦٤٥٦؛ اللالكائي، السنة ١ / ١١٩ / ٢؛ البيهقي، شعب الإيمان ١ / ٧٥.

(٣) ينسب إلى الإمام علي كرم الله وجهه، ديوان الإمام علي ص ١٨٥، بيروت.

تنبيه: هذه هي الدلائل الإجمالية لوجود الصانع، سترد تفاصيلها في الكتب الثلاثة.

إذا قلت: أريد بيان دلائل التوحيد ولو إجمالاً.

أقول: إن دلائل التوحيد أكثر بكثير من أن يضمها هذا الكتاب. وما تضمنته الآية الكريمة: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (الأنبياء: ٢٢) من برهان التمانع دليل كافٍ، ومنار ساطع على هذا المنهاج.

نعم، الاستقلال خاصة ذاتية ولازم ضروري للألوهية.

إن تشابه آثار العالم، وتعاقد أطرافه، وأخذ بعضه بيد بعض، وتكميل بعضه انتظام البعض الآخر، وتجاوب الجوانب، وتلبية بعض لسؤال بعض، ونظر الكل إلى نقطة واحدة، وحركة الكل بالانتظام على محور نظام واحد، تلوح بوحدانية الصانع بل تصرح بأن صانع هذه الماكنة الواحدة واحد. وتتلو على الكل:

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ^(١)

إن الأبعاد الشاسعة غير المتناهية للآفاق صحائف كتاب العالم

والآثار التي لا تعد سطور كائنات الدهر

لقد طبعت في لوح الطبيعة المحفوظ:

إن كل موجود لفظ مجسم حكيم.

لا شك أن الشاعر الفاضل «تحسين»^(*) لا يقصد بغير المتناهي وغير المعدود معناه

الحقيقي وإنما الأمر النسبي.

إشارة: إن الصانع الجليل متصف بجميع الأوصاف الكمالية، لأنه من المقرر أن ما في المصنوع من فيض الكمال، مقتبس من ظل تجلي كمال صانعه، فبالضرورة يوجد في الصانع جلّ جلاله من الجمال والكمال والحسن ما هو أعلى بدرجات غير متناهية حتماً من عموم ما في الكائنات من الحسن والكمال والجلال؛ إذ الإحسان فرع لثروة المحسن ودليل عليها، والإيجاد، لوجود المؤجد، والإيجاب لوجوب الموجب، والتحسين لحسن المحسن المناسب له.

(١) لأبي العتاهية في ديوانه، وينسب إلى علي كرم الله وجهه، ونسبه ابن كثير في تفسيره إلى ابن المعتز.

وكذلك إن الصانع منزّه عن جميع النقائص، لأنها تنشأ من عدم استعداد ماهيات الماديّات، وهو تعالى مجرّد عن الماديّات، ومقدّس عن لوازم وأوصافٍ نشأت من إمكان ماهيات الكائنات، وهو سبحانه واجب الوجود ليس كمثله شيء جلّ جلاله.

مقدمة:

إن قلت: لقد ذُكر في الديباجة أن الكلمة الثانية من كلمتي الشهادة شاهدةٌ على الأولى ومشهود عليها.

الجواب: نعم، إن أقوى منهج من بين المناهج المؤدية إلى معرفة الله، كعبة الكمال، وأكثرها استقامة، هو المحجّة البيضاء التي سلكها صاحبُ المدينة المنورة ﷺ. ذلك المنهج الذي ترجمه لسانه الصادق المبارك العاكس كالمرآة لما في قلبه الشريف، الذي هو كمشكاة مطّلة على عوالم الغيب. فهو ﷺ روح الهداية، وأصدقُ شاهدٍ حيٍّ وأفصح برهان ناطق وأقطع حجة على الصانع الجليل؛ إذ من حيث الخليفة، ذاته برهان باهر، ومن حيث الحقيقة لسانه شاهد صادق.

نعم، إن محمداً ﷺ حجةٌ قاطعة على وجوده تعالى وعلى النبوة وعلى الحشر وعلى الحق وعلى الحقيقة. كما سيأتي تفصيله.

تنبيه: لا يلزم الدور؛ لأن صدقه ثابتٌ بأدلة لا تتوقف على أدلة الصانع.

تمهيد: إن رسولنا الكريم ﷺ برهان على وجوده تعالى، لهذا يجب إثبات صدق هذا البرهان، ونتاجه وصحته صورةً ومادةً، نَحْو:

المقصد الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم صل على سيدنا محمد الذي دل على وجوب وجودك...

أما بعد:

فيا عاشق الحقيقة! إن كنت تتحرى الحقائق بمطالعة وجداني أنا، فطهر قلبك - تلك اللطيفة الربانية - من الصدأ، أي الرغبة في المعارضة والخلاف.. والتزام طرف المخالف والمعارض.. وإعذار النفس بإرجاع أوهامك إلى أصل لتحقيقها.. وطلب رؤية نتيجة المجموع في كل فرد، الذي يضعف بانفراده عن حمل النتيجة، فيجلب لك استعداداً سيئاً لردّ النتيجة.. والتطلع بطبيعة الصبيان، وسجية الأعداء، أي التثبت بحجج واهية.. وتقمص طبيعة المشتري الذي يتحرى العيوب والنقائص.. وأمثاله من الأمور.

فاصل تلك المرأة وطهرها منها، ثم أبدأ بالموازنة والمقابلة واجعل الشعلة الجوّالة الناتجة من امتزاج أكثر الأمارات قرينةً منوّرة على أقلها، كي تتنور هذا القليل من أوهامك المظلمة ويندفع.

ثم استمع بقلب شهيد وإنصاف وروية، ولا تعترض حتى يبلغ الكلام أجله، فإنه إلى الختام جملة واحدة، حكمٌ واحد، ومن بعد ذلك إن بقي لك ما تقول فاذكره.

استمع إلى ما أقول فإني أبدأ بالأصغر: برهان النبوة مطلقاً، ثم الأكبر: نبوة محمد ﷺ.

اعلم أن حكمة الصانع الجليل.. وعدم العبثية في أفعاله.. ومراعاه النظام في أقل ما في العالم.. وعدم إهماله أخس ما فيه.. وضرورة حاجة البشرية إلى مرشد.. كل ذلك يستلزم قطعاً النبوة في نوع البشر.

إن قلت: لم أفهم هذا الإجمال، يرجى التفصيل:

أقول: اسمع، فإنك تشاهد أن النبوة المطلقة التي هي بمثابة معدن نظام البشرية المادي

والمعنوي، ومركز انتظام أحوال كثير من الأنواع التي ضمتها تحت تصرفها قوة العقل.. هذه النبوة المطلقة برهانها رُقيُّ الإنسان على الحيوانية في ثلاث نقاط:

النقطة الأولى:

إدراك الإنسان وكشفه عن الترتيب في الأشياء، الناشئ من العلل المترتبة المتسلسلة في الخلق.. وقابليته العلمية والتركيبية، ومعرفته الحاصلة من تحليله مركبات بذور كمالات الإنسانية إلى بسيطات، وإرجاعها إلى أصلها.. وقدرته على محاكاة الطبيعة، ومساوقة نواميس الله الجارية في الكون بصنعة ومهارته، بالسر الكامن في القاعدة: «بداية الفكر نهاية العمل، نهاية الفكر بداية العمل».

فالإنسان الذي هذه قابليته، يدرك قصور نظره في صنعته، وزحمة الأوهام عليه، وافتقاره في جبلته الإنسانية.. مما يدلّه على حاجته الماسة إلى نبي مرشد، يحافظ على موازنة النظام المتقن في العالم.

النقطة الثانية:

هي استعداد الإنسان غير المتناهي، وآماله ورغباته غير المحصورة، وأفكاره وتصوراته غير المحدودة، وقوته الشهوية والغضبية غير المحددة.

فنرى الإنسان يتأسف ويتأفف ويقول: ليت كذا وكذا، حتى لو مُنح ملايين السنين من العمر وتمتّع بلذائذ الدنيا وحكم حكماً نافذاً في كل شيء... وذلك بحكم اللاتناهية المغروزة في استعداداته، فكأن عدم الرضا هذا يرمز ويشير إلى أن الإنسان مرشح للأبد، ومخلوق للسعادة الأبدية. كي يتمكن من تحويل استعداداته غير المحصورة من طور القوة إلى طور الفعل في عالم غير متناهٍ وغير محدود بحدود، وأوسع بكثير من عالمه هذا.

إن عدم العيشية، وثبوت حقائق الأشياء تومثان إلى أن هذه الدنيا الدنية الضيقة المحصورة، وتزاحم كثير من الأعراض فيها والتي لا تخلو من التحاسد والاضطراب، لا تسع كمالات الإنسانية، بل تحتاج تلك الكمالات إلى عالم أرحب لا تزاحم فيه، كي يتسنى استعداد البشر وينمو نمواً كاملاً، فيكون منسجماً مع نظام العالم بانتظام أحوال كمالاته.

ولقد أومئ إلى الحشر استطراداً، وسيُبرهن بالبرهان القاطع في موضعه. ولكن الذي أريد قوله هو:

أن استعداد الإنسان مسدّد نحو الأبد. فإن شئت فتأمل في جوهر الإنسانية، وقيمة ناطقيته، ومقتضى استعداده، ثم انظر إلى الخيال الذي هو أصغر خادم لجوهر الإنسانية، واذهب إليه وقل: أيها الخيال السيد، أبشر فسيوَهَب لك عمرٌ يزيد على ملايين السنين مع سلطنة الدنيا وما فيها.. ولكن عاقبتك الفناء والعدم وعدم العودة إلى الحياة، ثم انظر كيف يقابلك الخيال؟ أبالبشارة والسرور أم بالحسرة والندامة؟

بل إن جوهر الإنسانية سيئن في أعماق الوجدان: «آه.. واحسرتاه.. على فقدان السعادة الأبدية». وسيعتف الخيال ويزجره: «يا هذا لا ترصّ بهذه الدنيا الفانية».

فيا أيها الأخ!

إن كانت سلطنة الدنيا الفانية لا تُشبع خادم سلطان الإنسانية أو شاعره أو صنّاعه أو مصوّره -وهو الخيال- ولا تُرضيه، فكيف تشبعه وهو السيد الذي يعمل بين يديه الكثيرون من أمثال ذلك الخادم؟

نعم، إنها لا تشبعه، ولن تشبعه إلا السعادة الأبدية المكنونة في صَدَف الحشر الجسماني.

النقطة الثالثة:

هي اعتدال مزاج الإنسان، ولطافة طبعه، وميله إلى الزينة، أي ميله الفطري إلى العيش اللائق بالإنسانية.

نعم، إن الإنسان لا يعيش عيشَ الحيوانات، ولا يسعه ذلك؛ فهو محتاجٌ لتحقيق حاجاته في مأكله وملبسه ومسكنه إلى تلطيفها وإتقانها بصنائع جمّة لا يقدر هو بانفراده عليها كلها، ولهذا احتاج إلى الامتزاج مع أبناء جنسه، ليتشاركوا فيتعاونوا، ثم يتبادلوا ثمرات سعيهم. ولكن لتجاوز قوى الإنسانية على الآخرين -بسر عدم التحديد- تحتاج الجماعة إلى العدالة في تبادل ثمرات السعي.. ثم لأن عقل كل واحد لا يكفي في درك العدالة، احتاج النوع إلى وضع قوانين كلية.. ثم لمحافظة تأثيرها ودوامها، لابد من مقنن

يجريها.. ثم لإدامة حاكمية ذلك المقتن في الظاهر والباطن يحتاج إلى امتياز وتفوق -مادة ومعنى- ويحتاج أيضاً إلى دليل على قوة المناسبة بينه وبين مالك الملك صاحب العالم.. ثم لتأسيس إطاعة الأوامر وتأمين اجتناب النواهي يحتاج إلى إدامة تصوّر عظمة الصانع وصاحب الملك في الأذهان.. ثم لإدامة التصور ورسوخ العقائد يحتاج إلى مذكّر مكرّر وعمل متجدد، وما المذكّر المكرّر إلا العبادة... وهذه العبادة تُوجّه الأفكار إلى الصانع الحكيم، وهذا التوجه يؤسس الانقياد، والانقياد هو للإيصال إلى النظام الأكمل والارتباط به، وهذا النظام الأكمل يتولد من سر الحكمة، وسر الحكمة يشهد عليها إتقان الصنع وعدم العبيثية.

فإذا علمت هذه الجهات الثلاث من تمايز الإنسان عن سائر الحيوانات أنتج لك بالضرورة: أن النبوة المطلقة في نوع البشر قطبٌ بل مركزٌ ومحور تدور عليه أحوال البشر وذلك كالآتي:

دقق النظر في الجهة الأولى:

إنه لما لم يكفِ ميل الإنسان الطبيعي وسوق إنسانيته، وقَصُر نظره، واختلاط الأوهام في طريق عقله.. احتاج البشر أشد الحاجة إلى مرشد ومعلم.. فذلك المرشد هو النبي ﷺ.

ثم تدبر في الجهة الثانية:

إن اللاتناهية المغروزة في الإنسان، وميله إلى التجاوز في طبيعته، وعدم تحدد قواه، وعدم انضباط آماله... هذه اللاتناهية في الميول والآمال لا يسعها قانون البشر الذي لا ينطبق على قامة استعداده التامة كثرمة ليله إلى الترقى الذي هو غصنٌ من شجرة ميل الاستكمال في العالم.

فعدم كفاية هذا القانون البشري الحاصل نتيجة تلاحق الأفكار والتجارب التدريجية، لإنهاء بذور ثمره استعدادات الإنسان، جعل الإنسان يحتاج إلى شريعة إلهية حية خالدة تحقق له سعادة الدارين معاً مادةً ومعنىً، وتتوسع حسب قامة استعداداته ونموها... فالذي أتي بالشرعية هو النبي ﷺ.

إذا قلت: إننا نشاهد أن أحوال الملحدین أو ذوي الأديان المنحرفة تجري على وفق العدالة والانتظام.

الجواب: إن تلك العدالة والانتظام إنما نشأ بتذكير أهل الدين وإرشاداتهم؛ فأسس العدالة والفضيلة شيدھا الأنبياء عليهم السلام، أي إن الأنبياء هم الذين أرسوا تلك القواعد والأسس، ثم أخذ هؤلاء بالفضيلة وعملوا بها ما عملوا، زد على ذلك فإن نظامهم - وكذا سعادتهم - ليس دائماً بل مؤقتاً، فهو إن كان قائماً ويستقيم من جهة فهو منحرفٌ ومائلٌ من جهات كثيرة، أي مهما بدأ منتظماً في صورته ومادته ولفظه ومعاشه فإنه في سيرته ومعناه وروحه فاسدٌ ومختل.

أيها الأخ! الآن بدأ دورُ الجهة الثالثة... تفكر جيداً في الآتي:

إن الإفراط والتفريط في الأخلاق يفسدان الاستعدادات والمواهب، وهذا الإفساد ينتج العبيثية، وهذه العبيثية مناقضٌ للحكمة الإلهية المهيمنة برعاية المصالح والحكم حتى على أصغر شيء في العالم.

إن ما يقال من: «ملكة معرفة الحقوق» أي الإحساس إحساساً مادياً بضرر كل ما هو فاسد، وكذا ما يقال من: «ملكة رعاية الحقوق» الحاصلة من تنبيه الأفكار العامة وبث الوعي فيها. هذان الأمران يجعلهما الملحدون بديلاً عن الشريعة الإلهية. إن تصوّرهم هذا واستغناءهم عن الشريعة توهّم باطل ليس إلّا؛ لأنه لم يظهر لحد الآن شيء من هذا الأمر في الدنيا وقد هرمت، بل حتى مقدماته! وإنما صحَّ العكس، إذ كلما رقت المحاسن رقت المساوئ أيضاً وتزينت بأرغب زَيٍّ وأخدعه.

نعم، إن نوااميس الحكمة لا تستغني عن دساتير الحكومة، كما تحتاج البشرية أشد الحاجة إلى قوانين الشريعة والفضيلة الحاكمة على الوجدان.

وهكذا فملكة تعديل الأخلاق الموهومة لا تكفي للمحافظة على القوى الثلاث في الحكمة والعفة والشجاعة... لذا فالإنسان بالضرورة محتاج إلى نبي يمكّ بميزان العدالة الإلهية النافذة والمؤثرة في الوجدان والطباع.

إشارة: لقد ظهر أُلوف الأنبياء عليهم السلام وأعلنوا النبوة وأثبتوا نبوتهم بمعجزاتهم التي تربو على الألوف. فجميعُ أولئك الأنبياء الكرام يعلنون بمعجزاتهم بلسان واحد وجود النبوة المطلقة في نوع البشر...

فهي برهان قاطع على النبوة المطلقة، صغرى البراهين. وهذا ما يسمى بالتواتر بالمعنى أو سُمّوه ما شئتم من الأسماء، فهو دليل قوى.

تنبيه: إن جهة الوحدة لهذه المحاكمات العقلية هي:

أنه إذا أخذت العلوم جميعها ونُظر إلى ما كشفته بقواعدها الكلية من اتّساق وانتظام.. ودُفّق النظر في أفعالٍ واهية وأمور ضعيفة ترابط وتتصل بخميرة تجمع مصالحتها الجزئية المتفرقة، تلك هي اللذة أو المحبة أو أمر آخر أودعته العناية الإلهية في تلك الأفعال والأمور كما في المأكّل والمنكح.. وإذا علّم عدمُ العبثية الثابتُ بشهادة الحكمة، وعدمُ الإهمال... فإن النتيجة الحاصلة بالاستقراء التام هي:

أن النبوة التي هي قطب المصالح الكلية ومحورها ومعدنُ حياتها ضروريةٌ لنوع البشر. فلو لم تكن النبوة لهلك النوع البشري. إذ كأنه أُلقي من عالم منظّم إلى عالم مختل، فيخل بالقوانين الجارية العامة..

تنبيه: أيها الأخ! فلو قِيلَ هذا الفرض فكيف تُجابه الإنسانية سائر المخلوقات في العالم؟.. إذا انتقش في ذهنك صغرى براهين الصانع، فتهياً لندخل إلى مبحثٍ كبرى براهينه وهو نبوة محمد ﷺ.

إشارة وإرشاد: البرهان الأكبر صادقٌ. فإذا ما طالعت آثار الأنبياء المنقوشة في صحيفة العبر في العالم، واستمعت إلى أحوالهم الجارية بلسان التاريخ واستطعت أن تجرّد الحقيقة -أي جهة الوحدة- من تأثير صور الزمان والمكان.. ترى أن أموراً دفعت البشرية إلى تسميتهم بالأنبياء هي:

أن حقوقَ الله وحقوقَ العباد التي هي ضياء العناية الإلهية وشعلة المحاسن المجردة، قد اتخذها الأنبياء عليهم السلام دستورَ حركتهم..

ومعاملة الأنبياء مع أهمهم..

وتلقي الأمم لهم..

وتركهم منافعهم الشخصية لأجل دعوتهم..

وأموراً أخرى غيرها دفعت البشرية إلى إطلاق النبوة عليهم.

أما الأسس التي هي مدار النبوة فهي تظهر بأكمل وجه وأظهره فيه ﷺ، إذ هو أستاذ أبناء البشر في سن كمال البشر، ومنبع العلوم العالية في مدرسة جزيرة العرب ومعلمها.

بمعنى أنه بالاستقراء التام ولاسيما في النوع الواحد، ولاسيما بتأييد القياس الأولوي، وبإعانة القياس الخفي المبني على الانتظام المطرد تنتج نبوة محمد ﷺ.

وبتجريد الخصوصيات المسماة بتنقيح المناط، فإن جميع الأنبياء عليهم السلام، يشهدون بلسان معجزاتهم على صدق محمد ﷺ البرهان الباهر على وجود الصانع الجليل.

اعتذار:

إني لا أورد كلامي في جمل قصيرة، فتكون غامضة مع شيء من الإغلاق، إذ لما كانت هذه الحقائق قد مدت جذورها في كل جهة فإن المسألة تطول، لذا لا أريد تجزئة صورة المسألة والإحلال بها وإيلا من الحقيقة. وإنما أريد إحاطة الحقيقة بسور دائري حولها، كي تنحصر الحقيقة ولا تغفل، فإن لم أستطع مسكها فليمسكها غيره. وإن أعذرتوني فيها ونعمت، وإلا فكل حرّ فيما يراه، ولا سبيل إلى الإكراه.

براهين نبوة محمد ﷺ

مقدمة

إنَّ كُلَّ حال من أحواله ﷺ، وكل حركة من حركاته دليلٌ على صدقه .

نعم، إنَّ عدم التردد في كل حركة من حركاته، وعدم مبالاته بالمعترضين، وعدم تخوفه من المخالفين.. شاهدٌ على صدقه وجديته.

وإنَّ إصابته روح الحقيقة في أوامره كلها تدل على أنه على الحق المبين.

نحصل من هذا: أنه في الوقت الذي هو مبرأ من التخوف والتردد والاضطراب وأمثاله من الأمور التي تومئ إلى الحيلة وعدم الثقة وفقدان الاطمئنان، تراه يلفت نظر أهل الدقة إلى كل فعل من أفعاله وإلى كل طور من أطواره... يلفتهم بالمبدأ على صدقه وفي المنتهى على إصابته الحق؛ إذ يعمل في أخطر المواقع دون تخرج وبقوة اطمئنان بالغ، ومن بعد ذلك بلوغه الهدف في الختام بتأسيسه القواعد الحية المثمرة لسعادة الدارين، ولا سيما إذا لوحظ مجموع حركاته وامتزاجها، فالجدية وإصابته الحق تشعان كالشعلة الجواله، ويتجلى لعينك برهان نبوته من انعكاساتها وموازنتها.

إشارة: إن الزمان الماضي والزمان الحاضر -أي عصر السعادة النبوي- والمستقبل يتضمنان براهين نيرة على النبوة، ويرددان بلسان واحد برهان ذاته ﷺ بأنه معدن الأخلاق العالية وداعي الصدق ودلال النبوة. فهذه الأزمنة تدل وتعلن عن نبوته وتبينها حتى لمن فقد بصره، ولهذا سنطالع هذه الصحف الثلاث والمسالة العظمى من ذلك الكتاب.. وهي ذاته المباركة ﷺ، فنزوره ونبين مدعانا الذي هو البرهان الأكبر.

وبناء على هذه النقاط فمسالك النبوة أربعة. والخامسة منها مشهورة مستورة.

المسلك الأول للنبوة

يعني لا بد من معرفة أربع نكت لنزّ ذاته الشريفة:

إحداها: أنه «ليس الكَحْلُ كالتَكْحُل»^(١) أي لا يصل الصنعيّ والتصنعيّ -ولو كانا على أكمل الوجوه- مرتبةً الطبعيّ والفطريّ ولا يقوم مقامه، بل تومئ فلتأت هيئته العامة إلى التصنع والتكلف.

ثانيتهما: أن الأخلاق العالية إنما تتصل بأرض الحقيقة بـ«الجدية»، وأن إدامة حياتها وانتظام مجموعها إنما هي بـ«الصدق»، ومتى ما انقطعت عرى الصدق والجدية منها صارت كهشيم تذروه الرياح.

ثالثتها: من القواعد وجود الميل والجذب في الأمور المتناسبة، ووجود التدافع والتنافر في الأمور المتضادة، فكما أن هذه القاعدة جارية في الماديات، جارية أيضاً في الأخلاق والمعنويات.

رابعتهما: «للكل حكمٌ ليس لكل».. إن آثار محمد ﷺ وسيرته المباركة وتاريخ حياته تشهد -مع تسليم أعدائه- بأنه لعل خلق عظيم، وأنه قد اجتمعت فيه الخصال العالية كافة. ومن شأن امتزاج كثرة من تلك الأخلاق وتجمّعها وإحاطتها، توليد عزة النفس، التي تولّد شرفاً ووقاراً وترفعان عن سفاسف الأمور، كترفع الملائكة وتزهيمهم عن الاختلاط بالشياطين... فالأخلاق السامية كذلك لا تسمح أصلاً بتداخل الحيلة والكذب بينها، بل تتزه وتتبرأ وترفع عنها، بحكمة التضاد فيما بينها.

ثم إن حياة هذه الأخلاق الرفيعة وروحها هي: الصدق وإصابة الحق... فهما يضيئان كالشعلة المنورة ويعلنان عنها.

أيها الأخ! ألا ترى أن الشخص المشتهر بالشجاعة وحدها يترفع عن الكذب، لئلا يخل بالمقام الذي تعطيه تلك الصنعة، فكيف إذا اجتمعت جميع الخصال الرفيعة؟ نعم، للكل حكمٌ ليس لكل.

(١) لأنّ حِلْمَكَ حِلْمٌ لَا تَكَلِّفُهُ لَيْسَ التَّكْحُلُ فِي الْعَيْنَيْنِ كَالْكَحْلِ (للمتنبي)

نشاهد في الوقت الحاضر: أن المسافة بين الصدق والكذب لا تتجاوز الإصبع، فكلاهما يباعان في سوقٍ واحدة، ولكن لكل زمان حكمه، إذ لم يحدث قط في أي وقت مضى أن اتسعت الشقة بين الصدق والكذب اتساعه الذي حدث في عصر السعادة النبوية. فقد انجلى الصدقُ بهائه الحقيقي وبكمال الاحتشام والهيبة، واعتلى محمد ﷺ الصادق الأمين أعلى عليي الصادقين، وأوقع انقلاباً عظيماً في العالم، فأظهر بُعد الصدق عن الكذب بُعد ما بين المشرق والمغرب. فراج سوقُ الصدق ومتاعه في ذلك القرن.

أما الكذب الشبيه بأشلاء الأموات والجثث، فقد ظهر قبضه وسماجه، وتردّى بمن تمسك به من أمثال مسيلمة الكذاب إلى أسفل سافلي الإنسانية. فكسد سوقه ولم ترج بضاعته في ذلك القرن.

وهكذا فمن طبائع العرب الاعتزاز والتفاخر، والرغبة في الرائج من المتاع... لذا تسارعوا وتسابقوا للتجمل بالصدق والبعد عن الكذب، ونشروا راية العدل على العالمين. ومن هنا نشأت عدالة الصحابة عقلاً. إذا أنعم الإنسان النظر في السيرة والتاريخ والآثار، ودقق حاله ﷺ من الرابعة من عمره إلى الأربعين، مع أن شأن الشبابة وتوقد الحرارة الغريزية أن تظهر ما يخفى، وتلقى إلى الظاهر ما استتر في الطبيعة من الحيل والخداع، تراه ﷺ قد تدرج في سنه وعاشر باستقامة كاملة، ومتانة بالغة، وعفة تامة، مع اطراد وانتظام، وما أوما حال من أحواله إلى خديعة، لاسيما في مقابلة المعاندين الأذكياء.

وبينما تراه ﷺ كذلك إذ تنظر إليه وهو على رأس أربعين سنة الذي من شأنه جعل الحالات ملكة والعادات طبيعة ثابتة لا تخالف، قد أوقع انقلاباً عظيماً في العالم.. فما هو إلا من الله.

فمن لم يصدق أنه من الحق وعلى الحقيقة المحضة، فقد اختفى إذن في ذهنه سوفسطائي. ألا ترى أنه ﷺ كيف كان حاله في أمثال واقعة الغار الذي انقطع بحسب العادة أمل الخلاص، إذ يتصرف بكمال الوثوق وغاية الاطمئنان والجدية.

كل ذلك شاهد كاف على نبوته وجديته ودليل قاطع على تمسكه بالحق.

المسلک الثاني

إن صحيفة الماضي برهان على نبوته، بملاحظة أربع نكت:

إحداها: أن من يأخذ أساسات علم وفن -أو في القصص- ويعرف روحه والعقد الحياتية فيه ويحسن استعمالها في مواضعها ثم يبنّي مدّعاء عليها، فإن ذلك يدل على مهارته وحذاقته في ذلك العلم.

ثانيتها: أيها الأخ! إن كنت عارفاً بطبيعة البشر، لا تر أحداً يتجاسر بسهولة على مخالفة وكذبٍ ولو حقيراً، في قوم ولو قليلين، في دعوى ولو حقيرة، بحشية ولو ضعيفة. فكيف بمن له حشية في غاية العظمة، وله دعوى في غاية الجلالة، ويعيش بين قوم في غاية الكثرة، ويقابله عناد في غاية الشدة، ومع أنه أمّي لا يقرأ ولا يكتب، إلا أنه يبحث في أمور لا يستقل فيها العقل وحده، ويظهرها بكمال الجدية، ويعلنها على رؤوس الأشهاد.. أفلا يدل هذا على صدقه؟

ثالثتها: إن كثيراً من العلوم المتعارفة عند المدنيين -بتعليم العادات والأحوال وتلقين الوقوعات والأفعال- مجهولة نظريةً عند البدويين. فلا بد لمن يحاكم محاكمة عقلية، ويتحرى حال البدويين أن يفرض نفسه في تلك البادية.

فإن شئت فراجع المقدمة الثانية، فقد أوضحت هذه النكته.

رابعتها: لو ناظر أمّي علماء علم، ثم بيّن رأيه في مسائله مصدّقاً في مظان الاتفاق، ومصححاً في مطارح الاختلاف، يدلك ذلك على تفوقه، وأن علمه وهبي لا كسبي.

فبناء على هذه النكته نقول:

إن الرسول الكريم ﷺ مع أميته، كأنه بالروح الجواله الطليقة طوى الزمان والمكان، فدخل في أعماق الماضي، وبيّن كالمشاهد لأحوال الأنبياء عليهم السلام، وشرح أسرارهم على رؤوس العالم، في دعوى عظيمة تجلب إليها أنظار الأذكياء. وقد قص قصصهم بلا مبالاة ولا تردد وفي غاية الثقة والاطمئنان، وأخذ العقد الحياتية فيها وأساساتها، مقدمةً لمدّعاء مصدّقاً فيما اتفقت عليه الكتب السالفة ومصححاً فيما اختلفت فيه. فثبت أن حاله هذه دليل على نبوته.

إن مجموع دلائل نبوة الأنبياء عليهم السلام دليلٌ على صدقه ﷺ، وجميع معجزاتهم معجزة معنوية له.

أيها الأخ!

قد يحلّ القَسَم محل البرهان، لأنه يتضمن البرهان لذا: [والذي قصّ عليه القصص للحصص، وسير روحه في أعماق الماضي وفي شواهد المستقبل، فكشّف له الأسرار في زوايا الواقع، إن نظره النقاد أدق من أن يُدلّس عليه، ومسلكه الحق أغنى من أن يُدلّس على الناس].

نعم، إن الخيال لا يستطيع أن يظهر نفسه حقيقة لنور نظره ﷺ، ومسلكه الحق أغنى من أن يدلّس أو يغالط الناس.

المسلك الثالث

في بيان صحيفة الحال الحاضرة - أعني عصر السعادة النبوية -

فها هنا أيضاً أربع نكت؛ ونقطة لا بد من إنعام النظر فيها:

إحداها: أنك إذا تأملت في العالم ترى أنه قد يتعسر ويستشكل رفع عادة ولو حقيرة، في قوم ولو قليلين، أو خصلة ولو ضعيفة في طائفة ولو ذليلين، على ملك ولو عظيماً، بهمة ولو شديدة، في زمان مديد بزحمة كثيرة، فكيف أنت بمن لم يكن حاكماً، تثبت في زمان قليل بهمة جزئية بالنسبة إلى المفعول، وقلع عادات ورفع أخلاقاً قد استقرت بتمام الرسوخ واستؤنس بها نهاية استئناس واستمرت غاية استمرار، فأرسي فجأةً بدلها عادات وأخلاقاً تكملت دفعةً في قلوب قوم في غاية الكثرة ولألوفاتهم في نهاية التعصب، أفلا تراه خارقاً للعادات؟ فإن لم تصدّق بهذا فسأورد اسمك في قائمة السوفسطائيين.

ثانيتهما: هي أن الدولة شخصٌ معنوي، تشكّلها تدريجي - كنمو الطفل - وغلبتها للدول العتيقة - التي صارت أحكامها كالطبيعة الثابتة لملتها - متمهلة تدريجية أيضاً. أفلا يكون حينئذ من الخارق لعادة تشكّل الدول تشكّل محمد ﷺ لحكومة عظيمة، في زمان قصير، وغلبتها للدول العظمى دفعة، مع إبقاء حاكميته لا على الظاهر فقط بل ظاهراً وباطناً ومادة ومعنى. فإن لم تستطع رؤية هذه الأمور الخارقة، فأنت في طائفة العميان!

ثالثتها: هي أنه يمكن بالقهر والجبر تحكّم ظاهري، وتسلّط سطحي، لكن الغلبة على الأفكار والتأثير باللقاء حلاوته في الأرواح والتسلّط على الطبائع مع محافظة حاكميته على الوجدان دائماً لا يكون إلّا من خوارق العادات. وليس إلّا الخاصة الممتازة للنبوة. فإن لم تعرف هذه الحقيقة فأنت غريب عنها.

رابعتها: هي أن تدوير أفكار العموم وإرشادها بجيل الترهيب والترغيب، إنما يكون تأثيرها جزئياً سطحياً مؤقتاً يسدّ طريق المحاكمة العقلية في زمان. أما من نفذ في أعماق القلوب بإرشاده، وهيج دقائق الحسيات، وكشّف أكمّ الاستعدادات، وأيقظ السجيا الكامنة، وأظهر الخصال المستورة، وجعل جوهر إنسانيتهم فوّارة، وأبرز قيمة ناطقتهم، فإنها هو مقتبسٌ من شعاع الحقيقة ومن الخوارق للعادة.

نعم، إن صقل القلوب وتطهيرها من أمثال القساوة المتجسمة في وأد البنات، وجعل تلك القلوب ترق وتترحم حتى على النمل الصغير، إنما هو انقلاب عظيم. لاسيما لدى أولئك البدويين. بحيث إن أرباب البصائر يصدقونه حتماً، ويقولون إنه خارق للعادة لا يشملها قانون طبيعي.

فإن كنت ذا بصيرة تصدّق هذا بلا ريب.

والآن استمع إلى هذه «النقطة»:

إن تاريخ العالم يشهد أن الداهي الفريد، هو الذي اقتدر على إنعاش استعداد عمومي، وإيقاظ خصلة عمومية، والتسبب لانكشاف حس عمومي، إذ من لم يوقظ هكذا حساً نائماً يكون سعيه هباءً منثوراً ومؤقتاً لا يدوم.

وهكذا فإن أعظم الدهاة قد وُفق لإيقاظ واحد أو اثنين أو ثلاث من هذه الحسيات العمومية: كحس الحرية، وكحس الحمية المالية، وحس المحبة. أفلا يكون إذن من الخوارق إيقاظ ألوف من الحسيات العالية المستورة النائمة، وجعلها دفعةً فوّارة منكشفة في قوم بدويين منتشرين في جزيرة العرب، تلك الصحراء الواسعة.

إن من لم يُدخل هذه النقطة في عقله، نتحداه بجزيرة العرب فهي ماثلة أمام عينه.. بعد

ثلاثة عشر عصرًا، وبعد ترقى البشر في مدارج التمدن!. فليتنخب المعاندون مئةً من أكمل الفلاسفة، وليسعوا مائة سنة، فهل يفعلون جزءاً من مئة جزء مما فعله النبي ﷺ بالنسبة إلى زمانه؟

إشارة: إن من أراد التوفيق يلزمه مضافاً مع عادات الله، ومعارفةً مع قوانين الفطرة، ومناسبةً مع روابط الهيئة الاجتماعية. وإلا أجابته الفطرة بعدم الموفقية جواب إسكات! أما النواميس العامة الجارية فتقذف من يخالفها إلى صحراء العدم. تأمل في هذا، تر أن حقائق الشريعة التي هي قوانين دقيقة عميقة جارية في فطرة العالم، كم حافظت على موازنة قوانين الفطرة وروابط الاجتماعيات التي بدقتها لا تترأى لعقول أولئك القوم!!

نعم، إن المحافظة على حقائق الشريعة، في هذه الأعصار المديدة، مع تلك المصادمات العظيمة بل انكشافها أكثر، يدل على أن مسلك الرسول الكريم ﷺ مؤسس على الحق الذي لا يزول.

فإذا عرفت هذه النكت الأربع مع هذه النقطة، فاستمع بذهن متفتح واسع يملك قوة في المحاكمة العقلية ودقة في الملاحظة، إلى ما يأتي:

إن محمداً الهاشمي ﷺ مع أنه أمي لم يقرأ ولم يكتب، ومع عدم قوته الظاهرية، وعدم ميله إلى تحكم وسلطنة.. قد تشبث بقلبه -بوثوق واطمئنان في موقع في غاية الخطر وفي مقام مهم- بأمر عظيم، فغلب على الأفكار، وتحبب إلى الأرواح، وتسلب على الطبائع وقلع من أعماق قلوبهم العادات والأخلاق الوحشية المألوفة الراسخة المستمرة الكثيرة. ثم غرس في موضعها في غاية الإحكام والقوة - كأنها اختلطت بلحمهم ودمهم - أخلاقاً عالية وعادات حسنة.. وقد بدّل قساوة قلوب قوم خامدين في زوايا الوحشة بحسيات رقيقة وأظهر جوهر إنسانيتهم، ثم أخرجهم من زوايا النسيان ورقى بهم إلى أوج المدنية وصيرهم معلمي عالمهم، وأسس لهم دولة عظيمة في زمن قليل. فأصبحت كالشعلة الجواله والنور النوار بل كعصا موسى تبتلع سائر الدول وتمحوها. فأظهر صدقه ونبوته وتمسكه بالحق إلى كل من لم نعم بصيرته.

فإن لم تر صدقه ذاك فسوف يشطب اسمك من سجل الإنسان!

المسلك الرابع

في مسألة صحيفة المستقبل، لاسيما مسألة الشريعة.

لا بد من ملاحظة أربع نكت فيها:

إحداها: أن شخصاً لا يكون متخصصاً، وصاحب ملكة، في أربعة علوم أو خمسة منها، إلا إذا كان خارقاً.

ثانيتهما: أن مسألة واحدة قد تتفاوت بصدورها عن متكلمين، إذ أحدهما لما نظر إلى مبدئها ومنتهاها، ولاحظ ملاءمتها مع السياق والسباق، واستحضر مناسبتها مع أخواتها، ورأى موضعاً مناسباً فأحسن استعمالها فيه، وتحرى أرضاً مُنبَتَةً فزرعها فيها.. مما دلّ كلامه على ماهريته وحذاقته.. أما الآخر فلأنه أهمل هذه النقاط، دلّ كلامه في المسألة على سطحيته وتقليده وجهله، علماً أن الكلام هو الكلام نفسه. فإن لم يميّز عقلك هذا فروحك تحس به.

ثالثتهما: أن كثيراً من الكشوف التي كانت تُعدّ من الخوارق قبل عصرين، لو كانت في هذا العصر لعدّت من الأمور الاعتيادية، وذلك بسبب تكمل المبادئ والوسائط، حتى يلعبُ بها الصبيان كما ذكر في المقدمة الثانية.

استحضر هذا واجعله نُصبَ عينك، ثم ارجع بخيالك إلى ما قبل ثلاثة عشر قرناً وتجرّد من التأثيرات الزمانية والمكانية، وانظر إلى الأمور في جزيرة العرب تر: إنساناً وحيداً لا خبرة سابقة له في أمور الأنظمة والمجتمع، ولم تُعنه أحوال زمانه وبيئته، إلا أنه أسس نظاماً، وأرسى عدالة، تلك هي الشريعة، التي هي كخلاصة جميع قوانين العلوم وكأنها حصيلة تجارب كثيرة، بل لا يبلغ إدراكها الذكاء مهما توسع، تلك الشريعة متوجهة إلى الأزل، معلنة أنها آتية من الكلام الأزلي، ومحققة سعادة الدارين.

فإن أنصفت تجد أن هذا ليس في طوق بشر، في ذلك الزمان، بل خارجٌ عن طوق النوع البشري قاطبة. إلا إذا أفسدت أوهام سيئة بالتغلغل في الماديات طرفَ فطرتك المتوجهة نحو هذه الحقائق.

رابعتهما: كما ذكر في المقدمة العاشرة وكما سيأتي في جواب نقطة الاعتراض كالاتي:

إن الإرشاد إنما يكون نافعاً إذا كان على درجة استعداد أفكار الجمهور الأكثر، والجمهور باعتبار الكثرة الكاثرة منه عوام والعوام لا يقتدرون على رؤية الحقيقة عريانة، ولا يستأنسون بها إلا بلباس خيالهم المألوف. فلهذا صورت الشريعة تلك الحقائق بمتشابهات وتشبيهات فأبهمت وأطلقت في مسائل العلوم الكونية، التي يعتقد الجمهور بالحس الظاهري خلاف الواقع ضرورياً. وذلك لعدم انعقاد المبادي والوسائط.. ولكن مع ذلك أومات إلى الحقيقة بنصب أمارات.

تنبيه: إن الصديق يلمع في كل فعل وكل حال من أفعاله وأحواله ﷺ. إلا أن هذا لا يلزم أن تكون أفعاله وأحواله خارقة، لأن إظهار الخوارق والمعجزات لتصديق المدعى. وإن لم تكن إليه حاجة يكون الانقياد لقوانين عادات الله بالانسياق للنواميس الجارية العامة.

أيها الأخ! إن هذا التنبيه من طائفة مقدمة المسلك الأول، إلا أنه بسبب النسيان ضاع في الطريق فدخل هاهنا.

تفطن لهذه النكت، ونحن ندخل النتيجة:

إن الديانة والشريعة الإسلامية المؤسسة على البرهان ملخصة من علوم وفنون تضمنت العقد الحياتية في جميع العلوم الأساسية، منها: فن تهذيب الروح، وعلم رياضة القلب، وعلم تربية الوجدان، وفن تدبير الجسد، وعلم إدارة المنزل، وفن سياسة المدينة، وعلم أنظمة العالم، وفن الحقوق، وعلم المعاملات، وفن الآداب الاجتماعية، وكذا وكذا...

فالشريعة فسرت وأوضحت في مواقع اللزوم ومظان الاحتياج، وفيما لا يلزم أو لم يستعد له الأذهان أو لم يساعد له الزمان، أجملت بخلاصة ووضعت أساساً، وأحالت الاستنباط منه وتفريعه ونشوئه على مشورة العقول. والحال أنه لا يوجد في شخص كل هذه العلوم، ولا ثلثها بعد ثلاثة عشر عصرًا، في المواقع المتمدنة، ولا في الأذكياء. فمن زين وجدانه بالإنصاف يصدق بأن حقيقة هذه الشريعة خارجة عن طاقة البشر دائماً ولا سيما في ذلك الزمان.

والفضل ما شهدت به الأعداء:

فهذا «كارلايل»(*) فيلسوف العالم الجديد، ينقل عن أحد حكماء الألمان وسياسييه، أنه

قال بعد ما أنعم النظر في حقائق الإسلام: «إن كان الإسلام هكذا فيا ترى أيمن للمدينة الحاضرة أن تعيش ضمن إطار الإسلام؟. فأجاب نفسه: نعم.» بل المحققون الآن يعيشون ضمن تلك الدائرة.

ثم قال كارلايل: «ما كاد يظهر الإسلام حتى احترقت فيه وثنيات العرب وجدليات النصرانية وكل ما لم يكن بحق فإنها حطبٌ ميت أكلته نارُ الإسلام فذهب».

نعم، إنه منذ ثلاثة عشر قرناً حافظ الإسلام على حقائقه رغم التحولات والانقلابات والمصادمات بل كانت تلك مخففةً كاهله عما تساقط من تراب الأوهام والريوب.

نعم، إن الوجود والحال الحاضرة للعالم شاهد على هذا.

ولا بد من أخذ مقدمات المقالة الأولى بنظر الاعتبار.

إن قلت: إن معرفة خلاصة وفذلكة من كل علم ممكن لشخص.

الجواب: نعم، لا.. لأن الخلاصة بحسن الإصابة في موقعها المناسب واستعمالها في أرض منبته، مع أمور ونقاط ذكرت سابقاً، تشف كالزجاجة عن ملكة تامة في ذلك العلم واطلاع تام فيه. فتكون الخلاصة في حكم العلم، ولا يمكن لشخص أمثال هذه.

إن كلاماً واحداً يصدر عن متكلمين اثنين، يدل -لبعض الأمور المذكورة غير المسموعة- على جهل هذا، وحذاقة ذاك.

يا أخا الوجدان! يا من يرافقني بخياله من أول منازل هذا الكتاب! انظر بمنظار واسع ووازن الأمور وكون في خيالك مجلساً رفيعاً لإجراء محاكمات عقلية، واستحضّر ما تنتقيه من المقدمات الاثنتي عشرة، ثم شاور القواعد الآتية:

إن شخصاً لا يتخصص في علوم كثيرة... وإن كلاماً واحداً يتفاوت من شخصين.. وإن العلوم نتيجة تلاحق الأفكار وتتكمّل بمرور الزمن.. وإن البدهي في المستقبل قد يكون نظرياً في الماضي.. وإن معلوم المدني قد يكون مجهول البدوي.. وإن قياس حال الماضي على المستقبل قياس خادع مضل.. وإن بساطة أهل البادية والوبر لا تتحمل حيّل ودسائس أهل المدينة والمدر. نعم، إن الحيّل ربما تتستر تحت حجاب المدنية.. وإن كثيراً من العلوم

إنما يتحصل بتلقين العادات والوقوعات.. وإن نور نظر البشر لا ينفذ في المستقبل ولا يرى الكيفيات المخصوصة به.. وإن لقانون البشر عمراً طبيعياً ينقطع وينتهي كما ينتهي عمره.. وإن للمحيط الزماني والمكاني تأثيراً عظيماً في أحوال النفوس.. وإن كثيراً من الخوارق الماضية قد يكون اعتيادياً الآن بسبب تكمل المبادئ.. وإن الذكاء ولو كان خارقاً لا يكفي في كمال علم، فكيف في علوم عدة!

فيا أيها الأخ! شاور هذه القواعد، ثم جرد نفسك، وانزع عنك لباس الخيالات المحيطة والأوهام الزمانية، ثم غُصْ من ساحل هذا العصر في بحر الزمان، حتى تخرج إلى جزيرة عصر السعادة النبوية..

فأول ما يتجلى لعينك أنك ترى: إنساناً وحيداً لا ناصر له ولا سلطان، يبارز العالم وحده، وقد حمل على كاهله حقيقةً أجلّ من كرة الأرض، وأخذ بيده شريعةً هي كافلةٌ لسعادة الناس كافة. وتلك الشريعة كأنها زبدة جميع العلوم الإلهية وخلاصة الفنون الحقيقية. وتلك الشريعة ذات حياة - لا كاللباس بل كالجلد - تتوسع بنمو استعداد البشر وتثمر سعادة الدارين، وتنظم أحوال نوع البشر كأنهم في مجلس واحد. فإن سألت قوانينها: من أين إلى أين؟ لقلت بلسان إعجازها: نجيء من الكلام الأزلي، ونرافق فكر البشر لضمان سلامته ونتوجه إلى الأبد. وبعد ما نقطع هذه الدنيا الفانية، تبقى معنوياتنا دليلاً وغذاءً روحياً للبشرية، مع أننا نفارقهم صورة.

خاتمة:

إن الشبهات والريوب منبعها ثلاثة أمور وهي:

أنك لو تجاهلت عن مقصد الشارع، وعن كون الإرشاد بنسبة استعداد الأفكار، واعترضت بمغالطة -هي وكر الأوهام السيئة- بأن القرآن الكريم الذي هو أساس الشريعة فيه ثلاث نقاط:

أولها: وجود التشابهات والمشكلات في القرآن، وهذا مناف لإعجازه المؤسس على البلاغة، المبنية على ظهور البيان ووضوح الإفادة.

ثانيتهما: الإطلاق والإيهام في العلوم الكونية، مع أنه منافٍ لمسلك التعليم والإرشاد الذي هو المقصود الحقيقي للشريعة.

ثالثتها: إن قسماً من ظواهر القرآن أميل إلى خلاف الدليل العقلي، فيحتمل خلاف الواقع، وهو مخالف لطريق القرآن الذي هو التحقيق والهداية.

أيها الأخ! أقول وبالله التوفيق:

إن ما تتصورونه سبباً للنقص - في هذه النقاط الثلاث - ليس كذلك، بل هو أصدق شاهد على إعجاز القرآن.

أما الجواب عن الريب الأول: وقد رأيت هذا الجواب - ضمناً - مرتين:

اعلم أن الجمهور الأكثر هم عوام، والأقل تابع للأكثر في نظر الشارع، لأن الخطاب المتوجه نحو العوام يستفيد منه الخواص ويأخذون حصتهم منه، ولو عكس ل بقي العوام محرومين. وأن جمهور العوام لا يجردون أذهانهم عن المألوفات والتخيلات، فلا يقتدرون على درك الحقائق المجردة والمعقولات الصرفة إلا بمنظار متخيلاتهم وتصويرها بصورة مألوفاتهم. لكن بشرط أن لا يبقى نظرهم على الصورة نفسها حتى يلزم المحال، كالجسمية أو الجهة بل يمر نظرهم إلى الحقائق.

مثلاً: إن الجمهور إنما يتصورون حقيقة التصرف الإلهي في الكائنات بصورة تصرف السلطان الذي استوى على سرير السلطنة، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (طه: ٥)، وإذ كانت حسيات الجمهور في هذا المركز، فالذي يقتضيه منهج البلاغة ويستلزمه طريق الإرشاد، رعاية أفهامهم واحترام حسياتهم ومماشاة عقولهم ومراعاة أفكارهم. فهذه المنازل التي يُراعى فيها عقول البشر ويُحترم تسمى بـ«التنزيلات الإلهية» فهذا التنزل لتأنيس أذهانهم. راجع المقدمة العاشرة.

فلهذا وضع صور التشابهات التي تراعي الجمهور المقيدون بأحاسيسهم ومتخيلاتهم منظاراً على نظرهم لرؤية الحقائق المجردة. ولهذا فقد أكثر الناس في كلامهم من الاستعارات لتصوّر المعاني العميقة أو لتصوير المعاني المتفرقة، في صورة سهلة بسيطة، بمعنى

أن هذه التشابهات من أكثر أقسام الاستعارات غموضاً، إذ إنها صورٌ مثالية لأخفى الحقائق الغامضة، بمعنى أن الإشكال إنما هو من دقة المعنى وعمقه لا من إغلاق اللفظ وتعقيده.

فيا أيها المرتاب! انظر بإنصاف! ألا يكون من عين البلاغة -التي هي مطابقة مقتضى الحال- تقريبٌ مثل هذه الحقائق العميقة البعيدة عن أفكار الناس ولا سيما العوام، تقريبها إلى أفهام العوام بطريق سهل واضح.. أهذا يطابق المعنى بوضوح تام أم الوهم الذي في ذهنك؟ كن أنت الحاكم في هذا.

أما الجواب عن الريب الثاني وقد مرّ تفصيله في المقدمة الثانية،

فاعلم أن في شجرة العالم ميل الاستكمال، وتشعب منه في الإنسان ميل الترقى، وقد تشكلت العلوم -التي هي كدرجات سلم الترقى- من ثمرات ميل الترقى بالتجارب الكثيرة وتلاحق الأفكار. هذه العلوم مترتبة ومتعاونة ومتسلسلة، بحيث لا ينعقد المتأخر إلا بعد تشكّل المتقدم، ولا يكون المتقدم مقدماً للمؤخر إلا بعد صيرورته كالعلوم المتعارفة.

فبناء على هذا السر: فإن العلم الذي تولّد وظهر في هذا الزمان نتيجة تجارب كثيرة لو كان قبل عشرة عصور وحاول أحد أن يفهمه للناس لشوّش عليهم وأوقعهم في السفسطة والمغلطة.

فمثلاً: لو قيل «انظروا إلى سكون الشمس وحركة الأرض واجتماع مليون حيوان في قطرة، لتتصوروا عظمة الصانع!» ويرى جمهور العوام بسبب الحس الظاهري أو غلط الحس خلاف ما قيل لهم من البديهيّات، إذن لانساقوا إلى التّكذيب أو مغالطة نفوسهم، أو المكابرة تجاه شيء مخصوص، والحال أن تشويش الأذهان لاسيما في مقدار عشرة أعصر مناف لمنهاج الإرشاد.

تنبيه: إن أمثال هذه المسائل لا تُقاس بالنظريات التي تظهر في المستقبل، لأن الحس الظاهري لا يتعلق بالأشياء التي تعود للمستقبل، لذا فاحتمال الجهتين وارد. لأنه ضمن دائرة الممكنات، فيمكن الاعتقاد والاطمئنان بها، فحقها الصريح التصريح بها، ولكن «ما نحن فيه» لما خرج من درجة الإمكان والاحتمال إلى درجة البدهية أي إلى الجهل المركّب، فحقه في نظر البلاغة الذي لا يمكن إنكاره هو: الإبهام والإطلاق، لثلا تشويش الأذهان. ولكن مع ذلك

لا بد من الرمز والإيحاء أو التلويح إلى الحقيقة، وفتح الأبواب للأفكار ودعوتها للدخول كما عملت الشريعة الغراء. فيا هذا أَمِنْ الإنصاف وتحري الحقيقة أن تتوهم ما هو إرشادٌ محض وعينُ البلاغة ولب الهداية أنه مناف للإرشاد ومباين له. وأن تتخيل ما هو عينُ الكمال في البلاغة نقصاً فيها؟!.

فيا هذا أهكذا البلاغة في ذهنك السقيم: تكليف بتغليط الأذهان وتشويش الأفكار، وبها لا تهضمه العقول، لعدم ملاءمة المحيط وإعداد الزمان.. كلا بل [كَلَّمَ الناسَ على قدر عقولهم] ^(١) دستور حكيم. فإن شئت فراجع المقدمات، ولا سيما المقدمة الأولى وتأمل فيها جيداً.

أما الجواب عن الريب الثالث:

وهو إمالة بعض ظواهر الآيات إلى ما ينافي الدلائل العقلية:

فتدبر في المقدمة الأولى، ثم استمع إلى أن المقصد الأصلي للشارع الحكيم من إرشاد الجمهور محصورٌ في إثبات الصانع الواحد والنبوة والحشر والعدالة. لذا فذكرُ الكائنات في القرآن إنما هو تبعية واستطراذ للاستدلال، أي الاستدلال بالنظام البديع في الصنعة -الظاهرة لأفهام الجمهور- على النظام الحقيقي جل جلاله. والحال أن أثر الصنعة ونظامها يترأى في كل شيء. وكيف كان التشكل فلا علينا إذ لا يتعلق بالمقصد الأصلي.

تنبيه: من المقرر أن الدليل ينبغي أن يكون معلوماً قبل المدعى، لذا قد أُميل ظواهرُ بعض النصوص لانضاح الدليل واستئناس الأفكار بالمعتقدات الحسية للجمهور، لا ليدل عليها بل قد نصب القرآن في تلافيف آياته أماراتٍ وقرائنٍ تشير إلى ما في تلك الأصداف من جواهر وإلى ما في تلك الظواهر من حقائق لأهل التحقيق.

نعم، إن الكتاب المبين الذي هو كلام الله إنما يفسر بعضه بعضاً. أي إن بعض الآيات تُبين ما في ضمائر أخواتها. لذا قد تكون بعض الآيات قرينة لأخرى، فالمراد ليس المعنى الظاهري.

فلو قيل في مقام الاستدلال: تفكروا في سكون الشمس مع حركتها الظاهرية، وحركة

(١) الحديث (أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم) العجلوني، كشف الخفاء ١/ ٢٢٥؛ السيوطي، تدريب الراوي ١٦٧/ ٢؛ الزرقاني، مختصر المقاصد ١٦٢.

الأرض اليومية والسنوية مع سكونها الظاهر، وتأملوا في غرائب الجاذبية العمومية بين النجوم، وانظروا إلى عجائب الكهرباء، وإلى غرائب الامتزاجات الكيماوية بين العناصر التي تزيد على السبعين لتعرفوا الصانع الجليل.. لكان الدليل -الذي هو الصنعة- أخفى وأغمض من النتيجة التي هي الصانع. وما هذا إلا مناف لقاعدة الاستدلال، لذا أميلت بعضُ الظواهر وفق الأفكار، لأن هذا من قبيل مستتب التراكيب ونوع من الكنايات، فلا تكون معانيها مدار صدق وكذب.

ألا ترى أن «قال» أله إن كان أصلها واواً أو قافاً لا يؤثر في شيء.

أيها الأخ!

أنصف! ألا تكون هذه النقط الثلاث دلائل واضحة على إعجاز القرآن الذي نزل لجميع الناس في جميع الأعصار. نعم، [والذي علم القرآن المعجز، إن نظر البشير النذير وبصيرته النقادة أدق وأجل وأجلى وأنفذ من أن يلتبس أو يشبه عليه الحقيقة بالخيال، وإن مسلكه الحق أغنى وأعلى وأنزه وأرفع من أن يدلس أو يغالط على الناس].

نعم، أتى للخيال أن يبين نفسه حقيقة تجاه القرآن الذي يتفجر نوراً.

نعم، إن مسلك القرآن هو الحق نفسه، ومذهبه عينُ الصدق، والحق أغنى من أن يدلس أو يغالط الناس.

المسلك الخامس

هذا المسلك يخص الخوارق المعروفة المشهورة والمعجزات الظاهرة.

وكتبُ السيرة والتاريخ مشحونة بها. وقد أوفى العلماء الكرام حقّه من التدوين والتفسير فجزاهم الله خيراً، وقد أحلنا التفصيل على كتبهم لأن تعليم المعلوم عمل ضائع.

إن الخوارق الظاهرة وإن كان كل فرد منها غير متواتر، ولكن جنسها، وكثيراً من أنواعها متواتر بالمعنى.

ثم إن هذه الخوارق على أنواع عدة:

منها: الإرهاصات المتنوعة وكأن ذلك العصر الذي وُلد فيه ﷺ استفاد واستفاض منه فصار حساساً ذا كرامة فبشّر بالإرهاصات، بقدوم فخر العالم بحس قبل الوقوع.

ومنها: الإخبارات الغيبية الكثيرة حتى لكان روحه المجرّد الطيّار ﷺ مرّق قيّد الزمان المعين والمكان المشخّص فجال في جوانب الماضي والمستقبل، فقال لنا ما شاهدته في كل ناحية منها وبينه لنا.

ومنها: الخوارق الحسية التي أظهرها وقت التحدي والدعوى وقد بلغ هذا النوع إلى ما يقرب الألف. بمعنى أن مجموع هذا النوع متواتر بالمعنى وإن كان أفراده آحاداً.

ومنها: نبعان الماء من أصابعه المباركة، وكأنه يصوّر تصويراً حسيّاً فوراً زلال الهداية الباعث للأرواح من لسانه الذي هو منبع الهداية بنبعان الماء الباعث على الحياة من يده المباركة التي هي معدن السخاء.

ومنها: تكلم الشجر والحجر والحيوان، وكأن الحياة المعنوية في هدايته ﷺ قد سرت إلى الجمادات والحيوانات فأنطقتها.

ومنها: انشقاق القمر، وكأن القمر الذي يمثل قلب السماء قد انشق اشتيقاً إليه بإشارة من إصبعه المبارك علّه يجد علاقة مع قلبه الشريف ﷺ.

إن انشقاق القمر ثابت بنص الآية الكريمة، وهو متواتر بالمعنى حتى إن ﴿وَأَنشَقَّ الْقَمَرَ﴾ (القمر: ١) هذه الآية الكريمة لم يتصرف في معناها من أنكر القرآن أيضاً، ولم يؤوّل ويحوّل معناها إلّا لاحتمال ضعيف.

إن اختلاف المطالع ووجود السحاب وعدم التردد للسماء كما في هذا الزمان، ولكون الانشقاق في وقت الغفلة، ولحدوثه في الليل ولكونه آتياً، لا يلزم أن يراه كل الناس أو أكثرهم.

ثم إنه قد ثبت في الروايات أنه قد رآه كثيرٌ من القوافل الذين كان مطلعهم ذلك المطلع.

ثم إن أعظم هذه المعجزات وأكبرها وأولها هو القرآن الكريم المبرهن إعجازه بجهات سبع، أُشير إليها سابقاً... وهكذا. وأحيل سائر المعجزات إلى الكتب المعتمدة.

خاتمة:

أيها الأفاضل المطالعون لكلامي، أرجو أن تتأملوا في مجموع كلامي، أي المسالك الخمسة، بفكر واسع ونظر حاد وبصيرة ذات موازنة وتجعلوه ضمن سُور محيط به. واجعلوا نبوة محمد ﷺ في مركزها ثم انظروا إليها كالعساكر المتنوعة المصطفة حول السلطان، وذلك لكي يتمكن سائر الجوانب من رفع الأوهام المهاجمة من الأطراف.

وهكذا فجواباً عن سؤال اليابانيين: ما الدليل الواضح على وجود الإله الذي تدعوننا إليه؟

أقول: إنه محمد ﷺ.

إشارة وإرشاد وتنبية: لما توجه نوعُ البشر نحو المستقبل سأل فنُّ الحكمة المرسل من قبل الكائنات، ومن جانب حكومة الخلقة مستنطقاً: يا بني آدم! من أين؟ وإلى أين؟ ما تصنعون؟ مَنْ سلطانكم؟ من أين مبدؤكم وإلى أين المصير؟. فبينما المحاور، إذ قام سيد نوع البشر محمد ﷺ وخطيبهم ومرشدهم: أيها السائل نحن معاشر الموجودات أتينا بأمر السلطان الأزلي، مأمورين ضمن دائرة القدرة الإلهية، وقد ألبسنا واجبُ الوجود المتصف بجميع صفات الكمال، وهو الحاكم الأزلي، حلّة الوجود هذه، ومنحنا استعداداً هو رأس مال السعادة.. ونحن معاشر البشر ننشغل الآن بتهيئة أسباب تلك السعادة الأبدية.. ونحن على جناح السفر، من طريق الحشر إلى السعادة الأبدية. فيا أيها الحكمة اشهدي وقولي مثلما ترين، ولا تخلطي الأمور بالسفسطة.

المقصد الثالث

وهو الحشر الجسماني

نعم، إن الخلق بدونه عبث، بل لا يكون. فالحشر حقّ وصدق، وأوضح براهينه محمد ﷺ.

المقدمة

لقد أوضح القرآن الكريم الحشرَ الجسماني إيضاحاً جلياً لم يدع مجالاً لدخول أية شبهة كانت. ونحن هنا نشير إلى قسم من مقاصده ومواقفه، معتمدين على براهين القرآن للقيام بشيء من تفسير جزئي للحشر الجسماني.

المقصد الأول

إن في الكائنات نظاماً أكمل.. وإن في الخلقة حكمةً تامة.. وإن لا عبثية في العالم.. ولا إسراف في الفطرة.. والاستقراء التام الثابت بجميع العلوم.. والقيامة النوعية المكررة في كثير من الأنواع كالיום والسنة.. وجوهر استعداد البشر.. وعدم تناهي آمال الإنسان.. ورحمة الرحمن الرحيم.. ولسانُ الرسول الصادق الأمين ﷺ.. وبيان القرآن المعجز.. كل ذلك شهودٌ صدق وبراهينٌ حقٌ وحقيقةٌ على الحشر الجسماني.

موقف وإشارة:

١- لو لم تنجز الكائنات إلى السعادة الأبدية لصار ذلك النظام صورةً زائفةً خادعةً واهيةً، ولذهب جميعُ المعنويات والروابط والنسب في النظام هباءً منثوراً. بمعنى أن الذي جعله نظاماً هو السعادة الأبدية.

٢- إن الحكمة الإلهية التي هي مثال العناية الأزلية تعلن السعادة الأبدية، لأنها مجهزة برعاية المصالح والحكم في الكائنات، لأنه لو لم تكن السعادة الأبدية للزم إنكار هذه الحكم والفوائد التي أجبرتنا البدهة على الإقرار بها.

٣- إن عدم العبثية الثابت بشهادة العقل والحكمة والاستقراء، يشير إلى السعادة الأبدية في الحشر الجسماني، بل يدل عليها، لأن عدم الصرف يحيل كل شيء إلى عبث.

٤- إن عدم الإسراف في الفطرة، الثابت بشهادة علم منافع الأعضاء ولاسيما في العالم الأصغر (الإنسان) يدل على عدم الإسراف في الاستعدادات المعنوية للإنسان وآماله وأفكاره وميوله. وهذا يعني أنه مرشح للسعادة الأبدية.

٥- نعم، لولا السعادة الأبدية لتقلصت كل المعنويات وضمُرت وذهبت هباءً منثوراً. فبالعجب، إن كان الاهتمام والعناية بغلاف جوهر الروح -وهو الجسد- إلى هذه الدرجة، حتى يحافظ عليه من وصول الغبار إليه، فكيف تكون العناية بجوهر الروح نفسه؟ وكيف يُمحي ويُفنى إذن؟ كلا... بل العناية بالجسد إنما هي لأجل تلك الروح.

٦- إن النظام المتقن الثابت بالاستقراء التام الذي أنشأ العلوم كافة -كما ذكر سابقاً- يدل على السعادة الأبدية، إذ الذي ينجي الانتظام من الفساد والإخلال، والذي يجعله متوجهاً إلى العمر الأبدي والتكامل هو السعادة الأبدية ضمن الحشر الجسماني.

٧- كما أن الساعة الاعتيادية التي فيها دوايب مختلفة دوارة متحركة ومحركة للأعمال العادة للشواني والدقائق والساعات والأيام، تخبر كل منها عن التي تليها، كذلك اليوم والسنة وعمر الإنسان ودوران الدنيا شبيهة بتلك الساعة كل منها مقدمة للأخرى. فمجيء الصبح بعد كل ليلة، والربيع بعد كل شتاء يخبر عن أن بعد الموت قيامة أيضاً.

نعم، إن شخص الإنسان كنوع غيره، إذ نور الفكر أعطى لآمال البشر وروحه وسعةً وانسباطاً بدرجة لو ابتلع الأزمان كلها لم يشبع، بينما ماهية أفراد سائر الأنواع وقيمتها ونظرها وكما لها ولذائدها وآلامها جزئية وشخصية ومحدودة ومحصورة وآنية، في الوقت الذي ماهية البشر عالية كلية سرمدية... فالقيامات النوعية المكررة الحاصلة في اليوم والليلة ترمز وتشير إلى القيامة الشخصية في الإنسانية بل تشهد لها.

٨- إن تصورات البشر وأفكاره التي لا تنتهي، المتولدة من آماله غير المتناهية، الحاصلة من ميوله غير المضبوطة، الناشئة من قابلياته غير المحدودة، المسترة في استعداداته غير المحصورة، المزروعة في جوهر روحه الذي كرمه الله تعالى، كل منها يشير في ما وراء الحشر الجسماني بإصبع الشهادة إلى السعادة الأبدية وتمد نظرها إليه.

٩- نعم، إن رحمة الرحمن الرحيم والصانع الحكيم تبشر بقدوم السعادة الأبدية، إذ

بها تصير الرحمة رحمة والنعمة نعمة، وتنجيها من كونها نقمة وتخلص الكائنات من نياحات الفراق. لأنه لو لم تجئ السعادة الأبدية وهي روح النعم، لتحول جميع النعم نقماً وللزم المكابرة في إنكار الرحمة الثابتة بشهادة عموم الكائنات بالبداهة وبالضرورة.

فيا أيها الأخ! انظر إلى ألطف آثار الرحمة الإلهية، أعني المحبة والشفقة والعشق، ثم تأمل في الفراق الأبدي والهجران اللأيزالي. كيف تتحول تلك المحبة إلى مصيبة كبرى؟! أي إن الهجران الأبدي لا يعادل المحبة ولا يوازئها. فالسعادة الأبدية ستصفع ذلك الفراق الأبدي وتلقيه إلى العدم والفناء.

١٠- لسان الرسول الكريم ﷺ الثابت نبوته المبرهن عليها بالمسالك الخمسة السابقة، هذا اللسان المبارك مفتاح السعادة الأبدية المكنوزة في الحشر الجسماني.

١١- نعم، إن القرآن الكريم الذي أثبت إعجازه بسبعة وجوه خلال ثلاثة عشر عصاراً كشف للحشر الجسماني ومفتاحه.

المقصد الثاني

سوف يُفسر آيتين تبينان الحشر وتشيران إليه.

نخو: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يقول الأستاذ بدیع الزمان سعيد النورسي المؤلف، في مستهل الشعاع التاسع من كليات رسائل النور التي ألفها بعد ثلاثين سنة:

«إنه لعناية ربانية لطيفة أن كتَبَ «سعيد القديم» قبل ثلاثين سنة في ختام مؤلفه «محاكمات» الذي كتبه مقدمة لتفسير «إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز» ما يأتي: (المقصد الثاني: سوف يفسر آيتين تبينان الحشر وتشيران إليه). ولكنه ابتداءً بنخو (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) وتوقف ولم تتح له الكتابة. فألف شكر وشكر للخالق الكريم وبعدد دلائل الحشر وأماراته أن وفقني لبيان ذلك التفسير بعد ثلاثين سنة».

وَلَا حِجَابَ

على سلم المنطق

حاشية الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي
على متن «السلم المنورق للشيخ عبدالرحمن الأخضرى»

تأليف
بديع الزمان سعيد النورسي

مع شرح أخيه عبد المجيد النورسي

إيضاح

على كل حال فقد كتبتُ هذا الأثر.. لأجل تعويد الأذهان على الدقة في الملاحظة والإينعام في النظر.

وحيث إنه قد أُلّف.. فليُنشر.. وليلاحظ في الأقل المباحثُ المبدوءة بـ«اعلم».

سعيد

ملاحظة:

قام السيد الفاضل محمد زاهد الملازكردي بتصحيح هذه الرسالة وطبعها لأول مرة في مطبعة بركات بدمشق وذلك في محرم الحرام سنة ١٣٨٧ هـ. فضلاً عن قيامه بترجمة ونشر عدد من مجموعات رسائل النور. فجزاه الله خيراً كثيراً.

وقد أعدتُ النظر في هذه الطبعة من الرسالة وقابلتها مع طبعتها الأولى من غير شرح، ولم أغيرَ منها سوى ما يستوجه التنسيق والتنظيم، فوضعت حاشية الأستاذ النورسي في أعلى الصفحة عقب متن الناظم وجعلت شرح أخيه الملا عبدالمجيد في أسفل الصفحة.

وأملّي في الله عظيم أن يقيّض من علمائنا المتبحرين في علم المنطق من يقدر هذه الرسالة والتي تليها (تعليقات) حق قدرهما ويستجلي ما غمض فيهما من نفائس علم المنطق لتكونا رسالتين يستفيد منهما الخواص والعوام معاً غير قاصرتين على الخواص من العلماء.

واسم الرسالة «قزل إيجاز» قد يثير القارئ الكريم فهو اسم مركب من التركية والعربية أو على الأقل الكلمة تركي التركيب. فكلمة «قَزَل» تعني بالعربية: العرج الشديد، (أسوأ العرج وأشده) أي: إن اسم الرسالة يعني: الإيجاز الشديد العرج.

أما إذا اعتبرنا اسم الرسالة اسماً تركياً فهو يعني: الإيجاز المتقد، الإيجاز الأحمر إلى حدّ الجمرة.

إحسان قاسم الصالحي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«مقدمة الملا عبدالمجيد النورسي»

أشكر على حمدي لواحد أحد ليس له ثان. كما أثني موحداً لمن له كل يوم شأن، وأصلي
كما أسلم على مَنْ لَمَّا كان في ذاته محموداً كان اسمه محمداً، وعلى آله وصحبه من بعد.
وبعد: فاعلم أني بعدما نجوت من بين تلاطم أمواج البليات من مخالب سباع المصيبات،
ساقني القدر على رأس ألفين إلا خمسين سنة إلى ولاية مولانا جلال الدين الرومي وسكنت
في جواره بعيداً عن الأستاذ؛ لا هو يراني ولا أنا أراه إلا في غفلات النوم والرقاد، إلى أن قضى
الأستاذ نجه وارتحل إلى دار السعادة شهيداً، وبقيت أنا في الحسرات غربياً ووحيداً.
فأدى بي الوحشة إلى الوحدة وترك التماس بالناس، وترجيح التوحش على الاستئناس.
ولم أجد لأزبل به كربتي ويكون تسليّة في وحدتي شيئاً إلا الاشتغال بتحشية «فزل إيجاز»
وشرح ما فيه من الألغاز، رجاء أن يشغل به البال عما فيه من شدة الحال.
فبعدهما أردت أن أكسر صخور ألفاظه بفأس فكري، أبى وامتنع ذلك الفكر الكليل عن
أمري؛ فصرت كلما أضربها بذلك الفأس نبا ذلك الفأس من الصخرة إلى الرأس. فبقيت حائراً
ذا يأس في يأس. فأغلظت على الفكر شدة الأمر، وأجبرته بعد الفر إلى الكر. مشوقاً له قائلاً
«ها بآبَاَم هَا» فاستحيى عن غلظة الأمر. فاجتهد كل يوم من الصبح إلى العصر، إلى أن صار
مظهراً للتحسين والتقدير، بعدما كان معروضاً للتحقير والتكدير.
فشكرت سعيه وقبلت عذره. لكن لكهولته عَجَزَ عن قلع بعض الصخور، مع أن
بعض ما فصل وحصل ما كان بريئاً من الخطأ والقصور.
فأحلت فض ما بقي باكرة من مواضع عديدة وإصلاح ما وقع من الخطأ والغلط إلى
ذوي الأذهان الثاقبة من شبان الاستقبال.

عبدالمجيد

بلدة «قونية»

١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

بسم [١] الله [٢] الرحمن [٣] الرحيم

[١] الباء للمصاحبة لا للاستعانة، لأن الكسب تابع للخلق، والمصدر شرط للحصول

بالمصدر.^(١)

[٢] مستجمع لجميع الصفات الكمالية. للزوم البين.^(٢)

[٣] هذا مقام التنبيه لا الامتنان، فتكون صنعة التدلي في التعديد امتناناً صنعة الترقى

تنبيهاً.^(٣)

الحمد [١] لله الذي [٢] قد أخرجنا [٣] نتائج الفكر [٤] لأرباب الحجا

وحط [٥] عنهم من سماء العقل كل حجاب من سحاب الجهل

[١] كتصور العلة الغائية.^(٤)

(١) (الباء للمصاحبة لا للاستعانة) إذ يلزم حيثئذ أن يكون العبد أصيلاً في الفعل، والخالق مُعيناً وتابعاً له في الفعل، والحال أن العبد ليس إلا مصدراً للكسب. والحاصل بالمصدر أي المكسوب ليس إلا بخلق الخالق. فالكسب - أي كسب العبد - ليس إلا مقارناً ومصاحباً وشرطاً في حصول ذلك الفعل، بخلق الخالق. فالعبد تابع، أي وكسبه شرط لا أصل. كما هو رأي أهل الاعتزال من كون العبد خالقاً في فعله. فالمناسب في باء البسملة المصاحبة، إذ ليس فيها ما في الاستعانة من ذلك الإيهام، لأنها تدل بإدتها وجوهرها على أن المستعين أصيل، والمستعان منه تابع، بخلاف لفظة المصاحبة، إذ ليس فيها تلك الدلالة فلا احتمال لذلك الإيهام.

قد ظهر من هذا أن انتشار كون الباء للاستعانة في تأليف بعض أهل السنة إنما ترشح عن الغفلة من هذا المذهب، أي الاعتزال.

(٢) (للزوم البين) أي البين بالمعنى الأخص بين الذات والصفات. وهو الانتقال بمجرد تصور المزوم إلى اللازم. ومنه إلى الزوم بينهما. فللفظة الجلال دالة على الذات بالمطابقة وعلى الصفات بالالتزام فمن ذكر لفظ الجلال كان ذاكرة لجميع صفات الكمال.

(٣) (هذا مقام التنبيه) حاصله: أن الرحمن إشارة إلى عظام النعم، والرحيم إلى صغارها. فالانتقال من الأعظم إلى الأصغر ليس بمناسب، لأنه من صنعة التدلي. وهي ليست مقبولة إلا في مقام تعديد النعم للامتنان. والمقام هنا ليس لتعديدها للامتنان. فأشار بتقديم الرحمن إلى أن هذا المقام مقام التنبيه، لدفع غفلة السامع عن النعم الصغار.

فالتدلي هنا يُعَدُّ من الترقى. على أن الغفلة عن النعم الصغار أقوى احتمالاً فلا إشكال.

(٤) (كتصور العلة الغائية) أي إن ذكر الحمد في أوائل التأليفات إشارة إلى أن المقصد والغاية منها الحمد والطاعة لله تعالى.

[٢] وصف ليكون ثوابه أكثر، إذ الواجب أكثر ثواباً.^(١)

[٣] أي ترتب النتيجة على المقدمات عادي، لا استعدادي ولا تولدي.^(٢)

[٤] خص هذه النعمة ليبرغ مستهلّ لبراعة الاستهلال. كأن المعنى إذا مر في خزانة الخيال ما وجد ما يلبس إلا صورة صنّعه.^(٣)

[٥] الأولى قشع للسحاب أو كشف للحجاب وإلا فالإبل ينص تليله نَحَتْ: «حط عنهم».^(٤)

حتى بدت لهم شمس [١] المعرفة رأوا مخدراتها [٢] منكشفة

[١] التشبيه قياس والمقيس عليه حقه الوجود وما لهم إلا شمس. إلا أن الخيال الماضي حقيقة الآن. أو لأن السماء تلد من بطن كل ليلة شمساً.^(٥)

[٢] هذا التلون والاندماج في الأسلوب، يردد الذهن بين أن يتصور الرأس سماء تتلألأ نيراتها في مطالعها وبين أن يتصورها قصراً تتشرف مخدراته من بوجه. إلا أن في جنان الجنان رقيات لشمس العقل وأزاهيرها من نجومه.^(٦)

(١) (وصف) أي بنعمة الإخراج ليكون حامداً على النعمة فيكثر ثوابه، إذ الحمد على النعمة لازم وثواب اللازم أكثر.

(٢) (أي ترتب النتيجة) إشارة إلى أن الأولى ذكر الترتب بدل الإخراج، لأن حصول النتيجة من المقدمات «عادي» كخروج الماء بالحفريات لا «استعدادي» كخروج الثمرة من الشجرة، ولا «تولدي» كالولد من الإنسان. فالمناسب تبديل الإخراج بالترتب.

(٣) (لبراعة الاستهلال) أي ليعلم في أول التأليف نوع ما يُذكر فيه من المسائل.

(٤) هذه مناقشة لفظية بين الأستاذين. حاصلها: أن الخط مستعمل للأبال ولا إبل هنا. فالأولى تبديل الخط بالقشع، نظراً إلى لفظ السماء، أو بالكشف لمناسبته للفظ الحجاب. وإلا فالسامع يتحرى الإبل الناصب عنقه القاعد تحت «حط». ولا إبل هنا فيقع في اليأس.

(٥) (التشبيه قياس) أي تشبيه المسائل بالشمس قياسها عليها، فيلزم من ذلك القياس وجود المقيس عليه وتعددده والحال أنه هنا واحد. فأجاب قائل «إن الخيال الماضي» أي الشمس الآفلة الماضية في الزمان الماضي، المجتمعمة بالتخيل في خزينة الخيال، كالحقيقة الموجودة. أو إن الشمس المستقبلية الموجودة في بطن السماء نظراً إلى أنها تلد كل يوم واحدة والشمس كالموجودة الآن فلا إشكال.

(٦) (هذا التلون والاندماج) أي التفتن في العبارة بتشبيه المسائل تارة بالشمس وأخرى بالمخدرات.. (يردد الذهن) أي مع استحسانه وتقديره إلى أن يتصور الرأس سماء مرة وقصراً مرة أخرى. يتشرف من ذلك النيرات ومن هذا المخدرات مباهيا بها.

نحمده [١] جل على الإنعام بنعمة الإيوان والإسلام

[١] كرهه للإثبات بعد الثبوت، والإنشاء بعد الخبر، والعمل بعد العلم. ولم يتكلم وحده، لأنه وإن كان واحداً ليس وحده. بل معه طوائف أعضائه وقبائل أجزائه وجماعات ذراته وذات الوظائف والحياة. فلتضمن الحمد معنى الشكر العرفي الجامع تَكَلَّمَ مع الغير.^(١)

اعلم

أيها الناظر لا بأس عليك أن تتلقى هذا المبحث مستقلاً برأسه، لا شرحاً لهذه الجملة. فإن المناسبة ضعيفة لأن اليراع اجتذب اللجام من يدي فهرول حيث شاء. (سعيد).

إن الشخص مع أن روحه واحد، جسمه جماعة. بل جماعات من ذوات الحياة، حتى إن كل حجرة من حجراته حيوان برأسه ذات خمس قوى حساسات.

فالشخص كصورة (يس) كُتِبَ فيه سورة (يس) وشدة الحياة وقواها تتزايد بتصاغر الجرم معكوساً. إن شئت وَاَزَنْ بين حواس الإنسان وبين حواس حُويْنَةٍ (أي ميقر وسقوية) تر عجباً. إذ ذلك الحيوان الصغير مع أنه لا يرى إلا بعد تكبير جسمه ألف دفعة يرى رأس إصبعه ويسمع صوت رفيقه، وقس سائر حواسه وقواه. وأين للإنسان أن يرى إصبع ذلك الحيوان أو يسمع صوته. فبنسبة تصاغر المادة تشتد الحياة وتحد وتترق وترق.

فهذا الحال يدل حدسا على أن الأصل الحاكم والمبدأ النافذ والمخلوق الأول هو الروح والحياة والقوة. وما المادة إلا تصلبها أو زبدها.

= (إلا أن في جنان الجنان) يعنى كما أن المسائل شُبِهُت بالشموس والمخدرات الرأسية لزم أيضاً تشبيهها بالأزاهير القلبية. إذ أزاهير القلوب رقيبات لشموس العقول في الفضل والشرف.

فالتشبيه بوحدة دون الأخرى جاعل لذلك الأسلوب غير محبوب لذوي القلوب.

(١) (كرره.. الخ) حاصله: أن الحمد المذكور أولاً لاسمية الجملة هناك، كانت دالة على ثبوت الحمد والإخبار عنه والعلم به فكرره ثانياً بالجملة الفعلية لتدل على الإثبات والإنشاء والعمل، وليكون الناظم الحامد بالذات مَثْبُتاً مَثْبُتاً حامداً، أي متكليماً ومصدراً للحمد بالفعل.

(لأنه واحد ليس وحده) أي لأنه وإن كان منفرداً في حد ذاته، لكنه ليس منفرداً في فعل الحمد، بل معه طوائف كثيرة من أعضائه وأجزائه وذراته.

(تكلم مع الغير) إشارة إلى أن الحمد هنا متضمن وعبارة عن الشكر العرفي الذي هو عبارة عن صرف العبد جميع ما أنعم الله عليه إلى ما خلق له.

فكما يَستخدِم رُوحٌ واحد جماعاتٍ من الماديات الحيوانية، جاز أن يستخدِم رُوحٌ آخر أصغر الماديات. وإليه يستند فقط. فكما أن نواة في عالم التراب شيء صغير مع أنها في عالم الهواء نحلة عظيمة، كذلك تلك المادة الصغيرة ذات الحياة في عالم الشهادة تكون متسبلة في عالم المثال والمعنى، بسبب استناد الروح إليها.^(١)

مَن خصنا [١] بخير من قد أرسلنا [٢] وخير [٣] من خاض المقامات العلا

[١] لأن المضاف إلى المعرفة معرفة بجهةٍ والمنسوب إلى الشريف يتشرف.^(٢)

[٢] أي خير الخلق؛ لأنه خيار من خيار ست مرات.^(٣)

[٣] أي لأنه على خلق عظيم. عطف الدليل على المدلول.

محمد [١] سيد كل [٢] مقتفى العربي [٣] الهاشمي [٤] المصطفى [٥]

صلى [٦] عليه الله مادام الحجا يخوض في [٧] بحر المعاني لججا

[١] أي اسما ومسمى. الثاني سبب للأول، لكن بالأول.^(٤)

[٢] لأن كتابه جمع الجوامع لأنه متأخر. لأنه متقدم.^(٥)

[٣] وفي أبنائه الصدقُ والذكاءُ.

(١) أيها الناظر لا تقل لِمَ هذا التطويل الغير المناسب للمقام، فإن القلم قد يطغى فليكن مسألةً مِن (قزل إطناب) مسافرة في (قزل إيجاز) (س)

(٢) (لأن المضاف إلى المعرفة) أي لأننا قد حُصّنا بالإضافة والانتساب إلى خير الرسل ذي الشهرة والمعرفة. والتخصيصُ بالإضافة إلى المعرفة وإن لم يكن معرّفاً للنكرة حقيقة، لكن يقربها إلى المعرفة ويشرفها بها. نعم، لتلك الإضافة والانتساب صرنا خير أمة أخرجت للناس. والمنسوب إلى الشريف شريف.

(٣) (ست مرات) أي إن الله تعالى اختار من المخلوقات ذوي الحياة، ومنهم بني آدم، ومنهم أولاد إسماعيل، ومنهم قريشاً، ومنهم بني هاشم، ومنهم محمداً عليه الصلاة والسلام هذا مآل حديث «مازلت خياراً من خيار».

(٤) (أي اسماً ومسمى الثاني سبب الأول لكن بالأول) أي في ذاته خلق محمداً، وسمّى به ليطابق الاسم المسمى. فالذاتي سبب للاسمي لكن بالأول. وهو مصدر كالقول من آل يؤول. بمعنى الرجوع. أي كونه كثير الحمد في الخلقة. سيرجع ويصير سبباً لكونه كثير الحمد من بعد.

(٥) (لأن كتابه جمع الجوامع) أي لأن القرآن لكونه نَزَلَ متأخراً من الكتب السابوية جامعٌ لجميع ما فيها ولكونه متقدماً عليها في الفضل والشرف تأخر عنها، لأن السلطان يمشي خلف الجنود.

[٤] وفي بيته الشهامة والسماحة والمنسوب منسوب إليه.^(١)

[٥] كـ «قَفَا» و «أَرْجَعُونَ» مكرراً، مع انفراده بحذف لفظ «من». فهو مشتق من خمسة أفعال وهي «اصطفى».^(٢)

[٦] صورة الماضي دلت على كمال الوثوق والشوق والحمل على المسؤول بلطف لأن رد الخبر أشد من رد الإنشاء.^(٣)

[٧] تبطن «في» «من» للدخول والخروج^(٤)

وآله وصحبه [١] ذوي الهدى [٢] من شبهوا [٣] بأنجم [٤] في الاهتدا [٥]

[١] اسم جمع صحابي. وتذكرهم بالصلاة حق علينا. لأنهم الوسائط بيننا وبينه ﷺ.^(٥)

[٢] أي اكتسبوا الهدى كالمال، الحاصل بالمصدر المكسوب لهم. فإن الهدى هو الذي يحتذى عليه لا المصدر، لأنه كسب.^(٦)

[٣] أي بلسان من «أفصح من نطق بالضاد» بأنهم مكملون ومكملون.

[٤] أي العشر السيارة فإن نورها مستفاد من الشمس.^(٧)

(١) (المنسوب منسوب إليه) أي الأمر بالعكس معنى لأن محمداً عليه الصلاة والسلام كما أنه منسوب إليه لكافة الخلق، منسوب إليه لهاشم أيضاً.

(٢) (كففا وارجعوني) يعني كما أن التنية والجمع في هذين اللفظين راجعان إلى الفعل، لا إلى الفاعل. إذ المراد منهما قف قف. ارجع ارجع ارجع. كذلك إن الأفراد في (المصطفى) عائد إلى نائب الفاعل وليس راجعاً إلى الوصف لأنه في التنية مكرر مجموع قد اشتق من (اصطفى) خمس مرات على ما أشار إليه حديث الاصطفاء.

(٣) (صورة الماضي) يعني أن الطلب والسؤال بلفظ الماضي يجبر المسؤول على أن لا يكذب السائل ويحملة على أن يوفي بالمسؤول عنه بحيلة، لأن الماضي إخبار ورد الإخبار قبيح.

(٤) تبطن «في» «من» أي كما يدل على ذلك التبطن مادة الخوض، لأنه بالدخول، وهو يقتضي الخروج. من. مفعول تبطن.

(٥) (اسم جمع صحابي) وهو منسوب إلى صحاب، وهو مصدر كالذهاب. وليس الصحب بجمع لأن «فَعَلَ» ليس من أوزان الجموع. هو اسم لكل من رأى النبي أو النبي رآه ومات على الإيثار.

(٦) (أي اكتسبوا الهدى) مفعول الحاصل صفة له، المكسوب صفة للمصدر. يعني: المراد من الهدى هنا الحاصل بالمصدر، لا المعنى المصدري الذي هو الكسب.

(٧) (هي العشرة السيارة) وهي العطاردة والزهرة والمريخ والمشتري والزحل والنبتون والأورانس والأرض والقمر و..

[٥] نتيجة التشبيه لا وجه الشبه لأنه لا بد أن يكون أظهر أوصاف المشبه به، والأظهر

في الحديث النورانية وما يقار بها.^(١)

وبعد [١] فالمنطق [٢] للجَنان نسبه كالنحو للسان

[١] اعلم أنه تأكيد وتشويق مبني على حب النفس المستلزم لحب صنعتها المقتضي لفنائها فيها، المؤدي إلى ظن انحصار الكمالات فيها. لزومية أو ادعائية؛ هكذا: أي شيء وُجد لزم بقائه لعدم العبثية، وبقاؤه مستلزم للخلقة لأنه جزؤها، والخلقة مستلزمة لنتيجتها وهي الإنسان. ووجود الإنسان بسر الحكمة مستلزم لنتيجته، وهي كماله ومعرفة الصانع، والوصول إلى الكمال مستلزم لإصابة العقل وسداده، وسداده مستلزم للمنطق المتصف بما ذكر. فمهما وجد شيء فالمنطق كذا.^(٢)

[٢] اعلم كما أن النحو شريعة الموجودات الطيارة اللسانية. الذين آدمهم الهابط من ذروة الخيال المسمى باللفظ موجود في فضاء اللسان، كذلك أن المنطق شريعة الموجودات الذهنية الساكنة في الجَنان، أي اللطيفة الربانية، الذين آدمهم النازل من أعلى الدماغ المسمى بالمعنى موجود في الجنان. إن الآدم للآدم نسيب والشرع للشرع قريب. لأنهما كليهما وَضَعُ إلهي سائق لذوى العقول من في الجَنان واللسان إلى الصراط المستقيم.^(٣)

(١) (نتيجة التشبيه لا وجه الشبه) يعني أن وجه الشبه النورانية على ما هو المتبادر من حديث «بأيهم اقتديتم اهتديتم».

(٢) (لزومية أو ادعائية) خبر مبتدأ محذوف أي هذه شرطية لزومية الخ.

(وبقاؤه لازم للخلقة) أي البقاء جزء للخلقة لأن الوجود كما أنه مستلزم لها ولولاها لم يوجد الوجود، كذلك البقاء مستلزم للخلقة ولولاها لم يكن البقاء. وأيضاً البقاء تكرر الوجود ودوامه. فالوجود والبقاء كلاهما مستلزمان للخلقة، وجزآن لها. فالخلقة عبارة عن الإيجاد والإبقاء معاً. فالإبقاء جزء لها كالوجود. (والخلقة مستلزمة لنتيجتها وهي الإنسان) نعم «لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك» يدل على أن الغاية من الخلقة ونتيجتها الحياة، وذوو الحياة وأشرفهم الإنسان، فهو نتيجة الخلقة.

(بما يذكر) أي في هذا الكتاب من القواعد.

(فمهما وجد فالمنطق كذا) هذه نتيجة لما أشار إليه الأستاذ من القياسات الكثيرة المطوية الغير المتعارفة. (كما أن النحو الخ) حاصله: أن النحو والمنطق باحثان عن اللفظ والمعنى. أما اللفظ: فهو «آدم»، أي كالأب للمسائل النحوية، محله الخيال ومقر فعاليته اللسان.. وأما المعنى فهو «حواء» أي كالأُم للمسائل المنطقية مسكنه القلب. كل منهما خادم لتشريع القواعد لتمييز الصحيح عن الفاسد. فبينهما مكافأة تامة. فإذا وصلا إلى حد البلوغ يصعد المعنى من القلب إلى الخيال ويتزوج بها في خزينة الخيال من الألفاظ ما يشاء،

فيعصم [١] الأفكار [٢] عن غي الخطأ وعن دقيق الفهم يكشف الغطا

فهاك [٣] من أصوله قواعدا تجمع من فنونه فوائد

[١] أي إن راعى، وما دام لم تستخلف الطبيعة الصنعة. يشير إلى العلة الغائية ورسمة، وإلى جهة الحاجة وآليته.^(١)

[٢] الفكر هو الكشف لترتب العلل المتسلسلة في الحلقة للتقليد، فيحلل فيعلم، فيركب فيصنع. أي بتخريج السلسلة المتناجحة وتلقيحها.^(٢)

[٣] (فهاك) جزاء لما دلت عليه الفاء الجزائية. الجزاء هو الوجوب اللازم للأمر عرفاً بإقامة الملزوم مقام اللازم. وإلا فالأمر إنشاء لا يلزم.^(٣)

= ثم ينحدران إلى اللسان فيتولد ويتناسل من اجتماعهما القواعد، وتصير تلك القواعد شريعة مبيّنة للحلال والحرام والصحيح والفاقد.

فتبين أن الإنسان ما هو إلا القلب واللسان كما قيل:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم
(أي إن راعى) أي إن بنى صاحب الدليل ترتيبه على ما أمر به المنطق.^(١)

(ولم تستخلف الخ) أي ولم يكن تصنيعه للدليل تابعاً لطبيعته وسليقته في الصحة والاستقامة. أي حاصلها منها بحيث إن لم يكن صاحب الدليل مراعياً للقواعد أيضاً لم ينحرف دليله عن الصحة والاستقامة. وإن كانت سلامة دليله ناشئة عن سليقته لاعتن القواعد لا يعد من المنطقيين.
(٢) (الفكر هو الكشف) حاصله: أن الولد كما أنه نتيجة علل مترتبة في الحلقة كالجذ والأب ولا بد لوجوده من تلك العلل، كذلك المعرف نتيجة علل مترتبة كالجنس البعيد والقريب والفصل لا بد لمعرفته من وجود هذه العلل وترتيبها.

فالفكر مقلد الحلقة يحلل سلاسل العلل ويأخذ منها ما يناسب مطلوبه فيركب ويصنع ما يصنع.

(أي بتخريج السلسلة) أي بتحصيل المبادئ المناسبة للمطلوب وإدخال بعضها في بعض. كإدخال الحد الأصغر تحت الحد الأوسط وإدخاله تحت الحد الأكبر.

(٣) (جزاء لما دل) تقديره: إذا كان المنطق عاصماً فهاك، أي خذ من قواعده الخ...

(الجزاء هو الوجوب عرفاً) إشارة إلى ما يرد ما يردّه وجّه الورود أن «هاك» أمر، والأمر ليس بخبر، والجزاء لا بد أن يكون خبراً حتى يكون يصلح جزاء للشرط. والأمر لكونه إنشاء لا يكون باقياً فكيف يكون لازماً.

وجه الرد أن الأمر مستلزم عرفاً للوجوب. فالأمر ملزوم والوجوب لازم. وقد أقيم الملزوم مقام اللازم. (تقديره إذا كان المنطق عاصماً وجب الأخذ من قواعده) أي لزم لزوماً عرفياً كما يقال بين الناس: ينبغي أن تفعل كذا أو لا ينبغي.

سميته [١] بالسلم [٢] المنورق يرقى به سماء علم [٣] المنطق

[١] أيها الناظم! ليهنك القطوف الجواد الذي لا يثقل الحاذّ في تسميته ترسم تمثيلي.^(١)

[٢] علّم الشخص، لأن المصباح المتمثل في المرايا الكثيرة مع أنه ألف واحد.^(٢)

[٣] المُرسَم بمقوى النطق اللفظي، ومسدد النطق الإدراكي، ومكمل القوة النطقية.

شُعَبَاتِ فَصْلِ الْإِنْسَانِ.^(٣)

والله [١] أرجو أن يكون [٢] خالصاً [٣] لوجهه [٤] الكريم ليس ناقصاً

[١] التقديم يقوى جناح «خالصاً».^(٤)

[٢] لأن الإخلاص لا يكفي في حصول الخالصية، أو لعدم الأمن من دسائس النفس.^(٥)

[٣] إذ لامناص بالنص إلا في المستثنى الثالث في الحديث.^(٦)

[٤] هذا من أساليب التنزيل التنزيلية، المبني على النورانية كالشمس، مثلاً وَجْهَهَا عَيْنُ

ذاتها، كما أن ذاتها عين وجهها.^(٧)

(١) (ليهنك) مضارع هنا محذوف اللام بجزم اللام تبريك وتهنئة لقطوف الناظم. (وفي تسميته ترسم) إذ يستفاد من تسميته بالسلم تشبيهه به. ويستفاد من التشبيه جعل السلم الذي هو آلة للصعود إلى الفوق مثلاً للتأليف. والإيضاح بالأمثلة رسم كما أشير إليه آنفاً. فالمراد من الرسم التعريف مطلقاً لا الرسم الاصطلاحي.

(٢) (علم الشخص) كأنه قيل: إن أمثال هذه الأساء لإطلاقها على كثيرين، كليات ذوات جزئيات. فأشار إلى الجواب، بأن الاسم إذا وضع بأوضاع متعددة لأشخاص لا يقتضي الكلية، لأن كلاً من أوضاعه لواحد لا لكثيرين. نعم، مع أن كون المصباح مرئياً في المرايا الكثيرة لا يخلّ وحدته لأنها صور لا ذوات.

(٣) (المرسَم) صفة العلم. أي هذا العلم يتقوى الإنسان في نطقه اللفظي، ويتسدد في نطقه الإدراكي، ويزداد في قوته العقلية. هذا إشارة إلى أن الناطق الذي هو فصل الإنسان متضمن لهذه النطوق الثلاثة. فالمرسم أي المعرف لا الرسم الاصطلاحي..

(٤) (التقديم يقوى) أي تقديم المفعول يفيد الحصر، وهو يَرُدُّ توجيه الرجاء إلى غيره تعالى فيحصل الخلوص به أيضاً فيتكرر الخلوص فيتقوى.

(٥) (لأن الإخلاص) أي الإخلاص مصدر من العبد، والخالصية أي الحاصل بالمصدر من الله تعالى. ولا لزوم بينهما. فليست الخالصية إلا فضلاً من الله تعالى، فالتقديم للتقوية لازم.

(٦) (إلا في المستثنى الثالث في الحديث) وهو: «هلك الناس إلا العاملون، هلك العاملون إلا العاملون، هلك العاملون إلا المخلصون».

(٧) (هذا) أي التعبير عن الله تعالى بإضافة الوجه إليه.

(من الأساليب الخ) أي من التعبيرات التي استعملها القرآن تنزلاً للتقريب إلى فهم البشر.

فصل في جواز الاشتغال به

والخلف [١] في جواز [٢] الاشتغال به على ثلاثة أقوال

[١] ما أعظم ضرر الإطلاق في مقام التقييد، والتعميم في مقام التخصيص! ومن هذا تتعاضد الاجتهادات المتأخية.^(١)

[٢] سلب الضرورة الاختيارية.^(٢)

فابن الصلاح والنووي [١] حرما وقال قوم [٢] ينبغي [٣] أن يُعلم [٤]

[١] أي لأدائه إلى ترك الواجب، أو لانجراره إلى الفاسد، أو لاختلاطه بالباطل، أو لانحراف المزاج الذي يأخذ من كل شيء سيئه. ولّا فتعصبُ بارد.^(٣)

[٢] عرف في الأول، لأنه نكرة أو معرفة. ونكر في الثاني لأنه معرف أو منكر.^(٤)

[٣] أي يتطلب أي الانبغاء لزوم طبيعي لا عقلي أي فطرته مسخرة للعلم. فكما أن مقتضى الفطرة في أفعال الجامدات يوجه بالضرورة، كذلك مقتضاها في مظان الاختيار يوجه بالضرورة أيضاً، لكن من عالم الأمر.^(٥)

= (كالشمس مثلاً) أي بلا تشبيه. أي إن الشمس كما أنها لكونها نورانية لا يفرق بين ذاتها ووجهها، بل كلاهما واحد.. كذلك وجه الله تعالى عين ذاته وذاته عين وجهه. فمتى أضيف الوجه إليه تعالى يُراد الذات. أي يكون الإضافة من قبيل إضافة المسمى إلى الاسم. فلا إشكال.

(١) (ما أعظم ضرر الإطلاق الخ) يعني أن جواز الاشتغال بالكلام مقيد بقيد الاستعداد، وخاص بدوي القرينة. فلو اعتبر هذا القيد لم يبق الخلاف والشقاق بين ذوي الاجتهادات؛ إذ لا يخفى أن عدم الجواز إنما هو بدون هذا القيد وجوازه معه. فمن عدم اعتبار هذا القيد هنا وقع بين ذوي الاجتهادات بالمخالفة ما وقع من العداوة.

(٢) (سلب الضرورة الخ) أي المراد بالجواز هنا عدم اللزوم العرفي المعبر عنه بالانبغاء بين الناس حينما يقول بعضهم لبعض: ينبغي أن يكون الأمر هكذا وهكذا، أي يلزم.

ولا يخفى أن الضرورة الاختيارية إذا انسلبت بقي الجواز الاختياري العرفي فلا مانع للاشتغال به عرفاً. (٣) إن الأستاذ يشير إلى أسباب التحريم. (أي لأدائه إلى ترك الواجب) أي إن لم يجعل مقدمة لعلم التوحيد (أو لانجراره إلى الفاسد) كجامع الحطب بالليل. (أو لاختلاطه بالباطل) إذ المركب من الصحيح والباطل باطلٌ والاشتغال بالباطل حرام (أو لانحراف المزاج) أي انحراف فكره وذهنه عن صوب الصحة.

(٤) (عرف في الأول) أي القول القائل بالتحريم. حيث ذكره بالكنية والنسبة إلى العلم، (لأنه معرفة) بين الناس.. (أو نكرة) عند السامع فعرفه له.. (ونكر في الثاني) وهو القائل بالجواز.. (لأنه معرف) أي بالبيت الآتي.. (أو منكر) أي لأن السامع لا يعرفهم وليس طالباً لمعرفتهم.

(٥) (أي يتطلب) من باب الانفعال أي طلب العلم طبيعي لا يُطلب بقصد بل يتطلب بنفسه..

[٤] لأنه مقدمة الواجب، ولأنه دليل ترك الشر، وإلا فتعصب الصنعة.^(١)

والقولة المشهورة الصحيحة [١] جوازه [٢] لكامل القريحة [٣]

ممارس [٤] السنة [٥] والكتاب [٦] ليهتدى [٧] به إلى الصواب

[١] لأن تلقى الأمة بالقبول أمانة تجرد الحقيقة.

[٢] أي «مندوب» لأنه مكملٌ.. «مكروه» لأنه قد يشوش.. «مباح» لأن علم الشيء

خير من جهله.. «فرض كفاية» لأنه المجهز.. «حرام» لغير المستعد، للمفهوم المخالف.^(٢)

[٣] والمستعد أيضاً.^(٣)

اعلم أن من محاسن الخلقة والفطرة تقسيم المحاسن، ومنه انقسام المشارب، ومنه تفريق المساعي، ومنه امتثال فروض الكفاية في الخلقة، ومنه تقسيم الأعمال.

نعم، بتركه نزرع أكثر من السلف ونستغل الأقل.

[٤] أي مجهز بالمنطقين المنجيين

[٥] أي السنة الصغرى بجوانبها الأربعة تفسير كبير لسنة الله الكبرى المنبثة في العالم

الأصغر والأكبر.^(٤)

= (إذ فطرته مسخرة للعلم) أي لا تنفك عن العلم. فكما أن مقتضاها في الجامدات يوجه بالضرورة مثل

النار محرقة بالضرورة كذلك في مظان الاختيار يوجه بها مثل الإنسان عالم بالضرورة. أي بحسب الفطرة..

(لكن هذا من عالم الأمر) أي والأول من عالم الخلق إذ الماديات بالخلق وغيرها من عالم الأمر كالروح.

(١) (لأنه مقدمة الواجب) وهو التوحيد ورد الكفريات.. (ولأنه دليل ترك الشر) أي دليل على معرفة الشر،

لأن من لم يشتغل بالكلام لا يفرق بين الأقوال السالمة والباطلة. فلزم الاشتغال به ليعرف الباطل ليتوقى

منه؛ إذ لا يتحفظ ممن ومما لا يعرف. كما قال من قال:

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه

(٢) (أي مندوب) إشارة إلى أنه يجتمع فيه الأحكام الشرعية.

(لأنه المجهز) أي يجهز العقائد الحققة. وتصفيها في كل قطعة من فروض الكفاية.

(للمفهوم المخالف) أي عكس كامل القريحة، بأن لم يكن له قريحة ولا كمالها.

(٣) (والمستعد أيضاً) عطف على كامل القريحة في المتن. أي من له استعداد بالقوة فقط.

(٤) (السنة الصغرى) وهي السنة المحمدية التي جوانبها الأربعة عبارة عن الحديث القدسي والقولي والفعل

والتقريري. وتلك السنة كشافة للسنة الكبرى المنتشرة بين أنواع ذوي الحياة وبين طبقات الكائنات من

القوانين والارتباطات التي لا تبديل لها ولا تحويل.

[٦] أي ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ (البقرة: ٢) الذي هو تمثال سنة الله في الفطرة، التي لا تبدل لها ولا تحوّل. أي المنطق الأعظم للإنسان الأكبر، الذي قوته المفكرة نوع العالم الأصغر وهو الإنسان.

[٧] أي لثلاث يزل الناظر لنفسه، ولا يضل الناظر لغيره. فإن الاستدلال للنفي غالب، دون الإثبات في العقائد.^(١)

فصل في أنواع العلم الحادث

إدراك [١] مفرد [٢] تصوراً [٣] عِلْمٍ ودَرْكُ [٤] نسبة [٥] بتصديق وِسَمٍ

[١] للنفس في الإدراك فعلٌ، يَسْتَتِيعُ إضافةً، تستلزم انفعالاً، يستولد كيفية، تستردف صورة. مع أنها عِلْمٌ معلومٌ أيضاً. والأول صفة. والثاني مطروف للذهن.^(٢)

[٢] أي ولو حكماً بإجمالية النسبة.

[٣] الإطلاق المستفاد من الإطلاق تقييد. أي التصور المطلق لا مطلق التصور.^(٣)

[٤] غَيْرٌ لمغايرة النوعين في التعلق لا في المتعلق فقط؛ فإن الأول كالحل، والثاني كالربط والعقد.^(٤)

- (١) (فإن الاستدلال الخ) حاصله: أن الحق والصواب في المسائل أقل، وغير الصواب أكثر وأغلب. فالاحتياج إلى الدلائل النافية لغير الصواب أكثر وأغلب من المثبتة للصواب.
- (٢) (مع أنها علم معلوم أيضاً) أي الإدراك عبارة عن الصورة الحاصلة في الذهن. فتلك الصورة من حيث ينتقش ويتصف بها الذهن تكون علماً وصفة. ومن حيث حصولها في الذهن تكون مطروفة للذهن ومعلومات لتعلق ذلك الانتقاش به.
- (٣) (أي التصور المطلق لا مطلق التصور) دفع لما يوهمه قول الناظم من عدم المطابقة بين التعريف والمعرف، إذ المتبادر من قوله (تصوراً علم) مطلق التصور أي سواء كان ذلك التصور مع الحكم أو لا. وهذا عام يشمل التصور مع الحكم أيضاً، لأن محل حصوله الذهن. وبهذا الاعتبار يكون المعروف أعم من التعريف. وجه الدفع أن المعروف هنا أعني (تصوراً) لكونه غير مقيد بمقيد بالإطلاق، أي التصور المطلق. وهو خاص لا يشمل التصور مع الحكم. فالعرف يساوي التعريف فلا إشكال.
- (٤) (غير لمغايرة الخ) أي بدل الإدراك بالدرك، لأن التصور والتصديق كما تغايرا في المتعلق لأنه في الأول المفرد وفي الثاني الحكم تغايرا في التعلق أيضاً. لأن التعلق في الأول بطرف القضية وفي الثاني بالنسبة بينهما. ولا يخفى أن وجود النسبة يتوقف على العقد والربط بين الطرفين، والأول يدل على الانفصال بين الطرفين وانحلالهما عن النسبة.

[٥] أي دَرَكٌ أَنَّ النسبة واقعة مفصلة مستردف الإذعان. لا درك نسبة؛ فإنه شرط أو شطر. ولا درك وقوع النسبة؛ فإنه تابع.^(١)

وقدم الأول [١] عند الوضع لأنه [٢] مقدم بالطبع [٣]

[١] وإن كان متأخراً في النهاية، لأنه النتيجة؛ إذ التصديقات معرفة نسب الشيء. ونسب الشيء رسم صورته.^(٢)

[٢] إذ ليس للجعل أن يعزل ما نصبه الخلق. وإن الصنعة تلميذ الطبيعة، نورها مستفاد منها. وإن الاختيار متمم الفطرة مانع المانع ولا ينوب عنها.^(٣)

[٣] أي شرط أو جزء، ولا يجوز تقوم الشيء بالنقيضين، أو اشتراطه بنقيضه؛ لأن التصور ليس جنساً ولا ذاتياً للتصورات، بل عَرَضٌ عام كالمصطلحات لأفرادها.^(٤)

(١) (أي درك أن النسبة واقعة) يعني أن الظاهر من هذا القول: أن الناظم ذاهب إلى مذهب القدماء من أن التصديق عندهم عبارة عن درك النسبة التامة الخيرية أي درك الثبوت بين الطرفين. بناء على أن أجزاء القضية عندهم ثلاثة: الموضوع والمحمول وثبوت الثاني للأول. لكن عند المتأخرين عبارة عن درك وقوع الثبوت بينهما. فالأجزاء عندهم أربعة إن جعل الثبوت المسمى عندهم بـ«النسبة بينَ بين» شرطاً أي جزءاً أو ثلاثة إن جعل شرطاً.

وَصَفَّ الأستاذ ذلك الإدراك بالإذعان في سائر رسائله أي الاطمئنان القلبي إشارة إلى أن القائل «لكلمة التوحيد» من غير إذعان واطمئنان بمفهومها لا يفوز بحقيقة الإيذان.

(٢) حاصله: أن التصديق لكونه يتوقف على تصور أجزاء القضية يكون التصور مقدماً عليه.

وكذا أن التصديق عبارة عن معرفة نسبة الموضوع إلى محمولاته، كنسبة زيد إلى الكاتب والشاعر وغيرهما وتلك النسبة رسم ناقص له وهو يفيد حصول صورته في الذهن، وما هذا إلا تصور. فالتصديق ينجر وينتهي إلى التصور. فالتصور نتيجة للتصديق متأخر عنها.

(٣) (إذ ليس للجعل) حاصله: أن التصور شرط أو جزء للتصديق وهما مقدمان على الكل، والمشروط طبعاً وفطرة. فليس للواضع أن يخالف مقتضى الخلقة باختياره عازلاً للفطرة، لأن الاختيار إنما هو تلميذ يتلو تلو أستاذة ولا ينوب منابه. وإنها وظيفته دفع الموانع لإكمال الخلقة.

(٤) (أي شرط أو جزء) دفع لما يقال: من أن التصور والتصديق ضدان أو نقيضان، فكيف يكون أحدهما جزءاً أو شرطاً للآخر؟

وحاصل الدفع: أن الشرط أو الجزء للتصديق إنما هو التصور الخاص لا التصور الذي هو عرض عام. وإنما يلزم ذلك لو كان ذاتياً للتصورات.

والنظريُّ [١] ما احتاج [٢] للتأمل [٣] وعكسه [٤] هو [٥] الضروريُّ [٦] الجلي

[١] أي منهما، أي الإدراك والدرك بمعنى المدرك، أي ماصدق عليه في زمان ما.^(١)

[٢] أي بالعموم وإلا فالإلهام والتعليم والتصفية من طُرُقِهِ.^(٢)

[٣] أي استكشاف الرتب متحركاً لتحصيل المادة، مستردفاً لتجريد الذهن عن الغفلات، مستتبعاً لتحديق العقل نحو المعقولات، مستصحباً لملاحظة المعلوم لتحصيل المجهول، منتهياً إلى البسائط. ثم متحركاً لتحصيل الصورة، مستصحباً للتفطن، مستلزمًا لترتيب الأمور، مولداً للمُرتَّبَةِ الحاصلة بالمصدر. «هذه الحقيقة مزقها العوام شذراً مذراً».^(٣)

[٤] أي لا منطقاً ولا لغة.^(٤)

[٥] «هو» للجمع و«أل» للمنع أو للبدهة كوالدك العبد^(٥)..

[٦] أي الذهني لا الخارجي مقابل الإمكان^(٦)..

وما به [١] إلى تصور [٢] وصل [٣] يدعى [٤] بقول شارح [٥] فلنبتهل

[١] هذا قول شارح للقول الشارح:

(١) (أي منها) راجع للتصور والتصديق. لا مفسر بما بعده، لأنه غير مذكور.

(بمعنى المدرك) أول باسم المفعول ليصح الحمل. ولشمول التعريف لما يدرك بعد عم الزمان بقوله (في زمان ما).

(٢) (أي بالعموم) أي الدرب الكبير والطريق العام. وإلا فله طرق أخرى كالإلهام والتعليم والتصفية.

(٣) (أي استكشاف الرتب) حاصله أن للذهن لإحضار الدليل حركتين إحدهما أنه يدور في ساحة المعلومات والمعقولات يبحث عما يناسب لإثبات مدعاه، فإذا وَجَدَ تلك المقدمات المناسبة جَمَعَهَا ويختتم حركته الأولى للمادة. ثم يعود ثانياً لتحصيل الصورة، فيضع كلاً من المقدمات في موضعها مراعيًا للشرائط، فتتشكل الصورة أيضاً فيتم الدليل ويصل إلى المطلوب..

(٤) (أي لا منطقاً ولا لغة) أي المراد من العكس هنا المعنى العرفي الذي هو عبارة عن الضدية فقلوه (عكسه) أي ضده لا العكس المنطقي، الذي هو عبارة عن تبديل الطرفين، ولا اللغوي أي الانتقال من جهة إلى جهة مثل الانعكاس.

(٥) (هو للجمع) أي للإشارة إلى جامعية التعريف، لأن (هو) يدل على حصر المعرفة في التعريف (وال للمنع) أي للدلالة على كون التعريف مانعاً عن الأغيار لأنه للعهد الخارجي أو للبدهة كما أن (ال) في (والدك العبد) للبدهة..

(٦) (أي الذهني) أي البديهي لأنه هو الضد للنظري. أما الخارجي فبمعنى الوجوب الذي هو مقابل وضد للإمكان..

إن أدخلت في «ما» القاموس، وقسم من التقسيمات، وأكثر التفسيرات، وكل التمثيلات وجميع الأمثلة لم يمتلئ^(١)...

ما في الباء من السببية علة مُعدَّة حضوراً ومُجَامِعة حصولاً^(٢)..

أي ذاتاً أو صفة أو لازماً موضوعاً أو مفهوماً بنوعيه، أو مدلولاً بأنواعه، أو مراداً، أو ماهية حقيقية أو اعتبارية أو اصطلاحية مفصلاً أو مجملًا تاماً، أو ناقصاً بالعلل أو المعلولات أو بكليهما^(٣)..

[٢] أي متصوراً بوجه، فإن المجهول المطلق كما يمتنع الحكم عليه يمتنع تعريفه...

[٣] مصدره نائب فاعل، ميزانه ومفهومه روح كل محمولاته وجنس عال لها. كما أن المعلوم أب لموضوعاته و«المعلوم موصِّل» أم مسائله^(٤)...

[٤] أي الدعاء. هذا آخر صورة انتهت إليها هذه النسبة مناد على اسمية التعريف لإحضار ذات وقول. أي مركب ولو ذهنًا. لأن البسائط لا تعرف بل تحدد حدسًا^(٥)..

(١) (إن دخلت في ما) يعني أن لـ(ما) بطنا لو أدخل فيه جميع ما ذكر - لكن من قسم التصورات - لم يمتلئ ولم يشبع.

يعني أن كل ما في جوف (ما) مما ذكر تعريفات توصل إلى معرفات..

(٢) (ما في الباء من السببية) يدل على أن التعريف علة لإحضار المعرفة، بحيث لولاه لم يحضر. وبعد الإحضار والحصول، علة مجامعة ومقارنة معه لا تنفك عنه للزوم بينهما.

(٣) (أي ذاتاً أو صفة الخ) إن شئت إيضاح هذه الأقسام مع الأمثلة فراجع قبر الأستاذ رضي الله عنه وأرضاه (وهو في روبة رفيعة من ربي ولاية إسباطة مستور مجهول ممنوع عن الناس!!!).

(٤) (أي مصدره نائب فاعل ميزانه) أي فعل الوصول على أنه من باب التضمن (ومفهومه) هو الوصول: حاصله: أن التعريف كالأب ملحق للمعرف. أي نافخ لروح الوصول في رحم المعرفة. فالتعريف موضوع والمعرف محمول والوصول روح منفوخ منه في رحمه. فكل المسائل داخلية في (المعلوم موصِّل) أي المعلومات موصلة إلى المجهولات...

(٥) (أي الدعاء) أي مصدره الدعاء بمعنى النداء أي يسمي وينادي..

(هذا) أي ندائه بالقول الشارح وتسميته به آخر صورة ينجر وينتهي إليها النسبة التضائية بين المعرفة والمعرف، إذ بينهما تضائفاً. أي التسمية إنما تتحقق بعد تمام الوصول لأن الاسم بعد تمام المسمى.. (هذا) مبتدأ (آخر) خبره الأول (مناد) خبره الثاني. أي يدل على أن التعريف اسم لِمَا كان مركباً من ذات وصفة ولو ذهنًا، كالناطق في الحد الناقص. إذ البسيط لا يعرف وإنما يعرف بالحدس أي الانتقال دفعة وفجأة من المعلوم إلى المجهول..

[٥] أي مستقرئ مواطئ النشو، ومدارج الاستكمال، ومحلل يرد الشيء إلى أصله.^(١)

وما [١] لتصديق [٢] به [٣] تَوْصِلًا [٤] بحجة [٥] يعرف [٦] عند العقلا [٧]

[١] «ما» موصوفة، أي تصديق، أي لا تصور. لأن النوعين غير متجانسين فلا يتوالدان

وإن تلازما...

[٢] كما تضمن اللام «إلى» تضمن «توصل» «تكلف». فالأول متعلق بالثاني، إذ هذا

التصديق مدعى. والثاني بالأول، إذ هو نتيجة بأولٍ وبالإطلاق أو التخيل أيضاً^(٢)...

[٣] وبالجزئي على الجزئي، أو الجزئي على الكلي، أو بالكلي على الجزئي.^(٣)

[٤] زاد هنا وجرده في التصور للإشكال في الأشكال، والاشتباك في الدليل. «ومصدر

المجرد نائب فاعل المزيد» أي وصولاً لازماً إلى معلوم، أو مظنون لذات الدليل أو صورته أو موهوم أو متخيل أو جهل مركب^(٤)..

(١) أي (مستقرئ) أي التعريف مفتش يبحث عما ينشأ ويحصل عنه المعرفة من الأجناس والفصول والخواص والأعراض. وكذا محلل شارح يرّد المعرفة إلى أصله. مثلاً: إن من يريد أن يعرف الإنسان يتحرى أولاً ما يتركب منه من الأجناس كالجوهر والجسم والجسم النامي والحيوان. ومن الفصول كالقابل للأبعاد الثلاثة والنامي والحساس والناطق. ثم يجمعها سائرًا لها في بطن الحيوان الناطق فيتولد الإنسان.

(٢) كما تضمن (اللام) معنى (إلى) أي لأن الوصول يتعدى إلى (تضمن توصل معنى تكلف) لأن الوصول يحصل بالكلفة فناسب تضمنين التوصل. فاللام في (لتصديق) له معنيان: معناه الأصلي، ومعنى (إلى). (فالأول) أي إذا نظر إليه بالمعنى الأصلي (متعلق بالثاني) التكلف المتضمن للتوصل (إذ هذا التصديق) أي مدخول اللام (مدعى) وفي إثبات المدعى المجهول كلفة، فناسب تعلقه بالتكلف (والثاني) أي اللام بالمعنى الثاني (متعلق بالأول) أي التوصل المتضمن (إذ هو) أي التصديق المدخول للام (نتيجة بأولٍ) أي سيؤول وسيرجع ويصير نتيجة. وفي نتائجها لا يوجد الكلفة للمناسب تعلقه بالتوصل لا بالتكلف.

(وبالإطلاق أو التخيل أيضاً)، أي ذلك التصديق المدخول للام لكونه غير مقيد شامل للقسمين. أي ما كان مدعى وما كان نتيجة، وبالتخييل والتقدير أيضاً يمكن الشمول للقسمين.

(٣) (وبالجزئي على الجزئي) أي الوصول قد يكون بالجزئي على الجزئي، مثل: هذا زيد، وزيد ضاحك، فهذا ضاحك (وبالجزئي على الكلي) كما في الحدسيات، كالانتقال من بعض الأمارات إلى المطلوب الكلي (وبالكلي على الجزئي) مثل: كل إنسان حيوان وكل إنسان كاتب فبعض الحيوان كاتب.

(٤) (زاد هنا) قائلاً: «توصل» من المزيد (وجرد هناك) قائلاً: «وصل» من الثلاثي (للإشكال في الأشكال) بكسر أول الأول وفتح في الثاني. يعني أن الإشكالات الواقعة في الأشكال والضروب والقياسات أجبرت على ترجيح المزيد على المجرد إشارة إلى زيادة الكلفة هنا.

[٥] اعلم!

أنها نَسَابَة أنسال الحادثات، وِسْرَادَة سلاسلِ مناسبات الكائنات، وتمثَالُ مجاري الحياة من جرثوم الحقيقة العظمى إلى الثمرات^(١)..

[٦] مجاز من «يتحد» وهو من «يحمل» وهو من «يحدد» والمعرفة هي كيفية هذه النسبة، إشارة إلى استغناء هذه الدعوى عن الدليل...

[٧] اللام عوض الصفة أي المنطقيين. لا الإضافة لأن «عاقلا» من ذي كذا.^(٢)

واعلم!

إن الكل -كالإنسان مثلا- في حكم مصدره، جزؤه مستتر تحت جزئه أو خلفه كالعين للمفتش والأذن للجاسوس والعقل للمنطقي.^(٣)

= (ومصدر المجرد نائب فاعل المزيد) يعني أن (توصل) لكونه بناء المجهول يقتضي نائب الفاعل ولا مفعولٌ ينوب منابه لكونه غير متعد فأشار الأستاذ إلى أن مصدر المجرد أعني «الوصول» نائب عن فاعله. فمعنى توصل (وقع الوصول) (أي وصولا) مفعول مطلق نوعي (لازما) صفة للإشارة إلى اللزوم بين الدليل والنتيجة (إلى معلوم) متعلق بالوصول أي نتيجة ذات يقين (أو مظنون) أي من الظنيات (لذات الدليل أو صورته) أي سبب الظنية ما وجد في الدليل أو صورته من موجبات الظن (أو موهوم) أي من الوهميات.

(١) اعلم أنها نسابة لأنسال.. الخ) الضمير عائد للحجة. (نسابة) صفة مبالغة من النسبة. بمعنى كثير المعرفة بالأنساب. والأنسال جمع نسل بمعنى الذرية. أي الحجة الإلهية كأنها تاريخ جامع للحداثات الكونية وعارف بتناسل بعضها عن بعض.

(وسرادة سلاسل) أي مركز لاجتماع تلك السلاسل كأنها «سانترال» محل ومرابط لتلك السلاسل. (٢) (اللام) أي الألف واللام في العقلاء (عوض) أي بدل (عن الصفة) أي عقلاء منطقيين (لا الإضافة) أي عقلاء المنطق. لأن العاقل ليس باسم فاعل حتى يضاف إلى مفعوله (بل هو من ذي كذا) أي من باب ذي كذا. فالعنى عند ذوي العقول من المنطقيين.

(٣) واعلم (أن الكل كالإنسان) أي المركب من أجزاء كالعين والأذن وغيرهما إذا وقع (في حكم) أي فعل (مصدره) اسم مكان ضميره عائد للحكم، مبتدأ خبره (جزؤه) والضمير راجع للكل. والجملة صفة الحكم مثل (تمس زيد) فإن التجسس يكون بالأذن. فالقاعدة في التعبير عن ذلك الحكم والفعل إما استتار الفاعل أي الكل في ذلك الجزء أو إضافة الكل إليه بواسطة (ذو) فيقال للشخص المنطقي «عاقل» أو ذو عقل لأن المنطق يصدر من العقل وللمفتش «عائِن» أو ذو عين هكذا. وإلى هذا أشار بقوله (مستتر تحته أو خلفه) كالعين للمفتش والأذن للجاسوس والعقل للمنطقي.

أنواع الدلالات الوضعية

[دلالة [١] اللفظ [٢] على ما [٣] وافقه [٤] يدعونها [٥] دلالة المطابقة [٦]

[١] هذه هي الثانية من أحوال اللفظ الأربعة التي يقسمها اللفظ واللغة والمنطق والبيان والاستنباط الأصولي من الوضع والدلالة والاستعمال والفهم.^(١)

[٢] اعلم!

ما أدق حكمة الله في اللفظ وما أعجب شأنه وما ألطفه نقشا! إن الرابط بين مأخذي جنس الإنسان وفصله هو النَّفس ذو الرأسين، الموظف بوظيفتين، صاحب الثمرتين، الموجه إلى القبلتين، المثير أسافلُه لنار حياة الحيوان مع تصفية مائها، والمولد أعاليه لحركات نطق الناطق.

فبدخوله إلى عالم الغيب يصفى الدم الملوث بأنقاض الحجيرات المحللة، بسر امتزاج (مولد الحموضة الهوائي بكربونه) بسبب العشق الكيموي. فإذا يمتزج العنصران يتحد كل جزئين منهما. وإذا يتحدان يتحركان بحركة واحدة. فتبقى الحركة الأخرى معلقة باقية. فبسرَّ «تحوّل الحركة حرارة والحرارة حركة» تنقلب تلك الحركة الباقية المعلقة حرارة غريزية، أعني نار حياة الحيوان. فبينما يخرج النَّفس من عالم الغيب إلى عالم الشهادة تعباً إذ يتداخل في المخارج متكيفا بالصوت، والصوت يتفرق على المقاطع متحوّلا حروفاً «أجدى من تفاريق العصا». بينما هي قطعاً صوت لا حراك لها. إذ صارت أجساماً لطيفة عجيبة النقوش، غريبة الأشكال، حاملة للأغراض والمقاصد، تتطاير مترنمة من أوكارها، مرسلة إلى ما قدّر لها صانعها الحكيم سفراء بين العقول. فاللفظ زبد الفكر، صورة التصور، بقاء التأمل، رمز الذهن. فبسبب الخفة والتعاقب وقلة المؤونة وعدم المزاحمة وعدم القرار ترجّح اللفظ لهذه النعمة العظمى: فما أجهل من يكذب أو يسرف بقيمة هذه النعمة!.

(١) (التي انقسمها اللفظ واللغة الخ) إن قيل: المقسوم أربعة والمقسوم عليه خمسة فكيف يصح التقسيم؟ قلت، نعم، لكن التقسيم أيضاً على أربعة، إذ اللفظ خارج عن المقسوم عليه، إذ الوضع ناظر إلى اللغة والدلالة إلى المنطق والاستعمال للبيان والفهم للأصول. لكن لا تظن أن اللفظ بقي خارجاً عن التقسيم، بل هو كالأم لهذه الأربعة، تأخذ من حصة كل واحد، إذ بيده رأس حصة كل منها، حيث يقول اللغوي: وضع اللفظ لهذا المعنى، والمنطقي: دلالة اللفظ على هذا المعنى مطابقة وهكذا.. فاللفظ داخل في حصة كل. وبهذا الاعتبار تأخذ الأم من حصص الأولاد أربعاً..

[٣] «أي المفرد» لأن دلالة المركب على جزء معناه مطابقة. واللفظ أمانة ورمز على ما في الذهن على مذهب، وعلى ما في الخارج على مذهب^(١)..

[٤] أي مقدار قامات المعاني.. لا يشتكى قصر منها ولا طول^(٢).

[٥] فيه ما مر في «يدعى» فإن نسبة الحكم لها صور متفاوتة واستحالات متسلسلة^(٣).

[٦] وإن قارنها دلالة التضمن والالتزام بتسليم بقاء الضعيف مع القوي، ووجود الدلالة بدون الإرادة؛ لأن الحيشية مرادة في «مقول الإضافة» بسر أن الحكم على المشتق وما في معناه يدل على التقييد^(٤)...

وجزئه [١] تضمناً [٢] وما [٣] لزم فهو التزام إن بعقل [٤] التزم [٥]

[١] بمقدمتين: نقلية وعقلية. ببقية إرادة واحدة، لا مستقلة. وإلا فمطابقة مجاز أو حقيقة قاصرة. ولا بإرادة مشتركة وإلا فمجاز وحقيقة. وبالدخول في «جواب ما هو»، لا الوقوع في «طريق ما هو». فما ذكر عند المنطقيين وإلا فمطلق^(٥).

(١) (أي المفرد) لأن اللام في اللفظ للعهد والإشارة إلى المفرد، فلا يرد على حصر التقسيم وجميعه دلالة المركب على جزئه مطابقة على ما سيجيء، فلا تبقى خارجة عن التقسيم وعن أقسام الدلالة، لأن المقصود من الوضع في الدلالة المطابقة ليس وضع اللفظ لعين المعنى بل ما كان للوضع فيه مدخل..

(٢) (أي مقدار قامات) اقتباس من شعر الشاعر:

وألفاظ رفاق النسخ قدت على مقدار قامات المعاني

(٣) (فإن نسبة الحكم) نعم، إن دلالة اللفظ على المعنى لها صور وعنوانات متخالفة كالتطابق والتضمن والالتزام، وانقلابات متسلسلة بتبدل المواضع والتراكيب. مثلاً: إن الناطق يكون تارة مدلولاً تضمينياً وتارة التزامياً وهكذا..

(٤) (لأن الحيشية مرادة) علة للمقدر: كأنه قيل: بعد تسليم المقارنة والبقاء لا يصح ولا ينحصر التسمية بالمطابقة فأجاب: بأن الحيشية مرادة والمجوز لإرادتها ترتب الحكم على المشتق كما هنا، أي من حيث وافقه..

(٥) (بمقدمتين) أي دلالة اللفظ على جزء المعنى ثابتة بمقدمتين نقلاً وعقلاً. أما نقلاً: فلأن دلالة اللفظ على جزء المعنى ليست مهمجرة، بل هي ثابتة عند العلماء ومعتبرة في الأحكام. وأما عقلاً: فلأن وجود المركب إنما هو بوجود الأجزاء ولولاها لم يوجد، فاستلزامه لها ودلالته عليها ضرورية.

(وبالدخول في جواب ما هو) عطف على (ببقية) أشار به إلى لزوم تصور ذلك الجزء بالجزئية وإلا لم تكف الدلالة تضمناً. وإنما يعلم ذلك التصور بصلاحيه ذلك الجزء للدخول في جواب ما هو، لأن تعبير الدخول خاص بالأجزاء، والوقوع عام، فالحيشية مرادة. أي من حيث هو جزء. وإلى هذا أشار بقوله (لا الوقوع في طريق).

[٢] هذا والالتزام مصدران جعليان مشتقان من الدلالة التضمنية والالتزامية.^(١)

[٣] أي خارج، وإلا تَدَاخَلَ الْقِسْمَانِ.^(٢)

[٤] أي عقلياً بَيِّنَا أَحْصَ عند المنطقي. وإلا فسواء عقلياً أو عادياً أو عرفياً أو شرعياً أو اصطلاحياً أو دائماً أو مؤقتاً لكلمة أو كلام أو قصة. أو اللازم لتصور أو تصديق أو تخيل أو معنى من المعاني الحرفية التي لا وطن لها، تبعياً أو قصدياً.^(٣)

[٥] أي وإن كان ضدّاً، إذ كثيراً ما يكون أقربُ الأشياء إلى الشيء خطوراً ضده، لاسيما إذا انضاف إلى الضدية الإضافية. حتى قيل: إن النقيض نظير نقيضه.^(٤)

فصل في مباحث الألفاظ

مستعمل [١] الألفاظ حيث يوجد إما مركب [٢] وإما مفرد [٣]

[١] مُسَوَّرٌ كلية هذه القضية الاستغراق المكسوب من المضاف إليه، لوصفية المضاف. لأنه حملية. والسور «حيث» من حيث أنها شبيهة المنفصلة.^(٥)

(١) (وهذا) أي التضمن (والالتزام مصدران) توجيه لما يقال: من أن التسمية بالتضمن والالتزام ليست بصحيحة إذ لا يجوز حملها على الدلالة.

وجه التوجيه: أنها مصدران جعليان أي مشتقان أي مشقوقان أي متغيران أي محرفان من التضمنية والالتزامية. مثل «شَمُو من شمس الدين».

(٢) (أي خارج) ليخرج الداخل من شمول (ما) (وإلا تداخل القسمان) أي التضمن والالتزام لأن الجزء الداخل لازم.

(٣) (أي عقلياً بَيِّنَا) هذه الأقسام المذكورة المتساوية عند غير المنطقي، إيضاحها بالأمثلة ليس في وسع (عبدالمجيد) الآن بل مدفون مع الأستاذ!.

(٤) (حتى قيل: إن النقيض نظير نقيضه) كالنور والظلمة، والليل والنهار، فإن تصور كل يخطر الآخر بالبال.

(٥) (مسور كلية هذه القضية) حاصله: أن تشكل هذا التقسيم في شكل قضية حملية كلية شبيهة بالمنفصلة. موضوعها (مستعمل)، محمولها المردد بين إما و أو.

كليتها لمحافظة حصر التقسيم وجمعه. إذ لولاها لم يكن جامعا للأقسام.

وَسُوْرُها الاستغراق المستفاد من اللام في المضاف إليه، إذ لا يكتسب الاستغراق من الموضوع المضاف لأنه وصف لا أفراد له لذاته.

وشبهها بالمنفصلة في كون التردد بين جزئي المحمول لا بين قضيتين. ثم إن محمول هذه القضية الحملية لكونه كالمنفصلة لا بد أن يكون كلية مسورة كالحملية أيضاً لمحافظة حصر التقسيم لكن الاستغراق في الشرطيات باعتبار الأزمان والأوضاع. وسُوْرُ هذه المنفصلة (حيث) فمعنى تلك القضية: كل لفظ مستعمل في كل زمان وعلى كل وضع إما مفرد أو مركب.

[٢] المركب المركب مع «مع» مفرد ومع «من» مركب من^(١)...

[٣] أي مع عدم اعتبار الغير لا اعتبار عدم الغير. آخره مع تقدمه لأن ما فيه من العدم حادث لا أصلي. إذ وضع الألفاظ لا ليفيد معانيها لتعينها أولاً، بل ليفيد ما يعرضها بالتركيب. فالمركب مقدم. كما في دلائل الإعجاز.^(٢)

فأول [١] ما [٢] دل [٣] جزئه [٤] على [٥]

جزء [٦] لمعناه [٧] بعكس [٨] ما تلا

[١] من ديدنهم ترديف التقسيم القطعي بالعقلي للإثبات^(٣)

[٢] أي لفظ^(٤)

[٣] أي وأريدت^(٥)

[٤] أي المرتب في السمع^(٦)

[٥] أي بالذات^(٧)

[٦] أي له وقع^(٨)

(١) (المركب المركب مع مع مفرد) لأن واحدا من جزئي المركب وقع بعد مع، ولم يبق فيه إلا جزء واحد فهو قبل ذكر ما وقع بعد «مع» مفرد. (والمركب مع من مركب من..) لأن «من» بيان وتفسير لما قبله، فلو لم يلاحظ الجزآن في المركب قبل ذكر (من) يبقى المفسر بلا مفسر. فقبل ذكر (من) يلاحظ الجزآن فيه البتة، فهو مركب من أي (من) أجزائه.

(٢) (أي مع عدم اعتبار الغير) أي وارداته. سواء كان الغير موجودا أو لا ليدخل عبد المجيد علماً (لا اعتبار عدم الغير) إذ حيثن يخرج هذا الفقير عن التعريف (آخره مع تقدمه) أي على المركب لأنه جزؤه (لأن ما فيه من العدم حادث) لأن وجود عدم وجود دلالة الجزء في مفهوم المفرد، إنها وجد بعد وجودها في شيء آخر، أعني المركب. مع أن الوجودي مقدم على السلبى والأصلي على الحادث.

(٣) (التقسيم القطعي بالعقلي) أي من عادة العلماء أنهم بعد التقسيم القطعي أي الثابت ثبوته في الواقع، يقسمون بالعقلي أيضاً للإثبات. أي ليحصل الثبوت في الذهن أيضاً..

(٤) (أي لفظ) جنس، وباقي القيود فصل، غيره ليس بمفرد ولا مركب كالإشارات..

(٥) (أي وأريدت) أي إن دلت ولم تُرد فمفرد كالحیوان الناطق علماً..

(٦) (أي المرتب في السمع) فالفعل الدال بهادته على الحدث وهيبته على الزمان مفرد لا مركب...

(٧) (أي بالذات) فالدال بالواسطة ليس مركبا، كالإنسان الدال على قابل العلم بواسطة اللزوم.

(٨) (ليس له وقع) أي تأثير وفائدة فلا عبرة بإرادة دلالة (زاد زيد) على يده مثلاً..

[٧] أي المعني^(١)[٨] أي نقيضه^(٢)...

اعلم أن لمفهوم المركب فرداً فرداً هو وجود جميع الأجزاء. وللمفرد أفراداً بعدد عدم الأعم. فالأخص، ثم الأخص إلى عدم الإرادة. وأخص الكل الأعم، إذ عدم الأخص أعم، فيعم أحداً وثلاثين عقلاً وستة واقعاً.^(٣)

وهو على [١] قسمين أعني [٢] المفردا [٣] كلي [٤] أو جزئي [٥] حيث وجدنا

[١] «على» حاملة بـ «إلى» ظرفان لغوان. أي ينقسم إلى قسمين ويقوم واقفاً عليهما^(٤)...

[٢] كما أن «أي» للمطابقي و «المراد» للالتزامي - كذلك «أعني» وما يرادفه للتضمني.

إذ المذكور مركب.^(٥)

(١) (أي المعني) كعبد المجيد فان مدلول جزئه ليس جزءاً للمعنى المقصود إذا كان علماً فليس مركباً..

(٢) (أي نقيضه) أي لأن (دلّ) نقيض (ما دل) فالمفرد والمركب نقيضان مفهوماً...

(٣) (اعلم أن لمفهوم الخ) حاصله: أن للمركب فرداً فرداً أي أجزاءً يحصل ويتشكل المركب باجتماعها فقط. وللمفرد أفراداً أي جزئيات وأقساماً حاصله من نفي كل واحد من القيود المذكورة المشروطة لتشكيل المركب. فبانعدام كل قيد مع بقاء الآخر فرضاً يحصل للمفرد قسم عقلاً. فإذا ضربنا القيود المنفية في المفرد في الستة المشروطة الموجودة في المركب - المذكورة آنفاً - يحصل للمفرد ستة وثلاثون قسمًا عقلاً. ولكن القيد الأول - أعني اللفظ - خارج عن الضرب لكونه مقسماً للمفرد والمركب. فيبقى أحد وثلاثون قسمًا. هذا عقلي. وأما الخارجي فسته: وإلى هذا أشار بقوله (بعدد عدم الأعم.. الخ). نعم، بناء على أن كل قيد ذي قيد أخص من مطلقه، كالإنسان الكاتب مع الإنسان..

والحاصل: أنه كلما تزايد القيود تخصص. يعني يكون الثاني أخص من الأول، والثالث من الثاني، والرابع من الثالث، والخامس من الرابع، والسادس من الخامس. فالأخص من الكل الثالث؛ إذ لا أخص تحته. وهو مع كونه أخص الكل؛ بهذا الاعتبار يكون أعم الكل إذ لا أخص تحته فهو مطلق والمطلق أعم من المقيد... (٤) (على حاملة بـ «إلى»). نعم، إن مجرور (على) أي (القسمين) بمادته وجوهره يقتضي تقدير (ينقسم) وهو إنما يتعدى بـ «إلى» وبتثنيته المفيدة للحصر، إذ لا ثالث لهما يقتضي تقدير (ينحصر) أو ما يقوم مقامه. ففي بطن (على) (إلى).

(لغوان) أي سواء كان (على) أو (إلى) فهما ظرفان لغوان لا ظرف مستقر لتعلقها بالأفعال الخاصة.

(٥) (كما أن أي). حاصله: أن المعنى المجهول إن كان المعنى الموضوع له يفسر بـ (أي) وإن كان جزؤه فبـ (عنى) وإن كان لازمه فبـ (المراد)...

اختار الناظم التفسير بـ (أعني) إشارة إلى أن الضمير في أول البيت أي في قوله (وهو على قسمين) راجع إلى المذكور. وفيه المفرد والمركب. فلفظ (المذكور) المراد مركب والمفرد من أجزائه. فاختار الناظم التفسير بأعني مناسب في موضعه. وإلى هذا أشار الأستاذ بقوله (إذ المذكور مركب) يعني أن ضمير (هو) راجع إلى المذكور وهو مركب من المفرد والمركب...

[٣] لا مقابل المضاف والجملة والنسبة.

[٤] منسوب إلى كله الذي هو جزئيه.^(١)

[٥] منسوب إلى جزئه الذي هو كله. فالناقص زائد والزائد ناقص.^(٢)

فمفهمُ اشتراكِ [١] الكلِّي كأسد [٢] وعكسه [٣] الجزئي [٤]

[١] اعلم

أن هذا الاشتراك اشتراك تمثيلي واتحاد وهمي، إذ الاشتراك والاتحاد بكليّ معنييهما غير متصورّ هنا، بل المراد تطابق النسب، كتساوي نقط المحيط لنقطة المركز، لو ذهبت إحداها إليها كانت إياها وبالعكس، أعني أن الكلّي لو خرج بالفرض من عالمه ودخل بابَ إحدى جزئياته - فبسرّ عدم العبثية - يفنى هو ويبقى ما في الجزئي من ظله فيتوهم الاتحاد.. وكذا لو تطاير بالفرض متصاعداً إحدى جزئياته من عالمها إلى مقام الكلّي، فبالوصول إلى بابه يناديها: «أنا زعيمكم هنا كما أنتم نوابي في مملكتكم». ثم ينطفي. فيتوهم الاشتراك، ولو ممتنعاً. إذ الفرض ممكن^(٣)..

[٢] أي من المبادئ التصورية. أي رسم ناقص ليطمئن قلوب الحواس لحكم العقل فيقرأوا ما في المثال من آيته^(٤)..

(١) (منسوب إلى كله الذي هو جزئيه) الضمير للمنسوب؛ لأن الجزئي عبارة عن الكلّي والتشخيصات، فالكلّي جزء للجزئي والجزئي كل للكلّي، فالنسبة بينهما من قبيل نسبة الجزء إلى الكل..

(٢) (منسوب إلى جزئه الذي هو كله) لأن الكلّي داخل في حقيقة الجزئي، فالنسبة بينهما من قبيل نسبة الكل إلى جزئه. فالجزئي كل والكلّي جزء.

(فالناقص) أي الجزء المنسوب إليه الناقص بعدد حروفه من المنسوب (زائد) على المنسوب باعتبار كليته وشموله للغير. وكذا إن الزائد أي المنسوب الكثير الحروف من المنسوب إليه (ناقص) باعتبار تشخصه وعدم شموله للغير.

(٣) (اعلم أن هذا الاشتراك) حاصله: أن الكلّي ظل ذهني للجزئيات الخارجية وهي مثالات له. فالنسبة بينهما كنسبة نقطة المركز إلى نقط المحيط. لكن إن ارتفع الجزئي من الخارج ودخل الذهن تنطفي تشخيصاته وتنسلب عنه فيكون كلياً. وكذا إن سقط الكلّي ووقع في الخارج ينضم إليه التشخيصات فيصير جزئياً.

ففي المنزلتين لا يرى إلا واحد منهما فيتوهم بينهما الاشتراك والاتحاد..

(٤) (أي من المبادئ) أي قسم من القول الشارح لأنه مثال والأمثلة رسوم ناقصة...

[٣] أي لا يشترك بالإمكان اشتراك الوجود الظلي، لوجوداته الأصلية، الممثل عكسه بتخييل نقطة المركز مصباحاً ونقاط المحيط زجاجات^(١)..

[٤] ك [الله] جل جلاله: والجزئي كلي كما أن الفعل اسم. وافترق الجزئي والكلي الفرضي، بأن الأول فرض ممتنع والثاني فرض ممكن..

فأولاً [١] للذات إن [٢] فيها [٣] اندرج [٤]

فانسبه [٥] أو [٦] لعارض [٧] إذا [٨] خرج [٩]

[١] أي الأولى «أولاً» إذ لا ثاني هنا، لأن الجزئي كما لا ينضبط أحوالاً لا يفيدنا كملاً حكماً «للذات» كذات «يدك وأنائك» فإن الماهية مظروفة الوجود. والذات هي مع إضافة الوجود. والحقيقة هي بشرط الوجود. والهوية هي مع الوجود^(٢)...

(١) (أي لا يشترك بالإمكان.. الخ) أظن أن هذه القضية موجّهة (والجهة) الإمكان و(لا) نافية لها و(اشترك) منصوب إما بنزع الخافض -أي كاشترك- أو على أنه مفعول مطلق نوعي. حاصله: أن الجزئي لا يمكن أن يشترك ذلك النوع من الاشتراك كما كان في الكلي إذ لا وجود له ظلياً لوجودات في الذهن أصلية في الخارج، بل الخارج مركز لوجوده الأصلي، وهو مصباح في الخارج يرى في زجاجات الأذهان عكس الكلي...

س:- ما الفرق بين الجزئي والكلي في فرض الأفراد حتى تفرض للكلي لا للجزئي؟
فأجاب المرحوم: بأن الفرض ممكن في الكلي ممتنع في الجزئي. مثلاً: إن (الله) علم للذات لا يجد، إذ لا جنس له ولا فصل فليس له مفهوم حتى يفرض له الأفراد باعتبار المفهوم. فالفرض فيه ممتنع.
وأما فرض الأفراد للجزئي الكلي في (الجزئي كلي) فهو فرض ممكن؛ إذ له حد. وفي حده جنس وفي جنسه عموم. فله مفهوم عام يمكن فرض قوله على كثيرين لا وجود لها.

(كما أن الفعل اسم) دفع لما يقال: من أن الجزئي والكلي ضدان كيف يحمل أحدهما على الآخر.. وجه الدفع: إن حمل الكلي هنا ليس على الجزئي الفردي الخارجي، بل على مفهومه. وهو أيضاً كلي من الكليات لكن من المعقولات الأولى. والكلي المحمول عليه في المثال من المعقولات الثانية فلا إشكال. كما لا إشكال في حمل الاسم على الفعل؛ لأن الاسم محمول على لفظ الفعل وهو اسم من الاسماء (كالاسم).
(٢) أي الأولى (أولاً) يعني: أن صنيع الناظم في هذه العبارة حيث اختار (أولاً) على (الأول) فذكر ذلك وترك هذا أحسن وأسلم. لأن لفظ الأول والثاني من الأضداد ومن المتضادات، ذكر أحدهما يخيّل الآخر. فلو ذكر الناظم لفظ الأول لبقى السامع -بحكم التضاد الضدي- منتظراً إلى أن يذكر (الثاني). ولا (ثاني) هنا لأن أحوال الجزئي لا تنضبط ولا فائدة لنا فيها. كذلك أحكامه لا تفيد كمالاً ولا فائدة، حتى يلزم ذكرها فيحتاج إلى ترديد (الأول) (بالثاني)، فاختار (أولاً) تخلصاً للسامع عن الانتظار لأن المفهوم من (أولاً) الابتدائية لا أول الأعداد.

(للذات) (كذات يدك وأنائك). أشار بهذين المثالين إلى أن (الذات) ينسب إليه أجزاء الماهية كالجنس

[٢] فالتشكيك لخصاء الذاتية عكس العروض.

[٣] أي في تفصيلها ذهنياً، للزوم الاتحاد في الخارج للحمل. واختلاف العبارات باختلاف الاعتبارات. أو في الخارج مأخذها. وقيل متعددة فيه، وصحة الحمل للالتحام^(١)...
[٤] أي لم يخرج^(٢)..

[٥] أي سمه ذاتياً. ولا يلزم شمول وجه النسبة - مناسبة التسمية - لكل الأفراد^(٣)..

[٦] للتقسيم لا للتخير الذي يفيد الإنشاء فإنه إخبار^(٤)..

[٧] عدل عن عرض، إشارة إلى الحمل^(٥)..

[٨] للظهور بالنسبة^(٦)..

[٩] فالنوع كالفصل خاصة الجنس وعارضه كما في المناسبات^(٧)...

= وتماهما كالنوع. وأن الذات كما يطلق على الكل يطلق على الجزء أيضاً. فاليد في المثال الأول لكونه جزءاً لتام ذي اليد مثال للجنس الذي هو جزء الماهية. ومرجع (أنا) الذي هو تمام ذي اليد مثال للنوع الذي هو تمام الماهية. (وأنائك) مركب إضافي على لغة «الأكراد» من ضميري المتكلم والمخاطب. عطف على (يدك) والمعنى أي كذا تك الذي تعبر عنه بـ «أنا» فمرجع «أنا» تمام جسد ذي اليد واليد جزؤه.

(فإن الماهية.. الخ) حاصله: أن الهوية والحقيقة والذات أعيان للماهية انقسمت هي إليها باختلاف الاعتبارات والحشيات، إذ الوجود لو اعتبر مع الماهية أي شرطاً فهوية. ولو اعتبر شرطاً فحقيقة، ولو اعتبر مع الإضافة لذات، لكن المضاف إليه غير داخل..

(١) (أي في تفصيلها) أي تحليل الماهية إلى أجزائها. وإنما ذلك في الذهن، ولولا الاتحاد في الخارج لما جاز الحمل بينهما.

(واختلاف العبارات) كالاندماج والدخول وعدم الخروج (باختلاف الاعتبارات) ومن الاعتبارات مراعاة النظم والوزن..

(٢) (أي لم يخرج) سواء كان جزء الماهية أو تمامها ليشمل النوع...

(٣) (ولا يلزم شمول وجه النسبة) فلا بأس لخروج النوع من وجهها..

(٤) (فإنه إخبار) إذ التقسيم واقع في الأزمنة الحالية. لكن الناظم أراد أن يخبر ويحكي عن ذلك الخبر بلفظ الإنشاء.

(٥) (إشارة إلى الحمل) إذ العرض لا يحمل بل المحمول العارض.. وفيه ما فيه.. تأمل!

(٦) (للاظهار بالنسبة) أي ذكر أولاً (إن) الدال على الشك. وهنا (إذا) الدال على القطع إشارة إلى أن كون التسمية بالعارض أظهر من التسمية بالذاتي في الجملة..

(٧) (فالنوع كالفصل) أي فعلى هذا لا يكون النوع ذاتياً، بل يكون خاصة للجنس وعارضه، أي غير شامل كما أن الفصل كذلك كما سيأتي..

والكليات [١] خمسة [٢] دون انتقاص

جنس [٣] وفصل [٤] عرض [٥] نوع [٦] وخاص [٧]

[١] في التعريف استعظام. هي كأخواتها بينها هن معقولات ثانية، حرفية المعاني. وتبعيتها مرايا للمعقولات الأولى؛ إذ صارت طبائع اسمية يتطائر من جوانبها ما يتوضع عليها، ويخرج ما كانت لابسة له، ويتولد منها من يدعى أنه أب لأبيه كما أن الكلي نوع الجنس الذي هو نوع الكلي وقس^(١)..

[٢] أي أنتج أربعة تقسيمات، خمسة أقسام متقابلة إن اتحد المنسوب إليه. فإن تعدد فقد تجتمع في واحد وقد تتحد في نوع كالنوع الإضافي^(٢).

[٣] أي الذاتي الأعم بسيطاً أو مركباً^(٣).

[٤] أي الذاتي المميز قريباً أو بعيداً^(٤).

[٥] أي الخارج العام مطلقاً أو مقيداً^(٥).

[٦] أي الجواب التام حقيقةً أو إضافياً^(٦).

[٧] أي الخارج المميز للجنس أو النوع..

(١) (في التعريف استعظام) أي العظمة والحشمة تترشح من إيرادها بالجماعة (حرفية المعاني) أي مدلولاتها كمدلول الحرف غير مستقلة (وتبعيتها) أي تبعية المعاني أي معانيها تابعة وآله للغير (إذ فجائية) (اسمية) أي حقائق مستقلة كالاسم (يخرج ما كانت لابسة له) أولاً من العنوان الأول وتنزياً بعنوان آخر (يتولد منها الخ) مثلاً: إن الكلي بعدما كان نوعاً للجنس وابناً له ولا بساً لعنوان النوعية إذ يخرج من ذلك العنوان ويتلبس بعنوان الكلية ويصير أباً لمن كان أباً له...

(٢) (إن اتحد المنسوب إليه) أي إن لوحظ الكلي حين الانقسام باعتبار المفهوم فلاشك يكون الأقسام متقابلة (وإن تعدد) أي لوحظ الكلي في ضمن الأفراد (فقد تجتمع) الخمسة (في واحد) فلا تقابل بينها كالمثلون فإنه جنس للأسود والأبيض. ونوع للمكيف. وفصل للكثيف. وخاصة للجسم. وعرض عام للحيوان. (وقد تتحد) أي بعضها (في نوع كالنوع الإضافي) كالحيوان فإنه جنس لما تحته ونوع لما فوقه..

(٣) (أي الذاتي الأعم) هو الجنس العالي كالجوهر والجسم المطلق..

(٤) (أي الذاتي المميز) أي الفصل القريب والبعيد...

(٥) (أي الخارج العام) هو العرض المطلق عن اللزوم أو المقيد به.

(٦) (أي الجواب التام) هو النوع عبر عنه بهذا لأنه جواب تام لسؤال «ما هو». أما الجنس -ولو يقال في جواب ما هو- لكنه جواب ناقص...

اعلم أن بينها مشاركات متنى وثلاث ورباع وخماس، ومباينات ومناسبات ككون الجنس عرضاً عاماً للفصل والفصل.. خاصة للجنس.. والنوع خاصتها..

ثم أعلم أن هذه المصطلحات لها -كأمثالها- حقائق اعتبارية لا وجود لأفرادها وإنما مناط الحكم النقط التي تتسبل عليها حدودها...

وأول [١] ثلاثة بلا شطط جنس قريب [٢] أو بعيد [٣] أو وسط [٤]

[١] أي الأول أولى. وأوليته هنا لأنه أول في التعريف لأنه جزء المادة الأعراف لأنه أعم ولأوليته في الوجود لأنه كالمادة كالهوى^(١)...

[٢] أي يكون فذلكة سلسلة الأجناس والفصول غير الفصل القريب^(٢)...

[٣] أي المبدأ البسيط للسلسلة وهي العشرة المشهورة التي هي أوادم الموجودات.^(٣)

[٤] أي كما أنه جنس نوع. وأيضاً النوع كالجنس.^(٤)

فصل في نسبة الألفاظ للمعاني

ونسبة [١] الألفاظ [٢] للمعاني [٣] خمسة [٤] أقسام [٥] بلا نقصان

[١] أعلم أن اللسان كالإنسان عاش أدواراً وتحول أطواراً وترقى أعصاراً. فإن نظرت الآن إلى ما تبطن «الآن» من أطلال وأنقاض اللسان التي تفتت في سيل الزمان لرأيت منها تاريخ حياة اللسان ومنشأه. فالدور الذي نجم اللسان إلى الوجود، إنما هو دور حبات الحروف الضعيفة الانعقاد، المغمورة في الأصوات، الدال أكثرها بطبيعة المحاكاة. ثم بتلخيص المعاني

(١) (أي الأول أولى) أما أوليته فلأن (أول) نكرة لا تكون مبتدأ إلا أن يكون تنوينه عوضاً عن (ها). وأما أوليته فلأنه في التعريف أول، لأنه عبارة عن جزأين أولهما الجنس لأنه الأعم.
(٢) (أي يكون فذلكة) أي خلاصة تحتوي على ما فوقه من الأجناس والفصول غير الفصل القريب، لأنه تحته فلا يكون أخذاً له في مفهومه..

(٣) (أي المبدأ البسيط) أي غير المركب من الجنس والفصل إذ لا حد له (للسلسلة) أي سلسلة الموجودات التي هي عبارة عن عشرة أصول تتدلى جهتها الأعلى من الجوهر والجسم المطلق والجسم النامي والحيوان والإنسان. فهذه خمسة ولو عد معها فصولها أعني الناطق والحساس والنامي وقابل الأبعاد الثلاثة لكانت تسعة. ولو زيد عليها الصنف لثمت عشرة كاملة. وهذه الأصول منشأ المخلوقات كما أن آدم أصل لذوى الحياة...

(٤) (نوع) أي إضافي بالنسبة إلى ما فوقه (وأيضاً النوع) أي الإضافي بالنظر إلى ما تحته...

ارتقى إلى الهجاء. ثم بتكثر الأغراض تدرج إلى التركيبي «ولها آيات في الشرق». ثم بتشعب المقاصد تصاعد إلى التصريفي. ثم بامتزاج الحسيات الرقيقة والأغراض اللطيفة تعارج إلى النحوي، وهو العربي الذي أخصر الاختصارات، الموحز المطنب، القصير الطويل. ثم بسر قلب المجاز بالاستمرار حقيقةً تَوَلَّد الاشتراك. وبحكمة نسيان المناسبة وانقلاب الصفة بالجمود تَوَلَّد الترادف.. وقس.. فالتناسب نتيجة التناسل...

[٢] أي اللفظ مع اللفظ واللفظ مع المعنى والمعنى مع الفرد^(١)...

[٣] والفرد معنى. فيه احتباك: «ذكر في كل ما ترك في كل»^(٢)..

[٤] أي باندراج التساوي في الترادف. والنقل والمجاز في الاشتراك.^(٣)

[٥] أي الخمسة نتيجة خمسة، أو سبعة تقسيمات بالقياس المقسم.

تواطؤ [١] تشكك [٢] تَخَالَفٌ [٣] والاشتراك [٤] عكسه [٥] الترادف [٦]

[١] أي تساوى الحصص ذاتا، وإن تفاوتت كمالاً وانكشافاً، إذ قانون تولد الاتحاد والامتزاج من الاختلاف تحكم. وكم من مترجم عن تأثره يئن قائلاً:

وطالما كنا كغصنيّ بانٍ لكن نما وزدت في النقصان

ألم تر: نواتين توأمين إذ سعت «تا» انكشفت نخلة، وإن عصت «تي» انكشمت نخرة^(٤)...

(١) (أي اللفظ مع اللفظ الخ) حاصله: أن الأقسام الخمسة الآتية حاصلة من نسبتين: إحداهما: نسبة اللفظ إلى اللفظ، يحصل من هذا الترادف والتشكك. والأخرى: نسبة اللفظ إلى المعنى، يحصل من هذا التواطؤ والاشتراك والتخالف. لكن الناظم احتبك في العبارة بأن حَذَفَ من الأولى آخرها ومن الثانية أولها. وتقدير العبارة هكذا: ونسبة الألفاظ للألفاظ ونسبة الألفاظ للمعاني. فترك من الأول ثانيه ومن الثاني أوله.

(والمعنى مع الفرد) أي نسبة المعنى المطابقي إلى جزئه أو لازمه. يحصل من هذا قسمان آخران: التباضع والتلازم. ترك الناظم هذا لسبقه في الدلالة.

(٢) (والفرد معنى) أي جزء المعنى المطابقي أو لازمه من المعاني. فنسبته إلى أحدهما من نسبة المعنى إلى المعنى...

(٣) (أي باندراج التساوي الخ) ولا يكون الأقسام سبعة والتقسيمات المنتجة لها أيضاً سبعة...

(٤) (أي تساوى الحصص) أي المراد من التواطؤ تساوي الأفراد ذاتا ومفهوما لا اتحادا في الكمال والانكشاف، لأن الاتحاد لا يمكن في الأفراد المتخالفة: (ألا ترى) الشاعر كيف يئن ويتأوه من نقصه وترقي رفيقه مع

[٢] أي التشكك مشكل بين المشتركين

اعلم أن التشكك مع امتناعه قد يتوهم فيما لبس نفسه، وألبست ماهيته هويته، ولا بست ذاته صفته اسماً ورسماً كالبياض للثلج والعاج. وأما وجود الواجب والممكن فلا يشتركان إلا في العرض العام الذي هو الوجود الغير الذاتي للموجودات...

[٣] فيدخل غير التغاير من التقابل والتضاد والتناقض والتضاييف والتنافي والتباين وعدم الملكة...

[٤] أي المتولد في الأكثر بالاستمرار أو بتناسي سر التشبيه: ألم تر لو تخيلت وجه السماء جبهة ونصف وجه أفطس أعور أو أرمد لرأيت الشمس عينه الباصرة المبصرة. أو توهمت السماء أرضاً أو طوداً مظلياً لأبصرت الشمس عينها الجارية بهاء الحياة وهو الضياء، وقس^(١)...

[٥] أي عكس عكسه المتعكس متعكسا أي «ذا» يتشعب عروقا و «هذا» فروعا^(٢).

[٦] أي التساوي أمه. فكم من مشتق يتجمد^(٣)..

واللفظ [١] إما [٣] طلب [٢] أو خبر [٤] وأول ثلاثة [٥] ستذكر [٦]

[١] أي ذو النسبة التامة.^(٤)

= أنها من نوع واحد.

وانظر إلى النواتات يكون بعضها نخلة وبعضها نخرة مع أن الأصل واحد. فالتواطؤ في الذات فقط. - كالبياض للثلج - إذ لا يفرق بين ماهيته وهويته وذاته وصفته ومفهومه وأفراده فيقع التشكك في حمل البياض على الثلج إما على مفهومه أو على أفراده...

(١) فإن لفظ العين في تلك العبارة مشترك بين الجارية والباصرة قد نُسي علاقة التشبيه بين الجارية والباصرة فصار حقيقة...

(٢) (أي عكس عكسه المتعكس متعكسا الخ) إذ في الاشتراك اللفظ واحد والمعنى متعدد. وفي الترادف بالعكس. فالترادف بالصعود من جهة المعنى إلى اللفظ يتفرع. والاشتراك بالنكوس والتسفل من اللفظ إلى المعنى يتعرق...

(٣) (والتساوي أمه) أي الترادف قسم من التساوي ومتولد منه فكيف جعل قسما آخر؟

فأجاب: (فكم من مشتق يتجمد) أي يصير جامداً ويخرج عن الوصفية وينفرد عن أبيه وأمّه مستقلاً برأسه...

(٤) (أي ذو النسبة التامة) لأن الأقسام من المركبات التامة لا من المفردات ولا من التركيبات الناقصة...

[٢] اعلم أن ابن آدم كمحتاج في تنظيم أطنابه الممتدة إلى الكائنات وإصلاح روابطه المنتشرة إليها إلى إنشائيات تسد حاجاته الفطرية؛ فلتطمين تهوسه «يتمنى»، ولتسكين حرصه «يترجي»، ولترية ميل الاستكمال فيه «يستفهم»، ولميل الاحتياج إلى التعاون «ينادي»، ولإظهار ارتباطه بالحق «يُقَسِّم»، ولتأمين ميل المحاسن «يأمر»، ولتوطين نفرة المساوي «ينهى»، ولسد الحاجات بتوسع المجال «يحل ويعقد»، وقس.. ثم لخاطر ميل جولان الروح في الأزمنة والأمكنة مع النفوذ في أسرار الكائنات «يخبر»:

الحاصل: أن لابن آدم وبنت حواء علماً فعلياً يكون فكرهما مبدأ لخارجياتهما الاعتبارية. ومصورها «الإنشاء». وعلماً انفعالياً يكون الخارج منشأ ذهنياتها. وزعيمه «الخبر».

[٣] أي الحرف المنبث في غيره. وفي التنبيه والقسم طلبٌ ما والمطلوب محال أو ممكن. عدمٌ أو وجود. والوجود في الذهن أو في الخارج. وهو إما حقيقي أو اعتباري.. هذا^(١)..

[٤] أي ما يمكن عقلا في المحصل أن يكذب بتخلف المدلول ويصدق بمطابقة المدلول للمعنى كما هو يصدق لأنه تصديق^(٢)..

وسر الفرق بين الإخبار والإنشاء: أن الخارج في الأول لما كان كالعلة المجامعة لما في الذهن، فمتى جاء الذهني قابله إما بالوافق أو بالخلاف؛ وفي الثاني ما في الذهن كالعلة المعدة. فما دام لم يتم لا خارج له. وإذا جاء الخارج ذهب من حيث هو إنشاء...

[٥] أي أو ثلاثة عشر^(٣)..

[٦] ما أقبح النظم المحوج في المختصر إلى المطول بلا طائل.

(١) (أي الحرف المنبث في غيره) يعني أن (أما) هذه ليست للشرط بل هي حرف للترديد لا مدلول لها مستقلاً بل آلة للغير. (وفي التنبيه والقسم طلب ما) أي نوع من الطلب. والمطلوب في الأول إيقاظ المخاطب وفي الثاني إثبات المدعى أو تأكيده مثلاً.

(٢) (ويصدق بمطابقة المدلول للمعنى) حاصله: أن صدق القضية بمطابقة مدلول اللفظ للمعنى المراد. لكن هذه المطابقة لا تكفي وحدها لصدق القضية بل يلزم تطابق تلك المطابقة للواقع أيضاً كما قال الأستاذ (كما هو يصدق) أي يلزم أن يكون تلك المطابقة أيضاً صادقة أي مطابقة للواقع (لأنه تصديق) أي مصدق يعني هذه المطابقة مصدقة للمطابقة الأولى لولا هذه المطابقة لم تكف الأولى لصدق القضية.

(٣) (أي أو ثلاثة عشر). نعم، قد زاد الأستاذ على ثلاثة الناظم عشرًا من الترجي والتمني.. الخ.

أمر [١] مع استعلا [٢] وعكسه [٣] دُعا [٤]

وفي [٥] التساوي [٦] فالتماس [٧] وقعا

[١] اعلم أنه يتفرع من الأمر -كالنهي- التهديد والتعجيز والتسخير والتسوية والتمني والتأديب والإرشاد والامتنان والإكرام والامتهان والاحتقار والوجوب والحرمة والندب والكره والإباحة والتخير والإيجاد. وكذا التعجب وغيرها، وأمثالها من المعاني الهوائية التي يتشربها لفظ الأمر أو النهي والأمر باعتبار المقامات.

ثم إن الأمر للوجوب، لأن روح الأوامر ﴿كُنْ﴾ وهو تامة للإيجاد. ويتضمن الناقصة أيضاً.

أما الأوامر المتعلقة بأفعال المكلفين، فلإبقاء على الاختيار، استبدال الإيجاد بالإيجاب، لأنهما صنوان، والإيجاب ينتج الوجوب في أمر الخالق دون الخلق، لجواز تخلف مطلوبهم عن طلبهم.^(١)

[٢] أي وإن لم يكن عالياً.

[٣] أي الاستعلاء للغير. (ولقد سفل من استعلى غيراً غير عال).

[٤] ما أجهل من لم يخص بالدعاء من اختص بأمر الإيجاد.

[٥] إذا عصرت «في» و«فا» تقطرت «إن» فلا إشكال.^(٢)

[٦] أي من جهة ما به التساوي إذ قد يتساوى المتباينان.^(٣)

(١) (أما الأوامر المتعلقة بالخير) دفع لما يرد على ما قال: من (أن روح الأوامر (كن) وهو تام بمعنى الإيجاد): أنه لو كان بمعنى الإيجاد لزم أن يكون الأمر المتعلق بأفعال المكلفين أمراً إيجابياً. وبتشرع من هذا (الجبر) والحال (لا جبر ولا تفويض).

وجه الدفع: أن ذلك الأمر استبدل في حق العبد بالإيجاب فهو أمر إيجابي، أي يتعلق الأمر بفعل العبد لها بالاختيار، لا إيجابدي يتعلق بنفس الأفعال.

(٢) (إذا عصرت «في» و«فا»): يعني بعدما تأملت في كون «الفاء» فصيحة وفي كون «في» ظرفية يتقطر من ذلك أن (إن) مع شرطه مقدر: تقديره إن كان التساوي فالتماس، فيخلص التركيب عن الأشكال.

(٣) (إذ المتساويان قد يتباينان) كالمؤمن والكافر في التجارة مثلاً، فالأمر الصادر من أحدهما للآخر التماس من جهة التجارة.

[٧] أي يدأ بيد لا برأس لا بذيل.^(١)

فصل في بيان الكل والكلية والجزء والجزئية

الكل [١] حكمنا [٢] على المجموع [٣] ككل [٤] ذاك [٥] ليس ذا [٦] وقوع

[١] اعلم أن في جملة العالم -بالاختلاط والارتباط- تركيباً متداخلاً متسلسلاً هو مصدر الآثار. وفي الكائنات من الكل نظاماً منبثاً العروق منتشر الفروع، هو مدار الأحكام. فما من كل إلا ويلمح بثمرة من ثمرات التركيب. وما من كلية إلا وهي تلوح بقانون من قوانين النظام... فتأمل!.

[١] وهو كالكلية دون الكلي تصديق والكلي شخص بالنسبة إلى الكلية.^(٢)

[٢] في الحمل تسامح.^(٣)

[٣] أي سواء لكل جزء نفس الحكم أيضاً، أو في جزء منه دخل فيه، أو في وجوده.

أو لا.^(٤)

[٤] حديث بالمعنى. المشهور، لعموم السلب لتأخر النفي -ولسؤال ذي اليمين ب- «أم»

رجح سلب العموم لتنزيه كلامه (ﷺ) عن توهم الكذب ولو سهواً في النسيان. ولأن «ليس

كل» مثل «كل ليس» عند بعض.^(٥)

(١) (يدأ بيد) لا يبعد أن يكون هذا القول إشارة إلى أن المأمور به شرعاً المصافحة باليد لا بالرأس كفعل اليهود. ولا بالذيل كما يفعله الراكعون الرافعون لأعجازهم والخافضون للرؤوس للتعظيم.

(٢) (هو) راجع إلى الكل مع تعريفه المحمول عليه. (كالكلية) أي كالقضية الكلية أي في حكمها (دون الكلي) أي ليس الكل هنا بكلي ذي جزئيات حتى يكون مع محموله قضية، بل المراد منه المفهوم كالإنسان في «الإنسان حيوان ناطق» فهو مع محموله قضية شخصية ذات (تصديق). (والكل) أي بحسب مفهومه (شخص) أي جزئي (بالنسبة إلى الكلية) أي إذا قوبل بها...

(٣) (في الحمل تسامح) لأن الكل ليس نفس الحكم حتى يحمل عليه، والمتحد به إنها هو المجموع.

(٤) (أي سواء) ثبت الحكم (لكل جزء أيضاً) كما في الحديث، على تقدير أن يكون السلب فيه عموم السلب (أو في جزء منه) كالحديث أيضاً على تقدير كون سلبه سلب العموم...

(٥) (حديث بالمعنى) أي لا باللفظ (المشهور) إن السلب في الحديث (لعموم السلب) وهو أعم من سلب العموم (لتأخر النفي) لأن (ليس) بعد (كل) لكن بالنظر لسؤال (ذي اليمين -بأم-) رجح سلب العموم أي لا وقع لا ذا ولا ذاك. (في النسيان) إشارة إلى أن السهو ما وقع من النبي (عليه الصلاة والسلام) إلا وقت النسيان...

[٥] أي القصر والسيان. «ذا. ذاك وكذلك» كالمثل لا يتغيرن.^(١)

[٦] أي عندي أو في ظني..

و [١] حيثما [٢] لكل [٣] فرد حكما فإنه [٤] كلية قد علما

[١] اعلم أن القضية الكلية فذلكة قضايا ضمنية بعدد أفراد موضوعها. مثلا: (كل ضاحك متعجب) إن (كل) أي كل فرد لا الكل المجموعي ولا المنطقي (ماصدق). أي لا حقيقته ولا صفته (عليه الضاحك) بالفعل، لا بالامكان (الفرضي). أي لا الخارجي فقط (من جزئياته). أي لا مع مساه (الإضافية). أي لا الشخصية فقط (يتحد أو يشتمل لذاته). أي لا لمفهومه (متعجب). أي مفهومه لا ذاته. وإلا لم ينتج الشكل الأول بفقدان أيها كان.

[٢] مما أفاض «ما» على «حيث» من العموم والشرط يفرض جامعة التعريف واستلزامه للمعرف^(٢)...

[٣] أي على العنوان له ولو في «أل» والإضافة والموصول وغيره^(٣)..

[٤] إن «أن» أمانة كون مدخولها من الحقائق. وما تشربت من التحقيق جهة الإثبات، كما أن الضرورة جهة الثبوت^(٤)..

والحكم [١] للبعض [٢] هو [٣] الجزئية [٤] والجزء [٥] معرفته [٦] جليلة

[١] أي له، وكذا عنده وعنه. إلا أن البعض فيهما من الأوضاع^(٥)..

(١) (ذا وذاك وكذلك) هذه الكلمات الثلاث (كالمثل) أي مثل ضروب الأمثال لا يتغيرن. فلا يرد ما قيل: من أن المشار إليه هنا اثنان والمخاطبون كثيرون.

(٢) (مما أفاض «ما» على «حيث») يريد أن «حيث» متى لحق به «ما» الكافة يدخل في عداد الأسماء الشرطية ويفيد جامعة التعريف ويحافظ استلزامه للمعرف...

(٣) (أي على العنوان له) أي حكم على مفهومه المشترك بين الأفراد. (ولو في «أل» والإضافة النخ) أي ولو حصل الاستغراق منها..

(٤) (إن «أن» أمانة) أي كما أن (أن) بالفتح تأكيد لمدخولها إن «إن» بالكسر تحقيق لمدخولها، أي لإثبات كونه حقاً فإن الجهة أي الضرورة للثبوت. وتحقيق «إن» للإثبات في الذهن...

(٥) (أي له وكذا عنده) الأول إشارة إلى الحملية، والثاني إلى المتصلة، والثالث إلى المنفصلة. لكن الحكم في الآخرين على الأوضاع والأزمنة.

[٢] على نفسه أو ما يرادفه طراً أولاً وآخرأً، ركنأً أو قيدأً، اسماً أو حرفأً. وما يشابهه معنىً كذلك. «ككم» والعهد الذهني في «أل» والإضافة والموصول^(١)...

[٣] و[هو] هو رافع الموضوع إلى المحمول لينطبعاً أو يتحدأً. وذات الموضوع في المحمول، خرج للجمود. ورابطة تضمنت صورة القضية.^(٢)

[٤] منسوب إلى موضوعها أي العملية الجزئية. أما الحكم على الجزئي ولو اعتبارياً كتهام الأفراد وجميع مراتب الأعداد فشخصية^(٣)...

[٥] أما التصوري فظاهر. وأما التصديقي فإنما هو في ضمن الكل. وإلا ففي التصريح إما شخصية أو كلية أو طبيعية أو جزئية.^(٤)

[٦] أي الجزئية بالمتفرع في ضمن الكل أي في ضمن التصوري. وأما التصديقي فتحقيقه

(١) (على نفسه) أي نفس البعض كبعض الإنسان كاتب. (أو ما يرادفه) أي يدل على ما دل عليه البعض من البعضية مثل طراً أولاً وآخرأً وركناً وقيدأً. فهو لأ الكلمات وإن كانت دالة على البعضية لكن لا تستعمل في أسوار القضية إلا نادراً. (وما يشابهه معنى كذلك) بأن كان بين المعنيين مشابهة لا ترادف (ككم) أي الخبرية مثل: «كم كتاباً قرأته» فإن الكتب المقروءة المخبر عنها بكم بعض قليلاً أو كثيراً (والعهد الذهني في «أل» والإضافة والموصول) هذا الأخير عطف على العهد لا على (أل) إذ دلالة على البعضية ليست لذاته بل بالصلة.

(٢) (وهو) أي لفظه. وله في القضية ثلاث وظائف:

إحداها: رفع الموضوع وجره إلى المحمول (لينطبعاً) إذا كان الثاني أعم (أو يتحدأً) إذا كان مساوياً. الوظيفة الثانية: أنه (ذات الموضوع) أي راجع إلى ذات الموضوع أي لا إلى وصفه، ساكناً ومستترأً (في المحمول) لكن (خرج) من مسكنه كما هنا (للجمود) أي لكون المحمول جامداً.

الوظيفة الثالثة: أنه (رابطة) بين الطرفين يدل ويحافظ على صورة القضية كما يحافظ الطرفان مادتها. (٣) (منسوب إلى موضوعها) العائد للجزئية. تقدير الكلام: العملية الجزئية هي الحكم للبعض. فالعملية موضوع والجزئية صفة لها، أي العملية المنسوبة إلى الجزء أي البعض.. (أما الحكم على الجزئي). هذا مقابل للحكم على كل فرد وعلى البعض. أي الحكم على الجزئية شخصية (ولو) كان كونه جزئياً (اعتبارياً) أي فرضياً (كتهام الأفراد) فإنه جزئي فرضي (ومراتب الأعداد الخ) فإن العشرين وأمثاله ليس من المجموع. فالحكم عليه شخصية...

(٤) (أما التصوري فظاهر) أي أما الحكم على الجزء الذي لا حكم فيه فظاهر أنه شخصية. (وأما التصديقي) أي الحكم على الجزء التصديقي الذي كان موضوعاً لمحمول «كيد حسن» فقد علم حكمه في ضمن الكل في قول الناظم: «وحيثاً لكل فرد»...

وإن لم تكتف بمعرفته الضمنية فقد يكون شخصية «كعينه كحلاء». أو كلية «ككل عين باصرة». أو طبيعية «كالعين آلة للرؤية». أو جزئية «كبعض العين شهلاء»..

تجلبو بالقياس الغير المتعارف المستعمل في إدراج مسائل العلوم في تعريف العلوم. كـ«يده» داخل فيه، وكله حسن فيده لها دخل في الحسن^(١)...

فصل في المعارف

معرفة [١] على ثلاثة [٢] قسم [٣] حد [٤] ورسمي [٥] ولفظي [٦] علم

اعلم أن في بحبوحة فطرة الإنسان احتياجاً ذا ألسنة ضمنية ذات خمسة أسئلة، يقابل بها الحادثات. وينعى بها الوقائع. وينادي بها الكائنات.. المشهور منها «ما» المولد للمبادئ التصورية. و«لِمَه» المدون للمبادئ التصديقية في العلوم.. وتجيها الحكمة بلسان الكائنات المفسر بعضها بعضاً - بالتعريفات - في مقابلة سؤال «ما». وبالأدلة في جواب سؤال «لِمَه».

[١] هو لتعريف الحدود الوسطى، لإدراج الجزئيات تحت الكلّيات، فيسرى إليها حكمها فتسهل الصغرى^(٢)...

[٢] اكتفى بما مرّ من التقسيم عن التعريف لأن بيان المصطلحات ليس من أساسي العلم بشيء. وأما التقسيم فمن المسائل.. ثم إنهم رجحوا «على» على «إلى» نظراً للمبدأ والتحصيل لا المحصل والتعليم. فإن استقراء الجزئيات والأقسام هو الذي يفيد ترتب المقسم على الأقسام.^(٣)

(١) (بالتفرع) أي انكشفت معرفة الجزئية تبعاً في ضمن الكل. (بالقياس الغير المتعارف) وهو الذي لا يكون الحد الأوسط من الموضوعات والمحمولات، بل من متعلقاتها.. (المستعمل في إدراج الخ) مثلاً: هذه المسألة جزء من المنطق، والمنطق يبحث عن الإيصال، فهذه المسألة لها دخل في الإيصال..

(٢) (هو لتعريف الحدود الوسطى) أي القول الشارح لتعريف الأقسام الأربعة، أي الحدين والرسمين، أي يعرفهما للطالين، ليعلموا كيفية تحصيل تلك الأقسام وترتيبها بحيث يجمع تحتها الأفراد ويخرج الأغيار، فينتقلوا بواسطة ذلك الترتيب بسهولة إلى المعارف المجهولات. قوله (فتسهل الصغرى) إشارة إلى المقدمة الأولى من الدليل الذي هو خلاصة «علم المنطق» وقد مر.. والمراد بقوله (الحدود الوسطى) أقسام التعريف..

(٣) (اكتفى بما مر الخ) يعني ترك الناظم التعريف اكتفاء بما ذكر من التقسيم لأن التعريف من المصطلحات، وبيانها ليس من أساسي العلم بشيء أي التصور والتصديق. (ثم إنهم رجحوا «على» الخ) يعني إن نظر إلى أن الجزئيات والأقسام حصلت بالاستقراء. ثم وقع التقسيم على الموجودات الذهنية يترجح «على» على «إلى» لأن «على» يفيد ترتب المقسم على الأقسام الموجودة الحاضرة. وإن نظر إلى أن التقسيم وقع قبل الاستقراء فالأولى «إلى»...

[٣] تقسيم الكلي إلى الجزئيات محصل لحدود الأقسام، إن كان عقلياً. وأما تقسيم الكل إلى الأجزاء فلتحصيل ماهية المقسم في الخارج...

[٤] أي ما اشتمل على حدّي الشيء اللذين تضمنهما «من أين إلى أين» في النشر^(١)..

[٥] هو نظير «برهان الإنّ». كما أن الحد «برهان اللمّ»^(٢).

[٦] هو كالاسمي ناظر إلى الوضع، كما في «القاموس» وتعريفات المصطلحات^(٣)..

فالحد بالجنس [١] وفصلٍ وقعا [٢]

والرسم [٣] بالجنس [٤] وخاصة [٥] معا [٦]

[١] أي فذلّة ماعدا الفصل القريب معه ولو تركباً. والفصل خاصية الشيء الجوهرية. والفصول العرفية مشيرة إليها بنفسها مفردة أو مركبة مفيدة لبسيط. والجنس كالهيوولي، والفصل كالصورة، وهما كالمادة. والترتيب كالصورة في الوجود الذهني.. عرف في الأول لأنه أعرف.. لأنه أعم.. فهو الأول.. ونكر في الثاني، لأنه أخفى.. لأنه أخص^(٤)...

[٢] هو كحاصل ووجد وثبت الحرفية. شأنه الاستقرار. ولكن لغني للنظم أو لأسلوب لطيف، كأن الحد ثمرة^(٥)..

(١) (أي ما اشتمل على حدّي الشيء) أي أوله وآخره ومنشئيه ومنتهاه (في النشر) أي الشرح والفصل.. نعم، إذا فصل الحد مثلاً: ينفصل إلى الجنس والفصل. والجنس إشارة إلى المنشأ والمبدأ، والفصل إلى المنتهى والآخر.. فإذا سألت عن الإنسان: «من أين» يُجاب: من الحيوانية و «إلى أين» يجاب: إلى الناطقية أي الإنسانية فالحد لاشتغاله على الجواب لسؤال المبدأ والمنتهى سميّ حدّاً...

(٢) (هو نظير برهان الإنّ) أي الاستدلال من العلة إلى المعلول (برهان لمي). ومن المعلول إلى العلة (إتّي) كالاستدلال بالنار على الدخان ليلاً. وبالعكس نهاراً. والتعريف بالحد يشبه الأول وبالرسم يشبه الثاني... (٣) (ناظر إلى الوضع) أي لا إلى المعنى (كما في القاموس) أي كل ما في القاموس من بيان اللغات (وتعريفات المصطلحات) لأنها من التعريفات اللفظية التي هي كالأسامي...

(٤) (أي فذلّة) أي الجنس القريب فذلّة وخلاصة لما فوقه من الأجناس العالية والمتوسطة، مع فصولها البسيطة والمركبة «أي كفصل الحيوان فإنه مركب من جزئين الحساس والمتحرك بالإرادة» غير ما تحته كالناطق. والفصل الذي يميز الأنواع عبارة عن جوهر خاص في ذات النوع. والفصول الظاهرة أعراض مشيرة إلى ذلك الجوهر البسيط...

(٥) (هو كحاصل الخ) يعني أن حصل وأمثاله من الأفعال العامة ليست بذات معانٍ مستقلة بل معانيها حرفية لارتباط الكلمات بعضها مع بعض. (شأنه الاستقرار) يعني المناسب معنىً تبدل الوقوع بالاستقرار حتى يكون مستقراً لا لغواً لكن (لغني) ضرورة للنظم (أو لأسلوب) يعني أن الوقوع هنا بمعنى السقوط: فكأنه

[٣] اللام للكمال^(١)..

[٤] اللام عوض الصفة^(٢).

[٥] ولو مركبة من أعراض عامة. ولا دور؛ لأن التعريف المفيد لانتقال طبيعة الفكر يتوقف على وجود الاختصاص في نفس الأمر، لا على العلم بالاختصاص حتى يدور؛ لأن الانتقال ليس باختيارى، وعلم العلم ليس لازماً^(٣).

[٦] إشارة إلى التفتن الذي هو مزج الأجزاء لتوليد الطلب: وكذلك في القياس..

وناقص [١] الحد بفصل [٢] ومعا [٣] جنس [٤] بعيد لا قريب [٥] وقعا

[١] أي المساوي ما صدقاً لا مفهوماً^(٤)..

[٢] أي المقوم للنوع، والمقسم للجنس، والمحصل لحصة الجنس في النوع. فإن تأول بالمركب فذاك... وإلا فالتعريف حدسي^(٥)..

[٣] أي وبعدمه، أو بعده معاً^(٦)..

[٤] أي تمام المشترك بين النوع وبين بعض مشاركيه لا كله.

إشارة إلى أن الحد كالثمرة والمناسب للثمرة الوقوع لا الاستقرار..

(١) (اللام للكمال) إشارة إلى الرسم التام لا الناقص.

(٢) (اللام عوض الصفة) أي جنس قريب.

(٣) (ولا دور) وجه الدور: أن العلم بالتعريف موقوف على العلم بأجزائه. ومنها الخاصة، والخاصة لا تعلم إلا بعد ذي الخاصة. وجه الدفع: أن العلم بالتعريف إنما يتوقف على وجود الاختصاص في نفس الأمر لا على علمه. وكذا إن الانتقال ليس باختيارى حتى يتوقف على العلم بالاختصاص..

(٤) (أي المساوي ما صدقاً) أي أفرداً (لا مفهوماً) إشارة إلى أن الحد الناقص إذا كان بالفصل البعيد أو بالفصلين البعيدين -عند من يجوز التعريف بالأعم- أعم من المعروف...

(٥) (فإن تأول بالمركب) أي الفصل القريب كالناطق مثلاً: إذا تأول بـ«ذات من ثبت له النطق» (فذاك) طيب أي لا يرد على جامعية التعريف (وإلا) أي وإن أبقي على أفرادها بلا تأويل فالتعريف حدسي لا منطقي عند من فسر القول بالمركب في «القول الشارح».

(٦) (أي وبعدمه أو بعده معاً) الأول راجع للجنس القريب. والثاني للبعيد. حاصله: أن الحد الناقص إما بالفصل القريب بدون الجنس. أشار إلى هذا بقوله (وبعدمه) أي الجنس كالناطق... وإما بالفصل مع الجنس البعيد أي بشرط وقوع الفصل بعد الجنس كما قال (أو بعده معاً) فالمعية بعدية كالجسم الناطق لا قبلية بأن يقال الناطق الجسم..

[٥] أي لا.. ولا متوسط^(١)..

وناقص [١] الرسم بخاصة [٢] فقط [٣] أو مع جنس أبعد قد ارتبط [٤]

[١] ولقد أفرزوا له أدنى المراتب. ولكنه قد حاز أعلاها لأنه أطول إخوانه باعاً - أي يدا - وأوسعهم مجالا وأعظمهم وكرراً وأكثرهم لله ذكراً..^(٢)

[٢] أي شاملة أو لا، لازمة أو لا، حقيقية أو لا، بسيطة أو لا، محصلة ولو من المثال أو التمثيل أو التقسيم أو التفسير وقس.. وهذا القسم من الرسم هو الملجأ في تعريف البسائط والأجناس العالية والفصول البسيطة وغيرهما اللاتي لا تحدد. وإن حدث. أما الأشخاص فلا تحدد ولا تحدد - إلا العلوم والقرآن - فانها يحددان بتنزيل أجزائهما بمنزلة الجزئيات.^(٣)

[٣] لو سكت لسقط..^(٤)

[٤] أي بنسبة تفيد المزج كالتوصيفي، لا الإضافي المفيد دخول الإضافة وخروج المضاف إليه.

وما بلفظي [١] لديهم [٢] شهرا [٤] تبديل [٤] لفظ برديف [٥] اشهرا

[١] هذه هي ثلاثة الأثافي. فخذ ما شئت منها من أقوال شراح المتون «أي.. أي»^(٥)

[٢] أي في صنعة المنطقة..

[٣] أي لأن الوضع والدلالة أقرب إلى اللفظ منها إلى المعنى، عكس الفهم

والاستعمال^(٦)..

(١) (أي لا.. ولا متوسط) أي لا أبعد ولا متوسط ليفترق عن الرسم الناقص.

(٢) (وأكثرهم لله ذكراً) لأن توصيف الله تعالى بصفاته داخل في شمول هذا القسم من التعريف..

(٣) (اللاتي لا تحدد) إذ لا جنس لها. والحد لا بد له من جنس (وإن حدث) أي تكون حداً أو جزء حد للغير...

(٤) (لو سكت لسقط) لأن الرسم الناقص إما بالخاصة وحدها أو مع الجنس. فلو كان سكت عن قيد (فقط) ولم يذكره لكان مطلقاً. والمطلق أعم يشمل القسم الثاني أيضاً فيكون ذكره سقوطاً عن الفائدة...

(٥) (ثلاثة الأثافي) شبه أقسام التعريف الثلاثة بالأحجار الثلاثة التي تسمى بالأثافي وتطبخ عليها الأطعمة (فخذ ما شئت) أي اطلب بيان أي قسم من قول أي شارح شئت.

(٦) (لأن الوضع والدلالة الخ) إشارة إلى وجه تسمية هذا القسم باللفظي: حاصله: أن بين اللفظ والمعنى حالات: الوضع والدلالة والاستعمال والفهم. ومدار هذا القسم من التعريف الوضع والدلالة، وهما أقرب إلى اللفظ منها إلى المعنى...

[٤] أي تعقيب.. هذا تعريف الصورة للتعريف، بمعنى المصدر^(١)..

[٥] وإن تفاوتوا مطابقة، تضمنية، التزامية، أفراداً وتركيباً^(٢)...

وشرط [١] كل أن يرى [٢] مطرداً [٣] منعكساً [٤] وظاهراً [٥] لا أبعداً [٦]

اعلم

أنه لما اقتضت العناية الإلهية ترقى البشر واستكمالهم بالمسابقة والمجاهدة؛ لاجرم ما أخذت على أيدي سجاياه وما قيدت ميوله وما حددت أخلاقه. بل أطلقتها يسرح أينما شاء... فتشعبت على البشر الطرقُ صحَّةً وفساداً، قريباً وبعداً.. فإذا جرى ذوو السجايا السليمة إلى الحق رجعوا إلى بدئهم. فوضعوا تعميماً لمسلكتهم في الطبقات السافلة على مظان الباطل والضلال، علاماتٍ للتحرز عن الباطل سموها شروطاً. وإذا امتاز المنطق بتكفل معالجة القوة العقلية وضع للفكر شروطاً - الجامع لها معلوم الصحة وفاقدها فاسد ومجهول الصحة.

[١] أي للتحقق أو الصحة - كما في الحد التام اتفاقاً - أو للعلم بالصحة - كما في غيره

على المشهور.^(٣)

[٢] لأن ظهور العلم بالشرط شرط للعلم بالصحة.

[٣] اعلم

أن أساس هذه الشروط المساواة صدقاً ومفهوماً، وعدم المساواة معرفة وجهالة.. ثم إن

(١) (أي تعقيب.. يعني الأولى تبديل التبديل بالتعقيب لأن التعريف اللفظي ليس عبارة عن رفع لفظ وإقامة لفظ آخر مقامه. بل ترديد لفظ بأشهر منه مع بقاءه في مقامه. ولفظ التبديل لا يفيد هذا المعنى.. (هذا تعريف الصورة للتعريف) أي إن هذا التعريف يعلم صورة التعريف اللفظي لا مادته. فلفظ التعريف المضاف (بمعنى المصدر).

(٢) (وإن تفاوتوا الخ) أي التعريف اللفظي ومعرفه بأن كان أحدهما مفرداً والآخر مركباً. ودلالة أحدهما على المعنى مطابقة والآخر تضمنية أو التزامية..

(٣) (أي للتحقق) إذ الاطراد يدل على وجود التحقق وهو يستلزم وجود الصحة. فهو شرط إما للملزوم أي التحقق. أو اللازم أي الصحة: كما قال (للتحقق أو الصحة). هذا في الحد التام لأنه المتكفل لبيان حقيقة المعرف. أما غيره فغير متكفل ببيانها فالاطراد فيه للعلم بالصحة فقط.

مرجع المساواة كليتان، هما مدار الجمع والمنع.. (مطرذا) أي العدم عند العدم -اللازم بعكس النقيض- لـ «الحدُّ كلُّ المحدود» كبرى. لاندراج الجزئي تحت الكلي^(١)..

[٤] أي الوجود عند الوجود - المدلول لـ «المحدودُ كلُّ الحد» المنعكس لغة بعكس المستوى، المنعكس بعكس النقيض إلى الطرد...

[٥] إذ العلة متقدمة، والتقدم هنا بالظهور.^(٢)

[٦] أي ولا بنفسه ولا بالمضاييف بل بذات المضاييف.^(٣)

ولا مساوياً [١] و [٢] لا تجوزا [٣] بلا قرينة بها نحرزا [٤]

[١] أي كالمضاييف. فالمساواة صدقا كالتضاييف ذاتا. وهو معرفةٌ كهو مفهوم ما منع.^(٤)

(١) (اعلم أن أساس الخ) حاصله: أن المعرفة والتعريف لا بد أن يكونا متساويين ماصداً. وعلامة المساواة بينهما صدقٌ موجبين كليتين من الطرفين، لكن الكليتين في الحملية باعتبار الأفراد والحمل عليهما. وفي الشرطيات باعتبار التحقق في الأزمان والأوضاع. والتعريف مع المعرفة لكونهما من التصورات تتعقد الكليتان بينهما باعتبار التحقق لا باعتبار الحمل.

(ثم إن مرجع المساواة الخ) حاصله: أن الحد لا يصح بالأخص ولا الأعم من المحدود بل يلزم بينهما المساواة في الأفراد. وعلامة تحققها بينهما صدق موجبين كليتين من الطرفين: إحداهما تدل على كون الحد (مطرذا) أي جامعاً لأفراد المحدود. عبر عنها بـ (الحدُّ كلُّ المحدود) دالاً على عدم الأخصية والأعمية بينهما مع دلالة على الاطراد. وفسرها (بالعدم عند العدم) أي جعل نقيض الحد موضوعاً ونقيض المحدود محمولاً: مثل (كل لا ناطق لا إنسان) في تعريف الإنسان بالناطق حداً ناقصاً.. ولما كان التفسير غير دال على جمع الأفراد بمنطوقه مع مخالفته للتعبير في ترتيب الطرفين -دفعه توصيفا باللازم لـ (الحد كل المحدود): يعني أن التفسير وإن لم يطابق التعبير لكنه لازم له. والدلالة على اللازم معتبرة عند المنطقي... وجه اللزوم بينهما بقوله (كبرى) أي يجعل (الحد كل المحدود) كبرى وكل جزئي داخل في موضوعه الذي هو (الحد) الكلي الشامل لجميع الحدودات (صغرى) مثل (الحيوان الناطق حد، والحد كل المحدود، فهو كل المحدود).. وهكذا أمثاله.. وبهذا يثبت اللزوم.. والجملة الثانية الدالة على عكس الحد أي دفعه للأغيار (المحدود كل الحد)، فسرهما بـ (الوجود عند الوجود) أي وجود المحدود عند وجود الحد. مثل (كل ناطق إنسان) المنعكس لغة إلى (كل إنسان ناطق) المنعكس بعكس نقيضه أي كل لا ناطق لا إنسان (إلى الطرد) أي دفع الأغيار أي تحقق المعرفة عند تحقق التعريف. هذا هو المنع.. وقد أشار إلى هذا بقوله (المحدود كل الحد).

(٢) (إذ العلة متقدمة) أي التعريف علة للمعرف، وتقدمها إنما يعلم بالظهور معنى...

(٣) (أي ولا بنفسه) عطف على (بمفهومه) المقدر بعد قوله (لا أبعدا) أي لا بد أن يكون التعريف غير بعيد عن الفهم لا بمفهومه ولا بذاته. وكذا إذا كانا من المتضاييفات لزم أن يكون عنوان التعريف التضاييفي غير بعيد عن الفهم لا ذاته.

(٤) (أي كالمضاييف) الكاف للتشبيه لا للتمثيل أي كما أن المساواة من جهة المعرفة بين التعريف والمعرف مانع

[٢] لا تتشرب «الواو» هذه اللآآت العدولية.^(١)

[٣] أي غير المتعارف وإلا فالمتعارف كالحقيقة العرفية - كما أنه أبلغ - حسن.

[٤] فبدون المانعة باطل وبدون المعينة قبيح.^(٢)

ولا بما يدري [١] بمحدود ولا مشترك عن القرينة [٢] خلا

[١] أي يدور صريحا أو ضمناً والدور تسلسل بحركة الوضع.^(٣)

[٢] وهي في المشترك المعينة فقط. وفي الكناية المنتقلة. وفي المعينة وفي المجاز المانعة.

وعندهم [١] من جملة [٢] المردود [٣] أن تدخل [٤] الأحكام [٥] في الحدود

[١] اعلم أن المقصود من التعريفات تصوير موضوعات الأحكام. فإدراجها فيها

نظير المصادرة.^(٤)

[٢] أي منها أيضاً ذكر الألفاظ الغريبة الوحشية، والتطويل من غير طائل. والطائل

توضيح أو تحصيل ماهية أو تمييز.^(٥)

[٣] أي يرده نظام الصنعة.

[٤] أي لا بد أن يكون في التعريف هوى الأحكام، لا صورتها كالزراعة أو النواة.^(٦)

= يخل كذلك التضاييف بينها مانع. لكن المساواة صدقا والتضاييف ذاتا لا مفهوما غير مضر. (وهي) أي

المساواة (معرفة) أي من جهة المعرفة (كهو) أي كالتضاييف (مفهوما) أي من جهة المفهوم...

(١) (لا تتشرب الواو الخ) أي يختل المعنى إن لم يكن في تلك المعطوفات (لا) لأن حرف العطف لا تتضمن

(لا) ولا تفيد ما أفاده (اللآآت العدولية) أي صارت كالجزم لدخولها كالمعدولة المحمول...

(٢) (فبدون المانعة) يعنى إن وجد في التعريف مجاز فلا بد من وجود قرينه مانعة للمعنى الحقيقي، وأخرى معينة

للمعنى المراد؛ فإن لم يوجد المانعة فباطل أو المعينة فقبيح..

(٣) (والدور تسلسل بحركة الوضع) أي يفرض أن يتحرك وضع الواضع ويتكرر من أحد الطرفين إلى الآخر

مرة بعد أخرى رجاء أن يزول ويقف التوقف إلى غير النهاية فينقطع التسلسل...

(٤) (فإدراجها فيها) أي الأحكام في الحدود (نظير المصادرة) التي يرتكبها الظالمون..

(٥) (أي منها) أي من جملة المردود (والطائل توضيح) أي إن كان التطويل لتوضيح الألفاظ الغريبة أو تحصيل

حكم آخر في التعريف أو التمييز كل التمييز فليس داخلا فيما لا طائل..

(٦) (أن يكون في التعريف هوى): المراد من الهوى المادة كالجنس والفصل ومن الصورة ترتيبها.

(كما ينبغي) مشبه به لـ (لا بد) أي لا بد أن يكون الخ كما ينبغي الخ. (ولا يضر عموم آلة التصور) كتصور

الإنسان في ذلك المثال بالجمعية...

كما ينبغي تصوير الموضوع بوجه صالح قابل للمحمول ومفيد لا أقرب ولا أبعد. فتصور الإنسان في «الإنسان حيوان» بالحيوانية لغو. وبالشيثية غير مفيد. ولا يضر عموم آلة التصور، فإن المحمول يصلحه لنفسه.

[٥] أي مطلقاً فيها وفي الرسوم الأحكام المطلوب إثباتها.

ولا يجوز [١] في الحدود [٢] ذكر أو [٣] وجائز [٤] في الرسم [٥] فادر مارووا

[١] أي في شريعة الصنعة الحاكية عن الطبيعة المانعة عن اجتماع المثلين وتعدد الحقيقة^(١)..

[٢] أي الحقيقة^(٢)..

[٣] أما التشكيكي فلضديته للتعريف. وأما ما يرى من «أو» التقسيمي، فللتقسيم ثم لتحديد الأقسام..

[٤] أي جاز ووقع...

[٥] إذ قد يكون منقسم كذا خاصة^(٣)...

فصل في القضايا وأحكامها

ما [١] احتمال [٢] الصدق [٣] لذاته [٤] جرى [٥] بينهم قضية وخبرا

اعلم أن في العالم اختلافاً وتغيراً ونظاماً شاملاً. فالاختلاف هو الذي أظهر الحقائق النسبية التي هي أكثر بكثير من الحقائق الحقيقية. والنسبة لها وقع عظيم قد التفت رعايتها بوجود شرور مغمورة. فلولا القبح لانتفى حسن المحاسن الكثيرة.. ثم إن التغير هو الذي كثر تلك الحقائق النسبية، ثم النظام هو الذي سلسلها وفننها. وتماثل تلك النسبيات هي القضايا الكونية التي هي تفاريق القضايا، التي هي «تفاصيل القدر الإلهي»...

(١) (أي المانعة عن اجتماع المثلين) أي الحد عبارة عن حقيقة الشيء. ولكل شيء حقيقة واحدة لا تعدد فيها ولا تماثل. وينفهم من (أو) تعدد الحقيقة. ومن تعددها اجتماع المثلين، وكلاهما باطل.

(٢) (أي الحقيقة) أي المراد بالحد الحقيقة أي الماهية.

(٣) (منقسم كذا) بأن يذكر شخص بخواصه بـ (أو) مثل «هو الزراع أو الكاتب» وهذان المذكوران بـ (أو) خاصة للرجل أي إن لم يوجد موصوف بهما غيره، والتعريف بالخاصة رسم.

ثم اعلم أيضاً أن غاية فكر البشر صيرورة النفس الناطقة خريطة معنوية للكائنات بارتسام حقائقها في النفس. ومعرفة كثير من الحقائق بالنسب. وهي قضايا.. وهي نتائج. وهي بالدلائل.. وهي بأجزائها. وهي أو أجزائها موضوعات أو محمولات. وهي بتصوراتها.. وهي بالتعاريف. وهي بأجزائها.. وهي الكليات الخمس..

[١] أي ملفوظ ومعقول^(١)..

[٢] أي بسبب تمثاليته لما في نفس الأمر له خاصية قابلية المطابقة وعدمها. لكن بالمطابقة. وإلا فما من تصور إلا ويستلزم تصديقا أو تصديقات.^(٢)

[٣] أي دل على الصدق لفظاً وجاز الكذب عقلاً، بناء على تخلف المدلول.^(٣)

[٤] أي بالنظر إلى المحصل كـ «ج ب»^(٤)..

[٥] مجاز عن «يسمى» مجاز عن «يعرف» مجاز عن «هو هو».^(٥)

ثم القضايا عندهم [١] قسمان [٢] شرطية [٣] حملية [٤] فالثاني [٥]

[١] التقييد بأمثال هذا القيد لدفع المناقشة والتبري عن المسؤولية، إذ الاصطلاح لا يسأل عنه...

[٢] وهما أساسان للاقتراي والاقترايات..

[٣] وهي أو السلب عنه في المنفصلة. أو عنده في المتصلة اتفاقاً أولاً.. إلا أن المتصلة

(١) (ملفوظ ومعقول) أي القضية لكونها معقولة (معقول). ولكونها لا تفاد إلا باللفظ (ملفوظ) ف (ما) ملفوظ ومعقول.

(٢) (فا من تصور إلا ويستلزم الخ) نعم، تصور زيد مثلاً: عبارة عن حصول صورته في الذهن. ولا ينفى أن هذا يستلزم «صورته حاصلة» و «هذه الصورة لزيد» وغيرهما من التصديقات. فلو لم يشترط دلالة تلك الخاصية على المطابقة وعدمها بالمطابقة. بل كانت مرسله لكانت شاملة لغيرها أيضاً ولكانت التصورات باعتبار ذلك الاستلزام داخلية في شمول احتمال الصدق..

(٣) (بناء على تخلف المدلول) إشارة إلى أن الكذب بفقدان المدلول لا بعدم المطابقة، إذ لا واقع للكذب حتى يطابقه.

(٤) (أي بالنظر إلى المحصل) أي المفهوم مع قطع النظر عن الخارج والدليل والبداهة كـ (ج ب) أي مثل ج ب في أن لا يقصده إلا المفهوم.

(٥) (مجاز عن هو هو) أي القصد من التعريف الاتحاد بينه وبين المعرفة بحمل المواطة.

عند أكثر أهل العربية والشافعية حكمها في الجزاء، وهو العلة، والشرط قيد.. وعند الحنفية وأهل المنطق الحكم بين الجزاء والشرط.. ولقد تفرع وتشعب من هذا الاختلاف مسائل كثيرة: منها المشهورة كـ «إن تزوجت بك فأنت طالق.. وإن تملكك هذا فهو وقف» فهذا لغو عند الشافعية لوجود العلة حيث لا محل، دون الحنفية لأن العلة إذا انعقدت تصلح المحل. ومنها الاختلاف في المفهوم المخالف^(١)...

[٤] أي الثبوت والسلب له بالاتحاد أو الاشتغال.^(٢)

[٥] أي هو الأول^(٣)..

مقدمة في المحرّفات

اعلم أن أرجحية الإفادة والإعلام -لتصوير الشيء على ما هو عليه- حرّفت طبيعة المسائل عن قانونها.. فكم من «شرطية» تجلت في لباس «الحملية». و.. «حملية» تزيت بزيتها. و.. «متصلة» احمرت تحت «المنفصلة». و.. «كلية» استترت تحت «الجزئية». و.. «موجبة» تبرقعت «بالسلب». ورب قياس اندمج في «قضية». و«القضية» اختفت في «صفة أو قيد بل حرف». «وكم» من المعاني الطيارة: توضع على أحد أغصان الكلام.. وكم من كلمة: تشربت طائفة من تلك المعاني..

وتحقّقه: أن كل علم يبحث-أي بالحمل الثبوتي- عن الأعراض -أي الصفات التامة- الذاتية -أي اللازمة الشاملة الواجب الثبوت- للشيء - أعني الموضوع.. فكانت مسائل كل علم «قضايا حملية موجبة كلية ضرورية في الخارج نظرية في الذهن».. «فما ترى» من الشرطيات والسوالب والجزئيات والممكنات والبدهييات - فإما من المبادئ التصورية، أو المبادئ التصديقية، أو الاستطراديات، أو متأولة بوجه من وجوه التلازم، أو مقدمة من مقدمات دليل المسألة أقيمت مقامها.. تأمل!

(١) (وهي أو السلب الخ) أي الحكم بين الطرفين في المنفصلة بالبعد والانفصال. وفي المتصلة بالمقارنة والاتصال (اتفاقاً) أي اتفاقية بلا لزوم (أولاً) أي مع اللزوم بين الطرفين. وفي الحملية بالحمل والثبوت..

(٢) (أي الثبوت والسلب له) الضمير للثبوت (بالاتحاد) إذا كانا متساويين (أو الاشتغال) إذا كان أحدهما أعم..

(٣) (أي هو الأول) لأن الحملية لكونها جزءاً للشرطية حقها في البيان الأولية..

كلية [١] شخصية والأول إما مسوّر [٢] وإما مهمل [٣]

والسور [٤] كلياً [٥] وجزئياً [٦] يرى [٧] وأربع [٨] أقسامها حيث جرى [٩]

[١] أي ما فيه اشتراك.. فإن نظر إلى الطبيعة فإما مع جواز سريته إلى الأفراد، كالحمل في التعاريف على القول بقضيتها، أو بدون السراية مع ملاحظة الأفراد، كحمل المعقولات الثانية على الأولى، في كل ما يرى، أو بدون الملاحظة وبدون السراية كـ «الإنسان مفهوم ذهني». فهذه الثلاثة طبيعية..

ومنها الكل المجموعي وكل مراتب الأعداد. وهي في حكم الكلية في كبرى «الشكل الأول»^(١)..

[٢] أي التي مناط الحكم نصب العين كميتها^(٢)..

[٣] وهو في المقام الخطابي في حكم الكلية. والاستدلال في حكم الجزئية.^(٣)

[٤] اعلم أن للسور مقامات مختلفة وصوراً متفاوتة؛ فقد يدخل على المحمول ويصير القضية منحرفة للطائف..

ثم إن القضية تتضمن قضايا ضمنية بعدد القيود.. فكأن الحكم لما تداخل بين القيود أنبت في كل قيد حكماً ضمناً يشار إليه بالإعراب. ففي «كل مؤمن حقه الصدق بالضرورة» أولاً: إثبات حقية الصدق للمؤمن. ثم ثبوت حقية الصدق للمؤمن عمومي. ثم ثبوت حقية الصدق لعموم المؤمن ضروري.

(١) (أي ما فيه اشتراك) «ما» موصوفة شاملة لكل الكليات كما قال (فإن نظر الخ) أي إلى ذلك المفهوم المشترك إذا حكم عليه. فأما جواز سراية الحكم إلى الأفراد - كما في حمل التعاريف على المعارف - كحمل (الحيوان الناطق) على الإنسان. أو مع عدم جواز السراية. لكن مع ملاحظة قبول الأفراد ومناسبتها لذلك الحكم كحمل المعقولات الثانية على الأولى مثل (الإنسان نوع). أو لا سراية ولا ملاحظة مثل (الإنسان ذو مفهوم ذهني). فهذه الثلاثة من الكليات الطبيعية...

(ومنها) أي من الكلية لا الشخصية (الكل المجموعي) لأن له أجزاءً بمنزلة الجزئيات للغير. (ومراتب الأعداد) كالعشرة والمائة وما بينها لأنها وإن لم تكن من الجموع لكنها في كبرى (الشكل الأول) في حكم الكلية...

(٢) (أي التي مناط الحكم الخ) تذكير (المسور) وتأنيث الضمير في (كميتها) دليل على أن (التي) صفة (الكلية) أي الكلية التي مناط الحكم كميتها.

(٣) (في المقام الخطابي) أي في الظنيات..

اعلم أن العكسين والتناقض والقياس - كما تنظر إلى القضية الأولى - تنظر إلى القضيتين الأخيرتين وتتنوع بسببهما.. فإن أحببت أن ترى تفاصيل السور وتفاصيل الجبهة، فانظر في «تعليقاتي» على «الكلنبوي»: إذ إنها أجدى من تفاريق العصا^(١)...

[٥] أي لا المجموعي بل الإفرادي، لا البدلي بل الاطلاقي.

[٦] أي يدل على البعض ولو في ضمن الكل، لأن أهل الاستدلال لا ينظرون إلى المفهوم المخالف، بسر ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (الإسراء: ٣٦)^(٢)

[٧] أي فينقسم، فيكون، فيرى، إذ وجود المقسم بوجود الأقسام^(٣)..

[٨] أي ينقسم باعتبار الكيف، فتتربع الأقسام فأينما صادفته فهو أحد الأربعة...

[٩] أي لا يتشعب بالجريان ولا ينقسم بتنوع العروض.

إما بكل [١] أو ببعض [٢] أو بلا شيء [٣] وليس بعض [٤] أو شبه جلا [٥]

وكلها [٦] موجبة [٧] وسالبة [٨] فهي [٩] إذن إلى الثمان [١٠] آية [١١]

[١] أي وكذا ما يرادف؛ «أكتع، طراً، قاطبة، كافة، واللام، والإضافة. والموصول الاستغراقية»^(٤)..

[٢] أي وكذا ما يرادف؛ «قطعة، طائفة، واحدة، قليل، شيء، كثير، والتنوين، والتقليل، والعهد الذهني» في اللام وأخويه^(٥)..

(١) (كما تنظر إلى القضية الأولى الخ) يعنى «أن الموضوع والمحمول» في القضية الأصلية - كما أنها منظوران في العكسين والتناقض - كذلك القيودات الدالة على الكمية والكيفية والجبهة في القضية الأصلية معتبرة وملحوظة فيها. وبسببها تتنوع المحصورات والموجهات..

(٢) (لأن أهل الاستدلال) دفع لما يقال: إذا قلت «بعض الإنسان حيوان» يفهم من المفهوم المخالف أن البعض الآخر ليس بحيوان. وجه الدفع: أنهم لا ينظرون إليه..

(٣) (أي فينقسم الخ) إشارة إلى ما يرد على الناظم: من أن رؤية الأقسام بوجودها وهو بعد انقسام القسم. ولا يكفي ان فهم الأقسام بالرؤية والجريان بين الناس. بل لابد من التقسيم صراحة..

(٤) (اكتع) بدل (ما) لا مفعول ليرادف (الاستغراقية) صفة للثلاثة الأخيرة أي إذا أريد منها الاستغراق والعموم..

(٥) (وأخويه) أي الإضافة والموصول.

[٣] أي وكذا ما يماثل «لا واحد. ولا قطعة». وقس على «لا» «ما. ليس. إن» - وعلى «شيء» كل ما هو سور الموجبة الجزئية بشرط التنكير وعدم الإضافة^(١)..

[٤] أي وكذا كل ما دخله النفي مطلقاً من السور الموجبة الجزئية، لكن بشرط الإضافة والتعريف. وكذا دخول النفي على كل الموجبة الكلية، لكن بشرط تقدم النفي^(٢)..

[٥] مثل «في الأغلب، وعلى الأكثر، وبالجمله، وفي الجملة، ونادراً، وقليلًا»، وقس...

[٦] أي وغير المسورتين كالمسورتين.^(٣)

[٧] والإيجاب وجود، إنما يتحقق بوجود جميع الأجزاء. والسلب عدم، يصدق بعدم أي جزء كان. والغالب بعدم الأخص..

[٨] وسلب الطرف عدول يقتضي قابلية المحل، ووجود الموضوع؛ لأنه عنوان أمر محصل. وسلب النسبة. ثم جعله محمولاً سالبه المحمول ومخمسة الأجزاء ومكررة ملاحظة النسبة، ومعدولة ذهنية في الخارجية^(٤)..

[٩] أي فالأربعة قبل الثمانية. إذا «كالنائم مستيقظ».^(٥)

[١٠] أي السوالب محصلة، لأنها تصديقات الأعدام لا تكذيبات الوجودات. فإن تصديق العدم المحصل، غير تكذيب الوجود الغير المحصل وإن استلزمه.

(١) (وعلى شيء) متعلق بلفظ (قس) (بشرط التنكير وعدم الإضافة) أي ليكون أعم فلا تختل الكلية.
(٢) (النفي مطلقاً) أي أي نفي كان (بشرط الإضافة) أي إذا كانت للاستغراق والعموم لأن نفي الاستغراق جزئي...

(٣) (وغير المسورتين كالمسورتين) أي الشخصية والمهمله في الانقسام إلى الإيجاب والسلب...
(٤) (وسلب الطرف) أي إذا كان محمول القضية مسلوباً فهي معدولة. وشرطها أن يكون الموضوع موجوداً وقابلًا للمحمول المسلوب أي قبل السلب فلا يصح «العناء لا طائر» لعدم الموضوع ولا «زيد لا حجر» لعدم قابلية المحل (وسلب النسبة) إشارة إلى القضية السالبة المحمول، وهي أن يسلب النسبة بين الطرفين. ثم يجعل المحمول المسلوب النسبة محمولاً فيصير أجزاؤها خمسة. الطرفان. والثبوت بينهما. وسلب ذلك الثبوت. وثبوت ذلك المسلوب للموضوع (ومكررة ملاحظة الثبوت) بإضافة المكررة. أي يلاحظ الثبوت مرتين قبل السلب وبعده.. ويفرق بين تينك القضيتين على الأكثر في الثانية بـ(لا) في المعدولة وبـ(ليس) في السالبة. وفي الثلاثية بتقديم الرابطة على النفي في المعدولة وتأخيرها عنه في السالبة (ومعدولة ذهنية في الخارجية) مثلاً: «الماء ليس بجامد» قضية خارجية لكن محمولها ذهني..

(٥) (فالأربعة قبل الثمانية) إشارة إلى أن في كلام الناظم سقطة.. إذ الأقسام تكون أربعة ثم تنتهي إلى الثمانية فهي مثل «النائم مستيقظ» إذ اليقظة قبل النوم...

[١١] أيها الناظم! أظنك تظننا صبيانا طالين لمبادئ الحسابات.

والأول [١] الموضوع [٢] في الحملية والأخر [٣] المحمول بالسوية [٤]

[١] أي حقه الأول لأن المراد منه الذات..

[٢] وموضوعية الموضوع غير محموليته وغير موضوعية المحمول؛ لاختلاف الجهة. كما في حمل الواجب الأعم على الخاصة المفارقة في «كُلُّ ضاحك إنسان». وجزء القضية موضوعية الموضوع؛ لأن الجهة تنظر إليها.

[٣] أي ما شأنه «الآخر» كما في أصل الحمل؛ لأن المراد منه المفهوم وإن كان ذاتا مثل «زيدٌ حجر».

[٤] «السوية» سيئة الضرورة..

وإن [١] على التعليق [٢] فيها قد حكم فإنها [٣] شرطية وتنقسم

[١] اعلم أن الشرطية -التي مرت الإشارة إليها- تنقسم باعتبار «النسبة»: اتصالا وانفصالا... «والجهة»: لزوما واتفاقا. عنادا وتصادفا.. «والمطابقة»: صدقا مع صدق الطرفين وكذبها وكذب الأول أي المقدم أي لامع كذب التالي أيضاً لكونها محل الحكم.. لو كانت كاذبة كانت القضية بتهامها كاذبة. وكذا مع كذب الطرفين وصدقها والاختلاف.. «والكيفية»: إيجابا مع سلب الطرفين وإيجابها والاختلاف. وسلبا مع إيجاب الطرفين وسلبها والاختلاف. «والتركيب»: إلى المركبة من حمليتين ومتصلتين أو منفصلتين أو مختلفتين.. «والصورة»: إلى: الأصلية والمنحرفة، والمشبّهة بالحملية بتقديم الموضوع على أدوات الشرط.. «وإضافة النسبة» إلى متخالف الطرفين نظير الولادة في المتصلة فيها الترتيب الطبيعي -أي بأن يكون الأول منشأ وعلّة للآخر كطلوع الشمس ووجود النهار- وإلى متشابه الطرفين نظير الأخوة في المنفصلة.. «والكمية»: إلى: الكلية باعتبار الأوضاع الشاملة للأحوال والأزمنة والأمكنة. وسورؤها في المتصلة الموجبة «كلما، مهما، متى، حيثما، كيفما، أبداً، دائماً». وقس عليها ما يناظرها وما يتضمنها. وفي المنفصلة الموجبة «البتة، بته، بتلة، مستمرا، دائماً، أبداً». وكذا الجهات الدائمة في الحملية سورُ الكلية في المنفصلة وقس عليها ما يشابهها وما يتضمنها حرفا وفعلًا واسما. وفي السالبة الكلية فيها «ليس البتة، ما أبداً، لا دائماً». وقس على النفي ما

يشابهه وعلى مدخوله ما يئالته. وإلى الموجبة الجزئية. وسورها فيها «قد يكون». وإلى السالبة الجزئية. وسورها «قد لا يكون» وقس على «قد» ما يتضمنه من التقليل والتكثير ما يئالته وعلى «يكون» ما يشابهه من الأفعال العامة والناقصة التامة، وقس على الحرف الفعل والاسم. وإلى الشخصية بالتقييد بوقت معين كالآن واليوم وغدا وهكذا... وإلى المهيمة: ففي المتصلة بـ«لو، وإن، وإذا». وفي المنفصلة بـ«إما وأو!»^(١)...

[٢] أي حكم بالتعليق فبنى الكلام على التعليق. وبسر التلازم وتضمن المنفصلة للمتصلة يشملها التعليق.^(٢)

[٣] «الفاء» للزوم، و«إنّ» لليقين، و«الهاء» للربط بين الجزئين والاتحاد بين الحد والمحدود..

أيضاً إلى شرطية متصلة [١] ومثلها [٢] شرطية منفصلة [٣]

[١] إما «لزومية» ادعائية أو حقيقية، كما بين كل المتصايفات وكل المتساويات، وبين

(١) (فيها الترتيب الطبيعي الخ) حاصله: أن المتصلة يراعى فيها الترتيب الطبيعي لأن أحد جزئيهما على الأكثر منشأ وعلة للآخر كالأب والولد فيقدم الأب ويؤخر الولد (كطلوع الشمس ووجود النهار).. وفي المنفصلة الطرفان متشابهان في العناد والانفصال: كما أن هذا معاند لذلك هو أيضاً معاند لهذا.. حتى ليس العناد في أحدهما زائداً أو ناقصاً كأنهما أخوان انقسم العناد بينهما على السوية، فليس فرق يرجح تقديم أحدهما على الآخر. بل الترتيب في أجزائها على إرادة القائل.

(وإلى متشابه الطرفين) أي في العناد والانفصال كأنهما أخوان لا يزيد أحدهما على الآخر في العناد. وفي الانفصال متشابهان لا يجتمعان كالزوج والفرد. (والأزمة) عطف على الأوضاع لا على الأحوال. (وكذا الجهات الدائمة) كالضرورة والدوام (سور الكلية) خبر للجهات (ما يئالته) فاعل ليتضمنه (من الأفعال العامة) كحصل، ثبت، وقع، وجد، كان، لآبَس. استقر (والناقصة التامة) ككان بمعنى وجد. لكن توصيفها بالناقصة حكاية عن حالها الماضي..

(٢) (أي حكم بالتعليق) أي الارتباط بين الجزئين أي فكان حق العبارة تعديته بالباء أي كما كان الحكم في الحولية بالثبوت لا على الثبوت كذلك الحكم هنا بالتعليق لا على التعليق. وإلا لزم أن يكون التعليق محكوماً عليه وليس كذلك..

(فبنى الكلام على التعليق) أي التأخير والتردد الدال عليها (إن)..

(وبسر التلازم الخ) دفع لما يرد: من أن التعريف غير جامع لخروج المنفصلة عنه إذ الحكم فيها بالانفصال لا بالارتباط. وجه الدفع: أن كل جزء من المنفصلة يستلزم نقيض الآخر. فهذا الاعتبار يكون المنفصلة مستلزمة للمتصلة ومتضمنة لها. نعم: «العدد إما زوج أو فرد» يستلزم «كلما كان زوجاً فهو لا فرد». فهذا الاعتبار يشملها التعليق فلا تبقي خارجة عن التعريف.

الأصل مقدماً وبين العكسين، وبين التعريف والمعرف، وبين الدليل مقدماً والنتيجة، وبين الأخص مقدماً والأعم، وبين العلة والسبب والعلامة مقدماً وبين المعلول وغيره وقس..

«أو اتفاقية» أي العلاقة بين الجزئين مستترة ليست بارزة لظاهر النظر، إذ الصدفة عقيدة فاسدة. والسلب سلب الاتصال لا اتصال السلب. إذ حكمة التسمية لا يلزم أن تطرد^(١)...

[٢] أي في التعليق، لاستلزامها أو لتأولها بها أو لانكشافها عنها^(٢)..

[٣] إما عنادية كما في العناديات أي المتناقضات والمتضادات والمتقابلات، وكل ما ذكر من مظان الاتصال مع تبديل أحد الطرفين بنقيضه وقس!.. وإما اتفاقية بأن لم تظهر العلاقة وإن كانت...

جزأهما [١] مقدم [٢] والتالي [٣] أما بيان [٤] ذات [٥] الاتصال

ما [٦] أوجبت تلازم [٧] الجزئين وذات الانفصال دون مين

[١] اندمجت أربع قضايا في واحدة، إذ الثنيتان في حكم التكرير.^(٣)

(١) (كما بين كل المتضايقات) كالأب والابن. وجه التسمية: أن كلا يضاف في المعرفة إلى الآخر إذ يقال: الأب من له ابن وبالعكس. (وبين الأصل مقدماً) إذ لو كان العكس مقدماً والأصل تالياً لا يطرد اللزوم. وكذا إن كان النتيجة أو الأعم أو المعلول مقدماً والدليل أو الأخص أو العلة تالياً لم يطرد اللزوم والاستلزام بين الطرفين مثلاً: لا يقال كلما تحقق الحيوان تحقق الإنسان (أي العلاقة بين الجزئين مستترة) شد الأستاذ هنا عما عليه أهل المنطق من عدم العلاقة بين جزئي الاتفاقية مشيراً إلى أن لا اتفاقية إلا وفيها علاقة مستترة لا تظهر لظاهر النظر. مستدلاً بأن التصادف كما لم يكن ولم يمكن في ماديّات الكائنات لزم أن لا يوجد في المسائل العلمية أيضاً..

غاية ما في الباب أن بعض العلائق مستورة عن بعض الأبصار والبصائر (والسلب سلب الاتصال) إشارة إلى ما يرد: من أنه إذا كان السلب في السالبة مضافاً إلى الاتصال لا يجوز عدها من المتصلات وإن كان مضافاً إليه للاتصال لا يكون سالبة بل هي إذاً موجبة معدولة.. وجه الدفع: أن وجه التسمية لا يلزم وجوده في كل الأقسام..

(٢) (أي في التعليق لاستلزامها) وجه المثلية: بأن في المنفصلة أيضاً تعليقاً بين الجزئين لاستلزام المنفصلة للمتصلة كما مر.. أو لتأولها بها يجعل كل جزء منها مقدماً لنقيض الآخر..

(٣) (أربع قضايا) هي المتصلة الموجبة والسالبة والمنفصلة كذلك (في واحدة) أي قضية واحدة. بل في كلمة واحدة أعني (جزأهما) إذ فيها ثنيتان إذا ضرب أحدهما في الآخر يحصل أربعاً.

[٢] أي طبعاً في المتصلة، لتخالف طرفي اللزوم. ووضعاً في أختها، لتشابه طرفي المعاندة^(١)..

[٣] كالمقدم^(٢)..

اعلم أن الشرطية تتعدد في السالبة بتعدد المقدم. وفي الموجبة بتعدد التالي صريحاً أو ضمناً. وفي العملية بتعدد كلا الطرفين صريحاً أو ضمناً. قيل: أو معنى..

[٤] أي التعريف باعتبار الجزء الصوري الذي هو مأخذ الفصل^(٣)..

[٥] أشار إلى أن لفظ المتصلة من «ذي كذا» إذ المتصلة من المصطلحات، والمصطلح ليس من المشتقات ولو في صورة المشتق بل جامد ينسب إليه^(٤).

[٦] أي فهو ما أوجبت باعتبار الدلالة ظاهراً، إذ الاتفاقية لزومية بعد الاتفاق^(٥).

[٧] أي تشارك في اللزوم مصدر للمعلوم والمجهول.

اعلم أن اللزوم عقلي، أو حسي، أو عادي، أو عرفي، أو اصطلاحی، أو شرعي «جزئياً أو كلياً».

فإن قيل: إن كان اللزوم «لا» فلا لزوم. وإن كان تسلسل ولزم الموجب بالذات..

قلت: اللزوم وكذا كل ما نوعه فرد، وذاته صفته كالوجود ونحوه نوعه منحصر في

(١) (أي طبعاً) أي تقدّم المقدم على التالي أمر طبيعي يقتضيه الطبيعة (في المتصلة) لأن طرفي اللزوم فيها متخالفان: أحدهما لازم، والآخر ملزوم. واللازم بعد الملزوم (ووضعاً) أي على كيف الواضع في المنفصلة إذ الطرفان فيها متساويان في العناد لا فرق بينهما يكون سبباً للترجيح في التقديم والتأخير..

(٢) (كالمقدم) أي تأخر التالي طبيعي كالمقدم لما ذكر.. اعلم أن السالبة الشرطية إذا تعدد المقدم يتحصل بتعددته وعلى مقدار عدده قضايا نظراً إلى جواز سلب التالي الواحد عن مقدمات كثيرة. وفي الموجبة يحصل التعدد بحسب تعدد التالي لجواز لوازم كثيرة لشيء واحد ولا اطراد في العكس.

(٣) (أي التعريف باعتبار الخ) يعني: أن للتعريف مادة هي الجزآن. وصورة هي تلازم الجزئين. الأولى كالجنس. والأخرى كالفصل.

(٤) (المتصلة من ذي كذا) أي من باب ذي كذا. يعني: أن تلك الكلمة ليست بمشتقة على ما يتبادر إلى النظر لأنها من مصطلحات المنطقيين. والمصطلحات بمنزلة الجامدات عقيمة لا تولد من شيء ولا منها شيء بل ينسب إليها أو يؤول بها يدل على النسبة. كأمثال (ذي) أو (ذات). فالمتصلة بمعنى ذات اتصال..

(٥) (أي فهو ما أوجبت) إشارة إلى تقدير جواب (أما) وإلى دفع ما يرد من أن الاتفاقية مع أنها شرطية لا لزوم فيها فتبقى خارجة.. وجه الدفع: أن الاتفاقية بعد اتفاق لزومية كما سيجيء..

شخص موجود، بسر عدم العبيثة، ولا اعتبار بتسلسل الاعتباريات، إذ لا يلزمك أن تلاحظ اللزوم اسمياً. وفرق بين «وجوده لا» وبين «لاوجود له» كالفرق بين الحرف والاسم. والوجوب واللزوم بالاختيار لا ينافي الاختيار^(١)..

ما أوجبت تناقراً [١] بينهما [٢] أقسامه [٣] ثلاثة فليعلم

مانع جمع [٤] أو خلوّ [٥] أو هما [٦] وهو الحقيقي [٧] الأخص [٨] فاعلم [٩]

[١] أي سواء كان تضاداً أو تعانداً أو تبايناً أو تنافياً أو عدم ملكة أو تناقضاً.. والمنفصلة والمتصلة سالبة كل كموجبة الأخرى في أكثر الأحكام، إذ العناد بين الشئين كما يستلزم سلب اللزوم بينهما يستلزم اللزوم بين أحدهما ونقيض الآخر. ولأن الممكن لا بد لذاته وأحواله من علة تامة، وبعد الوجود يجب، كانت الاتفاقية عنادية.^(٢)

[٢] أي «فقط» إذ كثيرة الأجزاء منفصلات كثيرة امتزجت^(٣)..

(١) (مصدر للمعلوم) أي اللازم (والمجهول) أي اللزوم يعني: أن التلازم يقع بين شئين كل منهما لازم وملزوم للأخر. فالمعلوم إشارة إلى اللازم والمجهول إلى الملزوم.. (فإن قيل الخ) حاصل ما قيل: إن اللزوم إن كان معدوماً فلا لزوم، فكيف يبحث عن اللزوم. وإن كان موجوداً يجب أن يكون له مأخذ. وله أيضاً من مأخذ وهكذا.. يتسلسل إلى أن ينتهي إلى لزوم موجب بالذات أي غير محتاج إلى لزوم آخر. هذا محال.. (قلت الخ) حاصل المقول: أن اللزوم - كالوجود والنور وغيرهما - لا فرق بين الفرد والنوع - من الكليات المنحصرة في شخص موجود إذ لا محل للعبيثة إذ لو لم يكن لتلك الكليات فرد موجود لكانت من العبيثات، فاللزوم كلي منحصر وجوده في فرد فلا إشكال.. ولو سلم التسلسل: أي لزومه على تقدير عدم وجوده فلا اعتبار لتسلسل الأمور الاعتبارية. ولا يلزم علينا أن ننظر إلى اللزوم اسمياً أي غير اعتباري فلا إشكال. (وفرّق بين وجوده لا الخ) هذا طريق آخر لدفع ذلك الإيراد. حاصله: أن الوجود قسماً: أحدهما ضعيف تابع للغير كوجود معنى الحرف. والآخر قوي مستقل لا حاجة له للغير كمعنى الاسم. فقوله (وجوده لا) أي له وجود ضعيف تابع للغير لولا الغير لم يوجد. (ولا وجود له) نفي للجنس أي لا وجود له لا ضعيفاً ولا قوياً. فاللزوم ناظر إلى الأول لا إلى الثاني أي له وجود تابع للطرفين لولاهما لم يوجد.

(وَالْوَجُوبُ وَاللَزُومُ بِالْإِخْتِيَارِ لَا يَنَافِي الْإِخْتِيَارِ) بل يستلزمه أو لولا الاختيار لم يوجد الوجوب لأن الموجب مختار في أفعاله فالوجوب من أفعاله الصادرة عنه باختياره..

(٢) (ولأن الممكن لا بد الخ) متعلق بكانت الآتية. وعلة لكون الاتفاقية عنادية (بعد الوجود يجب) يعني: إذا تم العلة لوجود شيء من الممكنات يجب وجوده إذ لا يختلف المعلول عن العلة التامة (كانت الاتفاقية عنادية) لأن الاتفاق بين شئين شيء ممكن فإذا فرض له علة تامة يجب ذلك الاتفاق وإذا وجب لزوم وإذا لزم الاتفاق بين الشئين يخرج الاتفاقية من الاتفاقية إلى العنادية..

(٣) (أي فقط) ناظر إلى ثنية (هما) يعني: إن بدل الثنية بالجمع لم يصح الحمل بين التعريف والمعرف..

[٣] هذا التقسيم ككل تقسيم كثير الأجزاء، بين كل جزئين منع الجمع. وباعتبار المجموع منع الخلو حقيقة أو ادعاء أو استقرار..

[٤] أي فقط أو مطلقاً. وهو مستلزم لتصلتين من عين أحد الجزئين مقدماً، مع نقيض الآخر تالياً. وسالبة كل من المتلازمين مستلزمة لموجبة الأخرى من منع الجمع وما يستلزمه من المتصلتين^(١)..

[٥] كالجمع في التقييد والإطلاق واستلزام المتصلتين، إلا أن المقدم نقيض والتالي عين فيها.^(٢)

[٦] أي فيستلزم تلك المتصلات الأربع^(٣)..

[٧] أي حقيقة الانفصال بديهية إذ الأولان نتيجتا اقترايين من حقيقة صغرى ومتصلة كبرى. مثلاً: إما حجر أو شجر. نتيجة لـ: إما حجر وإما لا حجر، وكلما كان حجراً فهو لا شجر. إذ ما لا يجمع اللازم لا يجمع الملزوم وقس منع الخلو^(٤)..

[٨] أي على رأي. إذ الكل أخص من الجزء، أي أو المباين. كما هو شأن التقسيم من أنه يوقع المباينة بين الأقسام.^(٥)

[٩] أي تتبع ما لم أصرح به من تقاسيمها وتفصيلها..

(١) (أي فقط أو مطلقاً) أي إذا أطلق ولم يقيد بقيد فقط كان شاملاً للحقيقة أيضاً وإذا قيد به لا يشملها..
(٢) (والإطلاق) أي بدون فقط أو به (واستلزام المتصلتين) أي ومثل مانعة الجمع في استلزام المتصلتين إلا أن المقدم نقيض والتالي عين هنا عكس منع الجمع مثل (كلما كان حجراً فهو لا شجر وكلما كان شجراً فهو لا حجر) هذا المثال يصلح لكلا القسمين..

(٣) (أي فيستلزم تلك المتصلات الأربع) نتان من جهة منع الجمع والأخريان من جهة منع الخلو..
(٤) (والأولان نتيجتا اقترايين) أي كل من منع الجمع ومنع الخلو نتيجة لقياس اقترايين صغراه منفصلة حقيقة وكبراه متصله مثل «إما لا حجر أو حجر وكلما كان حجراً فهو لا شجر» ينتج «إما لا حجر أو لا شجر» هذا لمنع الخلو. والمثال لمنع الجمع «أما حجر أو لا حجر وكلما كان حجراً فهو لا شجر» ينتج «إما حجر أو شجر» (لأن ما لا يجمع اللازم لا يجمع الملزوم). كما هنا إذ الشجر لكونه نقيضاً للأشجر الذي يجمع الحجر لا يجمع هو الحجر إذ يلزم حينئذ جمع النقيضين فهو معاند له فثبت المطلوب. وقس منع الخلو..

(٥) (أي أو المباين) عطف على الأخص (كما هو شأن التقسيم) من كونه متباين الأقسام إذ كل قسم قسم للآخر...

فصل في التناقض

تناقض [١] خُلفُ القضيتين [٢] في كيف [٣] وصدق [٤] واحدٍ أمرٌ قفى

[١] اعلم أن الاثنينية إن كان فيها الاتحاد؛ ففي الماهية وأخص الصفات «التماثل».. وفي الجنس «التجانس».. وفي الكيف «التشابه».. وفي الكم المتصل «التوازي».. وفي المنفصل «التساوي».. وفي الوضع «التشاكل».. وفي الملك «التلابس».. وفي الأين «التجاور».. وفي الإضافة «التناسب».. وفي متى «التعاصر»..

وإن كان فيها الاختلاف فمطلقاً «التغاير» ثم «التخالف».. ومع امتناع الاجتماع «التقابل».. ومع وجود الطرفين مع الدور المعى «التضايق».. وبدونه «التضاد».. وفي الوجود «التعاند»، وفي الصدق «التباين».. ومع عدم أحد الطرفين بشرط قابلية المحل «عدم وملكة».. وبدون الشرط في المفرد «التنافي».. وفي الجملة «التناقض» وقد يعمم..

ثم اعلم أن نقيض كل شيء رفعه، والرفع لا يحتاج إلى بيان، إلا أن الرفع لما لم يتحصل دائماً - وقد احتجنا للقياس الخلفي إلى نقائص محصلة، أي معينة مضبوطة - وضعوا شرائط وقيوداً لتحصيل النقائص...

[٢] أي هنا إذ المراد ما لا يجتمعان ولا يرتفعان، وفي المفردات قد يرتفعان «كالحجر والشجر عن الإنسان»^(١).

[٣] أي بشرط الاختلاف والاتحاد في واحد أو ثلاثة، أو ثمانية، أو ثلاثة عشر، فالاختلاف في الكيف، والكم، والجهة، ثم النتيجة في الصدق، والاتحاد في النسبة، أو المحكوم عليه وبه، والزمان، والمكان، والشرط، والإضافة، والجزئية أو الكلية، والقوة أو الفعل في الطرفين.^(٢)

(١) (أي هنا) دفع بعلاوة هذا القيد ما يرد: من أن التعريف أعم إذ (الخلف) يشمل الحجر والشجر. ولا تناقض بينهما. فأشار إلى أن المقصد بيان التناقض في القضايا لا مطلقاً فلا إشكال...

(٢) (في واحد) أي النسبة الحكمية (أو في ثلاثة) أي الموضوع والمحمول والزمان (هذا عند الفارابي).. (أو ثمانية) هي وحدة الموضوع والمحمول والزمان والمكان والشرط والإضافة والجزء أو الكل والقوة أو الفعل (أو ثلاثة عشر) هي الدائمات والعرفيتان والمشروطتان والوقتيتان والوجوديتان والممكنات والمطلقة العامة (في الصدق) متعلق بالاختلاف المقدر بعد (ثم) المضاف إلى (النتيجة)...

[٤] أي المستلزم بالذات لكذب الأخرى^(١)..

فإن [١] تكن شخصية [٢] أو مهملة [٣] فنقضها [٤] في الكيف أن تبدله [٥]

وإن [٦] تكن محصورة [٧] بالسور [٨] فانقضض بضد سورها المذكور

[١] اعلم أنك قد علمت أن القضية باعتبار منطوقها كما تفيدنا حكماً كذلك باعتبار الكمية تتضمن قضية أخص. وباعتبار الجهة قضية أخرى أخص منهما. فمناط العكسين والتناقض في المسورة الموجهة الضمنية.. فإن تجردت عن الجهة والسور ولم يقصدا فالنظر إلى أصل القضية.

اعلم أن الأفعال الناقصة صور النسبة الفعلية. وأن أفعال المقاربة تصاوير النسبة الإمكانية. وأن أفعال القلوب كصفات الثبوت وجهات الإثبات.. فكأن صورة النسبة ظهرت للتوصل لجعل الاسمية فعل شرط.^(٢)

[٢] أي موضوعها شخص حقيقة أو اعتباراً كالكل المجموعي..

[٣] أي فإن لم ينظر إلى كونها في قوة المسورة فذاك.. وإلا فالبعض المبهم في حيز النفي يعم^(٣)..

[٤] أي فهو قليل المؤونة. فاستغن بها أعطاك التعريف^(٤)..

(١) (أي المستلزم بالذات) احتراز عن قولنا (هذا إنسان هذا ليس بناطق) إذ الوساطة هنا مساواة المحمولين لا لذاته..

(٢) (واعلم أن الأفعال الناقصة الخ) حاصله: أن تلك الأفعال ليست من أجزاء القضية بل دالة على وضعية النسبة بين طرفي القضية. مثلاً: إن «كان» في «كان زيد قائماً» إنها يفيد زمان وقوع نسبة القيام إلى زيد. وإن المنسوب والمسنود إلى زيد القيام لا «كان». لكن لكان فائدة أخرى: إذ إنها مجوزة لجعل الجملة الاسمية فعل شرط في «إن كانت الشمس طالعة فالنهار موجود» إذ لو لم يكن «كان» لم تكن تلك الجملة شرطاً.. وأن أفعال المقاربة أيضاً ليست أجزاء حقيقية، وإنما هي مصورة ومقربة للنسبة الكائنة بين الطرفين من الإمكان إلى الوقوع.. وأن أفعال القلوب كصفات تتعلق بالثبوت الواقع بين الطرفين في الخارج وجهة مؤكدة لإثبات ذلك الثبوت في الذهن.

(٣) (وإلا فالبعض المبهم الخ) حاصله: أن المهمة في الإيجاب من الجزئيات أي في حكم الموجبة الجزئية وفي السلب من الكليات أي في حكم السالبة الكلية، لأن موضوعها بعض مبهم والبعض في حيز النفي يعم أي يفيد معنى كلياً: هذا إذا قصد من المهمة المسورة.. فهي حينئذ من المحصورات إيجابها من الجزئيات وسلبها من الكليات. (يعم) أي فيكون المهمة خارجة من المهمات داخلة في عداد المحصورات..

(٤) (أي فهو قليل المؤونة) لا يحتاج معرفته إلى زيادة كلفة واشتغال بل يكفي لمعرفته ما أفاده التعريف الذي هو عبارة عن تبديل الطرفين بالإيجاب والسلب..

[٥] أي لابد من الاتحاد ثلاثية والاختلاف في الكيف^(١)..

[٦] اعلم أن التناقض إنما ينظر إلى الجهة والسور، إذا نظرنا إلى النسبة. وأما إذا دخل «ذا» المحمول فحَرَفَ أو الموضوع قبل الحكم فشخص الكلية. أو دخلت «تاك» عقد الوضع أو صارت جزء المحمول فلا..

اعلم أن نقيض الضرورة - ذاتاً أو صفة أو وقتاً - الإمكان كذلك. والدوام - ذاتاً أو صفة - الإطلاق كذلك. فإن شئت تفاصيل الجهات فعليك بتعليقاتي في المنطق^(٢).

[٧] أي منصوصة الكلية المقصودة^(٣)..

[٨] أي كالسوار الصحيح أو المنكسر^(٤)..

فإن [١] تكن موجبة [٢] كلية [٣] فتقضها [٤] سالبة جزئية

[١] أطلب بالشرطية بدل الحمالية، إذ المقصود تعليم العلم العملي، لا العلم فقط. ولجعل الثابت واجباً^(٥).

[٢] أي ولو معدولة أو سالبة المحمول.

[٣] أي ولو مهملة خطائية^(٦)..

(١) (أي لابد من الاتحاد ثلاثية) أي لزم اتحاد النقيضين في الموضوع والمحمول والزمان والاختلاف في الإيجاب والسلب فقط (هذا عند الفارابي)..
(٢) (اعلم أن التناقض إنما ينظر الخ) أي التناقض بين القضيتين من الجهات والمحصورات ناظر إلى السور والجهة. فإن لم يكونا في موضعها الطبيعي: بأن دخل (ذا) أي السور (المحمول فحرف) أي جعل القضية منحرفة. وإن دخل الموضوع (فشخص) أي جعل القضية شخصية قبل مجيء الحكم وملاحظته. وإن دخلت (تاك) أي الجهة عقد الموضوع أي قيداً للموضوع مثل (كل إنسان بالضرورة فهو حيوان) أو كانت جزء المحمول: مثل زيد ضاحك على الدوام (فلا) أي يختل التناقض بذلك التبدل..
(٣) (أي منصوصة) أي المقصود من المحصورة جعل الكلية مثلاً مقصودة معينة بالنص بحيث لا يبقى في ذلك خفاء..
(٤) (أي كالسوار الصحيح) إشارة إلى سور الكلية (والمنكسر) إلى سور الجزئية..
(٥) (أطلب بالشرطية) أي أطال. حاصله: أن الحمالية دالة على الثبوت بين الطرفين وهو محل تعلق العلم لا عمل ولا تعليم فيه. والشرطية كالتعجي تعليم وتفصيل لذلك الثبوت وتعلقاته. والمقصود هنا التعليم لا العلم وحده.. وأيضاً أن الشرطية تدل على أن تحقق الجزاء مشروط وموقوف على تحقق الشرط بحيث متى تحقق الشرط تحقق الجزاء. فبهذا الاعتبار يكون الثبوت الثابت في الحمالية لازماً وواجباً في الشرطية. وترك الواجب للعمل بالسنة، ليس من دأب أهل السنة، فلذا اختار الشرطية على الحمالية..
(٦) (ولو كانت مهملة خطائية) أي لأن المهملة في الظنيات والخطائيات في حكم الكلية والكلية نقيضها جزئية.

[٤] أي اللّازم المحصل، لا الحقيقي الغير المحصل. وهو سالب الكل. وعدم الفاء دليل وجود «فاعلم أن» في ^(١) النية..

وإن تكن سالبة كلية فنقضها موجبة جزئية

اعلم أن العلم غداء لا بد له من هضم، فالذهن العجول الرَّخَوَانُ يتذلق عن الحقائق «أي يمر بها ولا يأخذها أو يفوز بها ويأخذها» لكن تتقطع الحقيقة في يده «أي في يد ذهنه» ولا تنمو ولا تتوسع فيه بل تخرج هاربة من الذهن ثم يجمع كسرات حقائق انسلبت خاصية النمو عنها في حافظته فلا تهضم ولا تنبت بل قد يتقيؤ هو أو تنفسخ هي. «وسطحية الذهن أشد مرض ألم بنا» فلتشويق الأذهان إلى الدقة، أعجزتكم أيها الناظرون بها أوجزت في هذه الرسالة.

ما تمت

(١) (اللازم المحصل) حاصله: أن نقيض الشيء رفعه فنقيض الموجبة الكلية رفعها وهو سالب الكل. وهذا ولو كان نقيضا حقيقا لكنه غير محصل فأقيم لازمه مقامه أعني السالبة الجزئية..

اعتذار

لئن أدركت في شرحي فتوراً ووهناً في بياني للمعاني
فلا تسند لنقصي إن رقصي على مقدار تسعيد الزمان

لأنني زماناً ما حشرت ما رشح من فكري شرحاً على حاشية الأستاذ، كنت فاقداً للراحة والشباب مفلوجاً ذهن غائباً عن الأمثال والأقربان، شريداً عن الوطن وقد صرت كالهائم، بل كالبهائم، بل كالبوم، دائراً عائشاً في الأفقار، هارباً عن شروار الأشرار، تخطرت حينها تصورات ما قاله ابن الفارض:

وأبعدني عن أربعي بعد أربع شبابي وعقلي وارتياحي وصحتي
فلي بعد أوطاني سكون إلى الفلا وبالوحش أنسى إذ من الأنس وحشتي

نعم، من كان راكباً على كاهل الغربة، وكان أنيساً بالوحشة، وجليسه الوحدة، وسميره الكربة، وموطنه الخبرة، هل في الإمكان أن تخلو كتبه عن الخطأ والسقطة، لاسيما إذا كان المشرحة كأمثال «قزل إيجاز» بالغة من الإغلاق والإيجاز، إلى حيث دون حلها خرط القتاد، وخرق الإعجاز. فالمرجو من النظار، ذوي دقة الأفكار، وحدة الأبصار، أن يصلحوا خطيئاتي، ويصححوا غلطاتي، ويبينوا ما عجز عن حله فكري، وضاق عنه صدري، وكُلَّ عن بيان متنه متني، وعمي عن رؤيته طرفي وعيني... على أنني ما كنت من رجال هذا الرهان، ولا بذي شأن في هذا البيان، وأنا ابن ثلاثين، فكيف بي هذا الامتحان وأنا ابن ثمانين، ولهذا قد بقى مواضع باكرة غير مفوضة بفكري أحلتها لذوى الأفكار الثاقبة، من دهاء أذكاء الاستقبال بعد خمسمائة سنة.

عبدالمجيد

ومما يدل على درجة دقة الأستاذ سمكا وعمقا في أوائل شبابه:

[illegible]

قِيلَ [١] قِيلَ [٢] قِيلَ [٣] قِيلَ [٤] قَبْلَ [٥] قِيلَ [٦] قِيلَ [٧] قِيلَ [٨] قِيلَ [٩]
قِيلَ [١٠] قِيلَ [١١] قِيلَ [١٢]

ثم فسرها هكذا:

[١] [قِيلَ] ماضى مجهول من القول.

[٢] [قِيلَ] أمر من باب التفعيل بمعنى الإعطاء.

[۳] [قِيلَ] اسم بعير.

[٤] [قِيلَ] اسم رجل والتركيب إضافي.

[۵] [قَبْلَ] ظرف.

[٦] [قِيلَ] أى العصر. والتركيب إضافي.

[٧] [قِيلَ] أى اللبن.

[٨] [قِيلَ] اسم من أسماء الإبل.

[۹] [قِيلَ] ماض مجهول.

[١٠] [قِيلَ] البعر.

[١١] [قِيلَ] أي ذلك الرجل.

[١٢] [قِيلَ] أعطى له اللبن.

تَعْلِيقات

على برهان الكلبوى
فى المنطق

تأليف
بديع الزمان سعيد النورسى



مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه؛ وبعد؛

فهذه الرسالة هي المخطوطة الوحيدة، وكانت تُظن أنها مفقودة، لذا فما إن أُعلن عن العثور عليها حتى بادر العالم الفاضل زين العابدين الأمدي إلى تبويضها بوضوح على النمط القديم. أما الأخ الكريم عبدالقادر بادِلليّ فله قصب السبق في تبويض الرسالة وتنسيقها وتنظيمها ووضع أرقام هوامشها؛ فقد بذل جهوداً مضنية وصَرَفَ من وقته أياماً بل شهوراً وسنين عدة في فرز الجمل المتداخلة والهوامش المترابكة، وترَجَمَ بعض فقراتها إلى التركية، فهياً نسخة منسقة محكمة، وأهدى لي نسختها المصورة.. فجزاهما الله عنا خير الجزاء وأجزل ثوابهما؛ لذا اقتصر عملي في الرسالة على الآتي:

١ - عرض النسخ بعضها على بعض وهي:

أ- النسخة الخطية الأصلية بخط الملا حبيب.

ب- نسخة خطية مبيضة للعالم زين العابدين الأمدي.

ج- نسخة خطية مبيضة منسقة للأستاذ عبدالقادر بادلي.

د- نسخة خطية تبدأ من ص ٤٤-٥٩ أهدها لي الأخ الكبير سعيد أوزدمير.

٢- تنسيق الرسالة مجدداً بوضع متنها في أعلى الصفحة تتخلله متون «الكلنبوي» ووضع الهوامش المذيلة في النسخة الأصلية بـ «تقرير» والهوامش الجزئية الموجودة بين الأسطر في أسفل الصفحة.

٣- اكتفيت بمقابلة الأخ بادلي لمتن الـ «كلنبوي» فكل هامش يشير إلى صفحاته منقول مباشرة من نسخة الأخ الفاضل، كما أن كل هامش مزيل بـ «ع. ب» فهو منه أيضاً.

وحيث إن باعي قصير في علم المنطق، لم أقم بعمل علمي يُذكر خلا ما ذكرت، إلا أن المولى القدير من عليّ بمن له إمام بهذا العلم، فكمّل ما قصرت عنه من تنسيق وتهميش فقابل الرسالة والمخطوط وراجعها وضبط كثيرا من كلماتها، وهو الأخ الفاضل «أجير أشيقو المحترم» فجزاه الله عنا خير الجزاء وأجزل ثوابه... والحمد لله أولاً وآخراً.

إحسان قاسم الصالح

في الصفحة الأولى من المخطوط ما ترجمته:

«إلى حضرة الأخ الكبير! أقدم لحضرتكم تقريراتكم في أثناء تدريسكم للـ«برهان»
والمسماة بـ«تعليقات» بخط المرحوم الشهيد الملا حبيب راجياً دعواتكم مقبلاً أياديكم
الكريمة»... وفي صفحة تالية:

«أيها الناظر إلى هذه الأوراق التي تنقطر عبراً... هذه صفحاتٌ مسوداتٍ رسالةٍ في المنطق
ألّفها الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي في مدينة «وان»، في أثناء تدريسه لطلابه، ولا سيما
لأخيه وطالبه الملا حبيب ولَمّا أتمّها حيث اندلعت الحرب العالمية الأولى.. وفي خضم سيل
الزمان الجارف، فارق الأخوان أحدهما الآخر. وكانت نهاية المطاف أن صار الأخ الصغير
المسمى عبدالمجيد مفتياً في «أوزكوب» سنة ١٩٤٠ فاستقر فيها.. وكان يحتفظ بهذه المسودات
ذكرى تلك الأيام التي خلت. ولكن هيهات.. هيهات.. مضى ذلك وذهب.. ومضى الآخر
وذهب. ومَرَّ الزمان ومضى! فيا ترى هل سيظهر من يتصفح هذه المسودات ويقرأها؟ وهل
سيأتي ذلك الزمان؟ هيهات.. هيهات.

سأجول مع همومي وأحزاني حتى المحشر

فهذه أقدارنا نتحملها.. أيها الحبيب!

عبدالمجيد

وفي نهاية المخطوط ما ترجمته:

«إن هذه الرسالة الموسومة بـ«تعليقات» هي ما كتبه بديع الزمان سعيد الكردي من حواشٍ على كتاب «برهان كلنبوي» ودونها أحبُّ طلابه اليه والملازمُ له في الدرس الملا حبيب، فسجل هذه التقريرات من بديع الزمان على صورة حواشٍ وهوامش.. كان ذلك في سنة ١٣٢٩هـ ثم اندلعت الحرب العالمية الأولى وذهب بديع الزمان والملا حبيب كواعظين مع فرقة «وان» إلى جبهة القتال في «أرضروم»، وعادا معاً بعد عام وقد احتُلت «وان» من قبل الأرمين، فانسحبنا إلى قضاء «كواش» واستشهد الملا حبيب هناك، فحملتُ الرسالة التي خطها طوال سني الهجرات من مدينة إلى أخرى ومن قصبة إلى أخرى حتى حللنا في مدينة «ملاطية» سنة ١٩٤٠ ومن هناك مفتياً في قضاء «أوركوب».

كانت الرسالة أوراقاً متفرقة فجمعتها وجلدتها، على أمل أن يأتي زمان ويُبعث العلم والدين من جديد، ويظهر في الميدان أناس يقرؤون أمثال هذه الرسائل. وعندئذٍ يقدَّر قدرُها ويُعلم ما فيها من فكر عميق وذكاء نافذ. ولكن هيهات.. فلا ذاك الزمان يأتي، ولا أولئك القراء يظهرون. والسلام..

عبدالمجيد ١٩٥١هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله.. والصلاة على رسول الله

اعلم أن المنطق آلة قانونية، تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر.

لا بد لمن يتدبّر بشيء من العلوم:

من معرفة الرؤوس الثمانية استحسنًا: وهي الفهرسة،^(١) وبيان المسائل إجمالاً، واسم الفن، وموضوعه، وغايته، وتعريفه، وشرفه باعتبار ما؛ إما باعتبار الموضوع أو الغاية، أو الدليل والرتبة. هل هو من موجود النقش، أو اللفظ، أو الذهني، أو الخارجي؟ ليكون تحصيل المحصل على ما فرضه الشرف والرتبة.

ومن ثلاث عرفاً: وهي الموضوع، والغاية، والتعريف.

ومن اثنين عقلاً: وهما التصور بوجه ما. والتصديق بفائدة ما.

فاللزام أن نبتدئ أولاً بالتعريف،^(٢) وهو نوعان: إما بحسب الموضوع^(٣) أو الغاية.^(٤)

والتعريف بحسب الغاية أولى؛ إذ العلم بالغاية يزيد شوق المحصل. فهذا، أي المنطق علم آلي. وتعريفه بحسب الغاية موقوف على معرفة وجه آليته. ومعرفة وجه الآلية موقوفة على جهة احتياج ما يحتاج إليه. وهو كل العلوم^(٥) وجهة الاحتياج عصمة الذهن عن الخطأ في الفكر. وتصوير سلسلة الاحتياج هكذا: الفكر ليس بصحيح بالدوام للاختلاف الكثير، ولا يكفي للتمييز عقل كل، بل مراعاة الكل، أي العقل العمومي الذي

(١) كما صار عادة على ظهر الكتب المطبوعة وبعض المكتوبة، فيقال مثلاً: باب، أو فصل، أو بيان النسب، أو الحدّ، أو القياس. وقد يقال مثلاً: بيان الحدّ يفيد المحدود. أو القياس ينتج، فهو بيان المسائل إجمالاً. (تقرير)

(٢) لأن كل فعل اختياري لا بد من مباد أربعة: التصور بوجه ما، لأن طلب المجهول المطلق محال. فالتصديق بفائدة ما، لأنها الباعث للإرادة الناشئة من الميل، الناشئ من الشهوات، المتوقف عليها. فالإرادة، وهو القصد للتخصيص، فالشروع للإخراج... (تقرير)

(٣) وهو كالحدّ.

(٤) وهو كالرسم.

(٥) حتى نفسه.

هو المنطق،^(١) المفسر بعضه بعضاً؛ إذ طريق الاكتساب العمومي الفكر. إذ البعض بدهي والبعض نظري، يكتسب التصور من التصور، والتصديق من التصديق؛ إذ شرط الولادة المجانسة.^(٢) فإن العلم إما تصور وإما تصديق. فاصعد من هنا في هذه السلسلة السلمية.

ثم تعريف [العلم هو الصورة الحاصلة من الشيء عند العقل^(٣)] ^(٤) وهي إما تصور^(٥) أو تصديق. فلا يرد بلزوم اعتبار وحدة المقسم.

أن التصديق مركب من الموضوع والمحمول والنسبة والحكم.^(٦) لأن الحكم ربطها^(٧) وكل منهما إما بدهي، أو نظري مكتسب بالنظر. لأن التقسيم لا يخلو من أن يكون الكل من كل بدهي^(٨) أو الكل نظرياً، أو مبعضاً، لأن^(٩) نظري كل لا يكتسب من بدهي الآخر. فالأولان^(١٠) باطلان، لأنه لو كان الكل بدهي^(١١) لما جهلنا شيئاً،^(١٢) ولو كان الكل نظرياً، لدار أو تسلسل. فاللازم فيهما باطل، والملزوم كذا.. فبقي^(١٣) بعض التصور بدهيّاً، وبعضه نظريّاً. والتصديق

(١) لأن المنطق من حيث هو آلة للعلوم حرفي، كالمعقول الثاني للأول. ومن حيث هو علم جوهريّ اسمي، يحتاج لآلة. فآلته بعضه البدهي للبعض النظري. (تقرير)
(٢) والتصور والتصديق مغايران في المتعلق والمتعلّل كليهما، إذ الأول كالعقد، والثاني كالكشف.
(٣) غير من حصول الصورة الحاصلة، لأن العلم من مفعول الكيف، والحصول من مفعول الانفعال، ويأتي قريباً: إن الذي حصل في الذهن فهو باعتبار كيف الذهن واتصافه به يسمى علماً. وباعتبار ظرفية الذهن له يسمى معلوماً، فالعلم كيفيته. وأما التعبير بالهيول فمجاز. (تقرير)
(٤) كلبوي ص ٣ س ٢٢.

(٥) وهو الأصح. إذ التصور متوقف على إما الوجود وهو الخارجيات الوجود. أو الثبوت وهو الاعتباريات، وتسمى الأحوال. والمحال لا ماهية له، لا ذاك ولا ذاك. فلا يتصوره الذهن ذاته إلا بنوع تمثيل بمائلة في بعض وقت الإثبات، أي الحكم. وأما تحليل الاجتماع فتذكر ما مرّ في المجهول المطلق. بأن العنوان من الطرفين كآلة الملاحظة والمعقول الثاني. فيأخذه ويفرض وراءه أفراداً غير مرئية في الخارج، فيحكم عليه في الذهن. فثبت لأفراده فيه بالامتناع. والاتصاف به في الخارج، فالإثبات له في الذهن. والثبوت في الذهن لمصادقه في الخارج، والاتصاف به في الخارج. (تقرير)

(٦) قلت:

(٧) ووحدتها.

(٨) هذا قياس اقتراني مقسم.

(٩) دليل الصغرى.

(١٠) كبرى.

(١١) هذا قياس استثنائي دليل الكبرى.

(١٢) أي جهلاً محوجاً إلى النظر، لا مطلقاً. لأننا جاهلون ببعض البدهيات.

(١٣) نتيجته.

كذا.. فالمبعضية ثابتة؛ لأن الشيء يثبت ببطلان نقيضه. فببطلان «كلّ التصور بدهي»، يثبت نقيضه. وهو «ليس كل التصور بدهياً» ولازمه، وهو «ليس بعض التصور بدهياً» ولازمه، وهو «بعض التصور ليس بدهياً» ولازمه؛ إذا كان^(١) الموضوع موجوداً. وهو «بعض التصور لا بدهي» ونظيره. وهو «بعض التصور نظري». وقس البواقي.

[وقد يقع الخطأ في الاكتساب، والعقل غير كاف. فلا بد من قانون وهو المنطق]^(٢) فعرف المصنف رحمه الله بحسب الغاية والموضوع.

إن قلت: قد أخطأ المنطقيون ما أخطأوا، فكيف يكون عاصماً؟

قلت: أقاموا الصنعة المسهلة مقام الطبيعة، الصنّاعة. والصنعة ولو كان على أكمل ما يمكن، لا تساوي الطبيعة.

ثم مراتب العلم هيولاني، وبالمملكة، وبالفعل، ومستفاد، وحديسي، وقديسي.
ثم النظر، كَشَفَ ترتب العلل المتسلسلة في الخلقة، فيحلّل ويركب،^(٣) فيكون قابل العلم والصنعة.

وقيل باعتبار الشرط: تجريد الذهن عن الغفلات.. وقيل باعتبار التحليل: تحديق العقل نحو المعقولات، كتحديق البصر نحو المبصرات.. وقيل باعتبار التركيب: ملاحظة^(٤) المعقول لتحصيل المجهول.. وقيل باعتبار الصورة: ترتيب أمور معلومة للتأدي إلى المجهول.

ثم طريق حصول المطلوب؛ إما بالإلهام،^(٥) كعلم الأنبياء والأولياء، أو التعليم للأوائل عند الملاحظة، أو التصفية عند الإشرافيين، أو النظر عند الحكماء. فالثلاث الأول لا يمكن لكل أحد، فبقي النظر^(٦) وحصول المطلوب به توليدي عند المعتزلة، وعقلي عند الرازي، وإعدادي

(١) يعني: أن السالبة مستلزم للمعدولة المحمول، إذا كان الموضوع موجوداً في أحدهما، وإلا فالسالبة أعم.
(٢) مأخوذ من كلبوي ص ٤. وأصل العبارة: «فاحتيج إلى قانون... من حيث إيصال عاصم عن الخطأ وهو المنطق».

(٣) باعتبار خلق الله فيه ميل المحاكاة والتقليد. (تقرير)

(٤) مع التفتن وتذكر هدف.

(٥) يعم الوحي.

(٦) اعلم أن النظر نور خلقه الله في البشر، يكشف به ترتب العلل المتسلسلة في الخلقة.. فـ«الترتيب» إشارة إلى الفاعلية والصورية، و«أمر» إلى المادية، و«التأدي» إلى الغائية. والسر والحكمة في حسن التعريف المشتمل على العلل الأربعة جميعها فيه. لكن يحمل صفات مأخوذة من العلل على المحدود. إذ لا يجوز ذلك، فلا

عند الحكماء، وعادي عند جمهور أهل السنة. فللفكر حركتان: تحليلي وتركيبية. فلكلي مبدأ ووسط ومنتهى. فمبدأ التحليلية المادية،^(١) المطلوبُ بوجه ما. ووسطها المبادي الغير المرتبة. ومنتهاها الأجناس العالية والفصول^(٢) البسيطة والأوليات.^(٣)

ومبدأ الحركة التركيبية الصورية^(٤) تنتهى الأول. ووسطها المبادي المرتبة. ومنتهاها المطلوب على وجه الكمال.^(٥)

ثم العلم واحد اعتباري، لا بد له من ضابط، ليتحد كالخيط أو كالسور. والحال أن الضبط بالتعريف، وشرطه المساواة. ومرجعها القضيتان الكليتان^(٦).. وهما «كل ما صدق عليه تعريف المنطق صدق عليه المنطق. وكل ما صدق عليه المنطق صدق عليه تعريفه». فبالأول «المانعية» والثاني «الجامعية». لثلا يطلب ما لا يعني، على عدم المانعية، ولا يترك ما يعني، على عدم الجامعية.

فان قلت: الغرض من الحد تحصيل الأوسط، لإدراج الجزئي تحت الكلي. والحال أن العلم كل لا كلي، له أجزاء لا جزئيات. مع أن اسم العلم عَلمٌ^(٧) الشخص، والشخص لا يُعرف إلّا بالإشارة الحسية؟

قلنا: إن أجزاء العلم لعدم امتزاجها - كأجزاء المائة - صارت كالجزيئات. فلما صار الجزء كالجزي، صار الكل كالكلي^(٨)، فيثبت الإدراج بقياس أوسطه حده بزيادة له دخل على الصغرى، ومن على الكبرى.

= يقال: الكرسي جلوس السلطان، بل مجلسه. مع أن الحدود والمحدود أو المكنى به إليه مطلقاً ما يجب الحمل بينهما متحدان. (تقرير)

(١) العلمي.

(٢) للتعريف.

(٣) للدليل.

(٤) الصنعية.

(٥) أي المطلوب.

(٦) والأشهر، بدل الأول عكس نقيض الثاني لإخراج الأغيار. (تقرير)

(٧) لأن الأعلام غالباً منقولة، فبقاعدة: إن المعاني اللغوية أساس وحج للاصطلاحيات، وتوضّع الاصطلاحيات عليها، ويكملها باعتبار الشرائط إتيائها، يعلم بالتفكر فيها أن المقصد الأقصى من المسمى بهذا، أي... (تقرير)

(٨) أي يصحّ حمل ما كالجزئي على ما كالكلي.. (تقرير)

ثم الموضوع: المعلومات التصورية والتصديقية، فيعرق كل علم موضوعه.. وما سواه تفرعات تنبت عليه. لأن النصب بالفتحة مثلاً وصفُ المعرب، وهو وصف الاسم، وهو وصف الكلمة. فوصف وصف الشيء وصفه. والصفة إن كانت مجهولة كانت جزءاً، وبعد الجزئية كانت صفة، وإذا استمرت صارت عنواناً.^(١) ومقدمة الشروع^(٢) التصديق^(٣) بموضوعية الموضوع، لا تعريف عنوان الموضوع فإنه من صناعة^(٤) البرهان^(٥) ولا تعريف ما صدقَه، فإنه من المبادي التصورية.^(٦) ولا التصديق بوجوده، فإنه من المبادي التصديقية، وهي الأدلة. وما يتوقف عليه الإثبات،^(٧) يعني الثبوت في نفسه،^(٨) وتعريف بعض لعنوان الموضوع.. وهو ما يبحث فيه عن عوارض الذاتية. فلتحصيل الحد الأوسط^(٩) لهذا التصديق،^(١٠) والغاية يلزم أن تكون معتدة^(١١) ومعتبرة،^(١٢) ومقصودة،^(١٣) ومهمة،^(١٤) ومخصوصة.^(١٥)

ثم لما كان الإفادة والاستفادة باللفظ، احتجنا إلى البحث عن اللفظ الدال.

ثم بين الموجود الذهني واللفظي روابط أربع، هي مناط كل الأوصاف: الوضع،^(١٦) الدلالة،^(١٧) الاستعمال،^(١٨) الفهم.^(١٩)

- (١) فلذا يتشعب الموضوع، وبكثرة أوصافه يتكثر المسائل. (تقرير)
- (٢) والكتاب دكان البزاز فيه هذه الأشياء.
- (٣) هذا هو في كل موضع.
- (٤) هي تطبيق العلوم الآلي.
- (٥) وهي تطبيق المنطق في طرق اكتساب العلوم.
- (٦) أي تعريفات المصطلحات وموضوعات المسائل، والتمثيلات والتشبيهات وغيرها..
- (٧) أي إثبات الأوصاف للموضوع.
- (٨) وهو وجود الموضوع.
- (٩) ما يتوقف بهذا حاصل الخ.
- (١٠) أي بموضوعية.
- (١١) لثلاث يكون سعيه عبثاً..
- (١٢) لثلاث يكون عبثاً عنده وعند غيره.
- (١٣) لثلاث يقع في ذهنه فتور..
- (١٤) ليزيد شوقه.
- (١٥) أي تلك الفائدة مخصوصة به، ولو بالنسبة لثلاث يتردد بينها، فيلزم الترجيح بلا مرجح.
- (١٦) فمنها العموم والخصوص يرد الاشتراك والتأويل..
- (١٧) الظاهر والنص والمفسر والمحكم والخفي والمشكل والمجمل والمتشابه.
- (١٨) الحقيقة والمجاز والصريح والكناية.
- (١٩) العبارة والإشارة ومفهوم اقتضاء الصدق أو الصحة.

مسائل كل علم قضايا حملية موجبة كلية ضرورية نظرية. وماعداها مؤول بها، لأن الموضوع ما يبحث في العلم عن عوارضه الذاتية؛ إما بذاتها أو مع المقابل المحصل للبحث في ذلك العلم.^(١) يعني يحمل العوارض الذاتية له، أو لأنواعه، أو لأصناف أنواعه كلياً. لأن الذاتية شاملة بالإيجاب، لأنها له، عليه أو على أنواعه أو عوارضه بالضرورة. لأنها ذاتية بالدليل للبحث.

سلسلة المنطق: النتيجة تتوقف على الدليل.

والدليل باعتبار الإفادة؛ إما يقيني، وهو القياس،^(٢) وإما ظني، وهو التمثيل^(٣) والاستقراء.^(٤)

والقياس باعتبار المادة: الصناعات الخمس؛ أعني: البرهان، والجدل، والخطابة، والشعر، والمغالطة.. وباعتبار الصورة: هي الأشكال الأربع. فإن كان من الحملات فافتراضي.. ومن الشرطيات فافتراضيات. وباعتبار الأجزاء: صغرى وكبرى. والأجزاء قضية، ولها أحكام: هي العكس والتناقض.. وباعتبار الحكم: شرطية وحملية.^(٥) وباعتبار الكيف: موجبة وسالبة.. وباعتبار الكم: مسوّر وغير مسوّر. وتتوقف على تصور المحمول والموضوع، وهما من المفردات. وتصورها بتعريفها، وتعريفها هو القول الشارح يتركب من الكليات الخمس. والكليات أقسام الكلي (وهو) قسم المفهوم^(٦) والمفهوم هو المعلوم،^(٧) هو موضوع المنطق.

ثم الدلالة: ^(٨) طبيعية وعقلية ووضعية.

(١) إلا أنه لما انقسم الموضوع تشعب المحمول لتوزيع الأقسام على الأقسام.

(٢) هو استدلال الكلي على الجزئي.

(٣) استدلال الجزئي على الجزئي. أما استدلال الكلي على الكلي فهو داخل في الأول. تأمل!

(٤) استدلال الجزئي على الكلي.

(٥) أما الثبوت له «حملية»، أو عنه «منفصلة»، أو عنده «متصلة»..

(٦) المفهوم والمعلوم والمعلوم والمعنى والمسمى والمقصود واحد.

(٧) بين هذين عموم من وجه

(٨) اعلم أن الثلاثة عقلية. إذ الأشياء تدرك بالعقل على الأصح. لكن لما كان دخل الوضع فيه، نسب إليه.

ولما كان دخل الطبع فيه أيضاً نسب إليه. ثم الأقوال في هذا الأخير ثلاثة. أما المعبر فيه طبع اللفظ، أو المخاطب، أو المتكلم. أي إن المتكلم يراجع نفسه حين سماعه.. أضح.. مثلاً، بأنني قلت ذلك حين وجع صدري. ويقيس المخاطب على نفسه. تأمل! (تقرير)

والوضعية: مطابقة وتضمنية^(١) والتزامية.

وكل من التضمن والالتزام يتصور بوجوه ثلاثة، بإرادة^(٢) مستقلة أو مشتركة^(٣) أو بالتبع. والثالث هو المراد في المنطق، والثلاثة في البيان. والمطابقة^(٤) لا تستلزمها كما في البسائط،^(٥) وما لا يعلم له لازم^(٦) يَبْنُ بالمعنى الأخص. وعند الإمام الرّازي الالتزام لازم للمطابقة. لأن الماهية الخارجية لها تشخص^(٧) وهَذِيَّةٌ. وفي الذهن^(٨) لها تعين وهوية. وهما هو هو^(٩) ليس غير. وسلب الغير لازم لتلك الماهية البتة. ورُدَّ بأن الحصول لا يستلزم الحضور.. واللزوم اليَبْنُ وهو بالمعنى الأخص اللازم للالتزام حضوري. وهما يستلزمانها، لأنها تابعان. والتابع من حيث^(١٠) لا يوجد بدون المتبوع.^(١١) واعتراض^(١٢) بأن الكبرى ممنوع بالتابع الأعم،^(١٣) وإن قُيد بالحيثية. فالتبوع مثلها أيضاً؟

أجيب: بأن الحيثية للإطلاق تتضمن علّة الاحتياج باعتبار الذات لا الصفة الإضافية فقط.

- (١) وإن كان المقسم فيها الوضع. لكن الآخرين عقليان، لتصورهما بالعقل. فلا دخل للوضع فيها، إلا في الأول وباعتبار أنه القسم الأعظم وفيه دخل الوضع، اعتبر الوضع في المقسم. (تقرير)
- (٢) وهو المطابقة المجازية.
- (٣) وهو الجمع بين الحقيقة والمجاز، لكنه جائز على مذهب.
- (٤) أي أعم منها مطلقاً.
- (٥) للافتراق عن التضمن.
- (٦) للافتراق من الالتزام.
- (٧) كيفيته يحصل من إحاطة المقولات به.
- (٨) لأن كثيراً من الأشياء حاصل في الذهن لكن ليس حاضراً عند تصور وذكر بعض لغفلة الإنسان عنها وهو منها. تأمل! (تقرير)
- (٩) أي وجوده عين ذاته.
- (١٠) إنه تابع.
- (١١) يعني أن متبوع التابع المقيد بالحيثية، بأن يقال: «المتبوع من حيث هو متبوع ذلك التابع لا يوجد بدون» والحال: إن المطابقة أعم مطلقاً منهما؟
- أجيب... الخ.. يعني أن الحيثيات ثلاثة للتقيد كما في الموضوعات في التعاريف. وللتعليل: كزيد من حيث إنه عالم مكرم. وللإطلاق: كالإنسان من حيث إنه إنسان حيوان ناطق. فالذي للتعليل باعتبار الصفة، أي إثبات صفة يكون علة للحكم. والذي للإطلاق كما هنا. يعني أن التابع من حيث إنه تابع أي ذاته محتاج للمتبوع وموصوف بالتابعة.. وأما حيثية المتبوع باعتبار الصفة الإضافية فقط، يعني أن ذاته لا يحتاج إلى المتبوع، فيوجد بدون. بل باعتبار اتصافه بهذا الوصف وهو المتبوعية. تأمل! (تقرير)
- (١٢) إنما كان الأول داخلياً والثاني خارجاً. لأن السلب نسبي لا يكون داخلياً في الماهيات. تأمل! (تقرير)
- (١٣) كالضياء مثلاً.

ثم الدال مفرد، إن لم يقصد بجزئه دلالة على جزء معناه المقصود، وإلا فمركب.

ولأن المفرد عديمي يوجد بعدم جزء من الأجزاء. فعدم الأخص^(١) وهو القصد يعم^(٢).

والمركب وجودي يتوقف على وجود جميع الأجزاء. فلهذا كان للمركب فرد، وللمفرد

أفراد^(٣) ومن هنا^(٤) يقال: «التخريب أسهل من التعمير»^(٥).

ثم إن المفرد اسم، وكلمة، وأداة. إذ منبع الوجود^(٦) ذات وحركة^(٧) ونسبة. فالذي

يحكى عن الذات اسم، والذي يخبر عن الحركة فعل، والذي ينشأ عن النسبة حرف. وقد

تولد الحركة من الذات والنسبة. كما منهما الذات. وما يقع في الجواب^(٨) منها مستقل وما لا غيره.

ثم إن حقائق الثلاثة متخالفة بالذات، متشابهة في التعبير. فالاستعانة تحت «الباء» وفي

«أستعين». ومن الاستعانة كالهواء والماء والجمد. أو كالماء والتراب والحجر. وإن من المعاني

الحرفية ما لا وطن لها، بل كالسيّاح السّرّسريّ الطفيلي^(٩) يتداخل في طيارات أخويه، وقد

يتشربانه^(١٠) فإن عصرتهما تقطّر^(١١) بل تقطرت^(١٢).

(١) فلزم أن يكون له تعاريف، وهو غير حسن. بل لابد من تعريف واحد، وهو لا يحصل إلا بعدم الأخص.

(٢) أي يعم نقيض سائر القيود لأن نقيض الأخص أعم من نقيض الأعم والأخص كالأخوين يقتسمان الأشياء بينهما فيما نقص من حصّة واحد زاد بقدره من حصّة الآخر وما ضاق من واحد اتسع الآخر مثلاً

الإنسان أخص من الحيوان. (تقرير)

(٣) ستة واقعاً.. وواحدًا وثلاثين عقلاً.

(٤) هذه النكتة.

(٥) يعني أن فطرة كل إنسان وخلقته مائلة إلى الرياء وإراءة نفسه الخلق، وحريص عليه يطلبه من ما

أمكن. ولشدة حرص بعض إياه. وأن التخريب أسهل لكثرة طرقه، إذ يوجد بعدم كل جزء يرى نفسه

بذلك، وإن لم يكن وصفاً حسناً. والبعض صاحب الثروة يرى بالتعمير. فاسمع واعمل به فإنه درس

الأخلاق. (تقرير)

(٦) وفي لسان الحكمة؛ صلب ومايع وهوائي.

(٧) أي صفة.

(٨) أي الاستفهام.

(٩) هو الذي يتبع المدعويين بدون دعاء الداعي. كأننا ندعو ألفاظاً مخصوصين بمعانيها. وتلك المعاني الحرفية

تتبعها بغير دعائنا. (تقرير)

(١٠) أي الفعل والاسم تلك المعاني.

(١١) أي معنى كان تضمن قصيدة واحدة تحسراً أو تمدحاً مثلاً. (تقرير)

(١٢) أي معاني.

فإن قيل: إن الحرف جسم لطيف هوائي، لا يقدر أن يأخذ معناه. ^(١) إذا أدلى دَلْوَةٌ ^(٢) رجع يابساً ^(٣) فيكون عاجزاً عن الإدلاء والدلالة؟

أجيب: ^(٤) بأن العجز من عدم قابلية المحل، لا يدل على نقصان قدرة الفاعل.

ثم المركب إما ناقص ^(٥) أو تام، يصح سكوت المتكلم عليه ^(٦) بالنسبة لأصل المراد ^(٧) والتام إما خبر أو إنشاء، وهما كالعلم الفعلي والانفعالي. ففي الأول الذهن مبدأ معدّي، ^(٨) [أي علة] للخارج. أي يتوقف وجود الخارج على عدمه، وهو المعلول، كما يتوقف على وجوده. وفي الثاني بالعكس، أعني ^(٩) الخارج مبدأ، ^(١٠) مقارني ^(١١) فالإنشاء كالأول، ^(١٢) فلا يتقابلان حتى يقع الارتباط بينهما بالصدق والكذب. وما يتصور بعد الخارج ^(١٣) شبيه ^(١٤) والخبر كالثاني فيحتمل الصدق، أي يدل عليه، لأنه تصديق. ويحتمل الكذب عقلاً، بناء على جواز تخلف المدلول عن الدال الوضعي ^(١٥) والمراد أن محصل القضية ^(١٦) يحتمل الصدق لفظاً، والكذب عقلاً.

(١) مع أنه من الدوال اللفظي الوضعي.

(٢) في قلب القلب.

(٣) أي بدون معنى.

(٤) أي لا يلزم عجز الحرف من عدم أخذه معناه. إذ المعنى ليس قابلاً لصفة الحرف وحده إياها. إذ كونه هوائياً أكثر وأشد من الحرف تأمل! وأجيب بهذا عما يقال في حق الواجب: من أنه لا يقدر على جمع النقيضين مثلاً، تأمل! (تقرير)

(٥) وهو نسبي أو توصيفي. والأول أصافي ومزجي وهو تضمني وصولي.. الخ.

(٦) بحيث لا ينتسب إلى القصور.

(٧) لا باعتبار مطلوب السامعين.

(٨) العلة المعدي هو أن يكون المعلول متوقفاً على وجود العلة وعدمه، كحركات الإنسان مثلاً. والعلة المقارني هو أن يكون المعلول متوقفاً على وجودها فقط كالشمس مثلاً. (تقرير)

(٩) أي علة.

(١٠) أي علة.

(١١) للذهني.

(١٢) لا نفسه.

(١٣) أي الوجود.

(١٤) لما عدم، ومخترع ما وجد.

(١٥) أما الطبيعي والعقلي فلا يجوز التخلف منهما.

(١٦) أي روحه وهو: ج ب مثلاً. أو الموضوع محمول. أي مع قطع النظر عن لبسه البدهي وصورته الشخصية والدلائل الخارجية.

ثم الكل: إما حقيقة أو مجاز^(١) ومن فوائده: التعظيم، والتحقير، والترغيب، والتنفير، والتزيين، والتشويه، والتصوير، والضبط، والإثبات، والإقناع، ومطابقة تمام المرام.

[ومنه: المجاز المرسل. إن كانت العلاقة غير المشابهة مثل الحلول^(٢) والكون، والأول، والسببية،^(٣) والجوار،^(٤) والمظهرية وغيرها^(٥)]^(٦)

ومنه [الاستعارة التمثيلية:^(٧) كاستعمال الأمثال المضروبة في أشباه معانيها]^(٨) ومن

(١) اعلم أن المعنى الحقيقي في المجاز والكناية وأقسامها لا يذهب بالكلية أصلاً. بل إما متوضع عليها، أو جلّ أو جلد. وهو إما محال، أو ممكن موجود.. أو لا. أما في الكناية فهو مطلوب وجلد، فلا بد من الإمكان. إذ المحال لا يكون مطلوباً، لكنه تابع للممكن به، أي كحجاب شفاف يتصورها، فينقل إلى الممكن إليه فلا يلزم وجوده. إذ الممكن يتصور، وإن لم يكن موجوداً. مثلاً: قلت: زيد كثير الرماد وطويل النجاد... فإنها كنياتان عن السخاوة وطول القد. والحال أنه لا رماد ولا سيف له في الواقع. لكنهما ممكنان.

وأما في المجاز فلا بد أن يتصور.. ليتصور سلسلة الخارجي، ويمرّ فيه إلى إيصال المعنى المتجاوز إليه، كأمرت النساء نباتاً مثلاً، وقس عليه. فيجوز أن يكون محالاً، إذ يتصور. لأنه غير مطلوب من حيث هو معنى. بل لفائدة البلاغة فقط، فهو صورة. وفي الاستعارة ليس. فهو متخيل لفائدتها أيضاً.

واعلم أيضاً أن المعنى الغير الحقيقي للفظ لا بد أن يكون مطمئناً للنظر، ومقصوداً من الكلام باعتبار قصد المقام. مثلاً كالسخاوة لكثرة الرماد، والشجاعة للأسد، والعين للرقيب، والأذن للجانوس وقس. فنتنقل من المعنى الحقيقي للفظ إليه. سواء كان تابعاً له حقيقة كمن كثرة الرماد (بأن قلت: «زيد كثير الرماد» وانتقلت منه إلى السخاوة).. أو اعتباراً كمن السخاوة. (أي بأن كان المقصود من المقام الثابت كثرة الرماد لزيد مثلاً.. وإعلام المخاطب إياه بالكناية فتقول: «زيد سخي») باعتبار المقام فتكون كناية. أو كان متبوعاً حقيقة؛ كمن الأسد مثلاً. أو اعتباراً كمن العين والأذن مثلاً. فيكون مجازاً. لكنه قليل في الاستعارة أي الانتقال من المتبوع الاعتباري إلى التابع الاعتباري، قليل. والغالب من الحقيقي.

أما المشهور فهو: أن في المجاز قرينة مانعة من الحقيقي دون الكناية. وإن المجاز استعمال في اللازم دون الكناية بل هو في كالألزام فاحفظها أي غلام (أَوْهَ قُرْقًا سَيِّدًا يَه) [جملة كردية من الملا حبيب تعني: هذه هي ميزة الأستاذ]. (تقرير)

(٢) كهم في رحمة الله أو في الجنة.

(٣) كأسنام الإبل في السحاب.

(٤) كالراوية.

(٥) هذه منابع فادخل المثل. تأمل.

(٦) ومتن الكلبي ص ٤ س ٢٠ هو: «والمجاز إن كان بغير علاقة المشابهة مثل الحلول والسببية والجوار أو العموم...».

(٧) لم يتعرض للمجاز العقلي تقليداً بالمتعلق.

(٨) مع فرق طفيف مع متن كلبي ص ٤ س ٢٢.

التمثيلية صور الكلام وأساليبه المحتشمة. أو كناية، وهي إما في الصفة^(١) أو الموصوف^(٢) أو النسبة^(٣).

والانتقال^(٤) من التابع^(٥) إلى المتبوع كذلك كناية. ومن المتبوع - حقيقة أو اعتباراً - إلى التابع كذلك مجاز^(٦) وكلاهما أبلغ، إذ هما كإثبات المدعى بالدليل...

ثم إن المعنى الحقيقي لكونه مطلوباً في الكناية لا بد له من الإمكان. ولكونه تبعياً كالحرف لا يلزم أن يوجد...

وفي المجاز^(٧) لكونه متصوراً لفائدة^(٨) البلاغة فقط، غير مطلوب من حيث هو معنى. فلا بد فيه من قرينة مانعة^(٩) للمعنى الحقيقي عقلاً أو حساً أو عادة.. ومن قرينة معينة للمراد، وقد تتحدان^(١٠). وفي الكناية من قرينة متقلة ومعينة، وفي المشترك المعينة فقط.

(١) كثير الرماد وعريض القفا.

(٢) كعريض الأظفار.

(٣) كإن الساحة... الخ.

(٤) بيان الفرق بين المجاز والكناية باعتبار غير المشهور.

(٥) حقيقة أو اعتباراً.

(٦) كرأيت أسداً.. فالانتقال من الأسد وهو المتبوع الحقيقي إلى الشجاع وهو التابع الحقيقي. (تقرير)

(٧) اعلم أن المعنى المجازي لا بد أن يكون مقصوداً من الكلام ومطمحاً للنظر، أما كان الحقيقة يقال، باعتبار أنه مدار الحكم؛ كالأذن للجاسوس والعين للرقيب.

والفرق هو: أن الانتقال من الحقيقة تابعاً أو متبوعاً إلى مثله - كذلك ظاهر كالانتقال من الأسد إلى الشجاع في الاستعارة، ومن الأصابع إلى الأنامل في المرسل، ومن كثير الرماد إلى السخاوة وقس!..

وأما الانتقال من التابع أو المتبوع اعتباراً إلى مقابلتها.. كذلك فباعتبار المقام، بأن كان التابع الحقيقي مقصوداً من الكلام ومداراً للحكم؛ كالشجاع في الاستعارة، والأنامل في المرسل، والسخاوة في الكناية. فنقول: «رأيت شجاعاً وأنا ملهم في آذانهم، وزيد سخي.. وتريد منها الأسد والأصابع وكثرة الرماد لتكون الأمثلة على تمامها. وإلا فيتداخل أمثلة الأقسام. ولكن الغالب في الاستعارة والكناية من الحقيقي إلى مثله. أما في المجاز فكثير. (تقرير)

(٨) في المرسل.. ومتخيل في الاستعارة.

(٩) وهو يكون منتقلة.

(١٠) بل تتحد.

[فصل في الكلّيّ والجزئيّ] ^(١)

[إذا علمت شيئاً يحصل في ذهنك منه صورة، ^(٢) وهي من حيث قيامها بخصوصية ذهنك علمٌ. ومع قطع النظر عن هذه الحيشية معلوم ومفهوم.

فذلك المفهوم بمجرد النظر إلى ذاته - إن لم يجوز العقل اتحاده مع كثيرين ^(٣) في

(١) المفرد والمركب قسمان. للفظ أولاً وبالذات، وللمعنى ثانياً وبالعرض. والكلّي الجزئي بالعكس. (تقرير)

(٢) اعلم أن الصورة الحاصلة من الشيء عند العقل باعتبار تكيف الذهن واتصافه بها (أي بالصورة) علم. (يعني كما أن المرأة تُنجَرُ (أي نافذته) عالم المثال يملكه قطعة زجاج كالقرطاس؛ فيزين ويتكيف نفسه وصورته بأي لون من أي شيء قابلته. وبملكوته واسع وعميق ترسم الأشياء الغير المتناهية فيه، فيكون ظرفاً لها.. كذلك الذهن بِنَجَرَة عالم الغيب بملكه موجود الخارج. لأنه قطعة لحم من البدن، إما في الرأس أو الصدر، يزين ويتكيف بلونه المأخوذ من الأشياء.. وبملكوته واسع الخ). وباعتبار مظهريته لها معلوم (أي بالصورة) ومفهوم ومدلول ومعنى ومسمى ومعقول ومقصود لترادفها. وهو (أي المعلوم) موضوع هذا العلم، فلزم البحث عنه، فهو قسمان: جزئي وكلّي... وذكر الجزئي في المنطق استطرادي، لأنه يبحث عن المضبوطات. والجزئي لكونه غير متناهي ومتغيراً أحوالاً، غير ثابت. فلا يفيد الكمال (يعني النقطة والدرجة المقدرة للإنسان هو الكمال الحكمي، وهو التشبه بالواجب. والحكماء يعتبرون عنه بالتشبه بالمبادي العالي.. الخ. ونحن «باللوح المحفوظ» أي إن الإنسان ككاغد بيض قابل للارتسام). الحكمي، المعبر بالتشبه بالمبادي العالي والعقول العشرة (وهم الملائكة العظام) المائل إليه (أي الكمال) إليهم كل النفوس التي تكون خريطة للعالم. وإنما ذكر (أي الجزئي) لأن الأشياء إنما تعرف بأضدادها. لأن الأمور النسبية كالحسن والشجاعة مثلاً لا توجد ولا تتصور بدون تصور القبح والجلانة.

(٣) (قوله: اتحاده مع كثيرين.. الخ) أي اشتراكه - كما عبر به كثيرون..

إن قيل: إن كان المراد بالاشتراك التجزّي يلزم أن لا يوجد الكلّي ب كله في جزئياته. وإن كان الاشتراك ب كله مع كل جزئي، يلزم ثبوت الشيء الواحد في أمكنة متعددة في آن واحد. وإن كان الاتحاد مع كل جزئي، يلزم اتحاد الجزئيين في الخارج بالواسطة..؟ (لأن متحد المتحد متحد)

قلنا: المراد اشتراك الجزئيات فيه (أي في الكلّي) تخيلاً واتحاداً معهن. وهما كمطابقة روابط المركز إلى نقاط الخط المحيط له (أي المركز). أو كتساوي نسب موزونات الحقّة. أي (تفصيل للاشتراك) كأن -فرضاً- أن تلبس نقطة المركز أو الحقّة لبس نقطة من نقاط المحيط أو الموزونات، أو (تفصيل للاتحاد) انتقل المركز من موضعه وسار في رابطة نقطة يصير عند الوصول نفسه وعينه. وبقاعدة: الحقائق لا تتحد (ولا العبث في الأشياء) فإن الكلّيات متقررة في أذهاننا، وكلاء فيها للجزئيات. كما أنهنّ نواب لها في الخارج، وهما متغايران ذاتاً، فلا تتحدان. فإذا قربنا الجزئيات بالملاحظة منهنّ يفنن، فنظنّ أنهما اتحدا، وليس كذلك. فاشتراك الجزئيات فيه خيالي. واتحاد الكلّي معهنّ وهمي، والتجزّي مردود.

والكلّي قسمان:

الخارج^(١) فهو جزئي حقيقي كـ «زيد المرئي».. وإلا فكلي. سواء امتنع فرده في الخارج كـ شريك الباري تعالى واللاشيء، ويسمى كلياً فرضياً، أو أمكن ولم يوجد كالعناء أو وجد الواحد فقط مع امتناع غيره كواجب الوجود، أو مع إمكانه كالشمس.. أو وجد متعدد محصور كالكواكب السيارة. أو غير محصور كالإنسان... وذلك الاتحاد هو معنى حمل

= ممتنع أفراده، كـ شريك الباري. بل كل الحالات ونقائص الأمور العامة لإجماع النقيضين (على فرض الأفراد) بوصول الشيئية للثاني (لا للأول وهو شريك الباري)

ويمكن أفراده، لا يقال: إن الواجب داخل فيه، فكيف يقابل الممتنع. مع أن سلب الضرورة من جانب فيهما. لأن (علة للنفى) للممكن بالإمكان العام ثلاث صور: سلبها من جانب الوجود، ومن جانب العدم، ومطلقاً. فالممتنع من الأول، والواجب من الثاني، والثالث غير معتبر، وهو (أي الممكن) قسمان أيضاً:

معدوم أفراده في الخارج كالعناء. بل كل شيء يخالف للعادة الجاري (بين الكائنات) ولقانون العالم. لأن (علة العدم) شرائط الحياة لا تساعده.

وموجود. وهو قسمان:

إما الموجود واحد مع امتناع الغير - كواجب الوجود -، أو إمكانه - كالشمس - لأن لكل ماهية في الذهن تعيين وهوية.. وفي الخارج تشخص وهديّة. فإذا فرضنا الأفراد للأول في الخارج تعلق بها تشخصه، وهو لازم الماهية فيه، فتتعلق به أيضاً، فيصير المفروض نفس الموجود. فلم يحصل المراد. وإذا فرضنا للثاني تعلق بها تشخصه، وهو كاللازم فيكون ممكناً، ولكن بموافقة انتظام عادة الله وعدم العبث في خلق الأشياء لا توجد، لاستغناء نظيره عنه.

أو متعدد محصور، كالكواكب السيارة. وليس المثال للكلّي بل بمصادقه. والكلّي يونانيّ ليس في العربية مرادفه. وكل ما نسب للعالم العلويّ كذلك. بل بعض مصنوعات النفوس الناطقة لقلة الأسباب المشخصة لها.

أو متعدد غير محصور عندنا، وغير متناهي عند الحكماء. وذلك لتعدد الأسباب المشخصة لها. (تقرير)

(١) (قوله: في الخارج.....) احتراز عن زيد إذا تصوّره جماعة. لأن المراد اشتراك الذهنيّ الظليّ في الخارجيّ الأصليّ، لا العكس، (وهو اشتراك الخارجي في الذهنيّ، أو الذهني في الذهنيّ، تأمل!)....

والفرق بين الجزئيّ الحقيقي والكليّ الفرضي: أن الثاني فرض ممتنع بالإضافة، أي الفرض ممكن والفروض ممتنع. كباب مفتوح في موضع غير ممكن الوصول إليه والأول بالتوصيف، أي الفرض ممتنع كالأفراد من حيث له. كباب مغلق في موضع ممكن الوصول إليه لا الدخول. وإنما ذلك، لأن على تقدير الإمكان يجتمع الضدان لأن الفرض مستلزم وجود المفروض في الذهن. ويستلزم عدم التشخص في الخارج للجزئيّ. وهو جزء الجزئيّ الموجود في الخارج. وعدم الجزء مستلزم لعدم الكل، فاستلزم الفرض وجود الشيء (وهو الجزئي في الذهن) وعدمه بالواسطة وهو محال. (تقرير)

الكلبي على جزئياته مواطأة وصدقه عليها. إما في الواقع، إن كانت الجزئيات موجودة فيه.. أو في الفرض؛ إن لم توجد إلّا في مجرد الفرض^(١)

ومعنى الحمل: هذان المفهومان المتغايران في الذهن، متحدان في الخارج.

والكلبي^(٢) المحمول^(٣) بحمل المواطأة يعطي موضوعه أي أفرادها، حدّه واسمه. ويتحد به عند الرازي. والكلّ بخلافه. فحمل الجامد^(٤) والموصوف^(٥) مواطأة وغيرهما إما اشتقاق^(٦) أو اشتغال^(٧).

ثم المحال فرضي لا يتصور بذاته، بل بنوع تمثيل^(٨). وليس بوجود^(٩) ذهني.

[ثم الكلبي إن ثبت لأفراده في الخارج ولو على تقدير وجودها فيه، فهو معقول أول. سواء ثبت لها في الخارج فقط، كالحارّ للنار]^(١٠)

إن قيل: يتصور مع النار وصف الحرارة، فتكون ثابتاً لها في الذهن أيضاً؟

أجيب: بأن الحرارة إنما تكون تابعاً وناعتاً إذا كانت عرضاً. والتي في الذهن صورتها،

(١) كلنبوي ص ٥ س ١٥.

(٢) قوله: والكلبي بحمل المواطأة... الخ اعلم أن الحمل قسيان: اشتقاق، وهو أن يحتاج المحمول في صحة الحمل إلى قيد زائد، بل مشتقه يحمل صحة كحمل المصادر على موصوفاتها كـ ﴿هُدَى لِّلشَّيْطَانِ﴾ مثلاً. أي ذلك ذو هدى، يعني نفس نور الهداية المجسّمة.. ومواطأة، وهي اتحاد. أي هو هو حقيقة، أو ادعاء كحمل الحدود على المحدودات. وبالعكس، لكنه قليل. والموصوفات على صفاتها كالناطق زيد. واشتالي، أي هو تحته لعمومه، كحمل المشتقات على موصوفاتها كـ «زيد ناطق أو عالم» مثلاً. لكن الرازي لم يجعل الاشتغال قسم المواطأة بل قسمه. فالأقسام عنده ثلاثة، بجعل المواطأة اتحادياً.. وسيّداً (أي الأستاذ) على مذهبه. قرر تعليقه هذه فاحفظ. (تقرير). (المقصود بـ «سيداً» بديع الزمان). أجبر

(٣) على جزئياته.

(٤) كسائر الحدود على المحدودات.

(٥) على صفاتها، نحو القائم زيد.

(٦) أي هو «ذو»، كسائر المصادر.

(٧) كحمل المشتقات.

(٨) أي لا يكون معلوماً إلّا بنوع محاكاة.

(٩) أي بموجود..

(١٠) كلنبوي ص ٤٠ س ٢٤.

وهي جوهرية اسمية تجاور النار.^(١) والزوجية هويتها الأصلية بعينها تعرض للأربعة^(٢) وصورتها^(٣) كهوية الضياء للشمس^(٤) ومثالها.^(٥)

[أو] ثبت [في كل من الخارج والذهن، كذاتيات الأعيان المحققة]^(٦) والمقدّرة ولوازمها.

اعلم أن كون ماهيات الأعيان المحققة من المعقول الأوّل، بناءً على قول من يقول إنها بعينها في الذهن. وأن الوجود الذهني ثابت^(٧) وأن ما في الذهن مثال لا شبح. وأن تصرف الذهن في الوجود،^(٨) لا في الماهية، فذاتياتها ولوازمها بعينها في الذهن. [وإن ثبت لها في الذهن فقط، فهو معقول ثان]^(٩)

اعلم^(١٠) أن ما يعرض في الذهن إما لا دخل له في الإيصال^(١١) كالأمور العامة،^(١٢) في الكلام^(١٣) وهي الوجود، والوجوب، والإمكان وغيرها. وإما له دخل في الإيصال. لكن ليس عنواناً للغير، كتعاريف الأمور العامة.^(١٤) وإما موصل وعنوان فهو المعقول الثاني المنطقي، كمفهوم القضية والقياس وغيرها. ومفهوم الكلّي المنقسم إلى الكليات الخمس المنطقية، العارض للماهية المنقسمة إلى الخمسة الطبيعية.. ومجموع العارض والمعرض إلى الخمسة العقلية.

(١) الذهني. أي هو مأخوذ من النار الخارجي، مستقلاً لا عارض للنار الذهني.

(٢) في الخارج.

(٣) في الذهن.

(٤) في الخارج.

(٥) في المرأة.

(٦) كلنوي ص ٥ س ٢٧.

(٧) أي ليست رابطة بين العالم والمعلوم.

(٨) والتشخص

(٩) كلنوي ص ٦ س ١.

(١٠) تفريق لأقسام المعقول الثاني.

(١١) إلى المجهولات.

(١٢) المبحوث

(١٣) والحكمة.

(١٤) وتعارف الاسمية لمصطلحات المنطق التي تعرضها ويتوضع عليها المنطق الحرفي. (تقرير)

[ولا شيء من هذه الكليات بموجود في الخارج لاستحالة الوجود (الخارجي) بدون التشخص]^(١) وما قيل:^(٢)

إن جزء الموجود^(٣) موجود؛^(٤) فالمراد حيث كان جزءاً، أي في الذهن. فإن الذهن^(٥) هو الذي يفصل ويشرح ويكثر ما اتحد وامتزج في الخارج.

(١) كلنبوي ص ٥ س ١٠. وهو ضد الكلّي المشترك.

(٢) أي اختلف فيه. فقيل: إن الكلّي المنطقي موجود فيه لأنه موجود في الذهن، والذهن موجود في الخارج. فينتج أنه موجود في الخارج. كما أن الدرة في الحقّة الخ.. وليس كذلك، لعدم تكرار الأوسط في قياسه. لأن لكل شيء ملكاً وملكوته، وللذهن أيضاً كذلك. فالشيء في ملكه علم، وفي ملكوته معلوم. فيتكرر الأوسط في الأول دون الثاني. مثلاً تصور ذرة زجاجة رقيقة، فالسقاء بمسافتها الطويلة مرتسمة في ملكوته، والذرة بملكه داخله في حبة خردل. فتأمل!...

فإن اعتبرت الكلّي المنطقي من قبيل الأول، فموجود في الخارج.. وإلا فليس بموجود فيه. وهو الأصحّ. ثم ذهب المشائون والمتأخرون -كما يأتي- إلى وجود الطبيعي. وتفصيله: أن الأفكار في أنواع الأشياء ثلاثة. أحدها لأهل السنة: وهو أن لكل نوع ملكاً مسلطاً عليه بأمر الله يتصرف فيه، ليس له طبيعة مؤثرة.. والثاني للإشراقيين: وهو أن لكل نوع رتبة يتصرف في مشخصات ذلك النوع، وتستمد الأفراد منه. وهو موافق لذلك النوع بل متحد معه. لو تلبس لبس مسلطه لكان عينه. والثالث للمشائين: وهو أن لكل نوع ماهية مجرّدة موجودة في الخارج، منشأ ومرجع للمشخصات، وهي طبيعة مؤثرة فيها. وأما المتأخرون فقاموا وذهبوا إلى وجود الطبيعي في الخارج. ولكن لا بما قالوا، بل أثبتوا بدليل نظري. وهو أنه جزء الموجود، وجزء الموجود موجود. والجواب مذكور. (تقرير)

(٣) الخارجي.

(٤) في الخارج.

(٥) لا يقال: يلزم التباين بين الخارجي والذهني، لأن الذهن يفصل الخ.. أي تصرفه فيه بالتفصيل لا يكون كذباً. (تقرير)

اعلم أن المصطلحات^(١) في العلوم لها حقائق اعتبارية لا وجود^(٢) لها في الخارج.

لأن في الوجود الخارجي يتحد الجنس والفصل والنوع، بل يتجمّد. وما صيّرَها فصولاً للمصطلحات، أعراض في الأغلب أو نسبيّ. فما في الخارج ليست أفرادها، بل الوجود في الخارج أو في الذهن معروض أو موصوف ما تسبّل عليها معانيها.

(١) اعلم أن مصطلحات المنطق عنوان للأفراد كالزجاج والمرأة، وموصل، كما مرّ. إما بالذات باعتبار نفس تلك الآلة، لأنها تصل ذلك بواسطة قراءتها. أو بالواسطة، باعتبار أنها تكون بمرتبة، أو بمراتب جزء الموصول. وأن المنطق من حيث هو آلة تبغي حرفي هوائي واسع، وقد تكون اسمياً طبيعة. فإذا يخرج منه كالطور ويتوضّع عليه.

فلا يرد أن الكلّي في تعريف الكليات الخمسة جنس ذاتي لها، وهو مقيد. فيكون أخص من المعرف المطلق، فيلزم وجود الأعم وهو المعرف بدون الأخص وهو كونه جنساً وهو محال. لأن ما يقوم به هو الأجزاء. فبعدم جزء منه يكون معدوماً.

إذ الاعتبار مختلف؛ فباعتبار أنه توضع وعمّ جزئيات المعرف وغيرها جنس وجزء أعم، فلا إشكال؛ وباعتبار أنه خرج من الطبيعي الاسمي الحرفي وتوضع مقيداً خصّ وليس بجزء، فإنه بهذا الاعتبار مدعي. كونه ابن ابن ابن ابنه. أو أب... الخ. لأنه خرج منه الجنس وتوضّع عليه وهو جنس الجنس، وهو نوع الجنس الكليات، وهو نوع الجنس المطلق، وهو نوع الذاتي، وهو نوع الكلّي ففصل!..

واعلم أن تفسير الكلّي في تعريف الكليات بمقول على كثيرين، لثلاثتهم أن الجنس ينحصر في النوع، كالنوع في الشخص، يعني أن المقول أخص، وكرر في الكل للطرّد.

ثم اعلم أن النوع متى ضاق حتى تجسّم وثبت، ازداد كمال النوعية وتكون حقيقياً. ومتى اتسع وانتشر، تخرج من طبيعته. ولذا يكون إضافياً. وأن الجسم متى اتسع وانتشر حتى يكون هواء وعدمًا، ازداد في كمال الجنسية. فيرتبان: النوع نزولاً والجنس صعوداً، مراعاة لطبيعتهما. فانقسما ثلاثة ثلاثة: النوع العالي، ويسمى نوع الأنواع أيضاً، وهو ما ليس فوقه نوع، والمتوسط ما فوق وتحت نوع، والسافل ما ليس تحت نوع. والمفرد (كالعقل إن قيل: الجوهر جنسه وما تحته أفراد) ما ليس فوقه ولا تحت نوع، والجنس كذلك، جنس السافل والمتوسط. وجنس الأجناس، والجنس المفرد (كالعقل إن قيل الجوهر ليس جنساً له وما تحته أنواع منحصرة في الشخص).

لا يقال النوع جنس لهذه الأربعة. وكذا الجنس. والحال أن غير المتوسط عدمي المفهوم، فلسن بموجود. لأن السلب من الأمور النسبية، اعتباري متجدّد، لا يكون من أجزاء الحقائق التي لا تكون إلا من الأمور الثابتة الموجودة. فيلزم انحصار الجنس في النوع.

لأن كون الحقائق كذلك في الحدود التامة لا الرسوم. وهنا قد لفت عليها اللوازم. فرسومها ذاتياتها موجودة في الخارج.

ثم اعلم أن النوع المفرد مباين لسائر الأقسام. وكذا الجنس المفرد، وكذا النوع السافل، وكذا جنس الأجناس وكذا بين الأنواع. وكذا بين الأجناس. فبقي الجنس السافل والمتوسط والنوع العالي والمتوسط. (تقرير)

(٢) لأنها ناشئة من اختيار البشر. وليس من حدّ جزء الاختيار خلق الأفراد. (تقرير)

فالمعقولات^(١) الثانية ليست عبارة عن المصطلحات المنطقية، فإنها ليست بشيء في الحقيقة. بل في كلّ منها نكتة أو نقطة خفية تشكّلت عليها حقيقتها الاعتبارية للتفهم. وذلك، معنى وعرض للأمور الذهنية، كالمعاني الحاصلة للخارجيات بواسطة أوضاعها وكيفياتها.

مثلاً: تخيل على الجدار نقطة بيضاء، وعلى محيط دائرتها نقطاً بيضاء وحمراء! فانظر إليها كيف ترى؟ فإنك ترى نقطة عرضت له المركزية بسبب الدائرة. فهي صفة من مقول الوضع، وتتصور بسبب موافقة بياضها لبياضها المشاكلة، وهي صفة من مقول الوضع والكيف. فإن كانت حمراء فلها صورة أخرى وصفة أخرى.

ونقطة واحدة على جدار آخر، لها هذه المعاني والأعراض.

فهاية الإنسان في الخارج كالنقطة الواحدة وفي الذهن تعرّض لها نوع المركزية أو شبهها، وشبه المشاكلة.

فهذه معان تعرض في الذهن، تسنبل في خيال المنطقيين، فصيّروها حقائق، فوضعوا لها مع ما التّف بها مصطلحات، صيّروها موضوعات المسائل، يُشار بها إلى تلك المعاني. والمصطلحات كالمعاني الحرفيّة للمعقولات الأولى. وقد تصير كالاسم، فتصير طبائع فتعرض لنفسها كدود الحرير يخرج من ذاته ما يحيط به. وليس كعنوان الموضوع، فإن له دخلاً لا يذهب الحكم إلى الموضوع برأسه. بل يسلم عليه، ثم يأذن له.^(٢) أما المعقولات الثانية فيحرّك المحمول من جانب، حتى يقع على رأس الموضوع،^(٣) فهو كـ«كل» في «كل إنسان» لا مفهوم «إنسان».^(٤)

مقدمة:

اعلم أن بيان النسب من أهم مباحث المنطق. فإن أفراد المسائل متفرقة ومنتشرة تضمّنت فيما بينها وتبطنّت في تلايفها صوراً بتمديد خطوط النسب؛ كتحصيل الصور الاثنى عشرية

(١) أي فإذا كانت اعتبارية فكيف تكون مداراً للحقائق والأحوال. فالمعقولات.. الخ. (تقرير)

(٢) في الوقوع على أفرادها.

(٣) أي أفرادها.

(٤) يعني أن جنس الإنسان ليس الجسم، والفصل ليس الروح. بل الثانيان مأخذ للأولين. يعني أن الجنس والفصل قد نشأ منها. ثم توضع دفعة على الجسم (تقرير)

فيما بين نجوم المنطقة بتمديد الخطوط الوهمية الهندسية.. وكتحصيل القبائل والبطون والأفخاذ باعتبار نسب النسب فتأمل!^(١)

واعلم أيضاً أن المنطق بعضه بدهيّ وبعضه نظريّ يكتسب من بدهيّ. فتأمل في كل باب تر السابق مقدّمة ومرجعاً لإثبات اللاحق.

[ثم الكليّان إن كان بينهما تصادق^(٢) في الواقع^(٣) بالفعل^(٤) كليّاً من الجانبين فمتساويان، وكذا نقيضاهما]، ففي كل باب يستفاد نظريّة من بدهيّة. فالكليّتان المتصادقتان في الواقع متساويتان بدهيّاً. ومرجع المساواة صدق قضيتين كليّتين من الجانبين.

مثلاً: «كل إنسان ناطق، وكلّ ناطق إنسان».. وكذا نقيضاهما، مثل: «كل لا إنسان لا ناطق. وكل لا ناطق لا إنسان» هما أساسا التساوي. فصدق الأول من الثاني ثابت بكذب نقيضها؛ المستلزم المستلزم المستلزم المستلزم المستلزم.. لكذب البدهيّ وهو الثاني من الأول. وصدق الثاني من الثاني بكذب نقيضها اللا المستلزم. كذا لكذب البدهيّ وهو الأول من الأول. فاللازم باطل والمطلوب حاصل...

[أو من أحد الجانبين فقط فأعم وأخصّ مطلقاً كالحَيوان والإنسان ونقيضاهما بالعكس كاللحيوان واللاإنسان]^(٥) أي نقيضا الأعم والأخصّ بالعكس. يعني أن نقيض الأعم أخصّ، ونقيض الأخصّ أعم. أي تصدّق موجبةً كليّة موضوعها نقيض الأعم.. وسالبةً جزئية موضوعها نقيض الأخصّ. أي مثلاً: «كلّ لا حيوان لا إنسان» صادق.. وإلا لصدق نقيضه الملزوم لنقيض القضية الصادقة المسلّمة، وهو «كلّ إنسان حيوان»، وملزوم الكاذب كاذب. وأي «ليس بعض اللا إنسان لا حيوان» وإلا لصدق نقيضه، وهو: «كلّ لا إنسان لا حيوان» المستلزم بعكس النقيض لـ «كلّ حيوان إنسان» وهو نقيض للسالبة الصادقة، وهو «بعض الحيوان ليس بإنسان». ونقيض الصادق كاذب، فملزوم الكاذب كذا..

(١) إشارة إلى أنّ وجهه وسرّ تفاوت مراتب بعض العلماء على بعض، والكلام القديم على غيره من هذه النقطة. (تقرير)

(٢) لا تفارق وتحقق.

(٣) أي لا في تجويز العقل وبحسب المفهوم.

(٤) أي مرجعه موجهة بالإطلاق لا بالدوام كما في المتباينين..

(٥) كلنوي ص ٤ س ٢٤.

[أو تَفَارُقٌ دائمٌ كلياً من الجانبين، فمتباينان كلياً.. كالإنسان والفرس، وكعين أحد المتساويين مع نقيض الآخر، وعين الأخص المطلق مع نقيض الأعم..]

وبين نقيضهما مباينة جزئية، هي أعم من المباينة الكلية، كما في نقيضي المتناقضين «الإنسان واللاإنسان»، ومن العموم من وجه، كما في نقيضي المتضادين (كالسود والبياض) وأمثالها، فبين النقيضين التباين الجزئي هو النسبة، لأنه الدائمي وهو كالجنس اللازم للتباين الكلي^(١).. والعموم من وجه اللذين يختص كل منهما ببعض المواد.

والتباينُ الجزئي، مرجعه سالتان جزئيتان. أما صدقهما، فلمناقضة عكس نقيض نقيضيهما للنقيضيتين الصادقتين في العينين.. مثل بعض اللاإنسان ليس بلافرس؛ وإلا فكل لا إنسان لا فرس. وهو ينعكس بعكس النقيض إلى «كل فرس إنسان»، وهي ضدّ «لاشيء من الفرس بإنسان». وقس عليه أخاه.^(٢)

فثبت بالخلف التباين الجزئي. وأما عدم صدق التباين الكلي والعموم من وجه، فبالتخلف. لأنه لا يوجد في مواد. وبالعكس. وقس على هذا، نقيض العموم والخصوص من وجه.. والشخصية في قوة الكلية.

[وإن لم يكن بينهما تصادق، ولا تفارق كليان، بل جزئيان من الجانبين. فأعم وأخص من وجه.^(٣) وبين نقيضيهما مباينة جزئية، هي أعم أيضاً. إذ بين نقيضي مثل الحيوان واللاإنسان مباينة كلية. وبين نقيضي مثل اللاإنسان والأبيض عموم من وجه. والجزئي الحقيقي^(٤) أخص مطلقاً من الكلي الصادق عليه. ومباين لسائر الكليات. وأما الجزئيان: فهما إما متباينان كزيد وعمرو.. وإما متساويان، كما إذا أشرنا إلى زيد بهذا

(١) كلنوي ص ٦ س ٢٦.

(٢) وهو بعض اللافرس ليس بإنسان.

(٣) كالإنسان والأبيض وكعين الأعم المطلق مع نقيض الأخص.

(٤) قوله: «والجزئي الحقيقي.. الخ» النسب فيه اثنان: إما العموم المطلق، ومرجعه شخصية موضوعها الجزئي، أو التباين ومرجعها شخصيتان سالتان. ونسب الجزئيتين أيضاً كذلك: إما التباين ومرجعها كما مر. أو التساوي ومرجعها شخصيتان موجبتان. والحال أننا قلنا: إن مرجع التساوي والتباين كليتان والعموم المطلق كلية مع جزئيتين. والجواب مقدم. وهو أن الشخصية في قوة الكلية بدليل أنها تكون صغرى الشكل الأول. (تقرير)

الضاحك، وهذا الكاتب. فالهذيتان متصادقتان متساويتان.. هذه هي النسب الأربع بحسب الصدق والحمل^(١)

[وقد تعتبر تلك النسب بحسب الصدق^(٢) والتحقق باعتبار الأزمان والأوضاع، لا باعتبار الأفراد، بأن يقال: المفهوم،^(٣) إن كان بينهما اتصال كلي من الجانبين؛ بأن يتحقق كل منهما مع الآخر في جميع الأزمان والأوضاع الممكنة الاجتماع معه^(٤) فمتساويان كطلوع الشمس ووجود النهار، أو من أحد الجانبين فقط فأعم وأخص مطلقاً.^(٥) وإن كان بينهما افتراق كلي من الجانبين بأن لا يتحقق شيء منهما مع الآخر في شيء من الأزمان والأوضاع، فمتباينان كلياً^(٦) وإلا فأعم وأخص من وجه^(٧). وهذه هي النسب المعتبرة بين القضايا]^(٨) وما يفيد أدوات الشرط من الأزمان، «كمى». والأمكنة «كأين». والأوضاع والأحوال «ككيف» والكيفيات «ككيفما» في حكم الأفراد...

والنسبة إما حملي - كما مر - وإما وجودي. ومرجعها قضايا شرطية متصلة^(٩) وكلية جزئياً باعتبار ما يدل عليه أدوات الشرط الكلية من الأوضاع، ولو كانت محالاً، بشرط الاجتماع^(١٠) مع اللزوم.^(١١) وإلا لكذب كل كلية من الشرطيات.

وما يناسب هذا المقام المغالطة المشهورة على إنتاج الشكل الثالث؛ بـ«كلما تحقق النقيضان تحقق أحدهما. وكلما تحقق النقيضان تحقق الآخر»، فينتج أن يكون إذا تحقق أحد النقيضين تحقق الآخر. وهذه النتيجة تفيد ملازمة بين النقيضين وهو محال؟

(١) كلنبوي ص ٧ س ٩...

ومرجعها: قضايا حملية موجبة. والجهة هنا الإطلاق في الموجبة والدوام في السالبة.

(٢) فالصدق في الأول يتعدى بـ«على» وهنا بـ«في».

(٣) أعم من أن يكون قضايا أو مفرداً.

(٤) أي اجتماع الأوضاع مع اتصال التالي للمقدم.

(٥) كإضاءة المسجد وطلوع الشمس.

(٦) كطلوع الشمس ووجود الليل..

(٧) كطلوع الشمس وهبوب الريح.

(٨) شبيه بمتن كلنبوي ص ٧ س ١١.

(٩) أي لا منفصلة ولا موجهة.

(١٠) أي اجتماع الأوضاع.

(١١) أي لزوم التالي للمقدم.

والجواب: إن أردت بأحدهما^(١) وحده، فالصغرى^(٢) كاذبة، ومع الآخر فالنتيجة صادقة^(٣) غير مطلوبة.^(٤) لأن الشرطية اللزومية تنظر إلى اللزوم، سواء كانا موجودين^(٥) أو محالين.. وموجبتين أو سالبتين. وفي الاتفاقية الخاصة صدق الطرفين^(٦) وفي العامة صدق التالي فقط. فالاتصال^(٧) والافتراق في اللزوميات والعامة يكفي بحسب الفرض.

[واعلم أن بين المفهومين مفردين كانا، أو مركبين، أو مختلفين نسباً أخرى بحسب تجويز العقل بمجرد النظر إلى ذاتهما، مع قطع النظر عن الخارج عنهما. وتسمى نسباً بحسب المفهوم. بأن يقال: إن تصادقا بحسب ذلك التجويز كلياً من الجانبين، فمتساويان، كالحذ التام مع المحدود. أو من أحد الجانبين فقط. فأعم وأخص مطلقاً، كالحذ الناقص مع المحدود، وإن تفارقا كلياً من الجانبين. فمتباينان كلياً كالمتناقضين؛ نحو «الإنسان واللاإنسان». وإلا فأعم وأخص من وجه؛ كالإنسان مع الضاحك أو مع الماشي].^(٨)

[تنبيه:

قد يطلق الكليّ على الأعم، والجزئيّ على الأخص^(٩) ويسمّيان كلياً وجزئياً إضافيين فكلّ جزئيّ حقيقيّ، جزئيّ إضافيّ بدون العكس؛ كما في كليّ أخص من كليّ آخر. وأما النسبة بين الكليّ الحقيقي والإضافيّ فبالعكس. لأن الكليّ الإضافيّ أخص مطلقاً من الحقيقي.

(١) في الصغرى.

(٢) لعدم اللزوم.

(٣) والمقدّمتان صادقتان لوجود اللزوم.

(٤) كأن يقال: كيف يكون صادقاً، مع أن المقدمتين محالان؟ فأجاب: (تقرير)

(٥) أي الطرفين.

(٦) لا اللزوم.

(٧) أي اتصال التالي للمقدّم وافتراقه منه.

(٨) كلنبوي ص ٨ س ١-٨.

(٩) أي هو كل أخص تحت أعم، سواء كان ذلك الأعم ذاتياً له، أو لا، أي كان فوقه شيء أعم مطلقاً، فلا ينافي أعمية الحقيقي من الإضافي بذات الله عزّ وجل، بأن يقال: إن ليس فوقه أعم من لوازمه فلا يكون أعم. إذ فوقه الموجود والممكن العام. (تقرير)

فصل في الذاتيّ والعرضيّ: [١]

الذاتية والعرضية باعتبار الوجود،^(٢) كما في الجوهر والعرض،^(٣) والاسم والحرف..
وباعتبار السبب إن كان دائماً^(٤) أو أكثرياً ذاتيّ، وإلاّ عرضيّ.

وباعتبار الحمل إن كان الموضوع موضوعاً بالطبع^(٥) كالجزئيات^(٦) والذوات^(٧) إذا حملت عليهما صفاتها. ومن هنا^(٨) الاحتياج إلى الأشكال الثلاثة،^(٩) والحمل بالمواطأة،^(١٠) والمحمول من طبيعة الموضوع،^(١١) والمحمول الأعم من الموضوع والمقوم له ودائم الثبوت له وبلا واسطة، أي ثبوته لذاته أو لأمر يساويه، فقد مرّ.

وباعتبار المحمول ما يمتنع انفكاكه عن الشيء،^(١٢) وما يمتنع انفكاكه عن الماهية.. أي ما يمتنع ارتفاعه عن الماهية في الذهن؛ كالبين بالمعنى الأعم. وما يجب إثباته للماهية كاللوازم البينة بالمعنى الأخص. وكل من هذه الثلاثة أخص مما قبله..

وباعتبار الجزئيات فما دخل أو لم يخرج هو ذاتياً.^(١٣) لأن العلة في الوضع والاستعمال اللغوي تصير مرجحاً في المصطلح. فاللازم وجودها في الأكثر.

[الكليّ^(١٤) المحمول على شيء آخر كليّ أو جزئيّ، إن لم يكن خارجاً عن ذاته وحقيقته،

(١) كلبوي ص ٨ س ٨.

(٢) الخارجيّ.

(٣) والذهني.

(٤) أي إن كان ترتب السبب على السبب دائماً أو أكثرياً فالسببية ذاتية، كالموت على قطع الخلق ورمى التّفنك [أي البندقية]. وإلاّ فرضيّ كالموت على الحمى. (تقرير)

(٥) وكذا المحمول.

(٦) إذا حملت عليها كليّاتها.

(٧) أي ذاتيّ وإلاّ عرضيّ.

(٨) أي هذه النقطة يُعلم ويحصل الاحتياج.. الخ

(٩) غير الأول.

(١٠) نحو الحجر متحرك في العلو.

(١١) أي في الخارج.

(١٢) كأنّ قائلاً سئل: إذا فُترت ما دخل بلم يخرج، دخل ما عينه كالنوع. فالنسبة في الذاتيّ فيه إلى نفسه؟ فأجاب.

(١٣) أراد مطلقاً ليوافق الممثل التمثيل.

فذايتي له. سواء كان عينَ حقيقته - كالحَيوان الناطق للإنسان - أو جُزءَهَا المساوي لها، مميّزاً لها عن جميع ماعداها، كالناطق له. أو جزءَهَا الأعمّ مميّزاً لها في الجملة، كالحساس والنامي، أو غير مميّز أصلاً كالجوهر والحَيوان..^(١) وإلاّ فعرض له سواء كان مساوياً لها، أو أخصّ^(٢) مميّزاً عن جميع ماعداها، كالضاحك بالقوة أو بالفعل. أو أعمّ مميّزاً لها في الجملة^(٣) أو غير مميّز أصلاً: كالشيء.^(٤) جميع ذلك للإنسان].

[ثم الذاتيّ المشترك بين الجزئيات، إن اشتركت تلك الجزئيات في ذاتيّ آخر خارج عنه، فهو مشترك ناقص بينها، كالحَيوان بالنسبة إلى أفراد الإنسان، حيث اشتركت في الناطق أيضاً. وكالناطق حيث اشتركت في الحَيوان أيضاً.. وإلاّ فمشارك تام، كالإنسان بالنسبة إلى أفراد.. وكالحَيوان بالنسبة إلى مجموع أفراد. فكل ذاتيّ مميّز للماهية في الجملة فهو مشترك ناقص مطلقاً، ولو بالنسبة إلى أفراد نفسه. وكل ذاتيّ سواء فهو مشترك تامّ بالنسبة إلى أفراد نفسه، وناقص بالقياس إلى أفراد ذاتيّ أخصّ منه، إن وجد الأخص، كالحَيوان]^(٥)

فاعلم أن ما يطلب به المجهول، «ما» الاسميّ والحقيقي.. و«هل» البسيط والمركب.. و«ما» مع «هل» كزُلزُل.. و«ما» للقول الشارح، و«هل» للقضايا. و«أي» للتوازم والذاتيات المميّزة. و«لِمَ» للقياس، ف«ما» يطلب الحقيقة.

فإن قيل: الذاتيّ كليّ وجرثيّ، فهو محمول وغير محمول.. وإن الجنسية والجزئية متنافيان؟.

أجيب: بأنهما متّحدان بالذات، مختلفان بالاعتبار. فبشرط «شيء» يتضمن النوع. وبشرط «لا شيء» جزء ولا بشرط شيء جنس. وأجزاء الماهية. قيل: في الخارج متعدّد

(١) لأن التمييز التفريق، يقتضي الاشتراك، وليس فوقه جنس حتى يشترك الإنسان معه فيميّز عنه. وأما الاحتراز عن العرض فالإنسان مميّز بالذات عنه ليس بالجوهر. أما الحَيوان فهو باعتبار اشتغاله على الجوهر، لم يبق موضع للاشتراك. والإنسان يمتاز من أفرادها باعتبار اشتغاله على الفصول. وأما فصوله مستقلاً فيميّز الإنسان.. (تقرير)

(٢) مطلقاً.

(٣) كالماشي.

(٤) والممكن والموجود والمعلوم..

(٥) كلنبوي ص ٨ س ١٩.

الوجود.. فالحمل للالتحام. وقيل: في الخارج مأخذها. وقيل: اعتبارات تختلف باعتبار العبارات والاعتبارات.

[وإن مطلوب السائل بكلمة «ما» عن الواحد تمام حقيقته المختصة به، بمعنى المختصة بنوعه، وعن المتعدد تمام الذاتيّ المشترك بينهما. فالسائل بـ«ما هو» عن زيد طالب للإنسان.. وعن الإنسان طالب للحيوان الناطق. وبـ«ما هما»، أو بـ«ما هم» عن زيد وعمرو، أو مع بكر طالب للإنسان أيضاً. وعن الإنسان والفرس طالب للحيوان. وعنهما وعن الشجر طالب للجسم النامي، ومع الحجر طالب للجسم.. ومع العقل العاشر طالب للجوهر.

ومطلوبُ السائل بـ«أي شيء» ما يميّز المطلوب بكلمة ما هناك تمييزاً في الجملة؛ إمّا مميّزه الذاتيّ إن قيده بقيد «في ذاته»، أو مميّزه العرَضيّ إن قيده بقيد «في عَرَضه»، أو المميّز المطلق إن لم يقيده بشيء. فالسائل عن زيد وحده أو مع عمرو بـ«أي شيء في ذاته» طالب للناطق، أو الحساس، أو النامي، أو القابل للأبعاد.. وبـ«أي شيء في عَرَضه» طالب لمثل الضاحك أو الماشي. والسائل عن زيد وهذا الفرس بـ«أي شيء هما في ذاتهما» طالب للحساس، أو النامي، أو القابل.. وبـ«أي شيء في عَرَضهما» طالب لمثل المتنفّس، أو المتحيّز، وقس عليه^(١)

[فالفصل أيضاً مقوم للماهية]^(٢) فالفصل محصل للحصة الجنسية ومقوم للنوع ومقسّم للجنس. والجنس عرَضٌ عامٌّ للفصل، والفصل خاصته، والنوع خاصتهما، والعرض خاصّة الجنس.

[ولا يتكرّر جزء واحد الخ]^(٣) أي لاجتماع المثليين المستلزم لاجتماع النقيضين^(٤) وللعبث في الخلقة، ولتعدد المأخذ المستلزم لوجود روحين لجسد، وبالعكس... وما يتوهم بعض الناس من تعددات شخصيات في كاهن، فإنما هو غلط من التباس الجنّي المناسب لروحه، بشخصيته.

(١) كلنبوي ص ٩ س ٢٦ مع فروق طفيفة..

(٢) كلنبوي ص ١١ س ١.

(٣) كلنبوي ص ١١ س ٩.

(٤) بناء على أن اجتماع المثليين ليس بواجب. فممكّن زوال مثل فيجيء نقيضه ويجتمع مع المثل الآخر وهو محال. (تقرير)

[ولا يتركب الخ]^(١) كالإنسان من الضاحك والناطق مثلاً. لاجتماع ما كالعنتين المستقلتين، ولاجتماع الاحتياج والاستغناء.

وأجيب: بأن كلا منهما بشرط شيء، وبشرط لاشيء، ولا بشرط شيء. فالثالث كالجنس،^(٢) والأولان نوعان له. فالأول نفس الإنسان وفصله الذي يميّزه عن النوع الآخر الضاحك مثلاً.

[تنبيه: اللزوم الخارجي هو امتناع الخ]^(٣)

إن قيل: اللزوم لو وجد لوجب أن يكون الواجب^(٤) موجباً في اللازم... أجيب: بأنه^(٥) إيجاب بالاختيار.^(٦) وأيضاً لَلَزِمَ التسلسل.. إلّا أن اللزوميات متماثلة^(٧) بالشخص أيضاً،^(٨) لتماثل المعروض وتشخصها. وكأنيبها بالموضوع فيلزم العبث، فيلزم الانحصار في الشخص.. وهو معنى قولهم: «لزوم اللزوم نفسه».

وأما الاعتباريات: فالتسلسل إنما يلزم من القصد وهو ليس بلازم. والتبعي كالحرف لا يتسلسل.^(٩) ومن هنا^(١٠) يقال: «لازم المذهب الغير البين ليس بمذهب». واعتباريتها باعتبار وجودها. أما نفسها فالخارج ظرف لها. وفي الحمل الخارجي يجوز أن يكون مبدأ المحمول معدوماً. كزيد موجود في الخارج. فيلزم التسلسل في الأمور الثابتة^(١١) في نفس الأمر. واللزوم من الأمور النسبية موجود عند الحكماء لأهل السنة.

(١) كلنوي ص ١١ س ٩.

(٢) لم يقل بالاتحاد، لئلا يلزم انحصار الجنس في النوع.

(٣) كلنوي ص ١١ س ٢٥.

(٤) بالذات.

(٥) أي الإيجاب.

(٦) وهو مقو للاختيار.

(٧) أي إن الأعراض مشخصها قيامها بالمحل، فتبعها في المائلة.

(٨) أي كما بالماهيات.

(٩) أي لا يحكم عليه.

(١٠) أي من هذه النقطة.

(١١) لكن لزوم اللزوم نفسه.

[باب الحدّ الخ] ^(١) المراد من التعريف ^(٢) التوضيح، أو التحصيل، أو التمييز..

(١) كلنوي ص ١٣ س ٢٠ معنى.

(٢) اعلم أن التعريف إما بمجرد الذاتيات أو لا. والأول إما أن يكون بجمعها كالجنس والفصل القريبين، أو ببعضها كالفصل القريب. أو مع الجنس البعيد. الأول هو الحدّ التام.. الثاني هو الحدّ الناقص.. والثاني: إما أن يكون بالجنس القريب والخاصّة، أولاً بل بالخاصّة وحدها.. أو مع الجنس البعيد. الأول هو الرّسم التام والثاني هو الرّسم الناقص هذا، ولا يخفى ما فيه. أما أولاً، فلعدم انحصار كلّ من الأقسام الأربعة - بما ذكره - ضرورة. إن الحدّ التام كما يحصل بالفصل والجنس القريبين، فقد يحصل بهما مع الفصل البعيد.. وبهما مع الجنس البعيد.. وبهما مع الخاصّة.. وبهما مع العرض العام وغير ذلك. والحدّ الناقص، كما يحصل بالفصل القريب خاصّة، وبه مع الجنس البعيد.. فكذا يحصل بالفصل القريب والخاصّة.. وبه مع العرض العام.. وبه مع الفصل البعيد.. وبه مع الجنس البعيد والخاصّة.. وبه مع الجنس البعيد والعرض العام.. وبه مع الجنس البعيد والفصل البعيد وغير ذلك. وهكذا حال الرّسم التام والناقص..

والتفصيل: أن الكليات خمسة. ومع ملاحظة كل من قسمي الجنس والفصل تصير سبعة. فحينئذ نقول: إن المعرّف إما بسيط أو لا، وعلى الثاني، إما ثنائي أو ثلاثي أو رباعي أو خماسي أو سداسي أو سباعي.. والبسيط، سبع صور.. صحيحها اثنان. والبواقي غير صحيح، إما للعموم أو للخصوص... والثلاثي تسع وأربعون صورة حاصلة من ملاحظة السبعة مع السبعة، بعضها غير صحيح للعموم أو للخصوص.. أو لتقدّم الأخص على الأعم خاصة. أو مع واحد من الأولين، وبعضها يرجع إلى البسائط. ونرسم لها جدولاً يُسهّل تمييز الضّحاح عن الغير.. ويعلم منه حال البسائط أيضاً. وهو هذا: والثاني ثلاثمائة وست وثلاثون صورة. فإن التركيب الثلاثي بين السبع يرتقي إلى ست وخمسين. وذلك لأنه إذا ركب الجنس القريب والبعيد والفصل القريب مثلاً بتركيب والفصل البعيد والعرض العام والخاصّة مثلاً بتركيب آخر، فهما صورتان. ولو بدلنا كل جزء من أجزاء أحد التركيبين بكل جزء من أجزاء الآخر، يحصل ثنائي عشرة صورة، تكون مع الأولين عشرين. ولو بدلنا كل جزء من أجزاء أحد التركيبين بالنوع مثلاً، يحصل ست صور. ولو بدلنا كل جزء من الجزئين الأخيرين غير النوع من هذه الصور الست المشتملة على النوع بكل واحد من الثلاث الباقية، يحصل ست وثلاثون صورة؛ تكون مع العشرين السابقة ستاً وخمسين. والاحتمالات في كل تركيب منها بحسب تقديم بعض إلى بعض ست.. والحاصل من ملاحظة الست مع الست والخمسين، ثلاث مائة وست وثلاثون، وهو المطلوب. والرّباعي ثلاثة آلاف وثلاثمائة وستون. فإن التركيب الرباعي بين السبع، يرتقي إلى مائة وأربعين. لأنه إذا أريد أن يركب من السبع تركيبان لا يشتركان في الأجزاء على قدر الإمكان، فلا محالة أن يشتركا في جزء واحد مردّد بين السبع. فهذه أربع عشرة صورة، لكل تركيب منها سبع صور. ولو بدل كل جزء من الأجزاء الثلاثة الغير المشتركة من صور كلّ من التركيبين المفروضين، السبع بكل جزء من الأجزاء الثلاثة الغير المشتركة من صور التركيب الآخر السبع، يحصل مائة وست وعشرون صورة. كما لا يخفى تكون مع الأربعة عشر، مائة وأربعون، وهو المطلوب. والاحتمالات في كل من هذه التركيب أربعة وعشرون. والحاصل من ملاحظة عدد التركيب مع عدد الاحتمالات، ثلاثة آلاف وثلاث مائة وستون. والخماسي: خمسة آلاف وأربع مائة. فإن التركيب الخماسي بين السبع أربع مائة وخمسون ضرورة أنه لو ركب من السبع تركيبان لا يشتركان في الأجزاء بقدر الإمكان، فلا بد وأن يشتركا في ثلاثة أجزاء من السبع، مرددة بين ست وخمسين صورة، على ما تبين في التركيب الثلاثي. فهذه مائة وثنتا عشرة صورة، لكل من هذين التركيبين

إما بالمباين وهو التمثيلي ومنه الرسم الناقص الناقص.. ومنه كل التشبيهات كـ«العلم، كالنور»... وإما بالأخص وهو المثالي كـ«العلم، كالنور»، ومنه أمثلة القواعد، وهو أيضاً كـ«ك»... وإما بالمساوي، إما نظراً للتوضع وهو اللفظي، ومنه القاموس.. وإما للمدلول وهو الاسمي، ومنه تعاريف المصطلحات والاعتباريات والمعدومات.. وإما للمعنى وهو التعريف الحقيقي. فإما بتمام العلل كالحذ التام، أو بعضها كالناقص، أو المعلولات كالرسم الناقص. أو من القبيلتين كالرسم التام. ويجري في التصورات أمثال الحدس والفطريات بالانتقال دفعة وبلا كسب.

والتعريف بالعلل الذي هو الحدّ التام، يوصل إلى المطلوب، أي المحدود قضية بدهية بالتجريد عمّا يُنظره من لفه في الاصطلاحات. وهي مقدمة لكسب الرسم^(١) يوصل.. والدلالة الالتزامية مهبجورة^(٢)، وإلا لصار الرسم حدّاً، وتعريف الكلّ إنما يحصل بتقسيمه إلى أجزائه^(٣)، كالبيت الذي أنت فيه... لا بيت الشعر كبيت الشعر.

= ست وخمسون. ولو بدّل كلّ من الجزئين الغير المشتركين في كل من صور أحد التركيبين بكّل من الجزئين الغير المشتركين من صور التركيب الآخر، بلغ أربع مائة وخمسين. والاحتمالات المتصورة في كل من هذه التراكيب مائة وعشرون. والحاصل من ملاحظة عدد التراكيب مع عدد الاحتمالات خمسة آلاف وأربع مائة، وهو المطلوب. وكل من السداسي والسباعي خمسة آلاف وأربعون صورة. أما الأول: فإن التركيب السداس بين السبع سبع كما هو ظاهر. والاحتمالات في كل منها سبعمائة وعشرون. والحاصل من ملاحظة عدد الاحتمالات مع عدد التراكيب خمسة آلاف وأربعون وهو المطلوب. وأما الثاني وإن كانت له صورة واحدة، إلا أنه أن الاحتمالات فيها ترتقي إلى ما ذكره. ولما لم يكن للواحد أثر في الضرب، صارت عدد الاحتمالات هو عدد التركيب.

وضابط الاحتمالات في التركيب أن يضرب عدد الاحتمالات الحاصلة في السابقة في عدد أجزاء اللاحقة، فالحاصل هو احتمالات اللاحقة. ثم إن بعضها صحيح وبعضها غير صحيح للخصوص: كما إذا كان النوع أحد الأجزاء، أو للعموم؛ كما إذا لم يكن فيه واحد من الخاصة والفصل القريب، أو لتقدّم الأخصّ على الأعم.

هذا، لا يقال: إن الغرض من التعريف إما الاطلاع على الكنه، أو الامتياز عن جميع ماعداه. وهذا يحصل بالجنس والفصل القريبين، أو الجنس القريب والخاصة مثلاً، فلا حاجة إلى ضم الجنس البعيد أو العرض العام، أو الفصل البعيد مثلاً إليهما. وهكذا قياس البواقي. ولذا حصروا الحد والرسم التامين أو الناقصين فيما ذكروا.

(١) للحد الناقص أيضاً.

(٢) في المنطق.

(٣) بالعطف.

[قبل التعريف بوجه ما الخ]^(١)

اعلم أن بين العلم بوجه الشيء البدهي اللازم والمنافي للاشتراط... وبين العلم بالشيء بوجه، فرق بين. لأن الأول اسمي وقصدي، لا ينكشف أقل انكشاف ما تحته. والثاني حرفي تبعي عنواني، يتغلس ما تحته باستضاءته. فلا يلزم من علم شيء العلم بكل الأشياء. وأيضاً الأول علم تفصيلي بالوجه.^(٢) والثاني إجمالي^(٣) بالشيء، وهذا صورة الجميع وذاك جميع الصور.

فإن قلت: الرسم يستلزم الخاصة، والتعريف بها يقتضي العلم بالاختصاص، وهو يستلزم معرفة طبيعة المحدود. وإن هذا إلّا دورٌ ظاهر؟

قلت: أما الفعل الاختياري (الذي) هو الترتيب، فلا يتوقف لا عليه ولا على علمه. وأما الانتقال الذي هو ضروري غير اختياري وبطبيعة الذهن، فإنما يتوقف على وجود الاختصاص في نفس الأمر.^(٤)

[كتعريف الأب بما يشتمل على الابن الخ...]^(٥) وباختلاف العنوان يختلف الأشياء ضرورية ونظرية. وبهذا كما ينحل الإشكال الوارد على توقف كلية كبرى^(٦) الأول على نتيجته، يرتفع التضاد بين قولهم: «لابد في تعريف المضاف من ذكر المضاييف» ويمتنع تعريفه به.

(١) كلنبوي ص ١٣ س ٢١.

(٢) لأنك لما نظرت إليه قصداً لا يكون عنواناً، والحال أنه عام. فلا بد أن تثبت للجميع فرداً بعد فرد فيكون مفصلاً... (تقرير)

(٣) أي العلم الإجمالي يعبر بصورة.

(٤) فللتعريف اعتباران: الانتقال والترتيب؛ فالأول ضروري يتوقف على الوجود. والثاني اختياري لا يتوقف على شيء، إذ يكفي الاستماع. (تقرير)

(٥) كلنبوي ص ١٤ س ١.

(٦) مثلاً: العالم متغير، وكل متغير حادث، فالعالم حادث. فلا بد أن لا يتج. إذ الكلية متضمنة لقضايا بعدد أفرادها. فما بقي فردٌ مجهولاً لا يصح الكلية، والعالم في أفرادها، فلا فائدة في إنتاجه. وحاصل الجواب: أن الذات بعنوان المتغير بدهي الحدوث بعنوان العالم نظرياً. وكذا يمتنع تعريف المضاف بالمضاييف، إذ هما متساويان في المعرفة والجهالة. ويجب التعريف به، لأنه تتوقف عليه. وحاصل الجواب: أنه يجب هو بغير عنوانه وبما صدقه. لأنه بهذا بدهي لا بدور. ويمتنع بنفس العنوان، لأنه نظري مساو. (تقرير)

[بمجرد الاحتمال العقلي الخ] ^(١) الإمكان الغير الناشئ عن دليل لا يصير إمكاناً ذهنياً، حتى ينافي ^(٢) اليقين العلمي الحاصل من الوهميات ^(٣) المحسوسة.. بل إمكان ذاتي لا ينافي اليقين العلمي.

[وشرطوا فيه أيضاً تقديم الخ] ^(٤) ومن الشرائط المهمة بين الجنس والفصل والصغرى والكبرى الملاحظة مع التفطن الذي هو المزج والاتحاد والضغط، حتى يتفطن منه المطلوب.

[ولا تعريف الجزئي على وجه الخ] ^(٥) المجهول إما مشخص، وهو لا يُعرَّف ولا يُعرَف بل يشار اليه.. وإما كلي وهو إما بسيط كالأجناس العالية والفصول السافلة.. وهي لا تُحدَّد بل ترسم وتحدَّد. وإما نوع حقيقي.. وهي يحدَّد ولا يُعرَّف إلا في الأصناف. وإما لا هذا ^(٦) ولا ذاك ^(٧) فذاك ^(٨) وهذا ^(٩).

[باب القضايا... القضية.... الخ] ^(١٠)

الفن الثاني المبين بالماهية عن الأول - لأنه كالحل وهو كالعقد - التصديق.

وله مقاصد.. وهي القياس بأنواعه المادي والصورى... ومباد، وهي القضايا وأحكامها.

والقضية التي هي الخبر عند العربيين، لا بد أن تعرّف لتصير موضوعاً. وتقسّم لتتحصل موضوعات الفصول. وحقيقتها. ^(١١) قيل: بدهية، لأن طبيعة من ليس أهلاً للنظر تعرفها

(١) كلنبوي ص ١٤ س ٧.

(٢) أي حتى يكون شكاً لينافي. الخ.

(٣) أي البدهيات المحسوسة حين الإحساس، والوهميات المحسوسة حين الغيبة.

(٤) كلنبوي ص ١٤ س ٧.

(٥) كلنبوي ص ١٤ س ١٢.

(٦) جنس بسيط.

(٧) نوع حقيقي.

(٨) يحدَّد.

(٩) يحدَّد.

(١٠) كلنبوي ص ١٤ س ١٤.

(١١) اعلم: أن الخبر والإنشاء والوجود والعلم فيها أقوال. قيل في غاية النظرية، حتى لا يمكن تعريفها. وقيل: مكتسبات، وقيل: في غاية البدهية. (تقرير)

بمراعاته للوإزمها حتى يصدق ويكذب في موضوعه. فالتعارف التي تُذكر رسوم تنبيهية لإزالة الخفاء الحاصل بالمصطلحات. وقد مرّ ما في تعريفها.^(١) فكما للشيء وجود ذهنيّ يعرف بنحو الجنس الفصل، كذلك له وجود خارجي يعرف بالتقسيم بالمادة^(٢) والصورة. فالمادة هنا النسبة مع طرفيها. والحكم والإسناد هي الصورة التي هي مبدأ الآثار المخصوصة فيشتمل على الطرفين ويلعها ويلبس كلاً بما اشتق من نفسه.

[فإن حكم فيها بوقوع الخ...]^(٣) الإسناد والحكم من مقول الإضافة. وهو إما متخالف الطرفين كما في الحملية والمتصلة. فمن هذا ترتب أجزائها طبيعياً. وإما متشابه الطرفين مثل الأخوة - كما في المنفصلة - فترتبها وضعي فقط.^(٤) فالحكم إما له، يعني ما يلاحظ طرفاه بالإجمال ولو كان فيها نسبة. وإما عنده وعنه، يعني ما يلاحظ طرفاه بنسبة تفصيلية، وإن لم يكن قضيتيه،^(٥) لا قبل التحليل ولا بعده. أما الأولى فمشارك بين أهل النقل والعقل. وأما الثالث^(٦) فمختص بالثاني. وأما الثاني فاختلفوا فيه، حتى الشافعي والحنفي.. فأهل النقل: على أن الحكم في الجزاء والشرط قيد. وأهل العقل قالوا: بل الحكم بينهما باللزم... فثمرة الخلاف كأثمار شجرة، أثماره أكثر من أوراقه.

فمنها: لو قلت: «إن تملكْتُ هذا، فهو وقف أو حرٌّ، أو هي طالق مثلاً» فعند أهل النقل ومنهم الشافعي لغو. لأن العلة^(٧) هو الجزاء. وقد وجدت ولم يصادف محلاً يقبلها^(٨) وشرط انعقاد العلة قابلية المحل.

وعند أهل المنطق ومنهم الحنفي: العلة هي الشرطية. وإنها تقرّر عند وجود المعلق عليه، وعند وجوده تنعقد العلة.. وإذ تنعقد العلة تصادف محلاً ينتظرها منذ انعقادها.

(١) في المركب في الخبر والإنشاء..

(٢) إلى

(٣) كلنوي ص ١٤.

(٤) ولذا لا ينعكس أيضاً.

(٥) إذ ليس مركبة منها ولا الحكم ضروري.

(٦) والتقاسيم المذكورة أيضاً محلي في صورة المنفصلة.

(٧) للقيّد.

(٨) إذ لا يجوز التصرف في مال الغير..

[فقد ظهر أن أجزاء الخ^(١)] القضية معلوم وعلم^(٢).. فلأول نفس الحكم مع الطرفين. وللثاني هذه الثلاثة في الذهن المعبر عنها بـ «تصور المحكوم عليه وبه» والنسبة، أي التامة الخبرة المضافة^(٣) المدلولة للتركيب،^(٤) لا البين^(٥) البينية المعقولة.^(٦) والإذعان الذي بين الذهن والخارج، كالنسبة التامة بين الطرفين، ويلازمه انقياد النفس.. ومن هنا يقال: «الإيهان من التصديق المنطقي»، ولا بد في الإذعان من تصور المحكوم عليه بوجه، لأن المجهول^(٧) المطلق يمتنع الحكم عليه.. ورد: بأنه قد حكم عليه بـ «يمتنع الحكم عليه». وأجيب: بأن المجهول المطلق بحكم القاعدة^(٨) كالمعقول الثاني،^(٩) الذي يسقط المحمول على المعقول^(١٠) الأولى الذي هو من موضوع القضية الذهنية الفرضية.^(١١)

وبحكم تحوّل الحرفي إلى الاسمي، والمعقول الثاني إلى الأول، ليصحّ الحكم عليه في هذا التركيب، ليتجمد^(١٢) مع جلده،^(١٣) فيصير من أفراد المعلوم.. كأنك بعد تصور الموضوع ووصولك إلى الحكم، وفي أنه تنظر إليه نظراً اسمياً ومعقولاً أولى غير^(١٤) ثابت.^(١٥) وبوصولك إلى المحمول يمزق جلبابه فيصير معقولاً ثانياً، ناشراً جناحه. فمن هنا حلّ الخبر الأصمّ في قولك: «أنا كاذب!» فيما أقول الآن يعني: «أنا كاذب». ولا بد أن يكون الوجه ممّا يصحّ الحكم

(١) كلنوي ص ١٥ س ١.

(٢) وباعتباره ليس بتصور ولا تصديق بل متصور وباعتبار كونه مادة للقضية سمي بها. (تقرير)

(٣) أي من مقول الإضافة. (تقرير)

(٤) ومحصله الحركات الإعرابية. إذ المعاني الحرفية النحوية ينسبك بين لبنات كلمات الكلام، فيتلون بإعطائها كلاً لونها ويعلمها الحركات. (تقرير)

(٥) أي بين الوجود والعدم، أي السلب والإيجاب..

(٦) التي هي الثبوت والاتصال والانفصال، فليس بجزء عند القدماء. بل شرط ومتعلق للثامة، لا عند المتأخرين، لكن لا مستقلاً. فالأجزاء أيضاً أربعة. (تقرير)

(٧) ومنشؤه من قاعدة وقضية: المعلوم يحكم عليه بأخذ عكس نقيضه ثم مرادف الطرفين. (تقرير)

(٨) أي بحكم أنه قاعدة، وموضوعات القواعد معقولات ثانية للأفراد. (تقرير)

(٩) أي لا عنوان الموضوعات. فإن له قوة يذهب المحمول في طريقه على الأفراد. (تقرير)

(١٠) لأنه ضعيف لا معنى له قابل للحكم. (تقرير)

(١١) وعلامته اشتغال المحمول على الإمكان والامتناع وغيرها من الأمور الذهنية. (تقرير)

(١٢) أي معناه الهوائي.

(١٣) أي مع لفظ المجهول.

(١٤) (صفة الأقرب). أجبر

(١٥) إذ ينقض الآن ثبوته..

ويصيرّه مفيداً، فلا تتصوّر بأعمّ الوجوه، لأنه لا يفيد. ولا بما يدخل فيه المحمول،^(١) لأنه عبث بل بالوسط بما بينهما. ولا يلزم الأخصّ على الأعم، لأنه آلة الملاحظة، نظير آلة الوضع، وليس في حكم عنوان المحكوم عليه.^(٢)

[واللفظ الدّالّ على الوقوع الخ]^(٣) لمّا كان لفظ المحكوم عليه وبه دالّين على مادة القضية، لا بدّ أن لا يخلو من الدّالّ على صورتها التي هي النسبة. والدّالّ إما ضمّني كالجمله الفعلية.. وإما مستقل؛ وهو إما غير لفظ كالحركة الإعرابية. ولهذه النكته يقال في المبنيّ في محلّ الرفع للرباط.. وأما لفظ؛ فعلى السلبية آلتها.. وعلى الثبوت في الشرط أدواتها... وفي الحملّي الأفعال الناقصة والأفعال العامة، والمراد من مصادرها المعاني الحرفية التي تتحدّ نسبها. لأنّ الكون والوجود ونظائرها حرفيّ واسميّ. فالحرفيّ عين النسبة التي هي الثبوت، الذي هو الوجود الحرفي.

[واعلم أن الموضوع... الخ]^(٤) لمّا اشتمل الموضوع والمحمول على ذات ومفهوم؛ كان المراد من الأول الذات، لأنه يناخ عليه.. ومن الثاني المفهوم، لأنه يوضع ويحمل على الأول. فلا بدّ أن يكون بحيث يقوم بالغير. ولو كان المراد منها الذات، لكان القضية إما موجبة ضرورية، أو سالبة كذا لا غير وبلا فائدة.. أو صفتين، فكذلك.. أو الأول صفة، فكحمل الحمل الحامل على خلاف الطبيعة. ويسمى المفهوم في الأول عنوان الموضوع، وموضوعاً ذكرياً. فقد يتحدّ مع الذات الحقيقي حقيقة، كزيدٌ كذا.. أو بجهته، كالإنسان كذا.. وقد لا، كالكاتب ضاحك. ولا بدّ بين الحقيقي والذكرى من رابطة ونسبة، وحقيقته ملخص قضية، تقرّرت نسبتها وعرفت. فمن هنا يقال: الصفات قبل تقرّر ثبوتها إخبار، وبعده أوصاف وعنوانات بحذف الموصوف، ويسمى عقد الموضوع.

(١) أي لا يجوز بأخصّ

(٢) حتى يستغني عن المحمول.

(٣) كلنبوي ص ١٥ س ١٣.

(٤) كلنبوي ص ١٥ س ٢٠.

[فصل الحملية مطلقاً الخ]^(١)

لَمَّا كَانَ أَوَّلُ أَجْزَاءِ الْقَضِيَةِ الْمَوْضُوعِ انْقَسَمَتْ أَوَّلًا بِهِ،

فَهُوَ إِمَّا جَزْئِي حَقِيقَةٌ^(٢) أَوْ حَكْمًا^(٣) وَهُوَ الْوَاحِدُ الْاِعْتِبَارِيُّ أَيْ الْكُلُّ.. وَمِنْ هُنَا يُقَالُ: يَرَادُ بِاللَّفْظِ^(٤) غَيْرُ الْوَاحِدِ الْحَقِيقِيِّ الْمَجْمُوعِ، لَا أَقْلَ^(٥). لِأَنَّهُ لَيْسَ مَدْلُولُهُ^(٦) وَتُسَمَّى شَخْصِيَّةً. وَمَحَلُّهَا فِي الْمَحَاوِرَاتِ وَالْمَعَامَلَاتِ، لَا فِي الْفُنُونِ إِلَّا بِتَأَوُّلِهَا فِي قُوَّةِ^(٧) الْكَلِيَّةِ..

وَإِمَّا كَلِّيًّا، فَالْحَكْمُ إِمَّا عَلَى مَسْمَاهُ^(٨) كَمَا فِي غَيْرِ الْمُتَعَارِفَةِ.. فَإِمَّا^(٩) مَعَ جَوَازِ سِرَايَتِهِ إِلَى الْأَفْرَادِ كَالْحَمْلِ فِي كُلِّ التَّعْرِيفَاتِ عَلَى الْقَوْلِ بِهِ أَوْ مَعَ عَدَمِ السَّرَايَةِ، لَكِنْ مَعَ الْمَلَاظَمَةِ كَالْحَمْلِ فِي الْمَسَائِلِ الْمُنْطَقِيَّةِ^(١٠) أَوْ بِدُونِ الْمَلَاظَمَةِ. كَالْإِنْسَانُ مَفْهُومٌ ذَهْنِي^(١١) أَوْ مَوْجُودٌ ذَهْنِيٌّ. وَتُسَمَّى قَضِيَّةً طَبِيعِيَّةً، وَمَوْضُوعُهَا اسْتِقْرَاءَاتُ الْعُلُومِ الطَّبِيعِيَّةِ فِي الْبَعْضِ.

وَإِمَّا عَلَى ذَاتِهِ^(١٢)،

فَمَعَ الْإِبْهَامِ مَهْمَلَةٍ^(١٣) فِي الْخَطَايَا^(١٤) فِي قُوَّةِ الْكَلِيَّةِ^(١٥).. وَفِيهَا الْمَطْلُوبُ^(١٦) مِنْهُ الْيَقِينُ، كَمَا فِي مَقَامِ الْاِسْتِدْلَالِ فِي قُوَّةِ الْجَزْئِيَّةِ. لِأَنَّ الْبَعْضَ هُوَ الْمَحَقَّقُ.

(١) كلنبوي ص ٦ س ٥.

(٢) كزید أو هذا.

(٣) كأسماء العلوم ومراتب الأعداد مطلقاً.

(٤) أي الجزئي الواحد الحقيقي فقط والكلّي إما الواحد الحقيقي أو المجموع.

(٥) أي أكثر من الواحد.

(٦) (أي مدلول اللفظ). أجبر

(٧) وكونه في قوته بثلاثة أوجه؛ إما بكونه كبرى الأول، أو كانت كلاً مجموعياً باستمرار الكلية، أو تذكر

شخصيات بعدد أفراد الكلّي.. تأمل! (تقرير)

(٨) ومن المحمول الذات كما. الخ.

(٩) أي أو منها المفهوم فهو إما الخ.

(١٠) فيها المحمول كلياً منطقيّاً.

(١١) أي فيها المحمول معقولاً ثانياً من الأمور العامة.

(١٢) (عطف على قوله: على مسماه). أجبر

(١٣) أي يستعمل.

(١٤) وهو المبني على المبالغة كالتغزل والتمدح والتحسر والتأسف وغيرها. (تقرير)

(١٥) فيما يكفي فيه الظن.

(١٦) وهو الأصول مطلقاً.

ومع التعيين؛ فإن كان بالإحاطة فكلية وسورها كلٌ وتوابعه ومرادفاته، كـ«طرة، وقاطبة» ونظائرها؛^(١) ركناً وقيداً، مقدماً ومؤخراً. وكل ألفاظ العموم،^(٢) الوجوبي^(٣) الإفرادي مطلقاً.

ومنها: الموصول، والإضافة، واللام. فلنعين اللام، لأنها^(٤) مثله. فاللام إما إشارة إلى الذات،^(٥) واحداً أو مجموعاً؛ وهو العهد الخارجي الذي في قوة الشخصية.. وإما إلى الجنس لا بشرط شيء وهو لام الجنس والعموم.. أو بشرط لا شيء،^(٦) وهو الجنس والحقيقة.. وهما في قوة الطبيعية بقسميها،^(٧) أو بأقسامها،^(٨) أو بشرط شيء^(٩) فمع عدم الاستغراق، فالعهد الذهني الدال على الجنس، والفرد من ضرورة الوجود. فالانتشار والنكارة ليسا منه،^(١٠) وهو في قوة المهملة باعتبار، والجزئية بآخر.

وإما مع غرق الأفراد في المعنى، وهو إما عرفي، وإما حقيقي. وكل منهما إما مجموعي، أو جمعي.^(١١) وإما إفرادي متناوب.^(١٢) أو مطلقاً.^(١٣) فاللام الذي هو سور الكلية هو المشار به إلى الجنس بشرط شيء مع الإحاطة الإفرادي مطلقاً..

(١) كافة، عامة، تامة، جميعاً.

(٢) كَمَنَ وما، والجمع المعرف باللام وغيرها.

(٣) أي لا السلبي...

(٤) أي الموصول والإضافة.

(٥) أي واحداً حقيقياً أو اعتبارياً شخصياً أو نوعياً حضورياً أو حصولياً. فالأقسام ثمانية. (تقرير)

(٦) أي عدم الأفراد.

(٧) وهما جواز السراية وعدمها. فالأول هو الأول، والثاني هو الثاني. (تقرير)

(٨) وهن عدم جواز السراية مع الملاحظة، أو بدونه، كلا بشرط شيء. وجوازه، كبشرط لا شيء. (تقرير)

(٩) وهو الأفراد.

(١٠) وهو الفرق بينه وبين النكرة. يعني أن لام العهد إشارة إلى الجنس المعهود في ذهن. ولا بد للوجود من الأفراد. إذ الماهية المجردة ليس. فالمعهود هو الجنس والفرد ضرورة وجوده. ولعدم تعيينه كان نكرة. أما النكرة فدالة على الفرد المنتشر أصالة. ولا بد للفرد من حقيقة وإن كان المأل واحداً. فالفرق في البداية فهذا اللام باعتبار تحقق مشار إليه في ضمن الأفراد مطلقاً من غير تعين الكمية كلا أو بعضاً مهملة وباعتبار تعين (من كل) بعض جزئية. فافهم. (تقرير)

(١١) وهو إما لا دخل لكل فرد في الحكم، «كالأعراب أشرف الأقسام». وإما له، كـ«الفقهاء يحملون الصخرة». (تقرير)

(١٢) كـ«هذه الرغيفُ يشبع كلَّ القوم». أو متعاقب، كـ«كل القوم جاءني». (تقرير)

(١٣) والكل معرفة غير العهد الذهني باعتبار عدم تعين الأفراد. (تقرير)

وللسالبة خاصّة، لا واحد ولا شيء، أو «ما» أو «ليس» وما يرادفها.. أو يرادفها ولو في صورة الفعل، أو الاسم.

وللجزئي دخول سلبٍ ما على كلّ ما يدلّ على كلّ، وعلى سور الموجبة الجزئية.. نحو: «نيف، وطائفة، ورهط، وقطعة، وبعض» وما يرادفها.

وفي المنفصلة «دائماً وأبداً» وما يرادفها..

وفي السلب الكليّ فيها «ليس ألبتة» وما يرادفها.

وفي الجزئيات «قد يكون وقد لا يكون وقد لا يحصل، ولا يوجد، ولا يثبت» وما يرادفها^(١) من الأفعال العامة على صور النسبة.

كلّ «ج» «ب»، فلنّا «كلّ» و«ج» و«ب»، فكلُّ أيّ كلّ فرد،^(٢) لا الكلّ المجموعي ولا الكلّ الطبيعي (يعني الطبيعة).^(٣) «فج» أي ماصدق عليه «ج» لا ما حقيقته أو صفته «ج».^(٤) [وصدق عليه، أي بالفعل الفرعي^(٥)]:^(٦) لدخل العنوان في ماهية القضية وامتزاجه فيها. ومصدريته غالباً للمحمول، فلا يجعل ظهرياً، كأنه أجنبي. فلا بد أن يلتبس الذات ولو خيلاً.

[لا بالفعل الخارجي]^(٧) أي في أحد الأزمنة لاختصاصه بالخارجية، لأنه في الحقيقي الذات ممكن، فكيف يتّصف بالفعل، وما لا يثبت لا يثبت له.

[ولا بالإمكان]^(٨) أي الذاتي لا بالقوّة، ليدخل في الإنسان النطق.

(١) كليس، بته، وبتلة، وأصلاً، وأصلاً قطعاً وما يرادفها. (تقرير)

(٢) أي مطلقاً، لا على سبيل البدلية.

(٣) وإنما انتفياً لعقم الضرب الأول من الشكل الأول، بسرّ عدم تكرار الأوسط حقيقة: كزيد إنسان، وكل إنسان ألف ألف (أو) نوع. (منه)

(٤) للعقم في الأول، والتسلسل في الثاني. مثلاً: «الإنسان حيوان» وما حقيقته حيوان فالناطق خارج عنه (والحال أن الناطق ذاتي للإنسان) وما صفته «ج» «د»، فما صفته «د» «ج» أو «ب» فهو «ذ» فهلم جرا. (منه)

(٥) على مذهب الشيخ.

(٦) شبيه بمتن كلنبوي ص ١٦-١٧.

(٧) كلنبوي ص ١٦، ١٧.

(٨) كلنبوي ص ١٦، ١٧. (هو مذهب الفارابي)

[من جزئياته لا من مسمّاه]^(١) فلو كان منه لكان أكثر الكليات كاذبة؛ مثلاً: «الإنسان كاتب» فمفهوم الإنسان وهو الحيوان الناطق ليس بكاتب.

[أو مساويه]^(٢) أو أعمّ منه للتكرار المحض والعبث البحث. ففي «كل إنسان ناطق» الناطق ناطق بعنوان. لأن القضية الكلية على الأصحّ. في قوة قضايا متعددة بعدد ما صدقات موضوعها. ومن هنا يقال: «للقضية كلية لفروعاتها».

[الإضافية المناسبة لا الحقيقي]^(٣) فقط. لأنه قد يكون الجنس موضوعاً وجزئياته لا ينحصر في الحقيقة المناسبة لا مطلقاً.

[ولا الإضافي المطلق لذاته لا لمفهومه الذي هو نوع بالنسبة إليها]^(٤)، وإلا لاختلت.

[يصدق عليه مفهوم «ب»]^(٥) وإلا لم ينضبط لحصولها بعوارض وقيودات غير محصورة.

[لا ذاته]^(٦) وإلا لانحصر القضية موجبة وسالبة في الضرورية والحمل والاتحاد.

[ولا كلاهما]^(٧) لأن الممتزج من الطاهر والنجس نجسٌ إلا في المنحرفات.^(٨)

ك«الكاتب بعض الإنسان». كل ذلك في القضايا المتعارفة المستعملة في الأدلة.. وإلا فمن المنفيات^(٩) أيضاً قضايا.

(١) كلنبوي ص ١٦، ١٧.

(٢) كلنبوي ص ١٦، ١٧.

(٣) كلنبوي ص ١٦، ١٧.

(٤) كلنبوي ص ١٦، ١٧.

(٥) كلنبوي ص ١٦، ١٧.

(٦) كلنبوي ص ١٦، ١٧.

(٧) كلنبوي ص ١٦، ١٧.

(٨) بناء على تأوّل..

(٩) أي قيودات.

[فصل: الحملية مطلقاً الخ..]^(١)

الحملية تنقسم إلى خارجية وذهنية باعتبار الموضوع، لكن بالنظر إلى المحمول. ففي الخارج المستفاد من الخارجية ظرف لنفس النسبة والحمل، لا لوجوده^(٢) حتى يوجد. ومن هنا يقال: لا يلزم من الحمل الخارجي أن يكون مبدأ المحمول خارجياً.

ثم إن ذات الموضوع بعد إمكانه^(٣) في نفسه إن وجد -ولو في زمان ما- فخارجية^(٤) خارجية ليس حقيقية. ففي الخارج^(٥) ظرف لوجوده مع صدق العنوان عليه بالفعل أو بالإمكان. فإن لم يوجد وهو بحيث لو^(٦) وجد^(٧) واتصف بالعنوان، فهو^(٨) بحيث لو وجد ثبت له المحمول، وما يستفاد^(٩) من هذه الشرطية من اللزوم وأعميته للمحال غير مراد.^(١٠) فقد يقال:^(١١) «ج. ب» بالإمكان، بالإمكان، بالأول جهة القضية المستفاد من الذات^(١٢) مع وجوده. والثاني منه مع عنوانه، عند الفارابي. والثالث منه مع المحمول^(١٣) ويدل على خارجية الخارجية كون المحمول من العوارض الخارجية.

وإن كان من العوارض الذهنية، كما في القضية السالبة^(١٤) المحمول. «وزيد ممكن» فهو

(١) كلنبوي ص ١٧ س ١٢.

(٢) (أي الحمل). أجبر

(٣) ولو كان محالاً عادياً لا حقيقياً.

(٤) ليس ذهنية.

(٥) غير الأول.

(٦) لزومية.

(٧) فعل شرط مقدّم. أي إنه ليس بمعدوم حتى تنقطع الروابط في الكائنات وليس بموجود حتى يلزم على الجزء الغير المتجزى موجودات كثيرة من الروابط، بل للنسبة من الأمور النسبية، كالأبوة والبنوة والأخوة وغيرها، ليس هذا ولا ذلك. (تقرير)

(٨) جزاء شرط تالي.

(٩) أي من تحليل موضوع الحقيقي بشرطية مصدر بـ «لو».

(١٠) بل التعبير في التقدير يكون كذلك.

(١١) أي إن لو يشتمل الحال الحقيقي وموضوع الحقيقي لا يكون كذلك. وأيضاً يستفاد منها اللزوم بين المحمول والموضوع، ومحمول الحقيقة أعم من كونه لازماً وغيره، فأجاب. (تقرير)

(١٢) أي ذات الموضوع موجود.

(١٣) ورابعاً للمحمول.

(١٤) أي بأن تأخر أداة السلب غير غير، ولا كـ «ليس» وغيرها من الرابطة، وكان المحمول من العوارض الذهنية، فإنها ذهنية. فتأمل. (تقرير)

ذهنية. وبعد وجوب^(١) وجود الموضوع في الذهن وقت الإثبات مطلقاً،^(٢) تنقسم باعتبار الثبوت إلى ذهنية حقيقية وفرضية، كما في المحالات^(٣) التي لا توجد في الذهن على الأصح، إلاّ بنوع تشبيه أو تمثيل. أو لا يوجد مطلقاً كـ «المجهول المطلق» و«المعدوم المطلق».

[فقولك اجتماع الخ...]^(٤) ومن ممهّدات هذا المقام: أن الإيجاب وجود. وهو يوجد بوجود تمام أجزائه. يعني بوجود الموضوع الاسمي^(٥) على أحد الوجوه الأربعة^(٦). ووجود المحمول له الحرفي على أحد الوجهين^(٧) والسلب عدم، فيتحقق بعدم أي جزء كان. فلصدقه طريقان: عدم الموضوع الاسمي، أو عدم الثبوت الحرفي. وليس السلب عين كذب الموجبة مفهوماً، بل يتلازم معه، فإنه^(٨) حكم بصدق عدم، وذاك كذب صدق وجود.

ومنها: أن المحال لا يتصوّر إلاّ بنوع محاكاةٍ وتشبيه.

ومنها: أن وجود الموضوع، لاسيما في الذهنيات في الذهن وقت الحكم ضروريّ في الإيجاب والسلب. وإنما الفرق في وقت الثبوت. والفرق بين الوجودين في الإثبات والثبوت؛ أن الأول يكتفى فيه بوجه ما إجمالياً، وفي الثاني لا بد وجوده على جهة تصلح للاتصاف.

ومنها: أن ذات الموضوع لا بد أن يكون ممكناً في ذاته في الخارجيات^(٩). وما يتوهم من «لو» الفرضية المستعملة في تعريف الحقيقة فليس بمراد لهم. وإنما أرادوا بها الإشارة.. إلا أن الشيخ يفرض الموضوع متصفاً بالعنوان..

(١) أي لا بد أن يكون الموضوع موجوداً في الذهن، ولو بأعم الوجوه (بالتمثيل في بعض ونفس العنوان فقط، في آخر) وقت إثبات المحمول له، وبعده الثبوت بالفعل متوقف على الوجود. فإن وجد ثبت، وهو الحقيقية.. وإلا فلا، وهو الفرضية. (تقرير)

(٢) حقيقة أو فرضية.

(٣) فإنها لا تقع فيه بعنوان الامتناع والأصالة، بل في الخارج.

(٤) كلنبوي ص ١٧ س ٢٢.

(٥) صفة الوجود.

(٦) المحقق الخارجي، والممكن الخارجي، والمحقق الذهني، والفرضي الذهني. (تقرير)

(٧) الخارجي والذهني.

(٨) (أي العدم). أجير

(٩) الخارجية والحقيقية.

اجتماع النقيضين ممتنع. تحليله: اجتماع النقيضين الموجود في الذهن تحقيقاً أو فرضاً له، وهو في الذهن يثبت لمصادقه وهو في الخارج في الذهن،^(١) ممتنع في الخارج. ففي الخارج قيد المحمول لا الحمل. وكذا في بعض الأحيان في الذهن والجهات.

ومنها: أن النقيض نظير نقيضه^(٢) في الأحكام. وإلا لم يكن النقيض نقيضاً.

[فصل في العدول والتحصيل... الخ]^(٣)

اعلم أن بسبب العدول في تحصيل العدول والتحصيل عن الموجبة السالبة المحمول بظنّها سالبة أو معدولة، اختل كثير من قوانينهم، حتى الإيجاب في صغرى^(٤) الأول، وحتى وجود الموضوع في الإيجاب.

فنقول أولاً: لما كان المعتبر في القضية الموجبة ذات الموضوع، ومفهوم المحمول كان لعدول المحمول تأثير مهم في صورة القضية، فلماذا اعتبروا العدول. والسالبة المحمول؛ باعتبار المحمول أولاً وبالذات. وفيها إثبات: والشيء ما لم يثبت في نفسه، فالأصل أن لا يثبت لشيء. وما لا يثبت لا يثبت له شيء. والأصل ثبوت ما يظهره. فثبت أن الأصل تحصل عنوان الموضوع والمحمول. فلنا ثلاثة ملتبسة:

السالبة البسيطة. والموجبة السالبة المحمول. والموجبة المعدولة. فالأخيرة تفارقهما معنى، بقابلية الموضوع لدخول النفي صريحاً أو ضمناً، كالصريح بشخصه في زمان الحكم. وقيل مطلقاً.. وقيل بنوعه.. وقيل بجنسه.. وأيضاً، لأن الثبوت الحرفي فرع الثبوت الاسمي. والعدمي لا ثابت، فيشف عن أمر ثبوتي. وهذا^(٥) لازمه البين ليتسعه في الثبوت، ولفظاً بعين وغيره. وتفارقهما الموجبة السالبة المحمول بأنها مخمسة الأجزاء، مكررة النسبة السلبية في الملاحظة. وقضية ذهنية باعتبار أن المحمول هو السلب الذي هو ذهني. ولا يلزم في موجهها

(١) متعلق يثبت.

(٢) لأقربيته في الذهن له.

(٣) كلنبوي ص ١٩ س ١٢.

(٤) الشكل.

(٥) أي العدمي.

إلا وجود الموضوع في الذهن، ولو كان المحمول الظاهريّ خارجياً. ومن هنا، تراهم يقولون: «هي كالسالبة البسيطة، لا تقتضي وجود الموضوع».

[تنبيه: قد يحكم بثبوت الخ]^(١) إن الموجبة المحصلة تتلازم تعاكسياً عند وجود الموضوع.. وملزوماً فقط بدونه، مع السالبة السالبة المحمول، والسالبة المعدولة. وإنه تكرر النفي، فهما مع عدمه فيها. والسالبة المحصلة تضادهما.. وتتلازم تعاكسياً، إلا في الذهن مع الأول. وبالتفصيل مع الثاني.

[«فصل» الحملية مطلقاً الخ..]^(٢)

اعلم أن طبيعة القضية أن يقدم الموضوع ويقدم عليه سوره، لأنه كمّيته. ثم النسبة... وتقدم عليها جهتها، لأنها كيفيتها. ثم المحمول، وقد تعدل عن طبيعتها.

وصدق الموجبة تقتضي صدق ثلاث قضايا ضمنيّات:

الأولى: ثبوت المحمول للموضوع.

الثانية: ثبوت المحمول للموضوع بهذا السور.

والثالثة: ثبوته له بهذا السور ضروري مثلاً. وصدق السلب بعدم أحدها، والظاهر توجه السلب إلى أخص القيود. فالكذب والصدق في المسوّرات باعتبار السور، وفي الموجّهات باعتبار الجهة.

تنبيه: ومما يلزم للمحصّل أن يراعيه أن لا يصير القاعدة منحصرة في المثال، كما تخبط فيه كثير. فإن المنطق يبحث عن الضرورة واللاضرورة والدوام، كذلك والإمكان. مع أن مرادهم من الضرورة، هي وما يرافدها من الوجوب واللزوم والقطعية حتى البدهة واليقينية.. ومن الإمكان، هو وما يرافده من الصحة والجواز والاحتمال، حتى الشك.. ومن الدوام، هو وما يماثله: كـ «أبداً»، و«في كلّ وقت»، و«مستمر»، و«على كلّ حال» ونظائرها.. ومن «لا دائماً»، و«لا بالضرورة» ليس لخصوص «لا» و«ضرورة» تأثير. بل قد يكون معنى

(١) كلنبوي ص ٢٠ س ١٧.

(٢) كلنبوي ص ٢٠ س ٢٥.

«لا» في قالب الفعل صريحاً،^(١) أو ضمناً.^(٢) ومعنى «الضرورة» و«الدوام» قد يكون في ضمن الفعل والحرف. كـ «ينبغي، واستمر، وقط، وعوض، وإن».

وأيضاً قد تكون هذه الجهات جهاتاً لعقد الوضع.. وقد تكون قيوداً وأجزاء للمحمول.. فتنبّه وإلا تقع في حيص بيص.

وما وجب التنبّه له: أن سلب الضرورة نقيض ضرورة السلب، وسلب الدوام نقيض دوام السلب، وسلب الإمكان معاند إمكان السلب. ففي القضية السالبة - إن قدرت السلب بعد الجهة - كان سالبة لموجبة موجهة، لا سالبة موجهة.. وإلا فهي موجهة بتلك الجهة.

ثم إن الجهة كيفية النسبة باعتبار، ومادة للقضية بأخرى. ولا بد في نفس الأمر منها. فإن كانت في اللفظ أيضاً، فموجهة. ومن الموجهة المقيدة بالإطلاق.. وإلا فمطلقة.

تنبيه: للنسبة حالات. فمن الإمكان الاستعدادي إلى الإطلاق سلسلة أفعال المقاربة.

ثم للثبوت صور وكيفيات؛ فمن صوره الأفعال الناقصة، ومن كيفيات إثباته أفعال القلوب وما يشير إليه الحروف المشبهة ونظائرها. وأساسها يرجع إلى الطبقات الثلاثة المشهورة. فإن النسبة ثبوت وهو وجود حرفي. والوجود بالنسبة إلى الشيء إما واجب، أو ممتنع، أو ممكن. وللوجوب والإمكان مراتب متفاوتة النتائج. والجهات التي بينها المنطقيون، التي كثر استعمالها قليلة العدد.

اعلم أن أساس الموجهات^(٣) إما اثنان، كالوجوب - وجوداً وعدمًا - والإمكان.. أو أربعة، كالضرورة، واللا ضرورة، والدوام، واللا دوام.. ومنها السلاسل: أو ثلاثة عشر، أو بين خمسمائة وألف.

ثم القضية مركبة وبسيطة. والمركبة قيدها قضية ضمنية. وفي مقابلة كل ضرورة إمكان. وأصول الضرورة ست: الضرورية الأزلية، والذاتية الناشئة، والذاتية المطلقة،

(١) كـ «ليس».

(٢) كـ «امتنع»

(٣) كلنوي ص ٢٢ س ١٩ مضموناً، وعلى الرغم من تضمن الكتاب مضامين كهذه فالموضوع مستقل إلى الأخير. ع. ب.

والوصفية، والوقتيّة، وبشرط المحمول. لأن ضرورة ثبوت المحمول إما غير مقيد قطعاً وهي الأزلية، أو مقيدة بقيد داخل: كمادام الذات ذاتاً وهي الناشئة. ومادام الذات موجوداً، وهي الذات المطلقة. أو بشرط المحمول، أو بقيد خارج ناعت، وهي الوصفية بأنواعه الثلاث، بل عشرين، أو لا، وهي الوقتيّة بأنواعه الاثنيّن، بل أربعة وأربعين.

إن الضرورية الأزلية مصداقها في الأوصاف الإلهية: الثبوتية والسلبية^(١) وفي كثير السوالب.^(٢) فإنه إذا سلب في وقت^(٣) وجود الموضوع، استلزم عند عدمه بالطريق الأولى، وهو يستلزم أزلاً.

والضرورة الناشئة، وهي أن تنشأ من الذات. أعني مادام الحقيقة حقيقة، أي لا تنقلب إلى حقيقة أخرى الذي هو محال، لا بد من المحمول. ومصداقها في الموجبات الأوصاف الإلهية^(٤) ليس إلّا. فإن بعدم العلم مثلاً، يتقلب الواجب ممكناً. وبعدم الناطق للإنسان يصير معدوماً، وهو ليس بمحال.

وأما سلب الأنواع أو لوازمها من أنواع آخر، فتصدق فيها الناشئة. فإن «الإنسان ليس بفرس»^(٥)، إن لم يصدق انقلبت حقيقة الإنسان إلى الفرس وهو محال.

والضرورية الذاتيّة، أي المطلقة. لأن القيد الوجودي على أحد الأنحاء، والوجود^(٦) نفس الذات. فإن كان القيد خارجاً؛ فإن كان وصفاً فهو مشروطة ظرفية.. إن كان منشأ الضرورة^(٧) الذات ومشروطة شرطية إن كان للوصف دخل، ك«الدهن الحارّ ذائب». ومشروطة أجلية إن كان المنشأ الوصف، كالكتاب متحرك الأصابع... وكلّ من هذه الثلاثة قد يكون عنوانها ضرورياً^(٨) للذات، وقد لا.^(٩)

(١) والسبع.

(٢) فيها علم عدم الثبوت في مدة الوجود. تأمل!

(٣) كقولك: فلان ليس بعالم.

(٤) التي هي عين الذاتي والسبع القديم لا الغير. تأمل!

(٥) أو ليس بباقر.

(٦) فكأنه غير مقيد.

(٧) كالكتاب حيوان.

(٨) كالإنسان حيوان.

(٩) كالأمثلة.

وإن كان القيد وقتاً، فوقتية إما معيّن، أو وقت منتشر. وكل منهما إما من أوقات الذات، أو من أوقات الوصف. فإن كان بشرط المحمول فالضرورة بشرطه. وأساسه: أن كلّ ممكن موجود محاط بوجوبين بالغير: ^(١) وجوب سابق بوجود العلة التامة، ^(٢) التي يتمتع تخلف المعلول عنها.. ووجوب لاحق وهو وقت الوجود، ^(٣) يتمتع عدمه للزوم جمع النقيضين. ^(٤) فالضرورة بشرط المحمول ناظرة إلى الوجوب اللاحق صريحاً والسابق ضمناً.

الأزلية أخص الكّل، وأعم من الناشئة باعتبار، والناشئة أخص الكّل.

ثم الذاتية أخص ممّا بعده، إلا أن في أخصيته بالنسبة إلى المشروطة الأزلية والشرطية نظراً هو. ^(٥) والوصفية أخص من الوقتية.. والمعينة أخص من المنتشرة.. والدوام الأزلي والذاتيّ أعم مطلقاً ممّا يقابلها من الضرورة. ومن وجهٍ مما عداه. والذي يركب به القضية ما يدل على معنى لا دائماً ولا بالضرورة، بأي لفظ وبأي صيغة كانت. والقضية لا يقيد بنفي المساوي والأعم، بل يقيد ويركّب بنفي كل ما كان أخص منه، أو أعم من وجه.

والدوام أزلية وذاتية ووصفية كالضرورة. إلا أن الانفكاك ممكن غير واقع.

الضرورة الأزلية، تتركب بنفي الضرورة الناشئة. والناشئة بسيطة أبداً. والذاتية لها ثلاث مركبات بنفي الضرورة الأزلية والناشئة والدوام الأزلي.

والمشروطة: بأقسامها الثلاثة أو الستة تتركب بنفي سوابقها مع الدوامين. ^(٦) فلها خمسة عشر أو ثلاثون.

(١) أي لا يمكن ثابت، كاعتباريات. فإنه لا يحاط بوجوب أصلاً. لأنه يقتضي العلة التامة. ومن هنا ينكشف الجزء الاعتباري. فتأمل! (تقرير)

(٢) أي إن الوجوب حاصل وملزوم للعلّة التامة، وهو إرادة الله جل وعلا. إذ الممكن لا يوجد حتى يوجب وجوبه هو تعلق الإرادة الكلية، وهو العلة التامة. إذ بالتعلق يتمتع التخلف، فيصير واجباً. فتأمل حق التأمل! (تقرير)

(٣) أي في أن الوجود. وأما وقت البقاء فهو باعتبار العلة التامة. تأمل! (تقرير)

(٤) إذ لو لم يكن واجباً، يكون ممتنعاً فيجمع مع مقتضى العلة.

(٥) في الأصل المخطوط كذا.

(٦) الذاتي والأزلي.

والوقتية: بأقسامها الأربعة تتركب بنفي سوابقها، والدوامين، فلها إما أربعة^(١) وعشرون أو أربعة وأربعون.^(٢)

وبشرط المحمول: تتركب بنفي كل ما كان أخص منها. فلها^(٣) خمسة عشر...
والضابط في نسبها: أن المقيد بنفي الأخص أعم، وبنفي الأعم أخص. ومن وجه،
فمن وجه.

فإذا فرغنا من الضرورة، فلنشرع في اللاضرورة بسرّ الترتيب.. واللاضرورة هي
الإمكان^(٤) إلا أن الإمكان. في أيّ جهة كان فاللاضرورة التي هي معناه تتصرف في الجانب
الأخر.. وبالعكس، فهما مترادفان،^(٥) متخالفان.^(٦) ومن هنا يقال: كان الإمكان نقيض
الضرورة^(٧) وأعم منها.^(٨) وإن كان بالإمكان متعلقاً بالمحمول فالقضية ضرورية^(٩).. فزيد
قائم بالإمكان^(١٠) بالضرورة. لما كان الإمكان لا ضرورة، والضرورة تتصور بصور كثيرة؛ كما
في الشرطية^(١١) باللزم، والذهنية بالبدهية.. والقضية البسيطة بالوجوب.^(١٢) كذلك الإمكان
يتلون.^(١٣) والوجوب ذاتي في مادة الضرورة^(١٤) الأزلية والناشئة، وبالعير في غيرهما.

(١) بعد الوصفية واحدة.

(٢) بعد الوصفية ستة.

(٣) بعد الوصفية ستة، والوقتية أربعة مع الدوامين.

(٤) وأيضاً الضرورة عقلي وشرعي وصنعي. والأول هو هنا. (تقرير)

(٥) مآلاً.

(٦) باعتبار المكان.

(٧) باعتبار أن معناه اللاضرورة.

(٨) فزيد قائم بالضرورة بالإمكان.. الحاصل: إن ذكرتها وجعلتها جهة فالإمكان أعم، إذ يقع على نفسه.

واللاضرورة فيه يقع على جانب الآخر المخالف. فإن بدلت الإمكان باللاضرورة، يجتمع النقيضان.
(تقرير)

(٩) إما في نفس الأمر فقط أو فيها.

(١٠) أي القيام الممكن ضروري. وكذا إن جعلت اللاضرورة قيد المحمول فتكون المعنى: أن القيام الواجب

ممكّن. أي عدم القيام الواجب ليس بضروري. (تقرير)

(١١) والإمكان المقابل له هو الاتفاق.

(١٢) إذ الوجوب إذا كان المحمول وجوداً ضرورة.

(١٣) كالإمكان والاتفاق والشك.

(١٤) أي موجباتها، أما سوابقها فبالعدم ذاتي.

وقد يكون الإمكان مقابلاً للمطلق.^(١) أي الإمكان بالقوة المسمى بالاستعدادي، وليس من الموجهات. والإمكان الذاتي المقابل للضرورة الذاتية الخارجية لا يستلزم الإمكان الذهني المسمى بالشك، والاحتمال المقابل للضرورة الذهنية المسماة باليقين والبداهة والعلم. ومن هنا يقال في بداهة الوهيات المحسوسة في العلوم العادية:^(٢) «أن الإمكان الذاتي لا ينافي اليقين العلمي»،^(٣) فبحر الـ«وان» ليس بـ«دوشاب»^(٤) وجبل «سيبان» ليس بـ«بشكر» في الشتاء، وعسل في الصيف.^(٥)

والإمكان بسيط أي عام، ومركب أي خاص. والبسيط: إما مقابل المطلقة،^(٦) أي لا دائماً، أي بالفعل، فهو الإمكان الاستعدادي.^(٧) وما يقابل البداهة فالإمكان الذهني.

ثم ما يقابل الأزلية والناشئة، فالإمكان الذاتي، نظير الوجوب الذاتي.^(٨) وما يقابل الضرورة الذاتية،^(٩) فالإمكان العامي. وما يقابل الوصفية بأقسامها، فالإمكان الحيني^(١٠) أي في حين ما من أحيان^(١١) الوصف التي ثبت الشرطية في كلها. وما يقابل الوقتية المعينة فيمكان وقتي، وما يقابل المنتشرة أي وقت ما كالنكرة فالذي يقابلها ويضادها الإمكان الدائمي المحيط الذي لا يفلت من يده الفرد ما المختفى. وما يقابل الضرورة بشرط المحمول المستلزم

(١) أي للضرورة بشرط المحمول وهو المطلقة.

(٢) أي علم هو العادة.

(٣) لأن اليقين العلمي الحاصل من الوهيات لا يزول ما لم يحج عن دليل وأمرة. إذ الأصل البقاء على حاله. (تقرير)

(٤) أي الآن باليقين العلمي، وإن كان بالإمكان الذاتي. (تقرير)

(٥) الأولى: «ليس بمغلق (بِكْفَجِكْ)، أو «ليس بخبز» بنان» ليناسب في الأكل أيضاً. - (لكاتبه).

(٦) اللادوام والإطلاق وبالفعل وبشرط المحمول مترادف. إلا أن الإمكان المقابل للأخير غير ما يقابل ما تقدم. (تقرير)

(٧) وهو غير الإمكان الوقوعي الآتي. لأن في هذا لا يجوز الحمل، فلا يقال: «النطقة إنسان» بالإمكان الاستعدادي بخلاف الوقوعي. (تقرير)

(٨) إذ الناشئة والأزلية نظير الوجوب الذاتي وإن لم يكن المحمول وجوداً.

(٩) والوجوب بالغير.

(١٠) كالكاتب ضاحك بالإمكان أي إن البكاء ليس بضرورة له مادام كاتباً. (تقرير)

(١١) إذ ما يقابل جميع أوقات الوصف الحين.

للمقابلة لكل الضرورات، إمكانٌ وقوعي.^(١) إن كان بسيطاً^(٢) وإمكان استقبالي^(٣) ليس إلا إن كان مركباً أي خاصاً.

إن للإمكان العام البسيط المتضمن للضرورة ما، الذاهب إلى جانب الخلاف مركبات بسبب كونه أعم بنفي كل ما كان أخص من الضرورات الإحدى عشر، والدوام الثلاث والمطلقات الخمسة،^(٤) ومن أشهرها الإمكان المتضمن للضرورة الذاتي، والمقيد بها أيضاً المسمى بالإمكان الخاص والجواز. وفي الذهنية باعتبار الوقوع، وفي غيرها باعتبار الإيقاع، المسمى بالشك والتردد والاحتمال.

فإذ فرغنا من الضرورة واللاضرورة فلنتمسك بأذيال الدوام واللادوام.

اعلم أن الدوام شمول الأزمان، ككل للأفراد. ويتضمن الموجهة لثلاث قضايا، وقد يكون المقصود أحدها. فنص عليها. وفي ما كان المراد القضية المستفادة من الجهة، يقال في موضع هذا ذاك دائماً. «ما برح، ما انفك، ما زال، ما فتى» ونظائرها وأمثالها في الدوام الذاتي... و«مادام» وما يرادفه في الدوام الوصفي.

ثم إن للدوام أقساماً ثلاثة: الدوام الأزلي.. ويدل عليه «أزلاً وأبداً وسرمداً، وفي القدم»، سواء كانت قصداً أو قيداً. وهذا الدوام لما كان أعم مطلقاً من أوليتي الضروريات، ومن وجه من الباقيات: تقيد وتركب بنفي كل منها.

والدوام الذاتي: لما كان أعم مطلقاً من الثلاثة الأول من الضروريات والدوام الأزلي، ومن وجه من بواقي الضروريات، يرتكب مع نفي كل منها.

(١) ويسمى إمكاناً -بحسب نفس الأمر-.

(٢) وهو الصرف الخالي في الكل، لمقابلته المطلق. (تقرير)

(٣) فالاستقبال معتبر في المحمول. لأنه سلب مطلق الضرورة من الجانبين. وهو لا يمكن إلا في الاستقبال. لأنك إن قلت: «زيد قائم» مثلاً بالإمكان الخاص، وأردت سلب الضرورة بأقسامه من الجانبين، كان المعنى: «أن الضرورة القيام مطلقاً، مسلوباً في العدم والوجود وهو محال.. إلا أن تعتبر في الاستقبال، بأن تقول فيها: «غدا»... مثلاً. أي إن قيامه وعدمه الآن ليس بضروري الآن، لأنه عدم ولا يحكم عليه بها. وأيضاً الإمكان الخاص يقابل كل واحد منها، كالعام. وقد يقابل الرابع والخامس والسادس والسابع معاً. وهو ليس بصرف. (تقرير)

(٤) الأربعة الوقتية والمطلقة.

والدوام الوصفي: سواء كان الوصف أيضاً دائماً للذات، أو لا، أعمّ مما سبق.. يتركب مع نفي كلٍ منها سواء كان هو المصرّح أو قيده.

أما اللادوام، المتضمن للمطلقة العامة التي «الإطلاق» قيدها المرادف لـ «بالفعل»، إما غير منظور فيها إلى الوقت، وهي المطلقة العامة العامة. وإما منظور فيها للوقت، وهو إما معين أو مبهم؛ وكل منهما إما وصفيّ أو ذاتي. فالفرق بين وقت الضرورة ووقت المطلقة في التعبير؛ أن تقديم المطلقة على الوقتية علامة المطلقة. وتقديم الوقتية عليها علامة الضرورة. والفرق بين مركب الضرورة وبسيطها؛ أن اسم البسيط مركب مع المطلقة، والمركبة بسيط. ثم إن للمطلقة «بأقسامها الخمسة» الأعمّ من كل ما سبق غير، بشرط المحمول والإمكان العام تحصل لها مركبات بعدد نفيها. ومن أشهرها: المقيدة باللاودام الذاتي المسماة بالوجودية اللادائمة.. وبالضرورة الذاتية المسماة بالوجودية اللاضرورية.

فاعلم أن النسب في المنطق كبيت العنكبوت.. وبواسطتها تصطاد الصفات العالية التي لها تعلق مهم لمقاصد المنطق، والتي كالأجناس للمتناسبات.

ومما يجب التنبيه له؛ أن الإمكان العام أعمّ من الضرورة، وهو ^(١) نفي الضرورة. فأعميته باعتبار الجانب الموافق، ولّا فنيضه. وله ^(٢) بحسب الاستعمال نوعان: ناظر إلى الوجود، هو أعم من الواجب.. وناظر إلى العدم، هو أعمّ من الممتنع.

وأيضاً: إن القيود في تعاريف هذه الموجهات؛ لا بشرط شيء، لا بشرط لاشيء أو بشرط شيء.. ولّا لكان المنتشرة مباينة للوقتية. فالإبهام غير متعين للقيدية.

وأيضاً: كما أن القضية تنحرف عن طبيعتها باعتبار السور؛ كـ «الحيوان كلّ الإنسان». وقد تكون مهملتها في قوة الجزئية أو الكلية؛ كذلك، الموجهة تنحرف عن طبيعتها والمهملة عن الجهة، قد تكون في قوة المشروطة أو العرفية؛ بحكمة: أن الحكم على المشتق أو ما في حكمه يدل على عليّة مأخذ الاشتقاق، أو ظرفية للحكم.

وقد تلتبس مهملتها على الأذهان، التي بحسب الصورة من الضرورات الناشئة..

(١) الواو للحال.

(٢) أي الإمكان.

وبحسب الحقيقة من العرفية والمشرودة. وهي فيما تنقلب صورته النوعية حقيقة، أو حكماً إلى غيره؛ كـ «الماء أثقل من الهواء». أو «الألف لا تتحرك». ومن هنا يقال: العرفية والمشرودة مع كون العنوان عين الذات، توجد بدون الدوام الذاتي والضرورة الذاتية.

اعلم أن الكلام الواحد قد يتضمن قضايا متعددة، بالنظر إلى قيوداته؛ ففي أي قيد تركز القيد، تأصل واستتبع أخواته.. فيتلون بأشكال متنوعه، حتى قد يستخدم ما كان مخدومه.

وللضبط وعدم الانتشار اختصر لنا القضايا والأشكال اختصاراً؛ ففي شكل من الموجهات المركبة الكلية قد تشبك أربعة أشكال في شكل، والنتيجة الواحدة تخرج فيها أربعة نتائج، المستخرجة من ضمّ القضايا الضمنية من الصغرى إلى الكبرى أو توابعها. فمن هنا، قسموا الموجهة إلى المركبة أيضاً.

ثم إن الجهة والسور معينان، ليس بينهما ترتب طبعي كما في معاني علم المعاني، فكما يقدم الجهة على السور؛ يتقدم هو عليها معنى، فتكون الجهة كيفية للقضية المستفادة من السور. فيكون الإطلاق بالنسبة إلى الزمان الماضي والحاضر.. والإمكان بالنسبة إلى زمان الاستقبال، وقس.. وقد يتوهم أن تقدم السور على الجهة، يستلزم الكل الإفرادي. وتأخره يفيد الكل الاجتماعي. وإمكان الشيء بحسب الأفراد مع قطعيته قد يتطرق الشك إليه بحسب الاجتماع. لأن كثيراً ما يتولد المحال من اجتماع الممكنين.

ومما يدل على المشرودة الخاصة، والعرفية الخاصة، والوقتيّة والمنتشرة، بل المركبات مطلقاً المفهوم من المفهوم المخالف بأنواعه المعبر في المقام الخطابي المكتفي بالظن، فيكون القضية بسيطة لفظاً، مركبة معنى. ولما لم يكتف أهل الاستدلال بالظن، اضطروا للتقيد والتركيب لفظاً.

[تنبيه: الضرورة تطلق عندهم... الخ]^(١) اعلم أن موضوعية الموضوع غير محموليته.. وغير محمولية المحمول والجهة كيفية للأول. فإن محمولية الواجب الأعم ليس بضرورة مع ضرورة القضية؛ كـ «الإنسان حيوان» وفي الخاصة الفارقة موضوعيتها ضرورة، دون محموليتها.. كـ «الكاتب إنسان بالضرورة».

ثم فاعلم أن القضية كما تتركب باعتبار القيود المشهورة، كذلك تتركب وتتعدد باعتبار تعدد الموضوع أو المحمول لفظاً^(١) أو في حكمه^(٢) وقيل أو معنى.. فإن كان الجزء جزئياً، أو جزءاً محمولاً؛ كان قياسياً. بسر أن المحمول المتعدد -كما ذكر- يستلزم حلّ جزئه عليه بالضرورة الوصفية، باعتبار كونه كلاً، وهو^(٣) محمول على موضوع قضيتنا. فأتج بالشكل الأول التابع نتيجة إن كان الكبرى وصفية للصغرى في الجهة.. وهي^(٤) أصل قضيتنا.

فالقضايا المستخرجة باعتبار تعدد المحمول توافق أصل القضية في الكم والكيف والجهة. وأما باعتبار تعدد الموضوع فتستخرج بصيرورة الموضوع الكل موضوعاً لجزئه^(٥) بالبداهة.. وهو^(٦) موضوع لمحمول القضية. فثبت بالشكل الثالث ثبوت المحمول للجزء بعضاً، وهو المطلوب.. إلا أن هذه توافق الأصل في الكيف فقط، دون الكم لأنه ولد الثالث.. ودون الجهة، لأن نتيجته تابعه للعكس. والعكس لا يحفظ الجهة بعينها.

اعلم أن الوجوب والإمكان والامتناع المضافة إلى الوجود، والعدم، ونقائضها كثيراً ما تتبادل في المواضع.. بسر التلازم التعاكسيّ في بعضها. كنظير «زلزل».. من وجب وجوده وامتنع عدمه. ويمكن لا يجب ولا يمتنع. وغير تعاكسيّ، كما في بعض المنفيات؛ ك«لا يجب وجوده ولا يمتنع عدمه».

[فصل الشرطية إلى النخ]^(٧)

اعلم أن الشرطية عند أهل النقل، وكذا الشافعية، حكمها في أجزائها. وعند أهل العقل، وكذا الحنفية، حكمها فيما بينها. ومن هنا يتولد بينهم اختلاف مهم، حتى قال الأولون: بمفهوم المخالف للشرط دون الآخرين.. بسر أن القول الأول: «على أن تصرف الشرط في الوقوع،

(١) كالقائم القاعد حيوان.

(٢) كالزيدان قائمان.

(٣) أي المحمول.

(٤) أي الصغرى.

(٥) كالقائم القاعد قاعد، والقائم القاعد حيوان.

(٦) أي الموضوع.

(٧) كلنبوي ص ٢٤ س ١٢.

والقول الثاني «على أن تصرّفه في الإيقاع». ومن هنا تتولّد مسألة الملك. أعني: «إن ملكك هذا فهو حرّ». فعند الشافعي لغو.. لأن الجزاء هو العلة، ولم يصادف محلاً قابلاً بسبب عدم تقييد الإيقاع. وعند الثاني تنعقد العلية بعد وقوع الشرط، بسرّ تقييد الإيقاع.. وكذا اختلافهم في المستثنى.. فعند الأول: نقيض الحكم الوقوعي للمستثنى، بسرّ التوحيد بكلمته. وعند الآخر: نقيض الحكم^(١) الإيقاعي،^(٢) أي المستثنى مسكوت عنه.

ثم الشرطيّة تنقسم باعتبار الحكم وكيفيّة، والمقدّم والتالي، وباعتبار السور.. فالنسبة إمّا عنده، أو عنه.. فالأول: إمّا فيه ما يتأمله الذهن، لينتقل إلى التالي بيّناً، أو غير بيّن، فلزوميّة، ومظانّها^(٣): إن اتحد طرفا كل منهما، أي من المقدم والتالي على الترتيب نسب المسوّرات والموجهات؛ فجعل الأخصّ والمساوي في كلّ مادة منها مقدّماً، والأعمّ والمساوي الآخر تالياً، أو لا على الترتيب، فمظانها العكوس. فاجعل الأصل مقدّماً والعكس تالياً، للزوم العكس لأصله. وإن اتحد في طرف،^(٤) فلا بد أن يكون الطرفان الآخران متساويين. أو أعمّ أو أخص. وسرّ اللزوم استلزام حمل الشيء على المساوي. أو وصفه^(٥) له^(٦) حملّه. أو وصفه للمساوي الآخر.^(٧) ومن مظان اللزوم أيضاً، جعل الدليل مقدّماً والنتيجة تالياً، للزومها أيضاً.. وإن لم يتحدّ الأطراف في المقدم والتالي فمظانها في كل ما يكون من مقول الإضافة والنسبة؛ كالأفعال المتعدية: إن كان هذا فاعله، فذاك مفعوله. أو فوق وتحت.. أو معانداً فمعاند.. أو أباً فابن.

(١) وهو السكوت.

(٢) أي ثابت.

(٣) (أي اللزومية) أجير.

(٤) بأن كان موضوع المقدم والتالي واحداً والمحمول. (تقرير)

(٥) (أي الشيء) أجير.

(٦) (أي المساوي) أجير.

(٧) ككلها كان كلّ إنسان ناطقاً، كان كلّ إنسان ضاحكاً. أو ككلها كان كلّ ناطق حيواناً، كان كلّ ضاحك حيواناً. وكلها كان كلّ حيوان جسماً، كان كلّ إنسان جسماً. وكلها كان كلّ إنسان ناطقاً، كان كلّ إنسان حيواناً. (تقرير)

ومن مظانها أيضاً ما فيه عليّة عقلاً^(١) أو شرعاً^(٢) أو عادة أو سببية^(٣) وعلاقته^(٤) سواء كانت الأولى^(٥) معلولاً^(٦) أو الثانية،^(٧) أو كلاهما لشيء آخر.

وإذا اتّحد المقدم والتالي في المنفصلة، فمظانها التناقض. وبسرّ^(٨) أن المنفصلة تتركب من عين مقدم كل متصلة، ونقيض تاليها مانعة الجمع.. ونقيض مقدّم كلّ متصلة وعين تاليها مانعة الخلو.. تعرف بالمقايضة أنواع المنفصلات مما ذكرنا، بدخول النفي على التالي أو على المقدم في المتصلة. ومما يجب التنبيه له أن الشرطية كثيراً ما تتلبس بغير لباسها.. وكثيراً ما تعصر فيتقطر منها روحها، فيدخل في لفظ مفردٍ كلزومه له.

اعلم أن الترتيب بين جزئي المتصلة ترتّب طبيعي دون المنفصلة. ولذا لا عكس لها^(٩)، فلا عليك كيف رتبته.. بسرّ أن الحكم المتصلة وهو اللزوم مثلاً من مقول الإضافة التي تختلف نوعاها، كالولادة المتنوعة إلى الأبوة والبنوة، والضرب إلى الضاربية والمضروبية، وعناد المنفصلة من المتماثلة الأنواع، كالأخوة والمساواة، وقس!..

ثم المنفصلة حقيقة.. إن ذكر الشيء مع نقيضه أو مساويه، واستلزم عين كلّ^(١٠) نقيض الآخر، للعناد في الصدق، وبالعكس، للعناد في الكذب.. وهي بدهية^(١١) التصور؛ وإن تعدّد أجزاؤها في الظاهر، فبالحقيقة متعدّدة... وإلاّ لزم استلزام عين كلّ أو نقيضه^(١٢) لعين أحد الأجزاء أو نقيضه. إلا أن ينظر إلى المجموع وهو غير متعارفة.

(١) كإذا طلع الشمس وجد النهار.

(٢) كإذا بلغ الصبي العاقل فالصلاة واجبة.

(٣) كإن جئتني أكرمتك..

(٤) كإذا ارتفع الدخان، فالنار. (تقرير)

(٥) أي المقدم.. أي في الخارج. لأن في ذهن ملزومية المقدم ولازمية التالي معلوم من طور الكلام دائماً.

(٦) العلة ما كان موجباً ومؤثراً، أو السبب ما كان موصلاً ومهيئاً. (تقرير)

(٧) أي التالي.

(٨) متعلق بتعرّف.

(٩) (أي المنفصلة) أجبر.

(١٠) (أي كل جزء) أجبر.

(١١) إذ أبده البدهيات عند العقل عناد النقيضين.

(١٢) (متعلق باستلزام) أجبر.

ثم مانعة الجمع؛ ما ذكر الشيء مع الأخص من نقيضه،^(١) واستلزام عين كل نقيض الآخر،^(٢) لا بالعكس، أو مطلقة على المعنى الأعم، وهي^(٣) نظرية التصور مستفادة من منفصلة حقيقية صغرى، ومتصلة لزومية كبرى. هكذا: في «إما إنسان»^(٤) وإما فرس»، إما^(٥) إنسان أو لا إنسان. وكلما كان فرساً، فهو^(٦) لا إنسان. فمعاند^(٧) اللازم،^(٨) معاند الملزوم^(٩) فإما إنسان وإما فرس.

ومانعة الخلو؛ ما ذكر الشيء مع الأعم من نقيضه، واستلزام نقيض كل عين الآخر، لا بالعكس.. أو مطلقاً على المعنى الأعم. وأيضاً نظرية مستفادة من منفصلة حقيقية صغرى، ومتصلة لزومية كبرى.. من نظير الشكل الأول هكذا: في «إما لا إنسان وإما لا فرس إما لا إنسان وإما إنسان بالبدهة». وكلما كان إنساناً فهو لا فرس بسر الأخصية. فأنتج: إما لا إنسان، إما لا فرس.

واعلم أن الانفصال بأقسامها لا يختص بالقضايا، بل قد يكون في المفردات، سواء كان محمولاً أو قيداً من قيوده. والمنار عليها تأخر أداة الانفصال عن الموضوع أو المحمول.. وكذا المتصلة قد تتأخر أدايتها، إلا أنه لا فرق بين التقدم والتأخر فيها. وفي المنفصلة مع المرددة المحمول إن تقدم أداة الانفصال، فمانعة الجمع.. وإن تأخرت صارت حقيقية؛ كـ «إما كل عدد زوج وإما كل عدد فرد»، مانعة الجمع فقط. وكل عدد إما زوج وإما فرد، في المرددة حقيقية. وسترى لهذا الفرق وقعاً.

ثم المتصلة الموجبة تتعدد مع محافظة الكم والكيف واللزوم بتعدد التالي. بسر أن ملزوم الكل ملزوم الجزء اللازم للكل بالبدهة. وفي السلب لا إلا جزئياً، وفي تعدد

(١) كالفرس، فإنه أخص من اللاإنسان.

(٢) إذ فيه عناد الصدق فقط.

(٣) (أي مانعة الجمع) أجبر.

(٤) مانعة الجمع.

(٥) منفصلة صغرى.

(٦) ملخص الدليل. (قوله: فمعاند الخ) أجبر.

(٧) وهو الإنسان في الصغرى.

(٨) وهو اللاإنسان في الكبرى.

(٩) وهو الفرس في الكبرى.

المقدّم^(١) بالعكس، كزُلزُل.. بسر استلزام عدم استلزام الكل للشيء عدم استلزام الجزء له.

والمنفصلة: فتذكر الميزان،^(٢) تتعدد بتعدد الأجزاء. حتى إن المانعة الجمع، أو الخلو المركبة من خمسة أجزاء عشرة قضايا ممتزجة، وقس.

اعلم أن سلب المتصلة مساو لموجبة المنفصلة، أو أعم. وسلب المنفصلة إما مساو لموجبة المتصلة، أو أعم. لأن سلب اللزوم إما عناد، أو انفصال. وسلب العناد إما لزوم، أو اتصال اتفاقي. وسلب منع الجمع جواز الجمع، أي الاتصال، وسلب منع الخلو جواز الكذب. وما ثبت للمساوي أو الأعمّ يثبت للمساوي والأخص.

ثم إن الشرطية، سورها كجهة الحملات تنظر إلى الأوضاع الحاصلة من الأزمنة؛ كما في «متى» ونظائرها. أو الأمكنة؛ كما في «أين» ومرادفاتها. أو الأحوال؛ كما في «كيفما» وما يتضمنها. أو الحشيات؛ كما في «حيثما»^(٣) وأشباهه.

وأما «من»^(٤) و«ما» مع استغراقهما،^(٥) سور المقدم الحملية معنى، لا الشرطية. فشخصيتها باعتبار الوقت المعين بلفظ مستقل؛ كما في «الآن» و«اليوم» وأمثالها. أو بالتضمن، وهي قوة الكلية في كبروية الشكل الأول.

وجهاً الوقتية^(٦) المطلقة والمطلقة الوقتية في الحملية، سور الشخصية^(٧) هنا. فان لم يدل على بيان كمية الأوضاع؛ كما في «إن» و«إذا» و«لو» و«أو» و«إما»^(٨) بلا تقييد، ونظائرها

(١) أي السالبة ناظرة إلى المقدم، فتعدد بتعدد، دون التالي والموجبة. (تقرير)

(٢) فإن كلا يوزن مع كل من الآخرين.

(٣) حيث كـ «أين» للمكان. لكنه أعم من «حيث»، إذ هو لمطلقه «أينما كان، وحيث له، لكن باعتبار قيود مميزة؛ كـ «اجلس حيث زيد جالس» أي مجلس علم أو تجارة أو الوزراء أو غيرها.

(٤) أي إن من «ما» أيضاً من كلمات الشرط فلم لا تكون سوراً؟. ج: لأنها لاستغراق الأفراد، لا الأوضاع، فيكون سوراً للحملية التي صارت مقدماً وعلامة للمهملة كـ «من تضرب أضرب».

(٥) في علم الأصول.

(٦) وهي الضرورة معيناً ذاتياً أو وصفاً.

(٧) وكذا «من» و«ما» الماران.

(٨) في المنفصلة.

وما يفيدها فمهملة في قوة الجزئية في مقام الاستدلال.^(١) وقد تكون في قوة الكلية في مقام الخطاب. فإن دلّ^(٢) على استغراق جميع الأوضاع -ولو محالاً- لكن أمكن الاجتماع مع المقدم. أي لم تنافي^(٣) الاستلزام أو سلبه، أو العناد أو سلبه؛ فكلية، وإلا فجزئية.

فللموجبة المتصلة: «كلما» و«مهما» و«متى» و«حيثما» و«كيفما».. وكذا: «أينما» وكل ما يرادفها، أو يفيدها، أو يتضمنها^(٤) من الجهات الدائمة أو الضرورية.^(٥) فإن سر هذه كجهات الحملات تنظر إلى الأزمنة ونحوها.

وفي المنفصلة الموجبة جهات الدوام والضرورة^(٦).. وكذا: «لا محالة، ولا مناص، ولا مندوحة، ولا خلاص، ولا بد، والبتة، وبتة، وبتلة» وكل ما يرادفها أو يتضمنها. وسور الموجبة الجزئية فيهما «قد يكون».. يعنى دخول «قد» أو ما يدل على التقليل على كل الأفعال العامة؛ ك«يحصل ويثبت». والأفعال الناقصة؛ ك«قد يصير»، حتى، «قلما»، و«كثُر ما» وما يرادفه وما يتضمنها.

وكذا الجهات غير الدوام والضرورة الذاتيتين.. وللسالبة الجزئية فيهما دخول حرف السلب على كل السور الكلية. وكذا قد لا يكون بالمعنى الذي مرّ. وللسالبة الكلية فيهما «ليس البتة».. وكذا تأخر حرف السلب عن سور الكلية: ك«دائماً ليس»، و«أبداً ليس»، و«واجباً ليس» وقس!

(١) المراد منه اليقين.

(٢) إذ اللفظ الدال على الأوضاع لا يكون مراداً منه البعض المعين، لتساوي الأبعاد.. فلزم الترجيح بلا مرجح. فإما أن يدل على المجموع وهو الواحد الاعتباري، والدلالة عليه مجاز، وأهل الاستدلال لا يرتكبه.. وإما أن يدل على الواحد الحقيقي، وهو البعض المبهم والدلالة عليه حقيقة. إذ بالإبهام يدور على الكل فيشتمله.. فلم الترجيح؟ (تقرير)

(٣) (الأظهر: تناف) أجبر.

(٤) أي سواء كان قيداً، أو جزءاً، أو مركباً.

(٥) أي إن الحملة متى انعزلت إلى الشرطية - فإن كانت موجهة فجهااتها تكون سوراً لها. فالضرورة والدوام الذاتيان للموجبة الكلية منها، وللضرورة الوصفية والدوام كذلك. وكذا الضرورة الوقتية المنتشرة، واللاادوام المبهم للموجبة الجزئية فيها أيضاً. والضرورة الوقتية المعينة واللاادوام كذلك للشخصية.. واللاضرورة للاتفاق فيهما.. وكذا إن بدلت الشرطية بالحملة تجعل سورها جهة لها على هذا النوال. تأمل! (تقرير)

(٦) ففيها المنفصلة والمتصلة مشتركان.

اعلم أن منشأ اللزوم^(١) لابد أن يكون هو المقدم وحده، أو مع الوضع أو الوضع بشرط علاقته، وتركيب بينه وبين المقدم.. وإلا فالوضع يكون أجنبياً. فمع استقلاله بالْمَنْشِئَةِ كيف يكون وضعاً، مع أنه قد يكون عين التالي،^(٢) فلزم استلزام الشيء لنفسه وهذيانه.

اعلم أن لفظ اللزوم أينما صادفته فهو ملخص قضية متصلة.. والعناد أينما صادفته فهو زبدة منفصلة.

واعلم أيضاً أن المنطق أساسه كشف اللزوم بين التعريف والمعرف،^(٣) والدليل والنتيجة. فمن اللزوم ماهو متفاوت الأنواع بسبب التصرفات^(٤) في الملزوم، كالدليل والتعريف. ومنه ماليس له كثير تصرف وهو لوازم القضايا^(٥) منفردة. فمن اللزوم^(٦) ماهو قياسي، أي تحت الضبط، أي قانوني، كلزوم العكسين. وكذا العناد كعناد المتناقضين.

ومنها: ماهو غير مضبوط، بل يعد عدداً؛ كشرطية الشرطيات، إما بالانفصال بين الشرطيتين، أو بالاتصال وهو الذي يسمى بتلازم الشرطيات.

والتلازم إما بين متحدة الجنس، وهي المتصلة بالنسبة إلى المتصلة.. والحقيقية بالنسبة إلى الحقيقية.. ومانعة الجمع بالنسبة إلى مانعة الجمع.. ومانعة الخلو بالنسبة إلى مانعة الخلو..

أو مختلفة الجنس، كالمتصلة بالنسبة إلى الحقيقية، أو مانعة الجمع، أو مانعة الخلو. والحقيقية بالنسبة إلى الآخرين وبين الآخرين. فتلك عشرة كاملة.

(١) أي إن اللزوم لابد أن تكون من جاذبة من طرف، فهي البتة لا يكون من التالي. فإما ما في المقدم فقط، أو مع الوضع.. أو الوضع وحده نظير للمشرطية في الحملية. (تقرير)
(٢) أي إذا كان الوضع أجنبياً، وكان عين التالي وجعلته منشأ لزم.
(٣) إذ هما المقاصد.

(٤) أي دخل الجزء الاختياري فيها وهو الترتيب. (تقرير)

(٥) كالجزئية لازم الكلية مثلاً، بسر الأخصية والضرورة الذاتية.. وكذا الدوام لازم الوصفية. (تقرير)
(٦) الثاني.

مقدمة:

إن التخلف^(١) ولو في مادة يخرب بيت اللزوم^(٢).. وإن أحكام المساواة متساوية^(٣)..
 وإن لازم اللازم لازم^(٤).. وإن ملزوم^(٥) الملزوم ملزوم..
 وإن ما ثبت^(٦) للأعمّ كليّات ثابت^(٧) للأخصّ^(٨).. وإن الأعمّ لازم له^(٩).. وإن
 سلب اللزوم كالعناد^(١٠) وسلب العناد كاللزوم.

وإنّ قولنا فيما بعد: لازم اللازم أو ملزوم الملزوم، إشارة إلى قياسين تضمنهما القضية.
 (١١) وإن السالبة تُشترط بعكس ما يشترط في الموجبة في الأكثر.

فالقسم الأول أعني المتحدة الجنس من المتصلة الموجبة، الكلية اللزومية إن تلازم طرفاهما.. فإن تعاكس تلازما، فكل منهما لازمة للأخرى بسر أن أحكام المساواة متساوية، فأيتها عرفتها تعرف الأخرى أيضاً، بقياسين^(١٢) مآلهما: (١٣)

إن ملزوم^(١٤) ملزوم^(١٥) ملزوم^(١٦) الشيء،^(١٧) ملزومٌ ضاحك للشيء. وإن كانت

(١) أي إن المخالفة بين الفقهاء - ولو في واحد - يخرب بيت الاجتماع. (تقرير)

(٢) بأن يجعله هدفاً للطوب الماوزرية.

(٣) أي كل حكم ثبت للمساوي، ثبت للمساوي الآخر.

(٤) فنفية يستلزم نفيه.

(٥) ونفيه لا يستلزم نفيه لجواز أعميته الأعمية.

(٦) الأول بقياس من الشكل الأول: مثلاً: اتحد قضيتان في المقدم، واختلفا عموماً وخصوصاً في التالي؛ ككل

ناطق إنسان، وكل ناطق حيوان. فأردنا اللزوم بينهما، فالأول بدهي، فاجعلها صغرى للأول والثاني كبرى

له.. فينتج الثاني صريحاً وإما الثاني. (تقرير)

(٧) لدخوله تحته.

(٨) كلياً.

(٩) فكلما صدّق الأخص صدق الأعم.

(١٠) فكلما صدّق العناد صدق سلبه.

(١١) العملية.

(١٢) في الأول مفصلاً أو موصولاً.

(١٣) كلياً ناطق فهو إنسان، كلياً ضاحك فهو متعجب.

(١٤) ضاحك.. بسر المساواة.

(١٥) ناطق.. بسر البدهية.

(١٦) إنسان.. بسر المساواة.

(١٧) متعجب.

سالبة فقياسين الأول من الأول والثاني من الثاني مآلهما: ^(١) أن ملزوم ^(٢) معاند ^(٣) اللازم ^(٤) معاند للنشيء ^(٥) معاند. ^(٦) وقس الجزئيتين. ^(٧) وإن كانت إحداها لازمة الطرفين، والأخرى ملزومة الطرفين؛ فإن كانت موجبة كلية فلا تلازم، لصيرورة القياس الثاني من الشكل الثاني من الموجبتين وهو عقيم.. وأيضاً بالتخلف... وأيضاً اللزوم بين اللازمين الأعمين في الأغلب لا يستلزم اللزوم بين الملزومين ^(٨) كالحیوان للجسم، دون الإنسان للفرس.. وبالعكس أيضاً.. فإن لازم المقدم قد يكون أعم من لازم التالي فلا يستلزمه كلياً. ولأن أحد قياسه الضمني من الشكل الثالث وهو لا ينتج إلا جزئياً ونحن نطلب الكلية. وإن كانتا سالبتين كليتين، فملزومة الطرفين لازمة للإزمة الطرفين.. وإن تحالفا في التلازم، بأن تكون إحداها لازمة المقدم ملزومة التالي، ^(٩) فملزومة المقدم لازمة. ^(١٠) وإن كان ^(١١) في أحد الطرفين واتّحدا في الطرف الآخر، فلازمة التالي وملزومة المقدم، لازمة في الموجبة ^(١٢) ملزومة في السالبة.

فالمتصلة بالنسبة إلى الحقيقة - إن اتفقتا في الكم والكيف، واتفقتا أو تلازما تعاكسياً في جزء وتناقضا بالذات أو بالتلازم في جزء آخر؛ ففي الموجبة في الحقيقة تندمج أربع متصلات، مقدّم اثنتين ^(١٣) عينُ أحد الجزئين ^(١٤)... والتالي ^(١٥) نقيض الآخر ^(١٦)

(١) ليس البتة، إذا ناطق.. فرس. ليس البتة ضاحك صاهل.

(٢) ضاحك.. بسر التلازم التعددي.

(٣) ناطق.

(٤) فرس كذلك.

(٥) صاهل.

(٦) نتيجة.

(٧) الموجبة على الأول والسالبة على الثاني.

(٨) أي إن اللزوم بين هذين اللازمين الأعمين لا يستلزم اللزوم بينهما إذ الأعم. (تقرير)

(٩) والآخر ملزومة المقدم لازمة التالي. (تقرير)

(١٠) للإزمة المقدم، وهي البديهية وتكسب بها الأولى. (تقرير)

(١١) التلازم.

(١٢) أي كل منهما لازمة الأولى، للمزومة التالي. والثانية للإزمة المقدم. (تقرير)

(١٣) من المتصلات.

(١٤) من المنفصلة.

(١٥) من المتصلة أيضاً.

(١٦) أي الجزء الآخر من المنفصلة.

بسر تضمنه لمنع الجمع.^(١) ومقدم الاثنين الآخرين نقيض أحد الجزئين. والتالي عين الآخر بسر تضمنه لمنع الخلو،^(٢) كما فرد وإما زوج.

أما المتصلة فلا تستلزم المتفصلة، بسر جواز أعمية اللازم؛ كالإنسان والحيوان. ولا عناد خلواً بين الإنسان واللاحويان، وجمعاً بين اللانسان والحيوان. وفي السالبة المتصلة مستلزمة. لأن سلب اللزوم يفيد جواز الانفكاك. وانفكاك التالي يفيد اتصال نقيضه ولو بالاتفاق، وهو سلب العناد، دون العكس؛ لأن سلب العناد حاصل بالنظر إلى الجزء الخلوي بين الإنسان واللاحويان، مع عدم صدق سلب اللزوم بين الإنسان والحيوان. وإن اختلفتا في الكيف مع الاتفاق في الجزئين بالذات أو بالتلازم، فالموجبة^(٣) مستلزمة للسالبة دون العكس.

وكذا في مانعة الجمع ومانعة الخلو، لأن اللزوم أو العناد بين الشيئين يستلزم سلب العناد في الأول، وسلب اللزوم في الثاني بالبداهة، دون العكس، لجواز عدم اللزوم مع عدم العناد بين الشيئين، كما في الاتفاقيات.

ثم المتصلة مع مانعة الجمع - موجبة أو سالبة - متفقة في الكيف، وفي أحد الجزئين بالذات أو بالتلازم، وهو في المتصلة مقدم مع التناقض بالذات، أو بالتلازم في الجزء الآخر، وهو في المتصلة تال، تلازمتا وتعاكستا. فإن عين كل جزء من مانعة الجمع يستلزم نقيض^(٤) الآخر، الذي هو الأعم من العين.^(٥) ولأن عين الملزوم يمتنع اجتماعه مع نقيض اللازم، وفي السالبة.^(٦) لأن سلب منع الجمع جواز الجمع، وهو نوع اتصال،^(٧) وسلب اللزوم نوع انفصال.

وأما المتصلة مع مانعة الخلو، فكذا تستلزم مانعة الخلو لمتصلتين يركب من نقيض كل

(١) وهو العناد في الصدق.. فإذا أثبت عين أحد استلزم بالضرورة نقيض الآخر وهو رفعه. (تقرير)

(٢) وهو العناد في الكذب.. فإذا رفعت أحدهما استلزمت بالضرورة إثبات الآخر. (تقرير)

(٣) لكونه أخص. كما مر.

(٤) إذ فيه عناد الصدق.

(٥) المأخوذ مقدماً.

(٦) أيضاً تلازمتا وتعاكسياً.

(٧) بين العينين.

من الجزئين مقدماً، وعين الآخر تالياً. وكذا كل متصلة تستلزم مانعة الخلو من نقيض المقدم مع عين التالي.. وإلا لزم تخلف اللازم عن الملزوم. فإذا اتفقتا في الكم والكيف، واتفقتا أو تلازمتا في جزء - وهو في المتصلة تال - وتناقضتا بالذات، أو بالتلازم في الجزء الآخر - وهو في المتصلة مقدم - تلازمتا وتعاكستا بعين الدليل السابق؛ كما لا إنسان وإما لا فرس، فكلما كان إنساناً....

اعلم أن المنفصلتين المتحدتين الجنس،^(١) إن تلازما تعاكسياً في الجزئين، أو مع جزء مع الاتحاد في الآخر، فمتلازمتان متعاكستان.. بسر «أحكام التساوية متساوية»، المستند إلى قياس اقتراني مركب من المتصلة والمنفصلة، المنتج للمنفصلة المطلوبة. هكذا: كلما صدق هذا المساوي، صدق ذاك. وإما ذاك، وإما ذاك، وإما هذا.. فأتنتج: إما هذا المساوي، وإما ذاك. ففس!..

وكذا، في الحقيقي، إن تناقضاً في الجزئين بالذات أو بالتلازم.

وأما مانعة الجمع بالنسبة إلى مانعة الجمع - إن كان طرفاً أحدهما، أو أحد طرفيها لازماً، والآخر - أحدها - ملزوماً مع اتحاد الآخر - فالملزومة الطرف، لازمة اللازمة الطرف في الموجبة بحكم الخلف دون العكس.. بسر التخلف؛ كمنع الجمع بين الإنسان والفرس، دون بين الحيوان والجسم اللازمين.

وفي السالبة اللازمة الطرف، لازمة ملزومة الطرف بالخلف، لأن جواز الجمع بين الملزومين يستلزم جواز الجمع بين اللازمين، وإلا لزم المحال دون العكس بالتخلف؛ كجواز الجمع بين الحيوان والجسم، مع عدم جواز الجمع بين الإنسان والفرس، الملزومين لهما.. و.. والمانعنا الخلو^(٢) - إن كان طرفاً أحدهما، أو أحد طرفيها مع الاتحاد في الآخر لازماً، وطرفاً الأخرى أو أحدها ملزوماً، ففي الموجبة اللازمة الطرف لازمة فقط، وفي السالبة الملزومة الطرف لازمة فقط.. اللزوم بسر الخلف، وعدم العكس بسر التخلف.. والجمع والخلف إيجاباً وسلباً، كززل.

(١) الأظهر (المتحدى الجنس). يسقط النون للإضافة). أجير

(٢) (الأصوب: المانعنا الخلو). أجير

وأما المختلفة الجنس، فالحقيقية مع مانعة الجمع، إن اتحدتا في طرف واحد، طرف الحقيقة لازم لطرف مانعة الجمع، وملزوم لطرف مانعة الخلو فهما لازمتان في الإيجاب بسر أن منع الجمع الذي في ضمن الحقيقية بين الشيء ولازم شيء يستلزم منع الجمع بين شيئين. وما في ضمن الحقيقة من منع الخلو بين الشيء وملزوم شيء يستلزم منع الخلو بين شيئين، دون العكس فيهما للتخلف. وفي السالبة الحقيقية لازمة، بسر أن سلب الأعم أخص، وسلب الأخص أعم.

اعلم أن تعاند الشرطيات بعد معرفة تلازمها سهل المأخذ. ففي كل متلازم متعاكس -كما مر- بين عين كل مع نقيض الآخر عناد حقيقي. وفي عين المتعاكس بين عين الملزوم ونقيض اللازم عناد الجمع.. وبين نقيض الملزومة وعين اللازمة عناد الخلف.

خاتمة الخاتمة:

كما تنحرف الحملية عن طبيعتها وتختفي تحت قيد، حتى تحت حرف واحد؛ كذلك الشرطية تنحرف عن صورتها وتندمج تحت كلمة، أو حملية تدلّ عليها بإحدى الروابط العطفية أو غيرها.. وكذلك القياس الاستثنائي كثيراً ما يندمج ويستتر تحت «لما» وأمثاله. وغير المستقيم تحت «لو» وأمثاله. مثلاً عطف جملة موجبة على منفية بواو الجمع يتضمن مانعة الجمع. لأن النفي المتوجه إلى الواو نفى الجمع. وقس عليه ما يفيد هذا المعنى، وعطف المثبت على المنفي بـ«أو»، يتحرك تحته منع الخلو. و«إلى» و«حتى» وما يفيدهما أو يرادفهما، تحمر تحتهما المتصلة للزومية. و«لما جئتني أكرمتك» يدل على المقدمة الشرطية والاستثنائية والنتيجة لدلالة «لما» على تحقق المقدم، وكذا ما يرادفها. و«لو جئتني لأكرمتك» يدل على الشرطية، واستثناء نقيض التالي، والنتيجة عند المنطقيين، وبالعكس عند أهل العربية. مثلاً: «لو خدمتني لأكرمتك» يقال مرة في مقام لوم المخاطب له، ومرة في مقام منة المخاطب عليه. ففي الأول عند الثاني،^(١) وفي الثاني عند الأول. وكذا يقال «لو» لامتناع لامتناع^(٢) وإنما عبّروا بالامتناع دون العدم، لأن كل^(٣) الماضي إن كان عدماً فوجودها محال، وإن كان وجوداً فعدمه محال. أما «لو لا عليّ هلك

(١) هو أهل العربية.

(٢) أظن بالإيجاز كالنزول، أي لامتناع الأول بدليل امتناع الثاني عند الأول.. ولا امتناع الثاني بدليل امتناع الأول عند الثاني. (تقرير)

(٣) أي الامتناع يستعمل في محال. والحال أن الحقيقة ليس كذلك؟. فأجاب: بأن المحال عام... والتفصيل:

عمر^(١) فقيض التالي هو التالي، فيصير كـ «لَمَّا». ^(٢) وأصل «لولا»، «لا لو». أي دخل «لا» على أحد جزئي منع الجمع فاستلزمه. ^(٣) أي النفي عين الآخر فاستجلب «لو» للزوم، وبتركيبه «مع» لا للدلالة على وجود العين، وإنتاجه لتالينا، التي فارقت لا صورة.

مقدمة:

ومن المعقولات الثانية ما يسمى بالأمور العامة، ومنها الوحدة والكثرة. فالوحدة إما حقيقي أو اعتباري. فالاعتباري: فالاتحاد في الجنس المجانسة، وفي الفصل، أو أخصّ الصفات المماثلة. وفي الكم المنفصلة؛ المساواة. وفي المتصلة؛ الموازاة أو المحاذاة أو الموافقة أو المطابقة. وفي الوضع المشاكلة وفي الملك المشاركة. وفي مقول الإضافة والفعل والانفعال، المناسبة. وفي «متى» المعاصرة. وفي مقول «أين» المجاورة.

وأما الكثرة، والاثنيّة. إن لم يكن فيها التماثل، فالتخالف.. فإن لم يعبر فيها التماثل فالتخالف، فإن لم تعبر^(٤) فيها منع الاجتماع، فالتغاير.. وإن اعتبر منع الاجتماع من جهة واحدة في زمان واحد وفي محل واحد، فالتقابل. فإن توقف تعقل أحدهما على الأخرى فالتضاييف.. وإلا فإن كان طرفاها وجوديين، فباعتبار الصدق التباين. وباعتبار الوجود، التضاد.. وإن كان أحد الطرفين عديمياً، فإن اشترط قابلية المحلّ؛ فعدم ملكة، وإلا فالتنافي في المفردات، والتناقض في الجمل أو فيهما. والإيجاب والسلب في الجمل.

= أن الطبقات ثلاثة. الوجود، والامتناع، والإمكان، والحال بمشخصاته مثال الوجوب بتعلق العلة العامة، وهو إرادة الله بوجودها. والماضي للثاني. إذ ما وجد بوجود العلة فعدمه محال. وما لا وجود له محال. والاستقبال للثاني. (تقرير)

- (١) ذخائر العقبى، للحافظ محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري ص ٨٢ (ع.ب.).
- (٢) أي «لولا» كـ «لما» في كون تاليه استثنائياً مستقيماً كاستثناء عين المقدم المتنج لعين التالي. (تقرير)
- (٣) أي إن بين طرفي ما بعد «لولا»، وكذا «لوما» بمعناها منع الجمع في الأصل - كما في المثال المذكور -، و«لولاك» لولاك لما خلقت الأفلاك» لولاك لصدق منع الجمع.. كيما وجد عليّ وإما هلك عمر.. وأما أنت توجد وأما لا أخلق. فلما أريد اللزوم بين الطرفين، جيء بـ «لا» على التالي. إذ الشرطية المتصلة للزومية تتركب من مانعة الجمع، بجعل عين أحد الجزئين مقدماً ونقيض الآخر تالياً. وجيء بـ «لو» للدلالة على اللزوم، فكان بمعنى «لما». فالقياس بعده مستقيم. والحال أن «لولا» يدل على تحقق وجود المقدم كـ «لَمَّا» فرفع «لا» صورة على التالي، واجتمع مع «لو». هو عارض البسيط.. والبسيط إما ليس بهادة كالمجردات؛ كالواجب والنفوس مطلقاً. وأما مادة: وهو أيضاً إما غير متجزئ؛ كالجوهر الفرد ومفروض النقطة.. وإما ليس من الطبائع المختلفة، كالسماء.. وإما مشترك الجزئي والكلّي في الاسم: كالماء.. فاحفظ. (تقرير)
- (٤) (لعل الصواب: يعتبر، كما يفهم من السياق) أجير.

ثم التناقض من أحكام القضايا التي لها دخل في الاستدلال، لأننا كثيراً ما ثبت لزوم النتيجة للدليل وغيرها بالخلف، وهو إثبات الشيء بإبطال النقيض.. فلا بد من معرفة فحوى التناقض..

اعلم أن التناقض من الأحكام التي يتوقف عليها بيان الأشكال النظرية. فإن غير الأول نظري، يثبت إنتاجه بقياس الخلف المؤسس على أخذ النقيضين، وبقياس الاستقامة المتوقف على معرفة العكوس.

ثم التناقض لا يحتاج إلى كثير مؤونة بحسب الحقيقة، فبعد معرفة الشيء يكون نقيضه بدهياً. لأن نقيض كل شيء رفعه، والرفع نفى، والنفي عدم، والعدم كالوجود أعرف الأشياء، لأنها أعم. والشيء معلوم بالفرض.. إلا أن العدم الغير المحصل لا يكون مصدراً للآثار المقصودة لنا. فأرادوا ضبط قضايا محصلة، هي لوازم التناقض الحقيقية أو عينها.. مثلاً: إن نقيض «زيد ليس بقائم»، «ليس زيد بقائم». وهو كما ترى.. ولذا عرّفوه بـ(اختلاف قضيتين). أي لا مفردين. لأنه لا مدخل له في الخلف. أو مفرد وقضيته (بالإيجاب والسلب). أي لا بالأفراد والتركيب وغيرهما.. (بحيث يقتضي لذاته). أي لا بواسطة مقدمة أجنبية، هي «معاند مساو الشيء معاند للشيء»، (امتناع صدقهما وكذبهما)، أي بينهما انفصال حقيقي.

ثم يستفاد من التعريف اشتراطه بثلاث اختلافات واتحاد واحد، أو اثنين أو ثلاثة أو ثمانية أو أربعة عشر. أما الاختلاف ففي الكيف بصريح التعريف، وبالتخلف. في «ابنك أيها العزب قائم، ولا قائم» والاختلاف في الكم للتخلف أيضاً في الموضوع والمقدم الأعم بالكذب في الكلية، والصدق في الجزئية، والاختلاف في الجهة، وسيجيء..

ثم الاتحاد الواحد: ففي النسبة.. لأنه إذا اختلف أحد طرفيها أو قيد من قيودها، اختلفت النسبة. فبعكس النقيضين إذ اتحدت، اتحدتا في قيودها.. أو الاتحاد في الموضوع يقيد به، والمحمول بقيوده الأربعة، أو فيها وفي الزمان، لأن الزمان لا يتأتى أن يصير جزء المحمول في الجملة أو في الموضوع.. وفي الجزء والكل، لا الجزئية والكلية. وفي الشرط. كـ«الجسم مفرق للبصر، ليس بمفرق» بشرط البياض والسواد. وفي المحمول، والزمان

والمكان والإضافة والقوة والفعل.. أو في هذه الثانية مع التبادل في قيود الموضوع والمحمول بسر التخلف في الكل...

اعلم أن القضية باعتبار كل قيد من قيودها تتضمن قضية قد تصير مناط الحكم.

واعلم أيضاً أن نقيض الشيء عدمه.. وأن القضية ذات القيود الثلاثة لها ست عدمات. فلا بد في أخذ نقيضها من عدم يعمها.. وما هو إلا عدم الأخص من قيودها، فإن عدم الأخص أعم، وعدم الأعم أخص، يجوز خلّوهما. وفي الوجهة القيد الأخص هو الجهة. ففي «الإنسان حيوان بالضرورة» مدار التناقض حيوانية الإنسان ضرورية. وسلب الضرورة إمكان، فنقيض الضرورية الذاتية الممكنة العامة في جانبها المخالف.. وهو يستلزم سلب الضرورة في جانبها المخالف، وهو الموافق للضرورة.

ولما كان بين الثبوت لكل الأفراد والسلب عن البعض تناقض؛ فكذلك بين الثبوت في جميع الأزمان والسلب في البعض أو بالعكس ذاتاً أو صفة تناقض.. فنقيض الدائمة المطلقة المستلزمة لوقت، والعرفية الحينية الوقتية، أو بالعكس.

وأما الوقتية، فكالشخصية باتحاد الوقت.. فنقيضها الممكنة الوقتية. وأما المنتشرة، فلما انتشرت الوقت كان كالنكرة في الإثبات.. فإنها يناقضه الإمكان، إذا نفاه على سبيل العموم كالنكرة في سياق النفي حكماً.

اعلم أن نقيض المركبات ليست من جنسها، وإنما أخذوا منفصلة محصلة، هي لازمة نقيضها؛ بسبب أن أصل القضية كالوجود له فرد واحد، وهو وجود جميع أجزائها. ونقيضها الذي كعدمها متعدد الأفراد، حتى في مركب ذي خمسة أجزاء، للعدم أحد وثلاثون فرداً، وذات جزئين ثلاثة أفراد. فلهذا لا يعين عدم جزء الأخصية، بل ينشر ويردد فيما لا تداخل بين أجزائه، ومن الإبهام والترديد بتولد إما حملية شبيهة المنفصلة، أو منفصلة شبيهة الحملية.

ثم إن المتشابهتين في المتصلة متساويتان، وفي المنفصلة متلازمتان. إن كانتا جزئيتين، ومتخالفتان. يعنى أن المنفصلة أخص، إن كانتا كليتين. مثلاً: كل عدد إما زوج وإما فرد.. وكل إنسان إما كاتب وإما أمي. ولا يصدق إما كل عدد زوج، إما كل عدد فرد.. وإما كل

إنسان كاتب، إما كل إنسان أمي. بل مبعض بسبب أن كلفة الحملية، كل فرد، إذا لم يتم الحكم. وتقديماً «إما» على «كل» يصيرّه مجموعياً، إذ دخوله بعد تمام الحكم.. وبعد تمام الحكم كُلُّ كلٍّ إفرادي يكون كلاً مجموعياً.

واعلم أيضاً أن المركب متحدّ موضوع جزئها حقيقة بالضرورة لأجل التركيب والمحلل لا ضرورة في حقيقة موضوعي الجزئيين. ونحن نأخذ نقيض جزئين^(١) المحلل. فلا بد أن يكون المحلل عين المركب في الموضوع، ليكون نقيض نقيضه. ففي القضايا المركبة، الكلية المحلل عين المركب.. بسرّ «كل»، فإنه محيطة.. فلا إشكال في أخذ نقيضها.

وأما المركبات الجزئية: فلما كان مفهوم الجزئية المركب أخصّ، بسرّ الاتحاد من مفهوم الجزئيتين المحللتين لعدم ضرورة أن يكون البعضان مشيرين إلى ذات واحد، فيكون نقيض المحلل الأعمّ أخصّ من نقيض المركب. فلهذا كذب: بعض الحيوان إنسان لا دائماً، وجودية لا دائمة.. مع كذب «لا شيء من الحيوان بإنسان دائماً، وكل حيوان إنسان دائماً». والنقيضان لا يرتفعان.

فلأخذ نقيض المركبة الجزئية ثلاث مسالك: أحدها: تثليث التقسيم. أي إما لا شيء.. وإما كل.. وإما مبعض. والثاني: تقييد الموضوع بنقيض المحمول في النقيض السالبة.. وتقييد الموضوع بعين المحمول في النقيض الموجبة. والثالث: بالترديد بين نقيض جزئي المحلل ليتحد الموضوع، فيكون حمليّة مرددة المحمول.

ثم إن من الشرائط الاتحادية في التناقض الاتحاد في النوع. أي الذهنية بنوعها. والخارجية بقسميها للتخلف بالاختلاف، وفي الشرطيات الاتحاد في الجنس اتصالاً وانفصالاً، والنوع لزوماً وعناداً واتفاقاً للتخلف أيضاً.

ثم إن تناقض الجملتين يستلزم عدم الجمع والرفع في الوجود.. وفي المفردين في الوجود بوجوهه.

(١) (لعل الصواب: جزئي، بحذف النون للإضافة). أجير.

[فصل في العكس]^(١)

الحكم الثاني من الأحكام التي يتوقف عليها إثبات لزوم النتائج للأشكال العكس. ويطلق لغةً على غير اللازم، وعلى النقيض ومطلق التبدل. وأما هنا فبالمعنى المصدري: تبديل طرفي القضية حملية، أو متصلة لزومية مع بقاء الكيف والصدق لا الكذب، لجواز صدق اللازم مع كذب الملزوم. وبالمعنى المتعارف أخص القضايا اللازمة الحاصلة بالتبديل. ثم للزوم المغايرة بين اللازم والملزوم لا عكس معتبراً لما نسبته من الإضافة المتشابهة الطرفين كالعناد، والاتفاق نظير الأخوة.

ثم إن لزوم العكس نظريّ، يحتاج إلى البرهان، وهو ثلاثة.

أحدها: الخلف.. أساسه إثبات العكس بإبطال النقيض. وتصويره: لو لم يصدق العكس لزوماً، لأمكن انفكاكه. فيمكن صدق نقيضه مع كل صادق ومنه الأصل. ولو أمكن صدقهما لأنتج بالشكل الأول سلب الشيء عن نفسه، وهو محال لوجود الموضوع للإيجاب في أحدهما. وإمكان المحال باطل. وبطلان اللزوم يستلزم بطلان الملزوم.. إما بصورته وهو بدهي الإنتاج. وإما بأصل القضية وهو مفروض الصدق.. فلم يبق إلا نقيض العكس، وهو منشأ المحال. فلا يمكن صدقه، فيلزم العكس.

الثاني: طريق العكس.. وهو عكس نقيض العكس، ليضاد أو يناقض الأصل.. والعكس صادق بالفرض. فعكس النقيض باطل، فملزومه وهو النقيض أيضاً باطل، ونقيض النقيض وهو العكس صادق ألبتة.

وحاصله: أنه لو لم يصدق العكس لزوماً، لأمكن صدق النقيض ولو صدق صدق لازمه وهو عكسه. ولو صدق اللازم لزم اجتماع الضدين أو اجتماع النقيضين. والأصل مفروض الصدق فعكس النقيض هو ملزوم المحال فلا يمكن، فيلزم العكس.

اعلم أن عكوس الموجهات الموجبة ثلاثة فقط: الحينية المطلقة للدوام الأربع.. والحينية اللادائمة للخاصتين.. والمطلقة العامة لخمسة.

(١) كلنبوي ص ٢٨.

واعلم أن بسرّ «لازمُ اللازمِ لازمٌ» كل ما هو أعمّ من العكس عكس، لا اصطلاحاً..
وبسرّ أن ملزوم الملزوم ملزوم. فكل ما هو أخصّ من الأصل يستلزم عكسه.

واعلم أيضاً أنّ لنا مقامين: إثبات ونفي.. فلا إثبات للزوم لنا ثلاث طرائق: الخلف كما مرّ. وأما الافتراض والعكس، فكالتنبيه والتنوير للزوم الدور في البعض.^(١)

فاعلم أن الدائمتين والعامتين عكسها الحينية المطلقة بالخلف.. أي وإلا لصدق نقيضها، وهي العرفية العامة السالبة الكلية، فهو كبرى للأصل.. فينتج سلب الشيء الموجود عن نفسه بإحدى الجهات الأربعة، لأن نتيجة الشكل الأول تتبع الصغرى إذا كانت الكبرى وصفية - كما هنا - وسلب الشيء عن نفسه محال، فليس من صورة الشكل ولا من الصغرى، بل من الكبرى. وهو نقيض العكس، فلا يمكن أيضاً. فيصدق ويلزم العكس. وبافتراض وهو جعل عقد الحمل صغرى وعقد الوضع كبرى. فينتج بالثالث العكس، ولا يلزم الدور.. أو الإثبات بغير الثالث لأن المراد تنبيه وتصوير.. وبالعكس أيضاً. مثلاً: «كل إنسان حيوان» بإحدى الجهات.. فبعض الحيوان إنسان، حين هو حيوان.. وإلا لزم جمع النقيضين أو الضدين. إذ نقيض العكس يستلزم ما يصادد الأصل الصادق. وضدّ الصادق كاذب، فملزومه وهو النقيض أكذب. فنقيض النقيض وهو العكس صادق. ولازم أيضاً لامتناع إمكان المحال.

وأما مقام النفي، فبالخلف.. واعلم أن الأعمّ للأخصّ.. كما أن الأخصّ ملزوم الأعمّ.. وأن لازم الأعمّ، لازم الأخصّ.. وأن ملزوم الأخصّ، ملزوم الأعمّ.. وأن ما لا يلزم الخاصّ لا يلزم العامّ.. وإلا لزم الخلف.. وأن ما لا يستلزم الأعمّ، لا يستلزم الأخصّ.. وإلا ثبت الخلف.

واعلم أيضاً أنّنا نحتاج في نفي عكسيته، ماعدا الحينية المطلقة لهذه الأربعة، إلى اثني وثلاثون^(٢) موادّ تخلف. فالأقصر في طريقه: أن نأخذ من جانب الأصل الأربعة، الأخصّ الأقوى الملزوم لأخواته، ونأخذ من جانب العكس اللازم الأعمّ الأخفّ اللازم لأخواته. فالأخصّ في الأصل الضرورية الذاتية، وفي جانب العكس الأعمّ، ولو من وجه الوقتية،

(١) وهو الموجبات.

(٢) (لعله: اثنين وثلاثين). أجبر.

مع التخلف في صدق «كل كاتب إنسان» بالضرورة، مع كذب «بعض الإنسان كاتب» بالضرورة في وقت.

والخاصتان إلى حينية لادائمة، مثل «كل كاتب متحرك مادام كاتباً، لا دائماً». أي لاشيء من الكاتب بمتحرك بالفعل.. عكس «بعض المتحرك كاتب، حين هو متحرك». و«بعض المتحرك ليس بكاتب بالفعل».. وإلا لصدق «كل ذات متحرك كاتب دائماً». أي الكتابة دائمي للذات. ومقتضى الجزء الأول من الأصل: أن التحرك دائم بدوام الكتابة الدائمة بهذا الفرض.. فيكون التحرك دائماً للذات.. فيكون ضد قيد الأصل المفروض الصدق..

فعكس القيد «بعض المتحرك ليس بكاتب بالفعل»، لا يبين بالخلف، لأن نقيضه وهو «كل متحرك كاتب دائماً».. مع نفس القيد ينتج سلب الشيء عن نفسه بالفعل، وهو جائز. لأن عنوان الموضوع منفك، ولا بطريق العكس.. لأن عكس «كل متحرك كاتب دائماً»، «بعض الكاتب متحرك في حين». وهو لا يضاد القيد.. ولا بالافتراض، لأنه جعل عقد الحمل صغرى وعقد الوضع كبرى، فخرج من عقد الوضع، بسبب إيجاب الجزء الأول؛ «كل إنسان كاتب بالفعل». ومن عقد الحمل: «لا شيء من الإنسان بمتحرك بالفعل»، فلا يكون صغرى للشكل الثالث لاشتراط الإيجاب.

اعلم أن عكس الوقتيتين والوجوديتين والمطلقة العامة المطلقة العامة، فنحن على وظيفتين:

الأولى: إثبات لزوم هذه لتلك، بتلك الطرائق. فالأقصر: أن نأخذ الأعم من الخمسة. لأن لازم الأعم لازم الأخص، والأعم المطلقة. لأن المطلق أعم من المقيد. فإذا صدق: «كل كاتب ضاحك بالفعل»، صدق لزوماً «بعض الضاحك، كاتب بالفعل» بالخلف. أي وإلا فلا شيء من الضاحك بكاتب دائماً - كبرى للأصل - فينتج لاشيء من الكاتب بكاتب دائماً، وهو محال لوجود الموضوع. لأنه كان عقد وضع الموجبة. والدليل الذي يستلزم المحال باطل، لفساد أحد أركانه. والصورة بديهية، والأصل الصغرى مفروضة الصدق، فيبطل نقيض عكسنا.. فثبت «بعض الضاحك كاتب بالفعل». فإن شئت فاستدل على سبيل التنبيه والتنوير دون الإثبات، للزوم الدور بالعكس والافتراض. هكذا: لو لم يصدق العكس، لصدق

النقيض. والنقيض يستلزم عكسه، وهو يضاد الأصل الصادق، فيكذب فيبطل ملزومه. فثبت نقيض النقيض، وهو العكس.

والافتراض: جعل عقد الحمل صغرى، وعقد الوضع كبرى بالثالث الذي نتيجته تابعة لعكس صغراه، وهو المطلوب. وخلاصته: أن الأصل يخبرنا بأن عنوان الموضوع وعنوان المحمول ثابتان بالفعل لذات واحد. فأثبتها ثبت للذات، -بناء على سلميته- يثبت له الآخر بالفعل كما ترى.

أما الوظيفة الثانية: فنفي لزوم الأخص من المطلقة لا الأعم، فإنه (أي الأعم) لازم أيضاً. والطريق الأخصر للتخلف: أن نأخذ الأخص من الخمسة؛ لأن ما لا يلزم الأخص لا يلزم الأعم أبته، والأخص الوقتية المعينة. ونأخذ من الأحد عشر الأعم، لأن عدم لزوم الأعم يستلزم عدم لزوم الأخص بالضرورة.. والأعم من الكل الأخص من المطلقة؛ الوجودية اللازورية. مثلاً: يصدق «كل قمر منخفض في وقت الحيلولة بالضرورة، لادائماً».. مع كذب «بعض المنخفض قمر لا بالضرورة»، باعتبار القيد. لأن الانخساف خاصة القمر. فذات المنخفض قمر دائماً بالضرورة.

اعلم أن مما يجب التنبه له في هذا المقام: أن إمكان الملزوم لا يستلزم إمكان اللازم كإمكان عدم العلول الأول، اللازم عند الحكماء للواجب، مع عدم إمكان عدمه لللازم. فإمكان الأصل مطلقة لا يستلزم إمكان الإطلاق^(١) وأيضاً قد يتولد المحال من ممكنين بالإجماع، كالقيام والقيود. وفرض الممكن فعلياً^(٢) مع الأصل الصادق^(٣) قد لا يمكن، لتوسع أفراد موضوع الأصل.

وأيضاً، إن إمكان الدوام غير دوام الإمكان. فإن الأول ينافي الوجوب بالغير، دون الثاني.. فالكاتب دائماً ليس بممكن، ليس بممكن للإنسان. والحال أنه يمكن دائماً.

وأيضاً، إن «صدق الضرورة» غير «ضرورة الصدق» على المشهور.. كما أن «صدق

(١) في عكسه.

(٢) في صغرى الأول في بطلان عكس الضرورة ضرورة بالتخلف. (تقرير)

(٣) وكان كبرى للأول.

الإمكان» غير «إمكان الصدق». فإن صدق الإمكان قد لا يمكن فرضه بالفعل، مع بقاء صدقيته الأصل. إذ قد يلزم الإمكان شيئاً، بفرض فعله يمتنع معه.. كالقيام وإمكان القعود. فاندفع ما شككوا في هذا المقام.

ثم اعلم أن لا عكس للممكتنين على ظاهر مذهب الشيخ في عقد الوضع، أي الفعل الخارجي للتخلف وعدم قيام الخلف، إذ الإمكان لا يصح في صغرى الشكل الأول. ومن هذا لا تنعكس الضرورة ضرورية.

ثم السوالب؛ فعكس الدائمتين الكلّيتين دائمة كلية بالخلف، بجعل نقيض العكس، لأنه موجبة جزئية^(١) صغرى للأصل السالبة الكلية.. فينتج سلب الشيء عن نفسه الموجود على فرض صدق النقيض. فإن شئت، فبعكس نقيض العكس يناقض الأصل.. فبلزوم الدوام يلزم^(٢) الأعمّ منه (أي من الدوام).

اعلم أن عكس العامتين عرفية عامة سالبة كلية.. وإلا فحينية مطلقة؛ موجبة جزئية مع الأصل، ينتج سلب الشيء عن نفسه - حين هو نفسه - وعكس الخاصّتين الكلّيتين عكس جزئيهما.. وهي العرفية العامة،^(٣) الكلية.. والمطلقة،^(٤) الموجبة الجزئية، المعبرة باللا دوام الذاتي في البعض لمخالفة^(٥) موضوعه^(٦) لموضوع الجزء الأول.^(٧) واصطلح على هذه الستة المنعكسة السوالب، ولا عكس للبقاقي، لأن الأخص منها وهي الوقتية، لا ينعكس إلى أعمّ الجهات، وهي الممكنة بالتخلف في «لا شيء من القمر بمنخسف وقت التربع»، وهو صادق مع كذب «بعض المنخسف ليس بقمر» بالإمكان العام. وإن لم ينعكس الأخص لم ينعكس الأعم.. وإن لم يلزم الأعم لم يلزم الأخص.

والسالبة الجزئية، لا عكس لها إلا في الخاصّتين. أما عدم الانعكاس في غيرهما،

(١) مطلقة.

(٢) أي يكون عكساً لا اصطلاحاً.

(٣) السالبة.

(٤) العامة.

(٥) اعتبر هنا العكس لعدم صدق الكلية لموضوع الجزئية «وفياً مرّ اعتبر المركبة لجوازه. تأمل! (تقرير)

(٦) لكونه عكس الموجبة.

(٧) في الكم لكونه عكس سالبة الكلية.

فلأن أخصّ البسائط الضرورية، والمركبات الوقية.. وهما تصدقان بلا عكس، ولو ممكنة عامة؛ في «بعض الحيوان ليس بانسان بالضرورة».. مع كذب «بعض الإنسان ليس بحيوان بالإمكان».. و«بعض القمر ليس بمنخسف بالضرورة»، مع كذب بعض المنخسف ليس بقمر ولو بالإمكان، لأن خاصية الانخساف للقمر تشف عن تسرّ قمر تحت بعض.

وسر عدم جريان الخلف في السوالب الجزئية؛ أن الخلف ضمّ نقيض العكس إلى الأصل صغرى أو كبرى ليلزم المحال، والحال أن أصلنا هنا لسلبه لا يصير صغرى.. ولجزئيته لا يصير كبرى. وأما ثبوت الانعكاس في الخاصتين؛ فلأن الأصل يقول: إن ذات الموضوع موجود بحكم القيد الموجب.. وإن الذات متّصف بعنوان الموضوع وهو ظاهر.. وبمعنوان المحمول بحكم القيد، وبفني المحمول بحكم عقد الحمل.. وبفني الموضوع بحكم المنافاة بين الوصفين. فالوصفان متنافيان ومتعاقبان على ذات واحد.. «هَرَوَكِي بِرَاجَوَتِكَ»^(١). فالذات في أيّهما استتر، يبعد عنه الآخر.. إلى أن يزول ما أخذه.

اعلم أن العكس تحصيل أخص القضايا اللازمة.. فثبت اللزوم بالخلف وعدم الانعكاس.. أو إلى الأخص لزوماً، فبالخلف.. والخلف إبطال الشيء بإثبات نقيضه. ففي الاشكال يُضمّ نقيض النتيجة صغرى أو كبرى،^(٢) لينتج ما ينافي الآخر. وفي العكس ضمّ نقيض العكس كبرى للأصل في الموجبات.. وصغرى له في السوالب، لينتج سلب الشيء عن نفسه في المستوي. وحمل الشيء على نقيضه في عكس النقيض..

وصورته، من المعقول الثاني هكذا: لو لم يصدّق العكس، لصدق نقيضه بالضرورة. ولو صدق النقيض، لصدّق مع كل صادق.. بسر أن الصدق أبدي. وإذا صدق مع كل صادق صدق مع الأصل. لأنه مفروض الصدق، فمن الكل.. وإذا صدقاً معاً، حصل الشكل الأول. وإذا تركب الشكل الأول، أنتج بالبداهة المحال. وهو سلب الشيء عن نفسه هنا، وهو باطل: لوجود الموضوع بالإيجاب في الأصل، أو نقيض العكس.. وملزوم المحال غير ممكن، فنقيض غير الممكن واجب ولازم، وهو المطلوب..

(١) إن هذا التركيب باللغة الكردية - الكرمانجية. ومعناها: «التوأم» بالعربية. ع.ب.

(٢) أي بالصغرى.. فينتج ما ينافي الكبرى. أو بالكبرى، فينتج.. الخ.

أما صورة التّخلف هي: أنّه لو انعكس، للزّم، ولو لزّم، لدام.. ولو دام، لم يتخلف.. لكن إذا تخلف فلم يدم، فلم يلزم، فلم ينعكس..

[فصل في عكس النقيض]^(١)

الحكم الثالث للقضايا العكس، النقيض..

اعلم أن الآلة كثيراً ما تتحول عن صورتها الحقيقية، فتظهر لأغراض بلوازم مقدمتها، أو إحداهما فلهذا كثيراً ما نحتاج لرد غير المعارف إلى المعارف لعكس النقيض.

ثم إن عكس النقيض إما موافق الكيف مع أخذ نقيض الجزئين سلباً أو عدولاً.. أو معاً مع النظر والدقة لأخذ نقيض الجزء. فإن نقيض «كاتب بالفعل» ليس بـ«لا كاتب بالفعل» لعدم تمام الخلف هنا.. أو أخذ نقيض المحمول فقط، سلباً أو عدولاً مع المخالفة في الكيف.

ثم، قد ذكرنا: أن العكس مطلقاً، تحصيل أخصّ القضايا اللازمة، وإثبات اللزوم محتاج إلى البرهان. والبراهين الجارية في سوابب العكس المستوى، جارية في موجبات عكس النقيض مع تفاوت قليل، لأنها نظيرتها. وكذا براهين موجباتها في سوابب ذا، كـ«زلزل».

أما الموجبات الكلية، فعكسه على الأول نفسها، لأنه المحمول فيها، إما مساو أو أعم.. ونقيض المتساويين متساويان. ونقيض الأعم أخصّ من نقيض الأخص فيحمل عليه كلياً ألبته. مثلاً «كل إنسان حيوان» ينعكس إلى «كل لا حيوان لا إنسان» بالخلف. أي وإلا لصدق نقيضه.. وهو «ليس كل لا حيوان بلا إنسان» ولا يمكن جعله صغرى للأصل لسلبه. ومن هذا اضطر المتأخرون إلى العدول واستلزام هذا للموجة عند وجود الموضوع ثابت، إذ لا بد أن يكون موجود ومعدوم خارجاً عن الموضوع والمحمول، أو لأن السالبة يستلزم الموجبة السالبة الطرف، فسلب السلب إيجاب. فإذا صدق النقيض، استلزم «بعض ما ليس بحيوان إنسان» صغرى للأصل، وهو «كل إنسان حيوان» فينتج «بعض اللاحيوان بالفعل حيوان دائماً». وحمل النقيض على النقيض بهذا الوجه محال. ومستلزم المحال غير ممكن، فنقيض النقيض لازم. تأمل!

اعلم أن الدائمتين تنعكسان إلى دائمة. مثلاً: «كل إنسان حيوان بالضرورة، أو دائماً».

و«كل لحيوان لا إنسان».. وإلا ف«بعض اللاحيوان ليس بلا إنسان»، «بعض اللاحيوان إنسان بالفعل» كما مرّ، مع «كل إنسان حيوان»، ينتج «بعض اللاحيوان بالفعل حيوان دائماً». وهو كما ترى.

والعامتان، إلى عرقيّة عامة.. مثلاً: «كل كاتب متحرك مادام كاتباً». ف«كل لا متحرك لا كاتب مادام لا متحركاً».. وإلا ف«بعض اللامتحرك ليس بلا كاتب حين هو لا متحرك». «بعض اللامتحرك كاتب في حينه» لما مرّ أيضاً.. وهو مع الأصل ينتج «بعض اللامتحرك متحرك. حين هو لا متحرك» لأن الكبرى وصفية، فالنتيجة تابعة للصغرى. فتأمل في طبيعة الأصل لتستخرج النقط الثلاث في العكس.

والخاصتان إلى عرقية عامة لا دائمة في البعض، لأن الأصل يخبرنا بأن ذاتاً واحدة له وصف الموضوع، فوصف المحمول معه. ولها نقيض المحمول، فنقيض الموضوع معه بحكم القيد ومادام.. إلا أن قيد العكس جزئى كما في عكس المستوي...

أما الجزئيات، فلا عكس لها بالتخلف، إلا للخاصتين بالافتراض. فإن أخصّ البسائط الضرورية، والمركبات غيرهما الوقتية. ولا تنعكسان إلى الإمكان العام. وما لم يستلزم الأعم، لم يستلزم الأخص.. وما لم يلزم الأعم، لم يلزم الأخص. مثلاً: «بعض الحيوان لا إنسان بالضرورة».. و«بعض القمر لا منخسف بالضرورة وقت التربع لا دائماً»، مع كذب «بعض اللاإنسان لحيوان» و«بعض المنخسف لاقمر» بالامكان العام.

أما الخاصتان، فعكسهما عرقية عامة جزئية لا دائمة. إذ لا يصدق في عكس «بعض المتحرك كاتب لا دائماً» القيد. أي «بعض اللاكاتب ليس بلا متحرك بالفعل». إذ تنص الأرض تليّله تحت «لا كاتب».. وتقول: «إني لا أتحرك على رغم المتقدمين، على رغم أفكم أيها الجديديون!» ومن هذا، يكون قيد عكس الخاصتين الكلّيتين جزئيةً.

اعلم أن سوالبها كموجبات عكس المستوي. فالدائمتان والعامتان إلى حينية مطلقة، جزئية سالبة. مثلاً: الأعم من الأربعة: «لا شيء من الكاتب ساكن مادام كاتباً». ف«بعض اللاساكن ليس بلا كاتب حين هو لساكن».. وإلا ف«كل لساكن لا كاتب مادام لساكناً».. وهو بعكس النقيض. فإنه قد برهن عليه: «كل كاتب ساكن مادام كاتباً».. وهو ضد الأصل؛

فهو باطل. فملزوم هذا العكس النقيض. أعني نقيض العكس محال أيضاً، غير ممكن.. والعكس لازم.

وأما الخاصتان: فحينية لا دائمة.. أما الحينية؛ فلأنه لازم للأعم منها، ولازم الأعم لازم الأخص. وأما اللادوام؛ فبالافتراض.. نفرض في المثال السابق مع اللادوام؛ «كل رومي لا ساكن مادام كاتباً» بحكم الجزء الأول.. و«كل رومي لا كاتب حين هو ساكن» بحكم القيد مع العناد بينهما. فبضمها، يعني «كل رومي لا ساكن مادام كاتباً» و«كل رومي لا كاتب. مادام ساكناً». فينتج من الشكل الثالث «بعض اللاساكن لا كاتب حين هو لا ساكن» لأن النتيجة في الثالث تابعة لعكس الصغرى. وتستلزم الحينية المطلقة، المطلقة العامة. ف«بعض اللاساكن لا كاتب بالفعل»، وهو مآل قيد الحينية اللادائمة في عكس النقيض. ولا يثبت بالخلف ولا بطريق العكس..

وأما الوقتيتان والوجوديتان والمطلقة العامة: فعكس نقيضها المطلقة العامة، إذا عمّها وهو المطلقة العامة الجزئية السالبة. مثلاً: «بعض الإنسان ليس بضاحك بالفعل»، تستلزم «بعض اللاضاحك ليس بلا إنسان بالفعل».. وإلا ف«كل لا ضاحك لا إنسان دائماً». وهو يستلزم عكس نقيضها، المبرهن عليه. وهو «كل إنسان ضاحك دائماً»، وهو مناقض للأصل دائماً الصادق. فبطل عكس نقيض نقيض عكس النقيض، فيثبت عكسنا، ولا يثبت بالخلف، لأن الأصل سالبة جزئية، لا تصير صغرى ولا كبرى. وإذا لزمت المطلقة المطلقة، لزمت الأخص منها.

ثم إن عند المتأخرين جعل نقيض المحمول موضوعاً، وعين الموضوع محمولاً مع مخالفة الكيف. فالدائمتان الموجبتان إلى سالبة دائمة.. ف«كل إنسان حيوان دائماً»، إلى «لا شيء من اللاحيوان بإنسان دائماً».. وإلا ف«بعض اللاحيوان إنسان بالفعل». وهو مع الأصل ينتج: «بعض اللاحيوان حيوان دائماً، أو بالضرورة». وهو كما ترى..

والعامتان الموجبتان إلى عرفية عامة كلية؛ ف«كل كاتب متحرك مادام كاتباً»، إلى «لا شيء من اللامتحرك بكاتب مادام لا متحركاً».. وإلا ف«بعض اللامتحرك كاتب حين

هو لامتحرك». وهو صغرى للأصل الوصفي، ينتج: «بعض اللامتحرك متحرك حين هو لا متحرك»، لأن النتيجة هنا تابعة للصغرى، وهو من المحال كما يُرى.

وأما الخاصتان إلى عرفية عامة لادائمة في البعض؛ أما العرفية العامة: فلِمَا مرّ.. وأما القيد: أعني: «بعض اللامتحرك كاتب بالفعل».. فبالافتراض الجزئية العكس.. فكل رومي لامتحرك بحكم القيد. و«كل رومي كاتب» بحكم عقد الوضع الموجب. فينتج من الثالث: «بعض اللامتحرك كاتب بالفعل».

اعلم أن السوالب هنا، على مذهب المتأخرين ليست كموجبات عكس المستوي^(١) في البسائط الخمسة.

(١) (تذكر مامّر) اعلم أن عكس المستوى ناظرة إلى عقد الوضع وغيره. (أي سواء كان متناقضين، أو متقاربين، أو متخالفين، أو متضادين، أو غيرها). وأما عكس النقيض فينظر إلى -نسبة الطرفين؛ كالحيوان واللائسان... فنذكر مامّر من أن مصداق الموجبة الكلية؛ كون الطرفين متساويين، أو المحمول أعمّ مطلقاً. والجزئية؛ غير المتباينين.. والسالبة الكلية، كونها متباينين مطلقاً.. والجزئية، غير المتساويين.. والمحمول الأعم.

وأن نقيض المتساويين متساويان.. والأعم والأخص مطلقاً أيضاً، كذلك بالعكس.. وبين نقيضي المتباينين والأعم والأخص من وجه تباين جزئي وهو الأعم.. وأن نقيض المساوي نقيض للمساوي الآخر. ونقيض الأعم مطلقاً مباين لعين الأخص كذلك (لعدم الجزئية فيهما). أي لا الأصل ولا العكس. تأمل!). ونقيض الأخص مطلقاً (كالحيوان واللائسان)، أعم من وجه من عين الأعم كذلك.. ونقيض الأعم من وجه إحدى النسب، غير التساوي مع عين الأخص من وجه. ونقيض المباين أعم من وجه من عين المباين الآخر.

إذا أحطت بهذا علماً.. فإذا أخذت نقيض الطرفين -كما عند القدماء- لابد من الاتفاق في الكيف. ولابد لكلية القاعدة من انعكاس السوالب مطلقاً، إلى الجزئية.. للتخلف في الكلية، فيما كان النقيضان أعم وأخص من وجه. وإذا أخذت نقيض واحد من الطرفين وهو المحمول -كما عند الخلف- لابد من المخالفة. فتأمل!

واعلم أيضاً أن من الممكنين لا تنعكسان مطلقاً جزئية كلية، موجبة سالبة. والخاصتين تنعكسان مطلقاً كذلك. والباقي إيجاباً وسلباً هنا، كزّلزّل؛ فموجبة هذا سالبة ذاك في انعكاس الكلية كلية. وعدم انعكاس الجزئية، إلا. وانعكاس ستة فقط، باعتبار الجهة. وسالبة هذا موجبة ذاك في انعكاس كليتهما جزئية.. وإحدى عشر، باعتبار الجهة عند القدماء. والمركبات فقط عند الخلف. وكون عكوسها ثلاثة فقط. وبرهان الخاصتين مطلقاً الافتراض فقط، بسرّ العنوان. إذ الحكم فيها ناظر إليه ومرتب به، دون سائر المركبات. بل بالذات وإليه فيها. والتفاوت بين إثبات ذاك ببراهينه، وهذا أيضاً بها. هو أن عند السلف بقاء الكيف. ففي الموجبات الأصول مكوّن كبرى. والعكوس ثلاثة: الدائمة، والعرفية، والعرفية العامة اللادائمة. والنقيض سالبة جزئية، وهي المطلقة العامة.. والحينية المطلقة، والمطلقة العامة للقيد. فلا يكون صغرى. وأيضاً لا يتكرر الأوسط، فيؤخذ لازمه الموجبة

وعند المتقدمين هي كها فيها أيضاً. لأن السالب البسيط يصدق بعدم الموضوع أيضاً. فيحتمل أن لا يكون لنقيض المحمول وجود. كـ «لا شيء من الخلاء يبعد». مع كذب «بعض اللابعد خلاء».

فلما كان عكس نقيض السالب عند السلف سالباً، كان ذاك كذلك في الصدق، وعند الخلف موجباً يقتضي وجود الموضوع، لم تنعكس البسائط الخمسة.

وأما المركبات؛ فوجود الموضوع ألبته يكون لنقيض المحمول ذات موجودة، وهو ذات الموضوع. فمن الخاصتين إلى حينية لا دائمة لا بالخلف، لأن الأصل سالب مع سلب نقيض عكس النقيض، لا دليل عن سالتين.. ولا بطريق العكس. لأنه لم يبرهن عليه بعد، بل بالافتراض للجزئية في العكس. مثلاً: «لا شيء من الكاتب ساكن مادام كاتباً». فالعكس: «بعض اللاساكن كاتب حين هو لساكن». أي «بعض اللاساكن ليس بكاتب بالفعل».

أما الجزء الأول: فـ «كل رومي لساكن مادام كاتباً» بحكم الجزء الأول. و«كل رومي كاتب بالفعل» بحكم عقد الوضع الموجود بالتركيب. فينتج من الثالث: «بعض اللاساكن كاتب حين هو لساكن» لأن نتيجته تابعة لعكس الصغرى وهو حينية، أما الجزء الثاني: فكل رومي لساكن» و«كل رومي ساكن» فالثاني مع الجزء الأول من الأصل ينتج لا شيء من

= الجزئية المحصلة المحمول. ويجعل صغرى وينتج. فقد جرى الخلف فيه. وأما قياس الاستقامة: فإما أن تنعكس عين النقيض، وهو هنا سالبة جزئية لا تنعكس بعكس المستوى. وبالعكس النقيض، عندهم يناقض الأصل. لكن لا يثبت به للزوم الدور هنا. وإما أن تنعكس اللازم وهو موجبة. فعكس المستوى يكون كالضد للأصل. وفي السوالب العكوس ثلاثة: الحينية المطلقة.. والحينية اللادائمة.. والمطلقة. وهي سوالب جزئية ونقيضها، وهي العرفية العامة والدائمة موجبة كلية فلا يصح لصلوح الأصل للكبروية حالة الكلية دون الجزئية. ولعدم تكرار الأوسط للعدول والتحصيل، بل بقياس الاستقامة إذ عكس النقيض السالب الجزئي بعكس النقيض عندهم سالبة كلية ولا يلزم هنا ما مَرَّ فيكون ضد الأصل ودون الافتراض لعدم وجود الموضوع لاتفاق الكيف عندهم، فقد علمت التفاوت هنا. وعند المتأخرين اختلاف الكيف وقد مَرَّ. ففي الموجبات، فذكر العكوس بجهاته، أيضاً الأصل موجب كلي، والعكس سالب كذلك، والنقيض موجب جزئي، فيجري الخلف لجواز كبروية الأصل وصغروية النقيض، وتكرر الأوسط وكذا قياس الاستقامة، إذ عكس الموجبة الجزئية بعكس المستوي عينه، فيضاد الأصل، دون الافتراض لما مَرَّ. وفي السالب هنا، أي عندهم ليست كموجبات المستوي. (تقرير)

الرومي بكاتب، وهذه النتيجة كبرى لـ «كل رومي لاساكن» ينتج من الثالث «بعض اللاساكن ليس بكاتب» بالفعل، وهو مآل القيد.

ثم إن الوقتين والوجوديتين إلى مطلقة عامة، لعدم انعكاس القيد لإيجابه؛ كسالبته في العكس المستوى فبقى المطلقة العامة.. وهو بالافتراض دون الطريقتين الآخرين. ففي «لا شيء من الإنسان بمتنفس.. لا دائماً» «كل متنفس لا متنفس»^(١) بحكم الجزء الأول. و«كل متنفس إنسان» بحكم الوجود في القيد بالتركيب. فمن الثالث ينتج: «بعض اللامتتنفس إنسان» بالحينية^(٢) المطلقة المستلزمة للمطلقة العامة.

خاتمة:

اعلم أن الشرطية الاتفاقية مطلقاً، والمنفصلة لا عكس لها، مستوياً مغايراً في المراد. ولا عكس نقيض لكل الشرطيات، إلا الموجبة الكلية المتصلة للزومية على مذهب الخلف، لقيام الخلف. فإن لزوم شيء لشيء يستلزم نفي لزوم الملزوم لنقيض اللازم. مثلاً: «كلما كانت الشمس طالعة، فالنهار موجود.. فليس ألبتة إذا لم يكن النهار موجوداً كانت الشمس طالعة».. وإلا فقد يكون: إذا لم يكن النهار موجوداً كانت الشمس طالعة؛ صغرى لإيجابه للأصل، كبرى لكليته. فينتج «قد يكون إذا لم يكن النهار موجوداً، فالنهار موجود».. وهو من المحال كما ترى لا على مذهب السلف، فإن نقيض عكس نقيضه يصير سالبة جزئية، لا يكون صغرى لسلبه، ولا كبرى لجزئيته، مع عدم استلزام السالبة المعدولة للموجبة المحصلة، لأن النفي لا يدخل على النفي هنا، لأن مآل نقيض العكس نفي لزوم نفي الشيء، وهو لا يستلزم لزوم الشيء، إذ قد لا يلزم النقيضان لشيء.. وقس على هذا عدم جريان مذهب السلف في البواقي.

ولا عكس للجزئيات منها على مذهب الخلف أيضاً. أما الموجبة فلجزئيته لا تصير كبرى.. وإن كان صغرى فراجع.. وأما السالبة مطلقاً، فلان نقيض عكس النقيض سالبة أيضاً. ولا قياس على سالبتين..

(١) بإحدى الجهتين، الفعل أو الضرورة في وقت.

(٢) إذ هو العكس الصريح لتلك الأربع.

[الباب الرابع: في الأدلة والحجج الخ]^(١)

اعلم أن الدليل باعتبار الصورة هو المقصد الأعظم من المنطق.. وهو بسيط عند الأصوليين، فالنظر في أحواله.. ومركب عند المنطقيين، فالنظر فيه.. فالدليل: ما يكتسب بالنظر في أحواله، أو فيه حكم آخر.. فالاستدلال: إما بالجزئي على الكلي.. فهو الاستقراء، وهو أساس أدلة العربية بل في ابتداء حصول كل العلوم.. وإما بالجزئي على الجزئي، وهو التمثيل، وهو المعبر في أصول الشرع، بل في كل التشبيهات.. وإما بالكلي على الجزئي، أو على الجزئي الإضافي.. وهو القياس المنطقي، والجاري في تعليم العلوم..

ثم إن البدهي من هذا القسم الذي يكتسب به نظريات هذا الباب؛ القياس المقسم.. والاستثنائي وغير المتعارف المعبر عنه -في الأكثر- بقياس المساواة... والشكل الأول الراجع محصّله إلى قياس المساواة.. وأصله: قياس غير متعارف. هكذا: زيد مساو لعمر، وعمر مساو لبكر؛ فزيد مساو لبكر بالضرورة. وكل مساو المساوي مساو.. فزيد مساو، وهو المطلوب. فهذا التكلّف لتحصيل تكرار الأوسط. والأصح أن تكرار الأوسط شرط العلم بالإنتاج.. فيمكن لزوم الإنتاج بدونه؛ كأكثر شرائط اقترانيات الشرطية. وأما شرط تحقيق الإنتاج الذي لا يمكن لزوم النتيجة بدونه: فكإيجاب الصغرى وكلية الكبرى في الأول، وأن لا تكون المقدمتان سالبتين أو جزئيتين في الكل وغيرها.

اعلم أن الدليل لما كان العلم به بالمعنى العام علة للعلم.. كذلك بالنتيجة وجب تقديمه. فالدور بكلا معنييه باطل، وكذا المصادر.. وإن تكون المادة مناسبة ذاتاً وكيفية للنتيجة.

فان قلت: الذهن كاللسان يتعاقب فيها الصغرى والكبرى، فكيف يكون كلاهما علة مؤثرة؟..

قلت: الأفكار علة معدة للمطالب باعتبار الحضور.. وعلة مجامعة^(٢) باعتبار الحصول.

(١) كلنوي ص ٣٠ س ١٩..

(٢) مقارنة.

فإن قيل: الإيمان الذي هو التصديق^(١) مكلف به، والمكلف^(٢) به فعل اختياري مع أن اللزوم ضرورة والتصديق انفعال؟

قلت: التكليف بترتيب المقدمات..

فإن قلت: الدليل يستلزم النتيجة مقدمة أساسية للإنتاج. مع أنه نظرية. فإن أثبت بدليل فذلك الدليل أيضاً متوقف على مثل هذه المقدمة؟

قلت: هذه المقدمة تثبت بدليل، تثبت هذه المقدمة فيه، في نفس الأمر بالانتقال الطبيعي، لأن علم العلم ليس بلازم بالضرورة، لأن ذلك الدليل من المعقولات الأولى.

فإن قلت: علم صدق كلية الكبرى التي في قوة قضايا متعددة بعدد الأفراد التي منها موضوع النتيجة شرط للإنتاج، حتى في أبده الأشكال، مع أن العلم بصدقها، يتوقف على العلم بالنتيجة. فما هذا الدور؟..

قلت: إن لاختلاف العنوان تأثيراً في اختلاف الأحكام؛ معلومية ومجهولية، ضرورة ونظرية. فموضوع النتيجة تحت عنوان موضوع الكبرى قد يكون ضرورياً.. وتحت عنوانه نظرياً. ثم إن للإنتاج شرائط عمومية.. وقد مر نبذة منها باعتبار المادة والصورة. وخصوصيته فسيأتي.

ومن الشرائط العمومية التفطن الذي هو كالجماع بين الزوجين.. وملاحظة النتيجة في بطن الكبرى..

ثم اعلم أن الاستقراء له وقع عظيم واستعداد واسع، بل هو المؤسس للعلوم، بل هو المفصل للعقل بالملكة. فقد بخسوا حقه في الاختصار فيه. ومنه: ما هو مفيد لليقين، وهو التأم الذي كالتواتر الحالي. أو تتبع قليل أفراد في نوع واحد بالنظر بطبيعة النوع.. وهو أيضاً مفيد لليقين، بسبب انضمام حدسٍ معنوي إليه.. ومفيد للظن، وهو الاستقراء الناقص في أكثر الجزئيات؛ إذ بسر الحكمة يكون الأكثر هو الباقي على الأصل الذي لا يعقل. وإذا اختصروا فلنختصر..

(١) المنطقي مع لازمه.

(٢) حال.

ثم إن التمثيل أيضاً مفيد لليقين، إن كان مقدّماته يقينية، أي وجود الشرائط وانتفاء القوادح ويقينية المسلك الذي تثبت العلية به.. وبندرة اليقينية بكلّها أطلقوا إفادة الظنّ.

ثم للتمثيل الذي منه التشبيه أيضاً، أركان أربعة: وهو المقيس، والمقيس عليه، والجامع، وحكم الأصل. لا حكم الفرع، فإنه نتيجة.

اعلم: أن للقياس التمثيلي مجالاً واسعاً، فيجري في فنون شتى وفي المحاورات. لكن القدح المعلى للشرع..

ومن شرائطه فيه: أن لا يكون حكم المشبه به مختصاً.. أو تعدياً.. أو مستثنى.. أو متغيراً عند التعدي. الخ..

ومن مسالكة فيه: الإجماع، والنص، والإيحاء بالحكم على المشتق، والتبرر بالتقسيم، وطرد غير الصالح، والمشابهة، وإلغاء الفارق، والعكس. أي الوجود عند الوجود.. وقيل الطرد وهو عكس العكس.. والدوران كلاهما.. وتنقيح المناط بطرد الخصوصيات.. وتحقيق المناط بإثبات في الصور الخفية؛ كالسرقة في الطّار والنباش، وتخريج المناط، والمناسبة.. والوصف المناسب، هو الذي لو عرض على العقول لتلقته بالقبول.. وهو إما حقيقي أو إقناعي.. والحقيقي: إما ضروري، وهو الأقطاب الخمسة. أي حفظ النفس، والدين، والعقل، والمال، والناموس؛ المناسبة للقصاص... والجهاد، وحدّ السكر أو الشرب، وحدّ السرقة، وحدّ القذف؛ وحدّ الزنا. وإما حاجي: كما في أساسات المعاملات... وإما استحساني: كالتنزيه من القاذورات، وعدم تولية النساء والعبيد.. والإقناعي: كبطلان بيع الخمر للنجاسة.. وقس، فتأمل!

ثم العلة: لا بد أن تكون وصفاً ظاهراً منضبطاً، لا كالمشقة وبراءة الرحم...

والعلة علامة، وإنما المؤثر خطاب الله.. كما أن المؤثر في عالم الخلق قدرة الله. فتأمل!

ثم المانع: إما من انعقاد العلية، أو علية العلة، أو ترتب الحكم أو دوامه.. كبيع المعدم، وبخيار الرؤية، وبخيار المجلس، وبخيار الشرط أي العيب. كما أن الرمي قد لا يصيب، أو يصيب لا يجرح، أو يجرح يندمل، أو لا يندمل بضمن^(١)..

(١) ولعله «بضمن». ع.ب.

ومن القواعد: النقض، أي تخلف المعلول عن العلة، والمعارضة، والكسر، وعدم التأثير. وقس، فتأمل!

اعلم، أنّا إذا تحرّينا مطلوباً؛ فإن كان لجملة نسبة إلى شيء، فاستثنائي.. أو لأجزائه، فافترائي.. والاستثنائي من شرطية واستثنائية، حملية أو شرطية. فشرط الشرطية: الإيجاب وعدم الاتفاق.. والكلية عند عدم كلية الاستثنائية أو شخصيتها. إذ سلب اللزوم أو العناد لعمومه، لا يستلزم شيئاً. وللزوم النتيجة للدليل، لاسيما للمقدمة الاستثنائية؛ لم تقدر الاتفاقية على الإنتاج. وسر الكلية ظاهر.

ثم الشرطية: إن كانت متصلة.. فالمستقيم استثناء عين المقدم لا التالي، لإمكان العموم.. وغير المستقيم استثناء نقيض التالي، لا نقيض المقدم، لإمكان أعمية نقيض ممكن الأخصية. وغير المستقيم يرتدّ مستقيماً بعكس نقيض الشرطية.

وإن كانت منفصلة حقيقية، فله أربع نتائج باستثناء عين كلٍ أو نقيض كلٍ. ويرتدّ هذا إلى المستقيم باستلزام الحقيقية لأربع متصلات.

وإن كانت مانعة الجمع، فاستثناء عين كلٍ لأخصيته، لا نقيضه لأعميته بالردّ إلى المستقيم بواسطة تلازم مانعة الجمع للمتصلة، مقدّماتها^(١) عين أحد جزئها^(٢).. وإن كانت مانعة الخلوّ، فعكسها ومثلها في الرد والبرهان.

فإن قلت: المستقيم يكفي، إذ الباقي بالردّ يظهر؟

قلت: مراعاة طبيعة الفكر والتحصيل^(٣) وغيرها^(٤) أحوجتنا إلى الطرق المعوجة؛ فكم من أشياء هي مقدمة طبعاً، أو تالٍ طبعاً، أو المحصل نقيضها. وقس.. فلو استقمت لم يستقم.. اعلم أن القياس من محض الحملات يسمّى اقترائياً.. ومن محض الشرطيات أو المختلط يسمّى اقترانية، فأصولها خمسة.. وفروعها خمسة آلاف. والضابط فيها: أن الجزء الغير المشارك يبقى في النتيجة، مع نتيجة التأليف بين المشاركين. ونتيجة التأليف

(١) (أي المتصلة). أجبر.

(٢) (أي مانعة الجمع). أجبر.

(٣) أي محصلية الأشياء.

(٤) من نكات البلاغة.

لازم^(١) للمشاركة باعتبار. وملزوم الملزوم ملزوم. ومعاند^(٢) الملزوم كاللامعاند اللازم في الجملة. فمن متصلتين في الشكل الأول مع الاشتراك في جزء تام مبني على أن اللازم اللازم لازم.

ومن منفصلتين مع الاشتراك في غير تام،^(٣) نتيجه منفصلة مركبة من الجزء الغير المشارك، مع نتيجه التأليف بين الجزء الآخر؛ الحملية والمنفصلة الكبرى. لأن معاند الملزوم معاند اللازم بجهة..

ومن متصلة وحملية.. المشاركة لأحد جزئها، ينظر المتشاركين بشرائط الأشكال. ثم يؤخذ نتيجه التأليف.. ثم يضم إلى الجزء الغير المشارك مقدماً أو تالياً.

ومن المنفصلة والحملية الواحدة، فالنتيجة منفصلة مركبة من غير المشارك، مع نتيجة التأليف بين الحملتين، مع مراعاة الشكل الذي هو منه. وإن كانت الحملية متعددة عدد أجزاء المنفصلة، فانظر إلى كل متشاركين منها، وخذ نتيجة التأليف من كل جزئين؛ فإن اتحدت الحمليات في طرف، فالنتيجة حملية.. وهو القياس المقسم المشهور، وإلا فالنتيجة منفصلة مركبة من نتائج التأليف؛ كـ«الكاتب إما جاهل أو غافل. والجاهل لا بد أن يعلم، والغافل لا بد أن يتبه».. فالكاتب إما لا بد أن يعلم وإما لا بد أن يتبه.

اعلم أن الحد الأوسط شرط العلم بالإنتاج كما مر. ومن شرط الأوسطية أن يكون ركناً للصغرى والكبرى. أو جزءاً لجزئهما، كما في كثير من الافتراضات.. هذا في المعارف.

ومن شرطها أيضاً، الاتحاد حقيقة، لا عنواناً فقط. وأما غير المعارف الذي هو متعارف عندي، فالأوسط متعلق أحد جزئي الصغرى وعين أحد جزئي الكبرى. أما «الدنيا جيفة وطالبها كلاب» فغير متعارف الغير المتعارف. وأما «الإنسان مباين للفرس، وكل فرس حيوان» فالأوسط غير مكرر حقيقة. لأن متعلق محمول الصغرى مفهوم. ويجري في غير المعارف؛ كالمشاركين الأشكال الأربعة، فيشترط ما يشترط فيها. ويجري غير المعارف

(١) إن كان الصغرى متصلة.

(٢) إن كان منفصلة.

(٣) إن كانت تاماً فمتصلة.. إن حقيقة.

كالمتعارف في الشرطيات بأقسامها. مثلاً: «لَمَّا كَانَتِ الشَّمْسُ سُلْطَانِ النُّجُومِ، كَانَتْ فِي مَرْكَزِ عَالِمِهَا وَسَطَ الْكَائِنَاتِ.. فَالشَّمْسُ وَسَطَ الْكَائِنَاتِ».

ثم إن لغير المتعارف المتعارف الذي تساوي محمول الصغرى والكبرى -إن كان من الشكل الأول- نتيجتين:

أحدهما: ذاتية بضم محمول الصغرى بالإضافة إلى محمول الكبرى، وجعلها محمول النتيجة؛ كـ«الدَّرةُ في الحقَّة، والحقَّةُ في البيت».. فمفاد الفائِئِني وهو مَظروف محمول النتيجة. وإن كان أحدهما حرفياً، والآخر اسمياً؛ فبدخول الحرفيِّ على الاسمِي كـ«الدَّرةُ في الصَّدَف.. والصَّدَف جميل، فالدَّرةُ جميل».

والنتيجة الثانية: عند اتحاد المحمولين جعل محمول الكبرى فقط، فيكون قياس المساواة. وإنما يصدق عند صدق اللاحيان الأجنبية.

واعلم أيضاً أن القياس التمثيلي قياس غير متعارف، باعتبار ذكره أداة التَّشْبِيهِ في النتيجة، كـ«النَّبِيذُ، كالخمر، والخمر حرام.. فالنَّبِيذُ حرام» تمثيل ظنيّ. و«كالحرَام» غير متعارف يقيني. اعلم أن من القياسات قياسات خفية، ولها مجال واسع. وكثير ما تتقلب القياسات الجليّة بالألفة والاستمرار خفية. وأساس الخفية دليل ينقدح في الذهن دفعة من تفاريق أمارات، وخاصته بسرعة الانتقال من المبادي إلى المطالب بلا ترتيب. وقد يفاد بأنه علم إجمالي يقيني لا يقتدر أن يعبر عنها بالتفصيل، لتحلبها من مظان متفرقة. فلا يمكن أن يضع إصبَعه على منبع معين.

ثم إن الأشكال الثلاثة إنما يعلم نتيجتها بانقلابها إلى الشكل الأول. فإذا فما الفائدة في تطويل الطريق؟

الجواب: إن لموضوع النتيجة ومحمولها موصوفات وأوصاف.. أي موضوعات طبيعِيّة ومحمولات طبيعِيّة. فإذا تحرّيت ما يشترك طرفا المطلوب فيه، فقد يكون المشترك صفة الطرفين، أي محمولاً طبيعياً لهما؛ ككل متعجب إنسان، بالنظر إلى الضاحك. وقد يكون موصوف الموضوع صفة المحمول؛ ككل ضاحك إنسان بالنظر إلى المتعجب. فلمخالفة المطلوب لطبيعة القضية تعدّت الأشكال، ولمراعاة الطبيعة خولفت الطبيعة.

اعلم أن في كل شيء روحاً وحقيقة؛

فروح الشكل الأول: أن داخل داخل الشيء داخل الشيء، وظرف ظرف الشيء ظرف الشيء.

وفي الشكل الثاني: الاستدلال بتنافي اللوازم على تنافي الملزومات؛ إذ السالبة مؤولة بالمعدولة. والمراد من اللزوم مطلق الاتصاف..

وفي الشكل الثالث: بأن شيئاً يجمع صفتين، فالصفتان مترافقتان..

وفي الرابع: إثبات موصوف الشيء لصفته..

ثم إن اتصال الصغرى بالكبرى اتفاقية.. وترتب النتيجة عليهما مؤول بشرطية لزومية بدهية في الأول، نظرية في البواقي، مثبتة بأدلة ثلاثة.

أحدها: الخلف.. وملخصه: إثبات الشيء بإبطال نقيضه. وتصويره: بصنعة البرهان، هكذا: إذا صدق هذا الشكل لزم هذه النتيجة مدعى.. وإلا أي وإن لم يلزم لصدق نقيضه، ولدائمية الصدق يصدق مع كل صادق اتفاقاً. وإذا صدق مع كل صادق، صدق مع هذا الشكل الصادق، فيصدق مع جزئه اتفاقاً، الكافي في تشكل الشكل.. فيحصل صورة الشكل فيتنتج بالبدهية نقيض أو ضد أحد المقدمتين الصادقتين بحسب الفرض. وجمع النقيضين أو الضدين في الصدق محال.. وملزوم المحال باطل..

ومنشأ الفساد ليس صورة الشكل الأول لبدهيته.. ولا مقدمة الشكل لمفروضة الصدق، بل نقيض النتيجة.. فهو منشأ المحال، فالنتيجة صادقة.

ثم إن نقيض النتيجة في الشكل الثاني، يصير صغرى الكبرى، وينتج نقيض الصغرى. وفي الشكل الثالث تأخذ النقيض وتجعله كبرى للصغرى لينتج نقيض الكبرى. وأما الرابع: فيبدي ذلك إلهاماً.

الثاني الاستقامة وتصويره، أعني بطريق العكس.. هكذا: كلما صدق هذا الشكل صدق الصغرى مع لازم الكبرى في الثاني مثلاً. وصدق الكبرى مع لازم الصغرى، أي عكسها في الثالث مثلاً. وكلما صدقاً معاً، صدق لازماًهما. وكلما صدق هذا مع ذاك، صدق ذاك مع هذا؛

كما في الرابع مثلاً. لأن ما بين الصغرى والكبرى من الاتفاق إضافة متشابهة الطرفين. فإذاً يحصل الشكل الأول المنتج للمطلوب أو للمزومه بالبداهة.

ثم إن المقصد من المنطق تمييز الأفكار الصحيحة بوضع شرائط. فمن الشرط العمومي: أن لا تكون الصغرى والكبرى سالبتين أو جزئيتين. وشرط الأول خصوصاً إيجاب الصغرى وكلية الكبرى. فإنّ بفقد أيهما كان، يلزم الاختلاف المستلزم للتخلف، المنافي للزوم المباين للإنتاج. فلنا (في تبين الضروب المنتجة بين الضروب الثمانية عشر العملية بضرب صغريات الأربع في كبريات الأربع) طريقان:

طريق التحصيل: بضمّ الصغرى الموجبة جزئية أو كلية إلى الكبرى الكلية موجبة أو سالبة..

والثاني طريق الحذف: بإسقاط إيجاب الصغرى سالبته في أربعة الكبرى، وإسقاط كلية الكبرى جزئيتها في موجبتى الصغرى. فبقي الأربعة المنتجة للمطالب الأربعة التي اختص الشكل الثاني منها بالسالبين، والثالث بالجزئيتين، والرابع بغير الموجبة الكلية.. فالأول من الأول هو المنتج للموجة الكلية، فيكون من موجبتين كليتين.

اعلم أن الأول من الأول من موجبتين كليتين، ينتج موجبة كلية. ككل «أ، ب» وكل «ب، ج»، فكل «أ، ب».

والضرب الثاني: من كليتين والكبرى سالبة كلية، ينتج سالبة كلية.

والثالث: من موجبتين، والصغرى جزئية؛ ينتج موجبة جزئية.

الرابع: من موجبة جزئية صغرى، وسالبة كلية كبرى؛ ينتج سالبة جزئية. لأن النتيجة تتبع أحسن مقدمتيه، والسلب والجزئية خسيستان.

اعلم أن الشكل الثاني ما كان الأوسط محمولاً في مقدمتيه.. وضروبه العقلية، كأخواته ستة عشر.. وشرطه: كلية الكبرى واختلاف الكيف. فبطريق الحذف تسقط الكلية جزئيتي الكبرى في أربع الصغرى. وتحذف الاختلاف الموجبة، الكلية كبرى في موجبتى الصغرى.. والسالبة الكلية الكبرى في السالبتى الصغرى. وبطريق التحصيل: الكبرى السالبة، مع موجبتى الصغرى والكبرى، الموجبة الكلية مع سالتى الصغرى.

فهذا الشكل ينتج من المطالب الأربعة بضروبه الأربعة، السالبة الكلية والسالبة الجزئية. ودليل إنتاجه الخلف في كل الضروب.. وعكس الكبرى في الضرب الأول والثالث.. وعكس الصغرى مع عكس الترتيب. وعكس النتيجة في ضرب الثاني، ولا عكس في الضرب الرابع، لأن صغراه السالبة الجزئية لا عكس لها. وبالعكس الموجبة الكلية الكبرى تصير جزئية.. ولا دليل من جزئيتين. وبالفراض في الضرب الثالث مطلقة. وفي الرابع بشرط كون الصغرى من المركبات، ليتحقق وجود الموضوع حتى يفترض.

والافتراض قياسان: أحدهما من الأول.. أو من الضرب الأجل من الشكل المطلوب. والقياس الآخر من الثالث.. وتحصيله: تخريج الموضوع الحقيقي.. وحمل عنوان الموضوع عليه بالإيجاب. وعنوان المحمول: إما بالإيجاب إن كانت القضية موجبة.. أو بالسلب إن كانت سالبة..

ثم ضم عقد الحمل هنا إلى الكبرى.. ثم جعل نتيجتها كبرى لعقد الوضع.. فالضرب الأول من الشكل الثاني من كليتين والكبرى سالبة. مثلاً: كل جسم مؤلف، ولا شيء من القديم بمؤلف، فلا شيء من الجسم بقديم، بالخلف. وهو إثبات الشيء بإبطال نقيضه.. هكذا: إذا صدق هذا الشكل، صدق هذه النتيجة.. وإلا لصدق نقيضها؛ وهو «بعض الجسم قديم». والصادق يصدق مع كل صادق.. فيصدق مع الكبرى المفروض الصدق. هكذا: «بعض الجسم قديم، ولا شيء من القديم بمؤلف، فلا شيء من الجسم بمؤلف» وهذا نقيض للصغرى المفروض الصدق. فنقيض الصادق كاذب.. وملزوم الكاذب باطل.. ونقيض الباطل حق.. فالنتيجة صادقة.. وبالعكس الكبرى ليرتد إلى الشكل الأول.. وهكذا: لو صدق الصغرى مع الكبرى، لصدق مع لازمها.. فيصير شكلاً أولاً.

والضرب الثاني: من كليتين، والصغرى سالبة؛ كلا شيء من الجسم بسيط.. وكل قديم بسيط؛ ينتج لاشيء من الجسم بقديم، بالخلف - كما مر - وبالعكس الصغرى. ثم جعلها كبرى، ثم عكس النتيجة. لأنه إذا صدق الصغرى مع الكبرى، صدق لازم الصغرى مع الكبرى أيضاً. وإذا صدق لازم الصغرى مع الكبرى، صدق الكبرى مع لازم الصغرى.. فينتج بالشكل الأول ملزوم مطلوبنا.

والضرب الثالث: من موجبة جزئية صغرى وسالبة كلية كبرى؛ ينتج سالبة جزئية بالخلف والعكس والافتراض. مثلاً: بعض الجسم مؤلف، ولا شيء من القديم بمؤلف.. فبعض الجسم ليس بقديم.. بعكس الكبرى، يرتد إلى الأول. وبضمّ نقيض النتيجة صغرى للكبرى، لينتج نقيض الصغرى الصادق، فهو كاذب، فملزومه باطل، فنقيض ملزومه صادق. وبالاfterراض: فالمقدمتان الافتراضيتان.. نفرض الموضوع الحقيقي في «بعض الجسم مؤلف إنساناً، فكل إنسان جسم، وكل إنسان مؤلف». فخذ عقد الحمل، واجعل صغرى لنفس الكبرى، ليصير ضرباً أجلى.. أو إلى عكس الكبرى. هكذا: «كل إنسان مؤلف، ولا شيء من القديم بمؤلف.. ولا شيء من الإنسان بقديم». فجعل هذه النتيجة كبرى لعقد الوضع، هكذا: «كل إنسان جسم، ولا شيء من الإنسان بقديم»، فينتج من الثالث: «بعض الجسم ليس بقديم» وهو المطلوب.

والضرب الرابع: من سالبة جزئية صغرى وموجبة كلية كبرى.. هكذا: «بعض الجسم ليس بسيط، وكل قديم بسيط؛ فبعض الجسم ليس بقديم، بالخلف.. بضم نقيض النتيجة صغرى للكبرى، لينتج نقيض الصغرى المفروض الصدق. لا بعكس الكبرى، لصيرورتها جزئية.. ولا بعكس الصغرى، لأنها لا تقبل العكس. ولا بالافتراض لعدم تحقق وجود الموضوع، إلا إذا كانت مركبة.. فإذا كانت، نفرض الموضوع الحقيقي إنساناً.. فكل إنسان جسم، ولا شيء من الإنسان بسيط.

فاجعل هذه المقدمة الثانية صغرى للكبرى، ثم اجعل نتيجتها كبرى للمقدمة الافتراضية الأولى.. هكذا: «كل إنسان جسم، ولا شيء من الإنسان بسيط»؛ فمن الشكل الثالث ينتج «بعض الجسم ليس بقديم».

وأما الشكل الثالث: فشرطه إيجاب الصغرى وكلية إحدى مقدمتيه للاختلاف عند الفقد. فبطريق التحصيل الصغرى الكيلة مع الكبريات الأربع.. والصغرى الموجبة الجزئية مع كلية الكبرى. ولا ينتج هذا الشكل إلا جزئيةً. فضرابه المنتجة ستة مرتبة على وفق شرف النتائج، والكبرى وأنفسها..

فالضرب الأول من موجبتين كليتين؛ ينتج موجبة جزئية، بالقياس المستقيم المركب.

المركب من الشرطيات هكذا: «إذا صدق هذا الضرب، لزم النتيجة».. هذا المدعى نظري. دليله: لأنه إذا صدق الصغرى مع الكبرى، صدق لازم الصغرى مع الكبرى أيضاً. وإذا صدق لازم الصغرى مع الكبرى، حصل صورة الشكل الأول. وإذا حصل صورة الشكل الأول، فبالبداهة لزم هذه النتيجة. فإذا صدق هذه الضرب، صدق هذه النتيجة..

وبالخلف أيضاً. ومرجه إلى قياسين: استثنائي غير مستقيم.. واقتراني مركبة منتجة للمقدمة الشرطية للقياس الاستثنائي. هكذا: إذا صدق هذا الضرب، لزم هذه النتيجة، لأنه إن لم يجب صدق هذه النتيجة، لزم المحال. لكن التالي باطل، فينتج بطلان عدم لزوم صدق النتيجة.

أما المقدمة الاستثنائية فبدهية.. وأما المقدمة الشرطية؛ فلأنه إذا لم يلزم صدق النتيجة، أمكن صدق نقيضها. ولو أمكن صدق نقيضها، لأمكن مع كل صادق، ومن الصادق الصغرى. ولو أمكن صدقه مع الصغرى، لأمكن حصول الشكل الأول المنتج لضدّ الكبرى، المفروض الصدق. فلو أمكن حصول شكل هكذا؛ لأمكن اجتماع الضدين وهو محال.. فلو أمكن هكذا، لأمكن المحال.. وإمكان المحال محال.. فلو أمكن هكذا، لزم المحال؛ فينتج من المجموع المقدمة الشرطية في الاستثنائي.. وهو «فلو لم يلزم صدق النتيجة لزم المحال».

نحو: «كل مؤلف جسم، وكل مؤلف حادث؛ فبعض الجسم حادث».. بعكس الصغرى، ليرتدّ الأول. وبضم النتيجة، وهو: «لا شيء من الجسم بحادث» كبرى للصغرى.. وهي: «كل مؤلف جسم» لينتج ضدّ الكبرى وهو: «لا شيء من المؤلف بحادث».

الثاني: من كليتين، والكبرى سالبة؛ ينتج سالبة جزئية لا كلية.. لجواز كون الأصغر أعم. كـ «كل مؤلف جسم، ولا شيء من المؤلف بقديم».. فبعض الجسم ليس بقديم».. بعكس الصغرى، ليرتدّ إلى الشكل الأول.. وبالخلف بضمّ نقيض النتيجة كبرى للصغرى، المنتج لضدّ الكبرى الصادق.

الثالث: من موجبتين، والصغرى جزئية؛ كـ «بعض المؤلف جسم، وكل مؤلف حادث» بالخلف، والعكس كما مرّ في الضرب الأول.. وبالاقتراض بفرض الموضوع الحقيقي في «بعض المؤلف جسم إنساناً، وكل إنسان مؤلف.. وكل إنسان جسم»..

فاجعله المقدمة الافتراضية الأولى صغرى للكبرى. هكذا: «كل إنسان مؤلف، وكل مؤلف حادث، فكل إنسان حادث» ثم اجعل هذه النتيجة كبرى للمقدمة الافتراضية الثانية: هكذا: «كل إنسان جسم، وكل إنسان حادث» فينتج بالضرب الأجلي هذه الشكل: «بعض الجسم حادث..»

واعلم أن الافتراض في الثالث عكس افتراض الثاني، فإن التصرف هناك في المقدمة الثانية وهنا في المقدمة الأولى.. وإن القياس الأول في افتراض الشكل الثاني أيضاً من الثاني. والقياس الثاني في افتراض الشكل الثالث أيضاً من الثالث.

والضرب الرابع: من موجبة جزئية صغرى، وسالبة كلية كبرى. نحو: «بعض المؤلف جسم، ولا شيء من المؤلف بقديم، فبعض الجسم ليس بقديم». بالقياس المستقيم الذي مرجعه «ثبوت الشيء مع الملزوم، يستلزم ثبوته مع اللازم».. وبالقياس الخفي الذي مرجعه «إثبات الشيء بإبطال نقيضه». وصورته: «قياس استثنائي غير مستقيم، يثبت مقدمته الشرطية باقترانيات مركبة». وبالاftراض ومرجعه: إخراج الموضوع الحقيقي، ثم حمل عنواني الموضوع والمحمول كلية عليه، ثم ضم عقد الوضع إلى الكبرى. ثم ضم النتيجة إلى عقد الحمل، لينتج المطلوب.

الضرب الخامس: من موجبتين، والكبرى جزئية.. كـ «كل مؤلف جسم، وبعض المؤلف حادث» بالخلف كما مرّ. وبالعكس الكبرى مع الترتيب.. وعكس النتيجة هكذا: إذا صدق هذا الضرب، صدق صغراه مع لازم كبراه.. فيصدق لازم الكبرى مع الصغرى أيضاً، فيستلزم بالشكل الأول ملزوم المطلوب.

وبالاftراض: بفرض موضوع الكبرى الجزئية «إنساناً».. «فكل إنسان مؤلف، وكل إنسان حادث» فاجعل المقدمة الافتراضية الأولى صغرى للصغرى.. ثم ضم نتيجتها صغرى للمقدمة الافتراضية الثانية.

الضرب السادس: من موجبة كلية صغرى، وسالبة جزئية كبرى.. نحو: «كل مؤلف جسم، وبعض المؤلف ليس بقديم.. فبعض الجسم ليس بقديم» بالخلف - كما مرّ - دون العكس. لأن الكبرى لا تقبل العكس. وبالعكس الصغرى يصير الدليل من جزئيتين.. ودون

الافتراض أيضاً، لأن الكبرى الجزئية سالبة، لا تقتضي وجود الموضوع، إلا إذا كانت مركبة. والافتراض: إخراج الموضوع الحقيقي الموجود...

الشكل الرابع: أساسه:.....

(انتهيت من تصحيح هذا السفر النفيس المبارك منتصف ليلة الثالث من الشهر الحادي عشر لسنة تسع وألفين حوالي الساعة الثالثة ليلاً. وأعترف أنه بحاجة إلى إعادة الأنظار فيه، راجيا المولى الكريم أن يقبض له من يقوم بتقيحه وتصحيحه على أكمل وجه حتى يسهل على المطالع الاستفادة منه. والله الموفق. أجير ايشبوق)

ملاحظة: لقد وجدنا قصاصات بين صفحات المخطوط فأحلناها إلى مواضعها من المتن إلا هذه الفقرة لم نجد لها محلاً:

وإلا لزم أن يكون مركباً. والحال أنه من أقسام المفرد. يعني أن مأخذ دلالة على الزمان هو الهيئة. وكذا الآخر، وهو أن يكون مأخذ دلالة على الحدث هو المادة. يعني أن الدلالة نشأت أولاً من هذين عليهما، ثم توضع دفعة على مجموعه. أي المادة والهيئة معاً.. وإلا لزم أن يكون الحجر والشجر دالّان على الزمان. والمشهور في الجواب: إن المراد، الجزء المرتب في السمع. والهيئة من ضرب ليس مرتباً في المستمع بدفع المادة.

السنن

تأليف
بديع الزمان سعيد النورسي

ترجمة
إحسان قاسم الصلحي

إفادة مرام

حينما كنت أتدبّر في بعض الآيات الكريمة خطرت
على قلبي نكاتٌ لطيفة، فدوّنتُها على صورة ملاحظات
ومذكرات.. فيا قارئِي العزيز لا تضجر من أسلوبِي
الموجز فلست غنياً بالألفاظ كما لا أحب الإسراف. ولا
تعجبني الألفاظ المنمّقة.. خذ من كل شيء أحسنه. سر
على هذه القاعدة. فما لا يعجبك ولا يروق لك دعه لي،
ولا تعترض.

سعيد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (العصر: ٣)

سنين حكمة «الإطلاق» فقط. فالقرآن الكريم يترك «الصالحات» مطلقة دون قيد يقيدها، ومبهمه دون أن يشخصها.

وذلك: أن الفضائل والأخلاق، وكذا الحُسن والخير، أغلبها أمورٌ نسبية، تتغير كلما عبرت من نوع إلى آخر، وتباين كلما نزلت من صنف إلى صنف، وتختلف كلما بدلت مكاناً بمكان، وتبدل باختلاف الجهات، وتتفاوت ماهيتها كلما علت من الفرد إلى الجماعة ومن الشخص إلى الأمة.

فمثلاً: الشجاعة والكرم في الرجل تدفعانه إلى النخوة والتعاون، بينما تسوقان المرأة إلى النسوز والوقاحة وخرق حقوق الزوج.

ومثلاً: إن عزة النفس التي يشعر بها الضعيف تجاه القوي، لو كانت في القوي لكانت تكبراً، وكذا التواضع الذي يشعر به القوي تجاه الضعيف، لو كان في الضعيف لكان تذلاًً.

ومثلاً: إن جدية ولي الأمر في مقامه وقاراً، بينما لينه ذلة؛ كما أن جدية في بيته دليل على التكبر، ولينه دليل على التواضع.

ومثلاً: إن تفويض الأمر إلى الله في ترتيب المقدمات كسل، بينما في ترتب النتيجة توكل؛ كما أن رضا المرء بثمرة سعيه وقسمته قناعة يقوي فيه الرغبة في السعي، بينما الاكتفاء بالموجود تقاصر في الهمة.

ومثلاً: إن صفح المرء -عن المسيئين- وتضحيتة بما يملك عملٌ صالح، بينما هو خيانة إن كان متكلماً عن الغير -باسم الجماعة- وليس له أن يتفاخر بشيء يخصه، ولكن يمكنه أن يفخر باسم الأمة من دون أن يهضم حقها.

وهكذا رأيت في كل مما ذكرنا مثلاً، فاستنبط بنفسك؛ إذ القرآن الكريم خطاب إلهي شامل لجميع طبقات الجن والإنس، ولكل العصور، والأحوال والظروف كافة.

وحيث إن الحُسن النسبي والخير النسبي كثير جداً، فإن إطلاق القرآن إذن في «الصالحات» إيجاز بليغ لإطناب طويل. وإن سكوته عن بيان أنواع الصالحات كلام واسع.

﴿وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي حِمِيمٍ﴾ (الانفطار: ١٤)

العاقبة دليل العقاب، الحدس يدل عليه؛ فعاقبة المعصية التي تقع في الدنيا أمانة حدسية على أن عاقبتها تؤول إلى عقاب؛ لأن أي إنسان كان يرى - حدساً وبتجربته الخاصة - أن المعصية تنجر إلى عاقبة سيئة وخيمة - رغم عدم وجود علاقة طبيعية بينهما - فهذه الكثرة الكاثرة من التجارب الشخصية، والتي تقع في ميدان واسع جداً، لا تكون نتيجة مصادفة قط. فلو أخذنا هذه التجارب الشخصية بنظر الاعتبار، ظهر لدينا أن نقطة الاشتراك بينها هي طبيعة المعصية المستلزمة للعقاب. فالعقاب إذن لازم ذاتي للمعصية.

ولما كان هذا اللازم الضروري يترتب - على الأغلب - في الدنيا على طبيعة المعصية وحدها، فلا شك أن ما لم يترتب عليه في هذه الدنيا سترتب عليه في الدار الآخرة. فيا ترى هل هناك أحدٌ لم يمر بتجربة في حياته قال فيها: إن فلاناً قد جوزي بما أساء!

﴿وَجَعَلْنَكُمْ شُعوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات: ١٣)

أي: لتعارفوا، فتعاونوا، فتحابوا، لا لتناكروا فتعاندوا فتتعدوا! إذ كما أن هناك روابط تربط الجندي بفصيله وقوجه ولوائه وفرقة في الجيش، وله واجب ووظيفة في كلٍّ منها؛ كذلك كل إنسان في المجتمع له روابط متسلسلة ووظائف مترابطة. فلو اختلطت هذه الروابط والوظائف ولم تُعَيَّن وتحدَّد كما كان هناك تعاون ولا تعارف.

فنمو الشعور القومي في الشخص إما أن يكون إيجابياً أو سلبياً:

فالإيجابي يتعش بنمو الشفقة على بني الجنس التي تدفع إلى التعاون والتعارف. أما السلبي فهو الذي ينشأ من الحرص على العرق والجنس الذي يسبب التناكر والتعاند. والإسلام يرفض هذا الأخير.

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ (هود:٦).

الرزق ذو أهمية عظيمة كأهمية الحياة في نظر القدرة الإلهية، إذ القدرة هي التي تُخرج وتوجد الرزق، والقدر يُلبسه اللباس المعين، والعناية الإلهية ترعاه.

فالقدرة الإلهية -بفعالية عظيمة- تحوّل العالم الكثيف إلى عالم لطيف. ولأجل أن تكسب ذرات الكائنات حظاً من الحياة فإنها تعطيها الحياة بأدنى سبب وبحجة بسيطة، وبالأهمية نفسها تُحضّر القدرة الرزق متناسباً مع انبساط الحياة.

فالحياة محصّلة مضبوطة أي مشاهددة محدّدة، أما الرزق فغير محصّل -أي لا يحصل آنياً- وإنما بصورة تدريجية ومنتشرة تدفع الإنسان إلى التأمل فيه.

ومن وجهة نظر معينة يصح أن يقال: إنه ليس هناك موتٌ جوعاً. لأن الإنسان لا يموت قبل أن ينتهي الغذاء المدخر على صورة شحوم وغيرها.

أي إن المرض الناشئ من ترك العادة هو الذي يسبب موت الإنسان وليس عدم الرزق.

﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ (العنكبوت:٦٤).

الحياة الحقيقية إنما هي حياة الآخرة، فذلك العالم هو عينُ الحياة، فلا ذرة من ذراتها إلا ونابضة بالحياة، ولا تعرف الموت إطلاقاً.

وديانا حيوان أيضاً؛ إذ إن كرتنا الأرضية أشبه ما تكون بكائن حي، لأن آثار الحياة ظاهرة عليها؛ فلو فرضنا أنها صَغُرَتْ بحجم البيضة، أما كانت حيواناً؟ أو إن جرثومة صغيرة كبرت وعظمت عِظَمَ الكرة الأرضية، أما كانت تشبهها؟ وحيث إن الكرة الأرضية حية، فلها روح إذن.

نعم، إن العالم الذي هو إنسان مكبر، يُظهر من آثار الحياة بما يتضمن من منظومات الكائنات ما يظهره الجسد بين أعضائه وأجزائه، كالتساند والتجاوب والتعاون، بل تبقى هذه الآثار الحياتية للجسد قاصرة دون تلك الآثار.

فلو صغر العالمُ صغرَ الإنسان وتحوّلت نجومُهُ إلى ما يشبه الذرات والجواهر المفردة،
أما يكون حيواناً ذا شعور؟

فهذه الآية الكريمة تلمّح إلى سر عظيم:

إن مبدأ الكثرة هو الوحدة، وإن منتهاها أيضاً إلى الوحدة. فهذا دستور فطري. فلقد خلّقت القدرةُ الإلهية من القوة التي أودعتها في الكائنات -وهي فيض تجليها وأثر إبداعها- قوةً جاذبة عامة، متصلة مستقلة محصلة بإحسانها على كل ذرة من ذرات الوجود جاذبة خاصة بها، فأوجدت رابطة الكون. فكما أن في الذرات محصلة القوى الجاذبة الناشئة من القوة المودعة فيها، فهي ضياء القوة، واستحالة لطيفة من إذابتها، كذلك فإن محصل قطرات الحياة المنتشرة على الكائنات كافة ولمعانها، إنها هي حياة عامة تعم الوجود جميعاً.. نعم، هكذا يقتضي الأمر. فأينما وُجدت الحياة فثمّ الروح. والروح مثل الحياة أيضاً منتهاها بدايةً تجلّي فيضٍ لروح.

فمبدأ الروح هذا أيضاً تجلٍ للحياة الخالدة التي سميت لدى المتصوفة بـ«الحياة السارية».

وهكذا ترى أن سبب الالتباس الذي وقع فيه أهل الاستغراق ومنشأ شطحاتهم هو التباس هذا الظل مع الأصل لديهم.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ (البقرة: ١٥٤).

والشهداء يشعرون أنهم أحياء، وأنهم ما ماتوا، إذ الشهيد يعدّ نفسه حياً، لأنه لا يدوق ألم السكرات فيرى حياته التي ضحى بها مستمرة غير منقطعة، بل يجدها أنزلة وأسمى من حياته.

وحياة الشهيد وحياة الميت نظير هذا المثال:

رجلان يريان فيما يرى النائم أنها يتمتعان بلذات لطيفة في تجوالهما خلال بستان بديع. فأحدهما يشعر أن ما يراه هو رؤيا ليس إلّا، فلا يستمتع متعة كاملة. أما الآخر فلا يعلم أنه رؤيا، بل يعتقد أن ما يراه هو حقيقة، فيستمتع تمتعاً كاملاً.

وحيث إن عالم الرؤيا ظل عالم المثال، وهذا ظل لعالم البرزخ، لذا أصبحت دساتير هذه العوالم متماثلة.

﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة: ٣٢).

هذه الآية الكريمة حق خالص ولا تنافي العقل قطعاً، وهي حقيقة محضة لا مبالغة فيها قط، إلا أن النظر الظاهري يدعو إلى التأمل:

فالجملّة الأولى:

تضع اعظم دستور للعدالة المحضة التي تقرّر: لا يُهدر دمٌ بريء ولا تزهق روحه حتى لو كان في ذلك حياةٌ بشرية جمعاء، فكما أن كليهما في نظر القدرة الإلهية سواء فهما في نظر العدالة سواء أيضاً. وكما أن نسبة الجزئيات إلى الكلي واحدة كذلك الحق في ميزان العدالة، النسبة نفسها. ولهذا فليس للحق صغير وكبير.

أما العدالة الإضافية فهي تفدى بالجزء لأجل الكل بشرط أن يكون لذلك الجزء المختار الرضا والاختيار صراحة أو ضمناً، إذ عندما يتحول «أنا» الأفراد إلى «نحن» الجماعة ويمتزج البعض ببعض الآخر مولداً روح الجماعة، يرضى الفرد أن يضحي بنفسه للكل. وكما يترأى النور كالنار، تترأى أحياناً شدة البلاغة مبالغةً.

وهنا نقطة البلاغة تتركب من ثلاث نقاط:

أولاهها: لإظهار عدم محدودية استعداد العصيان والتهور المغرور في فطرة الإنسان. فكما أن له قابلية غير محدودة للخير فله قابلية غير متناهية للشر أيضاً؛ بحيث إن الذي تَمَكَّن فيه الحرصُ والأنانية يصبح إنساناً يريد القضاء على كل شيء يقف دون تحقيق حرصه، حتى تدمير العالم والجنس البشري إن استطاع.

ثانيتهما: لزجر النفس، بإظهار قوة الاستعداد الفطري الكامن، في الخارج. أي بإظهار الممكن في صورة الواقع، بمعنى أن بذرة العرق النابض بالغدر والعصيان كأنها انفلقت من

طَوَّر القوة إلى طور الفعل. فهذه الجملة تُحوَّل الإمكانات إلى وقوعات، لتثمر قابلياتها حتى تأخذ شكل شجرة الزقوم، وذلك لينزل التنفير والانزجار إلى أعماق النفس. وهو المطلوب. وهكذا تكون بلاغة الإرشاد.

ثالثتها: قد تظهر القضية المطلقة أحياناً قضية كلية، وقد تظهر القضية الوقتية المنتشرة في صورة قضية دائمة. بينما يكفي لصدق القضية وصحتها -منطقاً- أن ينال فرد في زمان معين حكماً. أما إذا صارت كمية ذات أهمية فعندها تكون القضية صحيحة عرفاً.

إن في كل ماهية أفراداً خارقين، أو فرداً في منتهى الكمال لذلك النوع، كذلك لكل فرد زمانٌ خارقٌ لظروف وشرائط عجيبة بحيث إن سائر الأفراد والأزمنة بالنسبة لذلك الفرد الخارق والزمان الخارق تكون بمثابة ذرات لا قيمة لها أو كأسمك صغيرة بالنسبة للحوادث الضخم.

وبناء على هذا السر الدقيق فإن الجملة الأولى رغم أنها قضية كلية ظاهراً فإنها ليست دائمة. إلا أنها تضع أمام أنظار البشر أرواحاً قاتل من حيث الزمان.

نعم، سيكون زمان تُسبب فيه كلمة واحدة في توريط جيش كامل في الحرب، وطلقة واحدة في إبادة ثلاثين مليون نسمة وكما حدث.^(١) وستكون هناك أحوال بحيث إن حركة بسيطة تسمو بالإنسان إلى أعلى عليين، وفعل صغير يرديه إلى أسفل سافلين.

فهذه الحالات التي هي قضايا مطلقة أو منتشرة زمانياً تؤخذ بنظر الاعتبار لنكتة بلاغية عظيمة.

فالأفراد العجيبون والأزمنة العجيبة تُترك على الإطلاق والإبهام. فإدام الولي في الناس، وساعة الإجابة في الجمعة، وليلة القدر في شهر رمضان، واسم الله الأعظم في الأساء الحسنی، والأجل في العمر، مجهولاً؛ سيظل لسائر الأفراد قيمتهم وأهميتهم. بينما إذا تعيّن أولئك الأفراد وتلك الأزمنة تسقط أهمية سائر الأفراد والأزمنة. فإن عشرين سنة من عمر مبهم أفضل من ألف سنة من عمر معلوم النهاية؛ حيث الوهم يمتد إلى الأبدية ويجعلها محتملة

(١) لقد كانت طلقة جندي أطلقت على ولي عهد النمسا سبباً في إشعال نار الحرب العالمية الأولى التي ذهب ضحيتها ثلاثون مليون نسمة. (المؤلف)

الوقوف فتُقع النفس في العمر المبهم. بينما في العمر المعين يكون كمن يتقرب إلى الإعدام خطوة خطوة بعد مضي نصف العمر.

تنبيه: هناك آيات كريمة وأحاديث نبوية شريفة وردت بصورة مطلقة إلا أنها عدّت كلية، وهناك أخرى منتشرة مؤقّته إلا أنها عدّت دائمة، وهناك أخرى مقيدة إلا أنها اعتُبرت عامة.

فمثلاً: ورد بهذا المعنى: إن هذا الشيء كفر. أي لم تنشأ هذه الصفة من الإيمان، أي أنها صفةٌ كافرة. ويكون ذلك الشخص قد كَفَرَ لهذا السبب. ولكن لا يقال: إنه كافر؛ ذلك لأنه يملك صفات أخرى بريئة من الكفر قد نشأت من الإيمان، فهو إذن يجوز أوصافاً أخرى نابعة من الإيمان، إلّا إذا عُلِمَ يقيناً أن تلك الصفة قد نشأت من الكفر، لأنها قد تنشأ من أسباب أخرى. ففي دلالة الصفة شك، وفي وجود الإيمان يقين، والشك لا يزيل اليقين، فينبغي للذين يجرؤون على تكفير الآخرين بسرعة أن يتدبروا!

الجملة الثانية:

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾

الإحياء باعتبار المعنى الظاهري المجازي يبين دستورَ تضاعف الحسنات تضاعفاً غير محدود. ولكن بمعناه الأصلي، يرمز إلى قَطْع دابرِ الشرك والاشتراك من الأساس في الخلق والإيجاد. لأن التشبيه الموجود في هذه الجملة وفي الآية الكريمة: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (لقمان: ٢٨) يفهم معنى الاقتدار. فالتشبيهان يستلزمان - حسب القاعدة المنطقية - «عكس النقيض»: من لا يقتدر على إحياء الناس جميعاً لا يقتدر على إحياء نفس واحدة.

بمعنى أن الآية الكريمة تدل إشارة إلى هذا المعنى:

ما دامت قدرة الإنسان - والممكنات - غير مقتدرة بالبدهة على خلق السماوات والأرض فلا يمكن أن تخلق شيئاً أبداً ولو حجيرة واحدة.

بمعنى أن من لا يملك قدرة قادرة على تحريك الأرض والنجوم والشموس كلّها كتتحريك خرز المسبحة وتدويرها، ليس له أن يدعى الخلق والإيجاد في الكون قطعاً.

أما ما يصنعه البشر ويتصرف فيه، فإنها هو كَشَفُ لجران النواميس الإلهية في الفطرة، وانسجامٌ معها واستعمالها لصالحه.

فهذا الحد من الوضوح البين في البرهان وسطوعه إنما هو من شأن إعجاز القرآن. والآية الكريمة الآتية تثبت ذلك:

﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفْئِسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ لأن القدرة الإلهية ذاتية لا يتخللها العجز، وهي متعلقة بالملكوتية فلا تتداخل فيها الموانع، ونسبها قانونية، فالجزء يكون في حكم الكل والجزئي في حكم الكلي.

النقطة الأولى:

إن القدرة الإلهية الأزلية ضرورية للذات الجليلة المقدسة.

أي أنها بالضرورة لازمة للذات المقدسة، فلا يمكن أن يكون للقدرة منها فكاك مطلقاً، لذا فمن البديهي أن العجز الذي هو ضد القدرة لا يمكن أن يعرض للذات الجليلة التي استلزمت القدرة، لأنه عندئذ سيجتمع الضدان، وهذا محال.

فما دام العجز لا يمكن أن يكون عارضاً للذات، فمن البديهي أنه لا يمكن أن يتخلل القدرة اللازمة للذات أيضاً.. ومادام العجز لا يمكنه أن يدخل في القدرة مطلقاً فبديهي إذن أن القدرة الذاتية ليست فيها مراتب، لأن وجود المراتب في كل شيء يكون بتداخل أضداده معه، كما هو في مراتب الحرارة التي تكون بتخلل البرودة، ودرجات الحسن التي تكون بتداخل القبح.. وهكذا ففس.

أما في الممكنات فلأنه ليس هناك لزوم ذاتي حقيقي أو تابع؛ أصبحت الأضداد متداخلة بعضها مع البعض الآخر، فتولدت المراتب ونتجت عنها الاختلافات، فنشأت منها تغيرات العالم. وحيث إنه ليست هناك مراتب قط في القدرة الإلهية الأزلية، لذا فالمقدّرات هي حتماً واحدة بالنسبة إلى تلك القدرة، فيتساوى العظيم جداً مع المتناهي في الصغر، وتتماثل النجوم مع الذرات، وحشرُ جميع البشر كبعث نفس واحدة.

المسألة الثانية: أن القدرة الإلهية تتعلق بملكوتية الأشياء..

نعم، إن لكل شيء في الكون وجهين كالمرأة:

أحدهما: جهة المُلْك وهي كالوجه المطلي الملوّن من المرأة.
والأخرى هي جهة الملوكوت وهي كالوجه الصقيل للمرأة.

فجهة الملك، هي مجالٌ وميدانٌ تجوّل الأضداد، ومحلٌّ وروِدُ أمور الحُسن والقُبْح والخير والشر والصغير والكبير والصعب والسهل وأمثالها.. لذا وضع الخالق الحكيم الأسباب الظاهرة ستاراً لتصرفات قدرته، لئلا تظهر مباشرةً يد القدرة الحكيمة بالذات على الأمور الجزئية التي تظهر للعقول الفاصرة التي ترى الظاهر، كأنها خسيصة غير لائقة، إذ العظمة والعزّة تتطلب هكذا.. إلّا أنه سبحانه لم يعط التأثير الحقيقي لتلك الأسباب والوسائط؛ إذ وحدة الأحدية تقتضي هكذا أيضاً.

أما جهة الملوكوت، فهي شفافة صافية نزيهة في كل شيء، فلا تختلط معها ألوانٌ ومزخرفات التشخيصات... هذه الجهة متوجهة إلى بارئها دون وساطة، فليس فيها ترتب الأسباب والمسببات ولا تسلسل العلل، ولا تدخل فيها العلّة والمعلولية ولا تتداخل الموانع، فالذرة فيها تكون شقيقة الشمس.

إن القدرة هي مجردة، أي ليست مؤلفة ومركبة، وهي مطلقة غير محدودة، وهي ذاتية أيضاً. أما محلّ تعلقها بالأشياء فهي دون وساطة، صافية دون تعكر، ودون ستار ودون تأخير، لذا لا يستكبر أمامها الكبير على الصغير، ولا تُرجّح الجماعة على الفرد ولا يتبجح الكل أمام الجزء ضمن تلك القدرة.

المسألة الثالثة: نسبة القدرة قانونية..

﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ (النحل: ٦٠) ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى: ١١)

فهذه المسألة الغامضة سنقرّبها إلى الذهن ببعض الأمثلة؛ حيث التمثيل يقرب التصوير إلى الأذهان.

المثال الأول: «الشفافية»

إن تجلّي ضوء الشمس يُظهر الهويةَ نفسَها على سطح البحر أو على كل قطرة من البحر، فإذا كانت الكرة الأرضية مركّبة من قطع زجاجية صغيرة شفافة مختلفة تقابل الشمس دون

حاجز يحجزها، فضوء الشمس المتجلي على كل قطعة على سطح الأرض وعلى سطح الأرض كلها يتشابه ويكون مساوياً دون مزاحمة ودون تجزؤ ودون تناقص.. فإذا افترضنا أن الشمس فاعل ذو إرادة وأعطت فيض نورها وإشعاع صورتها بإرادتها الأرض، فلا يكون عندئذ نشر فيض نورها على جميع الأرض أكثر صعوبة من إعطائها ذرة واحدة.

المثال الثاني: «المقابلة»

هب أنه كانت هناك حلقة واسعة من البشر يحمل كل واحد منهم مرآة بيده، وفي مركز الدائرة رجل يحمل شمعة مشتعلة، فإن الضوء الذي يرسله المركز إلى المرايا في المحيط واحد، ويكون بنسبة واحدة، دون تناقص ودون مزاحمة ودون تشتت.

المثال الثالث: «الموازنة»

إن كان لدينا ميزان حقيقي عظيم وحساس جداً وفي كفتيه شمسان أو نجمان، أو جبلان، أو بيضتان، أو ذرتان.. فالجهد المبذول هو نفسه الذي يمكن أن يرفع إحدى كفتيه إلى السماء ويخفض الأخرى إلى الأرض.

المثال الرابع: «الانتظام»

يمكن إدارة أعظم سفينة -لأنها منتظمة جداً- كأصغر دمية للأطفال.

المثال الخامس: «التجرد»

إن الميكروب مثلاً كالكركدن يحمل الماهية الحيوانية وميزاتها، والسمك الصغير جداً يملك تلك الميزة والماهية المجردة كالحوت الضخم، لأن الماهية المجردة من الشكل والتجسم تدخل في جميع جزئيات الجسم من أصغر الصغير إلى أكبر الكبير وتتوجه إليها دون تناقص ودون تجزؤ، فخواص الشخصيات والصفات الظاهرية للجسم لا تُشوش ولا تتداخل مع الماهية والخاصة المجردة، ولا تُغيّر نظرة تلك الخاصة المجردة.

المثال السادس: «الطاعة»

إن قائد الجيش بأمره: «تقدّم» مثلما يحرك الجندي الواحد فإنه يحرك الجيش بأكمله كذلك بالأمر نفسه. فحقيقة سرّ الطاعة هي أن لكل شيء في الكون -كما يشاهد بالتجربة-

نقطة كمال، وله ميل إليها، فتضاعف الميل يولد الحاجة، وتضاعف الحاجة يتحول إلى شوق، وتضاعف الشوق يكون الانجذاب، فالانجذاب والشوق والحاجة والميل.. كلها نوى لامتناهات الأوامر التكوينية الربانية وبدورها من حيث ماهية الأشياء.

فالكمال المطلق لماهيات الممكنات هو الوجود المطلق، ولكن الكمال الخاص بها هو وجود خاص لها يُخرج كوامن استعداداتها الفطرية من طور القوة إلى طور الفعل... فإطاعة الكائنات لأمر «كُنْ» كإطاعة الذرة الواحدة التي هي بحكم جندي مطيع. وعند امتثال الممكنات وطاعتها للأمر الأزلي: «كُنْ» الصادر عن الإرادة الإلهية تندمج كلياً الميول والأشواق والحاجات جميعها، وكل منها هو تجلٍ من تجليات تلك الإرادة أيضاً. حتى إن الماء الرقراق عندما يتلقى -بميل لطيف منه- أمراً بالانجذاب، يظهر سر قوة الطاعة بتحطيمه الحديد.

فإن كانت هذه الأمثلة الستة تظهر لنا في قوة الممكنات المخلوقات وفي فعلها وهي ناقصة ومتناهية وضعيفة وليست ذات تأثير حقيقي، فينبغي إذن أن تتساوى جميع الأشياء أمام القدرة الإلهية المتجلية بآثار عظمتها.. وهي غير متناهية وأزلية، وهي التي أوجدت جميع الكائنات من العدم البحت وحيّرت العقول جميعها، فلا يصعب عليها شيء إذن. ولا ننسى أن القدرة الإلهية العظمى لا توزن بموازينا الضعيفة الهزيلة هذه، ولا تتناسب معها، ولكنها تُذكر تقريباً للأذهان وإزالة للاستبعاد ليس إلا.

نتيجة الأساس الثالث وخلاصته: ما دامت القدرة الإلهية مطلقة غير متناهية، وهي لازمة ضرورية للذات الجليلة المقدسة، وأن جهة الملكوت لكل شيء تُقابلها وتوجه إليها دون ستار ودون سائبة، وأنها متوازنة بالإمكان الاعتباري الذي هو تساوي الطرفين، وأن النظام الفطري الذي هو شريعة الفطرة الكبرى مطيع للفطرة وقوانين الله ونواميسه، وأن جهة الملكوت مجردة وصافية من الموانع والخواص المختلفة... لذا فإن أكبر شيء كأصغره أمام تلك القدرة، فلا يمكن أن يُحجّم شيء أياً كان أو يتمرد عليها. فإحياء جميع الأحياء يوم الحشر هيّن عليه كإحياء ذبابة في الربيع، ولهذا فالآية الكريمة: ﴿مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بَعَثُكُمْ إِلَّا كَفَيسٍ وَحِدَةٍ﴾ أمرٌ حق وصدق جلي لا مبالغة فيه أبداً.

﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ (آل عمران: ٦٤)

نورد نكتة واحدة من بين ألوف نكات هذه الآية الكريمة:

إنه بقطع النظر عن مشرب الصوفية، فإن الإسلام يرفض الوساطة ويقبل الدليل، وينفي الوسيلة ويثبت الإمام؛ بينما غيره من الأديان يقبل الوساطة. فبناء على هذا السر الدقيق يستطيع النصراني أن يصبح متديناً إذا أشغل مقامات من حيث الثروة والمنصب. بينما في الإسلام: العوام هم المتمسكون بالدين أكثر من ذوي الثروات والمناصب؛ وذلك لأن النصراني ذا المقام يحافظ على نصرانيته وأنانيته بقدر تعصبه في دينه، فلا ينقص ذلك من تكبره وغروره، بينما المسلم يتعد عن التكبر والغرور بقدر تمسكه بالدين، بل ينبغي له أن يتنازل عن عزة المنصب. ومن هنا فالنصرانية ربما تتمزق بهجوم العوام المظلومين على الظالمين الذين يعدون أنفسهم خواص النصارى، حيث النصرانية تُعين تحكّمهم. بينما الإسلام لا ينبغي أن يتزعزع لأنه ملك العوام أكثر من الخواص الدينيين.

﴿وَلَا نَزْرُ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى﴾ (الأنعام: ١٦٤)

تُمثل هذه الآية الكريمة أعدل دستور في السياسة الشخصية والجماعية والقومية. أما الآية الكريمة: ﴿إِنَّهُ، كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب: ٧٢) فتبين استعداد الإنسان إلى الظلم الرهيب المغروز في فطرته.

والسر في ذلك هو: أن القوى والميول المودعة في الإنسان لم تُحدّد، خلافاً للحيوان؛ لذا فإن الميل للظلم وحبّ الذات يتهاديان كثيراً وبشكل خفيف.

نعم، إن حب الإنسان لنفسه، وتحرّي مصلحته وحده، وحبّه لذاته وحده، من الأشكال الخبيثة لـ «أنا والأناية»، وإذا ما اقترن العناد والغرور بذلك الميل تولدت فظائع بشعة بحيث لم يعثر لها البشر على اسم بعد. وكما أن هذا دليل على وجوب وجود جهنم كذلك لا جزاء له إلا النار.

ولنتناول هذا الدستور في:

نطاق الشخص:

يجوز الشخص أوصافاً كثيرة؛ إن كانت صفةً منها تستحق العداء، فيقتضي حصر العداء في تلك الصفة وحدها، حسب القانون الإلهي الوارد في الآية الكريمة، بل على الإنسان أن يشفق على ذلك الشخص المالك لصفات بريئة كثيرة أخرى ولا يعتدي عليه؛ بينما الظالم الجهول يعتدي على ذلك الشخص لصفة جانية فيه، لما في طبيعته من ظلم مغرور، بل تسري عداوته لأوصاف بريئة فيه، حيث يخاصم الشخص نفسه، وربما لا يكتفي بالشخص وحده فيشمل ظلّمه أقارب الشخص بل كلّ من في مسلكه، علماً أن تلك الصفة الجانية قد لا تكون نابعة من فساد القلب، وربما هي نتيجة أسباب أخرى، حيث إن أسباباً كثيرة تولد الشيء الواحد، فلا تكون الصفة جانية، بل حتى لو كانت تلك الصفة كافرة أيضاً لا يكون الشخص جانياً.

وفي نطاق الجماعة:

نشاهد أن شخصاً حريصاً، قد طرح فكراً ينطوي على رغبة، فقال بدافع الانتقام أو بدافع اعتراضٍ جارح: سيتبعثر الإسلام ويتشتت، أو ستمحى الخلافة. فيتمنى أن يهان المسلمون -العياذ بالله- وتُخنق الأخوة الإسلامية، لكي يظهر صدق كلامه ويشتبع غروره وأنانيته فحسب، بل يحاول إيضاح ظلم الخصم الجاحد في صورة عدالة، باختلاق تأويلات وحذلقات لا تخطر على بال.

وفي نطاق المدينة الحاضرة:

نشاهد أن هذه المدينة المشؤومة قد أعطت البشرية دستوراً ظالماً غداراً، بحيث يزيل جميع حسناتها، ويبين السرّ في قلق الملائكة الكرام لدى استفسارهم ﴿أَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ (البقرة: ٣٠) إذ لو وُجد خائن واحد في قصبة، فإنها تقتضي بتدميرها وبمن فيها من الأبرياء، ولو وجد عاصي واحد في جماعة فهي تقتضي بالقضاء على تلك الجماعة مع أفرادها وعوائلها وأطفالها. ولو تحصّن من لا يخضع لقانونها في جامع أياصوفيا فإنها تقتضي بتخريب ذلك البناء المقدس الذي هو أئمن من مليارات الذهب. وهكذا تحكّم هذه المدينة بوحشية رهيبة.

فلئن كان المرء لا يؤاخذ حتى بجريرة أخيه، فكيف تدان ألوف الأبرياء في قصبة أو في جماعة لوجودٍ مخربٍ واحد فيها. علماً أنه لا تخلو مدينة أو جماعة منهم.

هيمنة القرآن الكريم^(١)

قال تعالى:

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران: ١٠٣)

﴿الْم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ١-٢)

أرى أن مردّ ما تبديه الأمة الإسلامية من إهمال وعدم مبالاة نحو الأحكام الفقهية ما يأتي:

إن أركان الدين وأحكامه الضرورية تابعة من القرآن الكريم والسنة النبوية المفسرة له، وهي تشمل تسعين بالمائة من الدين، أما المسائل الخلافية التي تحتمل الاجتهاد فلا تتجاوز العشرة منه.

فالبون إذن شاسع بين أهمية الأحكام الضرورية والمسائل الخلافية.

فلو شَبَّهنا المسائل الاجتهادية بالذهب لكانت الأحكام الضرورية وأركان الإيمان أعمدة من الألماس. تُرى هل يجوز أن تكون تسعون عموداً من الألماس تابعة لعشرة منها من الذهب؟ وهل يجوز أن يوجَّه الاهتمام إلى التي من الذهب أكثر من تلك التي من الألماس؟.

إن الذي يَسوقُ جمهورَ الناس إلى الاتِّباعِ وامْتِثالِ الأوامر، هو ما يتحلَّى به المَصْدَرُ من قدسية، هذه القدسية هي التي تدفع جمهور الناس إلى الانقياد أكثر من قوة البرهان ومثانة الحجّة، فينبغي إذن أن تكون الكتب الفقهية بمثابة وسائل شفافة -كالزجاج- لعَرَضِ قدسية القرآن الكريم، وليس حجاباً دونه، أو بديلاً عنه.

إن ذهن الإنسان ينتقل من الملزوم إلى اللازم وليس إلى لازم اللازم -كما هو مقرر في

(١) لقد نشر هذا المقال لأول مرة في مجلة «سبيل الرشاد» عدد ٤٦٣ في مايس ١٩٢٠ تحت عنوان (الحاكمية المطلقة للقرآن الكريم).

علم المنطق - ولو انتقل فبقصد غير طبيعي. فالكتب الفقهية شبيهة بالملزوم، والقرآن الكريم هو الدال على تلك الأحكام الفقهية ومصدرها، فهو اللازم... والصفة الملازمة الذاتية للقرآن الكريم هي القدسية المحفزة للوجدان. فلأن نظر العامة ينحصر في الكتب الفقهية فحسب، فلا ينتقل ذهنهم إلى القرآن الكريم إلا خيالاً، ونادراً ما يتصورون قدسيته - من خلال نظرهم المنحصر - ومن هنا يعتاد الوجدان التسيب، ويتعود على الإهمال، فينشأ الجمود.

فلو كان قد بُيِّنَ القرآن الكريم ضمن بيان الضروريات الدينية مباشرة لكان الذهن ينتقل انتقالاً طبيعياً إلى قدسيته، ولأثارت الشوق إلى الاتباع، ولنبهت الوجدان إلى الاقتداء، وعندها تنمو ملكة رهافة المشاعر لدى المخاطب بدلا من صممها أمام حوافز الإيمان وموقظاته.

فالكتب الفقهية إذن ينبغي أن تكون شفافة لعرض القرآن الكريم وإظهاره، ولا تصبح حجاباً دونه كما آلت إليه - بمرور الزمان - من جراء بعض المقلدين. وعندئذ تجدها تفسيراً بين يدي القرآن وليست مصنفات قائمة بذاتها.

إن توجيه أنظار عامة الناس في الحاجات الدينية توجيهها مباشراً إلى القرآن الكريم، خطاب الله العزيز الساطع بإعجازه والمحاط بهالة القدسية والذي يهز الوجدان بالإيمان دائماً.. إنما يكون بثلاث طرق:

١ - إما إزالة ذلك الحجاب من أمام القرآن الكريم بتوجيه النقد وتجريح الثقة بأولئك المؤلفين للكتب الفقهية الذين يستحقون كل الاحترام والتوقير والثقة والاعتماد... وهذا ظلم فاضح، وخطر جسيم، وإجحاف بحق أولئك الأئمة الأجلاء.

٢ - أو تحويل تلك الكتب الفقهية تدريجياً إلى كتب يستشف منها فيض القرآن الكريم، أي تصبح تفسيراً له، ويمكن أن يتم هذا باتباع طرق تربوية منهجية خاصة حتى تبلغ تلك الكتب إلى ما يشبه كتب الأئمة المجتهدين من السلف الصالح أمثال «الموطأ» لمالك بن أنس و«الفقه الأكبر» لأبي حنيفة النعمان. فعندئذ لا يُقرأ كتاب «ابن حجر» - مثلاً - بقصد ما يقوله ابن حجر نفسه، بل يُقرأ لأجل فهم ما يأمُر به القرآن الكريم. وهذا الطريق بحاجة إلى زمن مديد.

٣- أو شد أنظار جمهور الناس دوماً إلى مستوى أعلى من تلك الكتب -التي أصبحت حجاباً- أي شدها باستمرار إلى القرآن الكريم وإظهاره فوقها دائماً، مثلما يفعله أئمة الصوفية، وعندها تؤخذ الأحكام الشرعية والضروريات الدينية من منبعها الأساس وهو القرآن الكريم، أما الأمور الاجتهادية التي ترد بالواسطة فيمكن مراجعتها من مظانها.

ولا يخفى أن ما يستشعره المرء من جاذبية في كلام الصوفي الحق ومن طلاوة في حديثه غير ما يستشعره في وعظ عالم في الفقه. فالفرق في هذا نابع من ذلك السر.

ثم إنه من الأمور المقررة، أن ما يوليه عامة الناس من تقدير لشيء وتثمينهم له ليس نابعاً -على الأغلب- مما فيه من كمال، بل مما يشعرون نحوه من حاجة وبها يحسون تجاهه من رغبة؛ فالساعاتي الذي يأخذ أجره أكثر من عالم جليل مثلاً يؤيد هذا.

فلو وجَّهَتْ حاجات المسلمين الدينية كافة شطر القرآن الكريم مباشرة، لنال ذلك الكتاب المين من الرغبة والتوجه -الناشئة من الحاجة إليه- أضعافاً أضعاف ما هو مشتت الآن من الرغبات نحو الألوף من الكتب، بل لكان القرآن الكريم مهيمناً هيمنة واضحة على النفوس، ولكانت أوامره الجليلة مطبقة منفذة كلياً، ولَمَا كان يظل كتاباً مباركاً يُتبرك بتلاوته فحسب.

هذا وإن هناك خطراً عظيماً في مزج الضروريات الدينية مع المسائل الجزئية الفرعية الخلافية، وجعلها كأنها تابعة لها، لأن الذي يرى الآخرين على خطأ -ونفسه على صواب- يدعي: أن مذهبي حق يحتمل الخطأ والمذهب المخالف خطأ يحتمل الصواب!

وحيث إن جمهور الناس يعجزون عن أن يميزوا تمييزاً واضحاً بين الضروريات الدينية والأمور النظرية المتمتزة معها، تراهم يعممون -سهواً أو وهماً- الخطأ الذي يرونه في الأمور الاجتهادية على الأحكام كلها، ومن هنا تتبين جسامة الخطر.

والذي أراه أن من يخطئ الآخرين -ويرى نفسه في صواب دائماً- مصاب بمرض ضيق الفكر وانحصار الذهن الناشئين من حب النفس. ولا شك أنه مسؤول أمام رب العالمين عن تغافله عن شمول خطاب القرآن إلى البشرية كافة.

ثم إن فكر التخطئة هذا، منيعٌ ثر لسوء الظن بالآخرين، والانحياز، والتحزب في الوقت الذي يطالبنا الإسلام بحسن الظن والمحبة والوحدة! ويكفيه بُعداً عن روح الإسلام ما شقّ من جروح غائرة في أرواح المسلمين المتساندة، وما بثه من فرقة بين صفوفهم، فأبعدهم عن أوامر القرآن الكريم.

بعد أن كتبتُ هذه المسألة بفترة قصيرة، تشرفتُ برؤيا الرسول الكريم ﷺ في المنام؛ كنت في حظوةٍ مجلسه الجليل في مدرسة دينية، سيعلمني من القرآن درسا. فعندما أتوا بالمصحف الشريف قام الرسول الكريم ﷺ احتراماً للقرآن، فخطر لي آنئذ أن هذا إرشاد للامة لتوقير القرآن الكريم وإجلاله.

ثم حكيت الرؤيا لأحد الصالحين فعبره هكذا:

إن هذه إشارة واضحة وبشرى عظيمة إلى أن القرآن الكريم سيحوز ما يليق به من مقام رفيع في العالم أجمع.

دعوة إلى إنشاء مجلس شورى للاجتهاد^(١)

قال تعالى:

﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى: ٣٨) ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران: ١٥٩)

يرينا التاريخ أنه: متى ما كان المسلمون متمسكين بدينهم فقد ترقوا بقدر تمسكهم بدينهم، بينما تدنوا كلما بدأ ضعف الدين يدب فيهم. بخلاف ما يحدث لأصحاب الأديان الأخرى؛ إذ متى ما تمسكوا بدينهم فقد أصبحوا كالوحوش الكاسرة ومتى ما ضعف لديهم الدين ترقوا في مضمار الحضارة.

إن ظهور جمهور الأنبياء في الشرق رمزٌ من القدر الإلهي إلى أن المهيمن على شعور الشرقيين هو الدين؛ فما نراه في الوقت الحاضر من مظاهر اليقظة في أنحاء العالم الإسلامي تُثبت لنا أن الذي ينبه العالم الإسلامي وينقذه من الذل والهوان هو الشعور الديني ليس إلّا.

وقد ثبت أيضاً أن الذي حافظ على هذه الدولة المسلمة (العثمانية) هو ذلك الشعور رغم جميع الثورات والمصادمات الدامية التي نشبت في أرجائها.. فنحن نتميز بهذه الخاصية عن الغرب، ولا نقاس بهم.

إن السلطنة والخلافة متحدتان بالذات ومتلازمتان لا تنفكان وإن كانت وجهت كل منهما مغايرةً للأخرى.. وبناء على هذا فسلطاننا هو سلطان وهو خليفة في الوقت نفسه يمثل رمز العالم الإسلامي. فمن حيث السلطنة يشرف على ثلاثين مليوناً، ومن حيث الخلافة ينبغي أن يكون ركيزة ثلاثمائة مليون من المسلمين الذين تربطهم رابطة نورانية، وأن يكون موضع إمدادهم وعونهم.

(١) لقد طالبت بهذه الفكرة أعضاء «تركيا الفتاة» إبان إعلان الدستور، فلم يوافقوا عليها، وبعد مضي اثنتي عشرة سنة طالبتهم بها أيضاً فقبلوها ولكن المجلس النيابي كان قد حل. والآن أعرضها مرة أخرى على نقطة تركز العالم الإسلامي. (المؤلف).

فالوزارة تمثل السلطنة، أما المشيخة الإسلامية فهي تمثل الخلافة. فبينما نرى الوزارة تستند -أصلاً- إلى ثلاثة مجالسٍ شورى -وقد لا تفي هذه المجالس بحاجاتها الكثيرة- نجد أن المشيخة قد أُودعت إلى اجتهداد شخص واحد، في وقتٍ تعقدت فيه العلاقات وتشابكت حتى في أدق الأمور، فضلاً عن الفوضى الرهيبة في الآراء الاجتهادية، وعلاوة على تشتت الأفكار وتدني الأخلاق المريع الناشئ من تسرب المدنية الزائفة فينا.

من المعلوم أن مقاومة الفرد تكون ضعيفة أمام المؤثرات الخارجية، فلقد ضُحي بكثير من أحكام الدين مسaire للمؤثرات الخارجية.

وبينما كانت الأمور بسيطة والتسليم للعلماء وتقليدُهم جارياً كانت المشيخة مودعة إلى مجلسٍ شورى -ولو بصورة غير منتظمة- ويتركب من شخصيات مرموقة، أما الآن وقد تعقدت الأمور ولم تعد بسيطة وارتخى عنان تقليد العلماء واتباعهم.. أقول كيف -يا ترى- يكون بمقدور شخصٍ واحد القيام بكل الأعباء؟

ولقد أظهر الزمان أن هذه المشيخة الإسلامية -التي تمثل الخلافة- ليست خاصة لأهل إسطنبول أو للدولة العثمانية، وإنما هي مؤسسة جلية تعود للمسلمين عامة. فوضعها الحالي المنطقي لا يؤهلها للقيام بأعباء إرشاد إسطنبول وحدها ناهيك عن إرشاد العالم الإسلامي!

لذا ينبغي أن تؤوّل هذه المشيخة إلى درجةٍ ومنزلةٍ تتمكن بها من كسب ثقة العالم الإسلامي فتكون كالمرآة العاكسة لمشاكل المسلمين، وتغدو منبعاً فياضاً للاجتهادات والأفكار. وعندها تكون قد أدت مهمتها حق الأداء تجاه العالم الإسلامي.

لسنا في الزمان الغابر، حيث كان الحاكم شخصاً واحداً، ومفتيه ربما شخص واحد أيضاً، يصحح رأيه ويصوبه. فالزمان الآن زمان الجماعة والحاكم شخص معنوي ينبثق من روح الجماعة. فمجالس الشورى تملك تلك الشخصية، فالذي يفتي لمثل هذا الحاكم ينبغي أن يكون متجانساً معه، أي ينبغي أن يكون شخصاً معنوياً نابعاً من مجلسٍ شورى عالٍ، كي يتمكن من أن يُسمع صوته للآخرين، ويسوّق ذلك الحاكم إلى الصراط السوي في أمور الدين، وإلا فسيبقى صوته كطينين الذباب أمام الشخص المعنوي الناشئ من الجماعة، حتى لو

كان فرداً فذاً عظيماً. فهذا الموقع الحساس يُعرّض قوة المسلمين الحيوية إلى الخطر مادام باقياً على وضعه المنكفى هذا، حتى يصحّ لنا أن نقول:

إن الضعف الذي نراه في الدين، والإهمال الذي نشاهده في الشعائر الإسلامية، والفوضى التي ضربت أطنابها في الاجتهادات قد تفتت نتيجة ضعف المشيخة وانطفاء نورها، حيث إن الشخص الموجود خارج المشيخة يمكنه أن يحتفظ برأيه إزاء المشيخة المستندة إلى شخص واحد. بينما كلام شيخ الإسلام المستند إلى مجلس شورى المسلمين يجعل أكبر داهية يتخلى عن رأيه أو يحصر اجتهاده في نفسه في الأقل.

نعم، إن كل من يجد في نفسه كفاءة واستعداداً للاجتهاد يمكنه أن يجتهد، ولكن لا يكون هذا الاجتهاد موضع عمل إلاّ عندما يقترن بتصديق نوع من إجماع الجمهور. فمثل هذا الشيخ -أي شيخ الإسلام المستند إلى مجلس شورى- يكون قد نال هذا السر. فكما نرى في كتب الشريعة أن مدار الفتوى: الإجماع، ورأي الجمهور، يلزم الآن ذلك أيضاً ليكون فيصلاً قاطعاً لدابر الفوضى الناشئة في الآراء.

إن الوزارة والمشيخة جناحا هذه الدولة المسلمة، فإن لم يكونا جناحين متساويين متكافئين فلا يدوم لها المضي، وإن مضت المشيخة على وضعها الحاضر فسوف تنسلخ عن كثير من المقدسات الدينية أمام اجتياح المدنية الفاسدة.

«الحاجة أستاذ لكل أمر». هذه قاعدة، فالحاجة شديدة لمثل هذا المجلس الشورى الشرعي، فإن لم يؤسّس في مركز الخلافة فسيؤسس بالضرورة في مكان آخر.

وعلى الرغم من أن القيام ببعض المقدمات يناسب أن يسبق تأسيس هذا المجلس -كمؤسسة الجماعات الإسلامية وإلحاق الأوقاف بالمشيخة وأمثالها من الأمور- فإن الشروع بتأسيس المجلس مباشرة ثم تهيئة المقدمات له يحقق الغرض أيضاً. فالدوائر الانتخابية -للأعيان والنواب- رغم محدوديتها واختلاط وظائفها قد تكون لها تأثير بالواسطة، رغم أن الوضع يستوجب تأسيس مجلس شورى إسلامي خالص كي يتمكن كفاءة المهمة السامية.

إن استخدام أي شيء في غير موضعه يكون مآله التعطل، ولا يبين أثره المرجو منه؛ فدار الحكمة الإسلامية التي أنشئت لغاية عظيمة، إذا خرجت من طورها الحالي وأشرت في الشورى مع رؤساء الدوائر الأخرى في المشيخة وعُدّت من أعضائها، واستدعي لها نحو من عشرين من العلماء الأجلاء الموثوقين من أنحاء العالم الإسلامي كافة، عندها يمكن أن يكون هناك أساس لهذه المسألة الجسيمة.

لا ينبغي أن نكون مترددين ومتخوفين، فلا نعطي الدنية والرشوة من ديننا بالتخوف والتردد. وتلعينُ المدنية الزائفة بما سببت من ضعف الدين، مما يشجع الخوف ويزيد الضعف ويقوي التأثيرات الخارجية.. فالمصلحة المرجحة المحققة لا تضحّى لأجل مَضرة موهومة.

حوار في رؤيا

«المعنى وكذا الألفاظ التي ظلت في الخاطر

هي نفسها كما جاءت في الرؤيا»

كنت في أيلول سنة ١٩١٩ أتقلب في اضطراب شديد، من جراء اليأس البالغ الذي ولدته حوادث الدهر؛ كنت أبحث عن نور بين هذه الظلمات المتكاثفة القائمة.. لم أستطع أن أجده في يقظة هي رؤيا في منام. بل وجدته في رؤيا صادقة هي يقظة في الحقيقة.

سأسجل هنا تلك النقاط التي استنطقتها وأجريت على لساني من كلام، دون الخوض في التفاصيل. وهي كالآتي:

دخلت عالم المثل في ليلة من ليالي الجمعة. جاءني أحدهم وقال:

يدعوك مجلس موقر مهيب منعقد لبحث مصير العالم الإسلامي، وما آلت إليه حاله.

فذهبتُ، ورأيت مجلساً منوراً قد حضره السلف الصالحون، وممثلون من العصور؛ من كل عصر ممثل.. لم أر مثيلهم في الدنيا.. فتهيت، ووقفت في الباب تأدباً وإجلالاً.

قال أحدهم موجهاً كلامه لي:

يا رجل القدر!.. ويا رجل عصر النكبة والفتنة والهلاك!.. بين رأيك في هذا الموضوع. فإن لك رأياً فيه.

قلت وأنا واقف: سلوني أجب!

قال أحدهم: ماذا ترى في عاقبة هذه الهزيمة التي آلت إليها الدولة العثمانية، وماذا كنت تتوقع أن يؤول إليه أمر الدولة العثمانية لو قُدر لها الانتصار؟.

قلت: إن المصيبة ليست شراً محضاً؛ فقد تنشأ السعادة من النكبة والبلاء، مثلما قد تفضي السعادة إلى بلاء.. فهذه الدولة الإسلامية التي أخذت على عاتقها -سابقاً- القيام بفريضة الجهاد -فرضاً كفائياً- حفاظاً على العالم الإسلامي وهو كالجسد الواحد، ووضعت نفسها

موضع التضحية والفداء لأجله، وحملت راية الخلافة إعلاءً لكلمة الله وذوداً عن استقلال العالم الإسلامي.. ستعوّض عما أصابها من مصيبة وستزيلها السعادة التي سوف يرفل بها عالم الإسلام؛ إذ عجلت هذه المصيبة بعث الأخوة الإسلامية ونماءها في أرجاء العالم الإسلامي، تلك الأخوة التي هي جوهر حياتنا وروحنا. حتى إننا عندما كنا نتألم كان العالم الإسلامي يبكي، فلو أوغلت أوروبا في إيلامنا لصرخ العالم الإسلامي... فلو متنا فسوف يموت عشرون مليوناً - من العثمانيين الأتراك - ولكن نُبعث ثلاثمائة (أي ثلاثمائة مليون من المسلمين).

نحن نعيش في عصر الخوارق؛ فبعد مضيّ سنتين أو ثلاث على موتنا سنرى أحياءً يبعثون.

لقد فقدنا بهذه الهزيمة سعادة عاجلة زائلة، ولكن تنتظرنا سعادة آجلة دائمة، فالذي يستبدل مستقبلاً زاهراً فسيحاً بحال حاضرٍ جزئي متغيرٍ محدود، لاشك أنه رابح..

وإذا بصوت من المجلس: «يَبْنَ! وَصَّحْ ما تقول!»

قلت: حروب الدول والأمم قد تخلت عن مواضعها لحروب الطبقات البشرية. والإنسان مثلاً يرفض أن يكون أسيراً لا يرضى أن يكون أجيراً أيضاً.

فلو كنا منتصرين غالبين، لكننا ننجذب إلى ما لدى أعدائنا من الاستعمار والتسلط، وربما كنا نغلو في ذلك. علماً أن ذلك التيار - التيار الاستعماري الاستبدادي - تيار ظالم ومنافٍ لطبيعة العالم الإسلامي، ومباين لمصالح الأكثرية المطلقة من أهل الإيمان، فضلاً عن أن عمره قصير، ومعرض للتمزق والتلاشي. ولو كنا متمسكين بذلك التيار لكنا نسوق العالم الإسلامي إلى ما ينافي طبيعته الفطرية.

فهذه المدنية الخبيثة التي لم نَر منها غير الضرر، وهي المرفوضة في نظر الشريعة، وقد طغت سيناتها على حسناتها، تحكم عليها مصلحة الإنسان بالنسخ، وتقضي عليها بقطعة الإنسان وصحوته بالانقراض.

فلو كنا منتصرين لكنا نتعهد حماية هذه المدنية السفهية المتمردة الغدارية المتوحشة، معني، في أرجاء آسيا.

قال أحدهم من المجلس: لِمَ ترفض الشريعةُ هذه المدنية؟^(١)

قلت: لأنها تأسست على خمسة أسس سلبية:

فنقطة استنادها هي: القوة، وهذه شأنها الاعتداء.

وهدفها وقصدها: المنفعة، وهذه شأنها التزاحم.

ودستورها في الحياة: الجدل والصراع، وهذا شأنه التنازع.

والرابطة التي تربط المجموعات البشرية هي: العنصرية والقومية السلبية التي تنمو على

حساب الآخرين. وهذه شأنها التصادم، كما نراه.

وخدمتها للبشرية خدمة فاتنة جذابة هي: تشجيع هوى المنفعة، وإثارة النفس الأمارّة،

وتطمين رغباتها وتسهيل مطالبيها. وهذا الهوى شأنه إسقاط الإنسان من درجة الملائكية إلى

درك الحيوانية الكلبية. وبهذا تكون سبباً لمسح الإنسان معنوياً.

فمعظم هؤلاء المدنيين لو انقلب باطنهم بظاهريهم لوجد الخيال تجاهه صور الذئاب

والدببة والحيات والقرود والخنازير.

ولأجل هذا فقد دفعت هذه المدنية الحاضرة ثمانين بالمئة من البشرية إلى أحضان الشقاء،

وأخرجت عشرة بالمئة منها إلى سعادة مموهة زائفة، وظلت العشرة الباقية بين هؤلاء وأولئك،

علماً أن السعادة إنما تكون سعادة عندما تصبح عامة لكل أو للأكثرية؛ بيد أن سعادة هذه

المدنية هي لأقل القليل من الناس.

لأجل كل هذا لا يَرْضَى القرآن الكريم بمدنية لا تَضْمَنُ سعادة الجميع أو لا تعم

الغالبية العظمى.

ثم إنه بتحكم الهوى الطليق من عقالة، تحولت الحاجات غير الضرورية إلى ما يشبه

(١) المقصود محاسن المدنية التي أسدتها إلى البشرية، وليست سيئاتها وآثامها التي يلهث وراءها الحمقى ظناً منهم أن تلك

السيئات حسنات حتى أوردونا الهلاك، ولقد تلقت البشرية صفتين مريعتين وهما الحريان العالمتان من جراء ما

طفحت به كفة سيئات المدنية على حسناتها وتغلبت آثامها على محاسنها حتى أبادتا تلك المدنية الأئمة فقاءت دماً

لطخت به وجه الكرة الأرضية كله. نسأل الله أن تغلب بقوة الإسلام في المستقبل محاسن المدنية لتطهر وجه الأرض

من لوثاتها وتضمّن السلام العام للبشرية قاطبة. (المؤلف)

الضرورية، إذ بينما كان الإنسان محتاجاً إلى أربعة أشياء في حياة البداوة والبساطة إذا به في هذه المدينة يحتاج إلى مئة حاجة، وهكذا أردته المدينة فقيراً مدقماً.

ثم، لأن السعي والعمل لا يكفيان لمواجهة المصاريف المتزايدة، انساق الإنسان إلى مزاوله الخداع والحيلة وأكل الحرام... وهكذا فسد أساس الأخلاق.

وبينما تعطي هذه المدينة الجماعة والتنوع ثروة وغنى وبهرجة إذا بها تجعل الفرد فقيراً محتاجاً، فاسد الأخلاق.

ولقد قاءت هذه المدينة وحشيةً فاقت جميع القرون السابقة.

وإنه لجدير بالتأمل، استنكاف العالم الإسلامي من هذه المدينة، وعدم تلحفه لها، وتخرجه من قبولها، لأن الهداية الإلهية التي هي الشريعة تعطي خاصية الاستقلال والاستغناء عن الآخرين، ولا يمكن أن تطعم هذه الشريعة بالدهاء الروماني ولا أن تمتزج معها ولا يمكن أن تلبعها أو أن تتبعها.

إن دهاء الرومان واليونان -أي حضارتيهما- وهما التوأمان الناشئان من أصل واحد، قد حافظا على استقلالهما وخواصهما رغم مرور العصور وتبدل الأحوال ورغم المحاولات الجادة لمزجها بالنصرانية أو إدماجها بها، فلقد ظل كل منهما كالماء والدهن لا يقبلان الامتزاج، بل إنهما يعيشان الآن بروحهما بأنماط متنوعة وأشكال مختلفة.

فلئن كان التوأمان -مع وجود عوامل المزج والدمج والأسباب الداعية له- لم يمتزجا طوال تلك الفترة، فكيف يمتزج نور الهداية الذي هو روح الشريعة مع ظلمات تلك المدينة التي أساسها دهاء روما! لا يمكن بحال من الأحوال أن يمتزجا أو يهضما معاً.

قالوا: فما هي المدينة التي في الشريعة؟

قلت: أما المدينة التي تأمرنا بها الشريعة الغراء وتتضمنها، فهي التي ستكشف بانقشاع هذه المدينة الحاضرة، وتضع أساساً إيجابية بناء مكان تلك الأسس النخرة الفاسدة السلبية.

نعم، إن نقطة استنادها هي الحق بدلاً من القوة. والحق من شأنه العدالة والتوازن. وهدفها: الفضيلة بدلاً من المنفعة، والفضيلة من شأنها المحبة والتجاذب.

وجهة الوحدة فيها والرابطة التي تربط بها المجموعات البشرية: الرابطة الدينية، والوطنية، والمهنية بدلاً من العنصرية. وهذه شأنها الأخوة الخالصة، والسلام والوئام، والذود عن البلاد عند اعتداء الأجانب.

ودستورها في الحياة: التعاون بدل الصراع والجدال، والتعاون من شأنه التساند والاتحاد.

وتضع الهدى بدل الهوى ليكون حاكماً على الخدمات التي تقدم للبشر، وشأن الهدى رفع الإنسانية إلى مراقبي الكمالات، فهي إذ تحدد الهوى وتحّد من النزعات النفسانية تُطمئن الروح وتشوّقها إلى المعالي.

بمعنى أننا بانهرامنا في الحرب تبعنا التيار الثاني الذي هو تيار المظلومين وجمهور الناس. فلئن كان المظلومون في غيرنا يشكلون ثمانين بالمئة منهم ففي المسلمين هم تسعون بل خمس وتسعون بالمئة.

إن بقاء العالم الإسلامي مستغنياً عن هذا التيار الثاني، أو معارضاً له، ظل دون مستند أو مرتكز، وهَدَر جميع مساعيه. فبدلاً من الذوبان والتميع تحت استيلاء المنتصر، كان عليه أن يتصرف تصرف العاقل فيكيّف ذلك التيارَ إلى طراز إسلامي ويستخدمه، ذلك لأن عدو العدو صديق ما دام عدواً له، وصديق العدو عدو ما دام صديقاً له.

إن هذين التيارين، أهدافهما متضادة، منافعهما متضادة، فلئن قال أحدهما: مُتْ، لقال الآخر: انبعث. فنفَعُ أحدهما يسلتزم ضررنا واختلافنا وتديننا وضعفنا مثلما تقتضي منفعة الآخر قوتنا واتحادنا بالضرورة.

كانت خصومة الشرق تخنق انبعاث الإسلام وصحوته. وقد زالت وينبغي لها ذلك. أما خصومة الغرب فينبغي أن تدوم لأنها سبب مهم في تنامي الأخوة الإسلامية ووحدها.

وإذا بأمارات التصديق تتعالى من المجلس. فقالوا:

نعم، كونوا على أمل؛ إن أعظم صوت مُدَوٍّ في انقلابات المستقبل هو صوت الإسلام الهادر.

وسأل أحدهم أيضاً:

إن المصيبة نتيجة جناية، ومقدمة ثواب. فما الذي اقترعتم حتى حُكم عليكم القدر الإلهي بهذه المصيبة، إذ المصائب العامة تنزل لأخطاء الأكثرية؟ وما ثوابكم العاجل؟

قلت: مقدمتها إهمالنا لثلاثة أركان من أركان الإسلام؛ الصلاة، الصوم، الزكاة. إذ طَلَب منا الخالقُ سبحانه ساعة واحدة فقط من أربع وعشرين ساعة لأداء الصلوات الخمس فتقاعسنا عنها، فجازانا بتدريب شاق دائم لأربع وعشرين ساعة طوال خمس سنوات متواليات، أي أَرْغَمْنَا على نوع من الصلاة.. وإنه سبحانه طلب منا شهراً من السنة نصوم فيه رحمة بنفوسنا، فعَزَّت علينا نفوسنا فأَرْغَمْنَا على صوم طوال خمس سنوات، كفارة لذنوبنا. وإنه سبحانه طلب منا الزكاة عُشْراً أو واحداً من أربعين جزءاً من ماله الذي أنعم به علينا، فَبَخِلْنَا وظلمنا، فأَرْغَمْنَا على دفع زكاة متراكمة. ف«الجزء من جنس العمل».

أما ثوابنا العاجل، فرفعه سبحانه وتعالى خُمس هذه الأمة المذنبة -أي أربعة ملايين منهم- إلى مرتبة الولاية ومنحهم درجة الشهادة والمجاهدين. فالمصيبة العامة الناشئة من خطأ العامة أزالَت ذنوب الماضي.

فقال أحدهم أيضاً: إن كان آمراً بخطأٍ ألقى الأمة إلى الهلاك؟

قلت: إن المُصَاب يرجو الثواب؛ فإما أن تُعْطَى له حسنات الأمر الذي ارتكبه خطأً، وهي لا تعدُّ شيئاً. أو تعطيه خزينة الغيب. وثوابه في مثل هذه الأمور من خزينة الغيب هي درجة الشهادة والمجاهدين.

رأيت أن المجلس قد استحسن هذا الكلام. وانتبهت من النوم من شدة انفعالي. ووجدتُ نفسي في الفراش مشبكاً يدي، يتصبب مني العرق.

وهكذا مضت تلك الليلة.

وفي اليوم نفسه والأمل يطفح مني ذهبْتُ إلى مجلس آخر، مجلس دنيوي فسألوني.

لِمَ لا تتدخل بالسياسة منذ مجيئك؟

قلت: أعوذ بالله من الشيطان والسياسة.

نعم، إن السياسة الحاضرة لإسطنبول شبيهة بالأنفلونزا تسبب الهذيان. فنحن لسنا متحركين ذاتياً، بل نتحرك بالوساطة. فأوروبا تنفخ ونحن نرقص هنا، فهي تلقن بالتنويم -المغناطيسي- ونحن نتصورها نابعة من أنفسنا ونجري أثر تلقينها بتخريب أعمى أصم. فهادام المنبع في أوروبا فالتيار القادم إما سيكون تياراً سلبياً أو إيجابياً.

فالذين يتبعون السلبي هم كالحرف الذي يعرف «دَلَّ على معنى في نفس غيره، أو لا يدل على معنى في نفسه» بمعنى أن جميع أفعاله ستكون لصالح الخارج مباشرة، لأن إرادته لا حكم لها. فلا تنفعه النية الخالصة. ولا سيما التيار سلبي فيكون أداة -لا تعقل- للخارج بضعف من جهتين.

أما التيار الآخر الإيجابي فيلبس لبوس التأيد والموافقة من الداخل، فهو كالاسم الذي يعرف بأنه ما «دَلَّ على معنى في نفسه». فأفعاله لنفسه، ولكن ما يتبعها للخارج. إلا أنه لا يؤاخذ عليه لأن لازم المذهب ليس مذهباً. ولا سيما إذا انضم بجهتين إلى الإيجابي والضعيف في التيار الخارجي، فيمكن أن يجعل الخارج أداة له لا تشعر.

قالوا: ألا ترى الإلحاد يتفشى؟ إنه من الضرورة الاندفاع إلى الميدان باسم الدين.

قلت: نعم، ضروري، ولكن بشرط قاطع هو أن يكون الدافع المحرك عشقُ الإسلام والحماية الدينية. إذ الخطورة هي أنه إن كان الدافع أو الموجه هو السياسة أو التحيز، فالأول قد يعفى عنه حتى لو أخطأ بينما الثاني مسؤول عن عمله حتى لو أصاب.

قيل: كيف نفهم ذلك؟

قلت: مَنْ فضّل رفيقه السياسي الفاسق على متدين يخالف رأيه السياسي، بإساءة الظن به، فالدافع إذن هو السياسة.

ثم إن إظهار الدين الذي هو ملك مقدس للناس كافة -بالتحيز والتحزب- أنه أخص

بمن في مسلكه دون غيره، يثير الأكثرية الغالبة ضد الدين، فيكون سبباً في التهوين من شأن الدين.. فالدافع إذن هو التحيز.

مثال: يتصارع اثنان فما إن يشعر أحدهما أنه سيُغلب، عليه أن يعطي القرآن الذي بيده إلى القوي ليقوم الآخر بحمايته ولئلا يسقط القرآن معه في الوحل، مُظهراً محبته وتبجيله للقرآن، فتكون محبته للقرآن لكونه قرآناً، ولكن لو اتخذته تُرساً تجاه القوي، فإنه يثير غضبه بدلاً من أن يحرك غيرته لحمايته.

فمن يجرم القرآن من خادم قوي ويجعله في يد ضعيف، حتى إذا سقط سقط معه أيضاً، فهذا يعني أنه يحب القرآن لنفسه لا للقرآن.

نعم، إن خدمة الدين وسوق الناس إليه إنما تكون بالحث على الالتزام وتذكير أصحابه بوظائفهم الدينية. وبخلاف ذلك، فإن مخاطبتهم بـ«إنكم ملحدون»، يسوقهم إلى التعدي.

ألا لا يُستغل الدين في الداخل في الأمور السلبية التخريبية. ولقد رأيتم الاعتداء على الشريعة بظن أن الخليفة الذي دام حكمه ثلاثين سنة قد استغل في إجراءات سياسية سلبية. تُرى مَنْ الذي يستفيد من آراء السياسيين السلبيين الحاليين؟ أتعرفونهم؟.. إنني أرى أنهم الخصوم الألداء الذين غرزوا خناجرهم في قلب الإسلام.

قالوا: كنتَ تعارض الاتحاد والترقي، إلا أنك تسكت عنهم الآن.

قلت: لكثرة هجوم الأعداء عليهم.

إن هدف الهجوم الذي يشنه الأعداء هو العزم والثبات اللذان يتحلون بهما وعدم كونهم وسيلة لتنفيذ مآرب الأعداء في تسميم أفكار المسلمين. وهذا من حسناتهم.

إنني أرى أن الطريق طريقان؛ ككفتي الميزان؛ خفة إحدهما تولد ثقل الأخرى.

فأنا لا أصفع أنور(*) بجانب «انترانيك»،(*) ولا أصفع «سعيد حليم»(*) بجانب «فتزيلوس»(*). وفي نظري أن الذي يصفعهما سافل منحط.

قالوا: التحزب ضرورة من ضروريات المشروطة.

قلت: إن خطوط الأفكار عندنا بدلاً من أن تتقارب للتلاقي تنحرف مبتعدة الواحدة عن الأخرى كلما امتدت . لذا لا نجد نقطة التلاقي، لا في الوطن، ولا في الكرة الأرضية. فالأفكار أشبه ما تكون بالوجود والعدم لا يجتمعان، حيث إن وجود أحدهما يقتضي عدم الآخر.

إن العناد يلزم أحياناً المغالين في التعصب الضلال والباطل، حتى إذا ساعد الشيطان أحدهم قال له: «إنه -أي الشيطان- ملك» و يترحم عليه، بينما إذا رأى ملكاً في صفٍّ من يخالفه في الرأي، قال: «إنه شيطان قد بدل ملابسه»، فيبدأ بمعاداته ويلعنه. ويرى الأمانة الواهية برهاناً بظنه الحسن، بينما يرى البرهان أمانة واهية بسوء الظن، كمن ينظر في المنظار أحد طرفيه الذي يقرب والآخر يبعد الشيء. وهذا ظلم فاضح يبين الحكمة في الآية الكريمة: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (إبراهيم: ٣٤) وذلك لأن قواه وميوله لم تتحدد فطرةً بخلاف الحيوان، فميله -أي الإنسان- نحو الظلم لا يجد ولا سيما إذا انضمت إلى ذلك الميل الأشكال الخبيثة للأناية كالإعجاب بالنفس وتحري المصلحة الشخصية والكبر والعناد والغرور، تتولد جرائم بشعة لم تجد البشرية لها اسماً، ولا جزء لها إلا نار جهنم، مثلما هي دليل على ضرورة وجودها.

فمثلاً: إذا استاء من صفةٍ جانية لشخص، فإنه يشمل ظلمه إلى جميع صفاته البريئة أيضاً بل إلى أحبته بل إلى من في مسلكه، فيكون متمرداً أمام الآية الكريمة ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (الأنعام: ١٦٤).

ومثلاً: قد قال أحد الحريصين بدافع الانتقام: سيُغلب الإسلام، وسيتمزق قلبه. فلاجل أن يظهر صدق كلامه المشؤوم النابع من روح سقيمة وفكر كاذب، يتمنى أن يهان المسلمون ويُصفَّق له ويتلذذ من ضربات العدو. فهذا التصفيق والترحيب واللذة جعلت الإسلام في موضع مجروح.

حيث العدو الذي غرز خنجره في قلب الإسلام لا يكتفي بسكوتنا عليه بل يقول: رحّب بي، تلذّد من أعمالي، وكن لي جِباً...

فدونكم ذنباً عظيماً وظلماً شنيعاً لا يجازيها إلا ميزان الحشر الأعظم.

قيل: كنا نعلم أننا نُغلب، فقد دفعونا إلى المصيبة عن علم.

قلت: كيف تكون نتيجة الحرب بديهيّاً بالنسبة لكم وأنتم لا ثقافة لكم؛ وتكون خافية عن شخص عظيم كهندنبغ^(*)؟ أخشى أن يكون ما تسمونه فكراً هو رغبة، والعياذ بالله. إذ يلبس الانتقامُ الشخصي الظالم أحياناً لباس الفكر. يا هؤلاء لقد وقعتم في طين نجس تلوثون وجوهكم به وكأنه المسك والعنبر؟

فهذا إيضاحي وبياني لما دار في مجلس مثالي في الليل المنير وفي محفل الدنيويين في النهار المظلم. فليست هذه المحاورة من بنات الفكر ولم تَسِلْ من العقل سيلاناً بل تفجرت من القلب. فإن شئت فاقبلها وإن شئت رُدّها وارفضها، ولكن بشرط أن تفهمها.

ذيل الرؤيا

سكت في الحج في أثناء سرده الرؤيا، لأن إهمال الحج وإهمال ما ينطوي عليه من حكم لا يُنزل المصيبة وحدها بل ينزل غضب الله وقهر الجبار. وجزاؤه ليس كفارة الذنوب بل كثارتها.

نعم، إن إهمال السياسة الإسلامية الرفيعة في الحج والمتضمنة توحيد الأفكار بالتعارف وتشريك المساعي بالتعاون هو الذي أدى إلى تهيئة الوسط الملائم للأعداء ليستخدموا ملايين المسلمين في العداء للإسلام.

فها هو الهندي جالس يبكي على رأس أبيه الذي قتله، ظناً منه أنه عدوه.
وها هما التتار والقفقاس، واقفان عند قدمي جثة ساعدا على قتلها.. وبعد فوات الأوان يدركان أنها والداهما.

وها هم العرب قتلوا شقيقهم البطل خطأ، ومن حيرتهم لا يعرفون كيف يكون وينتجبون.

وها هي إفريقيا قتلت أخاها دون علم به، والآن تصرخ وتولول.
وها هو العالم الإسلامي ساعد على قتل ولده المقدام غافلاً دون علم به، فهو يلطم وينفث شعره كالوالدة الحنون.

فالملايين من المسلمين دُفعوا إلى سياحات طويلة في العالم، تحت لواء العدو الذي هو الشر المحض، بدلاً من شد الرحال إلى الحج وهو الخير المحض.
فاعتبروا!

[كما أن الضرورات تبيح المحظورات، كذلك تسهل المشكلات].

إن الدجاجة التي يضرب بها المثل في الخوف والجبن تهاجم الجاموس الضخم حفاظاً على فراخها.. فها هي الجسارة الفائقة.

وخوف العنز من الذئب يضرب به المثل، إلا أن خوفه ينقلب إلى دفاع ومقاومة في حالة الاضطراب حتى يقارع الذئب.. فهذا هي الشجاعة الخارقة.

نعم، إن الميل الفطري لا يُقاوم، فغرفة من ماء إذا وضعت في كرة من حديد، فتت الماء الحديد كلما تعرض للبرودة في الشتاء، وذلك لميله إلى الانبساط والتمدد.

فجسارة الدجاجة الرؤوم على فراخها.. وشجاعة الاضطراب لدى العنز العزيز النفس يمثلان هيجاناً فطرياً.. فمثل هذا الهيجان الفطري إذا تعرض له ظلم الكافر البارد، فتت كل شيء أمامه كالماء في كرة الحديد. (والقرويون الروس أمثلة شهود على هذا).

ومع هذا فإن الشهامة الخارقة التي تنطوي عليها ماهية الإيمان، والشجاعة التي تتحدى العالم الكامنة في طبيعة العزة الإسلامية يمكن أن تظهر المعجزات في كل وقت وأن بانبساط الأخوة الإسلامية وتوسّعها.

ستشرق شمس الحقيقة يوماً

أفيظل العالم في ظلام إلى الأبد؟

ذيل الذيل

لدواء اليأس^(١)

الحمد لله الذي قال: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ (الحجرات: ١٢).

والصلاة على محمد الذي قال: «من قال: هلك الناس هلك الناس فهو أهلكهم»^(٢).

فإن محاكم التفتيش المدنية لهذا العصر، أنجبت لقطاعها - غير الشرعيين - باستعمالها وسائل رهيبة في تلقيح بعض الأذهان، وتجري بهم حقدتها الدفين على الإسلام للثأر منه، محاولة فتح الباب أمام ما يصرف المسلمين عن الدين، أو جعلهم في الأقل مهملين له، أو بإمالتهم نحو النصرانية، أو التخلي عن الإسلام بإلقاء الشبهات والشكوك في العقول، وتشيع بهذا مكرراً سيئاً هو الآتي:

«أيها المسلم! تأمل، أينما وجد مسلم فهو فقير، غافل، جاهل إلى حد ما، بينما النصراني أينما حلّ فهو متحضر، يقظ، صاحب ثروة... وهذا يعني.. الخ..»

وأنا أقول: أيها المسلم لا ترخ يدك عن الإسلام الذي هو حامي وجودنا وكياننا تجاه الدمار الذي تولّده هذه النتيجة المخيفة لتقدم أوروبا، بل عض عليه بالنواجذ واستعصم به بقوة، وإلا فمصيرك الهلاك.

نعم، نحن نتدنى إلى أسفل وهم يرقون إلى أعلى، ولهذا سببان اثنان: أحدهما مادي، والآخر معنوي.

السبب الأول:

الوضع الفطري لأوروبا التي هي كنيسة النصرانية عامة، ومنبع حياتها، فهي ضيقة، جميلة، تملك الحديد، متعرجة السواحل، تلتف فيها الأنهار والبحار التفاف الأمعاء في الجسد، مناخها بارد.

(١) رسالة «دواء اليأس» هي «الخطبة الشامية» وذيلها «تشخيص العلة» وهذا البحث ذيل لذيلها. إلا أنه نشر مع هذه الرسالة فأبقيناه في موضعه. (المترجم).

(٢) مسلم (٤/٢٠٢٤)، رقم ٢٦٢٣؛ أبو داود (٤/٢٩٦)، رقم ٤٩٨٣؛ أحمد (٢/٣٤٢)، رقم ٨٤٩٥ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم».

نعم، إن أوروبا على الرغم من كونها عُشر الخمس للكرة الأرضية، فإنها جذبت ربع البشرية نحوها بلطافة مناخها الفطري.

وإنه ثابت حكمةً: أن اجتماع الأفراد الكثيرين يولّد الحاجات، فلا يستوعب إنتاج الأرض تلك الحاجات التي تتزايد بأسباب كثيرة - كالتقليد وغيره - ومن هنا تصبح الحاجة أم الاختراع والصناعة، وحب الاستطلاع معلّم العلم، والضيق الروحي مولد السفاهة.

نعم، إن التوجه نحو الصناعة والميل إلى المعرفة ينشأ من الكثرة؛ فبسبب ضيق المكان في أوروبا، وكثرة بحارها وأنهارها التي هي وسائط نقل طبيعية فيها، فإن التعارف ينتج التجارة، والتعاون الاشتراك في الأعمال، مثلما يولد التماس تلاحق الأفكار والمنافسة والتسابق.

ولكثرة ما فيها من الحديد - الذي هو منبع جميع صناعات أوروبا - أعطى لمدينتهم السلاح القوي حتى غصبت أنقاض مدينت الدنيا كلها وأغارت عليها، إلى حد أثقلت كفتها وأخلّت بميزان الكرة الأرضية.

ثم إن البرودة المعتدلة التي من شأنها أن تأخذ كل شيء ببطء وتتركه ببطء، قد أعطت لسعيهم الثبات والمتانة، فأدامت مدينتهم.

ثم إن تشكّل دولهم المستندة إلى العلم، وتصادم قواهم المتكافئة، وإزعاجات استبداداتهم الغدّارة، ومضايقات تعصبهم المقيت الظالم - كتعصب محاكم التفتيش - والذي آل إلى خلاف المقصود، والتسابق الجاري بين عناصرها المتوازنة.. كل ذلك نَمّى استعدادات الأوروبيين، وفجّر قابليّاتهم، فظهرت لديهم المزايا، والفكر القومي.

السبب الثاني:

هو نقطة الاستناد. نعم، إن أيّ نصراني كان إذا ما رفع رأسه ومدّ يده إلى أي مقصد من المقاصد المتسلسلة المتداخلة، إذا به يجد وراءه نقطة استناد قوية تعزز قوته المعنوية وتبعث فيها الحياة، حتى يجد في نفسه من القوة ما يمكنه أن يقتحم كل صعب وعظيم من الأعمال.

فتلك النقطة، نقطة الاستناد، هي مدينة أوروبا التي هي معسكر (كتلة مسلحة) وكنيستها العظيمة، وهي مستعدة في كل آن أن تنفخ الحياة في عروق رفقاء دينها الذين يمدون

إليها أيديهم من كل صوب، ومتهياة أيضاً لقطع الشريان النابض للمسلمين، فلقد عجنّت بتعصب محاكم التفتيش المدنية الماكرة، والإلحاد النابع من الفكر المادي. فأوروبا تحتال غروراً بانتصار مدنيّتها على الآخرين.

ألا يُشاهد الإنكليز الذين تقنّعوا بقناع الحرية، يمدّون أيدهم إلى كل جهة ويتحرون عن نصراني، فأينما وجدوه بعثوا فيه الحياة.. فها هي الحبشة والسودان... وها هي الطيار والأرتوش وها هي لبنان وحوران.. وها هي ماسور وألبانيا.. وها هم الكرد والأرمن.. والترك والروم.. الخ.

حاصل الكلام: إن الذي ينفث فيهم الحياة هو الأمل.. والذي يقتلنا هو اليأس. وقد اشتهر أحدهم بقوله: «أستطيع أن أحرّك الكرة الأرضية من مكانها إذا وجدتُ نقطة استناد»، ففي هذا القول المفترض نقطة عجيبة، هي: أن هذا الإنسان الصغير جداً ما وجد نقطة استناد يستطيع أن يدير أعظم الأشياء كالكرة الأرضية.

فيا أهل الإسلام!

إن نقطة استنادنا تجاه المصائب والدواهي، التي ألقت بثقلها العظيم، عظم الأرض، على العالم الإسلامي، هي الإسلام الذي يأمر بالاتحاد النابع من المحبة، وبامتزاج الأفكار الناشئ من المعرفة، وبالتعاون الذي تولده الأخوة.

فانظر بدءاً من العالم الإسلامي، تلك الدائرة الواسعة، وانتهاء إلى طالب علم في المدرسة الشرعية كأصغر دائرة... تجد أن لكل منها عقداً حياتية، وتلك العقد مرتبطة ببعضها متسلسلة ومستندة إلى تلك النقطة العظمى، كأفراد المجتمع وروابطه.. بمعنى أنه يمكن أن يصحو المسلمون ويبدأوا بالرقى متى ما نُبِّهوا وبُثَّ فيهم روحُ النماء، فلا صحوة بخنق تلك العقد الحياتية.

ولاً فإن قيام أحد بالموازنة والمقارنة بين محاسن أوروبا ومساوئها، وثمرّة تلاحق الأفكار لديهم مع ثمرّة سعي شخص واحد عندنا^(١)... فكما أنه يبين بهذه المقارنة الظالمة

(١) إن إسناد محاسن المدنية إلى النصرانية التي لا فضل لها فيها، وإلصاق التدني والتقهقر بالإسلام الذي هو عدوّ له، دليل على دوران المقدرات بخلاف دورتها، وعلى قلب الأوضاع. (المؤلف).

المجحفة الخادعة أنه لقيط أوروبا لإظهار افتتانه بها ونفوره من أمته، فإنه أيضاً بالهجاء النابع من الخداع والفكر الثوري والميل إلى التخريب، والمشحون بالعصيان والافتراء والتعرض للشرف، يُظهر فرعونيته والثناء على نفسه والتربيت على غروره ضمناً، مبدياً دون علم منه عداؤه للإسلام. علماً أنه المكلف بالشعور بالشفقة على أمته شرعاً وعقلاً وحكمة، إلا أنه بحكم الفرعونية والأنانية والغرور يضع الشعور بالتحقير بدلاً من الشعور بالشفقة، والميل إلى النفور من الأمة بدلاً من ميل الانجذاب إليها، وإرادة الاستخفاف بها بدلاً من محبتها، ويصمّمها بالجهل بدلاً من احترامها، ويرغب في التكبر عليها بدلاً من الرحمة بها، ويقيم روح الانفرادية بدلاً من روح التضحية والفداء لها... فيثبت بهذا كله أنه لا يملك حميةً للأمة وأنه مبتوت الأصالة، فيكون جانياً منفوراً منه في نظر الحقيقة بحيث يتصرف تصرف الأحمق الأبله، كمن يحاول إلباس عالم فاضل في المسجد ملابس أعجبته لراقصة ساقطة في باريس.

ذلك لأن الحمية هي نتيجة ضرورية للمحبة والاحترام والرحمة، فلا حمية بدون هذه الأمور، وإلا فهي حمية كاذبة وخادعة. والنفور من الأمة خلاف الحمية أيضاً، فقساوسة أوربا الذين يشنون هجومهم على المتعصبين عندنا، كل منهم أكثر تعصباً وتزمتاً في مسلكتهم السقيم؛ فلو مدح عالم ديني الشيخ الكيلاني بإفراطٍ كمدح أولئك لشكسبير لكُفّر.

هيهات، أين المحبة من هؤلاء؟

إن إحدى العقد الحياتية المحرّكة للمجتمع والدافعة إلى الفعالية، هو الفكر الأدبي. الذي بدأ فينا وحده بالنمو - مع الأسف - ولا سيما أدب الهجاء ورغبة تحقير الآخرين. والذي ينطوي على الإعجاب بالنفس والغلو في الوصف في أسلوب شعري وبما لا يليق بالأدب. فهو أدب خارج عن الأدب الحقيقي الذي تؤدّبنا به الآية الكريمة ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ (الحجرات: ١٢) بحيث يهاجم كل الآخر. ومع ردّ تعرضات ضمنية للأمة وللإسلام بوجه أولئك القسس، نمر مرّ الكرام على هجائهم اللاديني وإهانة الآخرين، فنمضي قائلين: ربما يستحقون ذلك.

إنني أظن أن الباعث على ذل هذه الأمة أكثر من الجهل هو الذكاء الأبرّ العقيم غير المرافق لنور القلب. وفي نظري أن أخطر مرض هو الانحياز المتطرف، لأنه يدفع إلى خلاف المقصود، بإخراج كل شيء عن طوره.

أيها الأخ!

لقد بدأت عندنا تباشير أسباب فتية، قوية، بدلاً من تلك الأسباب الهرمة التي ولدت تقدم النصرانية.

وقد فصلت ذلك في كتاب آخر.^(١)

حكاية:

قبل عشر سنوات (المقصود سنة ١٩١٠م) ذهبتُ إلى «تفليس» وصعدتُ تل الشيخ صنعان، كنت أتأمل تلك الأرجاء وأراقبها. فاقترب مني أحد رجال البوليس فقال:

بم تنعم النظر؟

قلت: أخطط لمدرستي!

قال: من أين أنت؟

قلت: من بتليس

قال: وهنا تفليس!

قلت: بتليس وتفليس شقيقتان

قال: ماذا تعني؟

قلت: لقد بدأ ظهور ثلاثة أنوار متتابعة في آسيا، في العالم الإسلامي، وستنقشع عندكم ثلاث ظلمات بعضها فوق بعض، سيمزق هذا الستار المستبد ويتقلص، وعندها آتي إلى هنا وأنشئ مدرستي.

قال: هيهات! إنني أحرار من فرط أملك؟

(١) المقصود الخطبة الشامية.

قلت: وأنا أحرار من عقلك! أيمن أن تتوقع دوام هذا الشتاء؟ إن لكل شتاء ربيعاً ولكل ليل نهراً.

قال: لقد تفرق المسلمون شذر مذر.

قلت: ذهبوا لكسب العلم، فما هو الهندي الذي هو ابن الإسلام الكفاء يدرس في إعدادية الإنكليز.

وما هو المصري الذي هو ابن الإسلام الذكي يتلقى الدرس في المدرسة الإدارية السياسية للإنكليز..

وما هو القفقاس والتركتاني اللذان هما ابنا الإسلام الشجاعان يتدربان في المدرسة الحربية للروس.. الخ.

فيا هذا! إن هؤلاء الأبناء البررة النبلاء، بعد ما ينالون شهاداتهم، سيتولى كل منهم قارة من القارات، ويرفعون لواء أبيهم العادل، الإسلام العظيم، خفاقاً ليرفرف في آفاق الكمالات، معلنين سر الحكمة الأزلية المقدرة في بني البشر رغم كل شيء.

وهذا هو نصف حكايتي.

مثال:

والآن سأمثل للحالة الروحية التي تدفع إلى القول: «نفسى نفسى.. ماذا عليّ». بالآتي:

يتقابل شخصان وتبدأ المناظرة والمفاخرة بينهما، أحدهما جسور ولكن عضت النواذب^(١) عشيرته الأصيلية. والآخر جبان، لكنه ينتمي إلى عشيرة أخرى تبسمت لها الأقدار. فالأول يرفع رأسه ويرى ذلّ عشيرته لا تستطيع عزة نفسه تحمّل الذل، فيخفض رأسه وينظر إلى نفسه، فيراها محملة إلى حدٍّ ما بالعزة. وعندها يبدأ غروره المجروح بالأنانية بالصراخ قائلاً: وماذا عليّ.. ها أنذا! وهامي أفعالي أنا.. فينسحب من تلك العشيرة أو ينتسب إلى أخرى مُظهِراً عدم أصالته.

أما الثاني فكلما رفع رأسه سطعت أمام ناظره مفاخر عشيرته فينتفخ غروره. ولكن

(١) بمعنى أن «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» ليس مجازاً. (المؤلف).

ما إن ينظر إلى نفسه يراها واهية، وعندها يتيقظ روح التضحية والفداء في الشعور القومي، فيقول: فداك نفسي يا عشيرتي!

فإذا فهمتَ الرمز الكامن في هذا المثال، فإن في ميدان العالم هذا، ميدانُ الامتحان والمجاهدة والسباق، إذا تظاهرت مشاعر كل مسلم ونصراني، وكردى ورومي، في أثناء المبارزة في الحِمِيَّة، تجد سر المثال. ولكن هذا التفاوت ليس كما يظنه الناس وربما هو ناتج من النظر الظاهري والسطحي وغلط الحس.

أيها المسلم!

إياك أن تنخدع. فلا تخفض رأسك! فإن قطعةَ ألماسٍ نادرة مهما كانت صِدْقَةً أفضلُ من قطعة زجاج لامعة دوماً. فضعفُ الإسلام الظاهري ناشئ من خدمة هذه المدنية الحاضرة في سبيل دين آخر.

آن الأوان إذن أن تبدل هذه المدنية صورَتها، فإذا ما بدَّلَتها فالقضية تنعكس.

فكما قيل في البداية أينما كان المسلم فهو البدوي بالنسبة للنصراني، مستنكف عن المدنية لا يكثرث بها ويتحرج في قبولها، فإذا ما بُدِّلَت الصورة فالوضع يتبدل.. وكل آت قريب.

و ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (الشرح: ٦)

سعيد النورسي

المنظر

وصفة طبية

لقارة شاسعة عظيمة الجانب... رديئة الطالع

ولدولة مشهورة عريقة المجد... سيئة الحظ

ولأمة عزيزة جليلة القدر... بلا رائد

تأليف

بديع الزمان سعيد النورسي

ترجمة وتحقيق

إحسان قاسم الصالح



مقدمة المترجم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه.

وبعد: فقد أعلن السلطان عبد الحميد الثاني «المشروطية»^(١) في ٢٣/تموز/١٩٠٨م، وهي تعنى تأسيس النظام البرلماني في الدولة العثمانية التي أصبحت بموجبها الوزارة مسؤولة تجاه البرلمان وليس تجاه السلطان، كما أن صلاحية تشريع القوانين غدت من اختصاص البرلمان، وأطلقت على أثرها حرية العمل السياسي وحرية الصحافة وغيرها..

كانت وجهات نظر الناس عامة والمتقنين خاصة متباينة حول «المشروطية»، إذ بدأت الفئات المختلفة تفسّر «الحرية» بالشكل الذي يروق لها، فبينما اندفعت فئة في تأييد المشروطية ومناصرتها بشدة بغية جرّها لأغراض سياسية واجتماعية وصولاً إلى مآرهم في تقويض الدولة العثمانية، إذاً بآخرين يتوجسون خيفةً من هذا الانقلاب الذي حدث في نظام الدولة، وفي الوقت نفسه وقف آخرون مبهورين لا يتقدمون خطوة ولا يتأخرون، بينما صفق لها غيرهم من المفتونين بحضارة أوروبا المبهورين ببريقها.. وهكذا اختلفت الآراء..

أما بديع الزمان سعيد النورسي فقد سلك مسلك الاعتدال، مسترشداً بالنهج الإسلامي السالم من التعصب الذميم الذي يعيق كل تجديد، والمبرراً عن اللهات وراء الغرب وتقليده تقليداً أعمى. فناصر مفهوم «الحرية» و«الشورى» ضمن ما هو واضح في الإسلام، ودافع عن «المشروطية» المحددة بحدود الشرع، فكتب مقالات عديدة في الصحف المحلية آنذاك، وألقى كثيراً من الخطب في الاجتماعات التي عقدت في الميادين العامة والجوامع، مبيّناً مفهوم الحرية والشورى في ضوء الإسلام، ومحدّراً من التعصب المقيت والتقليد المشين، إذ شعر بمحاولات خبيثة تعمل في الخفاء لاستغلال «المشروطية» وتوجيهها لمصلحة مغرضين مناهضين

(١) المشروطية: وهي إعلان النظام البرلماني في الدولة العثمانية، وقد أعلن السلطان عبد الحميد المشروطية مرتين، مرة عند بداية حكمه وهي المشروطية الأولى في ١٩ مارس ١٨٧٧م. ثم حمدها بعد هزيمة الدولة العثمانية في حربها مع روسيا، وبعد أن رأى أن أعداء الدولة العثمانية قد استغلوا البرلمان لتمزيقها وجرّها إلى الدمار. ثم عاد بعد أكثر من ثلاثين سنة إلى إعلانها مرة أخرى وهي المشروطية الثانية، واستمرت حتى معاهدة مونديروس في ٣٠/١٠/١٩١٨م.

للإسلام. وحينما كان يبذل وسعه في هذا الميدان لم ينسَ السياسيين والمفكرين والصحفيين، فأجرى معهم لقاءات عديدة ناصحاً ومرشداً وموضحاً المنهج الإسلامي الصحيح الذي فيه خير البلاد وصلاح العباد. ولما أدرك أنه أفرغ جهده في مركز الخلافة (إسطنبول) توجه إلى شرقي الأناضول سنة ١٩١٠م وبدأ بجولة واسعة بين مختلف العشائر الكردية والتركية، وعقد معهم اجتماعات وندوات يُجري فيها مناقشات حول أمور اجتماعية وسياسية، وبين لهم صلاحية «المشروطة» بالمفهوم الإسلامي. واختار معهم أسلوب الحوار السهل المستساغ والقريب إلى الأذهان، على الرغم من أنه قد أورد جملاً أشبه ما يكون بالشفرات، ولقّع قسماً من العبارات بالتشبيهات والمجازات، ووجه الخطاب أحياناً إلى الأجيال المقبلة.

كان جلّ اهتمامه منصباً في تحطيم قيود اليأس وكسر أغلال القنوط التي كبّلت الناس، وكان يحاول جهده أن يُشعل بصيص الأمل وبريق الرجاء في نفوسهم. فضلاً عن وضعه لهم موازين شرعية ومنطقية لوزن الأحداث المستحدثة، بعقلية متوازنة إيمانية هادئة، بعيدة قدر الإمكان عن الانفعالات وردود الفعل.

دوّن الأستاذ النورسي هذه المحاورات بالتركية في رسالة طبعها في مطبعة «أبو الضياء» بإسطنبول سنة ١٩١٣م، ونشرها تحت اسم «بديع الزمانك مناظراتي» (مناظرات بديع الزمان) ثم ترجمها إلى العربية بنفسه ونشرها تحت عنوان «رجة العوام» أي الوصفة الطبية للعوام. وجاءت هذه الترجمة مبهمة مغلفة العبارات، فاضطر الأستاذ أن يكتب في مقدمتها «معدرة طويلة الأذيال» جاء فيها قوله:

«إن هذه الرسالة العربية ترجمتها من التركية، التي ترجمتها من الكردية، التي ارتجلتها لأسئلة الأكراد القرويين. فالمرجّم من المترجم من المرجّل، من أمي (يقصد نفسه) لقرويين، لا يتملّس ولا يخلص من خشونة في المعنى واللفظ».

ولم تتح للأستاذ النورسي أن يعيد النظر في رسالته هذه إلا بعد خمس وأربعين سنة من تأليفها، إذ عصفت أعاصير مدمرة بالأمة الإسلامية عامة والتركية خاصة بعد دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى ودخول الأجانب في البلاد ثم الحروب الدامية في طردهم منها، حتى انتهى الأمر إلى إعلان الجمهورية وإلغاء الخلافة، وأعقب ذلك عداءً سافراً للدين،

دام طوال ربع قرن من الزمان بل أكثر. وعانى الأستاذ النورسي في تلك الأيام الحالكة أشد الظلم والعنت، إذ ما كان يَحِلُّ في منفى آلا ويُنفى إلى غيره، ولا يبرأ من محكمة إلّا ويدخل أخرى، وهكذا إلى ما بعد سنة ١٩٥٠م حيث تمكن من إعادة النظر في الرسالة، فشذّبها وعلّق عليها بهوامش وحذف ما يقرب من ثلثها من بداية الرسالة وما كان قاصراً على فترة معينة، أو ما يمكن أن يُساء فهمه. وعندما أريد نشرها في سنة ١٩٥٩ أعاد المؤلف فيها النظر بدقة وأجرى بعض التنقيحات والتعديلات من حذف وإضافة، ونحن بدورنا قمنا بترجمة هذه الطبعة المنقحة.

هذا وقد كتب الأستاذ النورسي إلى طلابه رسالة خاصة بعثها لهم من منفاه «قسطنطيني» يبين فيها رأيه في مؤلفات «سعيد القديم» عامة وفي هذه الرسالة خاصة، ثم أعقبها برسالة أخرى بعثها لهم من منفاه «أميرداغ». كلتا الرسالتين ذات أهمية في فهم مضامين مؤلفات سعيد القديم، وقد ألحقنا رسالة قسطنطيني بهذه المقدمة ونحيل القارئ الكريم إلى «الملاحق» للاطلاع على الرسالة الأخرى قبل مطالعته مؤلفات سعيد القديم الاجتماعية.

أما عملي في الترجمة والتحقيق، فقد اقتصر على الخطوات الآتية:

- ١- اعتبار النص التركي الموسوم بـ«Münazarat» المطبوع بدار سوزلر بإسطنبول طبعات عديدة جداً والذي أقره المؤلف نفسه هو الأساس .
- ٢- مقابلة هذا النص بالطبعة الأولى من الرسالة المطبوعة في سنة ١٩١٣م في مطبعة «أبو الضياء» بإسطنبول.
- ٣- مقابلته أيضاً بالترجمة العربية التي قام بها المؤلف نفسه، وهي المنشورة ضمن كتاب «الصيقل الإسلامي» المطبوع بمطبعة النور بأنقرة سنة ١٩٥٨م.
- ٤- مقابلته أيضاً بنسخة الترجمة العربية المحفوظة في المكتبة الوطنية بإزمير تحت رقم ٢٠/٢٨٨/٢٢٦٢ دون ذكر اسم المطبعة وسنة الطبع.
- ٥- الاحتفاظ بالعبارات والفقرات العربية الواردة في النص التركي كما هي ووضعها بين قوسين مركنين []. فكل ما بين هذين القوسين هو من عبارات المؤلف نفسه.

٦- كتابة هوامشٍ لشرح ما كان معروفاً آنذاك ويحتاج إليه القارئ اليوم، سواء من الأحداث التاريخية أو مواقع جغرافية أو تعابير سياسية.

٧- ثم عزوت الآيات الكريمة التي فيها إلى مواضعها من السور، وكذا خرّجت الأحاديث الشريفة من مظانها من أمهات كتب الحديث الموثوقة.

والله نسأل أن يوفقنا إلى حسن القصد وصحة الفهم وصواب القول وسداد العمل. وصلّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

إحسان قاسم الصالحي

رأي المؤلف في مؤلفاته القديمة

نص الرسالة التي بعثها الأستاذ النورسي لطلابه من منفاه (قسطنطيني) يبيّن فيها رأيه في الأسباب الموجبة لتنقيحه «المناظرات» وعدوله عن شيء مما ذكره فيها من آراء:

لقد ألقىتُ نظرة إلى رسالة «المناظرات»، وذلك بعد مرور خمس وثلاثين سنة على تأليفها فرأيت فيها وفي أمثالها من مؤلفات «سعيد القديم» أخطاءً وهفوات؛ إذ ألّف تلك الآثار في حالة روحية ولدها الانقلاب السياسي^(١) وأنشأتها مؤثرات خارجية وعوامل محيطة به.

إنني أستغفر الله بكل حولي وقوتي من تلك التقصيرات راجياً من رحمته تعالى أن يغفر تلك الخطايا التي ارتكبتها بنية حسنة وبقصد جميل، لدفع اليأس المخيم على المؤمنين.

إن أساسين مهمين يهيمنان على آثار «سعيد القديم» -كهذه الرسالة -، والأساسان ذوا حقيقة، ولكن كما تحتاج كشفيات الأولياء إلى تأويل، والرؤى الصادقة إلى تعبير، فإن ما أحس به «سعيد القديم» بإحساس مسبق (أي قبل وقوع الأمر) بحاجة كذلك إلى تعبير، بل إلى تعبير دقيق، إلّا أن إخباره عما توقع حدوثه وبيانه تلكما الحقيقتين بلا تأويل ولا تعبير، أدّى إلى ظهور شيء من النقص والقصور وخلاف الواقع فيما أخبر عنه.

الأساس الأول: هو ما زفّه من بشرى سارة للمؤمنين بظهور نورٍ في المستقبل، زَفّ هذه

(١) المقصود إعلان المشروطة.

البشرى ليزيل بها بأسهم ويرفع عنهم القنوط، فلقد أحسّ بإحساس مسبق أن «رسائل النور» ستنقذ إيمان كثير من المؤمنين، وستشد أزهرهم في زمان عصيب عاصف. إلا أنه نظر إلى هذا النور، من خلال الأحداث السياسية التي واكبت الانقلاب وحاول تطبيق ما رآه من نور على واقع الحال من دون تعبير ولا تأويل، فوقع في ظنه أن ذلك النور سيظهر في عالم السياسة وفي مجال القوة وفي ميدان فسيح... فقد أحسّ إحساساً صادقاً إلا أنه لم يوفق في التعبير عن بُشراه توفيقاً كاملاً.

الأساس الثاني: لقد أحس «سعيد القديم» ما أحسّ به عدد من دهاة السياسة وفطاحل الأدباء؛ بأن استبداداً مريعاً مقبلاً على الأمة، فتصدوا له، ولكن هذا الإحساس المسبق كان بحاجة إلى تأويل وتعبير، إذ هاجموا ما رأوه من ظل ضعيف^(١) لاستبدادات تأتي بعد مدة مديدة وألقت في نفوسهم الرعب، فحسبوا ظل استبداد - ليس له إلا الاسم - استبداداً أصيلاً، فهاجموا. فالغاية صحيحة إلا أن الهدف خطأ.

وهكذا فلقد أحسّ «سعيد القديم» أيضاً بمثل هذا الاستبداد المخيف فيما مضى. وفي بعض آثاره توضيحات بالهجوم عليه، وكان يرى أن المشروطة الشرعية وسيلة نجاة من تلك الاستبدادات المريعة. لذا سعى في تأييدها بالحرية الشرعية والشورى ضمن نطاق أحكام القرآن، آملاً أن تدفع تلك المصيبة.

نعم، لقد أظهر الزمان أن دولة تسمى داعية الحرية، قد كبّلت بثلاثمائة من موظفيها المستبدين ثلاثمائة مليون من الهنود، منذ ثلاثمائة سنة، وسيطرت عليهم كأنهم ثلاثمائة رجل لا غير، حتى لم تتركهم يحركون ساكناً، ونفذت قانونها الجائر عليهم بأقسى صورة من صور الظلم، آخذة آلاف الأبرياء بجريرة مجرم واحد. وأعطت لقانونها الجائر هذا اسم العدالة والانضباط. فخدعت العالم ودفعته إلى نار الظلم. هذه الدولة غدت مقتدى ذلك الاستبداد القادم في المستقبل.

وفي رسالة «المناظرات» هوامش قصيرة، وملاحظات وردت على صورة طُرف ولطائف، فهي من قبيل الملاطفة مع قسم من طلابه الظرفاء في تأليفه القديم ذاك، إذ قد وُضّح لهم الأمور بأسلوب الدرس والإرشاد.

(١) المقصود: أن الاستبداد الذي كان يمارس في عهد السلطان عبد الحميد يعدّ ظلّاً ضعيفاً للاستبدادات التي حصلت بعد عهده وبعد سقوط الخلافة.

ثم إن زبدة هذه الرسالة (المنظرات) وروحها وأساسها، هي ما في خاتمتها من حقيقة إقامة «مدرسة الزهراء»، وما هي إلا المهدي الذي سيشهد ظهور «رسائل النور» في المستقبل. فكان يُساق إلى تأسيسها دون إرادة منه، ويتحرى -بحس مسبق- عن تلك الحقيقة النورانية في صورة مادية حتى بدت جهتها المادية أيضاً، إذ منح السلطان رشاد تسع عشرة ألف ليرة ذهبية لتأسيس تلك المدرسة، وأرسيت قواعدها فعلاً، إلا أن اندلاع الحرب العالمية الأولى حال دون إكمال المشروع.

ثم بعد حوالي ست سنوات ذهبْتُ إلى أنقرة، وسعيت في إنجاز تلك الحقيقة، وفعلاً وافق مائة وثلاثة وستون نائباً في مجلس الأمة من بين مائتي عضو على تخصيص خمسة عشر ألف ليرة ورقية لبناء مدرستنا، ولكن يا للأسف -ألف ألف مرة- سُدَّت جميع المدارس الدينية، ولم أستطع أن أنسجم معهم فتأخر المشروع أيضاً.

بيد أن المولى القدير أسس برحمته الواسعة الخصائص المعنوية لتلك المدرسة وهويتها في «إسبارطة» فأظهر «رسائل النور» للوجود. وسيوفق -إن شاء الله- طلابُ النور إلى تأسيس الجهة المادية لتلك الحقيقة أيضاً.

إن سعيداً القديم على الرغم من معارضته الشديدة لمنظمة «الاتحاد والترقي»^(١) فإنه مال إلى حكومتها ولا سيما إلى الجيش، حيث وقف منهم موقف تقدير وإعجاب والتزام وطاعة. وما ذاك إلا بما كان يحس به من إحساس مسبق من أن تلك الجماعات العسكرية والجمعية المالية سيظهر منهم بعد سبع سنوات مليون من الشهداء الذين هم بمرتبة الأولياء. فمال إليهم طوال أربع سنوات دون اختيار منه، وبما يخالف مشربه. ولكن بحلول الحرب العالمية وخضها لهم أفرز الدهن المبارك من اللبن، فتحول إلى مخيض لا قيمة له. فعاد «سعيد الجديد» إلى الاستمرار في جهاده وخالف سعيداً القديم.

(١) جمعية الاتحاد والترقي: وهي جمعية تشكلت سنة ١٨٨٨م، كان شعارها «الاتحاد، المساواة، والأخوة» نادى بعزل السلطان عبد الحميد وإقامة حياة برلمانية في البلاد. اتصل بعض أعضائها بالمحافل الماسونية وبالذول الأجنبية، ونجحت أخيراً في عزل السلطان. وعندما وصلت إلى الحكم أسست حكماً دكتاتورياً قاسياً، ثم ورطت الدولة العثمانية في أتون الحرب العالمية الأولى (بجانب ألمانيا) وبعد أن تمزقت أوصال الدولة العثمانية هرب زعمائها إلى الخارج.

[قسم من أجوبة «سعيد القديم» عن أسئلة
طرحتها العشائر قبل خمس وأربعين سنة].^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

س: إن لم يكن على الدين ضرر، فليكن ما يكون ولا نبالي.

ج: الإسلام كالشمس لا ينطفئ سناها بالنفخ، وكانهار لا يحال ليلاً بإغماض العين.
ومن يغمض عينه فلا يجعل الظلمة إلّا من نصيبه.

تُرى لو قوّضت حماية الدين إلى رئيس مغلوب على أمره، أو إلى مسؤولين مدهنين،
أو إلى فئة من ضباط لا منطق لهم، أيكون أولى، أم يُعتمد على العمود النوراني، ذلك السيف
الأماسي، الحاصل من امتزاج شرارات حمية الإسلام النيرة، ولمعات الأنوار الإلهية التي
تشع من عاطفة الإيمان في قلب كل فرد، والتي هي معدن المشاعر الإسلامية الممدّة لأفكار
الأمة العامة؟

فلكم أن تقدّروا أيهما أولى بالاعتماد عليه في حماية الدين؟

نعم، سيرفع هذا العمود النوراني^(٢) حماية الدين على رأس شهامته، وعلى عين مراقبته
وعلى كاهل حميته. فها أنتم أولاء تشاهدون أن اللمعات المتفرقة بدأت تتلأأ، وستمتزج وريداً
وريداً بالانجذاب؛ لأنه قد تقرّر في «فن الحكمة» (أي الفلسفة) أن الشعور الديني ولاسيما
الدين الفطري الحق، أنفدُ كلاماً، وأعلى حُكماً، وأشد تأثيراً من كل الأحاسيس والمشاعر.

وخلاصة القول: مَنْ لم يعتمد على غيره يحاول هو بنفسه. وسأضرب لكم مثلاً: أنتم
من البدو، رأس مالكم الغنم - وأنتم أعلم بأموركم - فقد عهد كل منكم قسماً من أغنامه

(١) المقصود سنة ١٩١٠م حيث تحوّل الأستاذ النورسي بين العشائر التركية والكردية في شرقي الأناضول وطبع الكتاب
لأول مرة في إسطنبول سنة ١٩١٣م.

(٢) فلقد أحسّ برسائل النور حتى أجاب عن السؤال بثلاث صفحات. ولكن حُجّب السياسة صيغته بلون آخر.
(المؤلف).

إلى راعٍ، بينما الراعي كسلان ومُعاونه متهاون متكاسل وكلابه جبانة، فإن اعتمدتم عليه ونتمتم براحة في بيوتكم، ظلت أغنامكم الوادعة تحت سطوة الذئاب الضارية واللصوص والمصائب والبلايا.. أهذا الأمر أولى أم التفطن إلى عدم كفاءة الراعي لحمايتها، فينطلق كلٌّ منكم من مسكنه كالبطل متنبهاً من نوم الغفلة، ساعياً إلى الحفاظ على الأغنام، فتكونوا ألفاً من الحماة المحافظين بدلاً من راعٍ واحد... فلا يجروُ عندئذٍ ذئبٌ ولا سارق على الاقتراب من غنمكم؟... أما جعلَ هذا السرُّ أشقياءَ «مامه خوران»^(١) تائبين، بل مريدين صوفيين؟... نعم، إن أرواحهم قد تافت إلى البكاء وصار شخصٌ^(٢) بنصيحةٍ سبباً لاستجاشتها، فبكوا دمعاً سخيناً بكاء الندامة..

نعم... نعم... أجل.. أجل! لو سكن طنينُ البعوض وهدأ دويُّ النحل فلا تأسوا ولا تخزنوا ولا تخمدُ أشواقكم أبداً، فالموسيقى الإلهية العظيمة التي تجعل بنغماتها الكونَ في رقصٍ وانتشاء، وتهز بأشجانها أسرارَ الحقائق، لم تسكن أبداً ولم تهدأ... بل تستمر قوية عالية هادرة.

إن مَلِكَ الملوك وسلطانَ السلاطين ملك الأزل وسلطان الأبد ينادي بقرآنه الكريم الذي هو موسيقاه الإلهية، مائلاً الكونَ كله صوتاً صداداً هادراً في قبة السماء فانعطفت النغمات المقدسة لذلك النداء السامي متموجة نحو أصداف رؤوس العلماء ومغارات قلوب الأولياء وكهوف أفواه الخطباء وانعكست أصديتها من ألسنتهم سيالاً، سيارة منوعة، مختلفة... هزت الدنيا بشدة موجاتها، فطَبَعَتْ بتجسّمها كتب الإسلام كلها وصيرتها كأنها وَثَرٌ من طنبور، وشريط من آلَةٍ قانون فأعلن كلُّ وترٍ نوعاً من ذلك الصدى الساوي الروحاني... فمن لم يسمع -أو لم يستمع- بأذن قلبه ذلك الصدى الذي ملأ العالم ضياءً، أتى له أن يصغيَ إلى طنين أمير الدولة ورجاله!

الحاصل: أن مَنْ يتوجس خيفة على دينه من انقلاب سياسي فليس له نصيب من الدين إلّا «الجهل» -الواهي كبيت العنكبوت- الذي يدفعه إلى الخوف، وليس له إلّا «التقليد» الذي يرميه في أحضان الاضطراب والارتباك... لأنه لما ظن -بالعجز وبفقدان الثقة بالنفس- أن

(١) عشيرة ساكنة شرقي الأناضول حوالي مدن «باتنوس، أرجش»..

(٢) هو الشيخ أحمد، أحد الأولياء الصالحين المعروفين في تلك المنطقة، وسيأتي ذكره.

سعادته ليس إلا في جيب الحكومة، تصوّر أن قلبه وعقله كذلك هما في كيس الحكومة. فلا جرم أن يملأه الخوف.

س: لا يقول بعضهم مثلما تقول، بل يقولون: لابد أن يجيء «السيد المهدي» لان الدنيا قد اضطربت وتشوشت لاحتكاكها وهرمها، والإسلام قد اهتز كيانه بانتعاش المنافع الشخصية وتنفس الأغراض الدنيوية.

ج: لو استعجل السيد المهدي، وأتى، فعلى العين والرأس، فليأت حالاً، فقد آن وأوانه، فلقد تهيأ وتمهّد له وضعٌ ملائم حسن، فليس فاسداً كما تظنون، فالأزهار اليناعة تزدهر في الربيع، ومن شأن الرحمة الإلهية لهذه الأمة أن يجد ذلّها نهايتها... ومع هذا فمن قال: ساء الزمان كلياً وفسد علينا، مُبدياً ميلاً إلى العهد السابق، فإنه يُسند -من حيث لا يشعر- سيئات العهد السابق الناشئة من مخالفة الإسلام إلى الإسلام نفسه، كما هو ظن قسم من الأجانب.

س: من هم أولاء المشوّشون على الأفكار ولا يقدرّون «الحرية» و«المشروطة» حق قدرهما؟

ج: جمعية تشكلت برئاسة «الجهل آغا» و«العناد أفندي»، و«الغرض بك»، و«الانتقام باشا» و«التقليد حضر تلى» و«مسيو الثرثرة»، وهي جمعية من الناس تُشوّه «الشورى» التي هي منبع سعادتنا وتُكذّرنا... فالمتسبون إليها -في البشرية- هم الذين لا يضحون بدرهم واحد من حسابهم أعظم مصلحة من مصالح الأمة ومنافعها... والذين يرون نفعهم في إضرار الناس، وبدانتهم في هزال الآخرين... والذين يفسّرون الأمور دون محاكمة عقلية عادلة فيطلقون المعاني جزافاً... فبينما ترى أحدهم لا يكبح جماح نفسه للثأر ولا يضحى بغرضه الشخصي، إذا به يدّعي بغرور استعدادَه لِفداء روحه للأمة... وهم أولاء الذين يحملون أفكاراً غير معقولة أمثال تكوين الإمارات (البكلك) أو الحكم الذاتي (المختارية) -التي هي مقدمة طوائف الملوك-، أو الجمهورية بمفهوم الاستبداد المطلق... وهم أولاء الذين تعرضوا للظلم فامتلات قلوبهم غيظاً ورغبة في الثأر حتى لم يستطيعوا أن يهضموا العفو العام والأمن العام وهما من أولى حسنات «الحرية» و«المشروطة»، فيثيرون الآخرين للإخلال بالأمن ويهيّجونهم للقيام بالاضطرابات كي يتشّفوا بإنزال العقوبة بهم، وتأديبهم.

س: لِمَ تَفْتَدِ جَمِيعَهُمْ وَتَعَدَّهُمْ فَاسِدِينَ، مَعَ أَنَّهُمْ يَدِينُونَ نَاصِحِينَ لَنَا؟

ج: أروني مفسداً يقول: أنا مفسد، وما هو إلا مفسد إلا أنه يترأى في صورة الحق، أو يرى الباطل حقاً. نعم، ما من أحد يقول: مخيضي حامض.. فلا تأخذوا شيئاً إلا بعد إمراره على المحك، لأن أقوالاً مغشوشة مزيفة قد كثرت في تجارة الأفكار.. حتى كلامي أنا لا تأخذه على علاته -بحسن ظنكم- لأنه صادر عني؛ فقد أكون مفسداً، أو أفسد من حيث لا أشعر، فعلى هذا تيقظوا! ولا تفتحوا الطريق إلى القلب لكل طارق. فليظل ما أقوله لكم في يد خيالكم، واعرضوه على المحك، فإن ظهر أنه ذَهَبٌ فأرسلوه إلى القلب، واحتفظوه هناك، وإن ظهر أنه نحاس، فاحملوا على عاتق ذلك الكلام المنحوس كثيراً من الغيبة وشيعوه بسوء الدعاء عليّ ورُدُّوه خائباً إليّ.

س: لِمَ تَسْئِ الظنَّ بِحُسْنِ ظَنِّنا؟ فالسلاطين والحكومات السابقة ما استطاعوا أن يصرفوك عن الحق ولم يستطع كذلك أعضاء «جون تورك»^(١) أن يكسبوك إلى صفوفهم، فلم تدهانهم، حتى ألقوك في السجن وكادوا يصلبوك، فما رضخت لهم ولا خنعت أمامهم بل برزت بطلاً شهماً برفضك ما وعدوك من مرتب ضخم... فأنت إذن بجانب الحق ولا تميل إلا إليه، ولا تقول ما تقول انحيازاً إليهم.

ج: نعم، إن الذي عرف الحق، لا يستبدله بشيء، لأن شأن الحق رفيع وسامٍ، ما ينبغي أن يُضْحَى به لأجل أي شيء كان، ولكني لا أقبل حسن ظنكم هذا، لأنكم قد تحسنون الظن بالمفسد أو المحتال. انظروا إلى دليل فكره ونتيجته.

س: كيف نعرف ذلك؟ ونحن جاهلون، نقلد العلماء أمثالكم؟

ج: إن لم تكونوا من أهل العلم، فإنكم من أهل العقل. بدليل أنني لو تقاسمتُ الزيب مع أحدكم فقد يغبنني بذكائه! فجهلُكم إذن ليس عذراً... اعلموا أن الأشجار المتشابهة تُميزها ثمراتها، لذا تَبَصَّرُوا في ثمرات أفكاري ونتائج أفكارهم، فقد تَلَأَلَتْ في أحدهما السلامة والطاعة، وتَسَتَّرَ في الآخر الاختلافُ والفساد. سأضرب لكم مثلاً آخر:

(١) مشتقة من العبارة الفرنسية «Jeunes Turces» أي تركيا الفتاة: يطلق هذا الاسم على الجماعات والأفراد المعارضين للحكم في الدولة العثمانية منذ عهد السلطان عبد العزيز وفيهم الشاعر نامق كمال وضياء باشا من يطالبون بالحرية. كانت مطالب هذه الجماعات والأفراد تلخص في إعلان الدستور وتأسيس حياة برلمانية. وتعد جمعية الاتحاد والترقي أقوى هذه الجماعات تأثيراً، إذ استطاعت -بالتعاون مع القوى الخارجية- إزاحة السلطان عبد الحميد من الحكم.

تصوّروا ناراً منيرة تترأى في هذه الصحراء، فأنا أبشركم بأنها نورٌ وليست ناراً، وحتى إن كانت فيها نار فليس إلّا طبقة عليها منها ضعيفة موروثة... فتعالوا إذن لنحط بها ونتحلق حولها ونتفرج عليها ونستضيء بها ونقتبس منها حتى تتلاشى طبقة النار ولنستفد منها. فإن كانت نوراً - كما قلت - فبه، فقد استفدنا، وإن كانت ناراً - كما قالوا - ما ضرّتنا، إذ لم نقتحمها. أما هم فيقولون: «أن النار محرقة» فإن كان نوراً أعمى قلوبهم وأبصارهم، لأن النور - الذي يظنونه ناراً - هو نور السعادة^(١)، فأينما أشرق لم يُطفأ ولو بصبّ ألوف القرب من دماء ملايين الناس، بل حاول بعض من فينا إطفاءه بضع مرات منذ ستين إلّا أنهم خابوا.

س: أنت قلت: إنه ليس بنار، ولكن كلامك يشير إلى ناريته...؟!

ج: نعم، النور نار للأشرار.

س: ما تقول لأهل الفضيلة من تلك الزمرة وهم أخيار...؟

ج: هناك كثير من الأخيار يسيئون وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

س: كيف يرد الشرُّ من الخير؟

ج: طلب المحال حماقة ووبال على صاحبه، لأن من كانت بغيته حكومة بريئة معصومة فطلبه محال اعتيادي، إذ لمّا لم يكن الشخص الواحد الآن معصوماً فكيف بالشخص المعنوي (الحكومة) الذي كلّ ذرة من ذراته مذنب؟ فمدار النظر إذن هو في ترجّح حسنات الحكومة على سيئاتها كمّاً أو نوعاً. وأنا أنظر إلى هؤلاء وأعدّهم فوضويين، لأنه لو عاش أحدهم - لا سامح الله - ألف سنة، ورأى الصور الممكنة للحكومات، لما ارتضى كذلك بإحداها، لما في خياله وحلمه من تصوّر للحكومة المعصومة، فيولد فيه هذا الحلم ميلّ التخريب فيمزق تلك الصور الممكنة.

لذا حتى الفاسدون - في نظرهم - من أعضاء «جون تورك» يعدّونهم زمرة ملعونة فوضوية مشاغبة، فمسلكتهم ليس إلّا الإخلال بالأمن والإفساد.

س: فلم لا يجوز أن تكون ضالتهم العهد السابق؟

(١) وهنا أيضاً قد أحسّ برسائل النور، ولكنه نظر إليها من تحت ستار السياسة فتبدل شكل الحقيقة (المؤلف).

ج: إني أبعث إلى سماعكم قانوناً قصير القامة طويل الهمة، يمكنكم حفظه، فشاوروه، وهو: «أن تلك الحال محال، فإما هذه الحال وإما الاضمحلال» فالحكومة مسلمة، والأمة التي تحكمها مسلمة، وأُس أساس سياستها أيضاً هو الدستور الآتي: أن دين الدولة الإسلام... فوظيفتنا إذن الحفاظ على هذا الأساس ووقايته، لأنه جوهر حياة أمتنا.

س: أستمّر الحكومة في خدمة الإسلام وتقوية الدين بعد الآن؟.

ج: بنخ وبكل سرور، نعم، فإن هدف الحكومة وإن كان مستتراً وبعيداً - باستثناء بعض الملحدّين الجهلة - هو حماية سلسلة الإسلام النورانية وتقوية رابطته التي تجعل ثلاثمئة مليون مسلم - بسرّ الأخوة الإيمانية - كياناً واحداً، إذ إنها هي وحدها «نقطة الاستناد» وهي وحدها «نقطة الاستمداد»... إن قطرات المطر ولمعات النور كلما بقيت متفرقة وظلّت متناثرة، جفّت بسرعة وانطفأت حالاً. فينادينا رب العزة سبحانه قائلاً: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران: ١٠٣) ﴿لَا تَفْنَوْا﴾ (الزمر: ٥٣) ليحول بيننا وبين الانطفاء والزوال..

نعم، إن نعماتِ ﴿لَا تَفْنَوْا﴾ وأصداءها تتجاوب من ست جهات: الضرورة، والانجذاب، والتمايل، والتجارب، والتجاوب، والتواتر... تجمع تلك القطرات واللمعات في مصافحة وعناق، وتطوي ما بينها من المسافة مولدةً حوضاً من ماء يبعث على الحياة وضياءً منوراً ينير العالم أجمع. ذلك لأن الدين جمال الكمال، وضياء السعادة، ونمو المشاعر، وسلامة الوجدان.^(١)

س: الآن نستفسر عن الحرية، فما هذه الحرية التي تتجاوزها التأويلات وتترأى فيها الرؤى العجيبة الغريبة؟!

ج: إن من عاش مع طيفها منذ عشرين سنة حتى تعقبها في الرؤى وترك كل شيء لحبها يستطيع الإجابة عنها فهو الخبير بوصفها.

س: لقد فسروا لنا «الحرية» تفسيراً خاطئاً سيئاً، وكأن الإنسان مهما فعل - في كنف الحرية - من سفاهات وردائل وفضائح لا يؤاخذ عليها مادام لم يضر بها الناس... هكذا أفهمونا الحرية، أهى كذلك؟!

(١) مهلاً، لها إشارات أشبه ما تكون بالشفرات. (المؤلف).

ج: إن الذين فسروها هكذا، ما أعلنوا إلا عن سفاهاتهم وردائهم على رؤوس الأشهاد، فهم يهذرون متذرعين بحجج واهية كالصبيان، لأن الحرية الحسنة ما هي إلا تلك المتأدبة بأداب الشريعة والمتزينة بفضائلها، وليست تلك التي في السفاهة والردائل. بل تلك حيوانية وبهيمية وتسلب شيطاني، ووقع في أسر النفس الأمارة بالسوء.

إن الحرية العامة هي المحصلة الناتجة من حريات الأفراد، ومن شأن الحرية عدم الإضرار سواء بالنفس أو بالآخرين.

[على أن كمال الحرية، أن لا يَتَفَرَّعَنَّ، وأن لا يستهزئ بحرية غيره، إن المراد حق لكن المجاهدة ليست في سبيلها]^(١)

س: كم رأينا من لا يفسر الحرية كما تفسرها أنت، مع أن أفعال أعضاء من «جون تورك» تخالفك في التفسير ويناقض قولهم قولك، إذ إن بعضهم يفطرون في رمضان ويشربون الخمر ويتركون الصلاة...

فهيئات أن يصدق مع الأمة من خان الله ولم يصدق في امثال أمره تعالى؟

ج: أجل، نعم، لكم الحق... ولكن الحمية شيء والعمل شيء آخر، وعندني أن القلب أو الوجدان الذي لم يتزين بالفضائل الإسلامية لا تُرجى منه الحمية الحققة والوفاء الصادق والعدالة الخالصة. ولكن لأن الصنعة غير الفضيلة، فقد يقوم الفاسق برعي الأغنام رعيًا جيدًا، وقد يصلح شارب الخمر ساعةً بإتقان حين لا يكون سكرانًا، ولكن وا أسفى على ندرة الذين جمعوا النورين معاً: نور القلب ونور الفكر، أو بعبارة أخرى الفضيلة والصنعة، فهم نادرون لا يكفون لملء الوظائف، فإذا إما الصلاح وإما المهارة... وإذا تعارضتا فالمهارة مرجحة في الصنعة.

واعلموا كذلك أن السفهاء التاركين للصلاة، ليسوا بـ«جون تورك» بل هم «شين الترك» أي فاسدون، فهم روافض «جون تورك» مثلما أن لكل شيء روافضه، فروافض «الحرية» هم السفهاء.

(١) لا تستعجل... الجملة تعني أن صاحب جريدة «الميزان» «مراد» هو محق ورئيس تحرير جريدة «طنين» «حسين جاهد» على خطأ. (المؤلف).

أيها الأتراك والأكراد! أنصفوا... هل يُرْفَضُ الحديث الشريف ويُنكَرُ إذا أَوَّلَهُ الرافضي تأويلاً فاسداً أو عمل بخلافه، أم يُخَطَأُ الرافضي حفاظاً على منزلة الحديث الشريف وكرامته؟.

ألا إن الحرية هي: أن يكون المرء مُطْلَقَ العنان في حركاته المشروعة، مصوناً من التعرض له، محفوظ الحقوق، ولا يتحكم بعض في بعض، ليتجلى فيه نهي الآية الكريمة: ﴿وَلَا يَتَّخِذْ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ (آل عمران: ٦٤) ولا يتأمر عليه غير قانون العدالة والتأدب، لئلا يُفْسِدَ حرية إخوانه.

س^(١): فما لنا إذن نحن معاشر البدو، نحن أحرار منذ القدم، فقد ولدت حريتنا توأماً معنا، فليفرح بها الآخرون من غيرنا، فالأمر لا يهمنّا.

ج: نعم، إن حب تلك الحرية والشغف بها هي التي جعلتكم تتحملون مشقات البداوة التي لا تطاق، وإن سلوككم المقعم بالقنعة هو الذي أغناكم عن محاسن المدنية البرّاقة، فزهّدتم فيها. ولكن أيها البدو! إن ما لديكم من الحرية هو نصفها، والنصف الآخر هو عدم المساس بحرية الآخرين. ثم إن الحرية الممزوجة بالبداوة وبالعيش الكفاف، توجد منها أيضاً في حيوانات الجبال والبراري القريبة منكم. وفي الواقع لو كانت هناك لذة وسلوان لهذه الحيوانات فهي في حريتها تلك...

ولكن أين أنتم من تلك الحرية الإنسانية الساطعة كالشمس وهي معشوقة كلّ روح، وصنو جوهر الإنسانية، وما هي إلّا التي تربعت على قصر سعادة المدنية وتزيّنت بحلل المعرفة وحُلِيّ الفضيلة والتربية الإسلامية.

س: لقد قيل في حق هذه الحرية التي تنني عليها:

[حُرِّيَّةٌ حَرِيَّةٌ بالنار، لأنها تختص بالكفار] فما تقول في هذا القول؟

ج: إن ذلك المسكين الشاعر قد ظن الحرية مسلك البلشفية ومذهب الإباحية. كلاً، بل الحرية بالنسبة للإنسان تولّد العبودية لله سبحانه، وقد رأيت كثيرين يهاجمون «السلطان عبد الحميد» أكثر من هجومهم على «الأحرار»^(٢).. وكانوا يقولون: إنه على خطأ لقبوله «الحرية»

(١) هذا سؤال البدو الرحل الساكنين في الخيم السوداء. (المؤلف).

(٢) الأحرار: هو حزب معارض لجمعية الاتحاد والترقي وذلك في الفترة القصيرة التي بدأت قبيل عزل السلطان عبد الحميد، حتى استنثار جمعية الاتحاد والترقي بالحكم.

و«القانون الأساس»^(١) قبل ثلاثين سنة» هكذا! فما ظنكم بقول قائل حَسِبَ الاستبداد الذي اضطر إليه السلطان عبد الحميد حريةً، وارتعد من القانون الأساس الذي هو اسم دون مسمى! فما قيمة قوله يا تُرى؟ هذا ولقد قال مجاهدٌ خدَمَ الإسلامَ عشرين سنة: [حريةٌ عطيةٌ الرحمن، إذ إنها خاصية الإيمان].^(٢)

س: كيف تكون الحرية خاصة الإيمان؟

ج: لأن الذي ينتسب إلى سلطان الكون برابطة الإيمان ويكون عبداً له تنتزه شفقتُهُ الإيمانية عن التجاوز على حرية الآخرين وحقوقهم، مثلما تترفع شهادتهُ الإيمانية وعزته عن التنازل بالتدلل للآخرين والانتقيا لسيطرتهم وإكراههم.

نعم، إن خادماً صادقاً مخلصاً للسلطان لا يتذلل لتحكمٍ راعٍ وسيطرته، كما يربأ بنفسه أن يفرض سيطرته على مسكين ضعيف. فبمقدار قوة الإيمان إذن تتألأ الحرية وتسطع. فدونكم خير القرون، العصر السعيد، عصر النبوة والصحابه الكرام.

س: هيهات! نحن عوام كيف نصير أحراراً تجاه الشخصيات الكبار أو الأولياء والصلحاء والعلماء العظام، أو ليس من حقهم أن يتحكموا فينا لمزاياهم، فكيف لا نكون أَسْرَاءَ فضائلهم؟

ج: إن شأن الولاية والمشيخة والعظمة: التواضع والتجرد، وهما من لوازم الفضيلة وخصائص الكمال ورفعة الشأن، لا التكبر والتحكم.. فمن تكبر فهو صبي متشيخ وطفل متكهل، فلا تعظموه..

س: لِمَ يكون التكبر علامة التصاغر؟

ج: لأن لكل شخص نافذة يشاهد فيها ويطل منها على المجتمع، تلك هي مرتبة الشهرة والكرامة. فإذا كانت تلك النافذة أرفع من قامة استعداده، يتناول بالتكبر، أما إذا كانت أخفض من قامة همته يتواضع بالتحدب ويتخفص كي يشهد في تلك المرتبة ويُشاهد.

(١) أي الدستور بالتعبير الشائع حالياً والذي يعين صلاحية الحاكم والحكومة والبرلمان، ويحدد الخطوط الرئيسية لسياسة الدولة وقوانينها.

(٢) تعريف جميل. (المؤلف).

س: حسناً جداً! لقد رضينا بأن الحرية حسنة جميلة، ولكن تبدو حرية الروم والأرمن شوهاء، وتسوقنا إلى التوجس وقلق البال، فما رأيك فيها؟

ج:

أولاً: إن حريتهم ألا يُظلموا، ولا يُخلّ براحتهم، وهذا أمر شرعي؛ أما ما زاد على هذا فهو تعدّ منهم تجاه طيشكم وسوء تصرفكم، أو استغلال لجهلكم.

ثانياً: لو كانت حريتهم -كما تظنونها- مضرّة بكم، فلسنا معاشر المسلمين بخاسرين، لأن الأرمن الذين هم بين ظهرانينا لا يبلغون ثلاثة ملايين، وغير المسلمين فينا أيضاً لا يبلغون عشرة ملايين، بينما ملتنا الإسلامية وإخواننا الحقيقيون الأبديون يزدون على ثلاثمائة مليون، إلّا أنهم مقيدون بثلاثة قيود رهيبة من قيود الاستبداد، فينسحقون تحت هذا الاستبداد المعنوي للأجانب.. وهكذا فحرية غير المسلمين -التي هي شعبة من حريتنا- إنها هي مقدمة وأتاوة لحرية أمتنا كافة.. وهي رافعةٌ ذلك الاستبداد المعنوي المرعب.^(١) وهي مفتاح لفك تلك القيود.. وهي رافعة للاستبداد المعنوي الرهيب الذي ألغاه الأجانب على كاهلنا. نعم، حرية العثمانيين كشافة لطالع آسيا العظيمة ومفتاح لحظ الإسلام وأساس لسور الاتحاد الإسلامي.

س: ما تلك القيود الثلاثة التي قيد الاستبداد المعنوي بها العالم الإسلامي؟

ج: إن استبداد حكومة روسيا -مثلاً- قيدٌ.. وتحكّم الشعب الروسي قيدٌ آخر، وتغلّب عاداتهم الكفرية الجائرة على العادات الإسلامية قيد ثالث.. والحكومة الإنكليزية، وإن كانت تبدو غير مستبدة إلّا أن أمتها متحكمة مهيمنة، وعاداتها مهيمنة، فدونكم «الهند» برهاناً على ذلك و«مصر» نصف برهان عليه.

أفلم يثبت إذن أن أمتنا الإسلامية مقيدة بثلاثة قيود، أو بقيد ونصف، وليس لنا إزاء ذلك إلّا قيد كاذب موهوم ضعيف وضعناه على أرجل غير المسلمين فينا. وقد تحملنا كثيراً من دلالهم بديلاً عن ذلك. فلقد ازدادوا نسلًا وثروة، أما نحن فقد تناقصنا نسلًا وثروة. وذلك بسبب انحصار الوظائف -التي هي ضربٌ من عمل الخادم- والعسكرية فينا.

(١) كان ينبغي أن يتحدث بهذا الكلام بعد (أربع وأربعين) سنة إلّا أنه ذكره في ذلك الوقت. (المؤلف).

إن الفكر المَلَيّ^(١) والدُّ «الحرية» وما كان الأسرى إلا الأكراد والأتراك.

وهكذا نفكّ ذلك القيد الكاذب ونحلّه عن أرجل ثلاثة ملايين أو عشرة ملايين لينفسح المجال ويتمهّد الطريق أمام حرية ثلاثمائة مليون مسلم مقيدين بثلاثة قيود.^(٢) ولا ريب أن مَنْ أعطى ثلاثة عاجلاً وريح ثلاثمائة أجلاً ليس بخاسر!..

[وسياخذ الإسلام يمينه من الحجة سيفاً صارماً جزاءً مهنداً... وبشأله من الحرية لجام فرس عربي مشرق اللون فالقاً بفأسه وقوسه رؤوس الاستبداد الذي به اندرس بساتيننا].^(٣)

س: هيهات! كيف تكون حريتنا مقدمة لحرية العالم الإسلامي كافة وفجره الصادق؟
ج: بجهتين: -

الأولى: إن الاستبداد الذي فينا أقام سداً مظلماً جائراً إزاء حرية آسيا، فما كان لضياء الحرية أن ينفذ من ذلك الستار الكثيف المظلم ليفتح الأبصار ويُري الكمالات، ولكن بخراب هذا السدّ انتشر - وسينتشر - فكر الحرية ومفهومها حتى إلى الصين، بيد أن الصين أفرطت وأصبحت شيوعية. ولما ثقلت كفة الحرية في ميزان العالم، فقد رفعت كلياً الوحشية والاستبداد اللذين في الكفة الأخرى، وسيزولان بمرور الزمن. فلو أنكم قرأتم صحيفة الأفكار وتأملتم في طريق السياسة واستمعتم إلى الخطباء العموميين، أعني الصحافة الصادقة في أخبارها، لعلمتم أنه قد حصل في العالم العربي والهند وجاوا ومصر والقوقاس وأفريقيا وأمثالها، تحوّل عظيم وانقلاب عجيب ورقي فكري وتيقظ تام نابع من فوران فكر الحرية وغلِيانهِ في أفكار العالم الإسلامي، فلو كنا دافعين مئة سنة ثمناً لها لكان رخيصاً، لأن الحرية كُشفت عن المَلِيّة وأظهرتها وبدأ يتجلى الجوهر النوراني للإسلام في صَدَفَةِ المَلِيّة، فأذنت - بتحريك الإسلام واهتزازهِ - بأن المسلم ليس جزءاً فرداً سائباً حبْلُهُ على غاربه، بل هو جزء لمركبات متداخلة متصاعدة، له مع سائر الأجزاء صلة رحم من حيث جاذبية الإسلام العامة. فهذا النبأ يمنح

(١) يعرفه الأستاذ المؤلف بعد صفحات بأن «مليتنا وجود مستقل بذاته، روحها الإسلام وعقلها القرآن والإيمان».

(٢) وقد بدأت الآن بالتحلل والانفتاح والحمد لله. (المؤلف).

(٣) ارجع النظر إليها، إنها فقرة ذات شفرات كأنها تخبر عن مجموعة رسائل النور أمثال: «ذو الفقار» «حجة الله البالغة».. مثلاً تخبر عن الشعوب الإسلامية: اليمن ومصر والجزائر والهند والفاس (المغرب) والقوقاس وفارس والعرب. (المؤلف).

أَمْلاً قوياً بأن نقطة الاستناد ونقطة الاستمداد في غاية القوة والمتانة، وهذا الأمل أحيا قوتنا المعنوية بعد أن كانت صريعة اليأس. وستمزق هذه الحياة حُجَب الاستبداد المعنوي العام المستولي على العالم الإسلامي كلّه مستمدةً من فكر الحرية ومفهومها الذي يفور فيه^(١) [على رغم أنف أبي اليأس].

الجهة الثانية: مازال الأجانب يُذَلّون ملتنا بالحِجَل، ويتذرعون بأسباب واهية وحجج تافهة لذلك. أما الآن فما ظل في أيديهم ما يحتجون به من حجة تؤثر في عروق إنسانيتهم، أو تهيج أعصاب تعصبهم أو تحرك أوتارهم الخداعة الدساسة، بل لو وجدوا حجةً ما فلا يمكنهم أن يتذرعوا بها؛ إذ من شأن المدنية وخاصيتها: حب الإنسانية.

س: هيهات! أين هذا الأمل العظيم الذي تسلينا به، من تلك الحيات المرعبة المحيطة بنا الفاغرة أفواها لتنفث السم في حياتنا وتمزق دولتنا إرباً إرباً، فتحول ذلك الأمل المشرق إلى يأس قاتم؟^(٢)

ج: لا تخافوا، إن المدنية والفضيلة والحرية قد بدأت تهيمن في العالم الإنساني مما أثقلت كفة الميزان، فبالضرورة تتخفف الكفة الأخرى شيئاً فشيئاً، فلو فرضنا محالاً أنهم مزقونا وقتلونا - لا سامح الله - اطمئنوا بأننا نموت ونحن عشرون إلّا أننا نُبعث ونحن ثلاثمائة، نافضين غبار الرذائل والاختلافات عن رؤوسنا متحدين مقدّرين حقيقة مسؤوليتنا، نتسلم الراية لنقود قافلة البشرية. فنحن لا نهاب هذا الموت الذي يُنتج حياةً أشد وأقوى وأبقى. فحتى لو متنا نحن فسيبقى الإسلام حياً سالماً، فلتعيش أبداً تلك الملة المقدسة.

س: كيف نتساوى مع غير المسلمين؟

ج: المساواة ليست في الفضيلة والشرف، بل هي في الحقوق. فالسلطان الملك والفقير المسكين كلاهما سيان في الحقوق.. فيا للعجب إن الشريعة التي نهت عن تعذيب نملة وأمرت ألا تداس عمداء، أتهمل حقوق بني آدم؟ كلا!

ولكن نحن الذين لم نمثل الشريعة. ألا تكفي لتصحيح خطئكم هذا، محاكمة أمير

(١) وقد بدأ تمزقها بعد خمس وأربعين سنة، والله الحمد والمآلة. (المؤلف).

(٢) سؤال محير ذو حقيقة. (المؤلف).

المؤمنين الإمام علي رضي الله عنه، مع يهودي فقير، ومرافعة صلاح الدين الأيوبي - وهو مدار فخركم - مع نصراني مسكين.^(١)

س: إن منح الحرية للروم والأرمن يقلقنا، فتارةً يتجاوزون علينا وأخرى يفتخرون بأن الحرية والمشروطة هما نتيجة سعيهم فيحرموننا فضائلها.

ج: أظن أن تجاوزهم الحدود الآن هو تشفٍّ لغيظ ما توهما من تجاوزكم عليهم في الماضي... أو هو تصنع وتظاهر وتهديد تجاه ما يتوقعون واهمين من تعدد منكم عليهم في المستقبل، فإن اطمأنوا واعتقدوا بعدم التعدي عليهم فسيرضخون - بلا شك - للعدالة ويقتنعون بها، وإن لم يقنعوا بالعدالة فالحق يُرغم أنوفهم بقوته ويسوقهم مضطرين إلى الاقتناع.

أما قولهم «نحن الذين حصلنا على المشروطة» فهو كذب بين، إذ ما برزت الحرية والمشروطة إلى الوجود إلا بحراب جنودنا وبأقلام مجتمعتنا الحامل لروح الأمة، بل كان هدف هؤلاء وأمثالهم من الثرثارين المهاذير هو «اللامركزية السياسية» التي هي ابنة عم «الإمارة» و«الحكم الذاتي» إلا أن تسعين بالمئة منهم قد اتبعونا، وظلت خمسة من العشرة الباقية يثرون، والبقية الباقية باتوا يعذرون ولا يرغبون في العدول عن أوهامهم الماضية.

س: كيف تشير إلينا بمحبة اليهود والنصارى، مع أن القرآن الكريم ينهى عن ذلك بقوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ (المائدة: ٥١).

ج: أولاً: كما يلزم أن يكون الدليل قطعي المتن، يلزم كذلك أن يكون قطعي الدلالة، مع أن للتأويل والاحتمال مجالاً، لأن النهي القرآني ليس بعام بل مطلق، والمطلق قد يُقيد، والزمان مفسر عظيم، فإذا ما أظهر قيده فلا اعتراض عليه.

وأيضاً، إن كان الحكم قائماً على المشتق، فإنه يفيد علية مأخذ الاشتقاق للحكم. فإذا ن المنهي عنه في هذه الآية الكريمة هو محبتهم من حيث ديانتهم اليهودية والنصرانية.. وأيضاً،

(١) بينما كان سعيد القديم يجاهد بحماسة «للحرية» جاعلاً السياسة وسيلة للإسلام بناءً على ما تشعه خاصية «النور» الساطعة من أمل قوي وسلوان تام أحس من قبيل الحس المسبق: أن استبداداً مطلقاً رهيباً لا دينياً سيأتي، بناءً على ما فهمه من معنى حديث شريف، فأخبر به قبل خمسين سنة. وقد أحس أن ما أخبر به من أبناء مسلية وآمال مشرقة سيكذبه ذلك الاستبداد المطلق فعلياً طوال خمس وعشرين سنة، لذا نبذ السياسة منذ ثلاثين سنة قائلاً: «أعوذ بالله من الشيطان والسياسة» وأصبح سعيداً الجديد (المؤلف).

لا يكون المرء محبوباً لذاته، بل لصفته وصنعتة، لذا فكما لا يلزم أن تكون كل صفة من صفات المسلم مسلمة، كذلك لا يلزم أن تكون جميع صفات الكافر وصنعتة كافرة أيضاً.

فعلى هذا، لمَ لا يجوز اقتباس ما استحسانه من صفة مسلمة أو صنعة مسلمة فيه؟ فإن كانت لك زوجة كتابية، لاشك أنك تحبها.

ثانياً: لقد حدث انقلاب ديني عظيم في العصر النبوي السعيد، وجَّهَ كُلَّ الأفكار والأذهان نحو الدين، فارتبطت بالدين جميع الحسيات والمشاعر، فكانت العداوة والمحبة تدوران حول ذلك المحور (الدين)، لهذا كانت تُشَمَّ رائحة النفاق من محبة غير المسلم. ولكن الانقلاب الحاضر العجيب في العالم هو انقلاب مدني ودنيوي، فالمدينة والرقمي الدنيوي يجذبان العقول كلها ويشغلانها ويشدان بهما جميع الأذهان فضلاً عن أن معظم غير المسلمين ليسوا ملتزمين التزاماً جاداً بدينهم أساساً... فعلى هذا فإن محبتنا لهم ما هي إلا لاقتباس ما استحسانه من مدنيتههم وتقدمهم ولأجل المحافظة على نظام البلاد وأمنها الذي يُعدّ أساس سعادة الدنيا، فهذه الصداقة إذن لا تدخل قطعاً ضمن النهي القرآني.

س: إن قسماً من أفراد «جون تورك» يقولون: لا تخاطبوا النصارى بـ: «يا كافر» استهانةً بهم، فهم أهل كتاب!.. لماذا لا نخاطب الكافر بـ «أيها الكافر»؟!.

ج: مثلما لا تقولون للأعور: أيها الأعور! لتلا يتأذى، فهناك نهيٌ عن أذاهم كما جاء في الحديث الشريف: [من آذى ذمياً... الخ].^(١)

وثانياً للكافر معنيان:

فالأول: وهو المتبادر إلى الذهن عُرفاً وهو: المُنْكَرُ للخالق سبحانه والملحد الذي لا دين له، فهذا المعنى ليس لنا الحق في إطلاقه على أهل الكتاب.

وثانيه: هو المنكر لرسولنا الأعظم ﷺ وللإسلام، فهذا المعنى، لنا الحق أن نطلقه عليهم، وهم راضون به كذلك. ولكن لما كان المعنى الأول هو الذي يتبادر إلى الذهن مباشرة، صارت تلك الكلمة، كلمة تحقير وإهانة وأذى، زد على ذلك أنه لا اضطرار

(١) تمام الحديث: «من آذى ذمياً فأنا خصمه»، انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ٨/ ٣٦٧؛ الذهبي، ميزان الاعتدال ٢/ ٣٨١؛ السخاوي، الأجوبة المرضية ١/ ١٧، ٢/ ٤٣٥؛ الشوكاني، الفوائد المجموعة ٢١٣.

لخلط «دائرة الاعتقاد» بـ«دائرة المعاملات» وربما هذا هو ما يقصده ذلك القسم من «جون ترك».

س: نسمع كثيراً من الأخبار المؤسفة والحوادث السيئة، لاسيما من غير المسلمين.. كأن تزوج أحدهم بمسلمة.. وكذا وكذا في مكان، وكيت وكيت في مكان آخر، وحدث ما حدث في مكان... الخ...

ج: نعم، إن وقوع هذه الأمور السيئة الفاسدة وأمثالها أمر هو أقرب ما يكون بالضرورة -مع الأسف- في دولة مستجدة وغير مستقرة، وفي أمة جاهلة متخلفة، علماً أنه كان هناك أسوأ من هذه السيئات في الماضي، ولكنها كانت خافية عتاً، إلا أنها ظهرت الآن للعيان. فالداء إذا ما ظهر يسهل علاجه. وكذا فالذي لا يرى من الأمور العظيمة إلا التقصيرات، ينخدع ويخدع الآخرين بالخب الخبيث، إذ من شأنه إنبات سيئة واحدة وإثارة كي تطغى على الحسنات، هذا وإن الطور العجيب لهذا الخب، هو أنه يجمع الأمور المتفرقة في الزمان والمكان ويوحدتها معاً، وينظر من خلال ذلك الحجاب الأسود إلى الأشياء. حقاً إن الخب بأنواعه المختلفة هو مأكنة الغرائب ومصنعها. ألا ترى أن عاشقاً خباً كيف يرى الكائنات تتراقص متضاحكة متحابة متجاذبة.. وأن والده حزينة بوفاة طفلها كيف ترى الكائنات نادبة متباكية حزينة؟ فكلٌ يجني ما يشتهي وما يلائمه. سأورد لكم مثلاً بهذه المناسبة:

تأملوا! إذا دخل أحدكم في بستان رائع جميل يشتمل على أنواع الأزاهير والثمرات، لأجل أن ينتزه فيه ويستجم ساعة من الزمان، وكان في بعض جوانب البستان بعض العفونات والنجاسات -حيث إن وجود النقص مع الكمال من مقتضيات هذا العالم وليس المبرأ من النقص إلا الجنة- فإنه لا يبحث ولا يتحرى إلا تلك العفونات ولا يديم النظر إلا إلى تلك النجاسات، لانحراف في مزاجه. وكأن ليس في ذلك البستان الباهر إلا تلك، ثم يتوسع ويتسبل ذلك الخيال الفاسد بحكم التوهم والتخيل حتى يحسب أن ذلك البستان الرائع مَسْلُوحٌ قدرٌ أو مزبلة وسخة، ويأخذه الدوار والغثيان، ويبدأ بالتقيؤ وينكص على عقبيه.

فيا ترى هل ترضى الحكمة والمصلحة بوجهها الصبوح أمثال هذا الخيال المنعّص للذة حياة البشر.

أَلَا تَرَوْنَ: أَنْ مَنْ أَحْسَنَ رُؤْيَيْهِ حَسُنَتْ رُؤْيَتُهُ وَتَفَكَّرَهُ، فَتَحَسَّنُ رُؤْيَاهُ، وَيَسْتَمْتَعُ بِحَيَاتِهِ.

س: كيف يجوز تجنيد غير المسلم وانخراطه في سلك الجيش؟

ج: بأربعة أوجه^(١):

أولاً: ما الجندية إلا للحرب.. فلقد قاتلتم بالأمس دُباباً ضخماً وعاونكم النساء والغجر والصبيان والكلاب ونصروكم، فهل في ذلك من بأس عليكم أو من عارٍ عليكم؟

ثانياً: كان للنبي ﷺ معاهدون وحلفاء من مشركي العرب وكانوا يخرجون معاً إلى الحرب، بينما هؤلاء أهل كتاب.. ولأنهم يكونون متفرقين في الجيش، لا متجمعين، فإن كثرتنا الغالبة، وقوة مشاعرنا، ستحدان من الضرر الموهوم.

ثالثاً: قد استخدم في جيش الدول الإسلامية غير المسلمين -ولو نادراً- والجيش الانكشاري^(٢) شاهد على هذا.

س: كان المسلمون هم الأغنياء وكان أولئك هم الفقراء، إلا أن الآية انعكست الآن، فما الحكمة؟

ج: هناك سببان لهذا حسب علمي:

الأول: الفتور في السعي وعدم الرغبة خلافاً لما هو مستفاد من الأمر الرباني: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (النجم: ٣٩) وانطفاء جذوة شوق الكسب المستفاد من الأمر النبوي بأن [«الكاسب حبيب الله»]^(٣) وذلك نتيجة إجماعات بعض الرجال وتلقينات قسم من الوعاظ الجاهلين، أولئك الذين لم يدركوا إن إعلاء كلمة الله في الوقت الحاضر يتوقف على الرقي المادي... ولم يفهموا قيمة الدنيا [من حيث هي مزرعة الآخرة].. ولم يميزوا بين متطلبات

(١) المذكور هنا ثلاثة أوجه، أما الوجه الرابع فهو انحصار العسكرية فينا، فقد أدمج في السؤال الذي يلي الجواب. الوجه الرابع أصبح السؤال التالي.

(٢) وهو تنظيم عسكري وضعه الغازي أورخان ابن عثمان (مؤسس الدولة العثمانية)، خدم الدولة العثمانية كثيراً في البداية، ثم دب فيه الفساد وأصبح مشكلة عويصة، إلى أن نجح السلطان محمود الثاني في إلغائه وتصفيته وإقامة «النظام الجديد» بدلاً منه، وهو نظام سعى إلى التجديد في الجيش العثماني.

(٣) ويشهد لهذا المعنى ما أخرجه البخاري (٢/ ٧٣٠، رقم ١٩٦٦) قال ﷺ: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده». وانظر الطبراني، المعجم الأوسط (٨/ ٣٨٠؛ البيهقي، شعب الإيمان ٢/ ٨٨؛ القضاعي، الشهاب ٢/ ١٤٨).

القرون الوسطى والقرون الأخرى.. ولم يفرقوا بين قناعتين بعيدتين عن بعضهما «القناعة في التحصيل والكسب» وهي المذمومة و«القناعة في المحصول والأجرة»، وهي الممدوحة.. ولم يتبينوا البون الشاسع بين «التواكل» الذي هو عنوان الكسل و«التوكل» الذي هو صدقة الإخلاص الحقيقي.

فالأول: هو تكاسل في ترتيب المقدمات، وهو في حكم التمرد على النظام القائم بين الأسباب التي هي مقتضى مشيئة الله تعالى. والآخر: هو توكل إيماني في ترتب النتائج، وهو من مقتضيات الإسلام، والذي يقود صاحبه إلى التوفيق حتى في النتائج شريطة عدم التدخل في التقديرات الإلهية.

فالتبس عليهم كلا الأمرين... ولم يتفرسوا سر «أمتي.. أمتي»^(١) ولا يفهمون حكمة «خير الناس أنفعهم للناس»^(٢) فهؤلاء هم الذين حطموا ذلك الميل وأطفأوا ذلك الشوق...

والسبب الثاني: هو سلوكنا في المعيشة مسلكاً غير طبيعي، مسلكاً يوافق الكسل ويلائمه، ويداعب الغرور ويرت عليه، وهو المعيشة على الوظيفة الحكومية.. لذا لقينا جزاء ما كسبت أيدينا.

س: كيف؟

ج: إن الطريق المشروع للمعيشة والسبيل الطبيعي والحيوي إليها هو «الصناعة، والزراعة، والتجارة». أما الطريق غير الطبيعي فهو الوظيفة الحكومية والإمارة بأنواعها. وعندني أن الذين جعلوا مدار معيشتهم «الإمارة» - وإن تسمت بأي اسم كان - فهم في زمرة الشحاذين العاجزين المتسولين ومن زمرة المخادعين الخياليين.. وفي نظري أن الذي ينخرط في سلك الوظيفة أو الإمارة، فليدخل إليها لأجل الحماية والخدمة للأمة، وإلا فلو دخلها للمعيشة والمنفعة فحسب، فلا يقوم إلا بضرب من التسول،^(٣) إذ ثبت أن حصر كل الوظائف فينا، أضعاف علينا ثرواتنا بتسليمها ليد الإسراف، وأن حصر العسكرية فينا شتت ذراريها في الآفاق. فلو كان الأمر يستمر على هذا المنوال لكننا ضائعين منقرضين. فعلى هذا، فإن هذه المسألة، أي

(١) انظر: البخاري، التوحيد ٣٢؛ مسلم، الإيمان ٣٢٦.

(٢) العجلوني، كشف الخفاء ٤٧٢/١، وانظر: الطبراني، المعجم الأوسط ٥٨/٦؛ البيهقي، شعب الإيمان ١١٧/٦.

(٣) لا تستأوا ولا تسخطوا أيها الموظفون من كلام سعيد القديم هذا الذي قاله قبل خمس وأربعين سنة. (المؤلف).

أخذهم إلى الجندية فيه «مصلحة مرسله» قريبة من الضرورة، فضلاً عن أننا مضطرون إليه اضطراباً، والمصالح المرسله في مذهب الإمام مالك، تعدّ علةً شرعية.

س: كيف يمكن أن يصير الأرمني والياً أو قائمقاماً، كما يحدث الآن؟

ج: كما صار ساعاتياً وميكانيكياً وكناساً... لأن المشروطية هي حاكمية الأمة، والحكومة ليست إلا خادمة.

ولئن صدّقت المشروطية فالقائمقام والوالي ليسوا رؤساء بل خداماً مأجورين، فغير المسلم لا يكون رئيساً مطلقاً، بل يكون خادماً. فلو فرضنا أن الوظيفة والأمانة ضرب من الرئاسة والسيادة، فإن إشراكنا ثلاثة آلاف غير مسلم في سيادة رئاستنا يفتح طريقاً إلى الرئاسة أمام ثلاثمائة ألف من إخواننا المسلمين في أقطار العالم، فالذي يخسر واحداً ويربح الألف لا يتضرر..

س: ألا ترى أن بعض أحكام الشريعة لها علاقة بولاية الوالي مثلاً.

ج: إن الذي يمثل الخلافة بعد الآن هو بالضرورة المشيخة الإسلامية ورئاسة الأمور الدينية وستكون ممتازة، ومقدسة سامية، منفصلة رقية نازرة على الكل... فالمستولي الآن ليس شخصاً فرداً، بل الأفكار العامة، لذا هناك حاجة إلى شخصية معنوية مثلها، تكون أمانة على الفتوى.

س: كنا نسمع سابقاً وإلى الآن أن أكثر أفراد «جون تورك» هم من الماسونيين، الذين يعادون الدين.

ج: لقد ألقى الاستبداد هذه التلقينات إبقاءً لنفسه، ومما يسند هذا الوهم ويقوّيه عدم مبالاة بعضهم بالدين..

ولكن اطمئنوا، إنّ قصد من لم ينضم منهم إلى الماسونية، ليس إضرار الدين، بل نفع الأمة وتأمين سلامتها، ولكن البعض منهم يفرطون في الهجوم على التعصب المقيت الذي لا يليق بالدين. ويبدو أنكم تطلقون على الذين سبق منهم خدمات للحرية والمشروطية أو الذين ارتضوا بها اسم «جون تورك». فاعلموا أن قسماً من أولئك هم مجاهدو الإسلام، وقسماً

منهم فدائيو سلامة الأمة، فالذين يشكلون القسم الأعظم منهم والعقدة الحياتية لهم هم من غير الماسونيين ويمثلون أكثرية الاتحاد والترقي. فهناك علماء ومشايخ في صفوف «جون تورك» بقدر عشائركم.. رغم وجود زمرة من الماسونيين المفسدين السفهاء فيهم، وهم قلة قليلة لا يتجاوزون عشرة بالمئة منهم، بينما التسعون بالمئة الباقية منهم مسلمون ذوو عقيدة أمثالكم، ومعلوم أن الحكم للأكثرية... فأحسنوا الظن بهم؛ إذ إن سوء الظن يضركم ويضرهم معاً حسب قاعدة [إن زين عين الرضا، حسن النظر بالطف والشفقة، وإن نور الفؤاد بالرفق والرحمة، ولقد سما على الحق بأقدام التوفيق وسعد من اختار الاستضاءة بمصباح «أنا عند ظن عبدي بي»^(١)].^(٢)

س: لِمَ يضرهم سوء ظننا؟

ج: لأن كثيراً منهم -مثلكم- لم يمتصوا الإسلام وما عرفوا إلا ظواهره بالتقليد، والتقليد يتشتت ويتمزق بإلقاء الشبهات والشكوك فانظروا مثلاً: إذا خاطبتم بعضهم: بأنكم لا دين لكم -وبخاصة من كان منهم سطحياً في الدين ومتوغلاً في الفلسفة المادية- فلربما يتردد ويشك في أمره بوساوس من أن مسلكه خارج عن الإسلام فيشرع بالقيام بأعمال وحركات منافية للإسلام، ناشئة من اليأس والعناد ولسانه يردد: ليكن ما يكون فلا أبالي..

فيا أيها البعيدون عن الإنصاف!.. أ رأيتم كيف تصبحون سبباً لضلالة بعض المنكوبين؟! علماً أن كثيراً ما يصلح الفاسد إذا كرّر عليه القول: «أنت صالح، أنت فاضل»، ويفسد الصالح إذا ما كرر عليه: «أنت فاسد، أنت طالح». وهذا أمر مجرب وقد حَدَثَ كثيراً.

س: لماذا؟

ج: لأنه لو كان في ضمير البعض سوء، فلا ينبغي أن يُهاجم، لأن هناك كثيراً من السيئات كلما بقيت مستورة تحت ستار الحسنة ولم يمزق عنها حجابها وتغفل عنها، انحصرت في نطاق ضيق وربما يسعى صاحبها لإصلاحها تحت حجاب الحياء. ولكن ما إن يُمزق الحجاب ويُرفع حتى يُرمى بالحياء فيزال، وإذا ما أظهر معه الهجوم، فالسيئة تتوسع

(١) البخاري، التوحيد ١٥، ٣٥؛ مسلم، الذكر ٢، ١٩، التوبة ١؛ الترمذي، الزهد ٥١، الدعوات ١٣١؛ ابن ماجه، الأدب ٥٨.

(٢) كرر النظر في هذه الفقرة العربية الأخيرة، ففيها شفرات ولها إشارات. (المؤلف).

توسعاً هائلاً... ولقد رأيت في حادثة (٣١ مارت)^(١) حالةً قريبة من هذا: عندما نادى من كانوا يجودون بأرواحهم للإسلام من أصحاب الهمم بالدعوة إلى المشروطة، والذين كانوا يعتقدون أن نعمة المشروطة غاية المنى وجوهر الحياة، وجدوا في تطبيق تفرعاتها وفق الشريعة، مرشدين المسؤولين في الدولة وموجهين لهم للتوجه إلى القبلة في صلاة العدالة، طالبين إعلاء الشريعة المقدسة حقاً بقوة المشروطة، وإبقاء المشروطة بقوة الشريعة، محمّلين مخالفة الشريعة السيئات السابقة جميعها، فما إن نادى هؤلاء بهذا النداء وقاموا بتطبيق بعض الأمور الفرعية إذا ببعض من لا يميز يمينه عن شماله يبرز أمامهم ويحاربونهم ظناً منهم أن الشريعة تشد أزر الاستبداد -حاشاها- فقلّدوا كالبيغاء منادين: «بأننا نطالب بالشريعة»، فاختفى الهدف ولم يعد يفهم القصد الحقيقي، وانجر الوضع إلى ما رأيت. ومعلوم أن الخطط قد مهّدت وحيكت من قبل. فلما آل الأمر إلى هذا هجم بعض من يتنقع -كذباً- بالحمية على ذلك الاسم السامي، واعترضوا -متعدين- عليه. فدونكم نقطة سوداء مظلمة جديرة بالاعتبار. [ولقد قعدت الهمة بتلك النقطة ولم تقدر على النهوض. ولقد شوشت طنطنة الأغراض صدى موسيقى الحرية، ولقد تقلصت المشروطة منحصرة -اسماً- على قليلين، فتفرق عنها حماة ذمارها].^(٢)

س: لِمَ نتضرر من نظن أن لا دين لهم؟

ج: سأمثل لكم صورة تمثيلية على شاشة الخيال تبين لكم مضاره؛ تصوّروا في هذه الصحراء قصراً وسط بستان زاهر، وفي زاوية من القصر هناك حمام للمياه المعدنية -كمستحكم في وادي «بيت الشباب»^(٣) - فأنتم مضطرون إلى الدخول في ذلك القصر

(١) حادثة ٣١ مارت ١٣٢٥ (حسب التقويم الرومي)، وهي حادثة تمرد وعصيان عسكري بدأ في معسكر «طاش قشلة» في إسطنبول، ثم انتشر إلى معسكرات أخرى فيها، ثم نزل الجنود المتمردون إلى الشوارع، وقتلوا بعض الوزراء والنواب والضباط.

وقعت هذه الحادثة في ١٣ نيسان ١٩٠٩ أي بعد إعلان المشروطة الثانية ووصول جمعية الاتحاد والترقي إلى موقع مؤثر في الحكم، ولكنها لم تكن قد شددت قبضتها بعد، أتهم السلطان عبد الحميد ظلماً بإثارة التمرد، واستدعت الجمعية مدداً عسكرياً من مقرها الرئيس في «سلانيك». ومع أن السلطان كان بمقدوره تشتيت هذا المدد العسكري ألا أنه لم يفعل حقناً للدماء. وبعد وصول الجيش إلى إسطنبول أعلنت الأحكام العرفية وقُضي على التمرد، وشكلت محكمة عسكرية أعدمّت الكثيرين، وانتهزت الجمعية هذه الحادثة وقامت بعزل السلطان.

(٢) قف أمام هذه الفقرة.. لا تغادرها.. أنعم النظر فيها.. ولقد سكت -في تلك الحادثة- الشهام الغباري والنجباء والكرماء من أولى العزائم والهمم العالية، وكَمَتَت الصحافة المغرضة صوت الحرية الحق، فانحصرت المشروطة في قلة قليلة جداً من الناس وتشتت عنها فداثيوها. (المؤلف).

(٣) منطقة في جنوب شرقي تركيا تعد مركز عشائر الأرتوشي الكردية.

شئتم أم أيتم بسبب ارتعاشكم من شدة البرد ولكمات الثلج ولطيات الريح. ولكن لأنكم قد سمعتم -أو رأيتم- أن في باب القصر أشخاصاً عمياناً وفي الحوض رجالاً عراةً يستحمون فتتوهمون -من هذا- أن القصر كله دار عميان ومزل عرايا... فلما أردتم الدخول والوهم أخذ بأيديكم تنزعون عنكم لباس الطاعة لتوافقوهم، وتغمضون عين الحقيقة -التي هي العقيدة- لئلا تنظروا إلى عوراتهم، علماً أن عيونهم مفتحة وعوراتهم مستورة، يتشاورون فيما بينهم بتفكير وتأمل في غرف محتشمة ويداوون في بعض الزوايا العميان ويخدمون العرايا لسترهم.

فبالله عليك إذا دخلت عليهم بهذه الصورة الجنونية، وعورتك مكشوفة وعينك معصوبة، فهل تتصور أعظم من هذه الحالة المزرية الداعية إلى الاستهزاء والسخرية.

وفي نظري أن من جاء -في الحقيقة- من نسل مسلم، لا تترك فطرته ووجدانه الإسلام البتة، حتى إن تجرد عقله وفكره عن الإسلام. بل حتى أولئك الذين هم أشد سفاهة وبلاهة يوالون الإسلام الذي هو سور حصين لمستندنا. وسيا المطلعين على السياسة. ولم يشهد التاريخ منذ العصر النبوي السعيد إلى الآن أن رجح مسلم ديناً آخر على الإسلام بمحاكمته العقلية، أو دخل ديناً آخر بدليل عقلي. نعم، هناك من يمرق من الدين، فلك مسألة أخرى.. أما التقليد فلا أهمية له... بينما منتسبو الأديان قد دخلوا ويدخلون حظيرة الإسلام أفواجاً أفواجاً بالمحاكمة العقلية والبراهين القاطعة، فإذا ما أريناهم الإسلام الصادق المستقيم، والصدق والاستقامة اللائقين بالإسلام، فسوف يدخلون في الإسلام أفواجاً. وكذلك يشهد التاريخ ونبينا أن رقي المسلمين وتمدّنهم يكمن في اتباعهم حقيقة الإسلام ويتناسب معه، في حين أن رقي الآخرين وتمدّنهم يتناسب تناسباً عكسياً مع تمسكهم بدينهم.. وكذا تشهد لنا الحقيقة أن الإنسان المتنبه لا يمكن أن يكون هملاً بدون دين البتة، ولا سيما المتيقظ الذي ذاق طعم الإنسانية وعرف ماهية ذاته وأنه مهياً ومرسل إلى الخلود، لا يمكن له أن يعيش دون دين مطلقاً، لأن المتنبه إن لم يتمسك بالدين الحق الذي هو جوهر الحقيقة، لا يمكنه أن يظل دون «نقطة استناد» أمام هجوم الكائنات عليه ودون «نقطة استمداد» لاستثمار آماله غير المحدودة.. ومن هذا السر فقد انتبه الآن في الجميع ميل البحث والتحري عن الدين الحق. فثبت أن هذا براعة الاستهلال بأن الإسلام هو الدين الفطري للبشرية في المستقبل.

أيا من لا ينصفون! كيف ضاقت في نظركم حقيقة الإسلام التي لها القدرة على أن تعم العالم أجمع وتوحده وتربيّه وتضيئه نوراً، فُرِحتم تحسرون الإسلام في الفقراء وفي المتعصبين من العلماء، وتريدون أن تطردوا نصف أهله منه، كيف تجرأتم على ذلك الإسلام العظيم الذي هو القصر النوراني الجامع لكلالات الإنسانية كلها وهو المربي المزيّ لأحاسيس البشرية النبيلة ومشاعرها الراقية كلها، فتخيلتموه خيمة المآتم السوداء مضروبة على حشد من الفقراء والبدو الجائعين.

نعم، إن المرء بحسب ما تربيّه مرآته؛ فمرآتكم السوداء الكاذبة إذن قد مثّلت لكم الأمر هكذا.

س: أنت تغالي وتُفرط، إذ تُظهر الخيال عين الحقيقة وتُهيئنا بظنك أننا جهلاء، فنحن في عصر آخر الزمان^(١) والفسادُ يشتري وسينقلب من سيء إلى أسوأ.

ج: لماذا تكون الدنيا ميدان تقدم وترقٍ للجميع، وتكون لنا وحدنا ميدان تأخر وتدنٍ.. فهل الأمر هكذا؟! فما أنذا أليْتُ على نفسي ألا أحاطبكم، فأدير إليكم ظهري وأتوجه بالخطاب إلى القادمين في المستقبل: أيا من اختفى خلف عصر شاق لما بعد ثلاثمائة سنة، يستمع إلى كلمات النور بصمت وسكون، ويلمحنا بنظر خفي غيبي.. أيا من تتسمون بـ«سعيد وحمزة، وعمر وعثمان وطاهر، ويوسف وأحمد وأمثالهم»! إنني أتوجه بالخطاب إليكم: ارفعوا هاماتكم وقولوا: «لقد صدقت» وليكن هذا التصديق دليلاً في أعناقكم. إن معاصريّ هؤلاء وإن كانوا لا يُعيرون سمعاً لأقوالي، لندعهم وشأنهم، إنني أتكلّم معكم عبر أمواج الأثير الممتدة من الوديان السحيقة للماضي -المسمّى بالتاريخ- إلى ذرى مستقبلكم الرفيع.. ما حيلتي، لقد استعجلتُ وشاءت الأقدارُ أن آتي إلى خضم الحياة في شتائها.. أما أنتم فطوبى لكم؛ ستأتون إليها في ربيع زاهر كالجنة، إن ما يُزرع الآن وتُسنتبت من بذور النور ستفتح أزاهير يانعة في أرضكم.. نحن ننتظر منكم لقاء خدماتنا، أنكم إذا جئتم لتعبّروا إلى سفوح الماضي، عوجوا إلى قبورنا، واغرسوا بعض هدايا ذلك الربيع على

(١) ربما جاء هذا الاعتراض من وليّ عظيم كان حاضراً في ذلك الوقت فاعترض على ما أحسّ به سعيد القديم -قبل خمس وأربعين سنة- «بحسّ مسبق» من أن ميدان رسائل النور الضيق هو واسع جداً وهو سياسي أيضاً. لذا صدرت أغلب أجوبته في هذه الرسالة في ضوء ذلك الإحساس. فلربما أبدى ذلك الولي العظيم اعتراضه على هذه النقطة فقط (المؤلف).

قمة «القلعة»^(١) التي هي بمثابة شاهد قبرٍ مدرستي، والمستضيفة لرفاتنا وعظامنا والحارس لتراب «خورخور»^(٢) سنوصي الحارس ونذكره... نادونا... ستسمعون صدًى «هنيئاً لكم» ينطلق من قبورنا [ولو من الشاهد على طيف الضيف].

إن عيون هؤلاء الذين يرتضعون معنا ثدي هذا الزمان في قفاهم تنظر إلى الماضي دوماً، وتصور أنهم شبيهة بهم معزولة وبلا حقيقة، هؤلاء الصبيان وإن كانوا ينظرون إلى حقائق هذا الكتاب^(٣) ويتوهمونها خيالاً.. فلا أبالي، لأنني على ثقة من أن مسائل هذا الكتاب ستتحقق فيكم واضحة.

أيا من أخطبكم، ألا معذرة، إنني أصرخ عالياً، وأنا معتل منارة العصر الثالث عشر الهجري، أدعو أولئك المدنيين المتحضرين صورةً وشكلاً والمتهاونين في الدين حقيقة، والذين يجولون في أودية الماضي السحيق فكراً.. أدعوهم إلى الجامع.. فيا أيتها القبور المتحركة برجلين اثنتين، أيتها الجنائز الشاخصة! ويا أيها التعساء التاركون لروح الحياتين كليهما.. وهو الإسلام، انصرفوا من أمام باب الجيل المقبل، لا تقفوا أمامه حجرَ عثرةٍ، فالقبور تنتظركم.. تنحوا عن الطريق ليأتي الجيل الجديد الذي سيرفع أعلام الحقائق الإسلامية عالياً ويهزها خفاقة تتهاوج على وجوه الكون.

س: إن أسلافنا كانوا أفضل منا أو مثلنا، فهل يكون أحفادنا أفسد منّا؟

ج: أيها الأتراك والأكراد! لو أنني أقيمت اجتماعاً عظيماً، ودعوت أجدادكم من قبل ألف سنة وكذا أولادكم من بعد عصرين.. دعوتهم جميعاً إلى المجلس الصاخب لهذا العصر، ألا يقول أجدادكم الذين اصطفوا يميناً:

أيها الأولاد التافهون والخلف المتبدّرون، أنتم زبدة حياتنا ونتيجتها؟ هيهات.. لقد جعلتمونا أسوةً عقيمة وتركتمونا عاقرين..!! وكذا، أفلا يقول أولادكم الذين اصطفوا يساراً والمقبلون من مدينة المستقبل، مصدقين أجدادكم المصطفين يميناً:

(١) المقصود قلعة مدينة «وان» التي هي بمثابة شاهد قبر للمدرسة الدارسة (خورخور) والتي تمثل نموذجاً لمدرسة الزهراء في «وان». (المؤلف).

(٢) اسم نبع صغير أسفل قلعة «وان» وعنده مدرسة المؤلف.

(٣) إنه ينبغي بحسب مسبق عن كليات رسائل النور التي ستؤلف في المستقبل (المؤلف).

أيها الآباء الكسالى!... أنتم تمثلون حياتنا كلها دقها وجلها، أم أنتم رمزها والحد الأوسط لرابطننا مع أولئك الأجداد الأشاوس؟ هيهات لكم أصبحتم أنتم أنموذجاً تافهاً وعينة لا حقيقة لها وقياساً ذا التباس واختلاط.^(١)

فيا أيها البدو الرحل ويا أدعياء الانقلاب.^(٢)

لقد رأيتم على لوحة الخيال^(٣) أن الطرفين معاً قد أقاما الحجة عليكم في هذا الاجتماع. س: نحن لا نستحق هذا القدر من الإهانة والتحقير. نقطع على أنفسنا عهداً على أننا لا نتقاعس عن التمسك بالأخلاف ولا نتشبت بأذيال الأسلاف [فتفتحنا السمع لكلامك فمرحّباً به].

ج: يمكنكم الآن أن تعودوا إلى وظيفتكم في طرح الأسئلة لأنكم أظهرتم الندامة.

س: هل بحث علماء السلف عن مساوئ الاستبداد؟^(٤)

ج: نعم، وألف مرة نعم. إن أغلب الشعراء في قصائدهم وكثيراً من المؤلفين في ديباجات كتبهم، شكوا من الزمان واعترضوا على الدهر وهجموا على الفلّك^(٥) وداسوا الدنيا بالأقدام وسحقوها...

فإذا استمعتم إليهم بأذن القلب ونظرتم إليهم بعين العقل رأيتم أن سهام الاعتراضات جميعها لا تستهدف ولا تصيب إلّا صدر الاستبداد الذي تلفف وتزملّ بستر الماضي المظلم، وسمعتهم الصراخات والآهات جميعها أنها تصدر من تحت مخالب الاستبداد، ومع أن الاستبداد لم يكن يرى، ولم يكن يُعلم اسمه ومعناه، إلّا أن أرواح الجميع كانت تتسمّ بمعناه، وتتألم به، وتعلم أن هناك أحداً ينفث السم، حتى إن بعض الدهاة كلما كان يتنفس كان يصرخ صرخاً من الأعماق، إلّا أن العقل ما كان ليدرك ماهيته جيداً، إذ كان مُنبأً في الظلمات غير متجمع على حال. لذا عندما ظنوا البلى - المحالة إزالتها - مصائب سماوية، بدأوا بشن

(١) من عبارات علم المنطق. وقد قالها لحضور مجلس طلابه الذين تلقوا في وقتها درساً في المنطق (المؤلف).

(٢) أضيف مؤخراً (المؤلف).

(٣) فالخيال بدوره مثل المشاهد السينمائية (المؤلف).

(٤) إن ذلك الدرس الذي ألقى قبل أربعين سنة هو درس ضروري في الوقت الحاضر كذلك، إذ إن هذه المحاور الدائرة بين السؤال والجواب قادرة على مواكبة الحياة وتعيش حية في كل وقت وهي نابضة بالحياة الآن (المؤلف).

(٥) الفلك: يعني الدهر، أيام الحياة، الحياة المقدرة على الإنسان.

الهجوم على الزمان وصنع الدهر وصوّبوا سهاماً نحو صدر الفلك، إذ من القواعد المقررة أنه: إذا خرج أمرٌ من دائرة الجزء الاختياري، ومن الجزئية ودخل الدائرة الكلية العمومية، أو كان دفعه محالاً بحسب العادة، يُسند إلى الزمان، ويُلقى اللوم على الدهر، وترمى قبة الفلك بالحجارة، وإذا أُنعمت النظر جيداً رأيت أن الأحجار الآلية تنقلب يأساً وتنحجر في القلب [انظر كيف أطلّوا فيها لا يلزم وكلما أضاءت لهم السعادة أثنوا على مَنْ سادهم، وكلما أظلم عليهم شتموا الزمان.^(١)].

س: أما تكون الشكوى من الزمان والاعتراض على الدهر اعتراضاً على بدايع صنعة الصانع جلّ جلاله؟

ج: كلا، ثم كلا، بل ربما تعني الشكوى ما يأتي:

كأن الشاكي يقول: إن ماهية العالم المنظمة بدستور الحكمة الأزلية غير مستعدة لإنجاز الأمر الذي أطلبه، والشيء الذي أبغيه، والحالة التي أشتيها، ولا يسمح به قانون الفلك المنقش بيد العناية الأزلية، ولا توافقه طبيعة الزمان المطبوعة بمطبعة المشيئة الأزلية، ولا تأذن له الحكمة الإلهية المؤسّسة للمصالح العامة.. لذا لا يقطف عالمُ الممكنات من يد القدرة الإلهية تلك الثمرات التي نطلبها بهندسة عقولنا وتَشهّي هوانا وميولنا. وحتى لو أعطتها لَمّا تمكن من قبضها والاحتفاظ بها، ولو سقطت لَمّا تمكّن من حملها. نعم، لا يمكن أن تسكن دائرة عظيمة عن حركاتها المهمة لأجل هوى شخص...

س: ما تقول في كثير من الشعراء والعلماء الذين أفرطوا - في زمانهم - في الثناء على الأمراء والحكام؟ مع أنك تنظر إلى كثير منهم نظرك إلى مستبدّين؟ فإذا قد أساءوا العمل.

ج: [ولولا خلال سنّة الشعر ما درى بُناةُ المعالي كيف تُبنى المكارم]^(٢)

كانت نواياهم حسب هذه القاعدة هي حضّ الأمراء - بحيلة لطيفة - على الترفع عن السيئات، وجعلهم يتسابقون في مضمار الحسنات بإدخال المكافأة الشعرية موضع التسابق

(١) تمهل، لا تغادر هذه الفقرة، أدركها جيداً. وهي تعني: أنهم يمنحون الحسنات إلى الرؤساء ويلصقون السيئات بالزمان، فيُبدون شكواهم بالثتم (المؤلف).

(٢) وفي ديوان أبي تمام ١٧٨/٣: ولولا خلال سنّها الشعر ما درى بُغاة الندى من أين تُوتى المكارم

في الأوساط، ولكن لما كانت تلك المكافأة الشعرية قد سُلِبَتْ من عرق جبين أمة عظيمة فقد تصرفوا تصرفاً مستبدّاً، أي إنهم قد أساءوا في العمل وإن أحسنوا في النية.
س: لِمَ ؟.

ج: أفلا ترون أن محصل كلامهم في قصائدهم وبعض مؤلفاتهم إنما هو غصبٌ ضمني لحاسن قوم عظيم وإغارةٌ عليها، ثم إهداء تلك المحاسن إلى شخص مستبد. فبإظهارهم أن تلك المحاسن صادرة منه، أثنوا على الاستبداد - من هذه الزاوية - دون أن يشعروا.

س: نحن معاشر الأتراك والأكراد لنا من الشجاعة ما يملأ قلوبنا، بل ملء أجسادنا.. بل انبسطت حتى تجلّت بين هذه الوديان جبلاً محصنة لنا. ولنا من الذكاء ما يملأ رؤوسنا، ولنا من الغيرة ما يملأ صدورنا، ولنا من الطاعة ما يملأ أبداننا وجوارحنا... فأفرادنا يملأون الأودية حياةً وتترين بهم الجبال^(١) فما بالنا بقينا هكذا سافلين مفلسين أذلاء، حتى صرنا لقىً على الطريق يدوسنا الممتطون للركي والسارعون المجدون للمستقبل، مع أن الأمم المجاورة، وإن كانوا أقلّ منا عدداً وأقصر منّا قوة، إلّا أنهم يتناولون علينا [إن ركسهم يغلب طاهرنا].^(٢)

ج: أما حينما انفتح بالشرطية باب للتوبة وتاب الكثيرون، فليس لي حق في توبيخ الرؤساء وتعنيفهم، إلّا أنني ألقم السابقين وأعينهم، فإن انجرح شعور البعض واحترامه فليعدرنى، إذ احترام الحق وعدم جرحه أولى، فاحترام شعور الملة أعلى وأغلى شأناً منهم. اعلّموا أن سبباً مهماً لذلك التدني هو بعض الرؤساء والخدّاعون المتظاهرون بالحمية من يدعون الفداء والتضحية للأمة، أو قسم من المتشيعين المدّعين غير المؤهلين للولاية.

فهذه السنّة السيئة المخالفة للسنّة النبوية السنيّة هي الأخرى من سيئات الاستبداد.

س: كيف ؟

ج: إن لكل أمة من الأمم حوضاً معنوياً يشكل جسارّة الأمة، ويصون عرضها، وتجتمع فيه قوتها. ولها كذلك خزينة معنوية تشكل سخاء الأمة، وتضمن منافعها العامة. وتخزن فيها ما فضل من الأموال. فالقسمان المذكوران من الرؤساء - بعلم أو بدون علم - قد فتحوا ثغرات

(١) إذن لم تفتقر قوتهم المعنوية (المؤلف).

(٢) إذا أردت فأنعم النظر، فإن العبارة تشير إلى «وارتكس» «عضو المبعوثان» من الأرمن والسيد «ملا طاهر» النائب عن «حكاري» في ذلك الوقت (المؤلف).

وثقوباً في جوانب ذلك الحوض وتلك الخزينة، وسحبوا موارد البقاء وأسألوا مادة الحياة، فجففوا الحوض وأفرغوا الخزينة، فإذا استمر الأمر على هذا المنوال فستنهار الدولة تحت غلبة الديون البالغة المليارات. فكما أن الرجل إذا فقد كلاً من قواه الغضبية (الدافعة) وقواه الشهوية (الجاذبة) يصبح ميتاً وإن كان حياً يرزق.. وكما أن القطار إذا ثقب خزانه البخاري بثقب يتعطل عن الحركة.. وكما أن المسبحة إذا انقطع خيطها تتبعثر حباتها.. كذلك الأمر في الأمة -التي هي شخصية معنوية- فإن الرؤساء الذين يجففون حوض قوتها ويفرغون خزينة ثروتها ويقطعون حبل فكرها الملى، يفتنونها قطعاً وأوصالاً، ويجعلونها سائبة ذليلة دون كيان، عديم الوجود... نعم، [حقيقت كنم نemy كنم براى دل عامى جند]، فلا أجرح شعور الحقيقة لأجل فئة من العوام.

س: إن هذا المقام أجدر بالتفصيل، فلا تدع مجملاً ومبهماً؟

ج: إن العهد السابق قد انتهز بداوتكم وجهلكم، وحاك خططاً، فاستغلها قسم من الكبراء بأسلوب خبيث مستخدمين القوة والإرغام، فثقبوا ذلك الكنز وذلك النبع، وأسألوا زلال الحياة في صحراء قاحلة وأرض سبخة، فما نبت ولا اخضر إلا كسالى وانتهازيون، حتى كانوا يستغلون الضعف البشري والعواطف الحساسة لدى أولئك المساكين الذين مدّوا أيديهم إلى صيد صغير، بتنفيرهم من ثروة الدنيا لترتخي أظفارهم عن الصيد... فيفلت منهم، لينظفوه هم بمخالبهم لأنفسهم.

نعم، إن لكل أمة سخاء وكرماً وهو بذل مقدار من ثروتها لمصلحة الأمة ومنفعتها، بيد أنه استغل سخاء الأمة فينا استغلالاً سيئاً بخلاف سخاء الأمم الأخرى الذي يتخزن في جوفها حوضاً واسعاً ليسقي بستان العلوم والمعارف... وكذا من طبيعة كل أمة جسارة، لأجل المحافظة على شرف الأمة وصيانة عرضها. وقد أساء بعض الكبراء في العهد السابق استعمال هذه الجسارة فألقوها في صحراء الاختلاف وأضاعوها، وأخذ كل يضرب عنق الآخر بغمد من تلك القوة وغلاف منها، حتى كسروه... وهكذا انكسرت... حتى إنهم صرفوا -فيما بينهم- تلك القوة العظيمة المركبة من خمسمائة ألف من الأبطال المستعدين للحفاظ على شرف الأمة، فأبادوها في أرض الاختلافات جاعلين أنفسهم مستحقين للتأديب والتأنيب. فإن

استفدتُم من «المشروطة» و«الحرية الشرعية» وسددتم تلك الثغرات أو جعلتموها مسایل إليه كالحوض، وأعطيتُم تلك القوة الرائعة بيد الدولة لِصرفها في الخارج فستحصلون ثمنها رحمةً، وعدالةً ومدنيةً.

فان شتّم تبادل فيما بيننا أسلوب الحوار، فأنا أسألكم وأجيبوا أنتم.

ج: [فاسأل ولا تجد به خيراً].

س: هل يمكن أن تكون أمة الأرمن أشجع منكم؟^(١)

ج: كلا، ثم كلا، لم تكن ولن تكون..

س: فلماذا إذن لا ييوح فدائيتهم بأسرارهم ولا يفشي عن أخيه شيئاً ولو قطع إرباً إرباً وأحرق حرقاً، بينما إن طعن شجاعٌ منكم يفرش أسرارهم جميعاً مع دمه المهرق... فما سبب هذا التفاوت العظيم في الشجاعة؟...

ج: نحن لا نعرف كنه ماهيته، ولكننا نعلم أن ثمة شيئاً يصير الذرة جبلاً ويُخضع الأسد للثعلب، فذلك وظيفتك - في الإجابة - نحن لا نطبق حملها، فقد عرفنا وجود ذلك الشيء فعليك بشرح ماهيتها.

ج: فاستمعوا إذن، وافتحوا آذانكم جميعاً، فإن همة أرمني متيقظ بالفكر الملى، هي مجموع أمته، وكأن أمته قد صغرت وأصبحت نفسه أو استقرت في قلبه، فمهما كانت روحه عزيزة وغالية عنده إلا أن أمته أعظم عنده وأعزّ. وحتى لو كان له ألف روح لضحى به مفتخراً لما يحمل من فكر سام - بالنسبة إليه - علماً أن أقصى ما كان يتصوره أشجعكم في السابق - ولا أقصد الحاليين - الذي لم يك متيقظاً ولا داخلاً في النور، ولا عالمياً بشرف الملة الإسلامية، هو مجرد شرف نفسه أو نفعها، أو شرف عشيرته أو رئيسها، فإذن ينظر بنظر قصير ويفكر بتفكير قاصر. فلا جرم قليلٌ من يُفدي روحه العزيزة لمثل هذه المقاصد الصغيرة..

فلو تصورتم وفكرتم بالملية الإسلامية^(٢) مثل ما ينظرون بمليتهم إلى الأمور. لأعلنتم

(١) إن الأتراك والأكراد لكونهم علماء عظاماً في فن الشجاعة، أصبحوا هم المجيبين وأنا السائل (المؤلف).

(٢) إن مليتنا وجود مستقل بذاته، وروحها الإسلام وعقلها القرآن والإيمان (المؤلف).

على رؤوس الأشهاد في العالم شجاعتكم وبسالتكم ولسموتم إلى العلا، ولو تصور الأرمن وفكروا مثلكم تفكيراً سطحياً وقاصراً لكانوا لقيَ أذلاء.

حقاً، إن لكم استعداداً لشجاعة لا تُجَارَى ولبسالة لا تُمارَى، بدليل أن أحدكم يستخف حياته ويفدي روحه رخيصة لصغائر الأمور كمنفعة بسيطة أو عزة جزئية أو شرف رمزي اعتباري أو ليقال: إنه جَسور أو لاستعظام شرف رئيسه. فكيف إذا تنبه هؤلاء.. ألا يستخفون بحياتهم فداءً للملة الإسلامية -التي لا تقدّر بثمن- ولو كانوا مالكين لألف روح، إذ تكسبهم أخوة ثلاثمائة مليون مسلم ومساندتهم وعونهم المعنوي، فلا غرو أن الذي يضحي بحياته لعشرة قروش، يضحي بها بشوق مضاعف لعشر ليرات.

فوا أسفى! إنه مثلما انتقلت محاسننا إلى غير المسلمين، فسجايانا الحميدة هم الذين سرقوها كذلك، وكأن قسماً من أخلاقنا الاجتماعية السامية لم يجد رواجاً عندنا، فنقرّ منا والتجأ إليهم، وإن قسماً من رذائلهم لم يلق رواجاً عندهم فجلب إلى سوق جهالتنا.

ألا ترون -بحيرة شديدة- أن غير المسلمين قد سرقوا الكلمة البيضاء والخصلة الحمراء كأمثال: «إن مُت أنا فلتسلم دولتي ولتحَيّ أمتي وأحبّتي» التي هي أس أساس الكمال والرفي والتقدم الحاضر، بل هي مقتضى الدين المبين، ذلك لأن فدايئهم يقول: «إن متّ فلتحَيّ أمتي، إن لي فيها حياة معنوية...» علماً أن الكلمة الحمقاء والسجية العوراء التي هي أساس الذلّ والأنانية هي التي تقودنا وقد شلّت همتنا وهي التي تتمثل بالعبارة الآتية [إذا متّ ظمّان فلا نزل القطر...].

وهكذا فإن أفضل خصالنا ومقتضى ديننا هو أن نقول، بروحنا وجسدنا ووجدانا وفكرنا وبكل قوانا: «إن متنا، فأمّتنا الإسلامية حية، وهي باقية خالدة فلتحَيّ أمتي ولتسلم، وحسبي الثواب الأخروي، فإن حياتي المعنوية التي في حياة الأمة تحييني وتعيّشني، وتجعلني في نشوة ولذة في العالم العلوي، فينبغي أن نجعل الدساتير النورانية للنور والحمية لنا دستوراً مردّدين: [والموت يومٌ نورٌ ووزنٌ].

س: كيف نجمع قوتنا ونحافظ على شرف الملة الإسلامية؟^(١)

(١) لقد ورد إلى القلب أنه: يمكن أن تكون هذه الدروس التي ألقىت قبل خمس وأربعين سنة على العشائر البدو دروساً الآن لطلاب النور الحاليين أيضاً (المؤلف).

ج: احفروا بالفكر المَلِّي في جوف الأمة حوضاً للمعرفة والمحبة - كحوض الكوثر - وسُدُّوا بالمعارف والعلوم ثغراتٍ تحتها يسيل منها الماء، وافتحوا بالفضيلة الإسلامية المسائِل التي تصب الماء فيه. هناك نبع كبير ضائع أسيء استعماله إلى يومنا هذا، فجري في الأرض السبخة الرملية فما أدى إلا إلى ترعرع متسولين عَجْزة.. فشيّدوا مجرىً جميلاً له وصُبُّوا الماء بالمساعي الشرعية إلى ذلك الحوض ثم اسقوا بستانَ كما لا تكتم به، فهذا نبعٌ لا ينضب ولا ينفد أبداً.

س: ما ذلك النبع؟

ج: الزكاة، فأنتم أحناف وشوافع.

س: [حبذا ونعمت إن لم تذهب غائضه، بل فاضت إلى تلك الخزينة].^(١)

ج: [أجل، إن فيكم ذكاوة إنها تتزاهر بالزكاة].

س: كيف؟

ج: لو أعطى الأذكىاء زكاة ذكائهم، وصَرَفَ الأغنياء ولو زكاة زكاتهم لمنفعة الأمة، لتسابقت أمتنا مع الأمم الأخرى.

س: ثم ماذا؟

ج: إن ما يعين ذلك النبع هو الإعانة المَلِّيَّة الإسلامية، وهي الصدقات والنفقات والنذور التي هي أبناء عمومة الزكاة تنبض بعرقها، وتعين في الخدمات.

س: لِمَ تسخر كثيراً من عاداتنا المستمرة وتزيّفها؟^(٢)

ج: لأن لكل زمان حكماً، وهذا الزمان يحكم على عادات هرمة بالموت والنسخ، لأن مضارها قد ترجّحت على منافعها، وهذا الترجيح يفتي بإعدامها والقضاء عليها.

س: ما أول ما يلزمنا؟

ج: الصدق.

(١) لا تتمتع إن هذا الكلام قد لبس لبوس الزكاة (المؤلف).

(٢) تجد كأن بعض الأسئلة دخيلة في الموضوع وكأن ودياناً تفصل بينها، ولكن إذا ركب الخيال منطاداً وأخذ بيده منظاراً مكبراً فلربما يجد مواطنها (المؤلف).

س: ثم؟

ج: عدم الكذب.

س: ثم؟

ج: الصدق والإخلاص والوفاء، والثبات، والتساند.

س: فقط؟

ج: أجل.

س: ولم؟

ج: إن ماهية الكفر الكذب، وماهية الإيمان الصدق، أليس هذا البرهان كافياً: أن بقاء حياتنا مرهونة بدوام الإيمان والصدق والتساند.

س: ألا يلزم أولاً إصلاح رؤسائنا؟

ج: نعم، كما أن الرؤساء قد أخذوا أموالكم وحجزوها في جيوبهم، فقد أخذوا عقولكم أيضاً وحجزوها في أدمغتهم. لذا فأنا الآن أخاطب عقولكم الموجودة لديهم:

فيا أيها الرؤوس والرؤساء، إياكم والتواكل الذي هو عين التكاسل، ولا تسوّفوا في الأعمال فيحولها بعضكم إلى بعض، اخدمونا بأموالنا التي في أيديكم وبما تملكون من عقول؛ فقد أخذتم أجرتكم باستخدامكم هؤلاء المساكين... فهذا أوان الخدمة والعمل [فعليكم بالتدارك لما ضيّعتم في الصيف].^(١)

س: يبدو منذ سنين أنه قد تنبّهت الرغبة في التدين وتيقّظ الشعور الديني والنزوع إلى الحق، حتى تاب أشقياء «كه وه دان ومامه خوران» توبةً نصوحاً بنصيحة من الشيخ أحمد واصبحوا مريدين صوفيين [وقد قطع الطريق على الشقاوة هذا الميلان].

ج: ما أرشدكم إلا المشروطة الرشيدة والشيخ رسائل النور^(٢) لأنه لما ارتقت

(١) «في الصيف ضيّعت اللبن» مثل يضرب لمن يطلب شيئاً قد فوّته على نفسه (انظر الأمثال للميداني).
(٢) لما كان طلاب النور قد دخلوا ضمن «مآته خوران»، فيجب إطلاق الشيخ رسائل النور - بدلاً عن الشيخ المشروطة - لأنهم ستار الأحرار والحمية الإسلامية والمليّة وهم لا محالة ضمن دائرة الاتحاد المحمدي (المؤلف).

المشروطة الشرعية عرش الأفكار، هزّت الحبل المتين للملّة، فاهتز بدوره الإسلام - وهو العروة الوثقى - وعرف كل مسلم أنه ليس هملاً سائباً، بل مرتبطاً بالآخرين بالمنفعة المشتركة والحسّ المجرد، فالمسلمون جميعاً مرتبطون كالعشيرة الواحدة. إذ كما أن الحسنة التي تصدر من فرد من العشيرة يفتخر بها الكل، ويشترون معه، فلا ينحصر ذلك الشرف على الفرد نفسه، بل يصبح ألوفاً - كالشمعة التي تظهر لها آلاف الصور في آلاف المرايا - فيمدّ الرابطة الحياتية لتلك العشيرة بالنور والقوة؛ كذلك الأمر إذا ارتكب أحدهم جناية فإن أفراد العشيرة كلهم يعدّون متهمين معه إلى حدّ ما. فمثلاً: إذا ارتبط أفراد هذا المجلس برباط، وألقى أحدهم نفسه في الطين، فإما أن يوقع أصدقاءه في الطين أو يضجرهم بكثرة الحركة، وبناء على هذا فإن السيئة الواحدة تتصاعد إلى الألف والحسنة المنفردة تصير ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ (البقرة: ٢٦١).

فهذا السر الذي يقود إلى التوبة أجهش المتيقظين فكراً أو روحاً بالبكاء، ولكن العقل الذي هو في قمة المنارة لا يرى جيداً سببه الذي هو في قعر بئر الوجدان.

الحاصل: أن المسلمين تنبهوا ويتنبهون^(١) وبدأوا يرون الشر شراً والخير خيراً.. فهذا هو السر الذي جعل عشائر هذه البوادي والوديان يتوبون إلى الله توبة نصوحاً والمسلمون كلهم بدورهم يستعدّون لكسب هذا السرّ شيئاً فشيئاً.

إلا أنكم أقرب إلى الملّة الإسلامية لأنكم بدو لم تفسد بعد فطرتكم الأصلية.

س: مع علمك بأن إكرام الضيف عادةٌ مستحسنة عندنا، فلم لا تنزل ضيفاً على أحدنا وتحجم عنا، فعاداتنا هذه قديمة وأصيلية فلم تزيّف هذه العادات وتمنع طلابك من تناول طعامنا وقبول هدايانا، مع أنه واجبٌ علينا خدمتكم والإحسان إليكم، وهو من حقكم علينا.

ج:

أولاً: العلم عزيز، لا أريد أن أذله.. وأريد أن أريكم أن من أهل العلم من لا ينتزل للدنيا، ولا يجعل صنعة العلم وسيلة العيش، وأن الطلاب ليسوا متسولين ولا شحاّذين.

(١) نعم، قد استقلت بعد خمس وأربعين سنة كلّ من عشائر البلدان العربية وباكستان، فهم يصدقون سعيداً القديم في درسه هذا، وسيصدقونه في المستقبل (المؤلف).

ثانياً: أريد أن أنصح فعلاً بعض الموظفين الذين يُظهرون الإهمال والكسل في وظيفتهم، ولا يقنعون بمرتباتهم فلا تُمسك تلك المرتبات أيديهم عن إكرام الضيوف.

ثالثاً: بعض الرؤساء الذين انقطعت مجاري وارداتهم الظالمة يَزَلُّون إلى ظلمات الظلم بفتحهم أبواب مصاريف واسعة جداً، فأريد أن أبين لهم طريقاً لسد تلك الأبواب.

رابعاً: أريد أن أريكم مقياساً تقيسون به من سيسح فيما بينكم ويجول، أنهم يقومون بهذا العمل لأجل الملة أم لهُوى أنفسهم؟ فأبين بذلك محكاً بين الحيلة والحمية.

س: تصبح بهذا مانعاً لإحسان الناس، ألا ينتج هذا استخفافاً بسخائهم؟

ج: الإحسان إنما يكون إحساناً حقاً إن كان للنوع أو للمحتاج أو الفقير، وعنده يكون السخاء سخاءً حقاً، وإذا كان السخاء لأجل الأمة، أو للفرد الذي يتضمن الأمة، فهو سخاء جميل، ولكن إن كان لغير المحتاج يعوّذه الكسل والتسوّل.

والخلاصة: أن الأمة باقية، بينما الفرد فانٍ.

س: [ما تقول في الإحسانات الشخصية في السلف، أمناء الأمة، ورشداؤها، وسيوف الدولة وصلاحها... تجلت العبوسية بمكارمها بإهداء عشرة دنائير لشعير لا يوزن سُعيرة].

ج: ^(١) [فيه ما فيه... مع أنها بالنهاية قد انجرت إلى النوع والملة، لأن اللسان الذي خدّمه الشعيرُ خيط الملية، مع أن هذا الزمان هو الذي كشف عن احتياج الملية وفتح الباب لهذا المقصد العالي].

س: إن الرؤساء المتغلبة، قد تهاووا، وأُوصِد بابُ الظلم دونهم، دع الساقطين وشأنهم، واترك الذين يعانون السكرات، يَتَمَوَّا سكراتهم...

ج: إنني أريد أن أحفظكم سنّة الحرية الشرعية حتى يمثلوها ماداموا على قيد الحياة. نعم، لقد تساقط الرؤساء الذين تربّوا بقوة الاستبداد وحدها، وهم يستحقونه، إلا أن فيهم حمة.

(١) هذه العبارة نابعة من مصنع الموضوع ولايسة ما أهدي إليه من الأسلوب المحلي (المؤلف).

[نعم، إن بينهم حماة للمليّة، فنشكرهم.. ومتكاسلين، فنشكوهم.. ومتحيرين، فنرشدهم.. وأمواتاً فنحافظ على ميراثهم لئلا يأخذه مَنْ..] برز إلى الميدان حديثاً.

س: لقد كنت -سابقاً- تودّ الشيوخ جميعاً وتحبهم بل تحسن الظن حتى بالمتشيعين، فما هذا الهجوم على قسم من المتشيعين الذين ابتلوا بالبدع؟

ج: قد يرد العداء من فرط المحبة وشدها! نعم، فكما كنت أحبهم لأجل نفسي، فقد عشقتهم لنفس الإسلام أضعاف أضعافها،

[لقد انتقش في سويداء قلوبهم الطاهرة الصبغة الربّانية وفي خلدهم ضياء الحقيقة]^(١)

[نديماناً بادها خور دند رفتند تهى خمخانها كردند ورفتند]^(٢).

إلا إن أس أساس مسلكهم: تنوير القلوب وربطها بالفضيلة الإسلامية والسير عليها، أي: الانطباع بالحمية الإسلامية، أي ترك المنافع الشخصية لأجل الإخلاص، أي: التوجه إلى تأسيس المحبة العامة، أي: خدمة الاتحاد الإسلامي والدعوة إليه.

[فوا أسفاً لقد أساؤا متكئين وتكاسلوا في خدمتهم فحينئذٍ أريد تحويل همهم إلى مجراها الحقيقي القديم].

س: أنت تذكر دوماً «الاتحاد الإسلامي» ألا تعرفه لنا؟

ج: قد عرّفته في مؤلفي «المحكمة العسكرية العرفية» وسوف أريكم حجراً من ذلك القصر المعلّى ونقشاً منه:

إن «الكعبة المكرمة» هي الحجر الأسود لكعبة سعادتنا التي هي الاتحاد الإسلامي المنور. و«الروضة المطهرة» درّته البيضاء، و«جزيرة العرب» مكته المكرمة و«الدولة العثمانية» المنقّدة للحرية الشرعية بحذاقيرها هي مدينته المنورة لمدينتها.

فإن شئت أن ترى مليّة الإسلام والحجر الأساس للاتحاد الإسلامي ونقشه، فدونك التوقير اللائق الغيور النابع من الحياء والحمية.. والتبسم البريء الناشئ من الاحترام والرحمة..

(١) إن هذا الأسلوب قد نسج من قطع الخرق المباركة لأحد السلاسل (للأولياء الصوفيين) أي هو إشارة إلى أولياء عظام من أمثال: الشاه النقشبند، الإمام الرباني، خالد ضياء الدين، سيد طه، سيد صبغة الله، وسيدا (المؤلف).

(٢) بيت بالفارسية يعني: أن الندماء شربوا ما شربوا وتركوا الحانة خالية.

والحلاوة الروحانية الحاصلة من الفصاحة والملاحة.. والنشوة السواوية الناشئة من العشق الفتي والشوق الربيعي.. واللذة المملكتية المتولدة من الحزن الغروي والفرح السحري.. والزينة المقدسة المتجلية من الحُسن المجرد والجمال المجلى^(١)... فيمكن أن يرى من اللون النوراني الباعث من امتزاج هذه الخصال الحميدة شيء من منظر اللون الأرجواني من بين الألوان السبعة لقوس قزح قاب قوسي الشرق والغرب والطاق المعلى لكعبة سعادتهما.

ولكن لا يحصل الاتحاد بالجهل، بل الاتحاد امتزاج للأفكار، وهذا الامتزاج لا يتم إلا بالنور الوضيء للمعرفة.

س: لِمَ سكتَ في السابق؟.

ج: [لأن الاستبداد كان مانعاً للاتحاد فكنتُ سكتُ على جهر الغضا]^(٢)

س: الهجوم على المشايخ الذين وقعوا في البدع فيه خطر عليك، لأن فيهم أولياء [ألا تخاف أن تصيبهم بجهالة فتصبح على ما فعلت من النادمين].

ج: [إن المولى جل جلاله قد وَسَمَ بقدرته على جباههم الرفيعة نقش الحقيقة. ومُرادي أن أرشد من طاش فهمه من ذلك النقش]^(٣) نعم، إن هجومي ليس عليهم بل لهم. وذلك لثلاث يقلل من شأنهم غير الأكفاء الذين يتزَيَّونَ بزَيِّهم. فعلى هذا أعلنُ ولا أبالي:

إني على عزم جازم أن أقتحم المهالك -أيًا كانت- أمام ما أصبو إليه من سلامة الإسلام، ولن يشنوني عن عزمي بالتهديد والتخويف. وما قيمة هذه الحياة الدنيا التي يفديها أدنى أرمني لقومه؟ فكيف أخاف عليها وعلاقتي واهية معها، ولاسيما أنها كادت تطير مني سبع مرات، إلا أن الله سبحانه أبقاها عندي أمانة. فإذاً ليس لي حق المنة في بذلها والتضحية بها. ومع أن الروح أرادت الطيران من القفص إلى الشجر، والعقل نزع إلى الهروب إلى اليأس، إلا أنها استبقيا كي تُفدي الحياة بنفسها في المستقبل. فالتهديد إذن باستلاب هذه الحياة لا قيمة له وليس بشيء عندي. ولم يبق ما يهددونني به إلا الحياة

(١) إن كل فقرة من هذه الفقرات في هذا الأسلوب المسلسل تشير إلى شعاع من أشعة الإسلام وإلى جمال من جماله وإلى سجية من سجايه وإلى رابطة من روابطه وإلى أساس من أسسه (المؤلف).

(٢) قلت هذا الكلام عندما كنت أفكر في لزوم اللغة العربية (المؤلف).

(٣) إن المرشدين قد اجتمعوا في هذه التكية، أي في هذه العبارة، فلا تغادرهم دون زيارة لهم فيها إشارة إلى كل من المولوي والقادري والنقشبندي والبكتاشي (المؤلف).

الأخروية، فلو حُرِّمَتْ حتى من هذه الحياة، فلن أُحِجِّم عن مقصدي ولا أَرْضَى» بالبقاء تحت وطأة مَنَّتْها وتقلها. فإن دَعَوْا على تلك الروح المحترقة الآن بنار الأسى والأسف لثَحْرَقَ في نار جهنم، فليكن ولا أبالي، لأن الوجدان بإخراجه نار الأسى منه يتضمن فردوساً من المقاصد، كما أن الخيال يشكل جنة من الأمل. فليكن الجميع على علم أنني قابض على حياتي بيديّ كليهما ومنهمك بحرين مع عدوين في ميدانين للمبارزة، فلا يرتقنّ إلى ميداني من يملك حياة واحدة!.

س: ما تطلب من الشيوخ الحاليين؟.

ج: الإخلاص الذي يترنمون به دوماً، والجهاد الأكبر الذي يرابطون في التكايا التي هي معسكرات معنوية بالطريقة، التي هي جنديّة روحانية فيها.. وتركّ التزام النفس وتركّ المنافع الشخصية الذي هو معنى الزهد، الذي هو شعارهم.. والمحبة التي يدعونها وهي جوهر مزاج الإسلام. ها هم قد أخذوا منا أجرتهم باستخدامنا، فالآن نطالبهم بالعمل وهو دُين في رقابهم.

س: كيف يكونون؟

ج: إما أن يولّوا وينصرفوا عنّا، أو يرفعوا العناد والغية والانحياز فيما بينهم، لأن قسماً من المتشيخين المبتدعين قد تسببوا في تشكيل فرقٍ من أهل البدع والضلالة.

س: كيف يمكن أن يتحدوا ويتفقوا فيما بينهم، وبعضهم ينكر على بعض، وتحرم في قواعدهم ودساتيرهم محبة المُنْكَرِ، بل حتى الأنسُ به، فلا ريب أن مسألة الإنكار مسألة مهمة؟!.

ج: وعلى هذا في الحق إذن أن أخطب بما يأتي: أيها الحمقى أما سمعتم أو أما علمتم أن الآية الكريمة ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (الحجرات: ١٠) ناموس إلهي، وهل تعاميتم عن الدستور النبوي الكريم «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»؟^(١)

فيا للعجب... كيف تتمكن أن تَنسَخَ مسألة الإنكار هذه -الواحية المترددة بين الصدق والكذب- هذين الأساسين العظيمين الضروريين، ألا إن مسألة الإنكار ليست بكلام الله

(١) البخاري، الإيمان ٧؛ مسلم، الإيمان ٧١.

تعالى حتى لا تقبل النسخ.. أما علموا أن الزمان قد نَسَخَ ذلك الإنكار بفتوى غلبة ضرّه على نفعه، والعملُ بالنسخ لا يجوز؟.

س: ألا يمكن أن يكون العداء فيما بينهم لرؤية بعضهم من بعض أفعالاً غير مشروعة؟.

ج: عجباً! بأي وجه حق، وبأي إنصاف وبأي سبب تغلبت أسباب العداء الناشئة من تصرفات غير مشروعة واهية كحجج الصبيان، وترجحت على أسباب المحبة العظيمة -كجبل سُبْحان-^(١) الناشئة من الإيمان والإسلام والإنسانية والجنسية.

نعم، إن الإسلام والإنسانية اللتين تقتضيان المحبة هما كجبل «أُحُد»، أما الأسباب المنتجة للعداء فليست إلّا كالحصيات الصغيرة. فالذي يجعل العداء يتغلب على المحبة يرتكب في الحقيقة حماقة عظيمة، كمن يبخر من قيمة جبل «أُحُد» ويستصغره إلى أدنى من حصة!!.

إن العداء والمحبة كالضياء والظلام لا يجتمعان أبداً، فإذا تغلب العداء، انقلبت المحبة إلى مداراة وتصنّع، أما إذا تغلبت المحبة فالعداء ينقلب إلى ترحم وإشفاق ورقة قلب.

إن مذهبي هو إبداء الحب للمحبة، وإظهار الخصام للعداء، أي أن أحبّ شيء اليّ في الدنيا هي المحبة، وأبغض شيء عندي هو الخصام والعداء.

س: ما الفرق بين الشيخ الولي والمتشيخ المدّعي للولاية؟.

ج: إن كان هدف الشخص وغايته الاتحاد بضياء القلب ونور الفكر، وكان مسلكه المحبة، وشعاره ترك حبّ الذات والأنانية، وكان مشربه إنكار الذات (المحوية) وطريقته الحميّة الإسلامية، ربما يكون شيخاً مرشداً حقاً؛ ولكن إن كان مسلكه إظهار مزاياه بتنقيص الآخرين، ويلقن محبته -إلى مريديه- بخصومة الآخرين، وينحاز إلى نفسه ويلتزم جانبها مما يستلزم الاختلاف وشق العصا، وكان يُظهر أن محبته متوقفة على خصومة الآخرين مما ينتج الغيبة والميل إليها.. فما هو إلّا متشيخ يتطلع إلى الرئاسة، أو ذئب متغتم (في زي غنم) فلا ينتهي به الأمر إلّا إلى جعل الدين وسيلة لجبر مغام الدنيا، أو هو منحدر بلذة منحوسة مشؤومة أو باجتهادٍ خطأ يجعله يُحسن الظن بنفسه ويفتح طريق سوء الظن في المشايخ الكرام والذوات المباركة.

(١) جبل في شرقي تركيا.

س: كلامك حسن جميل، ولكن أين من يسمع؟ ومسلكتك عالٍ ورفيع ولكن من يتبع؟

ج: [ما لا يدرك كله لا يترك كله]^(١).. و[إنما الأعمال بالنيات]^(٢).. [إن الملام على من اتبع الهوى والسلام على من اتبع الهدى].

س: ما رأيك في الاختلافات الرهيبة بين علماء العالم الإسلامي؟ وماذا تقول فيها؟

ج: إن العالم الإسلامي في نظري كمجلس النواب (البرلمان) غير المنتظم أو كمجلس الشورى اختل نظامه، وما نسمعه في الفقه بأن: «هذا هو رأي الجمهور، وعليه الفتوى» إنما هو نظير رأى الأكثرية في ذلك المجلس. وما عدا رأى الجمهور من الأقوال إن لم تكن خالية من الحقيقة والجوهر واللب، تُفَوَّض إلى رأي صاحب القابليات والمواهب والاستعدادات لينتخب كل استعدادٍ وموهبة ما يناسب تربيته وينسجم معها. وهاهنا نقطتان مهمتان.^(٣)

الأولى: أن «القول» الذي أُنْتُخِبَ بميل هذا الاستعداد، والذي يتضمن الحقيقة - إلى حدٍّ ما - وظلٌّ في الأقلية، مقيدٌ في نفس الأمر، ومخصَّصٌ بالاستعداد الذي انتخبه، إلّا أن صاحبه أهمله فتركه مطلقاً، والتزمه متبعوه فجعلوه عاماً، وتعصّب له مقلّدوه وسعوا في هدم المخالفين حفاظاً عليه.. من هذه النقطة تولدت المصادمة والمشاجرة والجرح والردّ حتى تَشَكَّلَ من الغبار المثار من تحت أرجلهم ومن الأبخرة المتصاعدة من أفواههم ومن البروق المنطلقة من ألسنتهم - سحباً ذا بروق وذا رحمة أحياناً - فولّد حجاباً أمام شمس الإسلام الساطعة، ولكن ذلك السحاب المبشّر بالرحمة الواهب للاستعداد والقابلية من فيض نور الشمس، مثلما لم يُنْزَلِ الغيث.. فقد حجب النور أيضاً...

الثاني: أن القول الذي ظل في الأقلية، إن لم يَغْلِبْ ما فيه من الحقيقة والجوهر على ما في الاستعدادات المنتخبة له، من هَوَسٍ وهوى أو تدين موروث ومزاج، فإنه - أي ذلك القول - يبقى على خطر عظيم، لأنه بدلاً من أن ينصبغ الاستعداد به وينقلب إلى ما يقتضيه، يصرفه لنفسه ويلقحه ويسخره لأمره.

(١) «ما لا يدرك كله لا يترك جلّه» هو معنى الآية ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (التغابن: ١٦) والحديث «اتق الله ما استطعت» ولفظ الترجمة قاعدة وليس بحديث (كشف الخفاء، للعجلوني ١٩٦/٢).

(٢) متفق عليه.

(٣) تأمل جيداً في هاتين النقطتين ويحسن بك أن تقدّرهما حقّ قدرهما. (المؤلف).

وها هنا يتحول الهدى إلى الهوى، ويتشرب المذهب من المزاج. إن النحل يشرب الماء فيقطر عسلًا، بينما الحية تشربه وتنث سمًا.

س: يا ترى، ألا يجد هذا المجلس الإسلامي العالي على سطح الأرض انتظاماً وتنسيقاً لأعماله مرة أخرى؟.

ج: أعتقد بأن العالم الإسلامي قاطبة سيصير بمثابة مجلس نواب (برلمان) مقدّس في الملة الإنسانية وبين بنى آدم، وسيشكّل وينظم السلف والخلف فيما بينهم مجلساً للشورى مؤلّياً كلّ منهم وجهه للآخر على مدى العصور، إلّا أن القسم الأول وهم الآباء الشيوخ، سينصتون بهدوء وثناء.

س: ^(١) إن قسماً من الأجانب يوردون شبهات حول مسائل كتعدد الزوجات والرق، كأنها لا تساير المدنية، فيثيرون الأوهام حول الشريعة.

ج: سأقول لكم قاعدة بصورة مجملة لأنني على نية إصدار تفاصيلها في رسالة مستقلة. إن أحكام الإسلام على قسمين:

الأول: وهو الذي يؤسّس عليه الشريعة وهو الحُسن الحقيقي والخير المحض.

الثاني: الشريعة المعدّلة، أي تأتي الشريعة وتُخرج الشيء من صورته البشعة الظالمة إلى صورة ملائمة للزمان والمحيط قابلة للتطبيق حسب الطبيعة البشرية، أخذاً بالصورة المعدّلة اختياراً لأهون الشرّين وأخف الضررين، حتى يتيسّر الوصول إلى الحُسن الحقيقي تماماً. لأن رفع أمرٍ مستأصل في الطبيعة البشرية رفعاً أنياً يقتضي قلب الطبيعة البشرية رأساً على عقب.

وعلى هذا فالشريعة ليست هي التي أوجدت الرق، بل هي التي أوجدت السُّبُل، ومهدت الطريق لتحويل الرق من أقسى صورهِ إلى ما ييسّر الوصول إلى الحرية التامة والانتقال إليها. أي عدّلت تلك الصورة البشعة وقلّلت منها. ثم إن تعدّد الزوجات إلى حدّ أربع زوجات، مع أنها موافقة لطبيعة الإنسان والعقل والحكمة، فإن الشريعة لم تجعلها من الواحدة إلى الأربعة، بل نزّلتها ونقّصتها من الزوجات الثمانية والتسعة إلى الأربعة، ولا سيما قد

(١) هذا السؤال طرح من قبل أحد الأرواؤط (المؤلف).

وضعت شرائط - في التعدد - بحيث لا تؤدي مراعاتها إلى ضررٍ ما، وحتى لو حصل في بعض النقاط شر، فهو شرّ أهون، وأهون الشرّ عدالة إضافية (نسبية)، إذ الخير المحض لا يمكن أن يحصل في جميع أحوال العالم، هيهات!!..

لقد صادفتُ - بسوء التصادف - أهل الإفراط والتفريط من مهاجمي الحكومة والمعترضين عليها. فقسمٌ من أهل الإفراط كانوا يضللون الأتراك - الذين هم قوام الإسلام بعد العرب - حتى تجاوز بعض جهلاء هذا القسم إلى تكفير أهل القانون محتجين بوضع «القانون الأساسي» و«إعلان الحرية» قبل هذا بثلاثين سنة ومستدلين بالآية الكريمة: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ..﴾ (المائدة: ٤٤). فهؤلاء المساكين لم يعرفوا أنّ ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ﴾ هو يعني: «مَنْ لم يصدّق». فيا للعجب... كيف لا أعارض مَنْ ظن الاستبدادَ السابق حريةً وهاجم القانون الأساس! ولكن مع أن أولئك كانوا يعارضون الحكومة إلا أنهم أرادوا استبداداً أشدّ، لهذا كنت أرفضهم وأردّ عليهم، فمضللو أهل «الحرية» هم الآن من هذا القسم.

أما القسم الثاني: وهم أهل التفريط، فلا يعرفون الدين، ويعترضون - ظلماً - على المسلمين ويهاجمونهم بدون إنصاف محتجّين بالتعصب، فالذين انسلخوا من عثمانيتهم وتجردوا منها، والذين يريدون التمثيل بأوروبا وتقليدها كلياً، هم الآن من هذا القسم. أيها العوام! فالآن... نستودعكم الله...

انتظروا فإن لي دعوى أبحثها مع الخواص، ولي مسألة مهمة مع الحكومة، مع الأشراف، مع أولئك الذين ليسوا من الماسونيين من جماعة الاتحاد والترقي.

يا طبقة الخواص! نحن العوام ومعاشر أهل المدرسة الدينية نطالبكم بحقنا!..
س: ما تريدون؟.

ج: نريد أن تصدقوا قولكم بفعلكم، ولا تعتذروا بقصور غيركم، ولا تتواكلوا فيما بينكم وتكاسلوا في خدمتنا الواجبة عليكم، وأن تتداركوا فيما فاتنا بسببكم، وأن تستمعوا إلى أحوالنا وتستشيروا حاجتنا، وأن تستفسروا عن أوضاعنا، وتدعوا لهوكم جانباً!..

الحاصل: إننا نطلب ضمان مستقبل العلماء في الولايات الشرقية، ونطلب نصيبنا من معنى «الاتحاد» و«الترقى» لا من الاسم، فنطلب ما هو هين عليكم وعظيم عندنا.

س: أفصح عن مقصدك ولا تتركه مبهماً. ماذا تريد؟.

ج: نطلب تأسيس «مدرسة الزهراء» - شقيقة الجامع الأزهر - التي تتضمن الجامعة. نطلب تأسيسها في «بتليس» مع رفيقتها في كل من «وان» و«دياربكر» جناحي بتليس، اطمئنوا أننا نحن الأكراد -لسنا كالأخرين- فنحن نعلم يقيناً أن حياتنا الاجتماعية تنشأ من حياة الأتراك وسعادتهم.

س: كيف؟ مثل ماذا؟ ولم؟

ج: إن لها بعض شرائط تربوية، ومجاري واردات، ومحاسن ثمرات...

س: ما شرائطها؟.

ج: ثمانية:

أولها: التسمية باسم «المدرسة» لأنه مألوف ومأنوس وجذاب، ومع كونه عنواناً اعتبارياً إلا أنه يتضمن حقيقة عظيمة مما يهيج الأشواق وينبه الرغبات.

ثانيها: مزج العلوم الكونية الحديثة ودرجها مع العلوم الدينية مع جعل اللغة العربية واجبة، والكردية جائزة، والتركية لازمة.

س: ما الحكمة في هذا المزج، حتى تدعو إليه دائماً وتدافع عنه؟.

ج: لتخليص المحاكمة الذهنية (العقلية) من ظلمات السفسطة الحاصلة من أربعة أنواع من الأقيسة التمثيلية الفاسدة^(١) وإزالة المغالطة التي تولدها الملكة المتفلسفة على التقليد الطفيلي.

(١) من أمثال تلك القياسات الفاسدة: قياس المعنويات على الماديات، واتخاذ ما تقوله أوروبا حجة في المعنويات، أي كما أنهم ماهرون في الماديات، ويقتدى بهم فيها، فهم ماهرون في العقائد أيضاً. وثانيها: رفض أقوال العلماء -من لم يطلعوا على بعض العلوم الحديثة- في العلوم الدينية أيضاً. ثالثها: الاعتماد على النفس والاعتداد بها في الدين لاغتراره بمهارته في العلوم الحديثة. رابعها: قياس السلف على الخلف والماضي على الحاضر، ثم شن الهجوم وتقديم الاعتراضات الباطلة (شقيق المؤلف عبد المجيد).

س: كيف؟ مثل ماذا؟.

ج: ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، فبامتزاجهما تتجلى الحقيقة، فتتربى همة الطالب وتعلو بكلا الجناحين، وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى والحيل والشبهات في الثانية.

الشرط الثالث: انتخاب المدرسين فيها، إما من العلماء الأكراد من ذوي الجناحين أي الموثقين والمعتمدين من قبل الأكراد والأتراك أو ممن يعرفون اللغة المحلية ليُستأنس بهم.

رابعها: الاستشارة باستعداد الأكراد وقابلياتهم، وجعل صباوتهم وبساطتهم نصب العين، وكم من لباس يُستحسن على قامة، يستقبح على أخرى، وتعليم الصبيان قد يكون بالقسر أو بمداعبة ميولهم.

الشرط الخامس: تطبيق قاعدة «تقسيم الأعمال» بحذافيرها، حتى يتخرج من كل شعبة متخصصون مهرة مع أنها مداخل ومخارج بعضها ببعض.

الشرط السادس: إيجاد سبيل بعد تخرج الدوامين وضمان تقدمهم واستفاضتهم حتى يتساووا مع خريجي المدارس العليا ويتعامل معهم بنفس المعاملة مع المدارس العليا والمعاهد الرسمية، وجعل امتحاناتها كامتحانات تلك المدارس منتجة، دون تركها عقيمة.

الشرط السابع: اتخاذ دار المعلمين -موقتاً- ركيزة لهذه المدرسة ودمجها معها، ليسري الانتظام والاستفاضة من العلم من هذه إلى تلك، والفضيلة والتدين من تلك إلى هذه، حتى يكون كل منها ذا جناحين بالتبادل.

س: ما وارداتها؟

ج: الحمية والغيرة..

س: ثم؟

ج: إن هذه المدرسة كنواة تتضمن -بالقوة- شجرة طوبى. فإن اخضرت بالحمية والغيرة استغنت عنكم وعن خزائنكم المنضوية، وذلك بجذبها الطبيعي لحياتها المادية.

س: بأي جهة؟

ج: بجهات عديدة:

الأولى: الأوقاف، لو انتظمت انتظاماً حقيقياً، لأسألت إلى هذا الحوض عيناً سيالة بتوحيد المدارس.

الثانية: الزكاة، فنحن شافعيون وأحناف، فإذا أبدت -بعد حين- تلك المدرسة الزهراء خدماتها للإسلام والإنسانية، فلا ريب أن يتوجه إليها قسم من الزكاة وتحصرها لنفسها باستحقاق، وحتى لو كانت لها زكاة الزكاة لكفتها.

الثالثة: النذور والصدقات... فكما أن هذه المدرسة تكون وغثل عند العقول أسمى «مدرسة» وبنظر القلوب والوجدان أقدس زاوية (تكية) وذلك بما تنشره من ثمرات وما تعمه من ضياء وما تقدمه للإسلام من خدمات جليلة. أي فكما هي مدرسة دينية فهي مدرسة حديثة، وتكية أيضاً. وحينها يتوجه إليها قسم من النذور والصدقات التي هي من جملة التكافل الاجتماعي في الإسلام.

الرابعة: الإعارة.. بتوسيع واردات دار المعلمين -بعد الدمج لأجل التبادل المذكور- توسيعاً نسبياً... يمكن إعارة تلك الواردات إليها مؤقتاً، وحينما تستغني -بعد مدة- ستردّ تلك العارية.

س: ما ثمرات هذه المدرسة حتى تصرخ وتدعو إليها بحماسة من قبل عشر سنين بل من قبل خمس وخمسين سنة؟

ج: هي -مجملاً- تأمين مستقبل العلماء الأكراد والأتراك^(١) وإقحام المعرفة عن طريق «المدرسة» إلى كردستان، وإظهار محاسن «المشروطة» و«الحرية» والاستفادة منها.

س: يحسن بك أن توضح أكثر وتفصل.

ج:

الأول: توحيد المدارس الدينية وإصلاحها...

(١) لقد ألفت هذه المباحث حول «مدرسة الزهراء» في السنة الثالثة من إعلان الحرية على صورة خطب للأهالي في كل من بئليس ووان ودياربكر وغيرها من الأماكن، وقابلوني جميعاً بالموافقة وبأن هذه المسألة حقيقة وممكنة وقابلة للتطبيق، لذا أستطيع أن أقول: إنني مترجم لما كان يدور بخلدهم في هذه المسألة (المؤلف).

الثاني: إنقاذ الإسلام من الأساطير والإسرائيليات والتعصب الممقوت، تلك التي صدّأت سيف الإسلام المهتد.

نعم، إن شأن الإسلام الصلابة في الدين وهي المتانة والثبات والتمسك بالحق، وليس التعصب الناشئ عن الجهل وعدم المحاكمة العقلية، وفي نظري أن أخطر أنواع التعصب هو ذلك الذي يحمله قسم من مقلدي أوربا وملحديها، لِمَا يَصْرَوْنَ بعناد على شبهاتهم السطحية، وليس هذا من شأن العلماء المتمسكين بالبرهان.

الثالث: فتح باب لنشر محاسن المشروطة.

نعم، ليس هناك في العشائر من فكرٍ يجرح المشروطة، ولكن إن لم تُستحسن في نظرهم فلا يستفاد منها، وهذا أشد ضرراً؛ فلا شك أن المريض لا يستعمل دواءً يظنه مشوباً بالسم.

الرابع: فتح طريق لجريان العلوم الكونية الحديثة إلى المدارس الدينية، بفتح نبع صافٍ لتلك العلوم بحيث لا ينفر منها أهل المدارس الدينية، ولقد قلت مراراً بأن فهماً خطأً وتوهماً مشووماً قد أقاما - لحد الآن - سدّين أمام جريان العلوم.

الخامس: أكرر ما قلته مراراً - بل مئة مرة - أن هذه المدرسة تصالح بين أهل المدرسة «الدينية» والمدرسة «الحديثة» وأهل الزوايا «التكايا»، وتجعلهم يتحدون - في الأقل - في المقصد، وذلك بما تحدث فيما بينهم من الميل وتبادل الأفكار.

نعم، نشاهد بأسى وأسف أن تباين أفكارهم كما فرّق الاتحاد فيما بينهم فإنّ تخالف مشاربهم قد وقف التقدم والرقي أيضاً، وذلك لأن كلاً منهم - بحكم التعصب لمسلكه ونظره السطحي لمسلك الآخر - انساق إلى الإفراط والتفريط، ففرط هذا بتضليل ذاك، وأفرط ذاك بتجهيل هذا.

الخلاصة: أن الإسلام لو تجسّم لكان قصراً مشيداً نورانياً ينور الأرض ويهيجها؛ فأحد منازل «مدرسة حديثة»، وإحدى حجراته «مدرسة دينية»، وإحدى زواياه «تكية»، ورواقه مجمع الكل، ومجلس الشورى، يكمل البعض نقص الآخر.. وكما أن المرأة تُمثل صورة الشمس وتعكسها فهذه المدرسة الزهراء ستعكس وتمثل أيضاً صورة ذلك القصر الإلهي الفخم في البلدان الخارجية.

يا أيها الأشراف! اخدمونا كما خدمناكم وإلا... يا أهل الحكومة الذين تدعون الوصاية علينا بعدم بلوغنا سن الرشد كما تظنون أمّنوا وسائل سعادتنا كيما نطيعكم، وإلا... فيا أعضاء الاتحاد والترقي القدماء يا من تعهدتم وتحملتتم بحق الواجب الاجتماعي للأكراد والأتراك حسناً فعلتم وقمتم بهذا المزج، فإن أحسنتم فحسناً وإلا... [فردوا الأمانات إلى أهلها].^(١)

س: هناك عتاب كبير على العلماء حتى...

ج: إنه ظلم عظيم وعدم إنصاف شديد.

س: لماذا؟

ج: لأنه حماقة كحماقة من يهب وجوداً على ذنب صدر من العدم.

س: ماذا تعني؟

ج: إن إدانة العلم، بذنب ناشئ من عدم الحلم، لشخص اقترن علمه بعدم الحلم كم هي حماقة وبلاهة، كذلك فإن إدانة العلماء المساكين - وهم المرشدون دوماً إلى قدسية الإسلام وسموه، والمبلّغون لأحكام الدين، حسب طاقاتهم والذين يستحقون احتراماً ومحبة أكثر ورحمة في الوقت الحاضر - إدانتهم بذنب وخطأ ناشئ من عدم وجود علماء بمستوى لائق لهذا العصر، ثم إلقاء ذلك الذنب وتلك الخطيئة على كاهل هؤلاء المساكين، إن لم تكن هذه حماقة أعظم وبلاهة أكبر فما هي إذن؟!...

نعم، إن الضرر لم يصبنا من «وجودهم» بل من «عدم وجود» ما نبتغيه من العلماء الأفاضل، لأن أغلب الأذكى قد اتجهوا إلى المدارس الحديثة، والأغنياء أنفوا من نمط المعيشة في المدرسة الدينية، والمدرسة نفسها - لعدم وجود الانتظام وفقدان الاستزادة من العلوم وانقطاع سبل التخرج - لم تتمكن من تهيئة علماء بمقتضى هذا العصر...

احذروا! إن كره العلماء وبغضهم خطر عظيم.^(٢)

(١) تنبيه: يا أعضاء الحكومة وأهل السياسة الذين تعدّون أنفسكم من الخواص، لا تسلّوا أنفسكم بالاستناد إلى هذا الكتاب الذي يخاطب العوام ويلقنهم الدروس في تحطيم اليأس لأن سوء استعمالكم أسوأ تأثيراً من سوء فهمهم، فلكني أرشدكم جعلت الزمان وكيلاً، فلم تعيروا إلى درس الزمان بالآ، فذقتهم صفقة تأديبية (المؤلف).

(٢) يا أهل المدارس «الدينية»! لا تياسوا إن العلوم الدينية والعلوم الحديثة في الوقت الحاضر هما المسيطران. وإن طريق التقدم والرقي سيكون بالعلم وبأنواعه كافة، وسوف يرتقي أرفع وأعلاه إلى أسمى طبقة (المؤلف).

س: فإن كانت نيتك خالصة توفّق، وقليل من يخلص النية، فانظر إلى نيتك.

ج: لله الحمد ولا فخر^(١).. إن عناصر الأغراض الشخصية ومصالحها المخلة بإخلاص النية - من نسب ونسل وطمع وخوف - لا تعرفني ولا أعرفهن، بل لا أريد أن أتعرّف إليهن، ذلك لأنني لست صاحب نسب شهير كي أجدّ في صون ماضيه، ولست صاحب أولاد كي أسعى لضمان مستقبلهم، ولكن لي جنون - أيّ جنون - حتى أعجز المحكمة العسكرية بهيبتها ورهبتها في علاجه، ولي جهل مطبق - وأيّ جهل - حتى جعلني أمياً لا أستطيع قراءة المكتوب على الدينار والدرهم. أما التجارة الأخروية... فقد آليت على نفسي ألا أراجع عن طريقي التي أسلكها ولو ضيّعتُ فيها رأس مالي. وإني على وشك خسارتها منذ الآن، إذ أسقُطُ في آثام كثيرة... فلم يبق إلّا الشهرة الكاذبة... ولقد مللت منها، وأهرب منها، لأنها تحمّلني ما لا يمكن أن أتحمّله من وظائف..

س: لِمَ تحسن الظن - كلما أمكنك ذلك - بحكومة المشروطة وأفراد «جون تورك» غير الملحدين؟

ج: لأنكم تسيئون الظن بهم كلما تيسّر لكم ذلك، فأنا أحسنُ الظن بهم، فإن كانوا بمثل ما أقول، فبه ونعم، وإلا فأنا أرشدهم إلى الصواب كي يسلكوه.

س: ما رأيك في الاتحاد والترقي؟

ج: مع أنني أتمنّ قيمتهم إلّا أنني أعترض على الشدة التي يزاوها سياسيوهم^(٢) وأهني في الوقت ذاته وأستحسن - إلى حدّ ما - فروعهم وشُعَبَهم الاقتصادية والثقافية ولا سيما في الولايات الشرقية.

سؤال: ما الذي ألقانا في غياهب الضياع وأقعدنا عن معالي الأمور؟

الجواب: إن الحياة حركة وفعالية، أما الشوق فجواؤها، وهو مطية الهمة. فحالما تمتطي همّتكم صهوة جواد الشوق ناشدة معالي الأمور في ميادين معركة الحياة، إذا بـ «الْيَاس» أول

(١) إن التحدث بنعم الله ضرب من الشكر، مثلما يحدث الشيخ عن كرامته شكراً لنعم الله عليه (المؤلف).

(٢) يظهر الظلم عند عدم توزيع العدالة توزيعاً عادلاً. فلا يمكن جرح شعور ألف من الناس لأجل شخص واحد. فالشدة شيء والحمية شيء آخر، إذ لو التزم مغرورٌ معجب بنفسه بالحق، يسوق الكثيرين إلى الباطل، وربما يرغمهم عليه (بها يستعمل من شدة) (المؤلف).

ما يصادفها، هذا العدو الألد هو الذي يفتّ من قوة الهمة.. فعليكم أن تضربوه بسيف الآية الكريمة: ﴿لَا تَقْنَطُوا﴾ (الزمر: ٥٣).

ثم يشن «حُبُّ الظهور وميل التفوق» هجومَه، هذا الميل المغروز في الإنسان يحاول التحكم على خدمة الحق الخالصة من الحسد والمنازعة، فيهوي بضرباته على رأس الهمة ويطرحها على الأرض من على جوداها.. فعليكم أن تبعثوا إليه حقيقة الآية الكريمة: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ﴾ (النساء: ١٣٥).

ثم يبرز إلى الميدان «الاستعجال» فيزِل قدم الهمة ويقلبها على عقبيها بطفراته خطوات ترتب الأسباب والمسببات. فيشوش مراحل العلل التي وضعها الله سبحانه في سنته الكونية.. فعليكم أن تحتموا منه بالخذق الأمين للآية الكريمة: ﴿أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ (آل عمران: ٢٠٠).

ثم يتصدى لها «الرأي الشخصي» المستبد والتفكير الانفرادي الذي يبدد أعمال الإنسان، رغم أنه مكلف -بفطرته- برعاية حقوقه ضمن رعايته لحقوق الآخرين.. فعليكم أن تصدوه بالحقيقة الشاخنة في الحديث الشريف: «خير الناس أنفعهم للناس»^(١). ثم يخرج إلى ساحة المعركة عدو آخر وهو: «التقليد» فيجد الفرصة سانحة لتقليد الكسالى والمتخلفين، وبه يقصم ظهر الهمة.. فعليكم تحدّيه بالحقيقة الشاهقة، تلك هي حكمة الآية الكريمة: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾ (المائدة: ١٠٥). كيلا تبلغ يد العدو أذيال الهمة.

ثم يلوح العدو الغدار وهو: «التسويق» الناجم من العجز وفقدان الثقة بالنفس، فينشأ منه تأجيل الأعمال الأخروية من اليوم إلى الغد، وهكذا حتى يمسك يد الهمة ويقعدها عن النهوض.. فعليكم الاقتداء بسر الآية الكريمة: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (إبراهيم: ١٢). على الله لا على غيره. فاجعلوا التوكل عليه سبحانه حصناً للهمة.

ثم يدخل الساحة العدو الملحد وهو: «التدخل في ما هو موكول أمره إلى الله» فينزل هذا التدخل بضرباته القاسية ولطحاته الموجهة على وجه الهمة حتى يُعمي بصرها... فعليكم

(١) العجلوني، كشف الخفاء ١/ ٤٧٢، وانظر: الطبراني، المعجم الأوسط ٦/ ٥٨؛ البيهقي، شعب الإيثار ٦/ ١١٧.

أن ترسلوا عليه الحقيقة الدائبة والرابحة دوماً وهي الآية الكريمة: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ (هود: ١١٢). كي تقفه عند حدّه، فلا يتجاوزه، إذ ليس للعبء أن يتأمر على سيده.

وأخيراً يُقْبَل «حب الراحة والدعة» الذي هو أم المصائب ووكر الرذائل فيصفّد الهمة الكريمة بسلاسله وأغلاله ويقعدها عن طلب معالي الأمور ويقذفها في هاوية السفالة والذلة.. فعليكم أن تُخرجوا على ذلك السفاح الساحر، البطل المجاهد في الآية الكريمة: ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ (النجم: ٣٩).

[حقاً إن لكم في الجهاد وتحمل المشاق راحة كبرى، وإن الذي يملك فطرة حساسة راحته في السعي والعمل].

كان الذين لا يعرفونني في أثناء تجوالي ينظرون إلى ملابسي ومحسبوني تاجراً، ويسألون: أنت تاجر؟

- نعم، وكيمياوي كذلك!

- كيف؟

- هناك مادتان، أمزجهما معاً، فيولدان ترياقاً شافياً، وضياء كهربائياً.

- أين هما؟

- في سُوق المدنية والفضيلة صندوقٌ يمشي على رجلين مكتوب عليه: «الإنسان»، فيه جوهر ساطع أو أسود قاتم وهو القلب.

- وما المادتان.

- الإيمان والمحبة، والوفاء والحمية.

الجريدة السيارة

أبو لاشيء، ابن الزمان، أخو العجائب، رفيق الغرائب.

بديع الزمان سعيد النورسي

المحكم العسكري العرفي

أو

شهادة مدرستي المصيبة

«التي طبعت سنة (١٩٠٨م)»

تأليف

بديع الزمان سعيد النورسي

ترجمة

إحسان قاسم الصالح



باسمه سبحانه

﴿وَأَنَّ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾

المقدمة

حينما كانت «الحرية» قرينةً الجنون، جعلَ الاستبدادُ الضعيفَ مستشفى المجاذيب مدرسةً لي.

وحينما كانت العدالة والاستقامة التبتسا مع الرجعية، صيرَّ الاستبداد الشديد في المشروطة السجنَ مدرسةً لي.

فيا أيها المحترمون الناظرون إليَّ لشهادتي هذه! أرجو أن تبعثوا أرواحكم وخيالكم ضيوفاً إلى ذهن طالب بدوي عصبي المزاج وإلى جسده، وهو يكابد الاضطراب وقد انخرط حديثاً في المدنية، وذلك لثلاث تقعوا في خطأ تخطئة الآخرين.

لقد قلت في المحكمة العسكرية العرفية في أثناء حادثة (٣١) مارت:

إنني طالب شريعة، لذا أزن كل شيء بميزان الشريعة. فالإسلام وحده هو ملتي، لذا أُقيم كل شيء وأنظر إليه بمنظار الإسلام.

وإنني إذ أقف على مشارف عالم البرزخ الذي تدعونه: «السجن» منتظراً في محطة الإعدام، القطار الذي يقلني إلى الآخرة أشعب وأنقد ما يجري في المجتمع البشري من أحوال ظالمة غدارة. فخطابي ليس موجهاً إليكم وحدكم وإنما أوجهه إلى بني الإنسان كلهم في هذا العصر. فلقد انبعثت الحقائق من قبر القلب عارية مجردة بسر الآية الكريمة: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ (الطارق: ٩)... فمن كان أجنبياً غير محرّم فلا ينظر إليها. إنني متهيئ بكل شوق للذهاب إلى الآخرة، ومستعد للرحيل إليها مع هؤلاء المعلقين على المشانق. تصوروا مبلغ اشتياقي إليها بهذا المثال:

قروي مغرم بالغرائب سمع بعجائب إسطنبول وغرائبها وجمالها ومباهجها، كم يشواق

إليها؟

فأنا الآن مثل ذلك القروي، مشتاق إلى الآخرة التي هي معرض العجائب والغرائب.
لذا فإن إبعادي ونفبي إلى هناك لا يُعدّ عقاباً لي. ولكن إن كان في قدرتكم وفي
استطاعتكم تعذيبي وإيقاع العقاب عليّ فعذبوني وجداناً، فما دونه ليس عذاباً ولا عقاباً بل
فخراً وشرفاً.

لقد كانت هذه الحكومة تحاصم العقل أيام الاستبداد، إلا أنها الآن تعادي الحياة
بأكملها؛ فإن كانت الحكومة على هذا الشكل والمنطق، فليعيش الجنون وليعيش الموت، ولتعيش
جهنم مثوى للظالمين.

لقد كنت أمل أن يهَيَّأ لي موضعٌ لأبين فيه أفكاري، وها قد أصبحت هذه المحكمة
العرفية خير مكان لأبث منها أفكاري.

في الأيام الأولى من التحقيق سألوني مثلما سألوا غيري:

«وأنت أيضاً قد طالبت بالشرعية»!

قلت: لو كان لي ألف روح، لكنت مستعداً لأن أضحى بها في سبيل حقيقة واحدة
من حقائق الشرعية، إذ الشرعية سبب السعادة وهي العدالة المحضة وهي الفضيلة. أقول:
الشرعية الحقّة لا كما يطالب بها المتمرّدون.

وقالوا كذلك: هل انضممت إلى «الاتحاد المحمدي»؟^(١)

قلت: نعم، بكل فخر واعتزاز! أنا من أصغر أعضائه، ولكن بالوجه الذي أعرفه.
أروني أحداً خارج ذلك الاتحاد من غير الملحدّين.

وهكذا فأنا أنشر اليوم ذلك الخطاب لأنقذ المشروطة من التلوّث، وأنجي أهل الشرعية
من اليأس، وأخلص أبناء العصر من وصم الجهل والجنون بهم في نظر التاريخ، وأنتشل الحقيقة
من الأوهام والشبهات.

فها أنا أبدأ بخطابي.

أيها القادة! أيها الضباط!

إن خلاصة جناباتي التي اقتضت سجنني هي:

(١) تشكلت هذه الجمعية في ٥ نيسان ١٩٠٩، وأعلن عنها في اجتماع ديني حاشد في جامع أبياصوفيا، ألقى فيه الأستاذ
النورسي خطبة رائعة.

[إذا محاسني اللاتي أدلّ بها كانت ذنوبي فقل لي كيف أعتر؟]^(١).

وفي البداية أقول:

إن الشريف لا يتنازل لارتكاب جريمة، وإن اتُّهم بها لا يخاف من الجزاء والعقاب؛ فلئن أُعدمتُ ظلماً فإني أغنم ثواب شهيدين معاً، وإن لبثت في السجن فهو بلا ريب أفضل مكان في ظل هذه الحكومة الظالمة التي ليس فيها من الحرية إلّا لفظها؛ فالموت مظلوماً هو خير من العيش ظالماً.

وأقول كذلك: إن بعضاً ممن جعلوا السياسة أداة للإحاد، يتهمون الآخرين بالرجعية أو باستغلال الدين لأجل السياسة ليستروا على سيئاتهم وجرائمهم.

إن عيون السلطة وجواسيسها أشد قساوة من سابقهم، فكيف يوثق بهم ويعتمد عليهم، وكيف نبني العدالة على أقوالهم؟

فضلاً عن أن الإنسان، إذ لا يسلم من تقصير ونقص، بينما تراه يتحرى العدالة يقع في الظلم بالجن والخب. ولكنّ جمع تقصيرات متفرقة وقعت في مدة مديدة ومن تصرف أشخاص كثيرين - والتي يمكن تفاديها بما يتخللها من محاسن - وتوهم صدورهما من شخص واحد في وقت واحد، يجعل ذلك الشخص مستحقاً لعقاب شديد. بينما هذا الأمر بحد ذاته ظلم عظيم.

والآن سنباشر بذكر جنائياتي البالغة إحدى عشرة جناية ونصف جناية... وهي:

الجناية الأولى: في السنة الماضية، في بداية إعلان الحرية، أرسلت ما يقارب من خمسين أو ستين برقية إلى العشائر القاطنين في شرقي البلاد، وذلك بوساطة ديوان رئاسة الوزارة. كان مضمون تلك البرقيات:

«إن المسألة التي سمعتموها وهي المشروطة والقانون الأساسي ما هي إلّا العدالة الحقّة والشورى الشرعية. تلقّوها بقبول حسن. اسعوا للحفاظ عليها؛ لأن سعادتنا الدنيوية في المشروطة. فلقد قاسينا الأمرين من الاستبداد أكثر من الآخرين».

وقد أتت من كل مكان إجابات إيجابية لهذه البرقيات. بمعنى أنني قمت بتنبيه الولايات الشرقية ولم أتركهم غافلين، يستغفلهم استبداد جديد..

(١) للبحثري من قصيدة يمدح بها علي بن مر.

وحيث إنني لم أقل مالي وللناس ارتكبتُ إذن جناية، حتى دخلتُ هذه المحكمة!

الجناية الثانية: لقد قمت بإلقاء خطب عدة على العلماء عامة وعلى كثير من طلاب الشريعة، وذلك في كل من جامع أياصوفيا وبايزيد والفتاح والسليمانية، وبيّنتُ العلاقة الحقيقية بين الشرع الحقيقي والمشروطة، وأوضحْتُ أن الاستبداد المتعسف لا صلة له بالشريعة الغراء، وأن الشريعة قد أتت لهداية العالم أجمع كي تزيل التحكم الظالم والاستبداد كما هو مضمون الحديث الشريف «سيد القوم خادهم»^(١)، وأنا على استعداد لأبرهن برهاناً قاطعاً على كل كلمة جاءت في أي خطبة كانت من الخطب التي ألقيتها لمن له أي اعتراض كان. وقد قلت: إن المسلك الحقيقي للشريعة إنما هو حقيقة المشروطة المشروعة.

بمعنى أنني رضيت بالمشروطة بالدلائل الشرعية، وليس كما رضيَ بها بعض دعاة المدينة الغربية، إذ قبلوها تقليداً وفهموها خلافاً للشريعة. فلم أتنازل عن الشريعة ولم أعطيها أنا مرة لشيء.

وحيث إنني سعيْتُ لإتقاذ الشريعة وصون علمائها من شبهات أوروبا وأوهامها فقد ارتكبتُ إذن جريمة حتى رأيت هذا النمط من معاملاتكم معي!

الجناية الثالثة: لقد توجست خيفة من أن يُلَوَّثَ صفاء القلوب لدى الولايات الشرقية، فيستغل بعض دعاة الأحزاب أبناء بلدي الذين يقرُبُ تعدادهم عشرين ألف شخص، حيث إنهم يعملون بالحمالة وهم ذوو نفوس طيبة ساذجة غافلة، فتجولتُ جميع الأماكن والمقاهي التي يتواجد فيها الحمالون، وبيّنتُ لهم المشروطة في السنة الماضية بقدر ما يستوعبونه. فقلت لهم بهذا المعنى:

إن الاستبداد ظلم وتحكم في الآخرين، أما المشروطة فهي العدالة والشريعة. فالسلطان إذا ما أطاع أوامر سيدنا الرسول الكريم ﷺ وسار في نهجه المبارك فهو الخليفة، ونحن نطيعه، وإلا فالذين يعصون الرسول ﷺ ويظلمون الناس هم قطاع طرق ولو كانوا سلاطين.

إن عدونا هو الجهل والضرورة^(٢) والاختلاف، وسنجاهد هؤلاء الأعداء الثلاثة بسلاح

(١) انظر: البيهقي، شعب الإيمان ٦/ ٣٣٤؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ١٠/ ١٨٧؛ الديلمي، المسند ٢/ ٣٢٤؛ المناوي، فيض القدير ٤/ ١٢٢.

(٢) المقصود بالضرورة هنا حالة الاضطراب الناشئة من الفقر والعوز.

الصناعة والمعرفة والاتفاق، وستعاون وتتصادق يدأ بيد مع الأتراك وهم إخواننا الحقيقيون الذين كانوا السبب -من جهة- لإيقاظنا من غفلتنا ودفعنا إلى سبيل الرقي.

نعم، نتعاون معهم ومع جميع من يجاورنا، لأن الخصام والعداء فساد أي فساد. فلا نملك وقتاً للخصام.

ونحن لا نتدخل بشؤون الحكومة، حيث إننا لا ندرك حكمتها.

ولقد كانت لهذه النصيحة جدوى وأثرٌ في أولئك الحمالين الذين قاطعوا العمل في إنزال البضائع النمساوية -مثلاً أقاطع البضائع الأوروبية قاطبة- حيث تصرفوا تصرفاً يتسم بالعقلانية وبعيداً عن التهور.

وحيث إنني كنت السبب في تقويم ارتباطهم بالسلطان وتسويتها وفتح حرب اقتصادية مع النمسا فقد ارتكبتُ إذن جناية حتى وقعتُ في هذه المصيبة!

الجناية الرابعة: إن أوروبا تظن الشريعة هي التي تمد الاستبداد بالقوة وتعينه. حاش وكلا.. إن الجهل والتعصب المتفشين فينا قد ساعدوا أوروبا لتحجّل ظناً خاطئاً من أن الشريعة تعين الاستبداد. لذا تأملت كثيراً من أعماق قلبي على ظنهم السيئ هذا بالشريعة، فكما أنني أكذب ظنّهم فقد رحّبتُ بالمشروطة باسم الشريعة قبل أي شخص. ولكنني خشيت من أن يقوم استبداد آخر لتصديق هذا الظن، لذا صرخت من أعماقي، وبكل ما أوتيت من قوة في خطاب أمام المبعوثين.. في جامع أياصوفيا وقلت:

افهموا المشروطة في ضوء المشروعية وتلقّوها على أساسها، ولقّنوها الآخرين على هذه الصورة، كي لا تلوّثها اليدُ القذرة لاستبدادٍ جديد متستر وملحد باتخاذ ذلك الشيء الطيب المبارك تُرساً لأغراضه الشخصية. قيّدوا الحرية بأداب الشرع لأن عوام الناس والجاهلين يصبحون سفهاء وعصاة وقطاع طرق، فلا يطيعون بعد أن ظلوا أحراراً سائين بلا قيد وشرط. ولتكن قبلتكم في صلاة العدالة على المذاهب الأربعة كي تصحّ صلاتكم، لأنني قد أعلنت دعوى: أنه يمكن استخراج حقائق المشروطة صراحة وضمناً وإذناً من بين المذاهب الأربعة. وحيث إنني قد أخذت على عاتقي -وأنا طالب شريعة- ما يفرض على العلماء جملةً من

الوظائف والواجبات فقد اقترفتُ إذن جنايةً.. ولهذا تلقيت مثل هذا العقاب!

الجناية الخامسة: لقد دأبت الصحف على زعزعة الأخلاق الإسلامية بقياسين فاسدين وبها يوهن العزة والإقدام، حتى أهلكوا الأفكار العامة السائدة. فتصديت لهم بمقالات نشرتها في الجرائد وقلت لهم:

«يا أرباب الصحف! على الأدباء أن يلتزموا بالأداب، وعليهم أن يتأدبوا بالأداب اللائقة بالإسلام، فينبغي أن تكون أقوالهم صادرة من صدور لا تحيد لجهة، ومن قلوب عموم الناس، فيشترك معهم عموم الأمة.

ويجب تنظيم برنامج المطبوعات بها في وجدانكم من شعور ديني ونية خالصة.

بينما أنتم بقياس فاسد، (أي بقياس الريف بإسطنبول، وإسطنبول بأوروبا) أوقعتم الرأي العام والأفكار السائدة في مستنقع آسن؛ فنبهتم عروق الأغراض الشخصية والمنافع الذاتية وأخذ الثأر، حيث يلقن الطفل الصغير الذي لم يدرج بعد في المدرسة، الفلسفة الطبيعية المادية. فكما لا تليق بالرجل فساتين الراقصات، فكذلك لا تطبق مشاعر أوروبا في إسطنبول. إذ اختلاف الأقوام وتخالف الأماكن والأقطار شبيهة بتباين الأزمنة والعصور. بمعنى أن الثورة الفرنسية لا تكون دستوراً لنا. فالحظاً ينجم من تطبيق النظريات وعدم التفكير بمطالبات الوقت الحاضر.

فأنا القروي الذي لا أجيد الكتابة قد قمت بإسداء النصائح إلى أمثال هؤلاء المحررين الحاملين لأغراض شخصية ومغالطات في رؤية الأمور التي يعملون فيها بذكائهم.. فارتكبت إذن جناية!

الجناية السادسة: لقد شعرت مراراً في اجتماعات ضخمة بالمشاعر المثيجة لدى الناس، فخشيت أن يخلّ عوام الناس بالنظام وأمن البلاد بمدخلتهم في السياسة، فقامت بتهدئة تلك المشاعر الجياشة بكلام يلائم لسان طالب علم قروي قد تعلم اللغة التركية حديثاً.

فمثلاً: في اجتماع الطلاب في جامع بايزيد، وفي المولد النبوي المقام في أياصوفيا، وفي مسرح الفرح، هذأت -إلى حد ما- ثورة الناس وغضبهم. فلولا تلك الكلمات والخطب لعصفت عاصفة هوجاء تعصف بهم.

فأنا البدوي الذي لم أختلط بعد كثيراً بالحضارة، ولعلمي بدسائس المدنيين.. قد تدخلت في أمورهم فارتكبت إذن جناية!

الجنابة السابعة: لقد طرق سمعي أن جمعية باسم «الاتحاد المحمدي» قد تأسست، فتوجست خيفة شديدة، من صدور حركات خاطئة من بعضهم تحت هذا الاسم المبارك. ثم سمعت أشخاصاً مرموقين - من أمثال سهيل باشا والشيخ صادق^(١) - قد حوّلوا هذا الاسم إلى شيء بسيط ويسير، إذ حصروه في العبادة واتباع سنن مطهرة، فقطعوا علاقتهم بتلك الجمعية السياسية، فلا يتدخلون بعدُ بالسياسة، فخشيت مرة أخرى حيث قلت: إن هذا الاسم هو حقّ المسلمين كافة، فلا يقبل تخصصاً ولا تحديداً. فكما أني منتسب إلى جمعيات دينية عديدة من جهة - حيث قد رأيت أن أهدافها واحدة - كذلك أنتسب إلى ذلك الاسم المبارك.

ولكن الاتحاد المحمدي الذي أعرفه وانضمت إليه هو الدائرة المرتبطة بسلسلة نورانية ممتدة من الشرق إلى الغرب ومن الجنوب إلى الشمال. فالذين ينضوون تحت رايتها يتجاوز عددهم عن ثلاثمائة مليون في هذا العصر، وإن جهة الوحدة والارتباط في هذا الاتحاد هو توحيد الله.

قسّمه وعهده هو الإيمان.

والمنتسبون إليه جميع المؤمنين منذ الخليقة.

وسجل أسماء أعضائه هو اللوح المحفوظ.

وناشر أفكاره جميع الكتب الإسلامية والصحف اليومية التي تستهدف إعلاء كلمة الله. ومحالّ اجتماعاته ونواديّه هي الجوامع والمساجد والتكايا والمدارس الدينية. ومركزه: الحرمان الشريفان.

فجمعية مثل هذه.. رئيسها هو فخر العالمين سيدنا الرسول الكريم ﷺ. ومسلكها ومنهجها؛ مجاهدة كل شخص نفسه، أي التخلق بأخلاق الرسول الكريم ﷺ وإحياء السنة النبوية ومحبة الآخرين وإسداء النصيحة لهم ما لم ينشأ منه ضرر.

والنظام الداخلي لهذا الاتحاد: السنة النبوية.

وقانونه: الأوامر الشرعية ونواهيها.

(١) من الأعضاء المؤسسين لجمعية الاتحاد المحمدي.

وسوفه: البراهين القاطعة، حيث إن الظهور على المدنيين المثقفين إنها هو بالإقناع وليس بالضغط والإجبار. وإن تحرّي الحقيقة لا يكون إلا بالمحبة، بينما الخصومة تكون إزاء الوحشية والتعصب.

أما أهدافه ومقاصده فهي إعلاء كلمة الله.

هذا وإن نسبة الأخلاق والعبادة وأمور الآخرة والفضيلة في الشريعة هي تسع وتسعون بالمئة بينما نسبة السياسة لا تتجاوز الواحدة بالمائة. فليفكر فيها أولياء أمورنا.

والآن فإن مقصدنا هو سوق الجميع بشوق وجداني إلى كعبة الكمالات بطريق الرقي، وذلك بتحريك تلك السلسلة النورانية، إذ إن الرقي المادي سبب عظيم لإعلاء كلمة الله في هذا الزمان.

وهكذا فأنا أحد أفراد هذا الاتحاد ومن الساعين لرفع رايته وإظهار اسمه، وإلا فلست من الأحزاب والجمعيات التي تسبب الفرقة بين الناس.

الحاصل: لقد بايعت السلطان سليم وقبّلت فكره في الاتحاد الإسلامي، لأن ذلك الفكر هو الذي أيقظ الولايات الشرقية، فهم قد بايعوه على ذلك.

فالشرقيون الآن هم أولئك لم يتغيروا. فأسلافي في هذه المسألة هم: الشيخ جمال الدين الأفغاني، ومفتي الديار المصرية الشيخ محمد عبده. ومن العلماء الأعلام علي سواعي(*)، والعالم تحسين(*)، والشاعر نامق كمال(*) الذي دعا إلى الاتحاد الإسلامي والسلطان سليم الذي قال:

«إن مغبة الاختلاف والتفرقة يقلقاني حتى في قبري

فسلاحنا في دفع صولة الأعداء إنما هو الاتحاد

إن لم يتحد الأمة فإني أتحرق أسي»

السلطان ياوز سليم

ولقد دعوت ظاهراً إلى هذا الاتحاد المحمدي من أجل مقصدين عظيمين:

المقصد الأول: إنقاذ ذلك الاسم من التحديد والتخصيص، ولأعلن شموله المؤمنين عامة كي لا يقع الخلاف والفرقة ولا تَرِدَ الشبهات والأوهام.

المقصد الثاني: ليكون سداً أمام افتراق الفرق والأحزاب الذي كان سبباً في هذه المصيبة

الفاتنة العظيمة،^(١) وذلك بمحاولة التوحيد بينها، فيا أسفي لم يسعفنا الزمن فجاء السيل فأوقعني أيضاً.

ثم كنت أقول: لو نشبت حريق فسأحاول إطفاء جزء منها في الأقل، ولكن احترقت حتى ملابسي العلمية. وذهبت -برضاً مني- الشهرة الكاذبة التي لا أستطيع تعهدها. فأنا الذي لست إلا رجلاً عادياً، قد أخذتُ على عاتقي مسائل مهمة تقض مضاجع النواب والأعيان والوزراء، فإذاً قد ارتكبت جريمة!.

الجناية الثامنة: لقد سمعت أن قسماً من الجنود بدأوا ينتسبون إلى بعض الجمعيات، فتذكرتُ الحادثة الرهيبة للانكشاريين. فقلقت كثيراً واضطربت، فكتبت في إحدى الصحف: إن أسمى جمعية وأقدسها في الوقت الحاضر، هي جمعية الجنود المؤمنين. فجميع الذين انخرطوا في سلك الجندية المؤمنة المضحية ابتداءً من الجندي إلى القائد هم داخلون في هذه الجمعية. إذ إن أقدس هدف لأقدس جمعية في العالم هو الاتحاد والأخوة والطاعة والمحبة وإعلاء كلمة الله. فالجنود المؤمنون قاطبة يدعون إلى هذا الهدف. ألا إن الجنود هم المراكز، فعلى الأمة والجمعيات أن ينتسبوا إلى الجنود، إذ الجمعيات الأخرى ما هي إلا لجعل الأمة جنوداً في المحبة والأخوة، أما الاتحاد المحمدي الذي هو شامل لجميع المؤمنين فهو ليس جمعية ولا حزباً، إذ مركزه وصفه الأول المجاهدون والشهداء والعلماء والمرشدون.

فليس هناك مؤمن ولا جندي فدائي -سواء أكان ضابطاً أو جندياً- خارج عن هذا الاتحاد، لذا فلا داعي للانتساب إلى جمعيات أخرى. ومع هذا فلا أتدخل في أمور بعض الجمعيات الخيرة التي لها الحق في أن تطلق على نفسها الاتحاد المحمدي. فأنا الذي لست إلا طالب شريعة، قد غصبتُ مهمة العلماء العظام فإذاً قد ارتكبت جريمة!

الجناية التاسعة: لقد شاهدت الحركة الرهيبة التي حدثت في (٣١) مارت لبضع دقائق. فسمعت مطالب عدة؛ فكما إذا أُديرَت ألوان سبعة بسرعة لا يظهر إلا اللون الأبيض فكذلك لم يظهر من تلك المطالب إلا لفظ الشريعة التي تخفف فساد تلك المطالب المتباينة من الألف إلى الواحد، وتنقذ العوام من الفوضى والاضطراب، والتي تحافظ حفاظاً معجزاً على السياسة

(١) المقصود حادثة ٣١ مارت.

من أن تكون لعبة بيد الأفراد. فأدركت أن الأمر ينساق إلى الفساد؛ إذ الطاعة قد اختلت، والنصائح لا تجدي؛ وإلا كنت أندفع إلى إطفاء تلك النار مثلما كنت أطفئ غيرها، ولكن العوام هم الأغلبية، وأصدقائي غافلون وبسطاء، وأنا أظهر بمظهر الشهرة الكاذبة.

بعد ثلاث دقائق انسحبت ذاهباً إلى «بَاقِرْ كُوي»^(١) كي أحول دون تدخل معارفي في الأمر، وأوصيت كل من قابلني بعدم التدخل. فلو كان لي تدخل - بمقدار أنملة - لكنك أظهر في هذا الأمر ظهوراً عظيماً حيث إن ملاسي تعلن عني، وشهرتي التي لا أريدها ذائعة بين الجميع. وربما كنت أثبت وجودي بمقاومة جيش الحركة إلى أياستافانونس^(٢) ولو وحدي ثم أموت بشرف ورجولة. وعندئذ كان تدخلني في الأمور من البدييات، فلا تبقى حاجة إلى التحقيق.

وفي اليوم الثاني استفسرت من الجنود المطيعين - الذين هم يمثلون عقدة الحياة لنا - فقالوا: إن الضباط قد لبسوا ملابس الجنود، فالطاعة ليست مختلة كثيراً.

ثم كررت السؤال: كم من الضباط أصيبوا؟ فخدعوني قائلين: أربعة فقط، وهؤلاء كانوا من المستبدين. وسوف تنفذ آداب الشريعة وحدودها.

ثم تصفحت الجرائد ورأيت: أنهم أيضاً يرون تلك الحركة حركة مشروعة ويصورونها على هذه الصورة، وفرحت من جهة، لأن أقدس غاية لدي هي تطبيق الأحكام الشرعية تطبيقاً كاملاً، ولكن يشتت أشد اليأس وتألمت كثيراً باختلال الطاعة العسكرية، فخاطبت الجنود بلسان جميع الجرائد وقلت:

أيها الجنود! إن كان ضباطكم يظلمون أنفسهم بإثم واحد فإنكم بعصيانكم تظلمون حقوق ثلاثين مليوناً من العثمانيين وثلاثمائة مليون من المسلمين، لأن شرف العثمانيين وعامة المسلمين وسعادتهم ولواء وحدتهم قائمة - بجهة - في طاعتكم. ثم إنكم تطالبون بالشريعة ولكنكم تخالفونها بعصيانكم هذا.

ولقد باركت حركتهم وشجاعتهم لأن الصحف التي هي لسان كاذب للرأي العام قد أظهرت لنا أن حركتهم مشروعة. فلقد تمكنت - بتقديرهم هذا - أن أؤثر فيهم بنصيحتي. فهذأت العصيان إلى حد ما، وإلا لما كان الأمر يكون سهلاً.

(١) أحد أحياء إسطنبول.

(٢) منطقة في ضواحي إسطنبول (بشيل كوي).

فأنا الذي قد زرت مستشفى المجاذيب فعلاً، ولم أقل: مالي وللناس، فليفكر في هذا الأمر العقلاء.. فقد ارتكبت إذن جناية!

الجناية العاشرة: لقد ذهبت بصحبة العلماء يوم الجمعة إلى الجنود الذين هم في الوزارة الحربية. وقد أخضعت ثمانية طوابير إلى الطاعة بخطب مؤثرة جداً. ولقد أظهرت نصائحي فوائدها بعد مدة. أذكر لكم صورة خطابي:

أيها العساكر الموحدون!

إن شرف ثلاثين مليوناً من العثمانيين وثلاثمائة مليون من المسلمين وكرامتهم وسعادتهم ورمز وحدتهم منوطة -من جهة- بطاعتكم. إن كانوا يظلمون أنفسهم بخطيئة واحدة فإنكم بعصيانكم هذا تظلمون ثلاثمائة مليون من المسلمين. لأنكم بعصيانكم هذا تُلْقون الأخوة الإسلامية إلى التهلكة.

اعلموا جيداً! أن مركز الجندي عظيم جداً، إذ هو أشبه ما يكون بالمعمل، فإذا اختل دولا ب منه يخل العمل في المعمل كله. ألا إن الجنود الأفراد لا يتدخلون بالسياسة، والانكشاريون خير شاهد على هذا. إنكم تطالبون بالشرعية إلا أنكم تخالفونها وتلوثونها.

إنه ثابت بالشرعية والقرآن والحديث والحكمة والتجربة: أن طاعة ولي الأمر المستقيم المتدين القائم بالحق فرض. فأولياء أموركم هم ضباطكم. فكما أن مهندساً ماهراً وطبيباً حاذقاً إذا ما ارتكب الآثام لا تتضرر مهنة الطب والهندسة كذلك ضباطكم الذين هم منورو الفكر ومثقفون ومطلعون على فنون الحرب وذوو خبرة وشهامة وهم مؤمنون. فلا تظلموا العثمانيين جميعاً والمسلمين بعصيانكم لأوامرهم جراء حركة جزئية غير مشروعة تصدر منهم، ذلك لأن العصيان ليس ظلماً واحداً بل هو تجاوز على حقوق ملايين من الأفراد. أنتم تعلمون أن راية التوحيد الإلهي محمولة على يد شجاعتكم، وقوة تلك اليد في الطاعة والنظام، حيث إن ألفاً من المطيعين المنظمين يعدلون مائة ألف من السائبين. وغني عن البيان فإن ثلاثين مليوناً من العثمانيين لم يقوموا بمثل هذه الانقلابات الدموية طوال مائة سنة، فلقد قمتم بها بطاعتكم من دون إراقة دماء.

وأضيف أيضاً، إن إضاعة ضابط ذي حمية وثقافة ودراية يعني إضاعة قوتكم المعنوية، لأن الغالب في الوقت الحاضر هو الشجاعة الإيمانية والعقلية والعلمية. وأحياناً يعدل مثقف

واحد منهم مائة من غيرهم. فالأجانب يسعون أن يغلبوكم بهذه الشجاعة، إذ الشجاعة الفطرية وحدها غير كافية.

خلاصة الكلام:

إني أبلغكم ما أمر به الرسول الأعظم ﷺ وهو: أن الطاعة فرض، فلا تعصوا ضباطكم.

فليحيا الجنود، ولتعش المشروطة المشروعة.

فأنا.. لأنني قد تجشمت أعباء هذه المهمات الجسيمة -مع وجود علماء أكفاء- قد ارتكبت إذن جناية!

الجناية الحادية عشرة: كنت ألمس الوضع الرديء لما كان يعيشه أهالي الولايات الشرقية فأدرت أن سعادتنا الدنيوية ستحصل -من جهة- بالعلوم الحديثة الحاضرة، وأن أحد الروافد غير الآسنة لتلك العلوم سيكون العلماء، والمنبع الآخر سيكون حتماً المدارس الدينية، كي يأنس علماء الدين بالعلوم الحديثة.

وحيث إن زمام الأمر في تلك البقاع التي أغلبتها الساحقة أميون بيد علماء الدين، فهذا الشعور هو الذي دفعني إلى المجيء إلى إسطنبول، ظناً مني أن تلقى السعادة في «دار السعادة» في ذلك الوقت، مع أن الاستبداد -الذي أصبح الآن ضرباً وتقوى أكثر- كان يُسند إلى المرحوم السلطان المخلوع، فإنه قدّم لي مرتباً بواسطة وزير الأمن العام وفضلاً منه وكرماً، فرفضت. فقد أخطأت! ولكن خَطَّي ذلك أصبح خيراً إذ أظهر خطأ الذين يبغون مال الدنيا بالعلوم الدينية، فضحيت بعقلي، ولم أدع حريتي ولم أحن رأسي لذلك السلطان الرؤوف، فتركت منفعي الشخصية؛ إذ هؤلاء يمكنهم أن يضموني إلى صفوفهم بالمحبة وليس بالاضطرار والقوة، فأنا منذ سنة ونصف السنة أسعى هنا لتنال بلادتي المعارف والعلوم. وأغلب الأصدقاء في إسطنبول على علم بهذا.

فأنا الذي ابن حمال فقير، لم أتجاوز طوري وكوفي ابن فقير وحمال رغم تيسر الدنيا لي، ولم أوطد علاقاتي مع الدنيا بل تركت أحب المناطق إلى قلبي وهي ذرى جبال الولايات الشرقية داعياً إلى السعادة لأمتي، فدخلت مستشفى المجازيب والمعتقلات والسجون وعانيت

التعذيب والإهانات في فترة المشروطية.. كل ذلك لأنني قد تناولت إلى أمثال هذه الأمور حتى أوقعتني في مثل هذه المحاكم الرهيبة. فإذاً قد جنيت!

نصف جنائية:

انطلاقاً من مفهوم الحفاظ على مركز الخلافة -وهو مركز المسلمين وموضع رابطتهم- والحيلولة دون ضياعه.. وظناً من كون حضرة السلطان عبد الحميد الثاني على استعداد لاستيضاح الأمر والندم على أخطائه الاجتماعية السابقة.. وأخذاً بالقاعدة الجلية ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ (النساء: ١٢٨) لتخفيف الأحداث الحالية التي سارت بعنف وبذرت بذور الفتن والاضطرابات، وتحولها إلى أفضل ما يمكن.. لأجل كل ذلك قلت بلسان الجريدة للسلطان السابق ما يأتي:

اجعل قصر يلدز، ذلك النجم المنخسف، جامعة للعلوم ليرتفع إلى الأعالي كالثريا. وأسكن فيه أهل الحقيقة وملائكة الرحمة بدلاً من السواح وزبانية جهنم ليصبح بهجة بهجة الجنة.

وأعد إلى الأمة ما أهدته لك من ثروات في القصر بصرفها في إنشاء جامعات دينية لتزيل الجهل الذي هو داء الأمة الوبيل.

ووطن الثقة بمروءة الأمة ومحبتها، فهي المتكفلة بإدارتك السلطانية. دع الدنيا قبل أن تدعك، واصرف زكاة العمر في سبيل العمر التالي. إنه ينبغي التفكير في الآخرة وحدها بعد هذا العمر.

والآن لنقارن؛ أيهما أفضل: أن يكون قصر يلدز موضع لهُ أم جامعة علوم؟ وأن يجول فيه السواح أم يدرّس فيه العلماء؟ يُغضب أم يُهدى؟ فليقتضِ أصحاب الإنصاف في هذا.

فأنا الفقير المعدم قمت بإسداء النصيحة إلى سلطان عظيم، قد جنيت إذن نصف جنائية! أما النصف الآخر من الجنائية فلم يحُنْ وقت الإفصاح عنه.^(١)

وأأسفى لقد وضع المعجبون بالتطرف في هذه الحادثة سداً أمام رغبات الأمة المشتاقة إلى المشروطية المشروعة التي فيها سعادتنا ومنبعُ حياتنا الاجتماعية العطشى إلى المعارف والعلوم

(١) انظروا إلى البحث الموجود في ختام مجموعة «سراج النور» لتطلعوا على النصف الآخر من الجنائية، والتي يعاقب المؤلف من جرائمها بثمان وعشرين سنة. (المؤلف) (المقصود: الشعاع الخامس).

الحديث المنسجمة مع الإسلام، وذلك بإلقاءهم الأغراض الشخصية والفتن في المشروطة. زد على ذلك أعمال المثقفين المتسمة بالإلحاد وعدم الاكتراث بالدين.

فعلى الذين أقاموا هذا السد المنيع أن يرفعوه ويزيلوه، وهذا ما نرجوه منهم باسم الوطن.

أيها القواد والضباط!

إن الشهود على هذه الجنايات الإحدى عشرة ونصف الجناية هم ألوف، بل يمكن أن يكون نصف أهالي إسطنبول شهوداً على بعض الجنايات.

ولكن أطلب الإجابة عن الأسئلة الأحد عشرة ونصف. فضلاً عن رضاي بالعقاب النازل بي على تلك الجنايات. ومع هذا فلي حسنة واحدة عوضاً عن هذه السيئات، وسأقولها. وهي: أنني عارضت شعبة الاتحاد والترقي المستبدة هنا، تلك التي أذهبت شوق الجميع وأطارت نشوتهم وأيقظت عروق النفاق والتحيز وسببت التفرقة بين الناس وأوجدت الفرق والأحزاب القومية، وتسمت بالمشروطية، بينما مثلت الاستبداد في الحقيقة، بل حتى لطخت اسم الاتحاد والترقي.

إن لكل فكره، وأنا حرّ في إبداء الفكر. فالصلح العام والعفو العام ورفع الامتيازات ضروري، لئلا يتولد النفاق من استخفاف أصحاب الامتياز الآخرين.

وأقول بلا فخر: نحن المسلمون الحقيقيين ننخدع ولكن لا نخدع، ونترفع عن الخداع لأجل حياة دنيوية. لأننا نعلم «إنما الحيلة في ترك الحيل». ولكن لأنني قد عاهدت المشروطية الحقيقية المشروعة سأصفع الاستبداد إن قابلته في أي لباس كان، حتى لو كان لابساً ملابس المشروطية أو تقلّد اسمها. وفي اعتقادي أن أعداء المشروطية هم أولئك الذين يشوّهون صورتها بإظهارها مخالفة للشريعة وأنها ظالمة، فيكثرون بهذا أعداء الشورى أيضاً. علماً أن القاعدة هي: «لا تبدل الحقائق بتبدل الأسماء».

وحيث إن أعظم الخطأ هو ظن المرء أنه لا يخطأ، فإني أعترف بخطئي وهو: أنني أردت نصح الناس قبل أن أخذ بنصيحتهم، وسعيت في إرشاد الآخرين قبل إرشاد نفسي، فهوّنت بهذا شأن الأمر بالمعروف حتى أصبح لا يجدي.

ثم إنه ثابت بالتجربة أن العقاب يأتي نتيجة ذنب، إلا أنه أحياناً ينزل العقاب ولما يُرتكب ذلك الذنب إلا أنه أظهر نفسه في صورة ذنب آخر. فذلك الشخص رغم أنه بريء من هذا الذنب إلا أنه يستحق العقاب لذنب آخر خفي. فالله سبحانه ينزل به المصيبة فيلقيه في السجن لذنب خفي، فيعدل. بينما الحاكم يظلم لعدم ارتكاب الشخص ذلك الذنب، ولخفاء الذنب الخفي عنه.

فيا أولي الأمر!

كانت لي كرامة وعزة، وكنت أرغب أن أخدم بها الأمة الإسلامية، إلا أنكم أهتمموها. وكنت أملك شهرة كاذبة -دون رغبتني- وأجري نصحي بها إلى العوام، فأفنيتموها مشكورين.

والآن ظلت لدي حياة ضعيفة مللت منها، فليهلكني الله إن صُتتْها خوفاً من الإعدام، ولا أكون شريفاً إن لم أقدم على الموت ببشاشة.

إن الحكم عليّ صورةٌ يورث الحكم عليكم وجداناً، وهذا لا يضرني بل هو رفعة وشرف لي، ولكنكم تُلحقون الضرر بالأمة، لأنكم تزيلون تأثير نصائحي، فضلاً عن إضراركم بأنفسكم، حيث أكون حجة قاطعة بيد عدوكم.

فلقد وضعتوني على المحك، تُرى لو وُضعت ما تسمونه بالفرق الخالصة (الأحزاب) على مثل هذا المحك كم سيسلم منهم؟

إن كانت المشروطية تعني مخالفة الشريعة واستبداد جماعة معينة، [فليشهد الثقلان أني مرتجع]^(١).

ذلك لأن الاتحاد القائم على الكذب كذب أيضاً، والمشروطية القائمة على أسس فاسدة ومفسدة مشروطية فاسدة، إذ المشروطية الحقّة التي لها الدوام والبقاء هي المشروطية القائمة على الحق وعلى الصدق وعلى المحبة وعلى أساس عدم الامتيازات.

إنني أنبّه إلى هذا وكلي أسف وقلق:

مثلاً: عالم جليل تحجزه صفة العلم عن الفساد، ولكن يُقرن ذكر الفساد الناشئ من

(١) هذا القول نظير قول الإمام الشافعي (✱) رضي الله عنه:

إن كان رفضاً حُجِّبَ آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي (ديوان الإمام الشافعي).

تهوره كلما ذكر علمه، ومن ثم تُمسّ صفة العلم بسوء. ألا يومئ هذا إلى العداء للعلم؟ كذلك حينها زَرعت الفرقاء بذور التفرقة والفتن -خلافاً للشرعية- وأطلقت مليوناً من الطلقات عبثاً، وظلت السياسة والنظام العام بيد أفراد اعتياديين وعمّت الفوضى في الأوساط .. وما هداً ذلك الطوفانَ العارمَ إلّا معجزةُ الشريعة حتى مرّ بسلام من دون إراقة دم. بمعنى أن الاسم السامي للشرعية المطهرة والاتحاد المحمدي أنزل تأثير ذلك الفساد الرهيب من الألف إلى الواحد.

فبينما الأمر هكذا فإن ذكر ذلك الاسم الطاهر (الشرعية)، مقروناً بأصحاب الفتن وجعله تُرساً لهم هو مسّ لنقطة خطيرة جداً، بل هو تعرض لعقدة الحياة، بحيث يرجف من هوله كل صاحب وجدان سليم وتذهب نفسه حشرات عليه.

إن الذي يستطيع أن يتصور أنه بالإمكان جعل الثريا مكنسة وإطفاؤه بالنفخ، لا يعلن إلّا عن بلاهته!

فلو أن ملكاً في جو السماء، في زحل مثلاً، أمسك بيده ميزاناً يزن جبل آارات وجبل سبحان، وأضيف إلى جبل آارات وزنٌ بقدر درهم، فالمشاهدون القاصرو النظر عندما يرون نزول كفة آارات إلى الأرض وصعود كفة سبحان إلى السماء، يُسندون الأمر والنقل إلى ذلك الوزن البسيط بقدر درهم!

وهكذا فالكرامة العسكرية والحمية الإسلامية والشرعية المحمدية شبيهة بتلك الجبال الشاخنة، أما الأسباب الخارجية فهي بوزن درهم فحسب. فاتخاذ هذه الأسباب التافهة أساساً في الأمور دليل على الجهل بشأن الإنسانية والإسلام، بل تهوين بهما.

سوف أقول الحقيقة فقط، ولن أجنب الحق أبداً، ذلك لأن مقام الحق سامٍ ولن أضحي به لأجل أحد، لذا لن تصرفني عن ذكر الحق لومة لائم.

إن ما يسمى بحادثة ٣١ مارت، ذلك الطوفان الرهيب والصاعقة المحرقة، قد هيأت -تحت أسباب اعتيادية- استعداداً طبيعياً بحيث ورد -من عند الله- على لسان القائمين بها اسم الشريعة المظهرة معجزتها دوماً رغم أن نتائج تلك الحادثة كانت الهرج والمرج.

ولأن اسم الشريعة جعل ذلك الطوفان يمر بسلام فإنه يُدين - أمام الله - تلك الصحف التي أطلقت لسانها بالسوء بعد منتصف نيسان.

فإذا ما أخذ بنظر الاعتبار الأسباب السبعة والأحوال السبع التي أدت إلى تلك الحادثة تظهر الحقيقة بجللاء وهي الآتية:

١ - لقد كان تسعون بالمائة من هذه الحركة موجهة ضد الاتحاد والترقي وضد استبدادهم ودكتاتوريتهم.

٢ - كما كانت ترمي إلى تبديل الوزراء الذين كانوا محل نقاش وجدال بين الفرقاء والأحزاب.

٣ - إنقاذ السلطان المظلوم من الخلع الذي قد تقرر وصُمم عليه.

٤ - منع التعليمات وإنهاء التلقينات التي لا تليق بالآداب العسكرية والدينية.

٥ - الكشف عن قاتل السيد «حسن فهمي»(*) بعد أن تم تضخيم موضوع اغتياله.

٦ - تسوية موضوع الضباط «الآلايلي»^(١) الذين أُخرجوا من الخدمة العسكرية وإنصافهم.

٧ - الوقوف تجاه تعميم مفهوم الحرية على التصرفات السفهية، أي تحديد معنى الحرية بالآداب الشرعية، ثم القيام بتطبيق الحدود الشرعية التي لا يفهم العوام منها سوى القصاص وقطع اليد.

بيد أن الأراضية الآسنة كانت مهياة، والخطط والمنزلاقات كانت جاهزة حتى ذهبت الطاعة العسكرية السامية جداً ضحية بها.

إن أس أساس الأسباب هو المناقشات العنيفة المتحيزة للفرقاء وغلو الصحف في المجادلات المبالغ فيها بالكذب عوضاً عن بلاغة الكلام. وكما أن دوران القرص الملون لا يُظهر إلا اللون الأبيض فالشريعة الغراء هي التي تجلت من بين هذه المطالب السبعة المذكورة فسدت طريق الفساد.

(١) ضابط الآلايلي: هم الضباط الذين ترقوا من الجندية، ولم يكونوا من خريجي الكلية الحربية.

الحاصل:

لقد عمت الفوضى والإرهاب في الأوساط بما نشرته الصحف من مقالات محرّضة، وشروع الفرقاء بتسجيل أسماء الفدائيين، وسيطرة الأشخاص الذين قادوا الانقلاب، وسريان الحرية المطلقة إلى الجنود بما ينافي الطاعة العسكرية، وتلقين بعض المهملين الجنود ما يظنونه مخالفاً للأداب الدينية. وبعد أن انفرط عقد الطاعة زرع المستبدون والمتعصبون الجهلاء -والذين تنقصهم المحاكمة العقلية في الدين- البذور في ذلك المستنقع الآسن -بطن الإحسان- وظلت السياسة العامة للدولة بيد الجهلاء وأطلق ما يقارب المليون من الطلقات في الهواء وتدخلت الأيدي الداخلية والخارجية. فبينما الأمر الطبيعي أن تؤدي هذه الحادثة إلى المهرج والمرج وتدخل الأجانب في البلاد، إلّا أن اسم الشريعة -بفضل الله- أرجع الأرواح الخبيثة الناتجة من تلك الأسباب المذكورة إلى أوكارها، فظهرت معجزة أخرى بعد ثلاثة عشر قرناً.

ثم إن الصوت المدوي للجيش والعلماء في ذلك الانقلاب العظيم القاتل والقاتل بـ: «أن المشروطة مستندة إلى الشريعة» سرى سريان التيار الكهربائي في وجدان المسلمين عامة، فخرق ذلك الانقلاب القاعدة الطبيعية للانقلابات وأظهر التأثير المعجز للشريعة الغراء، وسيظهره دوماً.

إنني أعترض على أساس فكر الصحف التي ظهرت بعد منتصف نيسان وذلك: أنهم أوجدوا منفذاً ومبرراً للتضحية بالعزة والكرامة والطاعة العسكرية -التي هي أسمى من الحياة بل تُضحي لأجلها الحياة- في سبيل أعمال غير مشروعة، وأفعال خسيصة خادمة للحياة نفسها لدى أهل الوجدان.

ثم إنهم ظنوا أن شمس الشريعة التي تنجذب إليها الحقائق والأحوال وترتبط بها، تابعة للسلطة أو منقادة للخلافة أو أداة لأية سياسة أخرى، فأظهروا -ما اعتقدوه- أن الشمس المنيرة تابعة لنجم منخسف.

أقول بكل ما أملك من قوة: إنه لا رقي لنا إلّا برقي الإسلام الذي هو مليتنا، ولا رفعة لنا إلّا بتجلي حقائق الشريعة، وبخلافه نكون مصداقاً للمثل القاتل: «أضاع المشيئين».

نعم، علينا أن نستشعر بشرف الأمة وعزتها وثواب الآخرة وبشأن المجتمع، وقيمه، والحمية الإسلامية، وحب الوطن وحب الدين... ففي المضاعفات قوة أية قوة.

أيها القادة والضباط!

أطالبكم بإنزال العقاب على جنائتي، وبالإجابة حالاً عن أسئلتي الآتية، فإن الإسلام هو الإنسانية الكبرى وإن الشريعة الغراء هي المدنية الفضلى، لذا فالعالم الإسلامي أهلٌ ليكون المدينة الفاضلة التي تصورها أفلاطون.

السؤال الأول:

ما جزاء المنخدعين بالصحافة والمنجرفين مع التيار العام المتولد حالياً من العادات والتقاليد التي يرونها مشروعة؟

السؤال الثاني:

ما جزاء من يتعرض لإنسان تشكّل في صورة ثعبان، ولوليّ صالح تقمص صفة شقيّ، وللمشروعية التي لبست لباس الاستبداد، وما هم في الحقيقة سوى ثعابين وشقاة ومستبدين؟

السؤال الثالث:

هل يكون المستبد شخصاً فرداً واحداً؟ أم يمكن أن يكون أشخاص عديدون مستبدين؟ وأرى أن القوة يجب أن تكون في القانون، وإلاّ فسيتوزع الاستبداد ويشتد أكثر بالمنظمات.

السؤال الرابع:

أيهما أضرّ: إعدام بريء أم العفو عن عشرة جناة؟

السؤال الخامس:

أفلا يزيد من سبل النفاق والتفرقة تشديدُ الخناق على أرباب المسالك والفكر، علماً أنه لا يغلبهم؟

السؤال السادس:

أيمكن بغير رفع المحسوبية والامتيازات حصولُ اتحاد الأمة الذي هو معدن حياتنا الاجتماعية؟

السؤال السابع:

إن الإخلال بالمساواة، وتخصيصها لبعض الأفراد فحسب، وتنفيذ القانون بحقهم وإن كان يوحى ظاهراً بالعدالة، إلا أنه يولد الظلم والنفاق في جهة أخرى، فضلاً عن أن براءة أغلب المسجونين قد توضحت بالإفراج عن ثمانين بالمئة منهم، وهم بريئون. إنني لا أوجه الكلام هنا إلى المحكمة العسكرية، بل على المخبرين أن يتدبروا في الأمر.

السؤال الثامن:

إذا عدّت فرقة معينة نفسها صاحبة امتيازات على الآخرين، وألجأت الناس إلى الظهور بمظهر المخالف للمشرولية، وذلك بكثرة تعرض تلك الفرقة لهم وجرحها لمشاعرهم، فعلى من يقع الذنب لو تعرض الجميع للاستبداد العنيد المستر تحت اسم المشرولية، التي تقلدته تلك الفرقة؟

السؤال التاسع:

على من تقع المسؤولية فيما لو ترك بستاني باب البستان مفتوحاً، ودخل فيه من دخل، ثم ظهر حدوث السرقات؟

السؤال العاشر:

لو مُنحَ الناس حرية الفكر والكلام، ثم حوسب شخص على كلامه أو فكره، أفلا يكون ذلك خطة مدبرة لدفع الأمة المنكوبة إلى النار؟

السؤال الحادي عشر:

نرى الجميع يعاهدون المشرولية ويقسمون بها، بينما المعاهد هو نفسه مخالف لمسمى المشرولية أو ساكت عن مخالفيها. ألا يحتاج ذلك إلى كفارة اليمين؟ ألا تكون الأمة إذن كاذبة؟ أفلا يعتبر إذن الرأي العام التزيه كاذباً ومعتوهاً؟

حاصل الكلام: إن المهيمن على الوضع الحاضر استبداد شديد وتحكم صارم، وذلك من حيث الجهل المتفشي. وكأن الاستبداد والتجسس قد تناسخاً روحاً. والذي يبدو أن الغاية

ما كانت استرداد الحرية من السلطان عبد الحميد، بل تحويل استبداد ضعيف وضئيل إلى استبداد شديد وقوي.

نصف سؤال:

شخص ضعيف رقيق يحاول جاهداً دفع أذى البعوض والزناير عنه لعدم تحمله لها، أفيمكن أن يقنع أحدهم أحقّ بقوله: إن هذا يقصد بعمله هذا تسليط أسد هصور على نفسه وليس دفع البعوض والزناير؟

النصف الآخر من السؤال: لم يؤذن له.

أيها القواد والضباط! أقول بكل قوتي:

إنني مصرّ إصراراً جاداً على جميع الحقائق التي نشرتها في الصحف في مقالاتي كلها. فإن دعيت من قِبَل الماضي، من قِبَل محكمة العصر النبوي السعيد، باسم الشريعة العادلة فسأبرز الحقائق التي نشرتها بعينها، لا أغَيّر منها شيئاً، سوى ما يستوجه هذا الزمان من زيّ. وإن دعيت من قبل المستقبل، من قبل محكمة العقلاء الناقدين باسم التاريخ لِمَا بعد ثلاثمائة سنة. فسأبرز هذه الحقائق أيضاً، إلّا ما تحتاج من ترميم بعض جوانبها المتشققة.

بمعنى أن الحقيقة لا تتحول إلى أمر آخر، فالحقيقة حق، و«الحق يعلو ولا يعلى عليه»^(١) والأمة صاحبة، بل لو أغفلت بالمغالطة والخداع، فلا يدوم ذلك.

أما الخيال الذي ظُن حقيقة فعمره قصير، وستستثنت تلك الأفكار المضللة أمام فوران الرأي العام وتبرز الحقيقة ناصعة إلى الميدان، إن شاء الله.

بس كمن جون زیركانزا این بس است بانك ده كروم اكر در ده كس است^(٢)

على الرغم من أن الوضع في سجنكم معذّب والزمان رهيب والمكان موحش والسجناء مستوحشون والصحف تنشر الأراجيف والأكاذيب، والأفكار مشوشة والقلوب

(١) «الإسلام يعلو ولا يعلى»: انظر: الدارقطني، السنن ٣/٢٥٢؛ البيهقي، السنن الكبرى ٦/٢٠٥، الطبراني، المعجم الأوسط ٦/١٢٨، المعجم الصغير ٢/١٥٥؛ وعلقه البخاري في الجناز ٧٩. والمشهور على الألسنة زيادة (على) آخراً، بل هي رواية أحمد. والمشهور أيضاً على الألسنة: «الحق يعلو ولا يعلى عليه»، كشف الخفاء ١/١٢٧.

(٢) بيت بالفارسية نظير قول بشار بن برد: لقد أسمعتم لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تُنادي.

كسيرة حزينة والوجدان متألم ويائس والموظفين متشائمون من الوضع والحراس مزعجون.. أقول: على الرغم من كل هذا، فإن الوضع كان لي موضع سرور، لأن ضميري لم يكن يعذبني، بل كلما تنوعت المصائبُ ترنمت بنغمات متنوعة أيضاً.

نعم، لقد أكملتُ هنا - في السجن - الدرس الذي تلقّيته السنة الماضية في مستشفى المجاذيب حيث تلقيت دروساً مطولة لطول زمن المصيبة، إذ كان الحزن البريء المظلوم الذي هو لذة روحانية للعالم لعلمي الشفقة على الضعفاء وشدة النفور من الظلم والغدر.

إنني على أمل عظيم أن الآهات والزفرات الساخنة المتبخرة من قلوب الأبرياء الكسيرة ستشكل سحابة رحمة، وقد بدأت فعلاً هذه السحبُ بتشكيل دول إسلامية حديثة في أرجاء العالم الإسلامي.

إن كانت المدنية الحاضرة هي التربة الخصبة لإنهاء مثل هذه التصرفات التي تمس الكرامة الإنسانية وتعطي عليها.. وهذه الافتراءات التي تؤدي إلى النفاق.. وهذه الأفكار التي تغذي الحقد والانتقام.. وهذه المغالطات الشيطانية والتحلل من الآداب الدينية.. إذا كانت هذه هي المدنية، فليشهد الجميع بأنني أفضل قمم الجبال الشاهقة في الشرق، وأفضل حياة البداوة في تلك الجبال في بلدي حيث الحرية المطلقة على موطن النفاق الذي تسمونه أنتم قصر المدنية.

إن حرية الفكر وحرية الكلام وحسن النية وسلامة القلب التي لم أشاهدها في هذه المدنية الدنية، مستولية على جبال شرقي الأناضول بكل معانيها.

وحسب علمي أن الأدباء يكونون متأدين، إلا أنني أجد بعض الصحف الخارجية خالية من الأدب وناشرة للنفاق. فإن كان هذا هو الأدب، والآراء العامة مختلطة إلى هذا الحد، فاشهدوا أنني تخلّيت عن هذا الأدب، ولست داخلاً فيهم أيضاً. وسأطالع الأجرام السماوية واللوحات السماوية النيرة على ذرى جبال موطني، قمة باشت،^(١) بدلاً من مطالعة هذه الصحف.

(١) قمة جبل في جنوب شرقي الأناضول.

«إن عالم فيضنا نزيه من عيوب الأماني الخادعة.

فقد كُتِب علينا الترفع عن زينة الذهب والفضة منذ الأزل.

وجفونا نشوة الآمال وطولها.

عشقنا عشق مجنون لليل، ولكن أغنانا حتى عن وصالها».

[ولولا تكاليفُ العلا ومقاصد
عوالٍ وأعقاب الأحاديث في غدٍ
لأعطيت نفسي في التخلي مرادها
وذاك مرادي مذ نشأت ومقصدي^(١)
وأكتم أشياء ولو شئت قلتها
ولو قلتها لم أبق للصلح موضعاً]^(٢)

تنبيه

إن الذي يسوقكم إلى التأمل هو طرح الأسئلة على المدنية.

نعم، إنني أفضل البداوة على هذه المدنية المزوجة بالاستبداد والسفاهة والذل. إن هذه المدنية تجعل الأشخاص فقراء وسفهاء وسيئي الأخلاق، بينما تسعى المدنية الحقيقية لترقية النوع الإنساني وتدفعه إلى التكامل، وتخرج ماهيته النوعية من القوة إلى الفعل، لذا فإن طلب المدنية والسعي لها انطلاقاً من هذه الزاوية يعدّ سعيّاً نحو الإنسانية.

ثم إن سبب افتتاني بمحبة معنى المشروطة هو أن المدخل الأول لتقدم آسيا والعالم الإسلامي في المستقبل هو المشروطة المشروعة والحرية التي هي ضمن نطاق الشريعة. وأن

(١) وللطغرائي (ت ٥١٣ هـ / ١١٢٠):

ولولا تكاليفُ العلي ومغارمُ
وإشفاقُ نفسي من خلافٍ أعزَّتني
لأعطيتُ نفسي في التخلي مرادها
وذاك مرادي مذ نشأت ومقصدي
ثَقُلَ ودينٌ آخذٌ بالمقَدِّ
وخوفي أعقاب الأحاديث في غدٍ

(ديوان الطغرائي ص ٥٩ ط ١ مطبعة الجوائب، قسطنطينية ١٣٠٠).

(٢) يعزى إلى عتبة بن أبي سفيان (الحلة السراء، ٤/١، لابن الأبار) وإلى علي بن بابويه (الكشكول ٣٤٨/١، البهاء العاملي):

ولو إني سمحت بماء وجهي
لكننت إلى الغنى سهل الطريق
وعندي جواب لو أردت لقلته
ولو قلته لم أبق للصلح موضعاً

مفتاح حظ الإسلام وسعده ورقيه موجود في الشورى التي في المشروطة. حيث قد انسحق -لحد الآن- ثلاثمائة مليون من المسلمين تحت أقدام الاستبداد المعنوي للأجانب.

وحيث إن الحاكمية الإسلامية مهيمنة الآن في العالم ولاسيما في آسيا، فإن كل مسلم يكون مالكاً لجزء حقيقي من الحاكمية. وإن الحرية هي العلاج الوحيد لإنقاذ ثلاثمائة مليون من المسلمين من الأسر. فحتى لو تضرر هنا -بفرض محال- عشرون مليوناً من الناس في أثناء إرساء الحرية، فليكن ذلك فداءً، إذ نأخذ ثلاثمائة بدفع عشرين.

وا أسفى! إن العناصر والقوميات الموجودة عندنا مختلطة اختلاط أجزاء الهواء، ولم تمتزج امتزاج أجزاء الماء. وستمتزج تلك العناصر والقوميات بالإسلام الذي يفعل فعل التيار الكهربائي فيهم. وسيأتي بإذن الله مزاج العدالة المنصفة المتولدة من حرارة نور المعارف الإسلامية.

فلتعش المشروطة المشروعة، ولتدم الحرية النيرة المسترشدة بتربية حقيقة الشريعة.

غريب زمان الاستبداد

بديع زمان المشروطة

وبدعة هذا الزمان

سعيد النورسي

خاتمة

أعتقد أن البحث يظل ناقصاً إن لم أوجه بضع
كلمات إلى مواطني وإخواني.

يا أبناء وطني وإخواني! يا أحفاد الجنود الأشاوس لجيوش آسيا البسلاء للقرون
الماضية، كفاكم نوماً خمسمائة سنة. تيقظوا فلقد أذن الصباح. وإلا فستنهبكم الغفلة وأنتم
تغطون في نوم عميق في صحراء الجهل القاحلة.

إن الحكمة الإلهية التي هي نظام العالم والمؤسسة للقانون الإلهي النوراني الساري في
أرجاء العالم كله قد رفعت إصبع القدر منذ الأزل تأمركم: حافظوا على الموازنة العامة، بتوحيد
ومزج حيتكم وقوتكم الضائعتين بالترفة - ضياع قطرات الماء المتناثرة - بالفكر الملي، أي الملة
الإسلامية، مكوّنين بذلك جاذبةً وطنية عظيمة من جاذبات الذرات الجزئية. فتجذب هذه
الكتلة العظيمة وتدور كالكوكب المنير في موكب الجماهير المتحدة الإسلامية الممثلة لشوكة
شمس الإسلام العظيم.

ثم إن الحرية الشرعية التي هي حقيقة اجتماعية قد انتصبت على ذرى المستقبل شاخحة
شموخ جبل سبجان و آارات، هذه الحرية المستندة إلى الشريعة تحذركم من الانصياع إلى
النفس الأمارة بالسوء ومن التجاوز على الآخرين. وإنما لتهتف بكم وبأمثالكم من الغافلين
المتفرقين في أودية الماضي السحيقة: أن اجمعوا على الجهل والفقر بالعلم والصناعة.

ثم إن الحاجة التي هي أم المدنية وأم الاختراع والرفقي قد رفعت يدها لتنزلها عليكم
صفعة، فتأمركم: إما أن تعطوا حياة حريتكم في صحراء الجهل هذه إلى الناهبين أو عليكم
أن تهرعوا إلى كعبة الكمالات بركوبكم منظار العلم وقطار الصناعة في ميدان المدنية لاستقبال
المستقبل الزاهر مستردين أموال الاتفاق التي اغتصبها الأجنبي.

ثم إن الملية الإسلامية التي نصبت خيمتها في وديان الماضي وصحارى الحاضر
وشواهاق المستقبل واستظل بها أجدادكم من أمثال صلاح الدين الأيوبي(*) وجلال الدين
خوارزم شاه(*) والسلطان سليم وخير الدين بارباروس(*) ورستم زال(*) وما شابههم

من القواد الدهاة الذين تشرف كلٌّ بمنزلة الآخر فعاشوا معاً كعائلة واحدة.. هذه الملية الإسلامية وهي مثال الحياة الرفيعة.. تأمركم أمراً جازماً:

بأنّ على كل واحد منكم أن يكون مرآة عاكسة للإسلام وحامي ذماره، ومثالاً مشخّصاً للأمة الإسلامية، إذ الهمة تتعالى بعلو المقصد، والأخلاق تتسامى وتتكامل بغليان الحمية الإسلامية.

ثم إن المشروطة المشروعة التي هي سبب من أسباب سعادة البشر الدنيوية نجّت الإرادة الجزئية التي هي القوة الدافعة لماكنة الحياة، من تسلط الاستبداد بضمائها سيادة الأمة. هذه المشروطة التي اختمرت بخميرة الشورى الشرعية تدعوكم إلى الاختبار والامتحان، وتريد أن تراكم أنكم قد بلغت سن الرشد فلا تحتاجون إلى وصاية، فهيئوا أنفسكم للامتحان. وأثبتوا وجودكم بالاتحاد، وبينوا لها أن فكركم ووجدانكم الشخصيّين هما كقلب الأمة وعقلها المشترك بالحمية الدينية المليّة. وبخلافه ستلغي أمركم ولا تمنحكم شهادة الحرية.

نعم، إن الاضطرابات التي حدثت فيما بينكم في صحارى الماضي من جراء ما يحمله كل منكم من حب السيادة والأنانية والفكر الشخصي ستقلب -بإذن الله- إلى فكر الإيجاد والسعي الدؤوب ومفهوم الحرية. بل أستطيع أن أقول: يا مواطني في الولايات الشرقية: إن مدارسكم الصاخبة أشبه ما تكون بالبرلمان العلمي لكثرة ما فيها من مناقشات بالنسبة للمدارس الهادئة الأخرى.

ثم أنتم شافعيون، فقراء تكم خلف الأمام، وفطرتكم وأصول مدرستكم تدفعكم إلى السعي والمحاولة الشخصية، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (النجم: ٣٩).

ثم إن الجسارة وشرف الأمة الإسلامية وعزتها -وهي أساس كل كمال وحاميها- تأمركم قائلة: مثلما ترقّيتم في مضمار الشجاعة المادية بتعلمكم العلوم والمعرفة من كتابات سيوفكم وفتحتم مجرى من الدماغ إلى القلب مزجاً العقل بالقوة، فافتحوا الآن منفذاً من القلب إلى الفكر، وابعثوا القوة مدداً للعقل، وأرسلوا العواطف ظهيراً للفكر، لئلا تنهب شرف الأمة الإسلامية في ميدان المدنية. اجعلوا سيوفكم من جواهر العلم والصنعة والتساند الذي يأمركم به القرآن الكريم.

خطاب إلى الحرية

أيتها الحرية الشرعية!

إنك تنادين بصوت هادر، ولكنه رخم يحمل بشارة سارة، توقظين بها كردياً بدوياً مثلي نائماً تحت طبقات الغفلة، ولولاك لظلمت أنا والأمة جميعاً في سجن الأسر والقيود. إنني أبشرك بعمر خالد؛ فإذا ما اتخذت الشريعة التي هي عين الحياة، منبعاً للحياة، وترعرعت في تلك اللجنة الوارفة البهيجة، فإنني أزف بشرى سارة أيضاً بأن هذه الأمة المظلومة ستترقى ألف درجة عما كانت عليه في سابق عهدها. وإذا ما اتخذت الأمة مرشدة لها، ولم تلونك بالمآرب الشخصية وحب الثأر والانتقام، فقد أخرجنا إذن من له العظمة والمنة من قبر الوحشة والاستبداد، ودعانا إلى جنة الاتحاد والمحبة.

فيا رب ما أسعد هذه القيامة والنشور! وما أجمل هذا الحشر العظيم المصور لنا حقيقة «البعث بعد الموت» في هذا الزمان، يصورها تصويراً مصغراً، وذلك كالآتي:

لقد دبت الحياة في المدينة القديمة المدفونة في زوايا آسيا وروم إيلي^(١) والذين يتحرون نفعهم في ضرر العامة، ويتمنون الاستبداد، بدأوا يقولون: ﴿يَلَيَّنِي كُتُّ رَبِّاً﴾ (النبا: ٤٠).

إن حكومتنا الجديدة، حكومة المشروطية، قد ولدت أشبه ما يكون بالمعجزة، لذا سننال في غضون سنة واحدة بإذن الله سر من يكلم الناس في المهدي صيماً.

إن ثلاثين سنة قضيناها صائمين عن الكلام متجملين بالصبر والتوكل على الله، سننال ثوابه بانفتاح أبواب جنة الرقي، أبواب المدينة التي لا عذاب فيها.

إن القانون الشرعي الذي هو براءة الاستهلال لحاكمية الأمة، شبيه بخازن الجنة، يدعونا إلى الدخول فيها.. فهيا يا إخوة الوطن لنذهب معاً، وندخلها معاً، فإن بابها الأول: اتحاد القلوب. والثاني: محبة الأمة. والثالث: المعارف. والرابع: السعي الإنساني. والخامس: ترك السفاهة. وأحيل إلى أذهانكم بقية الأبواب. علماً أن إجابة الدعوة واجب شرعي.

(١) المناطق العشائية الواقعة في قارة أوروبا.

ولأن فاتحة هذا الانقلاب العظيم بدأت أشبه بالمعجزة، فإن ذلك فأل حسن بأن تكون خاتمته أيضاً حسنة. وكالآتي:

إن هذا الانقلاب سيكسر أغلال الفكر البشري الثقيلة، وسيهدم السدود المانعة للرقى، وينجي الحكومة من ورطة الموت، ويظهر جوهر الإنسانية ويحررها مرسلاً إياها إلى كعبة الكمالات.

نعم، إن هذا الفأل الحسن يبشرنا بأن خاتمة هذا الانقلاب ستكون بانقشاع ذلك السحاب المتراكم القاتم، بالرغبة العامة لدى الناس، وبشعورهم بالضرر المادي لسيئات المدينة الملونة بألوان السفاهات والإسرافات والملاذات غير المشروعة.. وغيرها من الأمور التي دفعت دولة المدينة إلى الانقراض كانقراض الحكومة المستبدة. وعندها ستشرق شمس الشريعة وقمر المدينة في جو السماء الصافي بأسطع ما يكون، فتتوران آسيا وروم إيلي، وستنمو بذور الاستعدادات والقابليات بهطول أمطار الحرية، فتزين عندئذ الأرض بأوهى حللها الملونة.

نعم، إنه معجزة نبوية وعناية إلهية للأمة المظلومة، وكرامة النية الخالصة للمجتمع كافة. إن هذا الاتحاد، اتحاد القلوب والمحبة الموجهة للأمة كافة، وهي معدن السعادة والحرية، قد أنعم بها المولى الكريم علينا مجاناً، بينما الأمم الأخرى قد ظفروا بها بعد دفع الملايين من جواهر النفوس الغالية.

إن صدى الحرية والعدالة ينفخ نفخ إسرائيل فيبعث الحياة في مشاعرنا المدنية وآمالنا الخامدة ورغباتنا القومية الرفيعة وأخلاقنا الإسلامية الحميدة، حتى يرن صياح الكرة الأرضية المجذوبة جذبة المولوي، ويهيج الأمة جميعاً ويهزها هزّ المجذوب.

وإياكم يا إخوان الوطن أن تقضوا عليها بالموت مرة أخرى بالسفاهات والإهمال في الدين.

إن القانون الأساسي المؤسس على هذه الشريعة الغراء قد أصبح ملك الموت لقبض أرواح جميع الأفكار الفاسدة والأخلاق الرذيلة والدسائس الشيطانية والتزلفات الدنيئة. فيا إخوة الوطن! لا تعيدوا الحياة لتلك الرذائل بالإسرافات ومخالفة الشريعة والملاذات المحرمة.

فلقد كنا إذن في القبر، وبليت عظامنا، والآن دخلنا في رحم الأم باتحاد الأمة والمشروطة.
إن مائة ونيفاً من السنين التي تأخرنا فيها عن مضمار الرقي والتقدم ستتجاوزها بإذن
الله تعالى، بمعجزة نبوية، مستقلين - عملاً - قطار القانون الأساسي الشرعي وممتطين - فكرياً -
بُراق الشورى الشرعية.

وسنكون في صف الأمم المتقدمة، بطيئاً هذا الزمان القاصر الشبيه بالصحراء الكبرى
الموحشة. بل نتسابق معهم حيث إنهم درجوا على ركوب العربات التي تجرها الثيران، بينما
نحن - بتكامل الوسائل التي يتوقف عليها العلم - سنركب مباشرة القطار والمنطاد، فنسبقهم
بفراسخ وفراسخ، وذلك بما تسهل لنا هضم تلك الوسائل حقيقة الإسلام الجامعة للأخلاق
الإسلامية، والاستعداد الفطري الكامن فينا، وفيض الإيمان الذي نحمله، وشدة الجوع التي
نشعر بها، فنسبقهم بإذنه تعالى كما كنا سابقين لهم في الماضي.

إنني أذكركم بما يأتي بفضل ما أناطت بي مهمة الطالب من وظيفة، وبشهادة التخرج
من سلك الحرية:

يا أبناء الوطن! لا تفسروا الحرية تفسيراً سيئاً كي لا تفلت من أيديكم، ولا تخنقونا
بسقي الاستعباد السابق الفاسد في إناء آخر^(١) ذلك لأن الحرية إنما تزدهر بمراعاة الأحكام
الشرعية وآدابها والتخلق بالأخلاق الفاضلة.

والبرهان الباهر على هذا الادعاء هو ما كان يرفل به عهد الصحابة الكرام رضوان
الله عليهم أجمعين من الحرية والعدالة والمساواة على الرغم من الوحشية السائدة والتحكم
المقيت.

وبخلافه فإن تفسير الحرية والعمل بها على أنها التحرر من القيود والانغمار في السفاهات
والملذات غير المشروعة والبذخ والإسراف، وتجاوز الحدود في كل شيء اتباعاً لهوى النفس..
مماثل لمن يتحرر من أسر سلطان واحد ويدخل في استبداد حقراء سافلين كثيرين. فضلاً عن
أن هذا النمط من الحرية يُظهر أن الأمة غير راشدة وما زالت في عهد الصباوة وليست أهلاً
للحرية. فهي سفينة إذن تستحق الحجر عليها، بالرجوع إلى الاستبداد السابق البائد.

(١) نعم، لقد سقونا عبودية مسمومة جداً باستبداد أَرَهَب وأشد (المؤلف).

إن عدم الأهلية للحرية الشرعية الحديثة الباهرة الواسعة يؤدي إلى مرض وبيل يتعرض له اتحاد الأمة العظيم فتعرض الأمة إلى حالات فاسدة متعفنة.

بينما تفسر أهل التقوى والوجدان ليس على هذا النمط، ومذهبهم يخالف هذا التفسير؛ فنحن الأمة العثمانية نتصف بالرجولة، فلا تليق بقامة استعداد أمتنا البطلة فساتين النساء المزركشة بالسفاهة والهوى والإسراف.

وبناء على ما سبق لا ينبغي أن ننخدع، بل علينا أن نجعل القاعدة الآتية دستور عمل لنا وهي: «خذ ما صفا دع ما كدر»، وفي ضوئها سنأخذ من الأجانب -مشكورين- كل ما يُعين على الرقي المدني من علوم وصناعات. أما العادات والأخلاق السيئة، فهي ذنوب المدنية ومساوئها التي لا يتبين قبحها كثيراً لكونها محاطة بمحاسن المدنية الكثيرة.

فنحن لو أخذنا منهم المدنية -بسوء حظنا وسوء اختيارنا- بما يوافق الهوى والشهوات -كالأطفال- تاركين محاسنها التي تحتاج إلى بذل الجهد للحصول عليها، نكون موضع سخرة كالمخانيث أو كالمترجلات، فإذا لبست المرأة ثياب الرجل ولبس الرجل ثياب المرأة يكون كل منهما موضع سخرة واستهزاء. ألا لا ينبغي أن نتجمل بمساحيق التجميل.

حاصل الكلام: سنمنع بسيف الشريعة مساوئ المدنية وذنوبها من الدخول إلى حدود حريتنا ومدنيتنا حفاظاً على فتوة مدنيتنا وشبابها بزُلال عين حياة الشريعة.

ينبغي لنا الاقتداء باليابانيين في المدنية، لأنهم حافظوا على تقاليدهم القومية التي هي قوام بقائهم وأخذوا بمحاسن المدنية من أوروبا. وحيث إن عاداتنا القومية ناشئة من الإسلام وتزدهر به فالضرورة تقتضي الاعتصام بالإسلام.

يا أبناء الوطن الغيارى!

إن منتسبي الجمعية المالية قد فتحوا لنا طريق السعادة بتضحية أرواحهم، فعلينا أن نعينهم بترك بعض لذائذنا، حيث إننا نجلس معاً على مائدة تلك النعمة.

إن أصحاب الأفكار الفاسدة، يريدون الاستبداد والمظالم تحت ستار الحرية، فلاجل إلا نشاهد مرة أخرى تلك الاستبدادات التي دُفنت في حُفَر الماضي ولا تلك المظالم التي جرت

في سيل الزمان، أريد أن أقيم سداً حديدياً بين الماضي والحاضر وذلك بإيضاح تاريخ حياة الحرية، وهو كالآتي:

إن هذا الانقلاب لو أعطى الحرية -التي أنجبها- أحضان الشورى الشرعية لتربيتها فسُبُغت أجماد الماضي لهذه الأمة قوية حاكمّة؛ بينما لو صادفت تلك الحرية الأغراض الشخصية، فستنقلب إلى استبداد مطلق، فتموت تلك المولودة في مهدها.

لقد وُلدت الحرية في الوقت المناسب، فحتاج تنشئتها إلى ظروف وأحوال فطرية وليست إلى افتعال ظروف تحتاج إلى مشاق.

إن الحماية الإسلامية التي عانت سابقاً كثيراً من الضوائق والبؤس، وهي ليست مستحقة لها، قد فارت فوراناً عظيماً بحيث اكتملت الحرية في ذلك الرحم. فحالما يحين وقت الولادة وتظهر إلى الوجود ستعلن هيمنتها، فلا يتمكن أي شيء من التصدي لها وزلزلتها، حيث إنها ستأسس على أسس رصينة -كعرش بلقيس- على حقائق خمس تلك هي:

الحقيقة الأولى:

أن في الكل من القوة ما ليس لكل، كقوة الجبل المتين الناشئة من خيوط رفعية دقيقة، أو كحكومتنا الحديثة المتبنية لأفكار الرأي العام وحكومتنا السابقة.

أيتها الأمة! نحن الآن ذلك الجبل المتين، فمن أضعفها بالأغراض الشخصية والآراء الفردية فقد جنى جناية لا تغتفر، حيث جنى على حقوق الأمة جميعاً.

الحقيقة الثانية:

أن السلطة المستندة إلى القوة والإكراه كانت هي الحاكمة في سالف الأزمان وهي محكومة بالتدني والانقراض، حيث إنها حصيلة الجهل والوحشية. فأية دولة جرت في عروقتها دماء السلطة المستبدة فإن سطور صحائف تاريخها تنعق نعيق اليوم بالانقراض.

بينما في زمن المدنية فإن العلم والمعرفة هما السلطة الحاكمة على العالم، وحيث إن مولدها هي المدنية ومن شأنها الزيادة وعمرها أبدي، لذا لو كانت مثل هذه السلطة الحاكمة مدبرة

لشؤون أية دولة كانت فإنها تنجي تلك الحكومة من قيد العمر الطبيعي وأجل الانقراض، فتدوم حياتها بدوام الأرض. وكتابُ أوروبا وصحائفها تعلن هذا بجلاء.

وإذا قيل: لقد كان بالإمكان إدارة الحكومة الضعيفة السابقة من قبل أشخاص اعتيادين، فيا ترى هل تثمر الأناضول وروم إيلي رجالاً دهاءً خارقين يحملون على أكتافهم هذه الحكومة التي نعقد عليها الآمال؟

نقول جواباً على هذا السؤال: نعم، إن لم يحدث انقلاب آخر.

والآن أنعم النظر في:

الحقيقة الثالثة:

كان الإنسان في السابق يتحرك في ميدان محدود وضيق جداً، رغم استعداداته غير المتناهية، حتى إنه كان يعيش عيش حيوان مع كونه إنساناً. لذا تدنت أفكاره وضافت أخلاقه بنسبة محدودة تلك الدائرة.

فإذا ما عاشت الآن هذه الحرية الشرعية العادلة ولم تفسد، فستنكسر أغلال فكر الإنسان، وتتحطم الموانع الموضوعة أمام استعداداته للرقي، فتتوسع ميدان حركته سعة الدنيا كلها. حتى إن قروياً مثلي يستطيع أن ينظر إلى إدارة الدولة التي هي في أوج العلا كالثريا، ويربط نوى الأماني والاستعدادات هناك. وحيث إن كل فعل وطور يصدر يلقي صدها هناك، لذا ستتعالى همته كالثريا وتتكامل أخلاقه بالدرجة نفسها، وتتوسع أفكاره بقدر سعة الممالك العثمانية، وسيسبق بإذن الله الأفذاذ من أمثال أفلاطون(*) وابن سينا وبسهارك(*) وديكارت(*) والتفتازاني(*).

نحن على أمل عظيم أن تثمر مزرعة الأناضول وروم إيلي شباناً غيارى؛ فلا جرم أن الممالك العثمانية محل ظهور الأنبياء، ومهد الدول الحضارية، ومشرق شمس الإسلام؛ فإذا ما نمت هذه الاستعدادات المغروزة في الإنسانية بغيث الحرية، فإنها تتحول إلى شجرة طوبى من الأفكار النيرة وتمتد أغصانها إلى كل جهة، وسيجعل الشرق مَشْرِقاً للغرب، إن لم تفسد وتنخر بالكسل والأغراض الشخصية.

الحقيقة الرابعة:

إن الشريعة الغراء تمضي إلى الأبد لأنها آتية من الكلام الأزلي. والبرهانُ الباهر عليه هو أن الشريعة تتوسع وتنمو نموَّ الكائن الحي أي بنسبة نمو استعداد الإنسان وتَشْرُبه من نتائج تلاحق الأفكار وتَغْذِيه عليها، ذلك الاستعداد الذي يمثل ميل الرقي الذي هو غصن من أغصان شجرة استكمال العلم.

فالحرية والعدالة والمساواة التي كانت يترفل بها خيرُ القرون والخلفاء الأربعة، ولا سيما في ذلك الوقت، دليل على أن الشريعة الغراء جامعة لجميع روابط المساواة والعدالة والحرية الحققة؛ فآثار سيدنا عمر وسيدنا علي رضي الله عنهما وصلاح الدين الأيوبي دليل وأي دليل على هذا الادعاء.

ومن هنا فإني أقرر:

أن سبب تأخرنا وتدنينا وسوء أحوالنا إلى الآن ناتج مما يأتي:

١- عدم مراعاة أحكام الشريعة الغراء.

٢- تصرفات بعض المداهنين تصرفاً عفويّاً.

٣- التعصب المقيت في غير محله سواء لدى عالم جاهل، أو جاهل عالم!

٤- تقليد مساوئ المدنية الأوروبية تقليداً ببغائياً -بسوء حظنا أو سوء اختيارنا- مما ولد تَرَكَنا لمحاسن المدنية التي تُستحصل بمشكلات ومصاعب.

فلو قام الموظفون خير قيام بوظائفهم وسعى الآخرون حسب الظروف المحيطة وما يتطلبه الزمان الحاضر، فلن يجد أحد متسعاً من الوقت للسفاهة. ولو انهمك أي منهما بها فلا يكون إلا جرثومة خطيرة في جسم المجتمع.

الحقيقة الخامسة:

إن فكر أفراد قليلين كان كافياً لإدارة الدولة حيث الروابط الاجتماعية والضرورات المعاشية والمستلزمات الحضارية لم تكن كثيرة ومتشعبة، ولكن في الوقت الحاضر فقد كثرت

الروابط الاجتماعية وتعددت الضروريات المعاشية وتزايدت الزخارف الحضارية إلى حد كبير، بما لا يمكن أن تحمل تلك الدولة وتديرها وتربها إلا مجلس نواب في حكم قلب الأمة ينبض بنبضها، والشورى الشرعية التي هي في مقام فكر الأمة وعقلها، وحرية الأفكار التي هي بمنزلة سيف الدولة وقوتها. ومثال هذه الحقيقة هو الحكومة المستبدة السابقة وحكومة المشروطة الحاضرة.

وأذكر أموراً ثلاثة بناء على الوظيفة التي أناطتها إياي الحقيقة الثالثة وبشهادة تخرج الحرية:

الأول:

كما أن الجسم محال أن تتحلل إلى ذرات دفعة واحدة كذلك تشكُّله من ذرات دفعة واحدة وبصورة فجائية محال أيضاً. لذا فإن فصل الموظفين السابقين من جسم الدولة ووضع آخرين جدد في مواضعهم متعذر وإن لم يكن محالاً. علماً أن الدولة ستنبذ الموظفين الذين ينطوون على خبث دفين لا يمكن إصلاحه، بينما باب التوبة مفتوح لمن يمكن إصلاحه ما لم تطلع الشمس من مغربها. فهؤلاء يجب الاستفادة من تجاربهم، إذ إشغال مواضعهم الوظيفية يحتاج إلى أربعين سنة أخرى. ولأفان إطالة اللسان بالسوء إلى الجميع وإهانتهم يجعل هذا الاتحاد، اتحاد الأمة العظيم، معرضاً لوباء وبيل من أفكار فاسدة وأخلاق سيئة.

الثاني:

لقد نشأت في جبال الشرق فكنت أتخيل مركز الخلافة في هالة جميلة، ولكن ما إن أتيت قبل حوالي ثمانية أشهر حتى شاهدت أن إسطنبول شبيهة برجل متوحش لبس ملابس إنسان مدني، وذلك لما فيها من تنافر القلوب واستيحاش الأفراد بعضهم بعضاً. والآن يقدم ذلك الشخص المدني نفسه لنا وهو بملابس نصف مدنية ونصف وحشية، وذلك بسبب اتحاد الأمة.

كنت سابقاً أحسب أن فساد الشرق نابع من تعرض عضو منه للمرض، ولكن لما شاهدت إسطنبول المريضة وجسست نبضها، وشرحتها، أدركت أن المرض هو في القلب، وسرى منه إلى جميع الجهات. فحاولت علاجه، ولكن أكرمت بصفة الجنون!

وقد شاهدت أيضاً: أن الإسلام الذي يشكل المدينة الحقيقية قد تأخر عن المدينة الحاضرة مادياً، فكأن الإسلام قد استاء من سوء أخلاقنا فمضى راجعاً إلى الماضي ليشكونا إلى خير القرون .

إن من أهم أسباب تأخرنا في مضمار المدنية بعد الاستبداد، هو تباين الأفكار واختلاف المشارب لدى منتسبي ثلاث شُعب كبيرة، يُعدّون مرشدين عموميين للجميع، وهم منتسبو المدارس الحديثة والمدارس الدينية والتكايا والذين يمثلون مصداق قول الشاعر:

عِبَارَاتُنَا شَتَّى وَحُسْنُكَ وَاحِدٌ وَكُلُّ إِلَى ذَاكَ الْجَمَالِ يُشِيرُ

إن تباين الأفكار هذا قد هزّ أساس الأخلاق الإسلامية وفرّق اتحاد الأمة، وأخرنا عن ركب الحضارة، لأن أحدهم يكفر الآخر ويضلله، بينما الآخر يعدّ الأول جاهلاً لا يوثق به. وهكذا ساد الإفراط والتفريط. وعلاج هذا الداء هو الصلح النابع من توحيد الأفكار، وربط العلاقات ووصلها حتى يوصل إلى نقطة الاعتدال، فيتصافح الجميع، ويتفقوا جميعاً لئلا يُخلّوا بنظام الرقي.

الثالث:

إنني استمعت إلى الوعاظ. فلم تؤثر فيّ نصائحهم ووعظهم. فتأملت في السبب، فرأيت أنه فضلاً عن قساوة قلبي هناك ثلاثة أسباب:

١- إنهم يتناسون الفرق بين الحاضر والماضي فيبالغون كثيراً في تصوير دعاويهم ومحاولين تزويقها دون إيراد الأدلة الكافية التي لا بد منها للتأثير وإقناع الباحث عن الحقيقة، فالزمن الحاضر أكثر حاجة إلى إيراد الأدلة.

٢- إنهم عند ترغيهم بأمرٍ ما وترهيبهم منه يُسقطون قيمة ما هو أهم منه، فيفقدون بذلك المحافظة على الموازنة الدقيقة الموجودة في الشريعة، أي لا يميزون بين المهم والأهم.

٣- إن مطابقة الكلام لمقتضى الحال هي أرقى أنواع البلاغة، فلا بد أن يكون الكلام موافقاً لحاجات العصر. إلّا أنهم لا يتكلمون بما يناسب تشخيص علة هذا العصر، وكأنهم يسحبون الناس إلى الزمان الغابر، فيحدثونهم بلسان ذلك الزمان.

فعلى الوعاظ والمرشدين المحترمين أن يكونوا محققين ليتمكنوا من الإثبات والإقناع، وأن يكونوا أيضاً مدققين لئلا يفسدوا توازن الشريعة، وأن يكونوا بلغاء مقنعين كي يوافق كلامهم حاجات العصر. وعليهم أيضاً أن يزنوا الأمور بموازين الشريعة.

فلتحيا الشريعة الغراء، ولتحيا العدالة الإلهية، وليحيا اتحاد الأمة.

وسحقاً للاختلاف، وحباً لمحبة الأمة،..

ولتمت الأغراض الشخصية وفكر الانتقام،..

وليعش الجنود الأشاوس الذين هم الشجاعة مجسمة،..

ولتعش الجيوش التي تمثل عظمة الدولة...

ولتدم جمعية الأحرار المتدينين وطلاب النور الذين هم العقل النير والتدبير الحكيم.

سعيد النورسي

الخطبة الشامية

تأليف
بديع الزمان سعيّد النورسي

ترجمة وتحقيق
إحسان قاسم الصالح



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بين يدي هذه الرسالة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والا،

وبعد؛

فقد ألقى الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي، وهو في شرح الشباب هذه الخطبة باللغة العربية في الجامع الأموي بدمشق، برجاء من علماء الشام وإحاحهم، وحضرها جمهور غفير من الناس يربون على عشرة آلاف شخص، فاستمعوا إليها بلهفة وشوق، حتى إن الخطبة لما طُبعت لأول مرة نفدت نسخها في غضون أيام قليلة فأعيد طبعها خلال أسبوع واحد.

كان ذلك في شتاء سنة ١٩١١م، أي قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى. ثم توالى أيام الحرب الدامية، وانتهت بأفول نجم الدولة العثمانية، وبدأت بعدها أيام محنٍ توالى على الأستاذ النورسي بسلسلة اعتقالاته ونفيه ومحاكماته التي دامت حتى سنة ١٩٥٠م.

فطوال هذه السنين العجاف لم يتسنَّ له مراجعة هذه الخطبة، بل حتى إنه لم يرها، إلى أن أرسل إليه في سنة ١٩٥١م أحد أصدقائه من مدينة «وان» نسخة مطبوعة منها.

كان الأستاذ النورسي عند ذاك في منفاه في «أميرداغ» فأعاد النظر في خطبته التي ألقاها قبل أربعين سنة، وبدأ بترجمتها إلى التركية، أو بالأحرى بتفكيحها وصياغتها مجدداً، إذ ضمَّ إليها فقرات مهمة وهوامش قيِّمة^(١) وحذف منها ما يحدد شموليتها، وأحال بعض مسائلها إلى أجزاء رسائل النور، ثم درَّسها لقسم من طلابه.

قام الملا عبد المجيد «شقيق الأستاذ النورسي» بترجمة هذا النص التركي إلى العربية -بتوصية من المؤلف نفسه- حسب أسلوبه، ونُشرت بالاستنساخ اليدوي في أوساط ضيقة، إذ كانت الطباعة محظورة بالحروف العربية آنذاك.

(١) ذُبلت هوامش المؤلف بـ«المؤلف»، وحصرت العبارات العربية التي وردت في النص التركي بين قوسين مركنين [].

وفي بداية الستينات تناول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ترجمة الملا عبدالمجيد هذه، وصاغها بأسلوبه العذب. ونُشرت منها طبعات كثيرة في حينه.^(١)

ولكن لما كانت الترجمة العربية هي في الأصل غير كاملة وغير مستوعبة للموضوع، فقد جاءت تلك الصياغة الجميلة -مع الأسف- ينقصها الكثير من الفقرات المهمة والمسائل الجلية التي تمس الأحداث، فضلاً عن أن الصياغة اقتصرت على الخطبة وحدها دون ذيولها ولواحقها.

ثم تناول الأستاذ عاصم الحسيني (رحمه الله رحمة واسعة) النصَّ التركي بالترجمة إلى العربية، فأجاد أسلوباً وأداءً للمعنى، وقام طلاب النور بطبعها في المطبعة البولسية ببغروت سنة ١٩٧٤م.

ما قمت به في هذه الرسالة:

قابلتُ ترجمة الأخ عاصم بالنص التركي فتوصلت إلى الآتي:

١- إنها ترجمة قيّمة لا ترقى إليها ترجمة أخرى، سواء في الأداء أو السبك الرصين للجمل، وهي تكاد تكون مطابقة لمن الخطبة بالنص التركي، إلّا في بعض الجمل أو أجزاء من فقرات.

٢- بيد أن الأخ الكريم لم تتح له الفرصة -كما يبدو- لإكمال ترجمته، فلم يترجم ذيول الخطبة كاملة، إذ المقالات التي كتبها الأستاذ النورسي في الصحف المحلية في عهد الاتحاديين وأحقها بالنص التركي، ذات أهمية في إعطاء الصورة الكاملة والواضحة للأحوال السياسية والاجتماعية وكذا التيارات الفكرية التي كان يموج بها المجتمع وقتئذٍ.

٣- ولأجل هذا كله، رأيت لزماً عليّ القيام بترجمة النص التركي للخطبة مجدداً، مع ذيولها ولواحقها كاملة، ليلمس القارئ الكريم بنفسه أبعاد المسائل التي يطرقها الأستاذ النورسي، ويطلع عليها من جميع جوانبها.

ولقد انتهجت أثناء الترجمة والمقابلة على النص التركي والعربي، الخطوات الآتية:

(١) طبعت الطبعة الأولى منها في مطبعة بركات بدمشق.

١- اعتبار النص التركي الذي صاغه الأستاذ النورسي بنفسه هو الأساس، مع ذبوله ولواحقه. وهو النص نفسه الذي وضعه الأستاذ ضمن مباحث كتاب (Tarihçe-i Hayat) أي «تاريخ الحياة» الذي قام بتأليفه طلابه المقربون وأقره بنفسه وطُبع في حياته. والنسخة التي اعتمدت عليها من الخطبة هي من منشورات «دار سوزلر» في إسطنبول سنة ١٩٧٩ م.

٢- مقابلة كل فقرة في النص التركي بالنسخة العربية لنص الخطبة المطبوعة في إسطنبول -لأول مرة- سنة ١٩٢٢ م في مطبعة الأوقاف الإسلامية. علماً أن هذا النص الأول العربي لم تبق له إلا أهميته التاريخية حيث نقّحه المؤلف بنفسه كما ذكرنا.

٣- الاكتفاء بترجمة الأخ عاصم الموافقة للنص التركي مع إجراء ما يلزم من تغييرات في الفقرات والجمل ليقربها أكثر إلى معنى النص التركي ولفي بمراد المؤلف، مع إكمال الجمل أو الفقرات الناقصة فيها.

٤- ترجمة الذبول بكاملها والمقالات الملحق بها.

٥- وضع هوامش ضرورية للقارئ الكريم لإيضاح ما يستغلق عليه من مصطلحات سياسية وتاريخية كانت معروفة ومتداولة في حينها.

٦- استخراج الآيات الكريمة من القرآن الكريم ووضع اسم السورة ورقم الآية.

٧- تخريج الأحاديث الشريفة اعتماداً على الكتب الموثوقة.

والله نسأل أن يوفقنا لحسن القصد، وصحة الفهم، وصواب القول وسداد العمل...
وصلّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إحسان قاسم الصالحى

المحرم الحرام ١٤٠٩

مقدمة الخطبة الشامية للمؤلف

باسمه سبحانه

﴿وَلَا يَنْفَعُ شَيْءٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أبداً دائماً.

إخواني الأعزاء الأوفياء!

هذه الرسالة العربية قد أُلقيت درساً في الجامع الأموي بدمشق قبل أربعين عاماً، وذلك بناءً على إصرار العلماء هناك، واستمعَ إليها ما يقرب من عشرة آلاف شخص، بينهم ما لا يقل عن مائة من كبار علماء الشام.

إن الحقائق الواردة فيها، قد أحسَّ بها «سعيد القديم» بإحساس مسبق، فزفّها بشائر عظيمة بيقين جازم، ظناً منه أن تلك الحقائق وشبكة التحقق، بيد أن الحربين العظميين، والاستبداد المطلق الذي استمر ربع قرن من الزمان،^(١) قد أدّيا إلى تأخر تحقق تلك الحقائق أربعين أو خمسين عاماً.

والآن قد بدأت تبشير تحقق ما أخبر عنه تلوح في أفق العالم الإسلامي، بمعنى أن هذا الدرس المهم ليس مجرد خطبة قديمة، قد عفا عليها الزمن، بل هو درس اجتماعي إسلامي، يحتفظ بكامل جدّته وطراوته وحقيقته طوال هذه الفترة... وكلُّ الذي حدث هو أن عام ١٣٢٧ هـ قد أصبح عام ١٣٧١ هـ وأن الجامع الأموي قد حل محله جامع العالم الإسلامي الذي يضم ثلاث مائة وسبعين مليون نسمة.^(٢)

إن درساً كهذا جدير الآن بالترجمة على ما أعتقد.

سعيد النورسي

(١) أي منذ انتهاء الخلافة العثمانية سنة ١٩٢٣ م إلى سنة ١٩٥٠ م.

(٢) تعداد المسلمين آنذاك.

نهج رسائل النور

في التبليغ

«يسجل هنا جوابٌ مهمٌّ عن سؤال في غاية الأهمية، إذ يذكر «سعيد القديم» بإحساسٍ مسبق، في درسه ذاك الذي ألقاه قبل أربعين سنة دروسَ رسائل النور الخارقة وتأثيراتها، وكأنه يراها».

لقد سألني الكثيرون وسألوا بعض إخواني النوريين، وما زالوا يسألون:

لماذا لا تُهزم «رسائل النور» أمام هذا الحشد الغفير من المعارضين والفلاسفة المُتعتِّين وأرباب الضلال؟ فعلى الرغم من إقامتهم سداً منيعاً - إلى حدٍّ ما - ليحول دون انتشار ملايين الكتب الإيمانية والإسلامية القيمة.. وعلى الرغم من حرمانهم الكثير من الناس، ولا سيما الشباب الأبرياء من حقائق الإيمان بتسهيل سُبُل السفاهة لهم وإغرائهم بملذّات الحياة الدنيا.. وعلى الرغم من محاولتهم كسر شوكة رسائل النور بشتى وسائل الغدر وأساليب الهجوم العنيف واختلاق الأكاذيب وإشاعة الدعايات الزائفة وتخويف الناس منها وحملهم على التخلي عنها.. وعلى الرغم من ذلك فقد انتشرت رسائل النور. فما الحكمة من انتشارها انتشاراً لم يسبق له مثيل، حتى بلغ ما نُسخ من معظمها باليد فقط ستائة ألف نسخة، وهي تحظى بانتشار واسع ويتلقاها الناس بشوق بالغ، في الخفاء، وتستقرئ نفسها في داخل البلاد وخارجها بكمال المسرّة والمحبة؟.

فجواباً عن أسئلة كثيرة تردُّ بهذا المعنى نقول:

الجواب:

إن رسائل النور التي هي تفسير حقيقي للقرآن الكريم، ببيان إعجاز معانيه الجليلة، تُبينُ أن في الضلالة جحيماً معنوياً في هذه الدنيا، كما تُثبتُ أن في الإيمان نعيماً معنوياً في الدنيا أيضاً. وهي تبرهن أن في المعاصي والفساد والمُتّع المحرّمة آلاماً معنوية مبرّحة، كما

أن في الحسنات والخصال الحميدة والعمل بالحقائق الشرعية لذائذ معنوية أشبه ما تكون بملذات الجنة.

فهو بهذا الأسلوب تنقذ مَنْ كان له مسكة من عقل من أهل السفاهة وأرباب الضلال من التهادي في غيهم، ذلك لأن في عصرنا هذا حالتين رهيبتين:

أولاهما:

أن نوازع الإنسان وأحاسيسه المادية لا ترى العقبي، فَتَفْضُلُ درهماً من لذّة عاجلة على قنطار من لذات آجلة، هذه الأحاسيس قد طغت - في هذا العصر - على عقل الإنسان وسيطرت على فكره؛ لذا فالسبيل الوحيد لإنقاذ السفه من سفهه، هو الكشف عن آلمه في لذته نفسها، ومساعدته على التغلب على أحاسيسه تلك؛ إذ المرء في زماننا هذا، مع علمه بلذائذ الآخرة ونعيمها الثمين كالألماس يفضل عليها مُتَعاً دنيوية تافهة أشبه ما تكون بقطع زجاجية قابلة للكسر! كما تشير إليها الآية الكريمة: ﴿يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ (إبراهيم: ٣). وبناء على هذا ولشدة حبه للعالم الدنيوي ينساق وراء أرباب الضلالة ويتبعهم بعد أن كان من أهل الإيمان.

والسبيل الوحيد لإنقاذه من خطر الانسياق هذا، هو إظهار آلام جهنم وعذابها في الدنيا أيضاً.

وهذا هو النهج الذي تسير عليه رسائل النور.

إن ما في عصرنا الحاضر من تعنت الإلحاد، وصدود الضلالات الناجمة من طغيان العلوم الحديثة وغرورها والإعراض الناشئ من اعتياد السفه والغنى، قد جعلت نسبة مَنْ يتعظ واحداً من مجموع عشرة أشخاص، أو ربما واحداً من عشرين شخصاً، بعد أن يُعرَف له الخالق جلّ جلاله ويثبت له وجود جهنم ويخوف من عذابها ليتجنب الشرور والسيئات، ثم تراه يقول: «إن الله غفور رحيم.. إن جهنم بعيدة جداً!». ثم قد يستمر في لهوه وعبه، فينهزم قلبه وتنهار روحه أمام طغيان شهواته.

وهكذا فإن «رسائل النور» تبين العواقب الوخيمة الأليمة التي تترتب على الكفر

والضلال في هذه الدنيا، في معظم الموازنات التي تعقدها، فتتفرَّ أشدَّ الناس اتباعاً لهوهم وأكثرهم تعتاً وعناداً، من الخوض في متعهم المحرمة وسفاهتهم المشؤومة، وتدفع بالعقلاء منهم إلى طرق باب التوبة والاستغفار.

وعلى سبيل المثال: الموازنات المبسطة التي تتضمنها الكلمات: السادسة، والسابعة، والثامنة من «الكلمات الصغيرة»، والموازنة المطولة التي يتضمنها الموقف الثالث من الكلمة الثانية والثلاثين... هذه الموازنات تحمّل أشد الناس سفاهة وضلالة على الرهبة والرعب، وعلى قبول إرشادها والاتعاظ بها.

ومثالاً: نشر هنا باختصار إلى ما رآه (أي سعيد القديم) من حقائق في إنشاء تجوال خيالي من خلال التدبر في آية «النور». وتفصيله في «القسم الخامس من المکتوب التاسع والعشرين من مجموعة المکتوبات» فمن شاء فليراجعه. والخلاصة هي:

أنني في أثناء سياحتي الخيالية تلك، رأيت عالم الحيوان، ذلك العالم المحتاج إلى الرزق والتقوّت. وعندما تأملت من وجهة نظر الفلسفة المادية، أظهر لي -ذلك العالم من الأحياء- عالماً رهيباً مؤلماً؛ بما فيه من ضعف وعجز فضلاً عن مسيس احتياجه وشدة جوعه!

ولما كنت أنظر إليه بعين أهل الضلال والغفلة أطلقت صرخةً ملؤها الألم والحزن، وإذا بي أرى ذلك العالم بمنظار الإيمان وحكمة القرآن، فإذا باسم «الرحمن» يشرق من برج «الرزاق» كشمسٍ ساطعة، فأنازل ذلك العالم الجائع البائس من الأحياء وأسبغ عليه نور رحمته.

ثم رأيت عالماً آخر في عالم الحيوان هذا، ذلك هو عالم الأفراخ الصغار التي تنتفض ضعفاً وعجزاً وعوزاً، وقد تغشاه ظلام محزن أليم، يدعو كل إنسان إلى الإشفاق عليه. ولما كنت أنظر بعين أهل الضلالة، صُحْتُ قائلاً: واحسرتاه! وإذا بالإيمان يمنحني نظارة، شاهدتُ من خلالها: طلوع اسم «الرحيم» من برج «الشفقة»، ينشر أضواءه الزاهية الجميلة، حتى حوّل ذلك العالم المحزن إلى عالم بهيج، وقَلَبَ عبرات الشكوى والألم والحزن المنهمرة من عيني إلى دموع الفرح والشكر والامتنان.

ثم تراءى لي عالم الإنسان كشاشة سينمائية، فأنعمتُ النظر فيه بمنظار أهل الضلالة، وإذا به عالم مظلم مرعب.. لم أتمالك معه نفسي فأطلقتُ صرخةً أَلَم من أعماق قلبي قائلاً: وا أسفاه! ذلك لأن آمال الناس وأمانيتهم الممتدة إلى الأبد، وتصوراتهم وأفكارهم المحيطة بالكون، وتطلعاتهم الجادة واستعداداتهم الفطرية التواقية إلى الخلود والجنة والسعادة الأبدية، وقواهم الطليقة غير المحددة فطرياً، واحتياجاتهم المتوجهة إلى غاياتٍ ومقاصدٍ لا تنتهى لها، وتعرضهم -مع ضعفهم وعجزهم- لهجماتٍ ما لا يحصى من المصائب والأعداء.. مع كل هذا، لهم عمرٌ جدّ قصير، ويمحون حياةً ملؤها الصخب والقلق، يذوقون مرارة الموت كل يوم بل كل ساعة، يقاسون ضنك المعيشة في حياتهم، ويتجرعون آلام الفراق والزوال التي هي أوجع للقلب وأثقل على الوجدان، فضلاً عن أنهم ينظرون إلى القبر والمقبرة نظراً أهل الغفلة وكأنه باب إلى ظلام سرمدي، يُرمون في غياهبه فرداً فرداً وطائفة إثر طائفة!

وهكذا.. ففي الوقت الذي رأيتُ عالم الإنسان هذا غارقاً في مثل هذه الظلمات وإذا أنا على وشك الصراخ من أعماق قلبي وروحي وعقلي، بل بجميع مشاعري بل بجميع ذرات وجودي، إذا بالنور المنبعث من القرآن والإيمان الراسخ الناشئ منه، يحطم ذلك المنظار المضلّ، ويهب لعقلي بصراً نافذاً أرى به الأسماء الإلهية الحسنى وقد أشرقت كالشمس الساطعة من بروجها؛ فاسم الله «العدل» رأيتُه بازغاً من برج «الحكيم»، واسم «الرحمن» من برج «الكريم»، واسم «الرحيم» من برج «الغفور» (أي بمعناه)، واسم «الباعث» من برج «الوارث»، واسم «المحيي» من برج «المحسن»، واسم «الرب» من برج «المالك»... فأضاءت هذه الأسماء بنورها الباهر عوالم كثيرة داخل عالم الإنسان المظلم، وحوّلتها إلى عوالم مشرقة بهيجة، كما بددت تلك الحالات الجهنمية بما فتحت من نوافذ إلى عالم الآخرة، حتى نثرت الأنوارَ إلى جميع جوانب ذلك العالم البائس للإنسان. فقلتُ: «الحمد لله.. الشكر لله.. بعدد ذرات العالم»، ورأيتُ بعين اليقين وعلمتُ علم اليقين: «أن في الإيمان حقاً جنةً معنوية، وأن في الضلال جحيماً معنوياً أيضاً في هذه الدنيا ذاتها».

ثم ظهر في تلك الجولة عالمُ كرة الأرض، فعكستُ القوانين العلمية المظلمة بالفلسفة غير المنقادة للدين، إلى خيالي عالماً في منتهى الغرابة والدهشة؛ إذ تأملتُ هذه الأرض التي

تزيد سرعة حركتها على سرعة طلقة المدفع سبعين مرة، وتقطع مسافة خمسة وعشرين ألف سنة في سنة واحدة، وهي مع شيخوختها وهرمها معرضة للتشتت والتحطم في كل لحظة، وتحمل في باطنها زلازل مخيفة، وعلى ظهرها هذا الإنسان البائس الذي تجوب به أجواء الفضاء غير المحدود.. فأشفقتُ على وضع هذا الإنسان وسط هذا الظلام الدامس الموحش المخيم عليه، ودار رأسي من هول ما رأيتُ وأظلمت الدنيا أمام عيني، فطرحْتُ نظارة الفيلسوف أرضاً وحطمتها كلياً، ونظرتُ إلى الأمر ببصيرة وضّاء بحكمة القرآن، وإذا بأسماء خالق الأرض والسموات: القدير، العليم، الرب، الله، رب السموات والأرض ومسخر الشمس والقمر، قد أشرقت من بروج الرحمة والعظمة والربوبية شروق الشمس، فغمرت ذلك العالم الحالك الموحش المذهل بنور زاهٍ باهر جعلني أبصر بعيني المؤمنين هاتين: أن الكرة الأرضية في غاية الانتظام والتسخير والتكامل مع الإنسان، وهي في أمان وسلام، فيها رزق كل من يدب عليها، كأنها سفينة سياحية مهيأة للتنزه والراحة والاستجمام والتجارة. تتجول بما عليها من مخلوقات، حول الشمس في مملكة ربانية واسعة، وهي مشحونة بالرزق كأنها قطار أو سفينة أو طائرة مشحونة في الربيع والصيف والخريف... فقلت وقتئذ: «الحمد لله على نعمة الإيمان بعدد ما في الأرض من ذرات».

وفي ضوء هذا المثال تستطيع أن تقيس كثيراً من الموازنات الأخرى التي تتضمنها «رسائل النور» والتي تُثبت: أن أرباب السفاهة والضلال يذوقون في الدنيا نفسها عذاباً جهنمياً معنوياً، كما أن أهل الصلاح والإيمان يعيشون في جنة معنوية في هذه الدنيا، ويأمكنهم أن يتذوقوا طعموم لذائذ تلك الجنة المعنوية بحواسهم ولطائفهم الإسلامية والإنسانية وبتجليات الإيمان وجلواته، بل يمكنهم الاستفادة من تلك اللذات حسب تفاوت درجاتهم الإيمانية.

بيد أن طبيعة هذا العصر العاصف الذي تُسود فيه التيارات المعطّلة للمشاعر، والصارفة لأنظار البشرية إلى الآفاق الخاوية والغرق فيها، قد أوجدت صعقة من النوع الذي يعطل الإحساس، لذا فإن أرباب الضلال لا يشعرون -مؤقتاً- بعذابهم المعنوي، وأن أهل الهداية بدورهم قد داهمتهم الغفلة فلا يستطيعون أن يقدّروا لذة الإيمان الحقيقية حق قدرها.

الحالة الرهيبة الثانية لعصرنا الحالي:

أن أنواع الضلالة الناشئة من الإلحاد والعلوم الطبيعية، والتمرد المتولد من الكفر العنادي في الماضي، ليعتبران من الضلالة بحيث لا يُذكران إذا ما قيسا بها عليه الوضع في وقتنا الراهن، لذا فقد كانت أدلة علماء الإسلام ودراساتهم كافية لسد حاجات عصرهم، إذ كان كفر عصرهم مبنياً على الشك، فكانوا يزيلونه بسرعة؛ حيث كان الإيمان بالله يسود أوساط الناس، وكان من اليسير إرشاد الكثيرين إلى طريق الهداية والصراط السوي، وإنقاذهم من السفاهة والضلال، وذلك بالتذكير بالله سبحانه والتخويف من عذابه فكان الكثيرون يتخلّون عن غيهم.

أما اليوم فقد تغير الحال، إذ بينما كان يوجد -في الماضي- ملحد واحد في بلد، يمكن العثور الآن على مائة كافر في قسبة واحدة. وقد زاد عدد الذين يضلون بسبب افتتانهم بالعلوم والفنون الحديثة ويقفون بعناد وتمرد في وجه حقائق الإيمان أضعافاً مضاعفات في الماضي بمائة مرة. ولما كان هؤلاء المعاندون يعارضون الحقائق الإيمانية بغرور فرعوني وتبذيلات رهيبة، فلا مناص من أن يجابهوا بحقائق قدسية في قوة القبلة الذرية، لتحطم مبادئهم وأسسهم في هذه الدنيا وتوقف زحفهم وتجاوزهم، بل تحمل قسماً منهم على التسليم والإيمان.

فنحن نحمد الله أجزل الحمد ونشكره شكراً لا منتهى له على أن «رسائل النور» قد أصبحت ترياقاً شافياً لجروح عصرنا الدامية ومعجزة معنوية من معجزات القرآن الحكيم، ولمعة من لمعاته، فلقد استطاعت بموازنتها العديدة أن تحارب أشد المعاندين المتعنتين بسيف القرآن الأمامي، وتنصب الحجج وتقيم الأدلة على الوحدانية الإلهية وحقائق الإيمان بعدد ذرات الكون.

ولعل هذا السرّ هو الذي جعلها لا تُغلب ولا تنهزم منذ خمسة وعشرين عاماً، في وجه أشد الحملات شراسة، بل كانت هي الغالبة على الدوام.

نعم، إن موازنات الكفر والإيمان، ومقاييس الهداية والضلال التي تشتمل عليها «رسائل النور»، تُثبت بالمشاهدة هذه الحقيقة المذكورة. فالذي يطالع براهين ولمعات «الكلمة الثانية والعشرين» -بمقاميها- مثلاً، أو يجيل النظر في الموقف الأول من «الكلمة

الثانية والثلاثين»، أو يقرأ نوافذ «المكتوب الثالث والثلاثين»، أو يتصفح الحجاج الإحدى عشرة من مجموعة «عصا موسى»، وإذا ما قاس سائر الموازنات والمقاييسات الأخرى على ما ذكرناه، يدرك جيداً: أن حقائق القرآن المتجلية في «رسائل النور» هي التي تستطيع قطع دابر الإلحاد وعناد أهل الضلال المتمرد في زماننا هذا واستئصال شأفتها.

وكما قد تتجمع الشذرات التي تميظ اللثام عن وجه مُعَمَّيات حقائق خلق العالم وأهم دقائق أسرار الدين في مجموعة «أسرار قرآنية (الطلاسم)» فأملني بالله عظيم أن تتجمع كذلك تلك الأجزاء المتناثرة التي تُثبت -بالأدلة والبراهين- أن أهل الضلالة يعيشون في جهنم في هذه الدنيا وأن أهل الهداية يذوقون لذائد الجنة في هذه الدنيا أيضاً.. وأن الإيمان بذرة معنوية من بذور الجنة، والكفر نواة من نوى زقوم جهنم. وأمل أن تجتمع تلك الأجزاء من «رسائل النور» في مجموعة موجزة وتنشر بعون الله وتوفيقه.

سعيد النورسي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نقدم أولاً ما يقدمه كلُّ ذي روح بلسان حال حياته من هدايا معنوية إلى خالقه، وما يقدمه كلُّ منهم من الحمد والشكر بلسان حاله إلى ذلك الواجب الوجود الذي قال: ﴿لَا تَقْسُطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ (الزمر: ٥٣)، ونصلي ونسلم صلاةً وسلاماً لا تنتهي لهما على نبينا محمد المصطفى عليه الصلاة والسلام، الذي قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»^(١) أي: إنما بعثني الله إلى الناس لتتميم الخصال الحميدة وإنقاذ البشرية من الطباع الذميمة.

أما بعد!

فيا إخواني العرب الذين يستمعون إلى هذا الدرس في هذا الجامع الأموي؛ إنني ما صعدت هذا المنبر وإلى هذا المقام الذي هو فوق حدي لأرشدكم؛ فهذا أمرٌ فوق طوقي، إذ ربما فيكم ما يقارب المئة من العلماء الأفاضل، فمثلي معكم كمثلي صبي يذهب إلى المدرسة صباحاً ثم يعود في المساء ليعرض ما تعلّمه على أبيه، ابتغاء تصحيح أخطائه والتلطّف في تصويبه وإرشاده.

فشأننا معكم شأن الصبيان مع الكبار، فنحن تلامذة بالنسبة إليكم وأنتم أساتذة لنا ولسائر أمة الإسلام. وها أنذا أعرض بعض ما تعلمته على أساتذتي:

لقد تعلمت الدروس في مدرسة الحياة الاجتماعية البشرية، وعلمتُ في هذا الزمان والمكان أن هناك ستة أمراض جعلتنا نقف على أعتاب القرون الوسطى في الوقت الذي طار فيه الأجانب - وخاصة الأوروبيين - نحو المستقبل.

وتلك الأمراض هي:

أولاً: حياة اليأس الذي يجد فيها أسبابه وبعثه.

ثانياً: موت الصدق في حياتنا الاجتماعية والسياسية.

ثالثاً: حبّ العداوة.

(١) أحمد بن حنبل، المسند ٢/ ٣٨١؛ البيهقي، السنن الكبرى ١٠/ ١٩١؛ القضاي، الشهاب ٢/ ١٩٢.

رابعاً: الجهل بالروابط النورانية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض.

خامساً: سريان الاستبداد سريان الأمراض المعدية المتنوعة.

سادساً: حصر الهمة في المنفعة الشخصية.

ولمعالجة هذه الأمراض الستة الفتاكة، أبين ما اقتبسته من فيض صيدلية القرآن الحكيم -الذي هو بمثابة كلية الطب في حياتنا الاجتماعية- أبيتها بست كلمات، إذ لا أعرف أسلوباً للمعالجة سواها.

الكلمة الأولى: «الأمل»

أي: شدة الاعتماد على الرحمة الإلهية والثقة بها.

نعم، إنه بناءً على ما تعلمته من دروس الحياة، يسرني أن أزف إليكم البشرى يا معشر المسلمين، بأنه قد أزف بزوغ أمارات الفجر الصادق ودنا شروق شمس سعادة عالم الإسلام الدنيوية وبخاصة سعادة العثمانيين، ولا سيما سعادة العرب الذين يتوقف تقدم العالم الإسلامي ورقته على تيقظهم وانتباههم، فإنني أعلن بقوة وجزم، بحيث أسمع الدنيا كلها وأنف اليأس والقنوط راغم: (١).

أن المستقبل سيكون للإسلام، وللإسلام وحده، وأن الحكم لن يكون إلا لحقائق القرآن والإيمان. لذا فعلينا الرضا بالقدر الإلهي وبما قسمه الله لنا؛ إذ لنا مستقبل زاهر، وللأجانب ماضي مشوش مختلط.

فهذه دعواي، لي عليها براهين عدة، سأذكر واحداً ونصفاً فقط منها، بعد أن أمهد لها ببعض المقدمات.

أما المقدمات فهي:

أن حقائق الإسلام تمتاز باستعدادها استعداداً كاملاً لدفع أهلها إلى مراقي التقدم المادي والمعنوي معاً.

(١) لقد أخبر «سعيد القديم» بإحساس مسبق منذ خمسة وأربعين عاماً بأن العالم الإسلامي -وفي مقدمته الدول العربية- سينجو من سيطرة الأجانب وتحكمهم، وسيشكلون دولاً إسلامية سنة ١٣٧١. ولم يفكر آنذاك في الحربين العالميتين ولا في الاستبداد المطلق الذي دام ما يقارب أربعين عاماً، فبشر بها كان سنة ١٣٧١ وكأنه ١٣٢٧ دون أن يأخذ سبب التأخير بنظر الاعتبار. (المؤلف).

أما أنه مستعد للرقى المعنوي:

فاعلموا أن التاريخ الذي يسجل الوقائع الحقيقية، أصدق شاهد على حقيقة الأحداث؛ فما هو التاريخ يرينا أن القائد الياباني الذي هزم الروس يدلي بالشهادة الآتية في صدد عظمة الإسلام وحقانيته: «إنه بنسبة قوة الحقائق الإسلامية وبنسبة التزام المسلمين تلك الحقائق، يزدادون رقباً وتقدماً، هكذا يرينا التاريخ. ويرينا أيضاً أنه بقدر ضعف تمسكهم بتلك الحقائق يصابون بالتوحش والتخلف والاضمحلال والوقوع في ألوان من الهرج والمرج والاضطرابات، ويُغلبون على أمرهم». أما سائر الأديان الأخرى فالأمر فيها على عكس الإسلام، أي: بقدر ضعف تمسك أتباعها وضعف تعصبهم وصلابتهم في دينهم يزدادون رقباً وتقدماً، وعلى قدر تعصبهم وتمسكهم بدينهم يتعرّضون للانحطاط والاضطرابات.

هذا هو حكم التاريخ.. وهكذا مرَّ الزمانُ إلى الآن.

وما أرانا التاريخ قط منذ خير القرون والعصر السعيد إلى الآن أن مسلماً قد ترك دينه مرجحاً عليه - بالمحاكمة العقلية والدليل اليقيني - ديناً آخر، على حين أن كثيراً من أتباع الأديان الأخرى - حتى المتعصبين منهم، كالروس القدامى والإنكليز - قد رجّحوا بالمحاكمة والدليل العقلي دين الإسلام على أديانهم فدخلوا في الإسلام. ولا عبرة هنا بتقليد العوام الذي لا يستند إلى دليل، كما لا عبرة بالمروق عن الدين والخروج على حقائقه، فهذه مسألة أخرى. علماً أن التاريخ يفيدنا بأن عدد من يدينون بالإسلام - بالمحاكمة العقلية - جماعاتٍ وأفواجاً يزداد يوماً بعد يوم.^(١)

(١) والدليل على هذه الدعوى هو أنه مع قيام حربين عالميتين رهيبتين، وظهور استبداد مطلق قاسٍ نجد أنه بعد خمس وأربعين سنة:

١. قبول بعض الدول الصغيرة كالسويد والنرويج وفنلندا تدريس القرآن في مدارسها، ليكون سداً منيعاً أمام الشيوعية والإلحاد.

٢. قبول عدد من الخطباء الإنكليز المشهورين بإقناع الإنكليز وحملهم على قبول القرآن.

٣. موالاة أكبر دول المعمورة في الوقت الحاضر - وهي أمريكا - لحقائق الدين بكل قواها، واعترافها بأن آسيا وإفريقيا ستجدان السعادة والأمن والسلام في ظل الإسلام. فضلاً عن تعاطفها مع دول إسلامية حديثة الولادة ومحاولتها الاتفاق معها.. كل ذلك يُثبت صدق هذه الدعوى التي قيلت قبل خمس وأربعين سنة، وشاهد قوي عليها. (المؤلف).

ولو أننا أظهرنا بأفعالنا وسلوكنا مكارم أخلاق الإسلام وكمال حقائق الإيمان، لدخل أتباع الأديان الأخرى في الإسلام جماعاتٍ وأفواجاً، بل لربما رضخت دول العالم وقاراته للإسلام. إن البشرية التي أخذت تصحو وتتيقّظ بنتائج العلوم والفنون الحديثة أدركت كنه الإنسانية وماهيتها، وتيقّنت أنه لا يمكنها أن تعيش هملاً بغير دين، بل حتى أشد الناس إلحاداً وتنكراً للدين مضطر إلى أن يلجأ إلى الدين في آخر المطاف؛ لأن: «نقطة استناد» البشر عند مهاجمة المصائب والأعداء من الخارج والداخل، مع عجزه وقلة حيلته، وكذا «نقطة استمداده» لآماله غير المحدودة الممتدة إلى الأبد مع فقره وفاقته، ليس إلا «معرفة الصانع» والإيمان به والتصديق بالآخرة... فلا سبيل للبشرية المتيقّظة إلى الخلاص من غفوتها سوى الإقرار بكل ذلك.

وما لم يوجد في صدفة القلب جوهر الدين الحق، فسوف تقوم قيامات مادية ومعنوية على رأس البشر، وسيكون أشقى الحيوانات وأذلّها.

خلاصة الكلام: لقد تيقّظ الإنسان في عصرنا هذا، بفضل العلوم والفنون ونُدُر الحروب والأحداث المذهلة، وشعر بقيمة جوهر الإنسانية واستعدادها الجامع، وأدرك أن الإنسان باستعداداته الاجتماعية العجيب لم يُخلق لقضاء هذه الحياة المتقلّبة القصيرة، بل خُلِق للأبد والخلود، بدليل آماله الممتدة إلى الأبد، وأن كل إنسان بدأ يشعر -حسب استعداده- أن هذه الدنيا الفانية الضيقة لا تسع لتلك الآمال والرغبات غير المحدودة، حتى إذا قيل لقوّة الخيال التي تخدم الإنسانية: «لك أن تعمّر مليون سنة مع سلطنة الدنيا، نظير قبولك موتاً أدياً لا حياة بعده إطلاقاً»، فلا بد أن خيال ذلك الإنسان المتيقّظ الذي لم يفقد إنسانيته سيأوّه كمدّاً وحنناً -بدلاً من أن يفرح ويستبشر- لفقده السعادة الأبدية.

وهذا هو السر في ظهور ميل شديد إلى التحري عن الدين الحق في أعماق كل إنسان، فهو يبحث قبل كل شيء عن حقيقة الدين الحق لتنفذه من الموت الأبدي. ووضع العالم الحاضر خير شاهد على هذه الحقيقة.

لقد بدأت قارات العالم ودوله -بعد مرور خمسة وأربعين عاماً وبظهور الإلحاد- تدرك إدراك كل فردٍ هذه الحاجة البشرية الشديدة.

ثم إن أوائل أكثر الآيات القرآنية وخواتمها، تحيل الإنسان إلى العقل قائلة: راجع عقلك وفكرك أيها الإنسان وشاورهما، حتى يتبين لك صدق هذه الحقيقة؛ فانظروا مثلاً إلى قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمُوا﴾ .. ﴿فَاعْلَمُوا﴾ .. ﴿فَلَا يَعْقِلُونَ﴾ .. ﴿فَلَمْ يَنْظُرُوا﴾ .. ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ .. ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ .. ﴿فَاعْتَرُوا بِتَأْوِيلِ الْأَنْبَصَرِ﴾ .. وأمثالها من الآيات التي تخاطب العقل البشري، فهي تسأل: لِمَ تترك العلم وتختارون طريق الجهل؟ لِمَ تعصبون عيونكم وتتعمون عن رؤية الحق؟ ما الذي حملكم على الجنون وأنتم عقلاء؟ أي شيء منعكم من التفكير والتدبر في أحداث الحياة، فلا تعتبرون ولا تهتدون إلى الطريق المستقيم؟ لماذا لا تتأملون ولا تحكمون عقولكم لئلا تضلوا؟.

ثم تقول: أيها الناس انتبهوا واعتبروا! أنقذوا أنفسكم من بلايا معنوية تنزل بكم، باتعاظكم من القرون الخوالي.

يا إخواني الذين يضمهم هذا الجامع الأموي، ويا إخواني في جامع العالم الإسلامي! اعتبروا أنتم أيضاً! وقيموا الأمور في ضوء الأحداث الجسام التي مرت خلال السنوات الخمس والأربعين الماضية، كونوا راشرين، يا من يعدون أنفسهم من أولي الفكر والعلم.

نحصل مما سبق: نحن معاشر المسلمين خدام القرآن تتبع البرهان، ونقبل بعقلنا وفكرنا وقلبنا حقائق الإيمان، لسنا كمن ترك التقليد بالبرهان تقليداً للربان كما هو دأب أتباع سائر الأديان!

وعلى هذا فإن المستقبل الذي لا حكم فيه إلا للعقل والعلم، سوف يسوده حكم القرآن الذي تستند أحكامه إلى العقل والمنطق والبرهان.

وها قد أخذت الحجب التي كانت تكسف شمس الإسلام تنزاح وتنقشع، وأخذت تلك الموانع بالانكماش والانسحاب، ولقد بدأت تبشير ذلك الفجر منذ خمس وأربعين سنة، وها قد بزغ فجرها الصادق سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة وألف أو هو على وشك البزوغ، وحتى إن كان هذا الفجر فجراً كاذباً فيسطع الفجر الصادق بعد ثلاثين أو أربعين عاماً إن شاء الله.

نعم، فلقد حالت ثمانية موانع دون استيلاء حقائق الإسلام على الزمان الماضي استيلاءً تاماً وهي:

المانع الأول والثاني والثالث:

جهل الأجانب،

وتأخرهم عن عصرهم (أي بُعدهم عن الحضارة)،

وتعصبهم لدينهم...

فهذه الموانع الثلاثة بدأت تزول بفضل التقدم العلمي ومحاسن المدنية.

المانع الرابع والخامس:

تحكّم القسيسين وسيطرة الزعماء الروحانيين على أفكار الناس وأذهانهم،

وتقليد الأجانب لأولئك القسيسين تقليداً أعمى.

فهذان المانعان أيضاً يأخذان بالزوال بعد انتشار حرية الفكر وميل النوع البشري إلى

البحث عن الحقائق.

المانع السادس والسابع:

تفشي روح الاستبداد فينا،

وانتشار الأخلاق الذميمة النابعة من مخافة الشريعة ومخالفتها.

فإن زوال قوة استبداد الفرد الآن يشير إلى زوال استبداد الجماعة والمنظمات الرهيبة بعد

ثلاثين أو أربعين سنة. ثم إن فوران الحمية الإسلامية والوقوف على النتائج الوخيمة للأخلاق

الذميمة كفيلاً برفع هذين المانعين بل هما على وشك أن يُرفعا، وسيزولان زوالاً تاماً إن شاء الله.

المانع الثامن:

توهم وجود نوع من التناقض بين مسائل من العلم الحديث والمعنى الظاهري لحقائق

الإسلام؛ هذا التوهم سبّب إلى حدٍّ ما وَقْفَ استيلاء الحقائق الإسلامية في الماضي. فمثلاً: إن

«الثور والحوث» اللذين هما عبارة عن ملكين روحانيين مأمورين بالإشراف على الأرض بأمر الله تَحَيَّلَهَا البعض أنها حيوانان حقيقيان مجسَّمان، أي: ثور ضخمة وحوث جسيم، فوقف أهل العلوم الحديثة موقف المعارض للإسلام لعدم اطلاعهم على حقيقة التشبيه والمجاز.

وهناك مئات من الأمثلة كهذا، إذ بعد الاطلاع على الحقيقة لا يجد أعتى الفلاسفة مفراً من الاستسلام والانصياع. حتى إن رسالة «المعجزات القرآنية» قد أشارت إلى كل آية من الآيات التي تَعَرَّضَ لها أهل العلم الحديث، وأظْهَرَتْ أن في كل منها لمعة رائعة من لمعات إعجاز القرآن، وَبَيَّنَتْ ما ظَنَّهُ أهل العلم مدارَ نقدٍ في جُمْل القرآن وكلماته: أن في كل منها من الحقائق السامية الرفيعة ما لا تطاوله يد العلم، وألجأ الفلاسفة العنيدون إلى الاستسلام والرضوخ. وهذه الرسائل في تناول الجميع، وفي إمكان كل واحد الاطلاع عليها بسهولة، وعليه أن يطلع عليها، ليرى كيف انهار هذا المانع فعلاً، بعدما قيل منذ خمس وأربعين سنة.

نعم، إن هناك مؤلفات قيمة لعلماء الإسلام في هذا المجال، وكلُّ الأمارات تدل على أن هذا المانع الثامن سيضمحل تماماً.

وإذا لم يحدث ذلك الآن، فإنه بعد ثلاثين أو أربعين عاماً سوف يتجهَّز العلم، والمعرفة الحقيقية، ومحاسن المدنية، بوسائل وأعتدة كاملة فتغلب -هذه القوى الثلاث- على الموانع الثمانية المذكورة وتقضي عليها، وذلك ببعثها روح التحري عن الحقائق، والإنصاف والمحبة الإنسانية، وإرسالها إلى جبهاتٍ محاربةٍ تلك الأعداء الثمانية.

وقد بدأت تهزمها فعلاً، وسوف تقضي عليها قضاءً تاماً بعد نصف قرن إن شاء الله.

نعم، «الفضل ما شهدت به الأعداء».

وإليكم مثالين فقط من بين مئات الأمثلة:

المثال الأول: أن مستر كارلايل (*) أحد مشاهير فلاسفة القرن التاسع عشر وأشهر فيلسوف من القارة الأمريكية يلفت أنظار الفلاسفة وعلماء النصرانية بقوله:

«لقد جاء الإسلام على تلك الملل الكاذبة والنحل الباطلة فابتلعها، وحق له أن يبتلعها، لأنه حقيقة خارجة من قلب الطبيعة، وما كاد يظهر الإسلام حتى احترقت فيه وثنيات العرب

وجدليات النصرانية وكل ما لم يكن بحق فإنها حطب ميت أكلته نارُ الإسلام فذهب، والنار لم تذهب»^(١).

ويزيد مستر كارلايل فيقول بحق الرسول ﷺ:

«هو الرجل العظيم الذي علّمه الله العلم والحكمة، فوجب علينا أن نصغي إليه قبل كل شيء»^(٢).

ويقول أيضاً:

«إن كنت في ريب من حقائق الإسلام فالأولى بك أن ترتاب في البديهيات والضروريات القطعية، لأن الإسلام من أبدّه الحقائق وأشدّها ضرورة».

وهكذا فقد سجّل هذا الفيلسوف الشهير هذه الحقائق حول الإسلام في أماكن متفرقة من مؤلفه.

المثال الثاني: هو الأمير بسمارك^(*) الذي يُعتبر من أشهر رجال الفكر في تاريخ أوروبا الحديث. يقول هذا الفيلسوف:

«لقد درستُ الكتب السماوية بإمعان، فلم أجد فيها الحكمة الحقيقية التي تكفل سعادة البشرية، وذلك للتحريف الذي حصل فيها. ولكنني وجدت قرآن محمد ﷺ يعلو على سائر الكتب. وقد وجدت في كل كلمة منه حكمة. وليس هناك كتاب يحقق سعادة البشرية مثله. ولا يمكن أن يكون كتابٌ كهذا من كلام البشر. فالذين يدّعون أن هذه الأقوال أقوال محمد ﷺ يكابرون الحق وينكرون الضرورات العلمية، أي أن كون القرآن كلام الله أمرٌ بديهي».

وهكذا تنتج حقول الذكاء في أمريكا وأوروبا محاصيل رائعة من أمثال مستر كارلايل وبسمارك من جهابذة المحققين.

وفي ضوء هذه الحقيقة أقول وبكل اطمئنان واقتناع:

إن أوروبا وأمريكا حبالى بالإسلام، وستلدان يوماً ما دولة إسلامية، كما حبلت الدولة العثمانية بأوروبا وولدت دولة أوروبية.

(١) من ترجمة الأستاذ محمد السباعي لكتاب «الأبطال».

(٢) من ترجمة الأستاذ محمد السباعي لكتاب «الأبطال».

أيها الإخوة في الجامع الأموي، ويا إخواني في الجامع الإسلامي بعد نصف قرن! أفلا تنتج المقدمات التي أسلفنا ذكرها حتى الآن: أن الإسلام وحده سيكون حاكماً على قارات المستقبل حكماً حقيقياً ومعنوياً، وأن الذي سيقود البشرية إلى السعادتين الدنيوية والأخروية ليس إلا الإسلام والنصرانية الحقّة المنقلبة إلى الإسلام والمتفقة معه والتابعة للقرآن بعد تحررها من التحريفات والخرافات!

الجهة الثانية: أن الإسلام مستعد للراقي المادي:

إن الأسباب القوية التي تدفع الإسلام إلى الرقي تبين أن الإسلام سيسود المستقبل مادياً أيضاً.

فكما أثبتنا في الجهة الأولى استعداد الإسلام معنوياً للراقي؛ تُظهر هذه الجهة إظهاراً واضحاً استعداد الإسلام للراقي المادي وسيادته في المستقبل. لأنه في قلب الشخصية المعنوية للعالم الإسلامي خمسُ قوى لا تُقهر، وهي في منتهى الرسوخ والمتانة:^(١)

القوة الأولى:

«الحقيقة الإسلامية» التي هي أستاذ جميع الكمالات والمُثل، الجاعلة من ثلاثمائة وخمسين مليوناً مسلمٍ كنفسٍ واحدة، والمجهزة بالمدنية الحقيقية والعلوم الصحيحة، ولها من القوة ما لا يمكن أن تهزمها قوة مهما كانت.

القوة الثانية:

«الحاجة الملحة» التي هي الأستاذ الحقيقي للمدنية والصناعات والمجهزة بالوسائل

(١) نعم، نفهم من أستاذية القرآن وإشارات درسه: أن القرآن يذكره معجزات الأنبياء، إنها بدل البشرية على أن نظائر تلك المعجزات سوف تتحقق في المستقبل بالترقي، ويحث الإنسان على ذلك وكأنه يقول له: هيا عمل واسع لتنجز أمثال هذه المعجزات؛ فاقطع مثلاً مسافة شهرين في يوم واحد كما قطعها سليمان عليه السلام.. واعمل على مداواة أشد الأمراض المستعصية كما داواها عيسى عليه السلام.. واستخرج الماء الباعث على الحياة من الصخر وأنقذ البشرية من العطش كما فعله موسى عليه السلام بعضاه.. وابحث عن المواد التي تقيك شر الحرق بالنار، وألبسها كما لبسها إبراهيم عليه السلام.. والتقط أبعد الأصوات واسمعها وشاهد الصور من أقصى المشرق والمغرب كما فعل ذلك بعض الأنبياء.. وألن الحديد كالعجين كما فعله داود عليه السلام، واجعل الحديد كالشمع في يدك ليكون مداراً لجميع الصناعات البشرية.. كما تستفيدون فوائد جمة من الساعة والسفينة اللتين هما من معجزات سيدنا يوسف وسيدنا نوح عليهما السلام.. فاعملوا على محاكاتها وتقليدهما. وهكذا قياساً على هذا نجد أن القرآن الكريم يسوق البشرية إلى الرقي المادي والمعنوي، ويلقي علينا الدروس ويثبت أنه أستاذ الجميع. (المؤلف).

والمبادئ الكاملة.. وكذا «الفقر» الذي قصم ظهرنا. فالحاجة والفقر قوتان لا تسكتان ولا تُقهران.

القوة الثالثة:

«الحرية الشرعية» التي ترشد البشرية إلى سبل التسابق والمنافسة الحقّة نحو المعالي والمقاصد السامية، والتي تمزق أنواع الاستبداد وتشتتها، والتي تهيج المشاعر الرفيعة لدى الإنسان، تلك المشاعر المجهّزة بأنماط من الأحاسيس كالمنافسة والغبطة والتيقظ التام والميل إلى التجدد والنزوع إلى التحضر. فهذه القوة الثالثة: (الحرية الشرعية) تعني التحلي بأسمى ما يليق بالإنسانية من درجات الكمال والتشوق والتطلع إليها.

القوة الرابعة:

«الشهامة الإيمانية» المجهّزة بالشفقة والرأفة. أي: أن لا يرضى الذلّ لنفسه أمام الظالمين، ولا يُلحقه بالظالمين. وبعبارة أخرى عدم مدهانة المستبدين وعدم التحكم بالمساكين أو التكبر عليهم، وهذا أساس مهم من أسس الحرية الشرعية.

القوة الخامسة:

«العزة الإسلامية» التي تعلن إعلاء كلمة الله. وفي زماننا هذا يتوقف إعلاء كلمة الله على التقدم المادي والدخول في مضمار المدنية الحقيقية. ولا ريب أن شخصية العالم الإسلامي المعنوية سوف تدرك وتحقق في المستقبل تحقيقاً تاماً ما يتطلبه الإيمان من الحفاظ على عزة الإسلام..

وكما أن رقي الإسلام وتقدمه في الماضي كان بالقضاء على تعصب العدو وتمزيق عناده ودفع اعتداءاته - وقد تم ذلك بقوة السلاح والسيف -؛ فسوف تُغلب الأعداء ويُشَتَّت شملهم بالسيوف المعنوية - بدلاً من المادية - للمدنية الحقيقية والرقي المادي والحق والحقيقة. اعلموا أيها الإخوان!

إن قصدنا من المدنية هو محاسنها وجوانبها النافعة للبشرية، وليس ذنوبها وسيئاتها، كما ظن الحمقى من الناس أن تلك السيئات محاسن فقلّدها وخرّبوا الديار، فقدموا الدين رشوة للحصول على الدنيا فما حصلوا عليها ولا حصلوا على شيء.

إنه بطغيان ذنوب المدنية على محاسنها، ورجحان كفة سيئاتها على حسناتها، تلقت البشرية صفتين قويتين بحريين عالميتين، فأتتا على تلك المدنية الآثمة، وقاءت دماءً لطخت وجه الأرض برمتها. وسوف تتغلب بإذن الله محاسنُ المدنية بفضل قوة الإسلام التي ستسود في المستقبل، وتطهر وجه الأرض من الأذناس وتُحقّق أيضاً سلاماً عاماً للبشرية قاطبة.

نعم، لما كانت مدنية أوروبا لم تتأسس على الفضيلة والهدى بل على الهوس والهوى، وعلى الحسد والتحكم، تغلبت سيئات هذه المدنية على حسناتها إلى الآن، وأصبحت كشجرة منخورة بديدان المنظمات الثورية الإرهابية. وهذا دليل قوي ومؤشر على قرب انهيارها وسبب مهم لحاجة العالم إلى مدنية آسيا «الإسلامية» التي ستكون لها الغلبة عن قريب.

فإذا كان أمام أهل الإيمان والإسلام أمثال هذه الأسباب القوية والوسائل القويمة للرقى المادي والمعنوي، وطريق سويٍّ مهد كسكة الحديد للوصول إلى السعادة في المستقبل، فكيف تيأسون، وتبطلون روح العالم الإسلامي المعنوية وتظنون ظن السوء وفي يأس وقنوط، أن الدنيا دار ترقٍ وتقدم للأجانب وللجميع بينما أصبحت دار تدنٍ وتأخر للمسلمين المساكين وحدهم. إنكم بهذا ترتكبون خطأ شنيعاً؛ إذ ما دام الميل نحو الكمال قانوناً فطرياً في الكون وقد أدرج في فطرة البشرية، فإن الحق والحقيقة سيُظهران في المستقبل على يد العالم الإسلامي إن شاء الله سعادةً دنيوية أيضاً كفارة لما اقترفته البشرية من آثام، ما لم تقم قيامة مفاجئة بها ارتكبت من مفسد ومظالم.

فانظروا إلى الزمن، إنه لا يسير على خط مستقيم حتى يتباعد المبدأ والمنتهى، بل يدور ضمن دائرة كدوران كرتنا الأرضية؛ فتارة يرينا الصيف والربيع في حال الترقى، وتارة يرينا الشتاء والخريف في حال التدني. وكما أن الشتاء يعقبه الربيع، والليل يخلفه النهار، فسيكون للبشرية ربيع ونهار إن شاء الله، ولكم أن تنتظروا من الرحمة الإلهية شروق شمس حقيقة الإسلام، فتروا المدنية الحقيقية في ظل سلام عام شامل.

لقد قلنا في بداية هذا الدرس أننا سنقيم برهاناً ونصف برهان على دعوانا. وقد انتهى الآن البرهان مجملًا.

وجاء دور نصف البرهان وهو الآتي:

لقد ثبت بالبحث والتحري الدقيق والاستقراء والتجارب العديدة للعلوم أن الخير والحسن والجمال والإتقان والكمال هو السائد المطلق في نظام الكون وهو المقصود لذاته، أي هو المقاصد الحقيقية للصانع الجليل. بدليل أن كل علم من العلوم المتعلقة بالكون يُطْلَعنا بقواعده الكلية على أن في كل نوع وفي كل طائفة انتظاماً وإبداعاً بحيث لا يمكن للعقل أن يتصور أبدع وأكمل منه.

فمثلاً: علم التشريح الذي يخص الطب، وعلم المنظومة الشمسية الذي يخص الفلك وبقية العلوم التي تخص النباتات والحيوانات، كلُّ منها تفيدها بقواعدها الكلية وبحوثها المتعددة النظام المتقن للصانع الجليل في ذلك النوع، وقدرته المبدعة وحكمته التامة فتبين جميعها حقيقة الآية الكريمة: ﴿أَحْسَنَ كُلِّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ (السجدة: ٧).

كما أن الاستقراء التام والتجارب الشاملة تثبت أن الشر والقبح والباطل والسيئات كلها جزئية وتبعية وثنائية في خِلْقَةِ الكون.

فالقبح مثلاً في الكون والمخلوقات ليس هدفاً لذاته وإنما هو وحدة قياسية، لتقلب حقيقة واحدة للجمال إلى حقائق كثيرة. والشر كذلك، بل حتى الشيطان نفسه إنما خُلِقَ وسُلِّطَ على البشرية ليكون وسيلةً لترقيات البشر غير المحدودة نحو الكمال التي لا تُنال إلا بالتسابق والمجاهدة.

وأمثال هذه الشرور والقبايح الجزئية خُلِقت في الكون لتكون وسيلة لإظهار أنواع الخير والجمال الكليين. وهكذا يثبت بالاستقراء التام أن المقصد الحقيقي في الكون والغاية الأساسية في الخلق إنما هو الخير والحسن والكمال، لذا فالإنسان الذي لَوَّثَ وجه الأرض بكفره الظالم وعصيانه الله لا يمكن أن يفلت من العقاب، ويذهب إلى العدم من دون أن يحق عليه المقصود الحقيقي في الكون، بل سيدخل سجن جهنم!

كما ثبت بالاستقراء التام وتحريات العلوم وأبحاثها أن الإنسان هو أكرم المخلوقات وأشرفها، لأنه يستطيع أن يكشف بعقله عن مراتب الأسباب الظاهرية في خلق الكائنات ونتائجها، ويعرف العلاقات بين العلل والأسباب المتسلسلة، ويستطيع أن يقلد بمهارته الجزئية الصنائع الإلهية والإيجاد الرباني المنتظم الحكيم، ويستطيع أن يدرك بعلمه الجزئي

وبمهارته الجزئية إتقان الأفعال الإلهية، وذلك بجعل ما لديه من جزء اختياري ميزاناً جزئياً ومقياساً مصغراً لدرك تلك الأفعال الإلهية الكلية والصفات الجليلة المطلقة.

كل ذلك يُثبت أن الإنسان أشرف مخلوق وأكرمّه.

وثبت أيضاً بشهادة الحقائق التي قدّمها الإسلام للبشرية والتي تخص البشر والكائنات أن المسلمين هم أفضل البشر وأشرفهم وهم أهل الحق والحقيقة، كما ثبت بشهادة التاريخ والوقائع والاستقراء التام؛ أن أشرف أهل الحق المشرفين من بين البشر المكرمين وأفضلهم هو محمد ﷺ الذي يشهد له ألف من معجزاته وسمو أخلاقه ومكارمه وحقائق الإسلام والقرآن.

ولما كان نصف البرهان هذا قد بين هذه الحقائق الثلاث أفيمكن أن يُقدح نوع البشر بشقائوته شهادة هذه العلوم جميعها، وينقض هذا الاستقراء التام، ويتمرد في وجه المشيئة الإلهية والحكمة الأزلية؛ فيستمر في قساوته الظالمة وكفره المتمرد ودماره الرهيب؟ أفيمكن أن تستمر هذه الحالة في عدااء الإسلام هكذا؟

إنني أقسم بما آتاني الله من قوة بل لو كان لي ما لا يعد ولا يحصى من الألسنة لأقسمت بها جميعاً، بالذي خلق العالم بهذا النظام الأكمل، وخلق الكون في منتهى الحكمة والانتظام من الذرات إلى السيارات السابحات في أجواز الفضاء، ومن جناح البعوضة إلى قناديل النجوم المتألئة في السموات، ذلكم الحكيم ذو الجلال والصانع ذو الجمال، أقسم به سبحانه بالسنة لا تحد أنه لا يمكن أن يخرج البشر على سنة الله الجارية في الكون ويخالف بقية إخوانه من طوائف المخلوقات بشروره الكلية ويقضي بغلبة الشر على الخير فيهضم تلك المظالم الزقومية على مدى ألوف السنين! فهذا لا يمكن قطعاً!

نعم، إنه لا يمكن ذلك إلا بافتراض محالٍ هو أن الإنسان ليس خليفة الله في الأرض، الحامل للأمانة الكبرى والأخ الأكبر الأكرم لسائر أنواع المخلوقات، إنما هو أدنى مخلوق وأردؤه وأرذله وأضرّه وأحقره، دخل الكون متلصصاً ليفسده! فهذا الفرض المحال باطل من أساسه لا يمكن قبوله بأية جهة كانت.

فلأجل هذه الحقيقة يمكن أن نستنتج من نصف برهاننا هذا:

أنه كما أن وجود الجنة والنار ضروري في الآخرة فإن الغلبة المطلقة ستكون للخير وللدين الحق في المستقبل، حتى يكون الخير والفضيلة غالبين في البشرية كما هو الأمر في سائر الأنواع الأخرى، وحتى يتساوى الإنسان مع سائر إخوانه من الكائنات، وحتى يحق أن يقال: إنه قد تحقق وتقرر سرّ الحكمة الأزلية في النوع البشري أيضاً.

وحاصل الكلام: ما دام البشر - طبقاً للحقائق المذكورة القاطعة - أفضل نتيجة منتخبة من الكائنات، وأنه أكرم مخلوق لدى الخالق الكريم، وأن الحياة الباقية تقتضي وجود الجنة وجهنم بالبداهة، فتستلزم المظالم التي ارتكبتها البشرية حتى الآن وجود جهنم، كما تستلزم ما في استعداداته الكمالية المغروزة في فطرته، وحقائقه الإيمانية التي تهم الكائنات بأسرها وجود الجنة بالبداهة. فلا بد، ولا محالة أن البشر لن يهضموا ولن يغفروا الجرائم التي ارتكبت خلال الحربين العظيمتين والتي جرّت الويلات والمصائب على العالم بأجمعه واستقاءت زقوم شرورها التي استعصت على الهضم فلطّخت وجه الأرض، وتركت البشرية تعاني البؤس والشقاء وهدمت صرح المدنية الذي بنته البشرية طوال ألف عام. فما لم تقم قيامة مفاجئة على البشرية فإننا نرجو من رحمة الرحمن الرحيم، أن تكون الحقائق القرآنية وسيلة لإنقاذ البشرية من السقوط إلى أسفل سافلين، وتظهر وجه الأرض من الأدناس والأدران، وتقيم سلاماً عاماً شاملاً.

الكلمة الثانية: «اليأس داء قاتل»

إن مما أملت عليّ تجاربي في الحياة وتمخض فكري عنه هو: أن اليأس داء قاتل، وقد دبّ في صميم قلب العالم الإسلامي. فهذا اليأس هو الذي أوقعنا صرعى - كالأموات - حتى تمكّنت دولة غربية لا يبلغ تعدادها مليوني نسمة من التحكم في دولة شرقية مسلمة ذات العشرين مليون نسمة فتستعمرها وتسخرها في خدمتها.. وهذا اليأس هو الذي قتل فينا الخصال الحميدة وصرف أنظارنا عن النفع العام وحصرها في المنافع الشخصية.. وهذا اليأس هو الذي أमत فينا الروح المعنوية التي بها استطاع المسلمون أن يسيطروا سلطانهم على مشارق الأرض ومغاربها بقوة ضئيلة، ولكن ما إن ماتت تلك القوة المعنوية الخارقة باليأس حتى تمكّن الأجانب الظلمة - منذ أربعة قرون - أن يتحكموا في ثلاثمائة مليون مسلم ويكبّلوهم بالأغلال.

بل قد أصبح الواحد بسبب هذا اليأس يتخذ من فتور الآخرين وعدم مبالاتهم ذريعة للتملص من المسؤولية، ويخلد إلى الكسل قائلاً: «مالي وللناس، فكل الناس خائرون مثلي»، فيتخلى عن الشهامة الإيمانية ويترك العمل الجاد للإسلام.

فما دام هذا الداء قد فتك فينا إلى هذا الحد، ويقتلنا على مرأى منا، فنحن عازمون على أن نقصّ من قاتلنا، فنضرب رأس ذلك اليأس بسيف الآية الكريمة: ﴿لَا تَقْطُوعُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ (الزمر: ٥٣). ونقصم ظهره بحقيقة الحديث الشريف: «ما لا يدرك كله لا يترك جله»^(١). إن اليأس داء عضال للأمم والشعوب، أشبه ما يكون بالسرطان... وهو المانع عن بلوغ الكمالات، والمخالف لروح الحديث القدسي الشريف: «أنا عند ظن عبدي بي»^(٢).. وهو شأن الجبناء والسفلة والعاجزين وذريعتهم، وليس هو من شأن الشهامة الإسلامية قط.. وليس هو من شأن العرب الممتازين بسجاياء حميدة هي مفخرة البشرية. فلقد تعلّم العالم الإسلامي من ثبات العرب وصمودهم الدروس والعبر. وأملنا بالله عظيم أن يتخلى العرب عن اليأس ويمدّوا يد العون والوفاق الصادق إلى الترك الذين هم جيش الإسلام الباسل فيرفعوا معاً راية القرآن عالية خفاقة في أرجاء العالم، إن شاء الله.

الكلمة الثالثة: «الصدق أساس الإسلام»

لقد علمتني زبدة تتبعاتي وتحقيقاتي في الحياة بتمخض الحياة الاجتماعية أن «الصدق» هو أس أساس الإسلام، وواسطة العقد في سجاياء الرفيعة ومزاج مشاعره العلوية. فعلى أن نحبي الصدق الذي هو حجر الزاوية في حياتنا الاجتماعية في نفوسنا ونداوي به أراضنا المعنوية.

أجل، إن الصدق هو عقدة الحياة في حياة الإسلام الاجتماعية. أما الرياء فهو نوع من الكذب الفعلي، وأما المداينة والتصنع فهو كذب دنيء مردول. وأما النفاق فهو كذب ضار جداً. والكذب نفسه إنما هو افتراء على قدرة الصانع الجليل.

(١) «ما لا يدرك كله لا يترك جله» هو معنى الآية ﴿فَأَقْصُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (التغابن: ١٦) والحديث «اتق الله ما استطعت» ولفظ الترجمة قاعدة وليس بحديث (كشف الخفاء للعجلوني ١٩٦/٢).
(٢) البخاري، التوحيد ١٥، ٣٥؛ مسلم، الذكر ٢، ١٩، التوبة ١؛ الترمذي، الزهد ٥١، الدعوات ١٣١؛ ابن ماجه، الأدب ٥٨.

إن الكفر بجميع أنواعه كذب. والإيمان إنما هو صدق وحقيقة. وعلى هذا فالبون شاسع بين الصدق والكذب بُعداً ما بين المشرق والمغرب. ولا ينبغي أن يختلط الصدق والكذب اختلاطاً النور والنار، ولكن السياسة الغادرة والدعاية الظالمة قد خلطتا أحدهما بالآخر. فاختلطت كمالات البشرية ومثلها بسفسافها ونقائصها.^(١)

إن الصدق والكذب بعيدٌ أحدهما عن الآخر بُعد الكفر عن الإيمان؛ فإن عروج محمد ﷺ في خير القرون إلى أعلى عليين بوساطة الصدق وما فتحه من كنوز حقائق الإيمان وأسرار الكون.. جعل الصدق أروج بضاعة وأثمن متاع في سوق الحياة الاجتماعية؛ بينما تردى مسيلمة الكذاب وأمثاله إلى أسفل سافلين بالكذب؛ إذ لما حدث ذلك الانقلاب العظيم في المجتمع تبين أن الكذب هو مفتاح الكفر والخرافات، وأفسد بضاعة وأقذرهما. فالبضاعة التي تثير التقزز والاشمئزاز لدى جميع الناس إلى هذا الحد لا يمكن أن تمتد

(١) إخواني! يفهم من هذا الدرس الذي ألقاه «سعيد القديم» قبل خمس وأربعين سنة: أن سعيداً ذاك كان وثيق الصلة بالسياسة ويشؤون الإسلام الاجتماعية. ولكن حذار أن يذهب بكم الظن إلى أنه قد نهج اتخاذ الدين أداة للسياسة ووسيلة لها. كلا! بل كان يعمل بكل ما لديه من قوة على جعل السياسة أداة للدين، وكان يقول: «إني أفضل حقيقة واحدة من حقائق الدين على ألف قضية سياسية من سياسات الدنيا».

نعم، لقد أحس آنذاك - قبل ما يقارب الخمسين عاماً - أن بعض الزنادقة المنافقين يحاولون جعل الدين آلة للسياسة، فعمل هو أيضاً - بكل قوة - في مواجهة نواياهم ومحاولاتهم الفكرية تلك على جعل السياسة وسيلة من وسائل تحقيق حقائق الإسلام وخادمة لها.

بيد أنه رأى بعد ذلك بعشرين سنة أن بعض الساسة المتدينين يبذلون الجهد لجعل الدين أداة للسياسة الإسلامية، تجاه جعل أولئك الزنادقة المنافقين المتسترين الذين يميلون الدين آلة للسياسة بحجة التغرب. ألا إن شمس الإسلام لن تكون تابعة لأضواء الأرض ولا أداة لها. وإن محاولة جعلها آلة لها تعني الخط من كرامة الإسلام، وهي جناية كبرى بحقه، حتى إن «سعيداً القديم» قد رأى من ذلك النمط من التحيز إلى السياسة أن عالماً صالحاً قد أثنى بحرارة على منافق يحمل فكراً يوافق فكره السياسي، وانتقد عالماً صالحاً آخر يحمل أفكاراً تخالف أفكاره السياسية حتى وصّمه بالفسق، فقال له «سعيد القديم»: لو أن شيطاناً أيد فكرك السياسي لأمرت عليه الرحات، أما إذا خالف أحدٌ فكرك السياسي لكفّته حتى لو كان ملكاً!.. لأجل هذا قال «سعيد القديم» منذ خمس وثلاثين سنة: «أعوذ بالله من الشيطان والسياسة» وترك السياسة. (المؤلف).

ولما كان سعيد الجديد قد ترك السياسة كلياً ولا ينظر إليها قطعاً، فقد تُرجمت هذه الخطبة الشامية لسعيد القديم التي تمس السياسة.

ثم إنه لم يثبت أنه استغل الدين كأداة للسياسة طوال حياته التي استغرقت أكثر من ربع قرن، وفي مؤلفاته ورسائله التي تربو على مئة وثلاثين رسالة والتي دُفقت بإمعان من قبل خبراء مثاب المحاكم بل حتى في أحلك الظروف التي تلجته إلى السياسة لشدة مضايقات الظلمة المرتدين والمنافقين، بل حتى عندما أصدر أمر إعدامه سراً، لم يجد أحدٌ منهم أية أمانة كانت عليه حول استغلاله الدين لأجل السياسة.

فنحن طلاب النور نرقب حياته عن كثب ونعرفها بدقائقها لا نملك أنفسنا من الخيرة والإعجاب إزاء هذه الحالة، ونعدها دليلاً على الإخلاص الحقيقي ضمن دائرة رسائل النور. (طلاب النور).

إليها يد أولئك الذين كانوا في الصف الأول من ذلك الانقلاب العظيم، أولئك الصحابة الكرام الذين فُطروا على تناول أجود المتاع وأثمنه وأفخره، وحاشاهم أن يلوثوا أيديهم المباركة بالكذب ويمدوها عمداً إلى الكذب ويتشبهوا بمسيلمه الكذاب، بل كانوا بميولهم الفطرية السليمة وبكل ما أوتوا من قوة في طليعة المبتاعين للصدق الذي هو أروج مال وأقوم متاع بل هو مفتاح جميع الحقائق ومراقبة عروج محمد ﷺ إلى أعلى عليين. ولأن الصحابة الكرام قد لازموا الصدق ولم يحيدوا عنه ما أمكنهم ذلك فقد تقرر لدى علماء الحديث والفقه «أن الصحابة عدول، رواياتهم لا تحتاج إلى تزكية، كل ما رواه من الأحاديث عن النبي ﷺ صحيح». فهذه الحقيقة المذكورة حجة قاطعة على اتفاق هؤلاء العلماء.

وهكذا فإن الانقلاب العظيم الذي حدث في خير القرون أدى إلى أن يكون البون شاسعاً بين الصدق والكذب كما هو بين الكفر والإيمان. إلا أنه بمرور الزمن قد تقاربت المسافة بين الصدق والكذب، بل أعطت الدعايات السياسية أحياناً رواجاً أكثر للكذب، فبرز الكذب والفساد في الميدان وأصبح لهما المجال إلى حد ما.

وبناءً على هذه الحقيقة فإن أحداً من الناس لا يمكن أن يبلغ مرتبة الصحابة الكرام.

نكتفي هنا بهذا القدر ونحيل القارئ الكريم إلى رسالة الصحابة التي هي ذيل الكلمة السابعة والعشرين رسالة «الاجتهاد».

أيها الإخوة في هذا الجامع الأموي ويا إخوتي الأربعمائة مليون من المؤمنين بعد أربعين عاماً في جامع الإسلام الكبير.

لا نجاه إلا بالصدق، فالصدق هو العروة الوثقى، أما الكذب للمصلحة فقد نَسَخَهُ الزمان، ولقد أفتى به بعض العلماء -مؤقتاً- للضرورة والمصلحة، إلا أن في هذا الزمان لا يُعمل بتلك الفتوى؛ إذ أسيء استعماله إلى حد لم يعد فيه نفعٌ واحد إلا بين مئة من المفاسد. ولهذا لا تُبنى الأحكام على المصلحة.

مثال ذلك: إن سبب قصر الصلاة في السفر هو المشقة، ولكن لا تكون المشقة علة القصر. إذ ليس لها حدّ معين، فقد يُساء استعمالها، لذا لا تكون العلة إلا السفر. فكذلك

المصلحة لا يمكن أن تكون علة للكذب لأنه ليس للكذب حدّ معين، وهو مستنقع ملائم لسوء الاستعمال، فلا يناط به الحكم. وعلى هذا فالطريق اثنان لا ثالث له: «إما الصدق وإما السكوت» وليس -قطعاً- الصدق أو الكذب أو السكوت.

ثم إن انعدام الأمن والاستقرار في الوقت الحاضر بالكذب الرهيب الذي تقتربه البشرية وتزييفها وافتراءاتها، ما هو إلّا نتيجة كذبها وسوء استعمالها للمصلحة، فلا مناص للبشرية إلّا سدّ ذلك الطريق الثالث، وإلّا فإن ما حدث خلال نصف هذا القرن من حروب عالمية وانقلابات رهيبة ودمار فظيع قد يؤدي إلى أن تقوم قيامة على البشرية.

أجل، عليك أن تصدق في كل ما تتكلمه ولكن ليس صواباً أن تقول كل صدق، فإذا ما أدّى الصدق أحياناً إلى ضرر فينبغي السكوت. أما الكذب فلا يسمح له قطعاً. عليك أن تقول الحق في كل ما تقول ولكن لا يحق لك أن تقول كل حق، لأنه إن لم يكن الحق خالصاً فقد يؤثر تأثيراً سيئاً، فتضع الحق في غير محله.

الكلمة الرابعة: «المحبة»

إن مما تعلمته من الحياة الاجتماعية البشرية طوال حياتي، وما أملتّه عليّ التبعات والتحقيقات هو:

أن أجدر شيء بالمحبة هو المحبة نفسها. وأجدر صفة بالخصومة هي الخصومة نفسها. أي إن صفة المحبة التي هي ضمان الحياة الاجتماعية البشرية والتي تدفع إلى تحقق السعادة هي ألبق للمحبة، وأن صفة العدواة والبغضاء التي هي عامل تدمير الحياة الاجتماعية وهدمها هي أقبح صفة وأضرها وأجدر أن تُتجنب وتُنْفَر منها. ولما كنا قد أوضحنا هذه الحقيقة في المکتوب الثاني والعشرين (رسالة الأخوة) نشير إليها هنا إشارة مقتضبة:

لقد انتهى عهد العدواة والخصام. ولقد أظهرت الحربان العالميتان مدى ما في روح العدواة من ظلم فظيع ودمار مريع. وتبين أن لا فائدة منها البتة. وعليه فلا ينبغي أن تعجل سيئات أعدائنا - بشرط عدم التجاوز - عداوتنا، فحسبهم العذاب الإلهي ونار جهنّم.

إن غرور الإنسان وجهه لنفسه قد يقودانه أحياناً إلى عداء إخوانه المؤمنين ظلماً ومن دون شعور منه فيظن المرء نفسه محقاً. مع أن مثل هذه العداوة تُعدّ استخفافاً بالشواجح والأسباب التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض - كالإيمان والإسلام والإنسانية - وخطأ من شأنها. وهي أشبه ما يكون بحماقة من يرجح أسباباً تافهة للعداوة كالحصيات على أسباب بجسامة الجبال الراسيات للودّ والمحبة.

فما دامت المحبة مضادة للعداوة ومنافية لها فلا تجتمعان قطعاً كما لا تجتمع الظلمة والنور. فالذي تغلب أسبابه على الآخر هو الذي يجد موضعه في القلب بحقيقته، أما ضده فلا يكون بحقيقته.

فمثلاً: إذا وُجدت المحبة بحقيقتها في القلب فإن العداوة تنقلب حينئذ إلى الرأفة والشفقة، فهذا هو الوضع تجاه أهل الإيمان. أما إذا وجدت العداوة بحقيقتها في القلب، فإن المحبة تنقلب عندها إلى المداراة والمهاشة والصدقة الظاهرية. فهذا إنما يكون مع أرباب الضلال غير المتجاوزين.

أجل، إن أسباب المحبة هي الإيمان والإسلام والإنسانية وأمثالها من السلاسل النورانية المتينة والحصون المعنوية المنيعه؛ أما أسباب العداوة والبغضاء تجاه المؤمن فإنها هي أمور خاصة تافهة تفاهة الحصيات. لذا فإن إضمار العداوة لمسلم إضماراً حقيقياً، إنما هو خطأ جسيم لأنه استخفاف بأسباب المحبة التي هي أشبه بالجبال.

نحصل مما سبق:

أن الود والمحبة والأخوة هي من طباع الإسلام وروابطه. والذي يحمل في قلبه العداوة فهو أشبه ما يكون بطفل فاسد المزاج يروم البكاء بأدنى مبرر للبكاء، وقد يكون ما هو أصغر من جناح ذبابة كافياً لدفعه إلى البكاء، أو هو أشبه ما يكون برجل متشائم لا يحسن الظن بشيء ما دام سوء الظن ممكناً، فيحجب عشر حسناتٍ للمرء بسيئة واحدة. ومن المعلوم أن هذا منافٍ كلياً للخُلُق الإسلامي القاضي بالإنصاف وحسن الظن.

الكلمة الخامسة: «تضاعف السيئات والحسنات»

إن الدرس الذي تعلمته من الشورى الشرعية هو: أن سيئة امرئٍ واحدٍ في هذا الزمان، لا تبقى على حالها سيئة واحدة، وإنما قد تكبر وتسري حتى تصبح مئة سيئة. كما أن حسنة واحدة أيضاً لا تبقى على حالها حسنة واحدة بل قد تضاعف إلى الآلاف. وحكمة هذا وسره هو: أن الحرية الشرعية والشورى المشروعة قد أظهرتا سيادة أمتنا الحقيقية؛ إذ إن حجر الأساس في بناء أمتنا وقوام روحها إنما هو الإسلام، وإن الخلافة العثمانية والجيش التركي من حيث كونها حاملين لراية تلك الأمة الإسلامية فهي بمثابة الصدفة والقلعة للأمة، وأن العرب والترک هما الأخوان الحقيقيّان وسيظلان حارسين أمينين لتلك القلعة المنيعه، والصدفة المتينة.

وهكذا فبفضل هذه الرابطة المقدسة التي تشد الأمة الإسلامية بعضها ببعض يصبح المسلمون كافةً كعشيرة واحدة. فترتبط طوائف الإسلام برباط الأخوة الإسلامية كما يرتبط أفراد العشيرة الواحدة ويُمَد بعضهم بعضاً معنوياً، وإذا اقتضى الأمر فمادياً، وكأن الطوائف الإسلامية تنظم جميعها كحلفاءٍ سلسلةٍ نورانية. فكما إذا ارتكب فرد في عشيرة ما جريمةً فإن عشيرته بأسرها تكون مسؤولة ومتهمة في نظر العشيرة الأخرى وكأن كل فرد من تلك العشيرة هو الذي قد ارتكب الجريمة، فتلك الجريمة قد أصبحت بمثابة الألوف منها، كذلك إذا قام أحد أفراد تلك العشيرة بحسنة واحدة، افتخر بها سائر أفراد العشيرة وكأن كل فرد منها هو الذي كسب تلك الحسنة.

فلأجل هذه الحقيقة فإن في زماننا هذا ولاسيما بعد أربعين أو خمسين سنة ليس المسيء هو وحده المسؤول عن سيئته، بل تتضرر الأمة الإسلامية بملايينها بتلك السيئة. وستظهر أمثلة هذه الحقيقة بكثرة بعد أربعين أو خمسين سنة.

يا إخواني المستمعين إلى أقوالي في هذا الجامع الأموي، ويا أيها الإخوان المسلمون في جامع العالم الإسلامي بعد أربعين أو خمسين عاماً!

لا يعتذرن أحدكم بالقول: «إننا لا نضرّ أحداً ولكننا لا نستطيع أن ننفع أحداً أيضاً». فنحن معذورون إذن». فعذرکم هذا مرفوض، إذ إن تكاسلكم وعدم مبالاةكم وتقاعسكم

عن العمل لتحقيق الاتحاد الإسلامي والوحدة الحقيقية للأمة الإسلامية، إنها هو ضرر بالغ وظلم فاضح.

وهكذا فكما أن سيئة واحدة تتضاعف إلى الألوف فإن حسنة واحدة في زماننا هذا -وأعني بالحسنة هنا ما يتعلق بقدسية الإسلام- لا تقتصر فائدتها على فاعلها وحده بل يمكن أن تتعداه ليعم نفعها -معنوياً- ملايين المسلمين ويشدُّ من حياتهم المادية والمعنوية.

وعليه فإن هذا الزمان ليس زمان الانطراح على فراش الكسل والخلود إلى الراحة وعدم المبالاة بالمسلمين بترديد: «أنا مالي».

يا إخواني في هذا الجامع، ويا إخواني في مسجد العالم الإسلامي الكبير بعد أربعين أو خمسين عاماً!

لا يذهب بكم الظن أنني صعدت هذا المنبر لأرشدكم وأنصحكم، بل ما سعدته إلا لأذكر حقنا عليكم وأطالبكم به، إذ إن مصالح الطوائف الصغيرة وسعادتها الدنيوية والأخوية ترتبط بأمثالكم من الطوائف الكبيرة العظيمة، والحكام والأساتذة من العرب والترك؛ فإن تكاسلكم وتحاذلكم يضران بإخوانكم من الطوائف الصغيرة من أمثالنا أيها ضرر. وإنني أوجه كلامي هذا بوجه خاص إليكم يا معشر العرب العظماء الأمجاد، ويا من أخذتم من التيقظ حظاً أو ستيقظون تيقظاً تاماً في المستقبل؛ لأنكم أساتذتنا وأساتذة جميع الطوائف الإسلامية وأئمتها، فأنتم مجاهدو الإسلام الأوائل، ثم جاءت الأمة التركية العظيمة لتُمدَّ وظيفتكم المقدسة تلك أيها إمداد. لذا فإن ذنبكم عظيم بالتكاسل والتقاعد، كما أن حسناتكم جليلة وسامية أيضاً. ولا سيما نحن على أمل عظيم برحمة الله أنه بعد مرور أربعين أو خمسين عاماً تتحدون فيما بينكم -كما اتحدت الجماهير الأمريكية- وتتبوءون مكانتكم السامية وتوفّقون بإذن الله إلى إنقاذ السيادة الإسلامية المأسورة وتقيمونها كالسابق في نصف الكرة الأرضية بل في معظمها. فإن لم تقم القيامة فجأة فسيرى الجيل المقبل هذا الأمل.

فيا إخواني الكرام!

أرجو أن لا يذهب بكم الظن بأنني بكلامي هذا أستنهض هممكم للاشتغال بالسياسة -حاش لله-، فإن حقيقة الإسلام أسمى من كل سياسة، بل جميع أصناف السياسة وأشكالها

يمكن أن تسير في ركاب الإسلام وتخدمه وتعمل له، وليس لأية سياسة كانت أن تستغل الإسلام لتحقيق أغراضها.

فأنا بفهمي القاصر أتصور المجتمع الإسلامي ككل - في زماننا هذا - أشبه ما يكون بمصنع ذي تروس وآلات عديدة؛ فإذا ما تعطل تُرس من ذلك المصنع أو تجاوز على رقيقه الترس الآخر فسيختل حتماً نظام المصنع الميكانيكي. لذا فقد آن أوان الاتحاد الإسلامي وهو على وشك التحقق. فينبغي أن تصرفوا النظر عن تقصيراتكم الشخصية، ولتجاوز كل عن الآخر.

وهنا أتبه ببالغ الأسى والأسف إلى أن قسماً من الأجانب كما سلبوا أموالنا الثمينة وأوطاننا، بضمن بخس دارهم معدودة مزورة، كذلك فقد سلبوا منا قسماً من أخلاقنا الرفيعة وسجايانا الحميدة والتي بها يترابط مجتمعا، وجعلوا تلك الخصال الحميدة محوراً لرقيقهم وتقدمهم، ودفعوا إلينا نظير ذلك ردائل طباعهم وسفاهة أخلاقهم.

فمثلاً: إن السجية الملية التي أخذوها منا هي قول واحد منهم:

«إن مت أنا فلتحي أمتي، فإن لي فيها حياة باقية» هذه السجية أقوى أساس وأمتته لرقيقهم وتقدمهم، قد سرقوها منا؛ إذ هذه الكلمة إنما تنبع من الدين الحق ومن حقائق الإيمان، فهي لنا وللمؤمنين جميعاً، بينما دخلت فينا أخلاق رذيلة وسجايا فاسدة، فترى ذلك الأناني الذي فينا يقول: «إذا مت ظمآن فلا نزل القطر» و«إن لم أر السعادة فعلى الدنيا العفاء!» فهذه الكلمة الحمقاء إنما تنبع من عدم وجود الدين ومن عدم معرفة الآخرة، فهي دخيلة علينا تسمّنا. ثم إن تلك السجية الغالية عندما سرت إلى الأجانب اكتسبت كل فرد منهم قيمة عظيمة حتى كأنه أمة وحده؛ لأن قيمة الشخص بهمته، فمن كانت همته أمته فهو بحد ذاته أمة صغيرة قائمة.

وبسبب عدم تيقظ أناس منا، وبحكم أخذنا الأخلاق الفاسدة من الأجانب فإن هناك من يقول: «نفسي نفسي» مع ما في أمتنا الإسلامية من سموً وقديسة. فألف رجل مثل هذا الشخص الذي لا يفكر إلا بمصلحته الشخصية ولا يبالي بمصلحة الأمة، إنما ينزل بمنزلة شخص واحد.

[مَن كانت همته نفسه فليس من الإنسان لأنه مدني بالطبع] فهو مضطر لأن يراعي أبناء جنسه، فإن حياته الشخصية يمكن أن تستمر بحياته الاجتماعية. فمثلاً:

إن الذي يأكل رغيفاً عليه أن يفكر كم يحتاج إلى الأيدي التي تُحضّر له ذلك الرغيف. فهو يقبل تلك الأيدي معنى. وكذا الثوب الذي يلبسه، كم من الأيدي والآلات والأجهزة تضافرت لتهيئته وتجهيزه. وقِسُوا على منوال هذين المثالين لتعلموا أن الإنسان مفطور على الارتباط بأبناء جنسه من الناس لعدم تمكنه من العيش بمفرده، وهو مضطر إلى أن يعطي لهم ثمناً معنوياً لدفع احتياجاته، لذا فهو مدني فطرةً. فالذي يحرص نظره في منافع الشخصية وحدها إنما ينسلخ من الإنسانية ويصبح حيواناً مفترساً، اللهم إلّا من لا حيلة له، وله معذرة حقيقية.

الكلمة السادسة: «الشورى»

إن مفتاح سعادة المسلمين في حياتهم الاجتماعية إنما هو «الشورى». فالآية الكريمة تأمرنا باتخاذ الشورى في جميع أمورنا، إذ يقول سبحانه: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى: ٣٨). أجل، فكما أن تلاحق الأفكار بين أبناء الجنس البشري إنما هو شورى على مر العصور بواسطة التاريخ، حتى غدا مدار رقي البشرية وأساس علومها، فإن سبب تخلف القارة الكبرى التي هي آسيا عن ركب الحضارة إنما هو لعدم قيامها بتلك الشورى الحقيقية.

إن مفتاح قارة آسيا وكشاف مستقبلها إنما هو الشورى، أي كما أن الأفراد يتشاورون فيما بينهم، كذلك ينبغي أن تسلك الطوائف والأقاليم المسلك نفسه فتشاور فيما بينها. إن فك أنواع القيود التي كَبَلَتْ ثلاثمائة بل أربعمائة مليون مسلم، ورَفَعَ أنواع الاستبداد عنهم إنما يكون بالشورى والحرية الشرعية النابعة من الشهامة الإسلامية والشفقة الإنسانية، تلك الحرية الشرعية التي تتزين بالآداب الشرعية وتنبذ سيئات المدنية الغربية.

إن الحرية الشرعية النابعة من الإيمان إنما تأمر بأساسين:

١- [أن لا يُدَلَّل «المسلم» ولا يَتَدَلَّل.. من كان عبداً لله لا يكون عبداً للعباد].

٢- [أن لا يجعل بعضكم بعضاً أرباباً من دون الله]. إذ من لا يعرف الله حق معرفته يتوهم نوعاً من الربوبية لكل شيء، في كلِّ حَسَبِ نسبته، فيسلّطه على نفسه.

[نعم إن الحرية الشرعية عطية الرحمن] وتجلّ من تجليات الخالق الرحمن الرحيم، وهي خاصّة من خصائص الإيمان.

فليحيا الصدق، ولا عاش اليأس، فلتدّم المحبة ولتقوّ الشورى، والملازم على من اتبع الهوى، والسلام على من اتبع الهدى.. آمين.

وإذا قيل:

لِمَ تهتم بالشورى إلى هذا الحد، وكيف يمكن أن تتقدم البشرية عامة وآسيا والإسلام بوجه خاص بتلك الشورى؟

الجواب:

فكما أوضحت لمعة «الإخلاص» وهي اللمة الحادية والعشرون: أن الشورى الحق تُؤلّد الإخلاص والتساند، إذ إن ثلاث ألفات هكذا (١١١) تصبح مئة وإحدى عشرة، فإنه بالإخلاص والتساند الحقيقي يستطيع ثلاثة أشخاص أن يفيدوا أمتهم فائدة مئة شخص. ونجبرنا التاريخ بحوادث كثيرة أن عشرة رجال يمكنهم أن يقوموا بما يقوم به ألف شخص بالإخلاص والتساند الحقيقي والشورى فيما بينهم.

فما دامت احتياجات البشر لا حد لها وأعداؤه دون حصر، وقوته ورأس ماله جزئيان محدودان جداً، ولا سيما بعد ازدياد المخربين والمتوحشين نتيجة تفشّي الإلحاد.. فلا بد أن يكون أمام أولئك الأعداء غير المحدودين والحاجات التي لا تحصر نقطة استناد تنبع من الإيمان، فكما تستند حياته الشخصية إلى تلك النقطة فإن حياته الاجتماعية أيضاً إنما تستطيع أن تدوم وتقاوم بالشورى الشرعية النابعة من حقائق الإيمان، فتوقف أولئك الأعداء الشرسين عند حدّهم وتلبي تلك الاحتياجات.

الذيل الأول تشخيص العلة

هذا الذيل يبين بطولة معنوية لا تُثلم نابعة من الإيمان،
ضمن تمثيل لطيف جداً نذكر خلاصته لمناسبة ما
ذكرناه من مسائل.

لقد رافقتُ أيضاً السلطان رشاد^(*) في سياحته إلى «روم إيلي» ممثلاً عن الولايات
الشرقية، وذلك في بداية عهد الحرية.^(١)

كان في قطارنا معلمان اثنان، قد تلقيا العلوم في المدارس الحديثة، فجرت بيننا مباحثة،
إذ سألاني:

- أيُّهما أقوى وأولى بالالتزام: الحمية الدينية أم المالية؟ قلت لهم وقتئذٍ:

نحن معاشر المسلمين، الدين والمالية عندنا متحدان بالذات، والاختلاف اعتباري، أي
ظاهري، عرضي، بل الدين هو حياة المالية وروحها؛ فإذا ما نُظر إليهما بأنهما مختلفان ومتباينان،
فإن الحمية الدينية تشمل العوام والخواص بينما الحمية المالية تنحصر في واحد بالمئة من الناس،
من يضحي بمنفعته الشخصية لأجل الأمة.

وعليه فلا بد أن تكون الحمية الدينية أساساً في الحقوق العامة، وتكون المالية خادمة
منقادة لها وساندة حصينة لها.

فنحن الشرقيين لا نشبه الغربيين، إذ المهيمن على قلوبنا الشعور الديني؛ فإنّ بعث
الأنبياء في الشرق يشير به القدرُ الإلهي إلى أن الشعور الديني وحده هو الذي يستنهض
الشرق ويسوقه إلى التقدم والرقي، والعصر السعيد - وهو خير القرون والذي يليه - خير
برهان على هذا.

(١) الاصطلاح الذي أطلقه الاتحاديون على عهدهم.

فيا زملائي في هذه المدرسة السيارة، أعني القطار، ويا من تسألون عن التفاضل بين الحماية الدينية والمالية، ويا أيها الدارسون في المدارس الحديثة! إني أقول لكم جميعاً:

إن الحماية الدينية والمالية الإسلامية قد امتزجتا في التُّرك والعرب مزجاً لا يمكن فصلهما، وإن الحماية الإسلامية هي أقوى وأمتن حبل نوارني نازل من العرش الأعظم، فهي العروة الوثقى لا انفصام لها، وهي القلعة الحصينة التي لا تهدم.

قال ذلك المعلمان:

ما دليلك؟ يلزم لمثل هذه الدعوى الكبيرة حجة عظيمة ودليل قوي. فما الدليل؟

وفي هذه الأثناء خرج قطارنا من النفق، فأخرجنا رؤوسنا من النوافذ نتطلع إلى الخارج، رأينا صبيّاً لا يتجاوز السادسة من العمر واقفاً بجانب سكة الحديد.

قلت لصاحبي:

إن هذا الصبي يخبينا عن سؤالنا بلسان حاله، فليكن أستاذنا بدلاً مني في مدرستنا السيارة هذه.

إذ لسان حاله يقول هذه الحقيقة:

انظروا إلى دابة الأرض هذه، وإلى ضجيجها وصيحتها، وانطلاقها من النفق، وتأملوا في ذلك الطفل الوديع الواقف على مقربة منها، فعلى الرغم من تهديد هذه الدابة وهجومها وانقضاضها على كل من يقترب منها حتى كأنها تقول: يا ويل من يصادفني ويقف أمامي.. على الرغم من هذا فإن ذلك الصبي البريء واقف لا يحرك ساكناً بالقرب منها، وهو في كمال الاطمئنان والحرية، ولا يكثر لتهديدها، مبدياً بطولَةً فائقة وجرأة خارقة، وكأنه يستخف بهجومها، فهو يقول بلسان ثباته وبطولته في سن الصبا هذا:

أيها القطار إنك لا تخيفني بصوتك الصاخب الذي يشق عنان السماء.. أيها القطار إنك أسيرُ نظام، فخطامك في يد قائدك، لا طاقة لك أن تتجاوز حدك ولا يمكنك أن تتحكّم فيّ، فهيا انطلق في طريقك وامض في سيرك بإذن قائدك.

فيا صاحبي في القطار، ويا إخوتي الباحثين في العلوم بعد خمسين عاماً!

افرضوا خيلاً أن رستم الفارسي وهرقل اليوناني، واقفان موقف الصبي هذا، وإذ هما لا علم لهما بالقطار، فلا يعتقدان بأنه يسير وفق نظام معين، فإذا ما خرج عليهما من النفق المظلم وفي رأسه النار ذات الوقود وفي أنفاسه هدير السماء، وفي عيونه بروق المصابيح، وهو يهدد ويزجر وكأنه يريد أن ينقضّ عليهما.. تصوروا هذه الحالة ثم قدّروا مدى الخوف والهلع الذي يعتريهما، وكيف أنهما يفتران من القطار مع ما يملكانه من جرأة وشجاعة نادرة. وتصوّروا كيف أن حريتهما وجسارتهما تضمحلان أمام تهديد دابة الأرض هذه حتى لا يجدان بداً منها إلّا الفرار.. كل ذلك لأنهما لا يعتقدان بوجود قائد يقود ذلك القطار، ولا يؤمنان بوجود نظام يسير على وفقه، بل لا يظنان أنها دابة مطيعة متقادة ليس إلّا، وإنما يتخيلانها أسداً هصوراً ووحشاً كاسراً جسيماً تنتظم وراءه أسود كثيرة ووحوش عديدة.

يا إخوتي! ويا زملائي الذين يسمعون هذا الكلام بعد خمسين عاماً!

إن الذي منح هذا الصبي تلك الجسارة والحرية أكثر من ذنك البطلين ووهب له اطمئناناً وسكينة يفوقهما بكثير هو: أن في قلب ذلك الصبي نواة حقيقة، وهي: إيمانه واطمئنانه بأن ذلك القطار يسير على وفق نظام، واعتقاده بأن زمامه بيد قائد يقوده بأمره ولأجله.

وأما الذي أربّب ذنك البطلين المشهورين وأسر وجدانها، فهو عدم معرفتهما بقائد ذلك القطار وعدم اعتقادهما بنظامه، أي جهلهما بالعقيدة وخلوها منها.

فمثل هذه البطولة النابعة من إيمان ذلك الصبي الوديع قد ترسّخت طوال ألف سنة في قلوب عشائر من طوائف الإسلام (وهم الترك ومن تشبّوها بهم) عقيدة وإيماناً، فوهبهم ذلك الإيمان بطولة فائقة استطاعوا بها أن يغزوا دولاً تفوقهم مئة ضعف وأن يثبتوا أممها، فنشروا كمالات الإسلام في أرجاء العالم.. في آسيا وإفريقيا ونصف أوروبا، واستقبلوا الموت بسرور بالغ قائلين: «إن قُتِلْتُ فأنا شهيد، وإن قُتِلْتُ عدوّاً فأنا مجاهد». بل ثبتوا -بالإيمان- أمام كل ما اتخذ موقفَ عداءٍ تجاه استعدادات الإنسان وقواه ابتداءً من الميكروبات إلى المذنبات التي في السماء، وكأن كلاً منها قطار رهيب، فلم يكثرثوا بتهديداتها. وإنما حازت جميع قبائل الإسلام وفي مقدمتها طوائف الترك والعرب نوعاً من السعادة الدنيوية بتسليمهم الأمر إلى الله والرضى بقضائه وقدره ورؤية الحكمة وتلقي دروس العبرة من الحوادث بدلاً من الرهبة والهلع منها.

فإظهار هؤلاء المسلمين بطولةً معنوية فوق المعتاد - كما يُظهره ذلك الصبيُّ - يدلُّنا: أن أمة الإسلام مثلما تفوز في الآخرة فلهم في الدنيا أيضاً السيادة مستقبلاً.

إن الذي أدّى إلى أن يدخل في رُوع ذنك البطلين الخوف والفرار والقلق إنما هو حرمانها من الإيمان والعقيدة وجهلها وضلالها.

فلقد أثبتت «رسائل النور» بمئات الحجج القاطعة تلك الحقيقة التي ذكرتُ بضعة أمثلة منها في مقدمة هذه الرسالة أيضاً، تلك هي: أن الكفر والضلال يُريان الكون لأهلها أنه مليء بآلاف الأعداء المُخيفين، بل هو سلسلة من طوائف تعادي الإنسان، ابتداءً من المنظومة الشمسية وانتهاءً إلى ميكروبات التدرن الرثوي، كلها تعادي هذا الإنسان المسكين بأيدي القوى العمياء والمصادفة العشواء والطبيعة الصماء، حتى تجعله في رعب دائم وألم مقيم وقلق ملازم واضطراب مستمر، مع ما يحمل هذا الإنسان من ماهية جامعة واستعداد كلي وحاجات لا نهاية لها ورغبات لا تنتهى لها. بل يجعله الكفر والضلال في حالة من عذاب جهنم في الدنيا وكأنه يتجرع الزقوم ولا يكاد يسيغه، فلا تجديه آلاف الفنون والعلوم - الخارجة عن الدين والإيمان - ولا التقدم البشري - مثلما لم تجد بطولة ذنك البطلين المشهورين - بل تُجري في دمه السفاهة واللغو لتعطل حواسه لتلا يشعر بالألم مؤقتاً.

فكما أن المقايضة بين الإيمان والكفر تُفضي في الآخرة إلى الجنة والنار، فإن الإيمان في الدنيا أيضاً يحقق نوعاً من الجنة المعنوية ويجعل المرء يرى الموت نوعاً من التسريح من الوظيفة، بينما الكفر يجعله في الدنيا أيضاً في جحيم معنوي سالباً منه السعادة إذ يريه الموت إعداماً أبدياً. كما أثبتنا ذلك في «رسائل النور» إثباتاً بدرجة الشهود والقطعية التامة. فنحيل القارئ الكريم إلى تلك الرسائل.

فإن شئتُم أيها الإخوان أن تتروا حقيقة هذا المثال، فارفعوا رؤوسكم وانظروا إلى هذا الكون! كم ترون لله في الفضاء من كرات النجوم وأجرام العوالم وسلاسل الأحداث والوقائع المتسلسلة أمثال القطار والمنطاد والسيارات الإلهية فكأنها سفائن برية وفُلك بحرية وطائرات هوائية خلقتها يد القدرة الإلهية بنظام وحكمة.

فكما أن للقدرة الإلهية في عالم الشهادة وفي عالمنا المادي أمثال هذه، فإن لها في عالم

الأرواح والمعنويات نظائر متسلسلة أعجب، يصدّق بها كلٌّ مَنْ يملك عقلاً، بل يرى أغلبها كلٌّ مَنْ يملك بصيرة.

فهذه الأمور المتسلسلة المترابطة في الكون سواءً منها المادية أو المعنوية تهاجم أهل الضلال الذين حُرِّموا من الإيمان وتهدهم وتُرهبهم وتحطّم قواهم المعنوية، بينما لا تخيف أهل الإيمان ولا تهددهم بشيء بل تبعث فيهم السرور والسعادة والأنس والأمل والقوة، وذلك لأنهم يرون الوجود بنور الإيمان، وتلك الحوادث المتسلسلة، وتلك القاطرات المادية والمعنوية والعوالم السيارة، إنما تساق إلى وظيفة معينة محددة من قِبَل صانع حكيم لتؤديها ضمن نظام وحكمة من دون اختلاط ولا تجاوز قط.

فيري الإيمان المؤمن أن كل شيء ينال قبساً من تجليات جمال الله وإتقان صنعته سبحانه، ويمنحه قوة معنوية عظيمة بما يفتح له من ناهج للسعادة الأبدية.

وهكذا فإن ما يعانيه أهل الضلال من الآلام الرهيبة الناشئة من فقدان الإيمان، وما يلزمهم من خوف ورعب شديدين، تقف إزاءه جميع أنواع الرقي البشري عاجزة لا تمنح له سلواناً ولا عزاءً، بل لا يمكنها أن تضمن له قوة معنوية، فتتحطم الجراءة والإقدام.. إلّا ما تحذعه الغفلة من إسدال ستار النسيان عليها.

أما أهل الإيمان فلا تُرهبهم تلك الحادثات ولا تأخذ من معنوياتهم؛ وذلك بفضل الإيمان (مثل ذلك الصبي) بل تزيد معنوياتهم صلابة، إذ ينظرون إليها -أي إلى الحوادث- من خلال حقيقة إيمانهم فيشاهدون إرادة الصانع الحكيم وإدارته وتديره إياها ضمن حكمته الواسعة، فيتحررون من المخاوف والأوهام، إذ يعلمون أنه: لولا أمرُ الصانع الحكيم وإذنه لما استطاعت هذه العوالم السيارة الحركة قط، فينالون بهذا اطمئناناً يسعدهم في الدنيا كذلك، كل حسب درجته.

ومن لم يكن في قلبه ووجدانه بذرة هذه الحقيقة النابعة من الإيمان والدين الحق، ولم يستند إلى ركيزة، فمثله كمثل ذينك البطلين المشهورين، إذ تنهار قواه المعنوية بمثل تحطّم جسارتها وبطولتها، ويكون أسيرَ حادثات الكائنات فيتفسخ وجدانه ويصبح كالمسول الذليل بإزاء كل حادثة.

نكتفي بهذا القدر لبيان هذه الحقيقة الواسعة حيث يَبَيَّنُ «رسائلُ النور» بحججها الدامغة أن هذا السر كامنٌ في الإيمان بينما الضلالة تحمل شقاءً وتعاسة في الدنيا أيضاً.

إن الإنسان الذي أحسَّ في هذا العصر بحاجته الماسة إلى قوة معنوية وصلابة وثبات وإلى عزاء وسلوان، قد ترك حقائق الإيمان التي هي أعظم ركيزة استنادٍ له والتي تُضمّن له القوة المعنوية والسلوان والسعادة، واستهواه التغرب فاستند إلى الضلالة والسفه، فبدلاً من أن يستفيد من الملية الإسلامية أخذ يحطم القوة المعنوية تحطيماً كاملاً، فأزال عنه السلوان وأوهن صلابته بانسياقه وراء الضلال والسفه والسياسة الكاذبة. ألا ترى أن هذا بعدُ شاسع عن مصالح الإنسان ومنافعه؟ ألا إن الإنسانية ستدرك يوماً - إن بقي لها من العمر بقية - حقيقة القرآن، وستعتصم به، وفي مقدمتها المسلمون.

لقد سأل قسم من النواب المتدينين سعيداً القديم أوائل عهد الحرية:

إنك تجعل السياسة تابعة للدين في كل شيء، بل تجعلها وسيلة متقادة للشرعية، ولا تقبل الحرية إلا على أساس الوجه المشروع، بمعنى أنك لا تعترف بالحرية والمشرورية بدون الشرعية، ولأجل هذا جعلوك في صفوف المطالبين بتطبيق الشرعية في حادثة (٣١) مارت. فأجابهم سعيد القديم بالآتي:

أجل، إنه لا سعادة لأمة الإسلام إلا بتحقيق حقائق الإسلام، وإلا فلا، ولا يمكن أن تذوق الأمة السعادة في الدنيا أو تعيش حياة اجتماعية فاضلة إلا بتطبيق الشرعية الإسلامية، وإلا فلا عدالة قطعاً، ولا أمان مطلقاً؛ إذ تتغلب عندئذ الأخلاقُ الفاسدة والصفات الذميمة، ويبقى الأمر معلقاً بيد الكذابين والمرائين.

سأعرض لكم ما يثبت هذه الحقيقة في حكاية أوردوها نموذجاً مصغراً من بين آلاف الحجج.

سافر شخص إلى قوم من البدو في صحراء، فنزل ضيفاً عند رجل فاضل.. لاحظ أنهم لا يهتمون بحرز أموالهم. وقد ألقى صاحبُ المنزل نقودَه في زوايا البيت مكشوفة دون تحفظ. قال الضيف لصاحب المنزل:

ألا تخافون من السرقة؟ تلقون أموالكم هكذا في الزوايا دون تحرز؟

أجابه: لا تقع السرقة فينا!

- إننا نضع نقودنا في صناديق حديد مقفلة، ومع ذلك كثيراً ما تقع فينا السرقة.

- إننا نقطع يد السارق كما أمر به الله تعالى وعلى وفق ما تتطلبه عدالة الشريعة.

- فإذا كثيرون منكم قد حرموا من إحدى أيديهم!

- ما رأيت إلّا قطع يد واحدة، وقد بلغت الخمسين من العمر.

- إن في بلادنا يسجن يومياً ما يقارب الخمسين من الناس بسبب السرقة، ومع ذلك لا

يردعهم ذلك إلّا بواحد من ألف مما تردعه عدالتكم!

- لقد أهملتم حقيقة عظيمة وغفلتم عن سرّ عجيب عريق، لذا تُحرمون من حقيقة

العدالة؛ إذ بدلاً من المصلحة الإنسانية تتدخل فيكم الأغراض الشخصية والمحسوبيات والتحيز وما إلى ذلك من الأمور التي تغيّر طبيعة الأحكام وتحرفها.

وحكمة تلك الحقيقة هي: أن السارق فينا في اللحظة التي يمد يده للسرقة يتذكر

إجراء الحد الشرعي عليه، ويخطر بباله أنه أمر إلهي نازل من العرش الأعظم، فكأنه يسمع

بخاصية الإيمان بأذن قلبه ويشعر حقيقةً بالكلام الأزلي الذي يقول: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ

فَأَقْطَعُوهَا أَيْدِيَهُمَا﴾ (المائدة: ٣٨) فيهيج عنده ما يحمله من إيمان وعقيدة، وتثار مشاعره

النبيلة، فتحصل له حالة روحية أشبه ما يكون بهجوم يُشن من أطراف الوجدان وأعماقه

على ميل السرقة، فيتشتت ذلك الميل الناشئ من النفس الأمارة بالسوء والهوى، وينسحب

وينكمش، وهكذا بتوالي التذكير هذا يزول ذلك الميل إلى السرقة، إذ الذي يهاجم ذلك الميل

ليس الوهم والفكر وحدهما وإنما هو قوى معنوية من عقل وقلب ووجدان، كلها تهاجم

دفعاً واحدة ذلك الميل والهوى فتذكر الحد الشرعي يقف تجاه ذلك الميل زجرٌ سماوي

ورادع وجداني فيسكتانه.

أجل، إن الإيمان يقيم دائماً في القلب والعقل حارساً معنوياً أميناً، لذا كلما صدرت

ميول فاسدة عن تطلعات النفس والنوازع والأحاسيس المادية قال لها ذلك الحارس الرادع: «محظور.. ممنوع..» فيطردها ويهزمها.

إن أفعال الإنسان إنما تصدر عن تمايلات القلب والمشاعر وهي تنبعث من شدة تحسس الروح وحاجتها، والروحُ إنما تتهز بنور الإيمان، فإن كان خيراً يفعلُه الإنسان، وإلا يحاول الانسحاب، وعندئذٍ لا تغلبه النوازع والأحاسيس المادية التي لا ترى العقبي!

الحاصل:

إن «الحد» أو «العقاب» عندما يقام امتثالاً للأمر الإلهي والعدل الرباني فإن الروح والعقل والوجدان واللطائف المندرجة في ماهية الإنسان تتأثر به وترتبط به، فلاجل هذا المعنى أفادتنا إقامة حد واحد طوال خمسين سنة أكثر من سجنكم في كل يوم! ذلك لأن عقوباتكم التي تُجرونها باسم العدالة لا يبلغ تأثيرها إلا في وهمكم وخيالكم، إذ عندما يقوم أحدكم بالسرقة يرد إلى خياله العقاب الذي ما وضع إلا لأجل مصلحة الأمة والبلاد ويقول: إن الناس لو عرفوا بأني سارق فيسبظرون إليّ نظرة ازدراء وعتاب، وإذا تبين الأمر ضدّي ربما تزجني الحكومة في السجن.. وعند ذلك لا تتأثر إلا قوته الواهمة تأثراً جزئياً، بينما يتغلب عليه الميل الشديد إلى السرقة والنازع من النفس الأمارة والأحاسيس المادية - لاسيما إن كان محتاجاً - فلا ينفعه عقابكم لإنقاذه من ذلك العمل السيء. ثم لأنه ليس امتثالاً للأمر الإلهي فليس هو بعدالة، بل باطل وفساد بطلان الصلاة بلا وضوء وبلا توجه إلى القبلة، أي إن العدالة الحقّة والعقاب الرادع إنما يكون إذا أُجريت امتثالاً للأمر الإلهي وإلا فإن تأثير العقاب يكون ضئيلاً جداً.

فإذا قست على هذه المسألة الجزئية في السرقة سائر الأحكام الإلهية تدرك أن السعادة البشرية في الدنيا مرتبهة بإجراء العدالة، ولا تنفذ العدالة إلا كما بيّنها القرآن الكريم.

(انتهت خلاصة الحكاية).

ولقد أخطر على القلب أنه إذا لم يفق الإنسان من غفلته بسرعة، ولم يسترشد بعقله، ويفتح أبواب المحاكم لتنفيذ عدالة الله ضمن حقائق الإسلام، فستفلق على رأسه

قيامات مادية ومعنوية ويسلم السلاح إلى الفوضويين والإرهابيين ومن هم أمثال يأجوج ومأجوج!

وهكذا فلقد حكى «سعيد القديم» هذه الحكاية لقسم من النواب المتدينين، وأدرجت قبل خمسة وأربعين عاماً في ذيل الخطبة الشامية العربية التي طبعت طبعتين في أسبوع واحد. والآن فهذه الحكاية والتمثيل الأول، إنما هما درسان يستفيد منهما النواب المتدينون الأفاضل في الوقت الحاضر أكثر من سابقهم، فنبينهما لهم درساً من دروس العبرة.^(١)

سعيد النورسي

(١) لقد رجونا من أستاذنا أن يدرّسنا في غضون يومين الخطبة الشامية المطبوعة بالعربية، لعدم إتقاننا العربية، ففضل علينا بشرحها، ونحن بدورنا دوناً ما قرره علينا، وكان الأستاذ يكرر بعض الجمل ويعيدها كي يرسخها في أذهاننا، ولما كنا قد وجدنا المثال والحكاية الأخيرة واضحة، فقد أبرزناها مقدماً إلى الطلاب الجامعيين والنواب المتدينين، ذلك لأن الأستاذ عندما استهل الدرس قال: «إنني أضعكم أمامي بدلاً من المعلمين في ذلك القطار، وأضع النواب المتدينين حقاً بدلاً من النواب المتدينين الذين سألوني عن الشريعة قبل خمسة وأربعين عاماً، هكذا أتصور الأمر وأتكلم في ضوئه. فنحن نبين ما في هذه الرسالة من معاني أولاً لأهل المعرفة والتربية والنواب المتدينين، وإذا شأؤوا نبين لهم الدروس التي أخذناها من الأستاذ لدى شرحه الخطبة لنا. وإذا ارتأوا نطبعها ونشرها. كنا نود أن نأخذ درساً حول السياسة الإسلامية الدائرة في العالم الإسلامي، ولكن لأن الأستاذ قد ترك السياسة منذ خمس وثلاثين سنة، فإن هذه الخطبة - التي تمس السياسة - إنما هي درس من دروس «سعيد القديم».

طلاب النور

طاهري، زبير، بايرام، جيلان، صونغور،
عبدالله، ضياء، صادق، صالح، حسني، حمزة.

ذيل الذيل

لتحيا الشريعة الغراء

٢٦ شباط ١٣٢٤ رومي

الجريدة الدينية/ ٧٠

٧ مارت ١٩٠٩ م

أيها النواب!

سأقول جملة واحدة موجزة مع أنها طويلة. فأرجو أن تلاحظوها باهتمام بالغ، إذ في إطنابها إيجاز وهي:

إن المشروطة والقانون الأساس هما العدالة والشورى وحصر القوة في القانون... مع هذا العنوان أقول:

إن الإسلام وشريعته الغراء -هو: المالك الحقيقي وصاحب العنوان المعظم.. والمؤثر الحق والمتضمن للعدالة المحضة.. ويحقق نقطة استنادنا.. ويرسي المشروطة على أساس متين.. وينقذ ذوي الأوهام والشكوك من ورطة الحيرة.. ويتكفل بمستقبلنا وآخرتنا.. وينقذكم من التصرف في حقوق الله بدون إذن منه، تلك الحقوق التي تَضْمَنُ مصالحَ الناس كافة.. ويحافظ على حياة أمتنا.. ويظهر ثباتنا وكمالنا ويحقق وجودنا أمام الأجانب، وسحرِ العقول والأذهان.. وينقذكم من تبعات الدنيا والآخرة.. ويؤسس الاتحاد العام الشامل نهاية المطاف.. ويولد الأفكار العامة (الرأي العام) التي هي روح ذلك الاتحاد.. ويَحُولُ دون دخول مفسد المدنية إلى حدود حريتنا ومدنيتنا.. وينجيننا من ذل التسول من أوروبا.. ويطوي لنا المسافة الشاسعة التي تَخَلَّفْنَا فيها عن الرقي في زمان قصير بناءً على سَرِّ الإعجاز.. ويرفع من شأننا في زمن قصير بتوحيد العرب والطوران وإيران والساميين.. ويظهر الشخصية المعنوية للدولة بمظهر الإسلام..

ويخلصكم من حنث الأيمان بالمحافظة على المادة الحادية عشرة من القانون الأساس.. وببطل الظنون الفاسدة التي تحملها أوروبا سابقاً.. ويحملهم على التصديق بأن النبي محمداً ﷺ خاتم الأنبياء، وأن الشريعة خالدة.. ويقيم سداً أمام الإلحاد الذي يدمر المدنية.. ويزيل بصفحته النورانية ظلمة تباين الأفكار وتشتت الآراء.. ويجعل جميع العلماء والوعاظ متحدين في سبيل سعادة الأمة وتنقية إجراءات الدولة وخداماً للمشروطة المشروعة.. ويؤلف قلوب غير المسلمين ويربطهم به أكثر، فعدالته المحضة رحيمة.. ويجعل أجنب شخص وأكثرهم ضعة أشجع وأرفع إنساناً ويعاملهم هكذا.. وينفخ فيهم الشعور بالرقى والتضحية ويحسسهم بحب الوطن.. ويخلصنا من السفاهة التي تهدم المدنية ومن الحاجيات غير الضرورية.. ويبعث فينا النشاط في العمل للعالم مع تذكر الآخرة والمحافظة عليها.. ويعلمنا الأخلاق المحمودّة التي هي حياة المدنية.. ويفهمنا قواعد المشاعر النبيلة.. ويرى ساحتكم أيها المبعوثون من مطالبة حقوق خمسين ألف شخص.. ويظهركم مثلاً مصغراً مشروحاً لإجماع الأمة.. ويجعل أعمالكم كأنها عبادة حسب نياتكم الخالصة.. وينجيكم من الجناية التي ترتكب بحق الحياة المعنوية لثلاثمائة مليون من المسلمين..

فإذا ما أظهرتم الإسلام وشريعته الغراء واتخذتموها أساساً لأحكامكم، وطبقتم دساتيرها، فمع اغتنام فوائدها إلى هذا الحد هل تفقدون من شيء؟ والسلام.

فلتحيا الشريعة الغراء.

سعيد النورسي

حقيقة

٢٦ شباط ١٣٢٤ رومي

الجريدة الدينية/ ٧٠

٧ مارت ١٩٠٩ م

نحن منذ الأزل داخلون في الجمعية المحمدية، فالتوحيد هو جهة الوحدة والاتحاد فيما بيننا، وقَسَمْنَا وعهدنا هو الإيمان.

فما دمنا موحدين متحدين، فكل مؤمن مكلفٌ بإعلاء كلمة الله... وأعظمُ وسيلة لإعلاء كلمة الله في زماننا هذا هو الرقي المادي.

إذ الأجانب يسحقوننا تحت تحكمهم المعنوي بسلح العلوم والصنائع، ونحن سنجاهد بسلح العلم والتقنية الجهل والفقر والخلاف الذي هو ألد أعداء إعلاء كلمة الله.

أما الجهاد الخارجي فنحيله إلى السيوف الأمامية للبراهين القاطعة للشريعة الغراء. لأن الغلبة على المدنيين إنما هي بالإقناع وليس بالإكراه كما هو شأن الجهلاء الذين لا يفقهون شيئاً.

نحن فدائيو المحبة لا مكان بيننا للخصومة.

فالجمهورية^(١) عبارة عن العدالة والشورى وحصر القوة في القانون... أليس من الجناية على الإسلام أن تستجدي الأحكام من أوروبا ولنا شريعة غراء تأسست قبل ثلاثة عشر قرناً؟ إن هذا الاستجداء شبيه بالتوجه إلى غير القبلة في الصلاة.

إن القوة لا بد أن تكون في القانون وإلا فستفشى الاستبداد في الكثيرين.

ولا بد أن يكون المهيمن والأمر الوجداني قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: ٧٤). وهذا يكون بالمعرفة التامة والمدنية الكاملة أو بتعبير آخر بالإسلام. وإلا فسيكون الاستبداد هو المستولي دائماً.

(١) وضعت هذه الكلمة حديثاً بدلاً من المشروطة الموجودة سابقاً... (المؤلف).

إن الاتفاق في الهدى وليس في الهوى والهوس.

نعم، إن الله خلق الناس أحراراً وهم عبيد لله، فقد تحرر كل شيء، فنحن بامثالنا الشريعة أحرار، وبتمسكنا بالمشروطة أحرار أيضاً، ولن نتنازل عن المسائل الشرعية ولن نعطيها أتاوة. إن قصور فردٍ عن شيء لا يكون عذراً لقصور آخر.

اعلموا أن اليأس مانع كل كمال.

إن هدية الاستبداد وتذكاره هو: «ما لي أنا.. فليفكر غيري».

أحيل الربط بين هذه الجمل إلى فكر المطالع الكريم لعدم إتقاني اللغة التركية!!

سعيد النورسي

صدى الحقيقة

٢٧ مارت ١٩٠٩م

إن السبيل المحمدي مستغن عن كل ما يومئ إلى الحيلة والشك لأنه منزّه عن الخداع والشبهة.

ثم إن حقيقة واسعة عظيمة محيطة إلى هذا الحد - ولا سيما تجاه أهل هذا الزمان - لا يمكن أن تخفى مطلقاً.

وهل يخفى البحر العظيم في كأس؟!

أقول مكرراً إن التوحيد الإلهي هو جهة الوحدة في الاتحاد المحمدي الذي هو حقيقة اتحاد الإسلام (الوحدة الإسلامية).

أما يمينه وبيعته فهو الإيمان.

ومقرّاته وأماكن تجمعاته: المساجد والمدارس الدينية والزوايا.

ومنتسبوه: جميع المؤمنين.

ونظامه الداخلي: السنن الأحمدية، والقوانين الشرعية بأوامرها ونواهيها. فهذا الاتحاد ليس نابعاً من العادة وإنما هو عبادة.

فالإخفاء والخوف من الرياء، والفرائض لا رياء فيها، وأوجبُ الفرائض في هذا الوقت هو اتحاد الإسلام (الوحدة الإسلامية).

وهدف الاتحاد وقصده تحريك الرابطة النورانية التي تربط المعابد الإسلامية التي هي منتشرة ومتشعبة، وإيقاظ المرتبطين بها بهذا التحريك، ودفعهم إلى طريق الرقي بأمر وجداني.

مشرب هذا الاتحاد هو: المحبة. وعدوه: الجهل والفقر والنفاق.

وليطمئن غير المسلمين بأن اتحادنا هو الهجوم على هذه الصفات الثلاث ليس إلّا.

وبالنسبة إليهم فسيلنا الإقناع؛ لأننا نعتقدهم مدنيين. وإننا مكلفون بأن نظهر الإسلام بمظهر الجمال والحسن المحبوب، لأننا نظن فيهم الإنصاف. ألا فليعلم المهملون غير المكترئين أنهم لا يحبون أنفسهم بالانسلاخ من الدين لأي أجنبي كان. وإنما يظهرون أنهم على غير هدى ليس إلا. ومن كان على غير هدى في طريق الفوضوية لا يُحبّ قطعاً، والذين انضموا إلى هذا الاتحاد بعد التدقيق العلمي والبحث والتحري لا يتركونه تقليداً لأولئك حتماً.

نحن نعرض أفكار اتحاد الإسلام الذي هو الاتحاد المحمدي ومسلّكه وحقيقته للناس أجمعين. ونحن مستعدون لسماع أي اعتراض كان.

جملة شيران جهان بستۀ این سلسله اند
روبه از حيله جه سان بکسلد این سلسله را

أي:

هل يقطع الثعلب المحتال سلسلة
قيدت بها أسد الدنيا بأسرهم

سعيد النورسي

«فقرة تركتها من «فهرس المقاصد» المنشور»

إن نهر العلوم الحديثة والثقافة الجديدة الجاري والآتئ إلينا من الخارج كما هو الظاهر، ينبغي أن يكون أحد مجاريه قسماً من أهل الشريعة كي يتصفى من شوائب الحيل ورواسب الغش والخداع، لأن الأفكار التي نمت في مستنقع العطالة، وتنفست سموم الاستبداد، وانسحقت تحت وطأة الظلم، يُحدث فيها هذا الماء الآسن العفن خلاف المقصود.

فلابد إذن من تصفيته بمصفة الشريعة. وهذا الأمر تقع مسؤوليته على عاتق أهل المدرسة الشرعية.

والسلام على من اتبع الهدى

سعيد النورسي

لتحيا الشريعة الأحمدية

«على صاحبها الصلاة والسلام»

٥ مارت ١٣٢٥ رومي

الجريدة الدينية/ ٧٧

١٨ مارت ١٩٠٩ م

إن الشريعة الغراء باقية إلى الأبد؛ لأنها آتية من الكلام الأزلي وأن النجاة والخلاص من تحكم النفس الأمارة بالسوء بناهي بالاعتماد على الإسلام والاستناد إليه والتمسك بحبل الله المتين.

وإن جَنِّيَ فوائد الحرية الحقّة والاستفادة منها استفادة كاملة منوط بالاستعداد من الإيمان؛ ذلك لأن من أراد العبودية الخالصة لرب العالمين لا ينبغي له أن يُذَلَّ نفسه فيكون عبداً للعبيد. وحيث إن كل إنسان راعٍ في مُلكه وعالمه فهو مكلف بالجهاد الأكبر في عالمه الأصغر ومأمور بالتخلق بأخلاق النبي ﷺ وإحياء سنته الشريفة.

يا أولياء الأمور! إن أردتم التوفيق فاطلبوه في موافقة أعمالكم للسنن الإلهية في الكون -أي قوانين الله- وإلا فلن تحصدوا إلا الخذلان والإحفاق. لأن ظهور الأنبياء عامة في الممالك الإسلامية والعثمانية إنما هو رمز وإشارة من القدر الإلهي: أن الذي يدفع أبناء هذه الممالك إلى التقدم إنما هو الدين، وأن أزاهير مزرعة آسيا وإفريقيا وبساتين نصف أوروبا ستفتح وتزدهر بنور الإسلام.

اعلموا أن الدين لا يضحى به لأجل الحصول على الدنيا؛ فقد كانت تعطى فيما مضى مسائل الشريعة أتاوة للحفاظ على الاستبداد البائد.^(١) أروني ماذا حصدنا من ترك مسائل الدين والتضحية بها غير الضرر والخيبة.

(١) المقصود عهد السلطان عبد الحميد الثاني، والأستاذ النورسي مع أنه كان يشنّع بالاستبداد إلا أنه يحسن الظن بالسلطان نفسه، فهو إذ يفضح مساوئ الاستبداد الذي كان يمارس باسم السلطان يرى ساحة السلطان فيقول عنه: السلطان المظلوم.. إنه ولي من أولياء الله الصالحين.

إن إصابة الأمة في قلبها إنما هو من ضعف الدين ولن تنعم بالصحة إلا بتقوية الدين.

إن مشربنا: محبة المحبة، ومخاصمة الخصومة، أي إمداد جنود المحبة بين المسلمين، وتشيت عساكر الخصومة فيما بينهم.

أما مسلكننا: فهو التخلق بالأخلاق المحمدية ﷺ وإحياء السنة النبوية.

ومرشدنا في الحياة: الشريعة الغراء

وسيفنا: البراهين القاطعة.

وهدفنا: إعلاء كلمة الله..

إن كل مؤمن هو منتسب -معنى- لجماعتنا،^(١) وصورة هذا الانتساب هو العزم القاطع على إحياء السنة النبوية في عالمه الخاص، فنحن ندعو باسم الشريعة أولئك المرشدين وهم العلماء والمشايخ من طلاب العلوم إلى الاتحاد قبل أي أحد سواهم.

سعيد النورسي

تنبيه خاص

إن الصحفيين الذين هم خطباء عامون قد أوقعوا الأمة في مستنقع فاسد بقياسين فاسدين:

الأول: أنهم يقيسون الولايات الأخرى على إسطنبول علماً أن الأطفال الذين لا يستطيعون قراءة الألفباء إذا لُتُوا الفلسفة فإنه يكون تلقيناً سطحياً.

الثاني: أنهم يقيسون إسطنبول على أوروبا علماً أن الرجل إذا ما لبس ثوب امرأة يكون محل هزاء وسخرية ويتسفل.

سعيد النورسي

(١) هذه المقالة والتي تعقبها تعدد دعوة واضحة إلى الاتحاد الإسلامي والرجوع إلى الشريعة والتمسك بأهداب الدين ونبذ الخلافات مهما كانت صورها، وهي في الوقت نفسه تمهيد للأذهان لقبول «الاتحاد المحمدي» بمفهومه العام الشامل لجميع المسلمين، والذي أعلن عنه رسمياً في ٥/ نيسان/ ١٩٠٩ ضمن احتفال مهيب في جامع أبيصوفيا.

رد الأوهام

١٨ مارت ١٣٢٥ رومي

٣١ مارت ١٩٠٩ ميلادي

سأردّ هنا الأوهام الفاسدة التسعة التي أسندت إلى جماعة الاتحاد المحمدي:

الوهم الأول:

إن طرح المسألة الدينية في الأوساط لا يلائم مثل هذا الطرف الدقيق.

الجواب: نحن نحب الدين ونحب الدنيا أيضاً لأجل الدين.. و [لا خير في الدنيا

بلا دين].

ثانياً: ما دامت الحاكمة للشعب في المشروطية فلا بد أن يُثبت الشعب وجوده. وشعبنا مسلم ومسلم فقط. فليست هناك رابطة حقيقية وقوية غير الإسلام بين العرب والترك والكرد والأروناؤوط والجركس واللاز.

إن إهمالاً طفيفاً في الدين أدى إلى إرساء قواعد طوائف الملوك وظهور الجاهليات الميتة قبل ثلاثة عشر قرناً وبالتالي إلى ظهور الفتن والقلاقل. وقد ظهرت فعلاً وشاهدناها.

الوهم الثاني:

إن تخصيص هذا العنوان -أي الاتحاد المحمدي- يجعل غير المتسبين إليه في شك من

أمرهم.

الجواب: وقد قلت سابقاً: فإما أنه لم يُقرأ أو فهم خطأ؛ لذا أضطر إلى التكرار وهو: عندما نقول «الاتحاد المحمدي» الذي هو اتحاد الإسلام، فالمراد هو الاتحاد الموجود الثابت بين جميع المؤمنين بالقوة أو بالفعل. وليس المراد جماعة في إسطنبول أو في الأناضول إذ إن قطرة من ماءٍ تحمل صفة الماء، فلا أحد خارج هذا الاتحاد، ولا يخص هذا العنوان بأحد. وتعريفه الحقيقي هو:

أن أساس هذا الاتحاد يمتد من الشرق إلى الغرب ومن الجنوب إلى الشمال.. ومركزه: الحرمان الشريفان.. وجهة وحدته: التوحيد الإلهي.. عهده وقسمه: الإيمان.. نظامه الداخلي: السنة النبوية الشريفة.. قوانينه: الأوامر والنواهي الشرعية.. مقر اجتماعاته: جميع المدارس والمساجد والزوايا.. ناشر أفكار تلك الجماعة نشرًا خالداً إلى الأبد: جميع الكتب الإسلامية وفي المقدمة القرآن الكريم وتفسيره (ورسائل النور أحد تلك التفسير في زماننا هذا) وجميع الصحف الدينية والجرائد النزيهة التي تهدف إلى إعلاء كلمة الله.. ومنتسبوه: جميع المؤمنين.. رئيسه: فخر العالمين ﷺ.

والآن لنقف عند الصدد وهو: تيقظ المؤمنين وإقبالهم نحو الإسلام ولا ينكر ما للرأي العام من تأثير.. وهدف الاتحاد وقصده: إعلاء كلمة الله.. ومسلكه: الجهاد الأكبر للنفس وإرشاد الآخرين.. وهمة هذه الهيئة المباركة مصروفة بنسبة تسع وتسعين بالمئة إلى غير السياسة من تهذيب الأخلاق واستقامة السلوك وما شابهها من الفضائل والمقاصد المشروعة إذ إن الجمعيات المتوجهة إلى مثل هذه المقاصد نادرة، علماً أن أهميتها جليلة. وهناك واحد بالمئة من المقاصد يتعلق بالسياسة وهو إرشاد السياسيين.. سيوفهم: البراهين القاطعة.. مشربهم: المحبة وإنهاء المحبة المندمجة في بذرة الأخوة الموجودة بين المؤمنين لتصبح شجرة طوبى مباركة.

الوهم الخامس: (١)

ربما ينفر الأجانب من هذا الاتحاد؟

الجواب:

إن من يجد في نفسه هذا الاحتمال جاهل لا محالة إذ يردّ هذا الاحتمال ما يُلقى من خطب ومحاضرات حول الإسلام وعظمته (٢) في مراكزهم وعواصمهم.

ثم إن أعداءنا ليسوا الأجانب. وإنما الذي أردنا إلى هذا الوضع وحال بيننا وبين إعلاء كلمة الله هو مخالفتنا للشريعة الغراء نتيجة «جهلنا» بها، و«الضرورة» التي أثمرت سوء الأخلاق وسوء المعاملات، و«الاختلاف» الذي أنتج الأغراض الشخصية والنفاق، فاتحادنا هجوم على هذه الثلاثة من الأعداء الظلمة.

(١) لعل سبب انتقاله إلى الوهم الخامس هو أن الوهمين الثالث والرابع مندجان ضمن الوهم الثاني، والله أعلم.

(٢) يشير إلى خطبٍ مستر كارلايل وبسارك وأمثالهما.

أما جهل الأجانب بالإسلام في القرون الوسطى، فالإسلام مع اضطرابه إلى معاداة الجهل والهمجية إلّا أنه قد حافظ على العدالة والاستقامة معهم فلم يُر في التاريخ الإسلامي أمثال محاكم التفتيش. ولما قوي ساعد المدنيين في زمن التحضر هذا فقد زال عنهم ذلك التعصب الدميم.

إن الظهور على المدنيين من منظور الدين إنما هو بالإقناع وليس بالإكراه، وبإظهار الإسلام محبوباً وسامياً لديهم، وذلك بالامثال الجميل لأوامره وإظهار الأخلاق الفاضلة. أما الإكراه والعداء، فهما تجاه وحشية الهمجيين.

الوهم السادس:

إن البعض يقول: إن اتخاذ اتحاد الإسلام اتّباع السنة النبوية هدفاً له يحدد من الحرية وينافي الأخذ بمتطلبات المدنية.

الجواب:

المؤمن حرّ في ذاته. فالذي هو عبد لله رب العالمين لا ينبغي له أن يتذلل للناس، بمعنى أنه كلما رسخ الإيمان قويت الحرية.

أما الحرية المطلقة فما هي إلّا الوحشية المطلقة بل هي بهيمية، وتحديد الحرية ضروري من وجهة نظر الإنسانية.

ثالثاً: إن قسماً من السفهاء والمُهمّلين يريدون أن يَظَلُّوا أذلاء أسارى النفس الأمانة بالسوء، فلا يروق لهم العيش الحر.

الحاصل: إن الحرية الخارجة عن دائرة الشرع، إنما هي استبداد أو أسرٌ بيد النفس الأمانة بالسوء، أو بهيمية أو وحشية. فليعلم جيداً هؤلاء الزنادقة والمُهمّلون للدين أنهم لا يستطيعون أن يجيبوا أنفسهم لأي أجنبي كان يملك وجداناً، بالإلحاد والسفاهة، بل لا يمكنهم أن يشبهوا بهم. لأن السفه والذى لا يسير على هدى لا يكون محبوباً، فالثياب اللائقة بامرأة إذا ما لبسها الرجل يكون موضع هزء وسخرية.

الوهم السابع:

إن جمعية اتحاد الإسلام إنما هي لشق الصف بين سائر الجمعيات الإسلامية وتولّد الحسد والنفرة بينها.

الجواب:

أولاً: إن الأمور الأخروية لا حسد فيها ولا تنافر وتزاحم؛ فأياها جمعية حسدت وزاحمت الاتحاد فكأنما تنافق في العبادة وترائي فيها.

ثانياً: إننا نتحد مع الجماعات المتشكّلة بدافع محبة الدين وخدمته وذلك على وفق شرطين اثنين:

الشرط الأول: المحافظة على النظام العام للبلاد والحرية الشرعية.

الشرط الثاني: انتهاز نهج المحبة، وعدم محاولة إظهار مزاياها بانتقاص الجمعيات الأخرى، بل الأولى مراجعة مفتي الأمة وجماعة العلماء فيها إذا ظهر خطأ.

ثالثاً: إن الجماعة التي تهدف إلى إعلاء كلمة الله لن تكون وسيلة لأي غرض مهما كان، وإذا تشبّث بالأغراض فلا مجالها التوفيق قطعاً لأنه نفاق، فشان الحق عالٍ وسام لا يضحى به من أجل أي شيء كان. كيف تكون نجوم الثريا مكانس، أو كيف تؤكل كعناقيد عنب؟ إن الذي يريد أن يطفئ شمس الحقيقة بالنفخ إنما يدلّ على بلاهته وجنونه.

أيتها الصحف الدينية!

إن قصدنا وهدفنا هو اتحاد الجماعات الدينية في الهدف؛ إذ كما لا يمكن الاتحاد في المسالك والمشارب فلا يجوز أيضاً، لأن التقليد يشق طريقه ويؤدي إلى القول: «مالي وما عليّ، فليفكر غيري».

الوهم الثامن:

إن المنتسبين إلى الاتحاد -معنىً وصورة- أكثرهم من العوام وقسم منهم غير معروفين وهذا مدعاة إلى حدوث فتن واختلافات.

الجواب:

إنما ذلك لعدم السماح في هذا الاتحاد بالتمايز بين الناس سواء أكانوا من الخاصة أم من العامة، ثم لأن المرء في الاتحاد يدعو إلى إعلاء كلمة الله فكل ما يقوم به يثاب عليه ثواب عبادة.. ففي جامع العبادة يتساوى الملك والمتسول فلا امتياز، بل المساواة الحققة دستور قائم. لأن الأكرم عند الله هو الأتقى، والأتقى هو المتواضع، فبناءً على هذا يتشرف الشخص بانتسابه إلى هذه الجماعة الخالصة لخدمة الدين والدعوة إلى الآخرة، وإلا فلا يزيد الاتحاد شرفاً، إذ القطرة لا تزيد البحر شيئاً.. ثم إن الإنسان كما لا يخرج عن الإيمان بارتكاب كبيرة، فإن باب التوبة أيضاً مفتوح حتى تطلع الشمس من مغربها. والبحر لا يتنجس بغرفة ماء، بل يطهر اليد فالمنتسب إلى هذا المثال المصغر للاتحاد الإسلامي يشترط عليه اتباع السنة النبوية وإحيائها وامتنال أوامرها واجتناب نواهيها وعدم الإخلال بأمن البلاد ونظامها، فالمجهول الذي انتسب إلى هذا الاتحاد لا يلوّث -قصداً- هذه الحقيقة ما استطاع إليه سبيلاً، وحتى لو كان المرء نفسه مذنباً فإيمانه نزيه مقدس. والرابطة إنما هي بالإيمان ليس إلا.

فتشويه هذا العنوان المقدس بحجج واهية أمثال هذه إنما ينجم عن الجهل بعظمة الإسلام فضلاً عن إظهار هذا المتحجج نفسه أنه أحق الناس.

نحن نردّ بكل ما أوتينا من قوة تشويه سمعة اتحادنا الذي يمثل «اتحاد المسلمين» أو التعريض به مما هو دأب الجمعيات الدنيوية الأخرى، ونحن على أتم استعداد للإجابة عن أي استفسار واعتراض كان.

إن الجماعة التي أنضمَّ إليها إنما هي هذا الاتحاد الإسلامي الذي فصلنا القول فيه. وإلا فليست هي تلك التي يتخيلها المعارضون بخيالهم الباطل.

إن أفراد هذه الهيئة الدينية هم معاً، سواء أكانوا في الشرق أو الغرب أو الجنوب أو الشمال.

سؤال: أنت تذيّل مقالاتك وتمضيها باسم «بديع الزمان» وهذا يومئ إلى المدح؟

الجواب: كلا، ليس للمدح! وإنما أريد أن أبين -بهذا الإمضاء- تقصيري. وتعليلي هو:

أن البديع يعني: «الغريب» فأخلاقي غريبة كمظهري، وأسلوبُ بياني غريب كملاسي، كلها مخالفة للآخرين.

فأنا أرجو بلسان حال هذا العنوان عدم جعل المحاكمات العقلية والأساليب المتداولة والرائجة مقياساً لمحاكماتي العقلية ومحكاً لأساليب بياني.

ثم إن قصدي من البديع هو «العجيب» فلقد أصبحت مصداقاً لما قيل:

[إِلَيَّ لَعْمَرِي فَصُدْ كُلَّ عَجِيَّةٍ كَأَنِّي عَجِيبٌ فِي عُيُونِ الْعَجَائِبِ]^(١)

ومثاله الواضح هو:

لقد جئت إلى إسطنبول منذ سنة ورأيت حوادث وانقلابات تحدث في مئة سنة.

والسلام على من اتبع الهدى.

نقول بلسان جميع المؤمنين وبعدهم: فلتحيا الشريعة الأحمدية

بديع الزمان

سعيد النورسي

أخي رئيس التحرير!^(٢)

على الأدباء أن يتأدبوا، ويتحلوا بالآداب الإسلامية، فلينظم ما في وجدانهم من شعور ديني نظام المطبوعات، فلقد أظهر هذا الانقلاب الإسلامي: أن المهيمن في الوجدان إنها هو الحمية الإسلامية. ولقد عُرِف أن الاتحاد الإسلامي شامل لأهل الإيمان والجيش كافة، فلا أحد خارج عنه.

سعيد النورسي

(١) للمنتبي في ديوانه.

(٢) المقصود: السيد درويش وحدتي. (*)

القطعة الأخيرة من ذيل الذيل

هذه القطعة عبارة عن درسين أُلقيَا على الأفواج الثمانية من الذين قاموا بالعصيان في حادثة ٣١ مارت المشهورة، وعلى أثرهما اقتنعوا بالعودة إلى الولاء. فهانت المصيبة من المثة إلى الواحد.

نُشر هذان الدرسان في الجرائد الدينية سنة ١٣٢٥ رومي - ١٩٠٩م.

إلى جنودنا الأشاوس

٤ نيسان ١٣٢٥ رومي

الجريدة الدينية عدد/ ١٠٧

١٧ نيسان ١٩٠٩م

أيها الجنود الموحّدون الأبطال!

أيها الأبطال الذين أنقذوا هذه الأمة المظلومة والإسلام المقدس من الوقوع في ورطتين

عظيمتين!

إن عزّكم وبهائمكم في الانتظام والانضباط. وقد أظهرتموها في أحلك الظروف وأخرجها وأشدّها اضطراباً. فحياتكم وقوتكم إنما هي في الطاعة. أظهرها هذه الفضيلة المقدسة لأصغر أمرائكم. فإن شرف ثلاثين مليوناً من العثمانيين وثلاثمائة مليون من المسلمين أصبح منوطاً بطاعتكم أنتم.

إن راية الإسلام والتوحيد الإلهي في يد شجاعتكم وبطولتكم. وإن قوة أيديكم المباركة إنما هي في الطاعة. فضباطكم هم كآبائكم المشفقين، وقد ثبت بالقرآن والحديث والحكمة والتجربة: أن طاعة الأمر في الحق فرض. فكما تعلمون، أن ثلاثين مليون لم يتمكنوا أن يقوموا بمثل هذين الانقلابين خلال مائة سنة.

ولقد جَعَلْتُ قُوَّتكم التي تنبعث من طاعتكم الأمة الإسلامية في شكران وتقدير، وإن إدامة هذا الشرف والحفاظ عليه إنما هو في طاعتكم لضباطكم.

وأنا أعلم أنكم لم تتدخلوا في الاضطرابات لئلا تجعلوا ضباطكم مسؤولين وهم كآبائكم الرحماء بكم.

أما الآن فلقد انتهى الأمر. فارتموا في أحضانِ شفقة ضباطكم ورحمتهم. إن الشريعة الغراء تأمرنا هكذا. إذ الضباط هم أولو الأمر. فمن جهة مصلحة الوطن والأمة - ولا سيما في النظام العسكري - إطاعة أولى الأمر فرض، والحفاظ على الشريعة المحمدية إنما هو بالطاعة.

سعيد النورسي

خطاب إلى الجنود

٧ نيسان ١٣٢٥ رومي

الجريدة الدينية عدد ١١٠

٣٠ نيسان ١٩٠٩ م

يا عساكر الموحدين! إني أبلغكم أوامر سيد العالمين ﷺ:

إن طاعة أولى الأمر ضمن الدائرة المشروعة فرض. فأولياء أموركم وأساتذتكم ضباطكم.

إن الثكنات العسكرية أشبه ما تكون بمعمل عظيم منتظم؛ إذا اختل دولا من العمل، يؤثر في خراب المعمل بأكمله.

إن مصنعكم العسكري القوي المنظم نقطة استناد واعتماد ثلاثين مليوناً من العثمانيين وثلاثمائة مليون من المسلمين ونقطة استمدادهم.

إن قتلكم لاستبدادين عظيمين دون إراقة دم كان أمراً خارقاً. ولأنكم قد أظهرتم معجزتين للشريعة الغراء. فقد أظهرتم لضعفاء العقيدة قوة الحمية الإسلامية وقدسيتها الشريعة في برهانين اثنين.

ولو كنا نضحى بألوفٍ من الشهداء في سبيل هذين الانقلابين لكننا نعدّها ضئيلة، ولكن لو ضُحّيَ بجزءٍ من ألفٍ جزءٍ من طاعتكم فهو غال جداً. لأن تناقص طاعتكم يولد الموت، كتناقص الحرارة الغريزية والعقدة الحياتية.

إن تاريخ العالم يشهد أن تدخل الجنود في السياسة قد أدّى إلى أضرار جسيمة للدولة وللأمة معاً. فلا بد أن حميتكم الإسلامية ستَضُرّ فكم عن مثل هذه الأضرار التي تصيب حياة الإسلام التي تكفلتم بحفظها.

إن الذين يفكرون في السياسة هم بمثابة قوتكم المفكرة من أولياء الأمور والضباط. إن ما تظنونّه - أحياناً - من ضرر يصبح خيراً، لأنه يدفع ضرراً أكبر في السياسة. فضباطكم حسب تجاربهم يرون هذا الأمر ويأمرونكم به. فعليكم الطاعة دون تردد، إذ لا يجوز التردد والتلكؤ.

إن الأفعال غير المشروعة الخاصة لا تنافي المهارة والخدافة في الصنعة ولا تجعل الصنعة غير مرغوب فيها. فالطبيب الحاذق مثلاً أو المهندس الماهر إذا ما تصرف تصرفاً غير مشروع فلا يؤدي ذلك إلى ترك الاستفادة مما لديه من طب أو هندسة، كذلك فن الحرب، فضباطكم المجربون والمهايرون المنورون فكراً بالحماية الإسلامية، إذا قام بعضٌ منهم بأمر غير مشروع لا يجوز أن يؤدي ذلك إلى عدم طاعتهم وعصيانهم لأن فن الحرب مهارة مهمة.

إن الشريعة الغراء التي هي قوام حياتكم قد ابتلعت الجمعيات التي نُشئت الأفكار وتفرّق الناس. فهي كاليد البيضاء لسيدنا موسى عليه السلام أرغمت السحرة على السجود.

إن أعمالكم كانت علاجاً لهذه الحركات الانقلابية. فإذا ما زادت قليلاً انقلبت سماً قاتلاً وأدت بالحياة الإسلامية إلى أمراض جسام. ثم إن ما فينا من استبداد قد زال بهمتكم، ولكن نحن لا زلنا تحت الاستبداد المعنوي لأوربا في مضمار الرقي.

فلا بد من الالتزام بأقصى درجات الحذر والسكينة والهدوء.

فلتحيا الشريعة الغراء، فليعيش الجنود.

الخطوة الست

تأليف
بديع الزمان سعيّد النورسي

ترجمة وتحقيق
إحسان قاسم الصالح



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نبذة تاريخية

بينما كانت رحى الحرب دائرة في معارك ضارية وتسيل دماء الألوف من المسلمين رخيصة في سبيل الدفاع عن مركز الخلافة «إسطنبول»، بدأ الحلفاء ولا سيما الإنكليز بشن حرب نفسية وإشاعة أفكار مضللة تمس عقيدة الأمة، فانبث أعوانهم وجواسيسهم في أرجاء إسطنبول يُلقون بألستهم تلك الشبهات المغرضة وينشرونها في أوساط العامة والخاصة، ضمن حرب هادفة تحطم الروح المعنوية للمسلمين.

ولما شاهد الأستاذ النورسي سريان هذه الأفكار المسمومة في هذه الحرب الماكرة التي استطاعت استمالة قسم من العلماء إلى صف الإنكليز، قام بتأليف هذه الرسالة: «الخطوات الست» مبنياً فيها مكاييد الغزاة المحتلين، داحضاً شبهاتهم ووساوسهم الشيطانية، مُبعداً عن المسلمين مشاعر اليأس والقنوط.

وطُبعت الرسالة سراً، ونُشرت وهي لا تحمِل اسم المطبعة ولا سَنَة الطبع، وقام محبو الأستاذ وتلاميذه بنشرها في أوسع نطاق في خفاء تام.

ولنلق الآن نظرة سريعة على تلك الأحوال التي واكبت تأليف الرسالة ونَشَرها ومدى تأثيرها:

في ١٣ تشرين الثاني سنة ١٩١٩م دخلت خمس وخمسون سفينة حربية من أساطيل الحلفاء إسطنبول، حسب هدنة «موندروس». وصلت هذه السفن إلى البسفور أمام قصر «دوله باغچه» ووجهت مدافعها نحو قصر الخليفة «السلطان وحيد الدين» الذي أصبح في حكم الأسير.

هكذا داست أقدام جنود أربع دول محتلة إسطنبول. وخرجت الأقليات غير المسلمة ترحب بجنود الاحتلال وتصفق لهم، فاليهود والأرمن بدأوا يجوبون الشوارع ويلوحون

بقبعاتهم لهؤلاء المحتلين وينثرون عليهم الورود. أما الروم فقد كانوا يحملون أعلام اليونان الصغيرة ويهتفون: زيتو . زيتو . أي يعيش . يعيش .

وبين مظاهر فرح اليهود والأرمن والروم وهتافاتهم وتصفيقاتهم اخترق القائد الفرنسي الجنرال «فرانس دوبر» شارع «بك أوغلو» متوجهاً إلى السفارة الفرنسية ممطياً جواداً أبيض، وملوحاً بيديه لهؤلاء المستقبلين، مقلداً في ذلك الفاتحين العظماء في التاريخ. بل لم يتورع من وطء العلم العثماني بحوافر جواده.

أما المسلمون فقد كانوا يشاهدون هذه المناظر بقلوب جُرحت وعيون تجمدت في مآقيها الدموع، ويطوون هذه الآلام في أعماق قلوبهم.

ولم تكن إسطنبول هي المدينة الوحيدة التي احتلتها دول الحلفاء. بل تم احتلال مدن أخرى كثيرة، احتلتها الأرمن والإيطاليون والإنكليز واليونان والروس حيث سُرَّح الجيش العثماني من الخدمة بموجب تلك المعاهدة المذكورة ولم يبق إلا الأناضول (وسط تركيا) سالماً من الاحتلال.

وهكذا امتلأت شوارع هذه المدن بجنود سكارى يعربدون ويصخبون ويفسدون كيفما شاؤوا. ويحجم على الأحياء الإسلامية حزنٌ صامت.

في هذا الجو القاتم كان الأستاذ النورسي يشعر بألم عميق، وكان أصدقاؤه يحاولون التسرية عنه والتخفيف من شدة آلامه. وهو يقول لهم والأسى يعصر قلبه:

«لقد تحملتُ آلامي الشخصية كلها. ولكن آلام الأمة الإسلامية سحقتني، إنني أشعر بأن الطعنات التي وجهت إلى العالم الإسلامي، أنها توجه إلى قلبي أولاً. ولهذا ترونني مسحوق الفؤاد. ولكني أرى نوراً سيُنسِننا هذه الآلام إن شاء الله».

ومع أن الجانب العسكري والمادي للدولة العثمانية قد انهذ أمام الحلفاء، إلا أن الحرب النفسية ما زالت دائرة، فالإنكليز ما فتئوا يزاولون بث الأفكار والشبهات كي يكون النصر ساحقاً وكاملاً ونهائياً من دون أن يكون هناك احتمال للمقاومة، فيجب أن تُسلم الضحية رقبتهَا برضاها إلى جلاذيتها دون تدمير.^(١)

(١) سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة - تأليف أورخان محمد علي - باختصار.

وما إن دخل القائد الإنكليزي إسطنبول حتى سُلمت له رسالة «خطوات ستة» التي تهاجمهم بعنف وتفند أباطيلهم وتشد من عزائم المسلمين.. وعُرض عليه نشاط «بديع الزمان» الدائب في فضح سياسة المحتلين وتأليب الناس عليهم.

قرر القائد الإنكليزي إعدام الأستاذ النورسي، ولكن عندما أُعلم أن هذا القرار سيثير غضب الأمة كلها ويزيد سخطها، وسيدفعهم إلى القيام بأعمال عدائية مهما كلفهم ذلك، تخلى عن قرار الإعدام، إلّا أن سلطات الاحتلال لم تَقُتر عن ملاحقة الأستاذ.

ولما سمع قواد حركة التحرير في الأناضول بتأثير هذه الرسالة في أوساط العامة والخاصة، وعن أعمال «بديع الزمان» ضد المحتلين في إسطنبول دَعَوْه إلى «أنقرة» مرتين تقديراً لأعماله البطولية وخدماته الجليلة نحو الأمة والبلاد. إلّا أن الأستاذ النورسي أثر البقاء في إسطنبول يجابه الأعداء مباشرة ورفض الدعوة قائلاً:

«إنني أريد أن أجاهد في أكثر الأماكن خطراً، وليس من وراء الحنادق، وأرى أن مكاني هذا أخطر من الأناضول».

كتب الأستاذ النورسي هذه الرسالة بالتركية، وطُبعت من دون الإشارة إلى اسم المطبعة وسنة الطبع كما ذكرنا، ثم عرّبها بنفسه وطبعها في مطبعة «أوقاف إسلامية» بإسطنبول سنة ١٣٣٦هـ-١٣٣٨ رومي، في كتيب يضم «الخطبة الشامية» و«سنوحات». وقام طلاب النور بإعادة طبعها سنة ١٩٥٨ في مطبعة النور بأنقرة. والطبعتان مليّتان بأخطاء إملائية ومطبعية.

قابلتُ النصّين التركي والعربي، ووجدتُ أن عبارات النص التركي أوضح من النص العربي وفيه زيادات طفيفة، فاستخلصت منهما هذا النص الذي يستوعب النص التركي معنيّ، ويكاد يطابق النص العربي مبنيّ.

والله نسأل أن يوفقنا إلى حسن القصد وصحة الفهم وصواب القول وسداد العمل،
وصلّ اللهم وسلم على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إحسان قاسم الصالحي

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ (البقرة: ١٦٨)

اعلم! أن لكل زمان شيطاناً إنسياً، هو وكيل الشيطان وقد لبس صورة إنسانٍ فردٍ أو روح جماعة. وعزازيل^(١) زماننا هو الروح الغدار الذي نَشَر الفساد في جوانب العالم بسياسته الفتناء، فيفسد العالم الإسلامي بـ«خطوات ست»؛ إذ يتحرى في الأناسي وفي الجماعات المنابع الخبيثة، فيستعملها لأغراضه، ويتوسم في الطبائع المعادن المضرة فيستخرجها ويستخدمها لمصلحه بوساوسه الفعلية أي بدعاياته وإشاعته. ويتفطن في النفوس إلى الأعصاب الضعيفة والعروق الواهية التي لا تقاوم، فيحرّكها لمفاسده، فيستعمل من بعض: حرص الانتقام.. ويجرك من بعض حرص الجاه.. ويهيج من بعض: حس الطمع.. ويستغل من بعض: الحمق.. ومن بعض الإلحاد.. وهكذا، ومن العجيب أنه يستغل من بعض التعصب، فيتخذ كل ذلك وساطة لإنفاذ سياسته.

الخطوة الأولى

إنه يوسوس بالذات، أو بالوسيلة، فيقول صراحةً أو يجعل غيره يردد ما يقوله:

أنتم تعترفون أنكم مستحقون لهذه المصيبة، فالقدرُ الإلهي يعدل ولا يظلم، إذن فارضوا بها أعاملكم به، لأنني وسيلة لما استحققتم.

نردّ هذه الوسوسة والشبهة، فنقول:

إن القدر الإلهي يصيبنا بمصيبة بسبب عصياننا لأوامر الله. فالرضى بها قدر الله هو عين التوبة عن سبب المصيبة، وهو الذنوب. ولكنك أيها الواسط الملعون تظلمنا لكوننا مسلمين، وتصيبنا بظلمك لإسلامنا، لا لذنوبنا ومعاصينا، فالرضى بها تعمل، وإطاعتك طوعاً إنما هو ندامة عن الإسلام وإعراض عنه والعياذ بالله.

(١) عزازيل: اسم للشيطان.

نعم، إن الشيء الواحد يكون ذا جهتين؛ فهو مصيبة من جهة القدر، فتكون عدالةً، لترتبها على السبب الباطن من ذنوب وشرور فيُنزلها القدرُ الإلهي زجراً عنها. فالرُضى بهذه المصيبة -من هذه الجهة- متضمن للندم من الذنوب.

والشيء نفسه يجيء من جهة البشر في الوقت نفسه، فيظلم البشر، لأن السبب عنده ليس كوننا مذنبين، بل كوننا مسلمين. فالرُضى به من هذه الجهة أعظم الجنايات.

الخطوة الثانية

يوسوس بالذات أو بالوساطة، فيقول:

بأنكم قد اتفقتُم مع من هو مثلي في الكفر،^(١) فَلِمَ تتجنبون من المصافاة معي وموالياتي؟
نقول رداً على هذه الشبهة:

نحن نقبل يدَ المعاونة، ولا نقبل يدَ المعاداة فهما شيئان متغايران، لأن كل صفة من صفات الكافر ليست بكافرة أو ناشئة من كفره، لذا لا مشاحة في مصافحة يد الكافر الذي مدها لمعاونة الإسلام، وذلك لدفع عدو الإسلام المعتدى العريق. بل قبولُها إنما هو خدمة للإسلام. أما أنت أيها الكافر الملعون فتمد يد الخصومة التي لا تهدأ، وتريد منا تقبيلها مع الاستسلام. ونحن نعلم أن مسها -فضلاً عن تقبيلها- جنايةٌ على الإسلام وعداء له.

الخطوة الثالثة

يوسوس بالذات أو بالوساطة فيقول:

إن من ساسوكم إلى الآن أفسدوا واستهانوا بحقوقكم وشوشوا عليكم الإدارة وظلموكم، إذن فلستم أهلاً للإدارة، فاتخذوني وصياً عليكم وارضوا بحكمي وإدارتي شؤونكم.

نرد هذه الشبهة فنقول:

أيها الموسوس الخناس! إن السبب الأصلي للسيئات التي ارتكبتها رؤساءُ أمورنا ما هو

(١) المقصود: الألمان الذين كانوا حلفاء الدولة العثمانية.

إلا أنت، لأنك قد ضيقت عليهم الدنيا، وقطعت في كل فرصة مجاري حياتهم، وبثت بينهم أولادك غير الشرعيين، وأجبرتهم على ترك الدين للدنيا إذ تنكحهم مدنية لا تأخذ مهرها إلا من دينهم ولا تُعيّن حاكماً إلا وقد أخذت منه دينه رشوة لقاء منصبه.

ومع ذلك فلو حكمتناك فينا بدلاً منهم، نصير كمن تنجس ثوبه بهاء نجس فيغسله ببول الخنزير.

إنك لا تُبقي لنا إلا حياة حيوانية مؤقتة، وتقتل فينا حياتنا الإنسانية والإسلامية.
أما نحن فنحيا - على رغمك - بحياة الإسلام وشرف الإنسانية.

الخطوة الرابعة

يوسوس بالذات أو بالوساطة، فيقول:

إن الذين يخاصمونني من أولياء أموركم في الأناضول،^(١) نيتهم فاسدة ومقصدهم ليس مقاصدكم الإسلامية عينها.

نرد هذه الوسوسة فنقول:

إنهم وسائل، وتأثير النيات في الوسائل قليل، إذ لا تغير حقيقة القصد. لأن المقصود يترتب على وجود الوسيلة وليس على ما فيها من نية.

فمثلاً: إني أحفر أرضاً لاستخراج الماء أو للعثور على كنز، وجاء أحدهم وعاونني في الحفر بنية ستر نفسه في الحفرة أو بدفن شيء فيها، فنيته هذه لا تؤثر في وجدان الماء ولا الكنز، لأن خروج الماء يتوقف على فعل الحفر وليس على نية الحافر وقلبه.

نعم، إن قصد المخاصمين لك وهدفهم هو توجيه المسلمين شطر الكعبة لا إلى الغرب، والحفاظ على مكانة القرآن الرفيعة ذلك الكتاب الأمر بإعلاء كلمة الله بالعزة الإسلامية. فهم يقيمون خصومة أوروبا مقام محبتها التي هي أساس كل مشاكلنا وسوء أخلاقنا. فكيفما تكن نيتهم لا تغير حقيقة هذه المقاصد الثابتة.

(١) المقصود: قواد حركة التحرير الذين بدؤوا بجمع الشعب وتنظيمهم لأجل دفع المستعمرين عن البلاد.

الخطوة الخامسة

يقول بنفسه أو بوسائله:

إن الإمام -أي الخليفة- يؤيد سياستنا ويميل إلى الودّ معنا، وأمره مطاع!

فنرد هذه الشبهة:

إن ميل الشخص نفسه وأمره الخاص وفكره الذاتي، مغايرٌ تماماً للميل الحاصل من الشخصية المعنوية لأمر أمين الأمة المتقلد أمانة الإمامة والخلافة؛ فهذه الإرادة تنبثق من عقل وتستند إلى قوة وتتوجه إلى مصلحة العالم الإسلامي.

أما عقله فهو شورى الأمة، وليس شبهتك ووسوستك! وقوته هو جيشه المسلح وأمته الحرة، وليس سلاحك وحرابك. والمصلحة إنها تتوجه من المحيط الإسلامي إلى المركز، فترجّح الفائدة العظمى للإسلام والمسلمين على المصالح الشخصية. وإلا لو انعكس الأمر ورجحت -عند التعارض- مصلحة القريب على المصلحة العظمى، كترجيح سرير السلطنة على إسطنبول وهي على الأناضول وهو على الدولة وضّحي بالعالم الإسلامي لأجل الدولة، فهذا الترجّح لا يطاع. وهو أمر غير وارد أصلاً. فالسلطان المتدين، وحيد الدين لو أصبح أفعرج إنسان، فلا يمكنه أن يقوم بهذا الأمر بإرادته لسبب واحد هو أنه يحمل اسم الخليفة، فإن قام به فلا يقوم إلا مكرهاً. فطاعته عند ذاك بترك طاعته.

الخطوة السادسة

إنه يوسوس فيقول:

إن مقاومتك لا فائدة فيها ولا جدوى منها، إنكم تلقون أنفسكم بأيديكم إلى التهلكة، اذ كيف تقتدرون وحدكم على ما لم تقتدروا عليه مع حلفائكم؟

فنرد هذه الشبهة:

إن قوتك العظيمة المخاصمة لنا، إنها تتهاusk متخاذلة على رجلي الحيلة والإفساد، فلا نياس لأسباب ثلاثة:

الأول: أن الحيلة والإفساد إنها تؤثران إذا استترتا تحت حجاب الخفاء والغفلة، فإذا ما تظاهرتا أفلستا، وانطفأت قوتهما.. وها قد تمزق الحجاب تمزقاً صير كذبك وهذيانك وإفسادك أضحوكة وشيئاً عقيماً لا يؤثر في شيء.

الثاني: أن قوتك المأفونة المنخورة المخاصمة لنا ليست بلا أعداء إذ تُقابلها أعداء لا يقبلون الائتلاف معك أبداً، مما يقضي عليها ويجعل تسعين بالمئة منها معطلة لا نفع فيها. أما بقية قوتك فلا يمكنها أن تديم - كما أدامت في الماضي - استبدادات قائمة تجثم على عالم الإسلام وتسكته بكمم الأفواه وتأسره حتى تتركه دون حراك، ذلك العالم اليقظ الذي تشترك أجزاؤه في الداء والدواء.

فهذا احتمال بعيد جداً، إن اعتقدته فإنك إذن أخط من الدابة وأحمق من الحمار مع أنك شيطان خبيث.

الثالث: إن كان لابد من الهلاك بيدك فالموت بعزة حياة لنا، والحياة بذل هي الموت بعينه. والموت على نوعين وصورتين:

أحدهما: التسليم والتذلل تحت أقدامك، فحينها نكون قاتلين لروحنا ووجداننا بأيدينا. ثم يقتل الخصم جسداً كأنه قصاص لقتلنا الروح والوجدان.

والنوع الثاني: أن يحافظ المرء على وجدانه ويقاوم خصمه، ويبصق في وجهه ويُززل صفعته على عينه، فيحيا الروح والوجدان، ويستشهد الجسد، وتتزه الفضيلة عن الرذيلة والعقيدة عن الاستخفاف وعزة الإسلام عن الاستهزاء.

وحاصل الكلام:

إن محبة الإسلام توجب عداؤكم وخصومتكم، إذ كيف يصالح جبرائيل (عليه السلام) عزازيل (الشيطان)!

إن أشد العقول بلاهة عقل يرى إمكان التوفيق والتلاؤم بين أطماع (الإنكليز) ومنافعهم وبين عزة الإسلام ومصلحته.

وإن أكثر القلوب حماقة قلب يظن إمكان الحياة تحت حمايتهم إذ يعلقون حياتنا بشرط

محال في محال، إذ يقولون: احيوا حياةً ولكن بشرط ألا تُرى في فرد منكم خيانهٌ ولا ندمٌ عليكم الديار ونمحُ المتهم والبريء معاً.

فلو تحدى ظلمهم صادقٌ لوجه الحق، والتجأ إلى جامع أياصوفيا، فلا يتخرجون من هدم ذلك البناء الشامخ الذي لا يقدر بثمن. وإذا ما وُجد في قرية من يقاومهم فلا يرون بأساً من إبادة القرية كاملة بشيبيها وشبابها إذ يرون أن لهم صلاحيةً إفناء جماعةٍ برمتها إذا كان فيها من يضرهم. فتباً لمدينةٍ خوّلتهم هذه الصلاحية.

إذن أفيمكن أن يتفق قلبٌ مع قلبٍ من يتلذذ بغرز خنجر الظلم فيه؟

أفيمكن أن لا يوجد مشاغِبٌ في مدينة أو قرية أو جماعة؟ فكيف يمكن إذن إدامة حياة إنسانٍ مريضٍ مقيد، سُلب منه عصاه، وسُلب عليه كلبان ذوا مخالب وأنياب.

إن (الإنكليز) كالشيطان الرجيم يثير أحاسيس الإنسان الخبيثة ويشجع الأخلاق الرذيلة في حين يطفئ جذوة المشاعر النبيلة.

وإن ما يظهره هذا العدو من حقدٍ دفين لا يسكن ليس هو نتيجة الحرب الحالية لأن انهماكنا كان كافياً لتسكينه كما سكن لدى الآخرين!..

فيا أيها المسلمون، أفبعد كل هذه الأحوال تنخدعون؟ أفبعد ما رأيتم من قرب قبَح الكفار وشناعتهم -بعد ما كان يُرى جميلاً من بعيد- تستحسنون ما استقبحه الشرع والعقل ومصلحة الإسلام.

استعيذوا بالله من همزات الشيطان، والتجئوا إليه متضرعين نادمين وتوسلوا برحمة الرحمن الرحيم.

نبذة عن بعض الأعلام

إبراهيم حقي: (١٧٠٣-١٧٨٠م) ولد في إحدى قرى أرضروم شرقي الأناضول تلقى العلوم على علماء أرضروم حتى بلغ إلى أن نظم الشعر في ثلاث لغات. انتسب إلى الشيخ فقير الله في «تبللو» من أقضية «سعد» سنة ١٧٢٨ ثم تولى التدريس والوعظ والإرشاد. ألف عدة كتب منها «لب الكتاب» في مشاهير الشعراء والمفكرين في سبع مجلدات وأشهر كتابه «معرفتنامه».

ابن سينا: (٣٧٠-٤٢٨هـ/ ٩٨٠-١٠٣٧م) الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، الفيلسوف الرئيس، صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعات. مولده في إحدى قرى بخارى. ونشأ وتعلم فيها، وطاف البلاد، وناظر العلماء، وتقلد الوزارة في همدان. أشهر كتبه «القانون» بقي معولاً عليه في علم الطب وعمله، ستة قرون، وترجمه الفرنج إلى لغاتهم، وكانوا يتعلمونه في مدارسهم.

ابن همام: (٧٩٠-٨٦١هـ) (١٣٨٨-١٤٥٧م) محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد ابن مسعود، إمام من علماء الحنفية، عارف بأصول الديانات والتفسير والفرائض والفقه والحساب. توفي في القاهرة. من كتبه (فتح القدير) في شرح الهداية في ثمان مجلدات في فقه الحنفية و(التحرير) في أصول الفقه.

الأخضري: (٩٢٠-٩٨٣هـ/ ١٥١٢-١٥٧٥م) هو عبد الرحمن بن سيدي محمد الصغير الأخضري البنطوسي البسكري الجزائري المالكي له «الجواهر المكنون» في ثلاثة فنون منظومة. الدرة البيضاء أرجوزة. الدرة البيضاء في أحسن الفنون والأشياء. السلم المرونق في المنطق منظومة. دفن بمسقط راسه بنطوس.

أفلاطون: (٤٢٧-٣٤٧ ق.م) فيلسوف يوناني قديم، وأحد أعظم الفلاسفة الغربيين. عرف من خلال مخطوطاته التي جمعت بين الفلسفة والشعر والفن. كانت كتاباته على شكل حوارات ورسائل. أصبح تلميذا لسقراط وتعلق به كثيرا.

أنترانيك: (١٨٦٥-١٩٢٧م) رئيس منظمة الطاشناق الأرمنية، أشغل الدولة العثمانية مدة طويلة من الزمن بعدد من ثوراتها ضد الدولة.

أنور باشا: (١٨٨١-١٩٢٢م) كان وزيراً للحربية في حكومة الاتحاد والترقي سنة ١٩١٣ ونائباً للقائد العام للقوات المسلحة حيث كان السلطان هو القائد العام. هرب إلى ألمانيا بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ومنها إلى تركستان وشكل جيشاً لمقاومة الروس واستشهد في إحدى المعارك.

البزدوي: فخر الإسلام (٤٠٠-٤٨٢هـ) (١٠١٠-١٠٨٩م) علي بن محمد بن الحسين فخر الإسلام البزدوي فقيه أصولي من أكابر الحنفية، من سكان سمرقند نسبته إلى «بзде» قلعة بقرب «نسف». له تصانيف منها: «كنز الوصول» في أصول الفقه، يعرف بأصول البزدوي، و«تفسير القرآن» كبير جداً، و«غذاء الفقهاء» في الفقه.

بسمارك: (١٨١٥-١٨٩٨) من مشاهير السياسيين الألمان وأحد الذين حققوا الوحدة الألمانية. وجعلوها في مقدمة الدول في القرن التاسع عشر.

تحسين: (العالم) (١٨١١-١٨٨١) اسمه حسن تحسين بن عثمان المدرس. ولد في قرية نينات المتاخمة حالياً للحدود التركية اليونانية. درس على والده العلوم ثم قدم إسطنبول وأكمل دراسته ثم أرسل إلى أوروبا فتولى التدريس في المدرسة العثمانية بباريس، وهناك وجد الفرصة لينهل من العلوم الحديثة، وصادق جمعية العثمانيين الجدد بعيداً عن السياسة. ولما عاد تولى إدارة دار الفنون (الجامعة) بإسطنبول. توفي في شهر تموز عن مرض السل.

التفتازاني: مسعود بن عمر بن عبد الله (٧١٢ أو ٧٢٧-٧٩٣هـ) ولد بتفتازان بخراسان. إمام في العربية والمنطق والفقه، سعى لإحياء العلوم الإسلامية بعد كسوفها بغزو المغول فألف كثيراً من أمهات الكتب. حتى إنه يعدّ الحد الفاصل بين العلماء المتأخرين والمتقدمين. من كتبه «تهذيب المنطق» و«شرح المقاصد» و«شرح العقائد النسفية» و«المطول».. وكتابه «التلويح في كشف حقائق التنقيح» في الأصول شرح فيه كتاب «التوضيح في حل غوامض التنقيح» للعلامة عبيد الله بن مسعود المحبوبي (ت ٧٤٧هـ). توفي في سمرقند رحمه الله

توماس كارلايل: (١٧٩٥-١٨٨١م) كاتب ومؤرخ وفيلسوف إنكليزي، أراد والده البناء أن يكون ابنه قسيساً إلا أن كثرة شكوكه حول الدين حالت دون ذلك، مرّ بمعاناة نفسية دامت زهاء سبع سنوات، انتهى به المطاف بالاستقرار على مسائل الإيمان. ألقى سلسلة من المحاضرات، تناول في إحداها عظمة الرسول ﷺ، وأثنى عليه وبيّن أنه النبي الحق ودحض افتراءات كثيرة. جمع تلك المحاضرات في كتابه المشهور «الأبطال». أوصى بتوزيع ثرواته إلى الطلاب الفقراء، وإيداع مكتبته في جامعة هارفرد الأمريكية. ترك آثاراً عميقة في ثقافة الإنكليز ونظرتهم إلى العالم.

جلال الدين الرومي: (٦٠٤-٦٧٢هـ/١٢٠٧-١٢٧٣م) عالم بفقہ الحنفية والخلاف وأنواع العلوم، ثم متصوف صاحب «المنثوي» المشهور بالفارسية المستغني عن التعريف في ستة وعشرين ألف بيت، وصاحب الطريقة المولوية. ولد في بلخ (بفارس). استقر في «قونية» سنة ٦٢٣هـ عرف بالبراعة في الفقه وغيره من العلوم الإسلامية، فتولى التدريس بقونية في أربع مدارس بعد وفاة أبيه سنة ٦٢٨هـ. من مؤلفاته: ديوان كبير، فيه ما فيه، مکتوبات.

جلال الدين خوارزم شاه: (١٢٣١-١٠٠٠م) هو الحاكم السابع والأخير لامبراطورية خوارزم. تصدى لأول مرة لجيش جنكيز خان، وشتت جيش أحد قواده، وفي سنة ١٢٢١ شتت أيضاً جيشاً كبيراً للمغول. ولكن اضطر إلى الانسحاب إلى الهند لتوالي هجوم المغول. في سنة ١٢٢٤ أحيا امبراطورية خوارزم في إيران أدت انتصاراته إلى توجس السلاجقة والدولة الأيوبية منه. فلم يجد منها عوناً. وفي سنة ١٢٣١ اضطر إلى الانسحاب امام المغول إلى جبال طوروس واغتيل هناك.

حسن فهمي: (١٨٧٥-١٩٠٩م) صحفي معروف بمعارضته لجمعية الاتحاد والترقي. تم اغتياله فوق جسر «غلطة» من قبل هذه الجمعية. وأثار اغتياله استياءً عاماً ونقمة ضد الاتحاديين. حسين الجسر: (١٢٦١-١٣٢٧هـ/١٨٤٥-١٩٠٩م) عالم بالفقه والأدب، من بيت علم في طرابلس الشام. له نظم كثير. دخل الأزهر سنة ١٢٧٩هـ واستمر إلى سنة ١٢٨٤هـ، وعاد إلى طرابلس فكان رجلها في عصره، علماً ووجاهة، وتوفي فيها. من مؤلفاته: الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الإسلامية، الحصون الحميدية (في العقائد الإسلامية).

خير الدين بارباروس: (١٤٧٥-١٥٤٦م) كان قائد أساطيل عثمانية ومجاهداً بحرياً. ولد في جزيرة لسبوس.... خلف أخاه في جهاده ضد الإسبان، وتابع عملياته البحرية حتى تمكن من طردهم من الجيوب التي أقاموها على ساحل الجزائر، وتمكن من غزو السواحل الإسبانية، ثم قام من جلائل الأعمال؛ حيث أنقذ سبعين ألف مسلم أندلسي من قبضة الإسبان الذين كانوا يسومونهم سوء العذاب، فنقلهم في سنة (٩٣٦هـ-١٥٢٩م) على سفنه إلى شمالي إفريقيا.

درويش وحدتي: رئيس جريدة «فولقان» -أي البركان- أصله من قبرص، كان ينشر مقالات عنيفة ضد الاتحاد والترقي مثيراً العواطف، فكان الأستاذ النورسي يتردد إليه في إدارة الجريدة وينبهه على تهوره، إلا أنه لم ينتفع بنصائحه فساقته عواطفه وتهوره إلى الإعدام.

ديكارت: (رينة) (١٥٩٠-١٦٥٠م) فيلسوف ورياضي وفيزيائي فرنسي. تقوم فلسفته على التحرر من الفلسفة التقليدية المدرسية. اشتهر بمقولته: «أنا أفكر إذاً أنا موجود»، كما استنتج وجود الله من مجرد تصورنا لكماله الإلهي. كانت لكتبه بالغ الأثر في الفكر الأوروبي.

رستم بن زال: (رستم پسر زال) هو حسب الأسطورة الفارسية فارس ومغامر تغنى به الفردوسي في ملحمة الشاهنامه. ومآثره ملء القصص الفارسي، واسمه مرّد في الشعر القديم والحديث.

الزخشي: (٤٦٧-٥٣٨هـ) هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزخشي جار الله. ولد بزخشر، إمام عصره في اللغة والتفسير، له «الكشاف عن حقائق التنزيل» و«الفائق في غريب الحديث» و«المفصل» في النحو و«أساس البلاغة» وغيرها. توفي بعد رجوعه من مكة المكرمة.

سعدى الشيرازي: (٦٠٦-٦٩٠هـ) هو مشرف الدين بن مصلح الدين من شعراء الصوفية الكبار، ومن أرقهم تعبيراً، ولد في مدينة «شيراز»، قدم بغداد استكمالاً لدراساته في علوم الدين في المدرسة النظامية، كان من مريدي الشيخ عبدالقادر الكيلاني، قضى ثلاثين سنة من عمره في الأسفار ونظم الشعر، وكتابه «كلستان-روضة الورد» مشهور، ترجمه الشاعر محمد الفراقى إلى العربية.

سعيد حليم: (١٨٦٣-١٩٢١م) كان رئيساً للوزراء عندما كان أنور باشا وزيراً للحرية. أدين مع سبع وستين من رفقاته بإقحامهم الدولة العثمانية في الحرب العالمية. فنفي إلى جزيرة «مالطة» وظل فيها سنتين، ثم التجأ إلى إيطاليا حيث حظر دخوله إلى تركيا ومصر؛ إذ كانت تحت الاحتلال البريطاني. اغتاله شخص أرمني في ٦/١/١٩٢١ قرب روما.

السكاكي: (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) هو أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر من أعلام البلاغة، مؤلف كتاب «الفتاح» الذي يعد أوسع ما كتب في البيان في زمانه وله شروح كثيرة. وضع علوم البلاغة في قالبها العلمي. مولده ووفاته بخوارزم.

السلطان رشاد: (١٨٤٤-١٩١٨م) هو السلطان محمد الخامس الملقب بالسلطان رشاد تولى السلطنة بعد عزل أخيه السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٩٠٩م.

الشافعي: (١٥٠-٢٠٤هـ / ٧٦٧-٨٢٠م) أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، ولد في غزة بفلسطين وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين، وزار بغداد مرتين، وقصد مصر سنة ١٩٩ هـ فتوفي بها، وقبره معروف في القاهرة، وكان من أحذق قريش بالرمي برع في ذلك أولاً كما برع في

الشعر واللغة وأيام العرب ثم أقبل على الفقه والحديث وأفتى وهو ابن عشرين سنة، وله تصانيف كثير أشهرها كتاب «الأم» في الفقه و«أحكام القرآن» (الأعلام للزركلي ٦/٢٦).

الشریف الجرجاني: (ت ٨٣٨هـ / ١٤٣٤م) هو محمد بن علي بن محمد بن علي نور الدين ابن الشریف الجرجاني، فاضل من أهل شیراز. نقل إلى العربية رسالة في «المنطق» كتبها أبوه بالفارسية، وله: «الرشاد في شرح الارشاد» شرح رسالة التفتازاني، «إرشاد الهادي» في النحو، وصنّف «الغرة» في المنطق. وله شرح للـ«المواقف» في علم الكلام للعلامة عضد الدين الأيمحي المتوفي سنة ٧٥٦هـ (الأعلام ٦/٢٨٨).

صلاح الدين الأيوبي: (يوسف بن أيوب) (٥٣٢-٥٨٩هـ / ١١٣٨-١١٩٣م) ولد في مدينة «تكريت» (العراق) من أبوين كرديين. كان من قادة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي ملك دمشق. قضى على الدولة الفاطمية في مصر واعترف بالخليفة العباسي في بغداد. انتصر على الزنكيين واحتل سورية والموصل وطبرية وهزم الصليبيين قرب حطين، وأسر مليكهم ودخلت قواته القدس يوم ٢ أكتوبر ١١٨٧. توفي في دمشق.

عبد القاهر الجرجاني: (ت ٤٧١هـ / ١٠٧٨م) إمام في اللغة والبلاغة، له مصنفات منها: كتاب المغني (٣٠ مجلد)، المقصد (٣ مجلدات)، إعجاز القرآن، المفتاح، دلائل الإعجاز، أسرار البلاغة.

عبد المجيد: هو أصغر إخوة الأستاذ النورسي. ترجم كثيرا من رسائله إلى اللغة العربية إلا أنها نشرت في وقتها في نطاق ضيق. وترجم إلى التركية رسائله العربية «إشارات الإعجاز» و«المنهوي العربي». كان مدرسا للغة العربية ثم مفتيا ثم مدرسا للعلوم الإسلامية في معهد الأئمة والخطباء والمعهد الإسلامي في قونيا. توفي سنة ١٩٦٧م عن ثلاث وثمانين سنة من العمر رحمه الله رحمة واسعة.

علي سواعي: (١٨٣٩-١٨٧٨) كاتب ثوري ولد في إسطنبول. أخذ موقعه بين الكتاب والمحربين بجهوده الشخصية حيث كان يلمّ بالعلوم الإسلامية والسياسية والاجتماعية وغيرها. كان يكتب مقالات في الجرائد علاوة على قيامه بالوعظ في المساجد، ثم بدأ ينظم قصائد ضد الدولة نفية إلى قسطنطيني، ومنها تمكن من الهروب إلى فرنسا، وهناك تحاصم مع العثمانيين الجدد، ثم انتقل إلى إنكلترا وتزوج إنكليزية. ولما عاد إلى اسطنبول عيّن مديرا لمدرسة إعدادية ولكن فصل منها لسوء إدارته وغدا عدواً لدوداً للسلطان عبد الحميد الثاني. قتل لدى محاولة اقتحام قصر جراغان.

فخر الدين الرازي: (٥٤٤-٦٠٦ هـ / ١١٥٠-١٢١٠ م) هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، الإمام المفسر. أوجد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل وهو قرشي النسب. أصله من طبرستان، ومولده في الريّ وإليها نسبته. توفي في هراة سنة ٦٠٦ هـ. من تصانيفه «مفتاح الغيب» في تفسير القرآن الكريم و«لوامع البيان في شرح أسماء الله تعالى والصفات».

فنزيليوس: (١٨٦٤-١٩٣٦ م) من رجال اليونان البارزين في السياسة، كان محامياً ثم قائد الثوار في جزيرة كريت. أسقط في سنة ١٩١٠ رئيس الوزراء قسطنطين وحلّ محله. أصبح سبباً لكثير من الاضطرابات والقتل في البلاد هرب سنة ١٩٣٥ إلى باريس، وتوفي هناك.

القرافي: (٦٨٤ هـ-١٢٨٥ م) هو شهاب الدين أحمد بن إدريس عبد الرحمن القرافي من علماء المالكية، وهو مصري المولد والمنشأ والوفاء له مصنفات جلية في الفقه والأصول منها «أنوار البروق في أنواء الفروق» أربعة أجزاء، «الذخيرة» في فقه المالكية ست مجلدات (الأعلام ١/ ٩٤-٩٥).

محي الدين بن عربي: (٥٦٠-٦٣٨ هـ / ١١٦٥-١٢٤٠ م) هو محمد بن علي بن محمد ابن عربي، أبو بكر الحاتمي الطائي الأندلسي، الملقب بالشيخ الأكبر: فيلسوف، من أئمة المتكلمين في كل علم. ولد في مرسية بـ«الأندلس» وانتقل إلى أشبيلية. وقام برحلة فزار الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز. وأنكر عليه أهل الديار المصرية «شطحات» صدرت عنه، فعمل بعضهم على إراقة دمه. وحبس، فسعى في خلاصه علي بن فتح البجائي فنجاه. واستقر في دمشق، فتوفي فيها. له نحو أربعمائة كتاب ورسالة، منها «الفتوحات المكية» في التصوف وعلم النفس و«فصوص الحكم». نامق كمال: (١٨٤٠-١٨٨٨ م) أديب وشاعر تركي شهير، زعيم الحركة الفكرية الوطنية، له روايات أهمها: الوطن.

نصر الدين خوجة: (١٢٠٨-١٢٨٤ م) ولد في قرية تابعة إلى سيفري حصار. تعلم العربية والعلوم الإسلامية من والده وحل محله في الإمامة بعد وفاته، ثم تولى القضاء والتدريس في آق شهر ودفن فيها، اشتهر بنوادره.

نصير الدين الطوسي: (٥٩٧-٦٧٢ هـ) (١٢٠١-١٢٧٤ م) هو أبو جعفر حمد بن محمد بن الحسن الطوسي، الفيلسوف، كان رأساً في العلوم العقلية، علامة بالأرصاد والمجسطي والرياضيات، علت منزلته عند هولاء فكان يطيعه فيما يشير به عليه.

هندنبغ (بول فون): (١٨٤٧-١٩٣٤ م) مارشال ألماني. انتصر على الروس ١٩١٤، رئيس الأركان في الحرب العالمية الأولى. رئيس جمهورية الرايخ ١٩٢٥-١٩٣٤.

الْفَهَامَاتُ

فهرس الآيات

سورة آل عمران

اضْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ٤٠٧

وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ٣٦٦، ٣٢٦

وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ٣٣٠

وَلَا يَخْذُ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ٣٢٤، ٣٦٨

سورة إبراهيم

وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ٤٠٧

يَسْتَجِيبُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ ٤٥٥

سورة الأحزاب

إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ٣٢٤

سورة الأعراف

ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ٥٣

سورة الأنبياء

لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ١٢٣

وَلَيْنَ مَسْتَنْهَمٌ نَفْحَةً مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ ٩١

سورة الأنعام

وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ٣٢٤، ٣٤٢

سورة الإسراء

لَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ٢٠٠

سورة الإنسان

قَوَائِرٍ مِنْ فِضَّةٍ ٨٠

سورة الانفطار

وَإِنَّ الْفُجَارَ لَفِي حَجِيمٍ ٣١٤

سورة البقرة

أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ٣٢٥

ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ٥٤، ٣٢٦

كَمْثَلٍ حَبَّةٍ أَتَبْتُ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُتْبَلَةٍ مِنْهُ حَبَّةٌ

٣٩٢

وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ٥١٧

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ٣١٦

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ ٦٧

سورة الحج

إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٩٦

سورة الحجر

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ١١

سورة الحجرات

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ٣٩٦

وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ٣١٤

وَلَا يَنْفَبُ بِمَعْصُكُمُ بَعْضًا ٣٤٦، ٣٤٩

سورة الزمر

لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ٣٦٦، ٤٠٧، ٤٦١، ٤٧٥

سورة الشورى

لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ٣٢١

وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ٣٣٠، ٤٨٣

سورة الطارق

يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ٤١١

سورة العصر

إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ٣١٣

سورة العنكبوت

وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ٣١٥

سورة الفتح

يُدِّ اللَّهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ٥٣

سورة الفجر

وَجَاءَ رَبُّكَ ٥٣

سورة القمر

وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ ١٤٧

سورة الكهف

تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ٥٤، ٧٣، ٧٧

وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ٥٤

سورة المائدة

لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ٣٧٣

لَا يَصْرُكُمْ مَنْ صَلَّىٰ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ٤٠٧

مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ ٣١٧

وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ٤٩١

وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ٤٠٠

سورة الملك

فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ ١١٤

سورة النبأ

وَالْجِبَالِ أَوْتَاذًا ٧٦

يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ٤٣٧

سورة النجم

وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ٤٣٦، ٤٠٨، ٣٧٦

سورة النحل

وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ٣٢١

سورة النساء

كُونُوا قَوَّامِينَ ٤٠٧

سورة النمل

الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ٩٠

سورة النور

وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ ٨٠، ٦٢

سورة طه

الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ١٤٣

سورة فصلت

قَالْنَا آتَيْنَا طَائِعِينَ ٩٤، ٦٤

سورة لقمان

مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بَعَثُكُمْ إِلَّا كَتَفْسٍ وَاحِدَةٍ ٣١٩، ٣٢٠،

٣٢٣

سورة هود

وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ٣١٥

سورة يس

وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ٥٤، ٦٢، ٨٠، ٨١، ٩٩

فهرس الأحاديث الشريفة

أمتي... أمتي ٣٧٧

أنا عند ظن عبدي بي ٣٧٩، ٤٧٥

أنزل القرآن على سبعة أحرف ٥٤

إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم ٣٤٦

إنما الأعمال بالنيات ٣٩٨

إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ٤٦١

الأرض على الثور والحوث ٦٤

الحق يعلمو ولا يعلم عليه ٤٣١

الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ٣٥١

بأيهم اقتديتم اهتديتم ١٦١

بعثت أنا والساعة كهاتين ٥٥

خير الناس أنفعهم للناس ٣٧٧، ٤٠٧

سيد القوم خادمهم ٤١٤

لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه

٣٩٦

لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك ١٦١، ٢٨١

مازلت خياراً من خيار ١٥٩

ما لا يدرك كله لا يترك كله ٣٩٨

من آذى ذمياً ٣٧٤

موج مكفوف ٧٠

هلك الناس إلا العالمون ١٦٣

فهرس تحليلي

أ

آمال الإنسان ١٤٩، ١١٢

أحكام القرآن ٥٢٧، ٣٥٩

أزلية المادة ١١٦، ١١٥

أكرم المخلوقات ٤٧٢

ألفاظ القرآن ١١٧

أنا ٣٦، ٥٥، ٧٢، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٢٢، ١٢٥

١٥٥، ١٧٧، ١٧٩، ٢٥١، ٣١٧، ٣٢٤، ٣٥١، ٣٦٤

٣٧٩، ٣٨٩، ٤١٢، ٤١٤، ٤٣٧، ٤٥٧، ٤٧٥، ٤٨١

٤٨٢، ٤٩٧، ٥٢٦

أناية ٣١٧، ٣٢٤، ٣٤٢، ٣٤٩، ٣٨٩، ٤٣٦

إعلاء كلمة الله ٣٧٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٧٠

٤٩٦، ٥٠١، ٥٠٣، ٥٠٥، ٥٠٦

إعلام المعلوم ٧٧

اسم الله الأعظم ٣١٨

الآخرة ٢١، ٤٩، ٥٠، ٧٥، ٣١٤، ٣١٥، ٣٧٦

٤١١، ٤١٢، ٤١٨، ٤٢٣، ٤٢٩، ٤٥٥، ٤٥٧، ٤٧٤

٤٨٢، ٤٨٨، ٤٩٥، ٥٠٦

الأجانب ٢١، ٥١، ١٠٤، ١١٠، ٣٣٨، ٣٥٦، ٣٦٣

٣٧٠، ٣٧٢، ٣٩٩، ٤٢٨، ٤٤٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٦

٤٧٤، ٤٨٢، ٤٩٤، ٤٩٦، ٥٠٣، ٥٠٤

الأحاسيس ٤٥، ٤٦، ٨٧، ٩٠، ٣٦١، ٤٥٥، ٤٧٠

٤٩٢

الأحدية ٣٢١

الأحكام ٦٠، ٧١، ٧٠، ١٠١، ١٦٥، ١٧٣، ١٨٦

١٩٥، ١٩٦، ٢٠٦، ٢٥٩، ٢٨٢، ٢٨٥، ٢٩٨، ٣٢٦

٣٢٧، ٣٢٨، ٣٨٠، ٤٢٠، ٤٣٩، ٤٧٧، ٤٩١، ٤٩٢

٤٩٦

الأساطير ٣٢، ٤٠٤

الأسباب ٥٤، ٥٧، ٦٥، ٩٧، ١١٤، ١١٥، ١١٩

٢٣٢، ٣٢١، ٣٥٠، ٣٥٨، ٣٧٧، ٣٩٧، ٤٠٧، ٤٢٦

٤٢٧، ٤٢٨، ٤٦٩، ٤٧١، ٤٧٢

الأضداد ١٧٨، ٣٢١

الألفة ٥٧، ١١٣، ٣٠٢

الآلم ٤٥٦، ٤٨٨

الآلوهية ١٠٩، ١٢٢

الآمل ٢٢، ٤٤، ٥١، ٨٩، ١٠٠، ٣٤٨، ٣٥٦، ٣٧٢

٣٩٦، ٤٦٢، ٤٨١، ٤٨٩

الأنفلونزا ٣٤٠

الأوامر التكوينية ٣٢٣

الأنبية ٨٠

الإباحية ٣٦٨

الإتقان ٤٧٢

الإجماع ٣٥، ٨٤، ٢٨٨، ٢٩٩، ٣٣٢

الإحسان ٣٦، ١٢٣، ٣٩٢، ٣٩٣، ٤٢٨

الإرادة ٩٩، ١٧٣، ١٧٦، ٢٦٣، ٣٢٣، ٤٣٦، ٥٢٠

الإرادة الجزئية ٩٩، ٤٣٦

الإرشاد ٢٨، ١٠٠، ١٤٠، ١٤٣، ١٤٤

٣٩٨، ٣٥٩

الإسرائيليات ٢٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٦٠، ٦٤، ٦٨

٤٠٤

الإسراف ٦٧، ١٥٠، ٣١٢، ٣٧٧، ٤٣٨، ٤٣٩

الإسلام ٥، ٦، ٧، ٩، ١٢، ١٥، ١٧، ٢٠، ٢١، ٢٢

٢٣، ٢٨، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٤١، ٤٤، ٤٥، ٤٧، ٤٩، ٥٠

٥١، ٥٢، ٥٨، ٦٢، ٦٤، ٦٦، ٧٩، ٨٣، ٨٤، ١٠٩

١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩

١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧

١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥

١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢

١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩

١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦

١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣

١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠

٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦

٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢

الاستعارة ٧٣، ٧٦، ٨٠، ٨١، ٩٠، ٢٢٩، ٢٣٠	٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩
الاستعجال ٤٠٧	٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٣، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٩، ٤٨٠
الاستعداد ٤٠، ٥٠، ٦٠، ٩٧، ١٠٠، ١٠١، ١٠٣	٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٩٠، ٤٩٢، ٤٩٤، ٤٩٥
١٢١، ١٢٤، ١٢٧، ١٣٧، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٩، ١٥٧	٤٩٦، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥
١٦٤، ١٦٥، ٢٦٥، ٢٩٨، ٣١٧، ٣٩٨، ٤١٤، ٤٢٣	٥٠٦، ٥٠٨، ٥١٠، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢١، ٥٢٢
٤٤٠، ٤٤٣، ٤٦٩، ٥٠٦	٥٢٤
الاستغراق ١٢١، ١٧٤، ١٨٧، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٥٤	الإعدام ٣١٩، ٤١١، ٤٢٥، ٥١٥، ٥٢٦
٣١٦	الإفراط والتفريط ٣٤، ٣٨، ٥٦، ١٢٩، ٤٠٠، ٤٠٤
الاستغفار ٤٥٦	٤٤٥
الاستفتاء ٩٣، ٢٤٥، ٣٣٧	الإفساد ٤٢، ٥١، ٣٦٥، ٥٢٠
الاستقامة ١١٣، ١٦٢، ٢٨٢، ٢٩٥، ٣٠٣، ٣٨١	الإلحاد ٤٧، ٥١، ٣٤٠، ٣٤٨، ٤٥٥، ٤٥٩، ٤٦٠
٥٠٤	٤٦٤، ٤٨٤، ٤٩٥، ٥١٧
الاستقراء ٤٨، ٤٩، ٧٥، ٨٣، ١٨٩، ٢٢٥، ٢٩٧	الإنجيل ٣٢، ٧١
٢٩٨، ٤٧٢، ٤٧٣	الإنسانية ٢١، ٤٥، ٤٧، ٧٥، ١١٤، ١٢١، ١٢٦
الاستقلال ١٢٣، ٣٣٧	١٢٧، ١٣٤، ١٥٠، ١٩٠، ٣٣٨، ٣٦٨، ٣٧٢، ٣٨١
الاطلاق ٢٠٠	٣٨٢، ٣٩٩، ٤٢٦، ٤٢٩، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٨، ٤٤٢
الافتراء ٣٤٩، ٤٣٢	٤٦٤، ٤٦٧، ٤٨٣، ٤٩٠، ٤٩١، ٥٠٤، ٥١٩
الاقتران ٥٦، ١٩٧، ٣٠١	الإيجاد ٣٧، ١٢٣، ١٦١، ١٨٥، ٣١٩، ٤٣٦
الافتناع ٣٧٣	الاتحاد ١٢١، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٢، ١٩٧، ٢٠٨
الالتباس ٣١٦	٢١٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٧٩، ٢٨٢، ٢٨٤، ٣٠١، ٣٤١
الامثال ٤٠، ٥٠٤	٣٦٠، ٣٦٤، ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٩١، ٣٩٤
الامتناع ٦٨، ٢٢١، ٢٥١، ٢٥٨، ٢٦٩، ٢٨٠	٣٩٥، ٣٩٧، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤١٢
الانتظام ٢٧، ٤٨، ٥٧، ٧٥، ٨٢، ٩١، ٩٢، ٩٧	٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٧، ٤٣٧، ٤٣٨
١١٧، ١٢٣، ١٢٩، ١٣١، ١٥٠، ٣٢٢، ٤٠٢، ٤٠٥	٤٤٤، ٤٤٨، ٤٨٢، ٤٩٤، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠١، ٥٠٢
٤٥٨، ٤٧٣، ٥٠٨	٥٠٣، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦
الانجذاب ٤٢، ٣٢٣، ٣٤٩، ٣٦١، ٣٦٦	الاجتهاد ٥٥، ٧١، ٣٢٦، ٣٣٢، ٤٧٧
الانحياز ٤٦، ٥٦، ٣٥٠، ٣٩٦	الاختلافات ٤٥، ٤٦، ٥٥، ٥٧، ٣٢٠، ٣٨٧، ٣٩٨
الانقلاب ٣٥٥، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٧٤، ٣٨٤، ٤٢٨	الاستبداد ٢١، ٣٥، ٣٥٩، ٣٦٣، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١
٤٣٨، ٤٤١، ٤٧٦، ٤٧٧	٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٨، ٣٨٠، ٣٨٤، ٣٨٦، ٣٩٣، ٣٩٥
التزام الطرف المخالف ٥٦	٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤٢٢، ٤٢٤، ٤٢٩
امكان ١٨٧، ٢٩٢	٤٣٠، ٤٣٤، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤٥، ٤٦٢
إنكار الذات ٣٩٧	٤٦٦، ٤٧٠، ٤٨٣، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥١٠
	الاستدلال ٢٧، ٢٨، ١٠٩، ١٤٥، ١٤٦، ١٦٦
	١٩٠، ٢٠٠، ٢٥٣، ٢٦٨، ٢٧٤، ٢٨٢، ٣٠٣

٥١٤،٥٠٤،٤٨٤،٤٨٣،٤٧٣،٤٦٣،٤٣١	انشقاق القمر ١٤٧،٤٢
التجارة ٤٠٦،٣٧٧،٣٤٧،١٨٥،٦٦	أهون الشرين ٣٩٩،٣٨
التجاوب ٣٦٦،٣١٥،٩١	ب
التجدد ٤٧٠،٥٧،٣٧	الباطل ١٦٥،١٦٤،١١٩،١١٦،١١٥،٤٧،٢٢
التجرد ٣٦٩،٣٢٢،٣٧	٥٠٦،٤٧٢،٤٠٦،٣٦٤،٣٤٢،٣٠٥،١٩٣
التجليات الإلهية ١٢١	الباطنية ٣٨
التحزب ٣٤١،٣٤٠،٣٢٩	البدع ٣٩٦،٣٩٥،٣٩٤
التخصص ٤١،٣٩،١٣	البيديات ٤٢٠،١٤٤،١٢٠،٧٩،٧٨،٥٩،٣٠
التربية ٤٩٣،٣٦٨	٤٦٨
الترحم ٩٦	البراهين ٣٨١،٢٩١،١٣٠،٤٧،٤٦،٣٠،٢٢
الترغيب ٢٢٩،١٣٧،٤٢،٣٧	٥٠٣،٥٠١،٤٦٠،٤١٨
التساند ٤٨٤،٤٣٦،٣٩١،٣٣٨	البروج ٦٧،٣٨
التسول ٤٩٤	البستان ٤٣٠،٣٧٥
التسويق ٤٠٧	البشرية ١١٣،١٠٩،٧٧،٧٣،٦٦،٤٩،٢١،١٩
التشبه ١٦٣،١٦١،١٥٧،٨٨،٨١،٣٨،٣٤	٣٣٨،٣٣٦،٣٣٥،٣٢٨،٣١٧،١٣١،١٢٩،١٢٥
٤٦٧،٣١٩،٢٩٩،١٨٣	٤٦١،٤٥٨،٣٩٩،٣٨٢،٣٧٢،٣٦٣،٣٤٧،٣٤٢
التشخيصات ٣٢٢،٣٢١،١٧٧	٤٧٥،٤٧٤،٤٧٢،٤٧١،٤٧٠،٤٦٩،٤٦٨،٤٦٤
التصنع ٤٧٥،١٣٣،١٠٣،٣٦	٤٩٢،٤٨٣،٤٧٨،٤٧٦
التعارف ٣٤٧،٣٤٤،٣١٤،٢٥٠	البصر ٢٢٢،٧٩،٤٥
التعاون ٣١٤،٣١٣،١٨٤،٩١،٥٢،٥١،٣٠	البطالة ٥٤
٣٣٨،٣١٥	البلاء ٣٣٤،٨٠،٧٩،٧٨،٥١
التعصب ٤٠٢،٣٧٨،٣٥٥،٣٤٢،١٣٦،٨٣،٤٦	البلاغة ٨٣،٨١،٨٠،٧٧،٧٦،٣٨،٣٣،٢٨،٢٣
٥١٧،٥٠٤،٤٤٣،٤١٥،٤٠٤	١٤٢،١٠٦،١٠٥،١٠٣،٩٤،٩٣،٨٨،٨٧،٨٥،٨٤
التغيير ٣٧	٤٤٥،٣١٧،٣٠٠،٢٣٠،٢٢٩،١٤٥،١٤٤،١٤٣
التفرقة ٤٣٥،٤٢٩،٤٢٦،٤٢٤،٤١٨	٥٢٧،٥٢٦
التفسير ٦٥،٦٢،٤٢،٤١،٤٠،٣٩،١٧،٩،٥	البلشفية ٣٦٨
٤٤٠،٣٦٧،١٩٤،١٩٢،١٧٦،١٥١،٧٦	البيضة ٣١٥،٧٤
التفوق ٤٠٧،٤٥،٤٠	براعة الاستهلال ٤٣٧،٣٨١،١٥٧،١٠٤
التقصيرات ٣٧٥،٣٥٨	ت
التقليد ٣٦٣،٣٦٢،٢٢٢،٧٩،٣٩،٣٣،٣٢،٢١	التأني ٥١
٥٠٥،٤٠٧،٤٠١،٣٨١	التأويل ٢٢٤،٧٣،٧١،٧٠،٦٧،٤١
التقوى ٤٤٠	التاريخ ٤١٢،٣٨٢،٣٨١،٣٣٠،١٣٠،٨٧،٤١

التكاسل ٤٨١،٣٩١	الجغرافية ٤١،٣٠،٢٢
التكامل ٤٥٨،٤٣٣،١٥٠،٤٠،٢٩	الجماعة ٣١٧،٣١٣،١٨٠،٩٤،٧٤،٧١،٦٤
التكبر ٣٦٩،٣٤٩،٣٢٤،٣١٣	٥٠٦،٥٠٥،٥٠٣،٤٦٦،٣٣١،٣٢٥
التكليف ٢٩٨،٥٩	الجمال ٤٩٩،٤٧٣،٤٧٢،٣٩٥،١٢٣،٩١
التناسب ٢٠٨،١٨٢،٩٢	الجمهور ٣٩٨،٣٣٢،١٤٥،١٤٣،١٤٠،٥٣
التنزيلات الإلهية ٥٣	الجمهورية ٤٩٦،٣٦٣،٣٥٦
التهور ٤١٥،٣١٧	الجنابة ٤١٣،٤١٤،٤١٥،٤١٦،٤١٧،٤١٩
التواضع ٣٦٩،٣١٣	٤٩٦،٤٩٥،٤٢٤،٤٢٣،٤٢٢،٤٢١
التواكل ٣٩١،٣٧٧	الجنة ٤٢٣،٣٨٢،٣٧٥،٢٢٩،٨١،٨٠،٧٥،٥٠
التوبة ٥١٧،٥٠٦،٤٧٥،٤٥٦،٤٤٤،٣٩٢،٣٧٩	٤٨٨،٤٧٤،٤٦٠،٤٥٨،٤٥٥،٤٣٧
التوحيد ٣٧٧،٢٧٠،١٦٧،١٦٥،١٦٤،١٢٣،٤٧	الجندي ٤٢١،٤١٩،٣٧٦،٣٢٢،٣١٤
٥٠٨،٥٠٣،٤٩٨،٤٩٦،٤٧٥،٤٢١،٤١٩،٣٧٩	الجهاد ٥٠٣،٥٠٠،٤٩٦،٤٠٨،٣٩٦،٣٣٤،٢٩٩
التوراة ٧١،٣٢	الجهل ٦٠،٥٩،٥٧،٤٠،٣٩،٣٨،٣٧،٢١
التوفيق الإلهي ٥٢	١١٣،١٤٤،١٥٦،٣٥٠،٣٦٢،٣٦٣،٤٠٤،٤١٢
التوكل ٤٣٧،٤٠٧،٣٧٧،٥٤	٤١٤،٤١٥،٤٢٣،٤٢٦،٤٣٠،٤٣٥،٤٤١،٤٦٢
ترتب النتيجة ١٥٧	٥٠٦،٥٠٤،٤٩٨،٤٦٥
تزكية النفس ١١٢	الجوهر ٢٣٦،١٩٠،١٨١،١٨٠،١٧٠،٣١
تشريك المساعي ٣٤٤	٣٧١،٢٤٣،٢٤٢
تعدد الزوجات ٣٩٩	الجيش ٥١٤،٤٨٠،٣٨٠،٣٧٦،٣٦٠،٣٢٢،٣١٤
تقسيم الأعمال ٤٠٢،١٦٥،٦٠،٤٠	جهنم ٣٩٦،٣٤٢،٣٢٤،١١٢،٧٥،٧٤،٦٢،٤٠
تلاحق الأفكار ٤٠٢،١٦٥،٦٠،٤٠،٢٩،٢٢،٣٠،٣١،١٢٨،١٤١	٤٨٨،٤٧٤،٤٧٢،٤٦٠،٤٥٥،٤٢٣،٤١٢
٤٤٣،٣٤٨	جوهر الإنسان ٥٠
تنقيح المناط ٢٩٩،١٣١	ح
ث	الحاجة ١٦٢،١٢٩،١٢٨،٨٨،٥٩،٥٠،١١
الثبات ٤٠٤،٣٩١،٣٤٧،٣٤١	٤٧٠،٤٦٩،٤٦٤،٤٣٥،٣٣٢،٣٢٨،٣٢٣
الثرة ٣٦٣	الحج ٤٩٦،٣٤٤،٤٢
الثورة الفرنسية ٤١٦	الحد الأوسط ٣٨٤،٢٢٤،١٨٩،١٦٢
ج	الحدوث ٢٤٨،١١٥،١١٢
الجازبة ٣٨٧،٣١٦،١١٤،١٠٥،٢٨	الحديث النبوي ٣٤،٣٣
الجزء الاختياري ٣٨٥،٢٧٥	الحرب ٣٣٨،٣١٨،٢١٩،٢١٨،٩١،٢٣،٦
الجبارة ٤٨٧،٤٣٦،٣٨٧،٣٤٤	٥١٤،٥١٣،٥١٠،٤٤٩،٤٢١،٣٧٦،٣٦٠،٣٤٣
	٥٢٨،٥٢٦،٥٢٤،٥٢٢

الحرص ٣١٧، ٣١٤، ٤٠	٥٠٦، ٥٠٥، ٤٩٨، ٤٩١، ٤٩٠، ٤٨٩، ٤٨٦، ٤٨٠
الحرية ٣٦٦، ٣٦٣، ٣٥٩، ٣٥٥، ٣٤٨، ١٣٧، ٨٢	الحكمة الإلهية ٣٨٥، ١٤٩، ٨٣، ٥٩، ٥٧، ٤٠
٣٨٠، ٣٧٣، ٣٧٢، ٣٧١، ٣٧٠، ٣٦٩، ٣٦٨، ٣٦٧	الحكومة ٤٣٥
٣٨٨، ٣٩٣، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠٣، ٤١١، ٤١٣، ٤١٥	٤٥، ١٢٩، ١٢٦، ٣٦٣، ٣٦٥، ٣٦٦، ٤٠٠
٤٢٧، ٤٢٨، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧	٤٠٥، ٤١٣، ٤١٢، ٤١٥، ٤٣٨، ٤٤٢، ٤٤٤، ٤٩٢
٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٤، ٤٧٠، ٤٨٠	الحمية ٤٤١، ٤٣٦، ٣٧٧، ٣٦٧، ٣٤٩، ١٣٧، ٥٨
٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٩٠، ٥٠٤، ٥٠٠	٤٦٦، ٤٨٥، ٤٨٦، ٥٠٩
الحسد ٥٠٥، ٤٧١، ٤٠٧	الحياة ٣٩٤، ٣٧٩
الحسن ١٢٣، ٩٦، ٩٣، ٩١، ٥٧، ٥٠، ٤٨، ٤٣	٥، ٣٤، ٣٩، ٤٤، ٥١، ٦٦، ٧٠، ٨٩، ١٠٠
١٨٩، ٣٢٠، ٣٤٢، ٤٣٨، ٥٢٨، ٥٢٨	١٠٢، ١٠٩، ١١٢، ١٢٧، ١٤٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦١
الحسنة ٤٨١، ٤٨٠، ٣٩٢، ٣٧٩	١٦٥، ١٧١، ١٨١، ١٨٣، ٢٣٢، ٣١٥، ٣١٦، ٣٣٦
الحشر الجسماني ١٥٠، ١٤٩، ١٢٧، ١١٠، ٢٧	٣٣٨، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٦٦، ٣٨٠، ٣٨٢، ٣٨٤، ٣٨٧
١٥١	٣٩٣، ٣٩٥، ٣٩٦، ٤٠٦، ٤١٢، ٤٢٠، ٤٢٦، ٤٢٨
الحضارة ٤٦٦، ٤٤٥، ٤١٦، ٣٣٠، ١١٧، ٧٢، ١١	٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٥١، ٤٥٤، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٤
٤٨٣	٤٦٥، ٤٦٩، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٨، ٤٩٥، ٥٠١
الحق ٥٠، ٤٩، ٤٧، ٤٦، ٤٥، ٤٢، ٣٧، ٣٤، ١٩	٥٢١
٥٤، ٥٩، ٦٣، ٦٤، ٨٩، ١٠٦، ١١٤، ١١٥، ١١٦	الحيلة ٤٢٤، ٣٩٣، ١٣٣، ١٣٢، ١١٦، ١٠١
١٢٤، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٦، ١٣٨، ١٤٦، ١٦٦	٤٩٨، ٥٢١
١٩٣، ٣١٧، ٣٢٨، ٣٣٧، ٣٦١، ٣٦٤، ٣٦٧، ٣٧٤	حادثة ٣١ ٥٠٨، ٤٢٦، ٤١٩، ٣٨٠
٣٧٩، ٣٨١، ٣٨٦، ٣٩١، ٣٩٦، ٤٠٧، ٤١٩، ٤٢٥	حب الظهور ٥٦
٤٢٦، ٤٣١، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٨، ٤٧١، ٤٧٣، ٤٧٤	حب النفس ٣٢٨، ١٦١، ٥٦
٤٧٨، ٤٨٢، ٤٨٤، ٤٨٩، ٤٩٤، ٥٠٥، ٥٠٨، ٥٢٢	حقوق الزوج ٣١٣
٥٢٤	
الحقد ٤٣٢	خ
الحقيقة ٣٧، ٣٦، ٣٤، ٣٣، ٣٠، ٢٩، ٢٥، ٢٣، ١٩	الخب ٣٧٥
٣٩، ٤٢، ٤٣، ٤٦، ٤٨، ٥٦، ٥٩، ٦٠، ٦٣، ٦٤، ٦٧	الخرافات ٤٦٩، ٣٨، ٣٦، ٣٢
٧٩، ٨٠، ٨٢، ٨٣، ٨٨، ٩٠، ٩٩، ١٠٠، ١٠٤، ١٠٥	الخلافة ٣٥٦، ٣٣٥، ٣٣٢، ٣٣١، ٣٣٠، ٣٢٥
١٠٦، ١١٠، ١١٥، ١١٧، ١٢٤، ١٢٥، ١٣٠، ١٣١	٣٥٩، ٣٧٨، ٤٢٣، ٤٤٤، ٤٥٣، ٤٨٠، ٥١٣
١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٧، ١٤٠، ١٤٥، ١٤٦، ١٦٥	الخلف ٢٨٠، ٢٧٩، ٢٣٩، ٢٠٨، ١٦٤، ٩٤، ٤٥
١٦٨، ١٧١، ١٩٦، ٢١١، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٣٠، ٢٣٧	٢٨٢، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٤، ٢٩٥
٢٥٦، ٢٥٨، ٢٦٢، ٢٦٨، ٢٨٠، ٢٨٢، ٣٣٤، ٣٤٥	٢٩٦، ٣٠٣، ٣٠٥، ٣٠١
٣٤٩، ٣٦٠، ٣٦٥، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٧، ٣٩٤، ٣٩٥	الخواص ٣٢٣، ١٥٤، ١٤٣، ١١٦، ٥٣، ٤٣، ٦
٣٩٧، ٣٩٨، ٤٠٢، ٤٠٨، ٤١٢، ٤١٨، ٤٢٣، ٤٢٤	٣٢٤، ٤٠٠، ٤٠٥، ٤٨٥
٤٢٧، ٤٢٩، ٤٣١، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥	الخوف ٤٨٧، ٣٦٣، ٣٦٢، ٣٤٤، ٣٣٣
٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٣، ٤٧٧، ٤٧٨	

دائرة الاعتقاد ٣٧٥،٥٤	الخيال ٦٧،٦٤،٦٣،٥٨،٥٧،٤٥،٤٣،٤٢،٣٦
دائرة المعاملات ٣٧٥	١٠١،٩٥،٩١،٩٠،٨٩،٨٨،٨١،٨٠،٧٧،٧٠،٦٩
دار الحكمة الإسلامية ٣٣٣،١٤	٣٨٠، ٣٧٥، ٣٣٦، ١٦١، ١٥٧، ١٣٦، ١٢٧، ١١٧
دليل الاختراع ١١٩، ١١٧، ١١٤	٤٦٤، ٤٣١، ٣٩٦، ٣٩٠، ٣٨٤
دليل العناية ١١٤، ١١٣	الخير ٣٦٥، ٣٤٤، ٣١٤، ٣١٣، ١٦٥، ٤٩، ٤٨
ذ	٤٧٤، ٤٧٣، ٤٧٢، ٤٠٠، ٣٩٩، ٣٩٢
الذات الإلهية ١٢١	خاتم الأنبياء ٤٩٥
الذاتي ٧٨، ٨٠، ١٠٣، ١٨٠، ١٨٣، ٢٣٦، ٢٥٥،	خسوف ٣٧
٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٣٦٣، ٣٧٣،	خصومات ٤٥
٥٢٠	خوارق العادات ١٣٧، ٥٩، ٥٧، ٣٥
الذكاء ٤٦٨، ٣٨٦، ٣٥٠، ١٥٩، ١٤٢، ٣٠	خيانة ٥٢٢، ٣١٣، ٦٣
الذل ٤٣٣، ٣٨٩، ٣٥١، ٣٣٠	خير القرون ٤٦، ٧٢، ٣٦٩، ٤٤٥، ٤٦٣، ٤٧٦،
الذنوب ٥١٨، ٥١٧، ٣٤٤	٤٨٥، ٤٧٧
الذهن ٣٣، ٣٦، ٤١، ٥٦، ٧٣، ٩١، ١١٠، ١٥٧،	د
١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٨،	الداء ٥٢١، ٤٧٥، ٤٤٥، ٣٧٥، ٨٨
١٧٩، ١٨٤، ١٨٧، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٢،	الدعاية ٤٧٦
٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣،	الدليل ٤٥، ٦٨، ١١٠، ١١٣، ١١٤، ١٢١، ١٤٣،
٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٤٢، ٢٤٨، ٢٥١، ٢٥٤،	١٤٥، ١٤٨، ١٥٩، ١٦٢، ١٦٨، ١٧٠، ١٧١، ١٨٩،
٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٩٧، ٣٠٢، ٣٢١،	٢٠٤، ٢٢٠، ٢٢٥، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٧٩، ٢٩٧، ٢٩٨،
٣٢٧، ٣٢٨، ٣٧٤	٣٠٨، ٣٢٤، ٣٧٣، ٤٨٦
الذوق ٨٧	الدماغ ٧٩، ٩٣، ١٠٢، ١٠٥، ١٦١، ٤٣٦
ر	الدنيا ٢٠، ٢١، ٣٠، ٤٩، ٤٦، ٥٠، ٦٨، ٦٩، ٧٢،
الرؤيا ٦٩، ٣١٧، ٣٢٩، ٣٣٤، ٣٤٤	٧٥، ١٢٢، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٩، ١٤٢، ١٥٠، ٣٠١،
الرب ٦١، ٤٥٧، ٤٥٨	٣١٤، ٣٣٤، ٣٤٧، ٣٥١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٧٤، ٣٧٦،
الرجعية ٤١١	٣٨٢، ٣٨٤، ٣٨٧، ٣٩٥، ٣٩٧، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٤٢،
الرحمة الإلهية ٧٥، ٨٢، ١٥١، ٣٦٣، ٤٦٢، ٤٧١،	٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦٢،
الرحمن ٦، ١٣، ١٩، ٤٩، ٦١، ٨١، ١٠٠، ١٠٤،	٤٦٤، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٦، ٤٨٢، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠،
١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٦، ٣٦٩، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٧٤،	٤٩٢، ٤٩٤، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠٢، ٥١٩
٤٨٤، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٨	الدواء ٩١، ٣٣٧
الرحيم ١٣، ٤٩، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٦، ٤٥٦،	الدهر ٤٧، ٩٣، ١٢٣، ٣٣٤، ٣٨٤، ٣٨٥
٤٥٧، ٤٨٤، ٥٢٢	الدواء ٥٢١
الرزاق ٤٥٦	الدولة العثمانية ١٥، ٣٣٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٦٠،
	٣٦٤، ٣٧٦، ٣٩٤، ٤٤٩، ٤٦٨، ٥١٨، ٥٢٣، ٥٢٦

السلام العام ٣٣٦	الرغبة ٤٠، ٤٢، ٥١، ٥٧، ٩٧، ٣١٣، ٣٢٨، ٣٧٦
السلف ٣٧، ٣٩، ٤٦، ٨٤، ١٦٥، ٢٩٤، ٢٩٥	٣٩١
٢٩٦، ٣٢٧، ٣٣٤، ٣٨٤، ٣٩٣، ٤٠١	الرق ٣٩٩
السنة النبوية ٤١٧، ٥٠١، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٦	الرقعي ٦١، ١٢١، ٣٧٦، ٣٨٩، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤١٥
السنن الإلهية ٦٧، ٥٩	٤١٨، ٤٣٥، ٤٣٧، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤٣، ٤٤٥، ٤٦٩
السيئات ٣٣٦، ٣٧٥، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨٥، ٤٢٤	٤٧٠، ٤٨٥، ٤٨٩، ٤٩٤، ٤٩٦، ٤٩٨، ٥١٠
٤٧٠، ٤٨٠	الروح ٣٤، ٨٩، ١٤٠، ١٥٠، ١٥٨، ١٥٩، ١٨٤
السياسة ٣٢٤، ٣٤٠، ٣٤٤، ٣٥٩، ٣٦١، ٣٦٥	٢٣٧، ٣١٦، ٣٣٨، ٣٩٥، ٣٩٦، ٤٧٤، ٤٩٢، ٥١٣
٣٧١، ٣٧٣، ٣٨١، ٤٠٥، ٤١٣، ٤١٦، ٤١٨، ٤١٩	٥٢١، ٥١٧
٤٢٦، ٤٢٨، ٤٧٦، ٤٨١، ٤٩٠، ٤٩٣، ٥٠٣، ٥١٠	الرياء ٤٠، ٢٢٧، ٤٧٥، ٤٩٨
٥٢٨، ٥٢٤	رمضان ٣١٨، ٣٦٧، ٤٥٠
السير الروحاني ٦١، ٦٨	ز
ساعة الإجابة ٣١٨	الزراعة ٦٦، ٣٧٧
سلامة الفطرة ٥٠	الزكاة ٣٩٠، ٣٩٣، ٤٠٣
سوء الخلق ٢١	الزمان ١٤، ٢٠، ٢٢، ٣٠، ٣٥، ٤٥، ٥٠، ٦١، ٧٢
سوء الظن ٣٢٩، ٣٤٢، ٣٧٩، ٣٩٧، ٤٧٩	٩١، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٥
سوء الفهم ١٢١	١٤٧، ١٥١، ١٥٣، ١٥٧، ١٦٨، ١٧٥، ١٨١، ٢١٢
سيد الكونين ١٩	٢١٨، ٢١٩، ٢٣٣، ٢٦٨، ٢٨٢، ٣٠٩، ٣١٨، ٣٢٧
ش	٣٣١، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٩، ٣٦٣، ٣٧٥، ٣٨٢
الشبهات ٣٢، ٤١، ٤٤، ٤٦، ٥٨، ١٠٢، ١١٣	٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٩٠، ٣٩٣، ٣٩٧، ٤٠٥، ٤٠٨
١٤٢، ٣٤٦، ٣٧٩، ٤١٢، ٤١٨، ٥١٤	٤١٨، ٤٣١، ٤٣٤، ٤٣٧، ٤٣٩، ٤٤١، ٤٤٣، ٤٤٥
الشجاعة ١٢٩، ١٣٣، ٢٢٩، ٢٣١، ٣١٣، ٣٤٥	٤٤٩، ٤٥٣، ٤٦١، ٤٦٦، ٤٧٧، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٩٨
٣٨٦، ٣٨٨، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٣٦، ٤٤٦	٥٠٦، ٥٠٧، ٥١٥
الشخصية المعنوية ٤٦٩، ٤٩٤، ٥٢٠	الزنا ٤٢، ٢٩٩
الشر ١٢، ٣٨، ٤٩، ١٦٥، ٣٤٤، ٣٩٢، ٤٧٢، ٤٧٣	زجر النفس ٣١٧
الشرك ٣١٩	س
الشريعة ٧، ٢١، ٣٨، ٤٠، ٤١، ٤٣، ٤٤، ٥١، ٥٢	السخاء ١٤٧، ٣٩٣
٦٠، ٦٥، ٦٨، ٨٤، ٩٤، ١١٧، ١١٨، ١٢٩، ١٣٨	السعادة الأبدية ٤٩، ٦١، ١٢٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠
١٣٩، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧	١٥١، ٤٥٧، ٤٦٤
١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥	السمي ٥١، ٦١، ١٢٧، ٣١٣، ٣٣٧، ٣٧٦، ٤٠٨
١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢	٤٣٦، ٤٣٧
١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩	السفاهة ٣٤٧، ٣٦٧، ٤٣٧، ٤٤٠، ٤٥٤، ٤٥٥
١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦	٤٥٨، ٤٥٩، ٤٩٥
١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢	السفسطة ٤٦، ٧٨، ٧٩، ١١٦، ١٤٤، ١٤٨، ٤٠١
١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨	
١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥	
١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١	
٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦	
٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١	
٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦	
٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١	
٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦	
٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١	
٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦	
٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١	
٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦	
٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١	
٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦	
٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١	
٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦	
٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١	
٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦	
٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١	
٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦	
٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١	
٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦	
٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١	
٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦	
٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١	
٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦	
٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١	
٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦	
٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١	
٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦	
٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١	
٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦	
٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١	
٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦	
٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١	
٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦	
٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١	
٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦	
٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١	
٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦	
٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١	
٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦	
٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١	
٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦	
٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١	
٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦	
٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١	
٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦	
٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١	
٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦	
٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١	
٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦	
٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١	
٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦	
٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١	
٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦	
٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١	
٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦	
٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١	
٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦	
٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١	
٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦	
٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١	
٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦	
٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١	
٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦	
٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١	
٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦	
٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١	
٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦	
٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١	
٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦	
٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١	
٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦	
٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١	
٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦	
٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١	
٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦	
٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١	
٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦	
٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١	
٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦	
٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١	
٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦	
٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١	
٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦	
٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١	
٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦	
٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١	
٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦	
٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١	
٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦	
٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١	
٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦	
٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١	
٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦	
٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١	
٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦	
٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١	
٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦	
٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١	
٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦	
٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١	
٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦	
٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١	
٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦	
٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١	
٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦	
٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١	
٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦	
٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١	
٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦	
٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١	
٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦	
٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١	
٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦	
٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١	
٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦	
٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١	
٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦	
٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١	
٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦	
٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١	
٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦	
٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١	
٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦	
٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١	
٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦	
٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١	
٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦	
٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١	
٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦	
٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١	
٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦	
٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١	
٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦	
٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١	
٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦	
٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١	
٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦	
٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١	
٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦	
٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١	
٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦	
٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١	
٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦	
٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١	
٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦	
٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١	
٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦	
٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١	
٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦	
٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١	
٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦	
٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١	
٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦	
٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١	
٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦	
٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١	
٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦	
٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١	
٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦	
٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١	

الصفة	٥١٠،٥٠٩،٥٠٧،٥٠١،٥٠٠،٤٩٩
الشعور	٣٩١،٣٦١،٣٥٢،٣٤٩،٣٣٠،٣١٤،٤٦
الصلاة	٤٠٤،٥١
الشعور الديني	٤٨٥،٣٩١،٣٦١،٣٣٠
الشفافية	٣٢١
الشفقة	١٥١،٣١٤،٣٤٩،٣٧٩،٤٣٢،٤٥٦
الصناعة	٤٨٣،٤٧٩،٤٧٠
الصوم	٥٥٩،٢٦٨،٢٦٠،١٧٩،١٢٠،٩٠،٧٩
صناعة الصانع	٤٦١،٤٥٧،٤٥٦،٤٠٦،١٥٨
ض	الشهرة
الضرر	٤٢٠،٤٠٦،٣٦٩،١٥٩،٥٣،٣٥،١٦
الضرورة	٤٤٠،٢٢٠،٥١
الضروريات	٤٣٢،٣٣١،٣٣٠،٣٢١،٥٢،٤٦،٣٥
الضعف	٤٣٤،٤٢٤،٤٠٤،٣٩٨،٣٦٣،٣٥٩،٣٥٥،٣٣٣
الضلال	٤٨٤،٤٨٣،٤٨٠،٤٤١،٤٣٩،٤٣٦
ط	الشوق
الطاعة	٤٠٦،٣٧٧،٣٢٧،٣٢٣،١٦٠،٥٤،٤٠
الطب	الشیطان
الطبع	٥١٧،٤٧٦،٤٧٢،٣٧٣،٣٤٢،٣٤٠
طبائع	٥٢٢،٥٢١
الطبيعة	الشیوعية
طور الفعل	٤٦٣
طور القوة	٣٩١
	ص
	الصحابه
	٤٧٧،٤٣٩،٣٦٩،١٣٤،٣٧
	الصحة
	٥٠
	الصدقة
	٤٧٩،٣٧٤،٢٠
	الصدق
	١٣٤،١٣٣،١٣٢،٥٥،٥٢،٣٦،٢٩
	١٤٠،١٩٧،١٩٩،٢٠٨،٢٢٤،٢٢٨،٢٤٠،٢٧١
	٢٧٢،٢٧٨،٢٧٨،٢٨١،٢٨٥،٢٨٧،٢٨٨،٢٨٩،٢٩٠
	٢٩٥،٣٠٣،٣٠٥،٣٠٦،٣٠٧،٣٩٠،٣٩١،٣٩٦
	٤٢٥،٤٦١،٤٧٥،٤٧٦،٤٧٧،٤٧٨
	الصراط المستقيم
	١٦١،٥٦،١٩
	الصغرى
	٢٢٣،٢٢١،١٨٩،١٦٥،١٠٦،٨٣،٤٧
	٢٤١،٢٦٨،٢٦٩،٢٧٢،٢٨٦،٢٨٧،٢٩٣،٢٩٥
	٢٩٧،٣٠١،٣٠٢،٣٠٣،٣٠٤،٣٠٥،٣٠٦،٣٠٧

ظ	العشيرة ٣٥١، ٣٩٢، ٤٨٠
الظالم ٣٢٥، ٣٤٣، ٣٤٧، ٣٩٣، ٣٩٩، ٤١٤، ٤٧٢	العصر النبوي ٣٧٤، ٣٨١، ٤٣١
الظلام ٤٤٤، ٣٩٧، ٥٨٨	العفة ١٢٩
الظلم ٣٢٤، ٣٥٧، ٣٥٩، ٣٩٣، ٤٠٦، ٤١٣، ٤٣٠، ٤٣٢، ٤٩٩، ٥٢٢	العقائد ١٠٩، ١٢٨، ١٦٥، ١٦٦، ٤٠١، ٥٢٤، ٥٢٥
ظني الدلالة ٢٧	العقاب ٤٩، ٣١٤، ٤١٢، ٤١٥، ٤٢٥، ٤٢٩، ٤٧٢، ٤٩٢
ع	العقدة الحياتية ٩٨، ١١٢، ٣٧٩، ٥١٠
العادة ٥٢، ١٣٤، ٢٦٥، ٣١٥، ٣٨٥، ٤٩٨	العقل ٢٧، ٣١، ٣٣، ٤٥، ٤٧، ٤٨، ٥٧، ٧٥، ٧٩
العادل ٤٩، ٣٥١، ٤٥٧، ٥٢٧	٨٣، ٩٠، ٩١، ٩٣، ٩٥، ١٠٥، ١١٢، ١١٤، ١١٥، ١١٧، ١٢٠، ١٢١، ١٢٦، ١٤٩، ١٥٦، ١٥٧، ١٦١، ١٦٨، ١٧١، ١٧٧، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٣١، ٢٣٨، ٢٤١، ٢٤٤، ٢٥٠، ٢٦٩، ٢٧١، ٣١٧، ٣٤٣، ٣٦٤، ٣٨٤، ٣٩٢، ٤٠٢، ٤١٢، ٤٣٦، ٤٤٦، ٤٦٥
العاصي ٤٠، ٩١	العلة ٨٠، ١٠٩، ١٥٦، ١٦٢، ١٩٠، ١٩٤، ١٩٨، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢٢٨، ٢٥٠، ٢٦٣، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٨١، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٤٦، ٤٧٧
العبيثية ٦٧، ٧٥، ٧٧، ٨٣، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٨، ١٢٩	العلوم ٢١، ٢٢، ٢٨، ٣٠، ٣٩، ٤٠، ٤٦، ٤٨، ٤٩، ٥٤، ٦٠، ٧٥، ٧٦، ٧٨، ٨٣، ٩٨، ١٠٣، ١٠٤، ١١٣، ١٣١، ١٣٥، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٩، ١٨٩، ١٩٢، ٢٢٠، ٢٢٤، ٢٣٦، ٢٥٣، ٢٦٥، ٢٩٧، ٣٨٧، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٢٢، ٤٣٦، ٤٤٥، ٤٦٤، ٤٦٧، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٩٦، ٤٩٩، ٥٠١، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٨
العبرة ٣٦، ٥٦، ٧٣، ٤٨٧، ٤٩٣	العلوم الآلية ٦٠، ١٠٣، ١٠٤
العبودية ٥٩، ٣٦٨، ٥٠٠	العلوم الإسلامية ١٥، ٥٤، ٥٢٤، ٥٢٥
العجب ٣٥	العلوم الإلهية ٣٠، ١٤٢
العجز ٢٢٨، ٣٢٠، ٤٠٧	العلوم العالية ٦٠، ١٣١
العدالة ٤٧، ١٠٣، ١٢٧، ١٢٩، ٣١٧، ٣٣٧، ٣٥٩	العليم ٦٥، ٥٨
٣٦٨، ٣٨٠، ٤٠٦، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤٣٠، ٤٣٤، ٤٤٦، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٤، ٤٩٦، ٥٠٤	العمر ١٢٦، ١٥٠، ٣١٩، ٣١٨، ٤٢٣، ٤٤٢، ٤٨٦، ٤٩٠، ٤٩١، ٥٢٧
العداوة ١٦٤، ٣٧٤، ٤٦١، ٤٧٨، ٤٧٩	العناد ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٧٩، ٣٦٣، ٣٤٢، ٣٢٤، ٣٠٠، ٢٩٣، ٣٩٦
العدم ١٣، ٤٩، ٥٠، ٧٨، ٨٢، ١٠٠، ١١٠، ١١٦	العناية الإلهية ١٣٠، ١٩٣
١١٩، ١٣٨، ١٤٩، ١٥١، ١٧٥، ١٩٤، ٢٠١، ٢٣٢	العنصرية ٣٣٦، ٣٣٨
٢٥٨، ٢٦٤، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٨٠، ٢٨٢، ٣٢٣	
٤٠٥، ٤٧٢	
العدر ١٠٦	
العرش الأعظم ٤٨٦، ٤٩١	
العرض ٨٠، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٣، ٢٣١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٧	
٢٤٧، ٢٤٦، ٢٤٤	
العزة ٦٥، ٩١، ٣٤٥، ٣٦٦، ٤١٦، ٤٢٨، ٤٧٠	
٥١٩	
العزة والعظمة ٦٥	
العتق ٩٣، ٩٥، ١٧٢، ٣٩٥	

العوام ١٤، ٢٨، ٣٩، ٥٣، ٥٨، ٥٩، ٦٩، ١٠٣،	الغيظ ٥٠
١٤٣، ١٤٤، ١٦٨، ٣٢٤، ٣٥٦، ٣٨٧، ٤٠٠، ٤٠٥،	غرور النفس ٤٣
٤١٩، ٤٢٠، ٤٢٥، ٤٢٧، ٤٦٣، ٤٨٥، ٥٠٥،	غضب الله ٣٤٤
العين ٢٩، ٥٨، ٩٥، ٩٧، ١١٥، ١٧١، ١٨٣، ١٨٨،	ف
١٩٩، ٢٢٩، ٢٧٨، ٢٨١، ٣٦١، ٣٦٣، ٤٠٢،	الفاسق ٣٦٧، ٣٤٠
عادات الله ١٣٨، ١٤٠،	الفقور ٣٧٦
عالم الأرواح ٤٨٨	الفداء ٣٨٦، ٣٥٢، ٣٤٩، ٣٣٥
عالم الإنسان ٤٥٧	الفرح ٤٥٦، ٤١٦، ٣٩٥
عالم البرزخ ٣١٧، ٤١١،	الفساد ٤٢، ١٥٠، ٣٠٣، ٣٦٤، ٣٧٦، ٣٨٢، ٤٢٠،
عالم الحيوان ٤٥٦	٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧،
عالم الرؤيا ٣١٧	الفضيلة ٥١، ٣٣٧، ٣٦٥، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩،
عالم الشهادة ٦٨، ١١٧، ١٥٩، ١٧٢، ٤٨٨،	٣٧٢، ٤١٢، ٤٧١، ٥٠٨، ٥٢١،
عالم الغيب ١٧٢، ٢٣١،	القطرة ٤٠، ٥٠، ٦٤، ٨٧، ١١٢، ١٣٨، ١٤٩،
عالم المثال ٦٨، ٦٩، ١٥٩، ٣١٧،	١٥٠، ١٦٤، ١٦٦، ١٦٧، ٣٢٠، ٣٢٣،
عزة النفس ١٣٣، ٣١٣،	الفقر ٤١٤، ٤٣٥، ٤٧٠، ٤٩٦،
علم البديع ١٠٥	الفقه ٣٩، ٤١، ٦٣، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٩٨، ٤٧٧،
علم البيان ٥٢، ٦٦،	٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٧، ٥٢٨،
علم المعاني ١٠٥، ٢٦٨،	الفلسفة ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٨، ٣٩، ٤١، ٦١، ٨٣،
علم المنطق ٦، ٧١، ٧٨، ١٥٤، ١٨٩، ٢١٧، ٣٢٧،	٨٤، ٩٤، ٩٨، ١١٥، ٣٦١، ٣٧٩، ٤٥٦، ٤٥٨، ٥٠١،
٣٨٤	٥٢٦، ٥٢٣،
غ	الفلسفة اليونانية ٣١، ٣٢، ٨٣، ٨٤، ٩٤،
الغرائب ٦٧، ٦٨، ٣٧٥، ٤٠٨، ٤١١،	الفلك ٣٨، ٦٧، ٣٨٤، ٣٨٥، ٤٧٢،
الغرب ٣٣٠، ٣٣٨، ٣٥٥، ٤١٧، ٥٠٣، ٥٠٦، ٥١٩،	الفناء ٣١، ١١٨، ١٢٢، ١٢٧، ١٥١،
الغرض ٢٩، ٥٢، ٧٣، ٩١، ٩٢، ٩٧، ١٠١، ١٠٢،	الفهم ٧، ١٤، ١٦، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٥٣، ٥٤، ٩٠،
١٠٥، ٢٢٣، ٢٤٧، ٣٣٢، ٣٦٣،	١٠٦، ١١٧، ١٢١، ١٦٢، ١٧٢، ١٩٢، ١٩٤، ٢٢٤،
الغرور ٣٢٤، ٣٤٢، ٣٤٩، ٣٧٧،	٣٥٨، ٤٥١، ٥١٥،
الغفلة ٢٨، ٤٠، ١٤٧، ١٥٦، ٣٦٢، ٤٣٥، ٤٣٧،	القوضى ٥١، ٦٤، ٧٢، ٧٣، ٣٣١، ٣٣٢، ٤١٩،
٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٨٩،	٤٢٦، ٤٢٨،
الغفور ٥٧	فخر العالمين ٤١٧، ٥٠٣،
الغية ٤٢، ٢٤٩، ٣٦٤، ٣٩٦، ٣٩٧،	فرض الكفاية ٤٠
الغيرة ٣٨٦، ٤٠٢،	فلسفة البيان ٩٨
	فلسفة الشريعة ٣٨

القانون الأساسي ٤٣٩، ٤٣٨، ٤١٣، ٤٠٠	القانون الإلهي ٣٢٥، ٦٤، ٤١	القانون الشرعي ٤٣٧	القيح ٤٧٢، ٢٣١، ١٩٦، ٤٩، ٤٢	القبلة ٤٩٦، ٤٩٢، ٣٨٠، ٦٣	القدر ٣٣٤، ٣٣٠، ٣١٨، ١٩٦، ١٥٥، ٤٤، ١٩	٣٣٩، ٣٥٣، ٣٨٤، ٤٣٥، ٤٧٧، ٤٩٠، ٥٠٠، ٥١٤	٥١٨، ٥١٧	القدرة الإلهية ١١٩، ١١٥، ٨٢، ٧٨، ٥٧، ٤٢	٤٨٨، ٣٨٥، ٣٢٣، ٣٢٠، ٣١٧، ٣١٥، ١٤٨، ١٢٠	القدير ٣٦٠، ٢١٧، ٦٨، ٤٣، ٢٣، ١٦، ١٥، ١٣، ٦	٥٢٣، ٤٥٨، ٤١٤	القرآن الكريم ٧٦، ٦١، ٥٩، ٥٧، ٣٣، ٢٨، ٢٧	١٠٥، ٩٦، ٧٧، ١١٢، ١١٤، ١١٧، ١٤٢، ١٤٩، ١٥١	٣١٣، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٦، ٣٧٣، ٤٣٦	٤٥١، ٤٦٩، ٤٩٢، ٥٠٣، ٥٢٨	القرينة ١٩٥، ٨٠	القسم ٢٧٦، ٢٢٦، ٢٠٠، ١٩٢، ٩٥، ٦٦، ٣١، ٣٠	٢٩٧، ٣٧٥، ٣٧٩، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٥٦	القصد ١٠٥، ١٠٣، ١٠٢، ٩٩، ٧٣، ٦١، ١٦، ٧	١١٠، ١٩٧، ٢٢٠، ٢٢٧، ٢٤٥، ٣٥٨، ٣٨٠، ٤٥١	٥١٩، ٥١٥	القضية ١٧٤، ١٦٧، ١٦٦، ٧٠، ٥٥، ٥٤، ٤٣	١٧٨، ١٨٤، ١٨٧، ١٨٨، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠	٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٩، ٢١٠، ٢٢٨، ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٤٩	٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦٠	٢٦١، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٨٣، ٢٨٥، ٣٠٢	٣٠٥، ٣١٨	القلب ١٠٥، ٩٥، ٩٢، ٩٠، ٨٤، ٧٩، ٦٣، ٣٤، ٣١	١٤٠، ١٦١، ١٦٢، ٢٢٨، ٣٢٥، ٣٤٣، ٣٥٠، ٣٦٤	٣٦٧، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٩، ٣٩٧، ٤٠٢، ٤٠٨، ٤١١	٤٣٢، ٤٣٦، ٤٤٤، ٤٦٤، ٤٧٩، ٤٩١، ٤٩٢	
القناعة ٣٦٨، ٥٧، ٣٦	القوة المعنوية ٤٧٤، ٤٩٠	القومية السلبية ٣٣٦	القوى ٥٠، ٥١، ١١٦، ١١٧، ١٢٩، ٣١٦، ٣٢٤	٣٦٤، ٤٦٧، ٤٨٨	القياس الأولوي ١٣١	القياس التمثيلي ٩٨، ١٢٠، ٣٠٢	القياس الخفي ١٣١، ٣٠٨	القياس المعقّم ١١٧	القياس المركب ١٠٠	القيامة ١٢، ٤٧، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ١٤٩، ١٥٠	٤٣٧، ٤٨١	قانون التكامل ٤٠	قانون فطري ٣٧	قصة موسى ١٠١، ١٠٤	قطعي الدلالة ٢٧، ٦٨، ٣٧٣	قطعي المتن ٥٥، ٦٨، ٣٧٣	ك	الكائنات ٢٧، ٢٨، ٤٩، ٥٠، ٥٧، ٦٤، ٩٨، ١٠٩	١١١، ١١٣، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٣، ١٢٤، ١٤٣	١٤٥، ١٤٨، ١٤٩، ١٥١، ١٦٥، ١٧١، ١٨٤، ١٨٦	١٨٩، ٢٠٤، ٢٣٢، ٢٥٧، ٣٠٢، ٣١٥، ٣١٦، ٣٢٣	٣٧٥، ٣٨١، ٤٧٢، ٤٧٤، ٤٨٩	الكبرى ٤٣، ٤٥، ٤٧، ٥٠، ٨٣، ١٠٦، ١٦٥، ٢٢١	٢٢٣، ٢٢٦، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٢، ٢٨٦، ٢٩٠، ٢٩٢	٢٩٧، ٢٩٨، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦	٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣٢٣، ٤٢٩، ٤٣١، ٤٣٩، ٤٦١	٤٧٣، ٤٨٣	الكتاب والسنة ٣٢، ٣٣، ٨٤	الكذب ٣٦، ١٣٣، ١٣٤، ١٨٦، ١٩٧، ٢٢٨، ٢٦٠	٢٧١، ٢٧٣، ٢٧٨، ٢٨٢، ٢٨٥، ٣٩١، ٤٢٥، ٤٧٥	٤٧٧، ٤٧٨	الكرم ٣١٣

ليلة القدر ٣١٨	الكسل ٣٧٧، ٣٩٣، ٤٤٢، ٤٧٥، ٤٨١
م	الكفر ٣١٩، ٣٩١، ٤٥٥، ٤٥٩، ٤٧٦، ٤٧٧
الماضي ٢١، ٢٩، ٣٧، ٤٥، ٤٦، ٦١، ١٣٢، ١٣٥	٥١٨، ٤٨٨
الكلي ٤٨، ٧٨، ٩٧، ١٧٠، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٠	١٨٦، ١٩٠، ١٩٤، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٣١، ٢٣٩، ٢٥٣
٢٣٩، ٣٣٣، ٣٧٥، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٤٣١، ٤٣٥	٢٩٧، ٣١٧، ٣٢٠
٤٣٦، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٥، ٤٥٩، ٤٦٦، ٤٧٠	٥٢١
المالك ٣٢٥، ٤٥٧، ٤٩٤	الكمال ١٢٣، ١٤٥، ١٤٨، ١٥٦، ١٦١، ١٨٢
الماهية ١٧٨، ١٧٩، ١٩٦، ٢٠٨، ٢٢٦، ٢٣٢	٢٢٣، ٢٣١، ٣١٨، ٣٢٣، ٣٦٦، ٣٦٩، ٣٧٥، ٣٨٩
٢٣٤، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٥٤، ٣٢٢	٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢
المبالغة ٤٢، ٥٧، ٢٥٣	الكتاية ٢٩، ٧٧، ١٩٥، ٢٢٩، ٢٣٠
المتشابهات ١٢١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤	الكنز ٣٤، ٣٨٧
المجاز ٢٩، ٣٧، ٣٨، ٧٣، ٧٦، ٧٩، ٨٠، ٨٢، ٨٣	الكون ٢٧، ٢٨، ٣١، ٤٠، ٤٧، ٦٥، ٧٤، ٧٨، ١١١
١٨٢، ١٩٥، ٢٢٦، ٢٢٩، ٢٣٠	١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٧، ١٢٦، ٢٥٢، ٣١٦، ٣١٩
المجاهدة ١٩٣، ٣٥٢، ٤٧٢	٣٢٠، ٣٢٢، ٣٦٩، ٣٨٣، ٤٥٩، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣
المحبة ٧٩، ٨٩، ١٣٠، ١٣٧، ١٥١، ٣٣٧، ٣٤٨	٤٧٦، ٤٨٨، ٤٨٩، ٥٠٠
٣٤٩، ٣٧٤، ٣٩٤، ٣٩٦، ٣٩٧، ٤١٩، ٤٢٥، ٤٧٨	الكيفية ٧١، ٧٣، ٩٥، ٢٠٠
٤٧٩، ٤٨٤، ٤٩٦، ٤٩٨، ٥٠١، ٥٠٣، ٥٠٥	الكيمياء ٣٠
المحيي ٥٧	كروية الأرض ٥٨، ٦٢، ٦٣، ٧٨
المدارة ٧٩	كسب العبد ١١٩، ١٥٦
المدنية ١٩، ٢٢، ٤٧، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٦٦، ٧٢	ل
١٣٨، ١٤٠، ١٤١، ٣٢٥، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٥	اللذة ١٣٠، ٣٤٢، ٣٩٥
٣٣٦، ٣٣٧، ٣٤٦، ٣٤٨، ٣٥٢، ٣٦٨، ٣٧٢، ٣٩٩	اللسان ٥٧، ٩٦، ١٠٥، ١٠٩، ١٥١، ١٦١، ١٦٢
٤٠٨، ٤١١، ٤١٤، ٤٢٩، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٥، ٤٣٦	١٨١، ٢٩٧، ٣٩٣، ٤٤٤
٤٣٧، ٤٣٨، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٣، ٤٤٥، ٤٦٦، ٤٦٧	اللطيفة الربانية ٣١، ١١١، ١٦١
٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٤، ٤٨٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٥٠٤	اللغة التركية ١٤، ٤١٦، ٤٩٧
المرض ٣١٥، ٤٤٤	اللغة العربية ٦، ١٤، ٢٨، ٥٣، ٨٧، ٣٩٥، ٤٠١
المستقبل ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٩، ٦١، ٨٨، ١٣٢	٤٤٩، ٥٢٧
١٣٦، ١٣٩، ١٤١، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٨، ٣٣٦، ٣٣٨	اللغة الكردية ٢٩٠
٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٧٣، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٩٢	اللفظ ٤١، ٥٤، ٨٧، ٨٨، ٩٧، ٩٩، ١٤٤، ١٦١
٣٩٥، ٤٣١، ٤٣٣، ٤٣٥، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٥، ٤٦٩	١٧٢، ١٧٣، ١٧٦، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٩٢، ٢٢٠
٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٤، ٤٨١	٢٢٤، ٢٢٥، ٢٣٥، ٢٦١، ٢٧٤، ٣٥٦
المشروطة ٣٤١، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٣	اللوح المحفوظ ٢٣١، ٤١٧
٣٧٣، ٣٧٨، ٣٨٠، ٣٨٨، ٣٩١، ٣٩٢، ٤٠٣، ٤٠٤	

- ٤٠٦، ٤١١، ٤١٢، ٤١٤، ٤١٥، ٤٢٢، ٤٢٣، الموت ٨٢، ١٥٠، ٢٤٢، ٣١٥، ٣٧٢، ٣٨٩، ٣٩٠، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٨، ٤٣٠، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤١٢، ٤١٣، ٤٢٥، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٥٧، ٤٦٤، ٤٨٧، ٤٤٤، ٤٩٤، ٤٩٦، ٥٠٢، ٤٨٨، ٥١٠، ٥٢١
- الميثية الإلهية ٤٧٣
- المصادفة ١١٣، ١١٦، ٤٨٨
- المصور ٣٩
- المصيبة ٦، ٣٣٩، ٣٤٤، ٣٥٩، ٤٠٩، ٤١٥، ٤١٨، ٤٢٥، ٤٣٢، ٥٠٨، ٥١٧، ٥١٨
- المعاني ٥، ٢٩، ٣٧، ٥٢، ٦٩، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠١، ١٠٤، ١٠٥، ١٤٣، ١٥٩، ١٧٣، ١٧٤، ١٨١، ١٨٢، ١٨٥، ١٩٨، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٣٧، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٦٨، ٣٦٣
- المعتزلة ١١٩، ٢٢٢
- المعجزة ٤٢، ١٠٤، ١١٣، ١٢٠، ٤٣٧، ٤٣٨
- المعنويات ٣٠، ٣١، ٩٨، ١٣٣، ١٤٩، ١٥٠، ٤٠١
- المغالطة ٨٩، ٢٢٥، ٢٤٠، ٤٠١، ٤٣١
- المقابلة ١٢٥، ٣٢٢، ٤٥٠
- الملائكة ٣٤، ٦٥، ٨٣، ١٣٣، ٣٢٥
- الملكة ١٨٣، ٢٢٢، ٢٩٨، ٤٠١
- الملكوية ٦٥، ٣٢٠، ٣٩٥
- الملية ١٣٧، ٣٦٠، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٤٠، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٩٠
- المنافسة ٥٠، ٣٤٧، ٤٧٠
- المنطق ٦، ٣٧، ٣٨، ٦٠، ٧١، ٧٨، ٨٧، ١١٥، ١٥٤، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٦، ١٧١، ١٧٢، ١٨٩، ١٩٣، ١٩٨، ٢٠٤، ٢١٠، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٣١، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤٧، ٢٥٠، ٢٦٠، ٢٦٧، ٢٧٥، ٢٩٧، ٣٠٤، ٣٢٧، ٣٨٤، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٧
- المنظمات ٥١، ٤٢٩، ٤٦٦، ٤٧١
- المنفعة ٤٦، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٩٢، ٤٦٢
- الموازنة ٤٢، ١٢٥، ٣٢٢، ٣٤٨، ٤٣٥، ٤٤٥، ٥٠٦
- الموت ٨٢، ١٥٠، ٢٤٢، ٣١٥، ٣٧٢، ٣٨٩، ٣٩٠، ٤١٢، ٤١٣، ٤٢٥، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٥٧، ٤٦٤، ٤٨٧، ٤٨٨، ٥١٠، ٥٢١
- الموسيقى الإلهية ٣٦٢
- الموضوع والمحمول ٧١، ٧٩، ١٦٧، ٢٠٠، ٢٠٨، ٢١٠، ٢٢١، ٢٥٢، ٢٥٩، ٢٨٣، ٢٩١، ٣٠٨
- الميل ٢٩، ٦٠، ٦٤، ١٣٣، ٢٢٠، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٤٢، ٣٤٥، ٣٤٩، ٣٧٧، ٣٩٧، ٤٠٤، ٤٠٧، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٩١، ٤٩٢
- محاكم التفتيش ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٥٠٤
- محاكمة عقلية ١٢٠، ١٣٥، ٣٦٣
- محمد ﷺ ٧، ١٣، ١٦، ٢٠، ٤٩، ١٢٥، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٦، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٤، ١٥٩، ٣٤٦، ٣٥٨، ٤١٨، ٤٢٥، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٦١، ٤٦٨، ٤٧٣، ٤٧٦، ٤٧٧، ٥١٤، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٧
- مزاج ٦٦
- مستبعات الكلام ٥٢، ٩٥
- معنى الاسم ٢٠٦
- معنى الحرف ٢٠٦
- مقاصد القرآن ٧٣، ١١٠
- ملكوية ١٢١
- ماهية الإنسان ٢٣٧، ٤٩٢
- ممكّن ٧٨، ١٤١، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٤، ٢٠٦، ٢٢٩، ٢٣٢، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٨، ٢٨٨، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٣، ٣٠٠
- ن
- النوبة ٢٧، ٥٩، ١٠٠، ١٠٤، ١١٠، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٨، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٩
- النحو ٦٠، ٨٧، ٩٨، ١٦١، ٥٢٦، ٥٢٧
- الندامة ١٢٧، ٣٦٢، ٣٨٤
- النذور ٣٩٠، ٤٠٣

١٢٧، ١٢٩، ١٣٧، ١٤٠، ١٤١، ٣٢٧، ٣٦٦، ٣٦٧،
٣٩٢، ٣٩٦، ٤٢٨، ٤٥٧، ٤٩١، ٥٠٧، ٥٢١

الوجود ١٣، ١٩، ٥٦، ٥٩، ٨٩، ١١١، ١١٨، ١١٩،
١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٤، ١٤١، ١٤٨، ١٥٧، ١٦١،
١٧٨، ١٧٩، ١٨١، ١٨٣، ١٩٠، ١٩٤، ٢٠١، ٢٠٦،
٢٠٨، ٢٢١، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦،
٢٤٢، ٢٤٤، ٢٤٨، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٥٨، ٢٦٢،
٢٦٣، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٨١، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٩٦، ٢٩٩،
٣١٦، ٣٢٣، ٣٧٣، ٣٨٧، ٤٤١، ٤٦١، ٤٨٩

الوسوسة ١١٩، ٥١٧، ٥١٩

الوظيفة ١٨٨، ٢٨٨، ٣٧٧، ٣٧٨، ٤٤٤، ٤٨٨

الوعد ٨٩

الوفاء ٩٤، ٣٦٧، ٣٩١، ٤٠٨

الوقائع ٣٢، ٤٦٣، ٤٧٣، ٤٨٨

الولاية ٣٣٩، ٣٦٩

الولي ٣١٨، ٣٨٢، ٣٩٧

الوهم ٧٨، ٨٩، ٩٨، ١١٠، ١١٦، ١١٩، ١٤٤،
٣١٨، ٣٧٨، ٤٩١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥

واجب الوجود ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٤،
٢٣٢، ٤٦١

ي

اليأس ٤٤، ٥١، ١٥٧، ٣٣٤، ٣٤٦، ٣٤٨، ٣٥٦،
٣٥٨، ٣٧٢، ٣٧٩، ٣٩٥، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤١٢، ٤٢٠،
٤٦١، ٤٦٢، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٩٧، ٥١٣

اليقين ٦٥، ٦٨، ١١١، ٢٤٩، ٢٥٣، ٢٦٥، ٢٧٤،
٣١٩، ٤٥٧

النسيان ١٣٨، ١٤٠، ١٨٦، ٤٨٩

النصرانية ١٤١، ٣٢٤، ٣٤٦، ٣٤٨، ٣٥٠، ٣٧٣،
٤٦٦، ٤٦٨، ٤٦٩

النظام ٦٧، ٨٢، ١١٢، ١١٣، ١١٧، ١١٨، ١٢٥،
١٢٦، ١٢٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٨٦، ١٩٦، ٣٢٣، ٣٥٥،
٣٧٦، ٣٧٧، ٤١٦، ٤١٧، ٤٢١، ٤٢٦، ٤٧٣، ٥٠٥،
٥٠٩

النظر السطحي ٤٤، ٥٧، ٧٩، ١١٥

النظري ٢٩، ٢٢١

النفاق ٣٧٤، ٤٢٤، ٤٢٩، ٤٣٢، ٤٧٥، ٤٩٨، ٥٠٣

النفس ٤٣، ٥١، ٥٦، ١١٢، ١١٥، ١٢٥، ١٣٣،
١٦١، ١٦٣، ١٩٧، ٢٥١، ٢٩٩، ٣١٣، ٣١٧، ٣١٨،
٣١٩، ٣٢٨، ٣٣٦، ٣٤٥، ٣٦٧، ٣٩٦، ٤٠١، ٤٣٥،
٤٣٩، ٤٩١، ٤٩٢، ٥٠٠، ٥٠٤، ٥٢٨

النقد ٣٤، ٣٢٧

النقل ١٩، ٢٧، ٣٣، ٥٢، ١٨٢، ٢٥٠، ٢٦٩

النية ١٦٠، ٢١١، ٣٤٠، ٤٠٦، ٤٣٢، ٤٣٨

نظم المعاني ٨٧

نقطة الاستناد ١١٢، ٣٤٧، ٣٦٦، ٣٧٢

هـ

الهجاء ١٨٢، ٣٤٩

الهدى ٤٥، ١٦٠، ٣٣٨، ٣٩٨، ٤٧١، ٤٨٤، ٤٩٧،
٤٩٩، ٥٠٧

الهيذان ٣٤٠

الهزيمة ٣٣٤، ٣٣٥

الهمة ٣١٣، ٣٨٠، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٣٦، ٤٦٢

الهندسة ٣٠، ٣٩، ٤٢١

الهورى ٢٨، ٣٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٩٦، ٣٣٦، ٣٣٨،
٣٩٨، ٣٩٩، ٤٤٠، ٤٨٤، ٤٩٧

و

الوارث ٤٥٧

الوجدان ٣٣، ٤٣، ٤٨، ٦١، ٩٥، ٩٦، ١٠٩، ١١٢

فهرس الأسماء

- أفلاطون ٤٤٢، ٤٢٩
 أنور باشا ٣٤١
 إبراهيم ٤٦٩
 إبراهيم حقي ٥٢٣، ٦٣
 إسماعيل ٤٣٨
 إسكندر ٧١
 ابن الفارض ٢١٢، ٩٦
 ابن حجر ٣٢٧
 ابن سينا ٥٢٣، ٤٤٢، ١٠٣، ٣٠
 ابن عباس ٦٨، ٦٤، ٣٧
 ابن عربي ٦٨
 ابن همام ٥٢٣، ٦٣
 الأفغاني ٤١٨
 الإمام مالك ٣٧٨
 البوصيري ٩٠
 البيضاوي ٤١
 التفازاني ٥٢٧، ٥٢٤، ٦٢، ١٢
 اللدجال ٢٣
 الرازي ٥٢٨، ٢٣٣، ٢٢٢، ٦٢
 الزمخشري ٥٢٦، ١٠٣، ٩١
 السكاكي ٥٢٦، ١٢
 السلطان رشاد ٥٢٦، ٤٨٥، ٣٦٠
 السلطان عبد الحميد الثاني ٣٦٠، ٣٥٩، ٣٥٥، ٢٣
 ٥٢٦، ٥٠٠، ٤٣١، ٤٢٣، ٣٨٠، ٣٦٩، ٣٦٨، ٣٦٤
 السيد المهدي ٣٦٣
 الشافعي ٤٢٥، ٢٧٠، ٢٥٠، ٦٣
 الشريف الجرجاني ٥٢٧، ١٠٣
 الشعراني ٥٢٧
- الشيخ أحمد ٣٦٢
 الشيخ صادق ٤١٧
 الشيرازي ٥٢٦، ٥٣
 الغزالي ٦٣، ٤٣
 القائد الياباني ٤٦٣
 القرافي ٥٢٨، ٦٨
 الكيلاني ٥٢٦، ٣٤٩، ٥٦
 المأمون ٣٢
 انترانيك ٥٢٣، ٣٤١
 بارباروس ٤٣٥
 بسمارك ٥٢٤، ٤٦٨، ٤٤٢
 بلقيس ٤٤١
 تحسين (العالم) ٤١٨
 جبرائيل ٥٢١
 جحا الرومي ٣٦
 جلال الدين الرومي ٥٢٥، ١٥٥، ١٢٢، ٥٣
 حسن فهمي ٥٢٦، ٤٢٧
 حسين الجسر ٥٢٥، ٦٣
 خوارزم شاه ٤٣٥
 داود ٣٧٦، ٧١
 ديكرت ٤٤٢
 ذو القرنين ٧١
 رستم بن زال ٥٢٦، ٣٥
 رستم زال ٤٣٥
 سعيد الجديد ٤٧٦، ٣٦٠، ٧
 سعيد القديم ٣٦١، ٣٥٩، ٣٥٨، ٣٥٧، ١٥١، ٧، ٥
 ٤٧٦، ٤٦٢، ٤٥٦، ٤٥٤، ٤٥٣، ٣٨٢، ٣٧٧، ٣٧٣
 ٤٩٣، ٤٩٠
 سعيد حليم ٥٢٦، ٣٤١
 سكاكي ١٠٣، ٨٠، ١٢
 سليم ٤٣٥، ٤١٨

فهرس الأشعار والأمثال والحكم

أعوذ بالله من الشيطان والسياسة ٣٧٣
أن الإمكان الذاتي لا ينافي اليقين العلمي ٢٦٥
أن الضرورات تبيح المحظورات ٣٤٤
إذا تعارض العقل والنقل ٢٧
إذا ثبت الشيء ثبت بلوازمه ٣٥
إذا متّ ظمآن فلانزل القطر ٣٨٩
إن كان رفضاً حب آل محمد ٤٢٥
إنما الحيلة في ترك الحيل ٤٢٤
إن متّ فلتحي أمتي ٣٨٩
إن متنا، فأمتنا الإسلامية حية ٣٨٩
الأشجار المتشابهة تُميزها ثمراتها ٣٦٤
التخريب أسهل من التعمير ٢٢٧
الجزاء من جنس العمل ٣٣٩
بس كنم جون زير ٤٣١
تشكى الأرض غَيْبته إليه ٨٩
جمله شيران جهان يسته إين سلسله أند ٤٩٩
حشاي على جمر ذكي من القضا ٩٦
حشاي على جمر ذكي من الهوى ٩٦
خذ ما صفا دع ما كدير ٤٤٠
صدّ حمي ظمئي لَمَاذَا ٩٦
طلب المحال حماقة ٣٦٥
عرفت الشر لا للشر ١٦٥
عناصر جهارن ٨٣
عَارَ الوفاء وفاض الغدر ٩٤
غرست باللحظ ورداً ٩٦
فإما هذه الحال وإما الاضمحلال ٣٦٦
فللعين والأحشاء أول هل أتى ٩٦

سليمان ٤٦٩، ٩٠
سهيل باشا ٤١٧
شكبير ٣٤٩
شيخ الإسلام ٣٣٢، ٦
صلاح الدين الأيوبي ٤٤٣، ٤٣٥، ٣٧٣
عبد القاهر الجرجاني ٥٢٧، ٨٠
عزازيل ٥١٧
علي ٤٤٣، ١٢٣، ١٢٢
علي سواعي ٤١٨
عمر ٤٤٣
عيسى ٤٦٩
فخر الإسلام البزدوي ٦٣
فنزيلوس ٣٤١
كارلايل ٥٢٤، ٥٠٣، ٤٦٨، ٤٦٧، ١٤١، ١٤٠
كعب ٣٢
كولومبس ٣٠
لوط ٧١
مالك ٣٧٨، ٣٢٧
محمد عبده ٤١٨
مسيلم الكذاب ٤٧٦، ١٣٤
موسى ٥١٠، ٤٦٩، ٤٦٠، ١٣٨، ١٠٤، ١٠١
نامق كمال ٤١٨، ٣٦٤
نصير الدين الطوسي ١٠٣
نوح ٤٦٩
هرقل ٤٨٧
وحيد الدين ٥١٣
وزير الأمن العام ٤٢٢
وهب ٣٢
يافث ٧٢
يوسف ٤٦٩

فهرس الأماكن

- آسيا ٤٥، ٥٠، ٥٢، ٧٢، ٣٣٥، ٣٥٠، ٣٧٠، ٣٧١،
 ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٦٣، ٤٧١، ٤٨٣،
 ٤٨٧، ٥٠٠
 أذربيجان ٤١
 أرمينيا ٤١
 ألبانيا ٣٤٨
 أمريكا ٣٠، ٤٦٣، ٤٦٨
 أنقرة ١٥، ٣٥٧، ٣٦٠، ٥١٥
 أوروبا ٥١، ٧٢، ٣٣٥، ٣٤٠، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨،
 ٣٤٩، ٣٥٥، ٤٠١، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤٣٧، ٤٤٠،
 ٤٤٢، ٤٦٨، ٤٧١، ٤٨٧، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٥٠٠
 ٥٠١، ٥١٩، ٥٢٤
 أياستافانونس ٤٢٠
 إسبارطة ١٦٩، ٣٦٠
 إسطنبول ٢٣، ٣٣١، ٣٥٦، ٣٦١، ٣٨٠، ٤١١،
 ٤١٦، ٤٢٠، ٤٢٢، ٤٢٤، ٤٤٤، ٤٥١، ٥٠١، ٥٠٢،
 ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥٢٠، ٥٢٤، ٥٢٧
 إفريقيا ٣٤٤، ٤٦٣، ٤٨٧، ٥٠٠، ٥٢٥
 إيران ٤٩٤
 الأناضول ٦، ١١، ٨٤، ٣٥٦، ٣٦١، ٣٦٢، ٤٣٢،
 ٤٤٢، ٥٠٢، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢٣
 الجامع الأزهر ٤٠١
 الجامع الأموي ٤٤٩، ٤٥٣، ٤٦١، ٤٦٥، ٤٦٩،
 ٤٧٧، ٤٨٠
 الجزائر ٣٧١، ٥٢٥
 الحبشة ٣٤٨
 الروضة المطهرة ٣٩٤
 السجن ٧، ٣٦٤، ٤١١، ٤١٣، ٤٢٥، ٤٣٢، ٤٩٢
 السودان ٣٤٨

- فمن ادعى الكلّ فاتّه الكل ٣٩
 قالت كبرت وثبت ٩٣
 كأن قلبي وشاحا إذا خطرت ٩٣
 كلّ العسل ولا تسل ٨٢
 لأهون الشرّين وأخف الضررين ٣٩٩
 لئن أدركت في شرحي فتورا ٢١٢
 لا تبدل الحقائق بتبدل الأسماء ٤٢٤
 لازم المذهب الغير اليّن ٢٤٥
 لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ١٦٢
 لولا عليّ لهلك عمر ٢٨٠
 ليس الكحلّ كالتكحلّ ١٣٣
 ليس في الإمكان أبداع مما كان ٤٣
 ما لا يدرك كله لا يترك كله ٣٩٨
 من توغل في الماديات تبدّد في المعنويات ٣١
 وأبعدني عن أربعي بعد أربع ٢١٢
 وألفاظ رفاق النسخ قدت ١٧٣
 وألقى بصحراء الغبيط بعا ٩٤
 واشتفرغ الدّمع من عين قد امتلأت ٩٠
 وطالما كنا كفصتيّ بان ١٨٢
 وعينك قد نامت بليل شبيبة ٩٣
 وكأنما لطم الصباح جبهته ٩٣
 ولا يروّعك إيماض القنير به ٩٣
 ولكن بكوا قبلي فهبجوا لي البكاء ٧٧
 ولولا تكاليف العلا ومقاصد ٤٣٣
 ولولا تكاليف الثلى ومغارم ٤٣٣
 بناجني الإخلاف من تحت مظلّيه ٨٩
 ينعكس الضد من الضد ٩٢

جبل قاف ٦٨،٦٢	الشام ٥٢٨،٥٢٥،٤٥٣،٤٤٩
جزيرة العرب ١٣١،١٣٧،١٣٩،٣٩٤	الصحراء ٢١،١٣٧،٣٦٥،٣٨٠،٤٣٩
حوران ٣٤٨	العالم الإسلامي ٣٣٠،٣٣١،٣٣٣،٣٣٤،٣٣٥
خورخور ٣٨٣	٣٣٧،٣٣٨،٣٤٤،٣٤٨،٣٥٠،٣٧١،٣٧٢،٣٩٨
ديار بكر ٤٠٣،٤٠١	٣٩٩،٤٣٢،٤٥٣،٤٦٢،٤٦٥،٤٧٠،٤٧١،٤٧٤
روسيا ٣٧٠،٣٥٥	٤٧٥،٤٨٠،٤٨١،٤٩٣،٥١٤،٥١٧،٥٢٠
روم إيلي ٤٣٧،٤٣٨،٤٤٢،٤٨٥	العالم العربي ٣٧١
سد الصين ٧٢	القفقاس ٣٥١،٣٤٤
سد ذي القرنين ٥١،٦٢،٧٠	الكعبة المكرمة ٣٩٤
قصر يلدز ٤٢٣	المحكمة العسكرية ٦،٧،٣٩٤،٤٠٩،٤١١،٤٣٠
قمة باشت ٤٣٢	المدارس الحديثة ٤٠٥،٤٤٥،٤٨٥،٤٨٦
كرديستان ٤٠٣	المدارس الدينية ٥٨،٥٩،٦٠،٣٦٠،٤٠٣،٤٠٤
لبنان ٣٤٨	٤١٧،٤٢٢
ماسور ٣٤٨	المغرب ٣٧١
مدرسة الزهراء ٦،٣٦٠،٣٨٣،٤٠١،٤٠٣	النمسا ٣١٨،٤١٥
مستشفى المجاذيب ٦،٧،٤١١،٤٢١،٤٢٢،٤٣٢	الهند ٣٧٠،٣٧١،٥٢٥
مسرح الفرح ٤١٦	الولايات الشرقية ٤٠١،٤٠٦،٤١٣،٤١٤،٤١٨
هيمالايا ٦٩	٤٢٢،٤٣٦،٤٨٥
	اليمن ٣٧١
	باريس ٣٤٩،٥٢٨
	بتليس ٣٥٠،٤٠١،٤٠٣
	بحيرة «وان» ٧٨
	بيت الشباب ٣٨٠
	تفليس ٣٥٠
	تل الشيخ صنعان ٣٥٠
	جامع أبياصوفيا ٣٢٥،٤١٢،٤١٤،٤١٥،٥٠١
	٥٢٢
	جامع بايزيد ٤١٦
	جامولار ٦٩
	جبل آارات ٤٢٦
	جبل سبجان ٤٢٦،٤٣٥

فهرس الجماعات

الاتحاد المحمدي ٤١٩، ٤١٨، ٤١٧، ٤١٢، ٣٩١، ٥٠٢، ٥٠١، ٤٩٩، ٤٩٨، ٤٢٦
 الاتحاد والترقي ٣٧٩، ٣٦٨، ٣٦٤، ٣٦٠، ٣٤١، ٣٨٠، ٤٠٠، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٢٤، ٤٢٧، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦
 الانكشاريون ٤٢١
 البلبو ٣٨٩، ٣٨٢، ٣٦٨، ٣٦١، ٧٧، ٧١، ٦٩، ٣٨٤
 التار ٣٤٤
 التركستاني ٣٥١
 الجركس ٥٠٢
 الجماعات الإسلامية ٣٣٢
 الجمهور ٣٩٨، ٣٣٢، ١٤٥، ١٤٣، ١٤٠، ٥٣
 الجنود ٤٢١، ٤٢٠، ٤١٩، ٣٨٠، ١٥٩، ١١٧، ٤٢٢، ٤٢٨، ٤٣٥، ٤٤٦، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠
 الحلفاء ٥١٤، ٥١٣
 الخطباء ٤٦٣، ٣٧١، ٣٦٢
 الرهبان ٤٧
 الروس ٥٢٨، ٥٢٤، ٥١٤، ٤٦٣، ٣٧٠، ٣٤٥
 الروم ٥٢٨، ٥١٤، ٣٧٠، ٣٤٨
 الرومان ٣٣٧
 الزنادقة ٥٠٤، ٤٧٦
 الساميين ٤٩٤
 السفهاء ٥٠٤، ٣٧٩، ٣٦٧
 السلف ٢٩٥، ٢٩٤، ١٦٥، ٨٤، ٤٦، ٣٩، ٣٧، ٣٢٧، ٣٣٤، ٣٨٤، ٣٩٣، ٣٩٩، ٤٠١
 السوفسطائين ١٣٦، ٧٨
 السياسين ٥٢٤، ٥٠٣، ٣٥٦، ٣٤١
 الشعراء ٥٢٣، ٣٨٥، ٣٨٤، ٩٦، ٨٧
 الصحابة ٤٧٧، ٤٣٩، ١٣٤، ٣٧
 الصوفيون ٣٩٤، ١٢٢، ١٢١

أرباب الصحف ٤١٦
 أرباب الضلال ٤٧٩، ٤٥٨، ٤٥٥، ٤٥٤
 أرناؤوط ٣٩٩
 أهل البيت ٥٩
 أهل الحق ٤٧٣
 أهل السنة ٥٢٧، ٢٢٣، ٢١٠، ١٥٦، ٧٨، ٧٤
 أهل السياسة ٤٠٥
 أهل الكتاب ٣٧٤، ٣٢
 أهل المدرسة ٤٩٩، ٤٠٤، ٤٠٠
 أولي الأمر ٤٢٥
 الأتراك ٤٠٠، ٣٨٨، ٣٨٦، ٣٨٣، ٣٦٨، ٣٣٥، ٤٠١، ٤٠٣، ٤٠٢، ٤١٥
 الأحزاب ٤٢٧، ٤٢٥، ٤٢٤، ٤١٨، ٤١٤، ٣٢٤
 الأدباء ٥٠٧، ٤٣٢، ٤١٦، ٣٥٩، ٨٨، ٨٧
 الأرتوش ٣٨٠، ٣٤٨
 الأرمن ٣٨٦، ٣٧٨، ٣٧٣، ٣٧٠، ٣٤٨، ٢١٩
 الأكراد ٣٨٨، ٣٨٦، ٣٧١، ٣٥٦، ١٧٩، ٣٤، ٢٢
 الألمان ٥٢٤، ٥١٨، ١٤٠
 الأمة الإسلامية ٤٣٦، ٤٢٥، ٣٥٦، ٣٢٦، ٤٥، ٦
 الأمراء ٥١٤، ٤٨٠
 الأنبياء ١٣٠، ١٢٩، ١٢٣، ٩١، ٧١، ٥٩، ١٩
 الأولياء ٣٦٩، ٣٦٢، ٣٦٠، ٣٥٨، ٢٢٢، ١٢٢
 الإيرانيين ٣٥
 الاتحاد الإسلامي ٤٨٢، ٤٨١، ٤١٨، ٣٩٤، ٣٧٠
 ٥٠٧، ٥٠٦، ٥٠١

الضباط ٥٠٩، ٤٢٧، ٤٢٤، ٤٢٠، ٤١٢	المتقنين ٤٢٤، ٤١٨، ٣٥٥، ١٤
الطبيعيون ١١٩	المجوس ١١٩
الطيار ٣٤٨	المدنيين ٦٩، ١٣٥، ٣٣٦، ٣٨٣، ٤١٦، ٤١٨، ٥٠٤، ٤٩٦
الظالمون ٤٤، ٧١، ١٩٥، ٣٢٤، ٤٧٠	المرشدون ١١، ٢٢، ٣٩٥، ٤٠٥، ٤١٩، ٤٤٦، ٥٠١
الظاهريون ٨٣، ٧٨، ٧٣، ٧١، ٦٥، ٥٩، ٣٣، ٣٢	المسلمون ٢٠، ٤٧، ٤٩، ٣٢٥، ٣٣٠، ٣٤٢، ٣٤٨، ٣٥١، ٣٧٦، ٣٩٢، ٤٧٤، ٤٨٠، ٤٩٠، ٥١٤، ٥٢٢
العثمانيين ٣٣٥، ٣٧٠، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٦٢، ٥٠٨	الشيخة الإسلامية ٢٣، ٣٣١، ٣٧٨
٥٢٨، ٥٢٤، ٥٠٩	المصري ٣٥١
العجم ٩٤، ٣٥	المعتزلة ١١٩، ٢٢٢
العرب ١٩، ٣٢، ٥٤، ٦٦، ٧٣، ٧٦، ٧٧، ٨٠، ٨٢، ٨٧، ١٣١، ١٣٤، ١٣٧، ١٣٩، ١٤١، ٣٤٤، ٣٧٦، ٣٩٤، ٤٠٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٧، ٤٧٥، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٩٤، ٥٠٢، ٥٢٧	المغول ٧٢، ٥٢٤، ٥٢٥
العلماء ٥، ٦، ٩، ١٢، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ٢٣، ٣٣، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ١٠٩، ١٥٤، ١٧٣، ١٧٥، ٢٣٨، ٣٣١، ٣٣٣، ٣٦٢، ٣٦٤، ٣٦٩، ٣٨٢، ٣٨٥، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٥٣، ٤٦١، ٤٧٧، ٤٩٥، ٥٠١، ٥٠٥، ٥١٣، ٥٢٤	الملحدون ١٢٩، ١٢٦، ٣٦٦، ٤٠٦، ٤١٢
الغافلين ٢٨، ٣٥	المنافقين ٤٧٦
النجار ٣٧٦	الموحدون ٤٢١، ٥٠٩
الفاقدون ٣٦٥	المولوي ٦٤، ٣٩٥، ٤٣٨
الفقهاء ٣٩، ٢٧٦، ٥٢٤	النصارى ٤٧، ٣٢٤، ٣٧٣، ٣٧٤
الفلاسفة ٣٠، ٦٥، ٨٣، ١١٣، ١٢١، ١٣٨، ١٤٤، ٤٥٤، ٤٦٧، ٥٢٣	النقشبدي ٣٩٥
الفوضيين ٤٩٣	النواب ٣٨٠، ٣٩٨، ٤١٩، ٤٩٠، ٤٩٣، ٤٩٤
القرويون ٣٤٥	الهندي ٣٤٤، ٣٥١
القسس ٢١، ٣٤٩	الهون ٧٢
القفقاس ٣٧١، ٣٥١	الوعاظ ٢٢، ٣٧٦، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٩٥
الكهان ١٩	اليابانيين ١١٠، ١٤٨، ٤٤٠
المادين ٣١، ١٢١	اليهود ١٨٦، ٣٧٣، ٥١٣، ٥١٤
الماسونيين ٣٧٨، ٣٧٩، ٤٠٠	اليونان ٥١٤، ٥٢٨
المانجور ٧٢	تركيا الفتاة ٣٣٠، ٣٦٤
	جون ترك ٣٧٥
	خدام القرآن ٤٦٥
	روافض ٣٦٧
	طوران ٤٩٤
	علماء السوء ٤٤

النحل ٤٦٧، ٣٩٩، ٣٦٢، ٣٢١

النسر ٦٥

النمل ١٣٧، ٩٠

الهدهد ٩٠

دابة الأرض ٤٨٧، ٤٨٦

غنم ٣٩٧

كلب ٥٢٢، ٣٣٦

فهرس النباتات

البذرة ٦٨، ٢٠

الحبة ٧٨

الزبيب ٣٦٤

الزقوم ٤٨٨، ٣١٨

الزهرة ١٦٠

الشجر ٢٤٤، ٢٠٨، ٢٠٧، ١٥٧، ١٤٧، ٧٤، ٥٤

٣٩٥

تفاح ٣٤

شجرة طوبى ٥٠٣، ٤٤٢، ٤٠٢، ٧٤

كه وه دان ٣٩١

مامه خوران ٣٩١، ٣٦٢

يأجوج ومأجوج ٤٩٣، ٧٢

فهرس الحيوانات

الأسد ٢٣٠، ٢٢٩

الببغاء ٣٨٠

البعوض ٤٣١، ٣٦٢

البوم ٤٤١

الثعبان ٣٨

الثور ٤٦٧، ٦٧، ٦٦، ٦٥، ٦٤، ٦٢

الحمار ٥٢١

الحوت ٤٦٧، ٦٧، ٦٦، ٦٥، ٦٤، ٦٢

الحيوان ٤١، ١١٥، ١١٦، ١١٩، ١٥٨، ١٧٠،

١٧٢، ١٩٠، ١٩٤، ١٩٩، ٢٠٤، ٢٢٧، ٢٣٨، ٢٣٩،

٢٤٣، ٢٥٦، ٢٧٩، ٢٨٤، ٢٨٦، ٢٩٠، ٢٩٢، ٣٤٢،

٤٥٦

الخنزير ٥١٩

الدب ٣٣٦

الدجاجة ٣٤٥، ٣٤٤

الذئب ٣٤٥

الزنابير ٤٣١، ٣٤

الطير ٦٧

الغنز ٣٤٥

المنكبوت ٣٦٢، ٣١٥، ٢٦٧

الغنم ٣٦١

الغول ٦٢

القرد ٣٣٦

الكركدن ٣٢٢

الميكروب ٤٨٧، ٣٢٢

فهرس الموضوعات

هذه المجموعة ٥

محاكات عقلية

- ١١ تقديم: د. عبد الملك السعدي
١٤ كلمة للقارئ الكريم (المترجم)
١٩ دياجة الكتاب
٢٣ المقدمة

المقالة الاولى

عنصر الحقيقة «مقدمات ومساائل»

- ٢٧ الاولى: مقاصد القرآن وذكر الكائنات فيه
٢٩ الثانية: تلاحق الافكار ودوره في الرقي والنمو
٣١ الثالثة: نفوذ الاسرائيليات والفلسفة في الفكر الاسلامي
٣٥ الرابعة: الشهرة التي تصبح مصدر الخرافات
٣٧ الخامسة: تحول المجازات والتشبيهات الى حقائق بمرور الزمن
٣٩ السادسة: لا يلزم ان يكون من التفسير كل مايرد فيه
٤٢ السابعة: اضرار المبالغة واطلاق الكلام جزافاً
٤٤ الثامنة: مقارنة بين ابناء الماضي والحاضر والمستقبل
٤٨ التاسعة: المستقبل للاسلام
٥٢ العاشرة: المشكلات القرآنية
٥٤ الحادية عشرة: قضايا عدة في قضية واحدة
٥٦ الثانية عشرة: لب الامور وقشرها
مسائل:

- ٦٢ الاولى: كروية الأرض

٦٤	الثانية: الثور والحوث
٦٨	الثالثة: جبل قاف
٧٠	الرابعة: ذو القرنين وأجوج ومأجوج وخراب السد
٧٤	الخامسة: موقع جهنم
٧٦	السادسة: مهمة المفسر ونهج القرآن
٧٧	السابعة: نكات بلاغية
٧٨	الثامنة: اسباب تورط الظاهريين

المقالة الثانية

عنصر البلاغة

٨٧	المسألة الأولى: تحول نظم المعاني إلى نظم الألفاظ
٨٩	المسألة الثانية: تجسم المعاني ونفخ الروح في الجمادات
٩٠	المسألة الثالثة: أسلوب الكلام
٩١	المسألة الرابعة: تجاوب قيود الكلام وتعاون كلفياته
٩٢	المسألة الخامسة: المقصد والغرض من الكلام
٩٥	المسألة السادسة: المعاني المتولدة من الكلام
٩٨	المسألة السابعة: فلسفة البيان
٩٩	المسألة الثامنة: تشرب معنى الكلمة بغرض الكلام
٩٩	المسألة التاسعة: أعلى مراتب الكلام
١٠١	المسألة العاشرة: سلاسة الكلام
١٠٢	المسألة الحادية عشرة: سلامة البيان
١٠٣	المسألة الثانية عشرة: سلامة الكلام واعتداله

المقالة الثالثة

عنصر العقيدة

١١٠	مقدمة المقصد الأول
١١١	المقصد الأول: دلالات على الصانع الجليل
١١١	دلالة الذرات على واجب الوجود

١١٢	لِمَ لا يراه كل فرد بعقله؟
١١٢	أصول العروج إلى معرفة الله
١١٣	دليل العناية في القرآن
١١٤	دليل الاختراع في القرآن
١١٧	ما الطبيعة؟
١١٩	ظهور الوجود من عدم الصرف
١٢١	توهم العلاقة بين وحدة الوجود والماديين
١٢٢	بيان دلائل التوحيد إجمالاً
١٢٤	مقدمة المقصد الثاني
١٢٥	المقصد الثاني: دلائل النبوة المطلقة ونبوة محمد ﷺ
١٢٦	تمييز الإنسان عن الحيوان
١٣٢	براهين نبوة محمد ﷺ
١٣٢	مقدمة
١٣٣	المسلک الأول: ذاته الشريفة
١٣٥	المسلک الثاني: صحيفة الماضي
١٣٦	المسلک الثالث: صحيفة الحال الحاضرة
١٣٩	المسلک الرابع: صحيفة المستقبل
١٤٢	خاتمة: ردود على شبهات
١٤٦	المسلک الخامس: المعجزات
١٤٩	المقصد الثالث
١٤٩	الحشر الجسماني

قزل ايجاز

١٥٥	مقدمة الملا عبد المجيد النورسي
١٦٤	فصل في جواز الاشتغال به
١٦٦	فصل في أنواع العلم الحادث
١٧٢	أنواع الدلالات الوضعية

١٧٤	فصل في مباحث الألفاظ
١٨١	فصل في نسبة بين الألفاظ والمعاني
١٨٦	فصل في بيان الكل والكلية والجزء والجزئية
١٨٩	فصل في المعارف
١٩٦	فصل في القضايا وأحكامها
١٩٨	مقدمة في المحرّفات
٢٠٨	فصل في التناقض
٢١٢	اعتذار

تعليقات

تعليقات على الكلنوبي في المنطق

٢١٧	مقدمة
٢٢٥	سلسلة المنطق
٢٣١	فصل في الكلّي والجزئي
٢٤٢	فصل في الذاتي والعرضي
٢٤٢	باب الحد
٢٤٩	باب القضايا... القضية
٢٥٣	فصل الحملية مطلقاً
٢٥٧	فصل: الحملية مطلقاً
٢٥٩	فصل في العدول والتحصيل
٢٦٠	«فصل» الحملية مطلقاً
٢٦٩	فصل الشرطية
٢٨٠	خاتمة الخاتمة
٢٨٥	فصل في العكس
٢٩١	فصل في عكس النقيض
٢٩٦	خاتمة
٢٩٧	الباب الرابع: في الأدلة والحجج

السانحات

٣١٢	افادة مرام
٣١٣	حكمة الاطلاق في القرآن الكريم
٣١٤	العاقبة دليل العقاب
٣١٤	الإيجابي والسلبي في الشعور القومي
٣١٥	أهمية الرزق كأهمية الحياة
٣١٥	الحياة الحقيقية هي الآخرة
٣١٧	حقيقة قوله تعالى (مَنْ قَتَلَ نَفْسًا)
٣٢٠	القدرة الإلهية في البعث
٣٢٤	عدم اتخاذ الوسائط أرباباً
٣٢٤	أعدل دستور في السياسة الشخصية والجماعية والقومية
٣٢٦	هيمنة القرآن الكريم
٣٣٠	دعوة إلى إنشاء مجلس شورى للاجتهاد
٣٣٤	حوار في رؤيا
٣٤٤	ذيل الرؤيا
٣٤٦	ذيل الذيل

المناظرات

٣٥٥	مقدمة المترجم
٣٥٨	رأي المؤلف في مؤلفاته القديمة
٣٦١	ديباجة الرسالة: أسئلة العشائر وأجوبتها
٣٩٩	حول المدرسة الزهراء
٤٠٦	ما الذي ألقانا في غياهب الضياع؟

المحكمة العسكرية العرفية

٤١١	المقدمة
٤١٣	إحدى عشرة جناية
٤٢٤	نصف جناية

٤٢٩	أسئلة موجهة إلى الحكام
٤٣٣	تنبيه
٤٣٥	خاتمة
٤٣٧	خطاب إلى الحرية

الخطبة الشامية

٤٤٩	مقدمة المحقق
٤٥٣	مقدمة المؤلف
٤٥٤	نهج رسائل النور في التبليغ
٤٦١	ديباجة الرسالة
٤٦١	أمراض الأمة الإسلامية
٤٦٢	الكلمة الأولى: الأمل
٤٦٣	استعداد الإسلام للرقى المعنوي
٤٦٣	- حكم التاريخ
٤٦٤	- صحوة البشرية
٤٦٤	- جوهر الإنسان
٤٦٥	- حث القرآن الإنسان على العقل
٤٦٦	الموانع التي حالت دون انتشار الإسلام
٤٦٧	الفضل ما شهدت به الأعداء
٤٦٧	- مثال توماس كارليل
٤٦٨	- مثال آخر: بسمارك
٤٦٨	استعداد الإسلام للتقدم المادي
٤٦٨	- الحقيقة الإسلامية
٤٦٨	- الحاجة الملحة
٤٧٠	- الحرية الشرعية
٤٧٠	- الشبهة الايمانية
٤٧٠	- العزة الاسلامية

٤٧١	نصف برهان
٤٧٢	- دلالة العلوم
٤٧٣	- الإنسان أكرم مخلوق
٤٧٣	- محمد ﷺ أفضل الخلق
٤٧٤	الكلمة الثانية: اليأس داء قاتل
٤٧٥	الكلمة الثالثة: الصدق أساس الإسلام
٤٧٨	الكلمة الرابعة: المحبة
٤٨٠	الكلمة الخامسة: تضاعف السيئات والحسنات
٤٨٣	الكلمة السادسة: الشورى
٤٨٥	الذيل الأول: تشخيص العلة
٤٩٤	ذيل الذيل
٤٩٦	- حقيقة
٤٩٨	- صدق الحقيقة
٥٠٠	- لتحيا الشريعة
٥٠٢	- ردّ الأوهام
٥٠٨	- الى جنودنا الأشاوس
٥٠٩	- خطاب إلى الجنود

الخطوات الست

٥١٣	نبذة تاريخية
٥١٧	ديباجة الرسالة
٥٢٣	نبذة عن بعض الأعلام
٥٢٩	الفهارس